المجلّد الأوّل

إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء

للإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي

تعريب

الأستاذ محمّد بشير السيالكوتي

مؤسس معهد اللغة العربية بإسلام آباد

د. نور محمّد جمعة أمراء

أستاذ بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

تخريج الأحاديث

الشّيخ إرشاد الحق الأثري

رئيس إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد

دار العلم

إسلام آباد، باكستان

عنوان الكتاب: إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء

المؤلف: الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي

تعريب: الأستاذ محمد بشير السيالكوتي
الأستاذ نور محمد جمعة أمراء

النشر: الأول (الإلكتروني)

تاريخ النشر: شوال ١٤٣٧ الهجري

المصدر: http://aqeedeh.com

المُجلّد الأوّل



للإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي

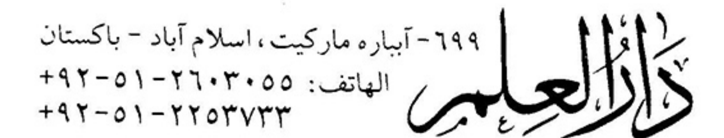
تعريب
الأستاذ محمّد بشير السيالكوتي
مؤسس معهد اللغة العربية بإسلام آباد
د. نور محمّد جمعة أمراء
أستاذ بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

تخريج الأحاديث
الشّيخ إرشاد الحق الأثري
رئيس إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد

الناشر
دار العلم
٦٩٩ - آبپاره مارکیت ، اسلام آباد ، پاکستان
الهاتف: ٥٥-٢٦٠٣٠٥٥-٥١-٩٢+

اسم الكتاب	إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء
المؤلف	الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي
المعرب	الأستاذ محمد بشير السيالكوتى
	د. نور محمّد جمعة أمراء
تاريخ الطبع	فبراير ٢٠١٦ م / ربيع الآخر ١٤٣٧ه

طبع بمطبعة ثوبان نعمان بلاهور
+٩٢-٣٠٠-٨٦٦١٧٦٣



٦٩٩- آبپاره ماركيت، اسلام آباد - باكستان
الهاتف: +٩٢-٥١-٢٦٠٣٠٥٥
+٩٢-٥١-٢٢٥٣٧٣٣

ترجـــمة الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي
غفر الله له ورفع درجاته

بقلم محمد بشير السيالكوتى
د. نور محمّد جمعة أمراء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لكي نطلع على شخصية هذا الإمام المحدث الشاه أحمد رحمه الله، ونعرف قيمة الأعمال التي قام بها بإذن الله وتوفيقه، يجب أن نستعرض أولا العصر والبيئة التي نشأ وعاش فيها من النواحي السياسية والاجتماعية والدينية بإيجاز.

عصره وبيئته

أ- سياسيا

يعتبر عصر الإمام الرباني والعارف الجليل المحدث الشاه أحمد ولي الله الدهلوي عصر فوضى واضطرابات سياسية واجتماعية؛ كثرت وتتابعت فيه الفتن والثورات والنــزاعات والحروب الداخلية، وشهد تمرد الكفار من السيخ والمرهته والزط واستيلاءهم على كثير من المناطق والولايات.

كان ولد في نهاية عصر الإمبراطور المغولي العادل الصالح الزاهد أبي المظفر أورنك زيب عالمكير الذي حكم الهند أكثر من خمسين سنة (من ١٠٦٨هـ إلى ١١١٨هـ) حكما إسلاميا حازما مثاليا، وطبق أحكام الشريعة وأحيا شعائر الإسلام، وقضى على كثير من البدع والمنكرات. بلغت الدولة الإسلامية في عصره أوجها واتسعت رقعتها من حدود الصين إلى بولندا ومن حدود العراق إلى غابات سيبيريا، وشهدت استقرارا سياسيا واجتماعيا. وتوفي أورنك زيب عالمكير في ٢٨ ذي القعدة سنة ١١١٨هـ ولم يتجاوز عمر الشاه ولي الله الدهلوي أربع سنوات.

وكانت وفاته بداية ضعف الدولة المغولية وتفككها الداخلي. فخلفه على عرشها ملوك ضعاف أكثرهم منحلون، كانوا لا يملكون من أمرهم شيئا. وقد عاشر الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي تسعة منهم، وهم:

١- بهادر شاه الأول، ٢- جهاندار شاه، ٣- فرخ سير، ٤- رفيع الدرجات، ٥- رفيع الدولة،

٦- محمد شاه، ٧- أحمد شاه، ٨- عالمكير الثاني، ٩- شاه عالم الثاني.

ب- اجتماعيا

بعد أورنك زيب عالمكير انغمس أكثر الملوك والأمراء في اللهو واللعب وأولعوا بالتمتع بالرقص والغناء. وانتشرت الرذيلة والفحشاء بين الخاصة والعامة إلا من عصمه الله. واضطرب حبل النظام وفقد الأمن، وفشا الجور والظلم. وخلا الجو للمفسدين وقطاع الطرق فأكثروا القتل والسلب والنهب.

جـ- دينيا

ومن الناحية الدينية قل العلم والعلماء. وفشا الجهل ونفقت أسواق البدع والأوهام والاعتقادات الباطلة باسم التصوف وتحت ستار الروحانية يروجها الدراويش المشعوذون والفقراء الفاسقون والمتصوفون الأدعياء الذين كانوا يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدوهم عن سبيل الله. وكانوا يوهمون الناس أهم أولياء الله وخاصته وهم أبعد خلق الله عن الإسلام والصلاح. فازداد الإقبال على القبور والأضرحة يتبرك بها الناس باللمس والتقبيل وأحيانا بالسجود والحج إليها وشد الرحال إليها كل سنة ويسألون أهلها حاجاتهم. وأصبحت هذه القبور والزوايا مأوى أهل البطالة والعبث والمجون.

أضف إلى ذلك أن المسلمين يعاشرون الهندوس والسيخ المشركين وعبدة الأوثان والأبقار فكانوا يقتبسون من عاداتهم وعباداتهم ويستسلمون لخرافاتهم طائعين أو مكرهين إلا من شاء الله.

وكانت حالة المسلمين في الولايات العديدة التي استولى عليها الكفار من الهندوس والسيخ والمرهته سيئة جدا. كانوا يعتبرون الإسلام عنصرا دخيلا على الهند، ويدعون المسلمين إلى التخلي عن شعائر الإسلام ومظاهره من إعلان الأذان وإقامة الصلوات الخمس والاحتفال بالعيدين والتسمي بأسماء عربية إسلامية وذبح البقرة التي يقدسونها ويشربون أبوالها. ويكرهونهم على اتخاذ تقاليدهم وعاداتهم الوثنية ويفرضون عليهم قيودا تساعد على إذابة شخصيتهم الإسلامية في المجتمع الوثني. وأحيانا يستولون على المساجد والمعاهد الدينية فيغلقونها أو يحوّلونها إلى مرابض واصطبلات أو يجعلونها معابدهم، ويثيرون اضطرابات يتخذونها ستارا لتقتيل المسلمين وتشريدهم. وقد يقتلون رجالهم ويستحيون نساءهم فيسبونهن.

وكذلك تفاقم أمر الشيعة في ذلك العصر وتغلغل نفوذ أمراءهم في البلاط الملكي. فأصبحوا هم المسيطرين على الملوك والمتصرفين بأمورهم. فكانوا ينصبون لهم الحبائل ويبثّون لهم الغوائل وينسجون لهم المكائد ويضربون بعضهم ببعض. وتعد المؤامرات والدسائس المعروفة التي دبروها من أهم الأسباب المؤدية إلى ضعف الدولة الإسلامية وسقوطها.

أما العلماء والشيوخ الذين جعلهم الله ورثة الأنبياء وحملة راية دينه، فكان أكثرهم عاجزين عن حمل أمانة الإسلام وغافلين عن أداء رسالتهم. كانت بضاعتهم من العلوم الإسلامية ضئيلة. اقتصرت دراستهم الدينية على كتب المتأخرين من فقهاء الحنفية وشروحها وحواشيها. وفشا فيهم التصوف المشوب بالاعتقادات الفاسدة والتقاليد الوثنية واستولى على عقولهم. فكانوا يرون أن الصلاح والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ينحصران في التمسك به. وكان زادهم الفكري كتب العلوم العقلية اليونانية من المنطق والفلسفة، أكبوا على دراستها وتدريسها وشغلوا بالتفنن في شرحها. وكان حظهم من القرآن الكريم والحديث النبوي قليلا.

و لم تكن عنايتهم بتلاوة القرآن الكريم إلا للبركة والسعادة. كأنهم يرون أن أئمة الإسلام وفقهاء الأمة كفوهم مؤونة الرجوع إلى الكتاب والسنة والأخذ منهما وتدبر ما فيهما من آيات وأحكام وبصائر وعبر. فحرموا الفهم الصحيح لعقيدة الإسلام وأصالته وأصوله.

في هذا الجو الحالك المكفهر الذي تشتت فيه شمل المسلمين وتسلط عليهم الأعداء وغلبهم الجهل، بعث الله الإمام المجدد الشاه ولي الله ليجدد للأمة دينها، ويعيدها إلى الإسلام، وليبدأ معركة إصلاح المسلمين وجهاد الكفار، وليعدّ وينظّم جيش العلم والإيمان بعد ما انهزم جيش الملك والسلطان.

نسبه

ينتهي نسب الشاه ولي الله الدهلوي، كما ذكره هو، إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهو:

> أحمد المعروف بشاه ولي الله ابن الشاه عبدالرحيم ابن الشيخ الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور بن أحمد بن محمود بن قوام الدين المعروف بالقاضي قاون ابن القاضي قاسم ابن القاضي كبير المعروف بالقاضي بده بن عبدالملك بن قطب الدين بن كمال الدين بن شمس الدين المفتي بن شير ملك بن محمد عطا ملك بن أبي الفتح ملك بن عمر حاكم ملك بن عادل ملك بن فاروق بن جرجيس بن أحمد بن محمد بن شهريار بن عثمان بن هامان بن همايون بن قريش بن سليمان بن عفان بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين.
>
> وينتهي نسبه من جهة أمه إلى سيدنا موسى الكاظم رضي الله عنه[1].

(١) كتاب أنفاس العارفين رسالة الإمداد في مآثر الأجداد، ص ٢.

قدوم أسلافه إلى الهند

يصرح الشاه ولي الله الدهلوي أن أول من قدم الهند من أسلافه هو المفتي شمس الدين (جده الثالث عشر) الذي كان نزل وتوطن بلدة رهتك الواقعة في إقليم البنجاب الشرقية (التي تقع الآن في الهند). ولعله كان قدمها في بداية الفتح الإسلامي للهند حين انتقل إلى البلاد المفتوحة عدد كبير من الفاتحين العرب واستوطنوها. وكان عربيا من قريش.

وكان بنى في هذه البلدة مدرسة دينية وبذل جهده في تدريس العلوم الإسلامية وبث دعوة الإسلام في أهلها. ولّي الإفتاء والقضاء والحسبة فيها على عادة ذلك الزمان. ثم لم يزل هذا المنصب في أولاده وأخلافه(١).

هذه نظرة سريعة على تاريخ أسلافه ترينا أنه ينتمي إلى سلالة عربية قرشية مشهورة المآثر معلومة المفاخر، وأن أسلافه كانوا من العلماء الأتقياء والصلحاء الزهاد وحماة الحق وأئمة الهدى وحملة راية الإسلام وسادة المجاهدين. وتوارثوا الشرف الرفيع والمجد المؤثل كابرا عن كابر.

أبوه الشيخ الشاه عبد الرحيم الدهلوي

كان أبوه الشيخ الشاه عبدالرحيم (١٠٥٤هـ- ١١٣١هـ) من أعلام العلماء وأفاضل الفقهاء يرجع إليه في المشكلات ويستفاد برأيه في المعضلات. وكان زاهدا مجاب الدعوات يقصده العامة والخاصة لطلب الدعاء في الملمّات والكربات. وكان يؤثر العزلة والانفراد ويكره زيارة الملوك والسلاطين ويجتنب مجالسة الأغنياء والأمراء.

بئس الفقير على باب الأمير!

سمع الإمبراطور أورنك زيب عالمكير بجلالة علمه وعظيم قدره واشتاق إلى زيارته. فأرسل إليه أحد أعيان الدولة ليبلغه رغبته وليدعوه إلى قصر الملك. فأبى الشيخ هذا الطلب قائلا: لست راغبا في زيارة الملوك. ولما أصرّ رسول الإمبراطور على أن يكتب رده في خطاب يأخذه معه لئلا يؤاخذ هو بتهمة التقصير في إبلاغ رسالته، أخذ ورقة من الأرض وكتب فيها:

"من المتفق عليه عند جماعة رجال الله، قولهم: بئس الفقير على باب الأمير! ودل قول الله تعالى ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(٢) على أن ما أعطاك الله من الملك والمال والجاه، جزء قليل جدا من الدنيا. ولا أرضى أن

(١) المصدر نفسه، ص ٢١.
(٢) سورة التوبة : ٣٨.

يشطب اسمي من قائمة عباد الله لهذا القدر اليسير الحقير. فقد وجدت في أقوال مشايخنا: من سجل اسمه في رجال الملوك شطب اسمه من قائمة رجال الله".

ولما تسلم الإمبراطور هذه الورقة قرأ الكلمات مرارا وتكرارا وتدبرها وكان كلما أعاد قراءها يجد حلاوة جديدة. فأحب هذه الورقة وكان يحافظ عليها كأنها تميمة.

١- مكانته في علم الحديث

كان الشاه عبدالرحيم الدهلوي عالما جليلا وفقيها عظيما ومحدثا كبيرا. ويرى الشاه ولي الله الدهلوي: "أنه كان حافظا لأكثر أحاديث الصحاح وكان له ملكة عجيبة في ذكر هذه الأحاديث كلها مع أسانيدها بدون توقف. وانتهت إليه الرئاسة في علم الحديث في عصره، فكان إمامه غير مدافع[1].

٢- إنشاء المدرسة الرحيمية في دلهي

وكان مهتما بنشر العلوم الإسلامية. وأنشأ في دلهي مدرسة سماها "المدرسة الرحيمية" لتدريس العلوم الإسلامية عامة وعلم الحديث النبوي خاصة. وكان من ثمرات هذه المدرسة وجهودها أن انتشر في أوساط العلماء والطلاب حب الحديث النبوي والرغبة في دراسته وخدمته والتمسك به والاستفادة منه في فهم القرآن الكريم واستخراج المسائل الدينية. وانتشر صيت هذه المدرسة في أطراف الدولة فكان العلماء والطلاب يؤمّونها من أنحاء الهند وإيران وأفغانستان وغيرها لينهلوا من هذا المنهل الصافي ويقتبسوا من أنوار السنة المحمدية. فكان هذا الشيخ الجليل ومدرسته مصدر خير عميم لعلماء الإسلام في ذلك العصر.

٣- تقديمه للحديث النبوي في المسائل المختلف فيها

كان الشاه عبدالرحيم الدهلوي يعمل بالمذهب الحنفي في عامة المسائل. لكنه كان يترك العمل به أحيانا إذا وجد دليلا معارضا له أقوى من حديث صحيح أو من اجتهاده الشخصي.

٤- إسهامه في مراجعة الفتاوي العالمكيرية

ومما يدل على علوّ كعبه في العلوم الدينية وخاصة الفقه وأصوله أنه كان أحد كبار العلماء والفقهاء الذين قاموا بمراجعة الفتاوي العالمكيرية وعرف خلالها بإمعان النظر وتمحيص الدقائق واستجلاء الغوامض.

ولادة الشاه ولي الله الدهلوي ووفاته

ولد الشاه ولي الله الدهلوي وقت طلوع الشمس يوم الأربعاء رابع شوال سنة ١١١٤هـ

---

(١) كتاب أنفاس العارفين رسالة الإمداد في مآثر الأجداد ص ٨.

(٢١ فبراير ١٧٠٣م) في عهد الإمبراطور الصالح أورنك زيب عالمكير الذي توفي بعد ولادته بأربع سنين، بقرية بهلت أو فلت وهي قرية صغيرة لكن معروفة بعلماءها- بمديرية مظفر نكر بإقليم أتربراديش القريبة من دلهي (عاصمة الهند). ورأى والده وغيره من الصلحاء مبشرات قبل ولادته. واسمه أحمد ولقبه قطب الدين، وشهرته التي اشتهر بها وغلبت اسمه الشاه ولي الله الدهلوي.

وتوفي في دلهي يوم السبت التاسع والعشرين من المحرم سنة ١١٧٦هـ (١٧٦٣م) عن عمر يناهز اثنتين وستين سنة، وذلك في السنة الثالثة من حكم الملك شاه عالم الثاني. ودفن عند والده في مقبرة خارج مدينة دلهي المعروفة بمقبرة المحدثين.

تعليمه وتربيته

كان الشاه ولي الله أحب أولاد أبيه الشيخ عبدالرحيم الدهلوي إليه. وكان يتوسم فيه مخايل النجابة وعلامات الصلاح حيث عرف في صباه بسرعة الفهم وصفاء النفس وطهارة الأخلاق وعدم الرغبة في اللهو واللعب. فعني بتعليمه وتربيته عناية فائقة، وحاطه وتعهده منذ صغره، لأنه كان ينوط به آماله. فلما بلغ السنة الخامسة أدخله الكُتّاب. فأتم حفظ القرآن الكريم في السنة السابعة وفيها أمره أبوه بالصلاة والصوم. وبدأ يدرس الكتب الابتدائية لدراسة اللغتين العربية والفارسية، فأتم دراستهما في سنة.

واختصه أبوه الشيخ عبد الرحيم الدهلوي بتدريس القرآن الكريم بمعرفة المعاني وأسباب النـــزول مع تدريبه على مراجعة كتب التفسير. فتضلع من علوم القرآن الكريم ووقف على أسراره وغاص على دقائق التفسير وأحاط بأصوله وفروعه.

فتخرج على أبيه في الخامسة عشرة من عمره. وقرأ على المحدث المعروف محمد أفضل السيالكوتي بعض كتب الحديث الشريف من الصحاح الستة.

وأخذ عن أبيه أشغال الطريقة النقشبندية ولبس الخرقة الصوفية. وفي السابعة عشرة بايعه أبوه واستخلفه على مسنده وأجازه بأخذ البيعة قائلا: يده كيدي، ولم يلبث أن توفي في السنة نفسها رحمه الله. فتولى الشاه ولي الله التدريس والإرشاد بمدرسته الرحيمية. واشتهر بنبوغه وتفوقه، فوفد عليه الطلاب من كل جانب. وقضى في تدريس العلوم الدينية والعقلية اثنتي عشرة سنة.

وكان لهذه المدة التي قضاها في التدريس فضل في نبوغه العلمي ونضجه الفكري. فأحكمته التجارب، وأتقن العلوم وتوفر حظه من علوم الشريعة، وفتح الله عليه أسرار التوحيد ومعارف السلوك والوجدان. ودرس المذاهب الأربعة وتعمق في أصولها ونظر في الأحاديث التي يعتمد عليها أصحابها في بناء الأحكام، فارتضى منها طريقة الفقهاء المحدثين.

رحلته إلى الحجاز

ثم حبب الله إليه فجأة زيارة الحرمين الشريفين. فرحل إلى مكة، وهو في الثلاثين من عمره في نهاية سنة ١١٤٣هـ. وممن صحبه في هذه الرحلة المباركة خاله الشيخ عبيدالله ابن الشيخ محمد الباروي الفلتي وولده الشيخ محمد عاشق ابن الشيخ عبيدالله الفلتي والشيخ نور الله الصديقي البرهانوي. فحجّ بيت الله الحرام وأقام سنة ١١٤٤هـ بمكة المكرمة يأخذ الحديث وغيره من العلوم عن علماءها ويلازمهم ويستفيد منهم فوائد عظيمة متنوعة. ثم حج فيها ثانيا. ثم زار المدينة المنورة وتتلمذ فيها على كبار المحدثين والشيوخ وصحبهم صحبة حسنة. ومن العلماء والمحدثين الذين أخذ عنهم في الحرمين الشريفين:

(١) الشيخ المحدث وفد الله ابن الشيخ محمد بن محمد بن سليمان المغربي المالكي الذي لما جاءه استقبله بالفرح والسرور ورحب به، ولما استجازه رواية الحديث عقد له مجلسا خاصا، فقرأ عليه موطأ الإمام مالك برواية يحيى بن يحيى المصمودي من أوله إلى آخره وأجازه رواية مرويات أبيه الشيخ المحدث محمد بن محمد بن سليمان المغربي.

(٢) الشيخ العارف المحدث أبوطاهر محمد ابن الشيخ إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي المدني الشافعي الذي صحبه مدة وتلقى منه جميع صحيح البخاري حرفا حرفا من أوله إلى آخره مع جماعة من الفضلاء منهم خاله الشيخ عبيد الله وابن خاله الشيخ محمد عاشق، وسمع منه شيئا من صحيح مسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد والرسالة للشافعي والجامع الكبير ومسند الحافظ الدارمي من أوله إلى آخره في عشرة مجالس كلها بالمسجد النبوي عند المحراب العثماني تجاه القبر الشريف، وشيئا من الأدب المفرد للبخاري وشيئا من أول الشفاء للقاضي عياض وسمع عليه الأصم فهرس والده من أوله إلى آخره مع التذييل. وناقش معه مباحث مهمة في العلوم والسلوك واستفاد منه فوائد جمة. وكان أخص شيوخه في الحرمين الشريفين وأكثرهم تأثيرا في تكوين شخصيته العلمية وتربيته الفكرية كما اقتبس من مكارم أخلاقه وأنوار معارفه. ولما جاءه يستأذنه للعودة إلى الهند وتمثل بهذا البيت:

نسيت كل طريق كنت أعرفه   إلا طريقا يؤديني إلى ربعكم

اغرورقت عيناه واحمرت وجنتاه وخنقته عبرة، ثم دعا له خيرا وودعه.

وروي عنه أنه قال: إنه (الشاه ولي الله) يسند عني اللفظ وأصحح المعنى منه أو كلمة تشبه ذلك[1].

(٣) الشيخ المحدث تاج الدين القلعي الحنفي ابن القاضي عبد المحسن وكان مفتيا بمكة

---

(١) اليانع الجني للشيخ محمد بن يحيى الترهتي، ص---، وورود كوثر، ص ٤٣.

المكرمة. حضر الشاه ولي الله مجلسه ثلاثة أيام حين كان يدرس صحيح البخاري فسمع منه أطراف الصحاح الستة وموطأ مالك ومسند الدارمي والموطأ وكتاب الآثار للإمام محمد وأخذ منه الإجازة لسائر الكتب. وحدثه بالحديث المسلسل بالأولية عن الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي وهو أول حديث سمعه منه بعد عودته من زيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم سنة ١١٤٣هـ. وكتب له إجازة برواية الحديث بقلمه ولم يكتف له بالإجازة الشفوية العامة التي أعطاها جميع من حضروا مجلس الدرس.

(٤) الشيخ العلامة السيد عمر بن أحمد بن عقيل وهو ابن بنت الشيخ المحدث عبدالله ابن سالم البصري الذي يروي عن جده عبد الله بن سالم البصري.

(٥) الشيخ المحدث عبد الرحمن بن أحمد بن محمد النخلي الذي يروي عن أبيه أحمد النخلي.

ومن أعظم الفوائد التي أدركها وأطيب الثمرات التي جناها خلال إقامته بالحرمين الشريفين اطلاعه على مؤلفات شيخ الإسلام المجدد الإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني الذي هو ترجمان القرآن وفارس العلوم النقلية والعقلية ومحي السنة وقامع المنكرات والإلحاد ورائد المصلحين وقائد المجددين. فأعجب بسعة اطلاعه واستقامة سيرته وحسن بيانه في نصرة عقيدة السلف والسنة وجهاده وقوة حجته في إنكار البدع والإلحاد، واستفاد من آثاره وآثار تلميذه الإمام الباحث المحقق الزاهد محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية رحمهما الله وتغمدهما برحمته، كما لا يخفى على من تتبع سيرته وأخباره وتصفح كتبه ورسائله.

قضى الشاه ولي الله هذه المدة في مهبط الوحي والأنوار ومعقل الإيمان في الدرس والاستفادة من فحول المحدثين وأعيان العلماء والصلحاء والأخيار ومجالستهم والمذاكرات معهم. فتبحر في السنة التي كانت نصب عينيه وغيرها من العلوم وتضلع منها، وزادت معرفته بمذاهب الفقه الإسلامي وأصولها وفروعها ومناهج تفكيرها، وقوى اتصالاته بعلمائها. وكان له من العبادة والاعتكاف والمجاورة والابتهالات والاشتغال بخاصة النفس أوفر نصيب. ففاضت على قلبه أنوار وبركات وتلقى نفحات ومبشرات ذكرها في كتابه "فيوض الحرمين" كما ذكر شيوخه وشيوخ شيوخه في رسالته "إنسان العين في مشايخ الحرمين".

وكذلك أتاحت له هذه الرحلة الحجازية فرصة درس خلالها أحوال سائر البلاد الإسلامية وعرف رجالها، واستعرض الأسباب التي أفضت بها إلى الضعف الديني والاجتماعي والسياسي.

تأثير الرحلة الحجازية في تفكيره وتنظيم دعوته

ولكن لم تقتصر إقامته ودراسته بالحرمين الشريفين على تحصيل هذه الفوائد العلمية والتربية الروحية شأن غيره من أهل العلم والعرفان. ولو كان اكتفى بجني هذه الثمرات واستوطن الحجاز -كما قيل له- لما زاد على أن يكون محدثا فقيها من أعلام المحدثين والفقهاء، ولما بلغ مرتبة الزعامة الفكرية والاجتماعية والعبقرية الإسلامية التي لايبلغها الإنسان بمجرد الدراسة والتفنن في العلوم وكثرة التأليف والإنتاج.

كان رحمه الله دائم التفكير في أحوال المسلمين في الهند، وكان يتألم لما صاروا إليه من الضعف والضياع، ويتأثر بما ينـــزل بهم من البلايا والمصائب. وكان شديد الاهتمام بمستقبل الإسلام في هذه المنطقة النائية عن مركز الإسلام. وكان يؤلمه أن الدولة الإسلامية التي نهكتها المؤامرات السياسية ويتخطّفها الأعداء من الداخل والخارج، أصبحت مهدّدة بالانهيار، وأنها تقترب يوما بعد يوم من نهايتها.

في هذه الفترة الحالكة وبهذه الهموم مع ما وهب الله سبحانه وتعالى له من علو الهمة والمعارف والحكمة والوجدان، عاش هذا الإمام العظيم والعارف الحكيم في أجواء الحرمين يقتبس من الأنوار الربانية ويتلقى النفحات الرحمانية ويستلهم العناية القدسية. فشرح الله له صدره وقوّى عزمه وجدّد فيه النشاط ليعود إلى الهند، ويخوض معركة الإصلاح الديني وينشر دعوة الإسلام النقية من الشوائب، ويعمل لتوحيد صفوف المسلمين وليجدّد لهم دينهم وينظّمهم لجهاد الكفار والمنافقين.

ومن ناحية أخرى ازدادت حالة الدولة الإسلامية في الهند ضعفا وسوءا، وفقدت سيطرتها على الولايات. فاستولى على بعضها الكفار وقوي شوكتهم. فقتلوا العباد وأهلكوا البلاد، وساد الاضطرابات والفساد وفقد الأمن. فأشار عليه بعض أتباعه المخلصين أن يستقر بالحجاز ولا يعود إلى وطنه. ولم يكن هو أيضا في غفلة عن حاله. بل كان يدرك ببصيرته النافذة ماذا تخفى هذه الأوضاع وراءها من مآس وأهوال؟ ولم يكن رحل إلى الحجاز ليأمن هو وأتباعه الشرور والفتن المنتشرة هناك، ولم يكن مطمح نظره الفرار بنفسه وبأهله منها.

فلم يكن رأي الاستقرار بالحجاز منسجما مع خطته التي رسمها لنفسه، ولا متفقا مع مصلحة الإسلام والمسلمين. فلم يحفل به ولم يقبله. وعاد بمن معه إلى دلهي يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة ١١٤٥هـــ (٩ يوليو ١٧٣٢م) متشبعا بروح جديد وعاطفة قوية وعزيمة صادقة ليبدأ عمله وجهاده.

تنظيم العمل بعد العودة من الحجاز

ولما عاد إلى وطنه استأنف التدريس والإرشاد بمدرسته الرحيمية القديمة، فطار صيته في الآفاق وأقبل عليه الناس إقبالا عظيما، ووفد عليه الطلاب والعلماء والصلحاء من أطراف البلاد للتلقي من معارفه والاستفادة من فيوضه وعلومه. لكنه لم يشغل نفسه بتدريس العلوم والفنون على عادة ذلك العصر، بل أعدّ مدرسين مختصين بها وأسند إليهم تدريسها. وتفرغ هو للأعمال المهمة الأساسية وخصص أوقاته لإنجازها. وهي:

١- تدريس الحديث النبوي الشريف

٢- الاشتغال بالتأليف

٣- إصلاح الناس بالإرشاد والتذكير.

وركّز جهده على تنفيذ هذه الخطة وقضى معظم وقته في العمل لها. فذاع صيته وازداد عدد الوافدين عليه ازديادا كبيرا. وانتبه العامة والخاصة إلى دعوة التجديد والإصلاح التي بدأها. ولما ضاقت المدرسة بالطلاب والوافدين عليه من العلماء والصلحاء منحه الملك محمد شاه بناية واسعة في داخل المدينة فانتقلت إليها المدرسة وتحولت إلى دار العلوم.

وبهذا المنهج استطاع الإمام العارف الشاه ولي الله أن ينشئ ويربي جيلا من العلماء والعارفين والمجاهدين الذين يتولون قيادة الأمة وإرشادها، كما استطاع أن يعد ويقدم هذه الثروة العلمية والفكرية التي تشتمل عليها مؤلفاته القيمة التي ترشد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وتحتل مكانة عالية في المكتبة الإسلامية العالمية.

تلامذته

قضى الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته في التدريس والإرشاد والتأليف ونذر نفسه لتربية الدعاة والعلماء واستفرغ وسعه في تنفيذ الخطة التي كان رسمها لنفسه عند عودته من الحجاز. فتخرج عليه جماعة عظيمة من حملة العلم وأولي العرفان الذين كانوا بعده، دعاة النهضة العلمية وزعماء الإصلاح الديني والاجتماعي وحملة راية التوحيد والسنة. فنشأت بمساعيهم حركة علمية ودينية كان لها الأثر البارز في مجرى الحياة وأحداث البلاد.

دفاعه عن شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية وغيره من العلماء

من الثمرات الطيبة التي آتتها رحلته الحجازية المباركة أنه درس خلالها مؤلفات كبار علماء الإسلام أمثال الإمام أبي حامد الغزالي والشيخ عز الدين بن عبدالسلام والإمام المجدد ابن

تيمية والإمام محمد ابن قيم الجوزية وغيرهم واستفاد منها. ويبدو أنه تأثر واستفاد من علوم شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية وأفكاره أكثر. فكان رحمه الله تعالى يثني عليه خيرا ويدافع عنه وعن غيره من علماء الإسلام وفقهاء الأمة. وقد أحسن الدفاع عنه والتنويه بشأنه في رده على رسالة وجهها إليه أحد تلاميذه الشيخ محمد معين بن محمد أمين التتوي السندي صاحب كتاب دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب، وكان استفسره فيها عنه وعما يثار عليه من الاعتراضات.

ولا يفوت القارئ الكريم أنه دافع عنه وانتصر لآرائه في ذلك العصر والجو الذي كان فيه غالب أهل بلده من العلماء والعامة يتسكعون في ضلالات الصوفية الملحدين والروافض ويهيمون في ظلمات التقليد والفلسفة اليونانية، وتمادى ببعضهم الجهل إلى تفسيق هذا الإمام المجدد وتكفيره.

ومما يدل على إعجابه بشيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله وتأثره بتحقيقاته وآرائه أنه نقل وترجم بالفارسية في رسالته "البلاغ المبين" مباحث وفصولا عديدة من كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم" ونوه فيها باسمه ومنـــزلته العلمية مرارا وتكرارا. ولكثرة ما نقل عنه يصح أن يقال إن رسالته هذه تكاد تكون خلاصة فارسية لكتاب اقتضاء الصراط المستقيم.

وهذا يدل على شدة إعجابه ومبلغ استفادته من دعوة التجديد التي رفع لواءها مـــجدد الـــدين شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية في بداية القرن الثامن الهجري في الشام. ولا شك في ذلك، لأن دعوته الإصلاحية تشبه دعوة الإمام ابن تيمية تماما في العقيدة والمنهج ولأن أساسهما واحد وهو دعوة المسلمين إلى اتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وانتهاج طريقة السلف الأولين في العقيدة والعمل، والاهتمام بتطهير المجتمع الإسلامي من رسوم الشرك والبدع والخرافات التي شوهت وجه الإسلام المنير.

دوره في الإصلاح والتجديد

كان الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي إمام العلوم النقلية والعقلية واللغوية وآية من آيات الله في ذكاء الفهم وصفاء النفس ولطافة الحس وعلو الهمة. عرفه الناس عالما ربانيا ومفكرا اجتماعيا ومرشدا حكيما صادق الفراسة، كانوا يسترشدون به في الملمات ويستنيرون برأيه في المشكلات.

كان العصر الذي عاش فيه عصر فوضى وفساد واضطرابات تتابعت فيه الفتن والثورات والحروب، وفقد الأمن والاستقرار. وتعرضت مدينة دلهي التي كان يقيم ويعمل بها لعدد من

الغارات والثورات الدموية. ولكن هذه الحوادث المؤلمة لم تثبطه عن مواصلة العمل، ولم تثنه عن خطة الدعوة التي اختارها لنفسه وشرح الله لها صدره، ولم يخفت نشاطه في خدمة الإسلام تدريسا وتأليفا ونشرا. بل على عكس ذلك بقي رابط الجأش مطمئن البال يقود قافلة الإسلام ويوجه رسائله ونصائحه إلى أمراء المسلمين وملوكهم وقوادهم ويرشد العامة والخاصة، ويحثهم على الاستقامة على الحق والتعاون على الخير ويحذرهم عواقب الوهن والخذلان في تلك الظروف الحرجة التي كان يخاف فيها على مستقبل الإسلام والمسلمين في الهند التي حكموها قرونا طويلة.

والأسباب التي أهلته لزعامة الحركة العلمية وقيادة قافلة الإسلام في الهند، تعود في جملتها إلى عوامل ثلاثة:

العامل الأول

إنه استطاع بفضل الله وتوفيقه أن يزود المكتبة الإسلامية بعدد وافر من مؤلفاته القيمة التي تمتاز باستقامة الفكر وشرح حقائق الإسلام في ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة ودقة البحث وبأسلوبها الرائق المقنع. ولا تزال منذ ذلك الوقت، تدرس وتعتمد لدى العلماء والباحثين والمفكرين.

ولقد كان لهذا الإنتاج العلمي الرصين دور عظيم في تعليم الناس على طبقاهم وتربيتهم. فقد كان زادهم في مسيرهم ومنارا يهتدون به في شؤون الحياة الفردية والاجتماعية والسياسية.

العامل الثاني

إنه قضى نحو ٤٥ سنة من حياته في التدريس والإفادة والإرشاد. وكان درسه مجمعا للعلماء وأرباب العرفان والأدباء والمفكرين. فخرّج جماعة من العلماء الراسخين والدعاة المخلصين الذين ورثوا علومه واقتدوا بسيرته ونهجوا سبيله في حمل الأمانة ونشر العقيدة والدعوة الإسلامية وتدريس العلوم الإسلامية والعربية وتنفير المسلمين من البدع ورسوم الشرك وقيادة الأمة في تلك الظروف الحرجة التي ضعفت فيها القيادة السياسية وتفككت الدولة الإسلامية أولا ثم انهارت. فتكونت من هؤلاء الأبطال الذين في مقدمتهم أنجاله الأربعة (١) المحدث الشاه عبدالعزيز و(٢) الشيخ الشاه رفيع الدين و(٣) الشيخ الشاه عبدالقادر و(٤) الشيخ الشاه عبدالغني، وتلامذهم وأتباعهم حركة إسلامية دائبة بعثت في عامة المسلمين وخاصتهم روح العلم والعمل، ووحّدت صفوفهم لنشر دعوة الإسلام والعمل لإحياء شعائره وعلومه والذب عنه ومقاومة التيارات والحركات المناوئة له، وجهاد الكفار.

العامل الثالث

إنه جاء في الوقت الذي كانت الدولة الإسلامية تلفظ نفسها الأخير، وكان المسلمون

أمام خطر الخذلان والضياع. فدعاهم إلى دعوة الإسلام الصحيح والاعتصام بحبل الله، ونبذ الفرقة والعصبية المذهبية. وقدم عقيدة الإسلام بيضاء نقية قادرة على تحريكهم وتنظيمهم لمواجهة التحديات بالإيمان والجهاد. فأنقذ قافلتهم الحائرة من الخذلان والضياع الفكري والاجتماعي في عهد الاستعمار الغربي وتسلط الهندوس. ثم إنه قدم حقائق الإسلام وخصائص شريعته التي تكوّن نظاما فريدا متكاملا صالحا وشاملا لجميع مجالات الحياة من عقيدة وسلوك وعبادات واجتماع واقتصاد وسياسة وجهاد وإصلاح بأسلوب علمي رصين مقنع بهر المثقفين والعلماء والمفكرين والزعماء وأعجبهم أيما إعجاب. فأعادهم إلى حب الإسلام بثقة واعتزاز، وإلى دراسة القرآن والسنة والعناية بسيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وخلفائه.

في تلك الظروف التي انقرضت فيها دولة المسلمين في الهند وانهارت قيادتهم السياسية، فلم يبق بأيديهم إلا أمارات متفرقة ضعيفة، وتسلط الكفار من الهندوس والسيخ على أكثر المناطق، ثم جاء الاستعمار الانجليزي فاستولى عليها سنة ١٨٥٧م فاستعمل جميع وسائله وأسلحته لتجريدهم من شخصيتهم الإسلامية وتنصيرهم فأصبحوا مهددين بخطر الارتداد والإلحاد، كانت مدرسة الإمام المجدد الشاه ولي الله الدهلوي وخلفائه بمثابة قيادة إسلامية بديلة قابلت المشكلات والتحديات بإيمان قوي وبحكمة وشجاعة نادرة، فأنقذت ما أمكن إنقاذه وتولت حماية الأمة من الضياع الفكري والاجتماعي، وحفظت شخصيتها الإسلامية وقدمت خدمات جليلة في مجال الإصلاح الديني وتجديد معالم الدين ونشر الثقافة الإسلامية والعربية.

وتعرف حركة الإصلاح والجهاد التي نظمها هؤلاء الأبطال المجاهدون سعيا لتحرير البلاد من الاستعمار الانجليزي والسيخ ولتحقيق المبادئ الإسلامية التي نادى بها إمامهم الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله، بالحركة الوهابية في تاريخ الهند. وسنعود لذكرها في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

منـــزلته في الآداب الإسلامية العالمية

هذا فضل الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي وهذا أثر حركته في المنطقة المحلية. أما منـــزلته في الآداب الإسلامية العالمية فإنه أحد عمالقة الفكر الإسلامي المعدودين الذين تجاوزت مؤلفاتهم وأفكارهم حدود الزمان والمكان، وسارت مسير الشمس في الشرق والغرب. فانتفعت بها الأمم والأجيال ولا تزال تبدد غيوم الباطل وتجدد رسوم الحق حتى اليوم. فمن مؤلفاته التي نالت الإعجاب والقبول في الأوساط العلمية العالمية، حجة الله البالغة، وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، والرسالتان الفوز الكبير في أصول التفسير والإنصاف في سبب الاختلاف.

أعماله وخصائص دعوته

هذه الدعوة العلمية والإصلاحية التي نشأت بمساعي الإمام الرباني المحدث الشاه ولي الله الدهلوي وجهود خلفائه وأتباعه لم يكن تأثيرها محدودا بزمن معين محدود قد مضى، ولا منحصرا في جانب ديني أو علمي فقط. لكنها شملت جميع مجالات الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية والسياسية، فأثرت فيها تأثيرا عميقا واسع النطاق. ولا تزال أعمالها وآثارها رغم ما مضى عليها من الدهر الطويل، تفتح آفاق الفكر والعمل وتنشّط العقل والقلب وتنير الطريق للعلماء والباحثين وأرباب العرفان وقادة الجهاد والحركات الإسلامية حتى اليوم. والسر في بقائها وخلودها أنها تمتاز بخصائص علمية وعملية عديدة أهّلتها لقيادة الأمة وحمل أمانة الإسلام وأداء رسالته بأصالتها وصفاءها.

١- العناية بنشر دعوة التوحيد

أول ما يميز دعوة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، وأهم ما تعرف به حركته الإصلاحية هو الاهتمام بنشر عقيدة التوحيد مستمدة من القرآن الكريم والسنة الشريفة. لأن الاعتقاد بالتوحيد أصل أصول البر وعمدة أنواعه، وهو حق الله تعالى على عبيده، ولتبليغه بعث جميع الرسل والأنبياء، وتتوقف عليه السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة. والمراد من التوحيد الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والمدبر لهذا الكون من السماوات والأرض وما فيها، وأنه لا إله غيره، ولا شريك له، ولا مثل له، وهو القادر على كل شيء ولا يعجزه شيء، مع إخلاص العبادة له من غير أن يشرك به شيء أو أحد من نبيّ أو وليّ أو ملك -حيا كان أم ميّتا- في أي نوع من أنواع العبادة من السجود والدعاء والاستغاثة في الحوائج والنذر والحج له والحلف بأسمائه وعدم التسمي بأسماء شركية وغير ذلك مما ورد في القرآن والسنة. ثم الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته الكاملة التي وردت في الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف لأنها توقيفية وذلك مع تنـــزيهه تعالى عما لا يليق بذاته كما قال جل وعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١].

وأن الواجب في هذا الاعتقاد، الإيمان بما ورد في القرآن الكريم والسنة من الأوامر والأسماء والصفات والاكتفاء به، ولزوم منهج السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وأتباعهم وأئمة الإسلام من أهل السنة والجماعة، ومجانبة الهوى والبدعة، وترك خوض المتكلمين

---

(١) سورة الشورى : ١١.

ووساوسهم.

هذه هي عقيدة التوحيد الصحيحة التي قام بنشرها ودعوة الناس إليها هذا الإمام العظيم وتلامذته المخلصون وأتباعهم، ولنشرها وتطبيقها قامت حركة الإصلاح والجهاد التي قادها الإمام المجاهد العارف السيد أحمد بن عرفان الشهيد ووزيره الإمام المجدد المجاهد الشاه محمد إسماعيل الشهيد وأنصارهما من العلماء والمحدثين والفقهاء والمجاهدين والشهداء جزاهم الله خيرا وغفر لهم جميعا.

فأصل دعوتهم نشر عقيدة التوحيد، وأساسها العلمي والفكري التمسك بالقرآن والسنة، والعناية بإحياء شعائر الإسلام وسنن الدين الحنيف، والسعي لتطهير العقائد من الرسوم الشركية والبدع والعادات الفاسدة.

ثم إنهم بذلوا جهدهم واستنفدوا قواهم ووسائلهم من دعوة وإرشاد وتدريس وتأليف وجهاد في نشر هذه العقيدة الإسلامية وترويجها ورفعوا صوتها بكل قوة ونشاط حتى ارتجت به السهول والوديان والجبال، وهدى الله سبحانه وتعالى بهم خلقا كثيرا لايحصون من الكفار والمشركين الذين أسلموا، ومن المنتسبين إلى الإسلام الذين كانوا غارقين في أنواع الشرك وظلمات الجهل والخرافات. فأبصروا شناعتها وأوساخها فتابوا منها ونبذوها، واهتدوا إلى عقيدة التوحيد الصافية، وتمسّكوا بالقرآن الكريم والسنة وذاقوا طعم الإيمان بالله وحلاوة الإخلاص له.

فتمسك هؤلاء السادة المجاهدين بهذه العقيدة الصافية وإخلاصهم واجتهادهم في نشرها وترويجها حقيقة معروفة يعلمها القاصي والداني، ويعترف بها لهم محبهم ومبغضهم حتى أعدى أعداءهم الانجليز المستعمرون الذين استعملوا كل وسائل القمع والبطش والتعذيب والتشريد للقضاء على خطّتهم ومنع انتشار عقيدتهم حتى أطلقوا عليها اسم الوهابية لالتقاء أصولها بدعوة شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبدالوهاب وأنصاره رحمهم الله وغفر لهم جميعا.

وقد شرح وفصّل الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله عقيدة التوحيد الصافية وما يضادها من أنواع الشرك والإلحاد، بأسلوب مشرق شائق يمتاز بالتركيز في البحث والاستقصاء مستدلا من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وآثار السلف الصالحين مع بيان ما فيها من الحكم والمصالح العظيمة النافعة لخلق الله، في أكثر مؤلفاته وخاصة حجة الله البالغة وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء والفوز الكبير في أصول التفسير والتفهيمات الإلهية، وعقد لبيانها أبوابا مفصلة.

٢- العناية بنشر علوم القرآن

لما عاد الإمام الشاه ولي الله الدهلوي من الحجاز متشبعا بروح جديد ومصمما على

القيام بنشر دعوة الإسلام الصحيحة وتطهير المسلمين من العقائد الضالة والعادات الفاسدة التي تسربت إليهم لاختلاطهم بغير المسلمين وجهلهم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، رأى بثاقب نظره أن إصلاحهم لا يمكن دون أن يفهموا القرآن الكريم ويعلموا أوامره ومناهيه. فكان القرآن الكريم أول ما عني به. فركز اهتمامه بتدريسه إقراءً وتفهيما وتفسيرا. ولكن أكثر المسلمين ما كانوا يعرفون اللغة العربية، فشعر بالحاجة إلى نشر ترجمة القرآن الكريم بالفارسية التي كانت اللغة الرسمية والعلمية في عصره. ولم تكن آنذاك بالهند ترجمة صحيحة كاملة للقرآن الكريم. فتولى بنفسه ترجمة القرآن الكريم بالفارسية وأتمها في رمضان المبارك سنة ١١٥١هـ وسماها فتح الرحمن في ترجمة القرآن.

ولما علم بترجمته العلماء المحترفون والصوفية الجاهلون الخرافيون الذين كانوا يصرون على إخفاء تعاليم الإسلام الصحيحة عن العامة لتضليلهم وأكل أموالهم بالباطل، خافوا على رياستهم ومكانتهم واشتد غضبهم عليه، فحرضوا عليه الأوباش وأتباعهم الجاهلين الذين أجمعوا أمرهم على قتله. واجتمعوا يوما على باب الجامع الفتح بوري بمدينة دلهي الذي كان يصلي فيه العصر ليثبوا عليه عند خروجه وكانوا يزيدون على مائة ولم يكن معه إلا عدد قليل. فخرج مكبرا وبشجاعة نادرة أدهشتهم. فبهتوا ولم يستطيعوا شيئا. فكفاه الله شرهم. ويقال إن بعض أمراء الشيعة أيضا تورطوا في هذه المؤامرة الفاشلة. ثم ترك السكنى بدلهي مدة لتهدئة الوضع. وواصل جهوده ونشر الترجمة التي تلقاها الأوساط العلمية بالرضى والقبول واقتنع العامة والخاصة بصحتها ونفعها. ولا تزال هذه الترجمة تنشر حتى اليوم.

وكانت هذه الترجمة فاتحة باب عظيم لنشر علوم القرآن الكريم وتراجمه وتفاسيره بمختلف اللغات المحلية. فاقتدى به بعده ابنه الشيخ الجليل الشاه رفيع الدين فترجم القرآن الكريم إلى اللغة الأردية التي كانت في بداية نشأتها، كما قام ابنه الشيخ الفاضل الشاه عبدالقادر بترجمة أردية أخرى سماها موضح القرآن. وألف ابنه العلامة المحدث الشاه عبدالعزيز الدهلوي تفسير فتح العزيز بالفارسية. كما ألف تلميذه القاضي ثناء الله الباني بتي التفسير المظهري في عشرة مجلدات. وكان الإمام الشاه ولي الله الدهلوي بالإضافة إلى ترجمة القرآن، ألف رسالتين مهمتين في علوم التفسير هما الفوز الكبير في أصول التفسير وتأويل الأحاديث. ولا تزال هذه التراجم والتفاسير منشورة مقبولة في الأوساط العلمية والثقافية حتى الآن.

هذه قصة بداية الجهود المباركة في خدمة القرآن الكريم بنشر علومه تدريسا وتأليفا. ثم تنوعت وتتابعت ولا تزال مستمرة بفضل الله وتوفيقه.

٣- الدعوة إلى اتباع السنة والاهتمام بنشر علومها

والميزة الثالثة التي تميز هذه الحركة الإسلامية هي حبها للسنة المحمدية والحرص على اتباعها في العقيدة والعمل وعرض المسائل الفقهية عليها ليؤخذ ما وافقها ويترك ما خالفها، والعناية بنشر علومها تدريسا وتأليفا. وقد توارث هذا البيت الشريف هذه الطريقة السنية من الشيخ المحدث الشاه عبدالرحيم الدهلوي والد الإمام الشاه ولي الله الدهلوي ومؤسس المدرسة الرحيمية بدلهي الذي جعل السنة نصب عينه وكان يحث العلماء والطلاب على إجادة علوم الحديث ونشرها.

ثم جاء الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي الذي جمع الله له من علوم القرآن والحديث والفقه ما جعله سيد علماء الهند غير منازع. وبلغ من حفظ متون الحديث وضبط الأسانيد والاطلاع على دواوين الحديث مرتبة لم تتفق لأحد قبله من أهل بلده مع ما أوتي من علم أسرار الحديث ومعرفة وجوه الاستنباط وأصول الفقه. فصار رئيس المحدثين، وسيد الفقهاء. كان درسه مجمعا للعلماء والفقهاء وأهل الفكر والعرفان وكان يدرس الحديث على نهج المحدثين الأولين رواية ودراية وقضى في تدريسه ونشره نحو ٤٥ سنة من حياته. فتخرج عليه خلق لا يحصى. وإليه ترجع وتنتهي أسانيد رواية الحديث لجميع المحدثين والعلماء في هذه البلاد، فعنه يروون وإليه يستندون، جزاه الله خيرا.

فأسس منهجا جديدا للعناية بعلم الحديث الذي كان حظه في مناهج التدريس ضعيفا كالمعدوم بجانب العلوم العقلية من المنطق والفلسفة التي كانت مسيطرة، إذ كانوا يعتبرونها حكما وميزانا في العقائد والمسائل. فثار على هذا الوضع الشائن وأثبت أن مصدر العقائد والحقائق والمسائل إنما هو الكتاب والسنة. وأعطى علم الحديث حقه في التدريس وقضى حياته في خدمته تدريسا وتأليفا ونشرا. فأنتج ذلك نهجا فكريا أساسه الكتاب والسنة.

سعدت شبه القارة الهندية في هذه العصور أيضا بوجود علماء أجلاء آخرين خدموا القرآن والحديث والدعوة الإسلامية تدريسا وتأليفا، منهم:

١) الإمام المحدث اللغوي أبوالفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني اللاهوري صاحب العباب الزاخر ومشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية.

٢) والإمام المحدث علي بن حسام الدين المتقي الهندي صاحب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، وهو أول موسوعة في علم الحديث.

٣) والشيخ المحدث محمد بن طاهر البتني الكجراتي صاحب مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخيار.

٤) والإمام المصلح المجدد أحمد بن عبدالأحد الفاروقي السرهندي.
٥) والمحدث الشيخ عبدالحق بن سيف الدين الدهلوي صاحب لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح وغيره.

فكان لهؤلاء الفحول ولأصحابهم مآثر محمودة وخدمات جليلة في نشر علوم القرآن والسنة. ولكنها لم تلق استجابة وإقبالا عاما من أهل البلاد. لأن تعصب عامة العلماء والفقهاء للفقه وجمودهم عليه وافتتانهم بالمعقولات اليونانية وطغيان التصوف الهندي والإيراني على عقولهم صرفتهم عن دراسة القرآن والاشتغال بعلوم الحديث النبوي الشريف.

بينما تتميز المساعي الحميدة التي بذلها الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي لنشر علوم الحديث في الهند عن جهود من سبقه من العلماء والمحدثين كمّا وكيفا، ومن نواح عديدة، أهمها:

(١) إنه لم يكتف بالتدريس والتأليف فحسب، بل دعا إلى إعطاء السنة النبوية مكانها اللائق بها في العقيدة والعمل ومناهج التعليم، واتخاذها أساسا وميزانا في تفسير القرآن واستنباط الأحكام الشرعية وأخذ التزكية والإحسان، وأنه لابد لذلك من درس القرآن والحديث وتدريسهما ابتداء وأساسا لا تبعا للفقه وتأييدا له، أو التبرك فقط.

(٢) إنه لم يكتف بتدريس الحديث بالقدر المقرر المعروف في الأوساط العلمية آنذاك، وهو لا يزيد عن كتاب أو كتابين. هما مشارق الأنوار للشيخ الحسن الصغاني اللاهوري ومشكاة المصابيح للإمام ولي الدين محمد الخطيب التبريزي. بل اهتم بتدريس كتب الحديث المدوّنة كلها وفي مقدمتها موطأ الإمام مالك وصحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم وغيرها، وأوصى بتدريسها والعناية بها.

(٣) إنه اختار طريقة تدريس الحديث على منهج المحدثين الأوائل رواية ودراية، وأنكر طريقة الفقهاء الجامدين والمتعصبين الذين عادتهم تأويل الحديث وتحريفه لتأييد مذاهبهم وأهوائهم.

(٤) إنه أوتي حظا وافرا من علم أسرار الحديث ومصالح الأحكام والجمع بين الفقه والحديث. فشرح الأسرار والمصالح التي اشتملت عليها السنن النبوية في جميع الأبواب من عقيدة وإحسان ومعاملات وسياسة واجتماع وجهاد وإصلاح المجتمعات البشرية، وأثبت فضل السنة السنية والهدي النبوي على سائر العلوم والمعارف، وأنزل علم الحديث منزلته السامية بأسلوب شائق يمتاز بالتركيز في البحث والاستقصاء والاستشهاد بشواهد المنقول والمعقول. من أراد تفصيل ذلك فليراجع كتابه حجة الله البالغة الذي لا يوجد له نظير في شرح أسرار الحديث ومصالح الأحكام، في الآداب الإسلامية.

والجدير بالذكر أن الإمام الشاه ولي الله الدهلوي كان معجبا جدا بموطأ الإمام مالك وكان يعتبره أصل علم الحديث وأساسه، وكان يقدمه على صحيح البخاري من بعض الوجوه. وأوصى بدرسه وتدريسه في المناهج الدينية. ومما يدل على شدة إعجابه به أنه ألف شرحين له: الأول بالعربية وسماه المسوى في شرح الموطأ، والثاني بالفارسية وسماه المصفى في شرح الموطأ.

فأثمرت هذه الجهود التي بذلها الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي وخلفاؤه في نشر علوم الحديث ونشطت في الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر من الهجرة حركة علمية كانت العناية بعلوم الحديث نصب عينها. فزاد الإقبال عليها ونبغ علماء ومحدثون تناولوا كتب السنة وأسفارها بالشرح والتحقيق والترجمة والتعليق عليها. فأحيوا بجهودهم مآثر المحدثين القدامى وذلك في الوقت الذي ضعف فيه الاهتمام بهذه العلوم الشريفة في أقطار العالم الإسلامي الأخرى.

٤- إبطال العقائد الشركية والبدع والمنكرات

كانت العقائد الوثنية والتقاليد الفاسدة وجدت رواجا كبيرا بين عامة المسلمين في الهند لاختلاطهم بغير المسلمين من الهندوس والسيخ وغيرهم ولنفوذ أمراء الشيعة وتأثيرهم في الحكومة وانتشار الخرافات والأوهام التي كان جهال الصوفية يروّجونها. فصار أكثر المسلمين يعتقدون في أئمتهم ومشايخهم والصالحين من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم مثل اعتقاد اليهود والنصارى في عزير وعيسى ابن مريم عليهما السلام وأحبارهم ورهبانهم. فنفقت سوق الشرك والبدع والمنكرات من تقديس القبور والمشاهد وزيارتها والحج إليها وطوافها وصرف النذور والقرابين لها والاستغاثة بها لقضاء الحاجات وطلب الشفاء وغيرها التي كان الناس يحسبونها عبادة ودينا!

وكان أكثر العلماء مغترين بأقوال الصوفية الجاهلين ومفتونين بالإشاعات والدعاوى الكاذبة التي تتناقلها العامة كابرا عن كابر، وكانوا يهابون سخط العامة إذا أنكروها، ولكن الإمام الرباني الشاه ولي الله الدهلوي الذي أعطاه الله الرسوخ في الدين مع قوة الإيمان واليقين لم يكن ليرضى بهذا الوضع المنافي لأصول الإسلام. فبدأ يستنكرها غير مبال بسخط العامة أو عتاب الخاصة ويبين للناس أنها منافية لعقيدة التوحيد التي عليها مدار النجاة ولا تقرّه أوامر الكتاب والسنة.

فشرح في مؤلفاته العديدة مباحث التوحيد والشرك وأقسام الشرك بغاية من الدقة والتفصيل فأحاط بأصولها وفروعها، وحارب هذه الجاهلية والتقاليد والمنكرات الفاسدة بصراحة وقوة، وضرب على جذورها واحدا واحدا. كما تناولها في كتابه حجة الله البالغة في أبواب التوحيد وحقيقة الشرك وأقسام الشرك بالدقة والتحقيق، واستعرض هذه الفتنة بجميع أشكالها

وأسبابها ودوافعها. أما رسالته البلاغ المبين فخصص معظمها لإنكار الأفعال والعادات المنكرة التي يرتكبها عباد القبور ومجاوروها.

ثم تبعه على هذه الطريقة خلفاؤه وأتباعهم في إنكار الرسوم الشركية، فرفعوا راية الجهاد ضد هذه الجاهلية والتقاليد الفاسدة والمنكرات بكل جراءة وصراحة حتى تنورت بمساعيهم القلوب وذاق العباد طعم الإيمان والتوحيد.

٥- السعي لإصلاح التصوف

لم يزل مجتمع المسلمين في الهند متأثرا بالتصوف منذ فتحها الغزنويون، ثم لم يزل يزداد نفوذه ويقوى سلطانه حتى لا تكاد تجد عالما أو مصلحا يعتد به في تاريخها إلا وهو متمسك به إلا من شاء الله من أفراد منهم. وكان تمسك العلماء والفقهاء الأوائل به لحبهم للإسلام وحرصهم على الإخلاص في العبادة والاتصاف بالخصال الحميدة والأخلاق الحسنة، وكانوا يعتبرونه نوعا من الإحسان والتزكية التي وردت بها نصوص القرآن والسنة، ووسيلة لتربية المسلمين وبث التوعية الإسلامية فيهم. ولم يكونوا يخلطونه بفلسفة أو عقيدة فاسدة. ثم خلفهم خلف أحدثوا أمورا واتخذوا عقائد وأفكارا فاسدة من وحدة الوجود والحلول وأفكار الباطنية والرافضة والفلسفة اليونانية التي وجدت من الوثنية والفلسفة الهندوسية المحلية سندا وقوة لها. فاختلط الحق بالباطل، وصار التصوف حتى القرن العاشر من الهجرة مرتعا خصبا لترويج الأفكار المنافية لعقيدة التوحيد وممزوجا بأنواع من الرسوم والبدع والعادات الفاسدة. واستولى على عقول المسلمين بجميع فئاتهم من العلماء والفقهاء والشعراء والملوك والأمراء، وصار الزي المألوف السائد الذي لا يتصورون الصلاح والعلم فيمن لم يتصبغ بصبغته.

وأنكر الشيخ المجدد العارف أحمد بن عبدالأحد الفاروقي نسبا والسرهندي موطنا، في أوائل القرن الحادي عشر الهجري، هذه الضلالات والمنكرات وسعى لإزالتها من المسلمين، وشدد نكيره على فكرة وحدة الوجود وكشف ما فيها من انحراف وضلال وزندقة. ودعا إلى أخذ العقيدة والعمل من الكتاب والسنة فنفع الله بدعوته خلقا كثيرا وأنقذهم من هذه الجاهلية. ويعتبر قائد المصلحين والمجددين في هذه الديار. ثم خفيت آثار دعوته مع مرور الأيام.

في هذه الخلفية ولد الشاه ولي الله الدهلوي، ونشأ نشأة صوفية على عادة أسلافه وتلقن أشغال التصوف وأتقن طرقه الأربع المعروفة في هذه البلاد. وتبحر فيه فأحاط بأصوله وفروعه ووقف على أسراره، وانتهت إليه الرئاسة في علم السلوك والإحسان، شأنه فيه كشأنه في علوم القرآن والحديث والفقه التي بلغ فيها مرتبة التحقيق والاجتهاد. ورأى انحرافات الصوفية ورسوم

الشرك والبدع التي روجوها في المسلمين وهاله حالهم. فعزم على إصلاحهم وصرف همته لإنقاذهم من هذه الجاهلية التي لا تقل عن جاهلية ما قبل الإسلام سفاهة وضلالا وكفرا. واستعمل ما لديه من وسائل التدريس والتأليف والإرشاد ومكانه في العلم والدين في إصلاح هذه الأوضاع. وناقش خرافات الصوفية ووساوسهم في العقيدة والعمل مناقشة العارف بأسرارهم والخبير بدخائلهم. فذكر مرجعهم ومرماهم في الجهل والزيغ الذي هم فيه غارقون.

وقد ناقشنا في الفصول الماضية أن الأساس الفكري الذي بنى عليه الإمام الشاه ولي الله الدهلوي مساعيه الإصلاحية في العقيدة والفقه والتعليم والتصوف وإصلاح المجتمع، هو الدعوة إلى العناية بدراسة القرآن والسنة والتمسك بهما دائما، كما مضى ذكر مساعيه ودعوته في هذا المجال.

وقد لخص هو نفسه أساس منهجه الديني والفكري والفرق بينه وبين مناهج المتصوفين والفقهاء الجامدين والمتكلمين العقلانيين في وصاياه وخاصة الوصية الأولى والثالثة والرابعة في الرسالة الوضيئة في النصيحة والوصية.

٦- إصلاح الجمود الفقهي والتعصب المذهبي

وهذا مجال آخر تتجلى فيه إمامة المحدث الشاه ولي الله الدهلوي ونبوغه الفكري فهو الرائد الأول الذي فتح لأهل هذه المنطقة آفاق الفكر الإسلامي الصحيح ودعاهم إلى الاعتصام بالكتاب والسنة باعتبارهما مصدر العقائد والحقائق والمسائل، وحثهم على ترك الجمود الفقهي والتعصب المذهبي.

كانت عناية الأوساط العلمية بعلوم القرآن والسنة في عصره قليلة. وكان اعتمادهم في دراسة الفقه على كتب المتأخرين من فقهاء الحنفية وشروحها وحواشيها وبلغ تمسكهم بفروع المذهب الحنفي واستحسانات علمائه حدا لا يرون الخروج عنها في شيء. ولم تكن عنايتهم بتلاوة القرآن الكريم إلا للبركة والسعادة. وكان اهتمامهم بالحديث النبوي نادرا كالمعدوم، وكان الرأي السائد أن الأئمة والفقهاء السابقين قد كفوهم حاجة الرجوع إلى الكتاب والسنة لاستنباط المسائل وفهم الأحكام والعبادات منهما، فهم مكلفون باتباع هؤلاء الفقهاء وتقليدهم فقط.

في هذه البيئة تلقى الإمام الشاه ولي الله الدهلوي الفقه الحنفي في بادئ نشأته عن والده ثم تولى التدريس بعد وفاته بمسنده. فساعده ذلك على إتقان العلوم والتعمق فيها. وكان الله سبحانه وتعالى أعطاه من الذكاء المفرط والاستقلال الفكري ما هداه إلى دراسة المذاهب الأربعة والنظر في أصولها ومناهجها. فلم يقتنع بالتقيد بواحد معين منها، بل اختار طريقة الفقهاء المحدثين التي أساسها التمسك بمنصوصات الكتاب والسنة والتوفيق بين الحديث والفقه وجعل الفروع والآراء

تابعة للأحاديث الصحيحة والاجتهاد في المسائل والمقتضيات الجديدة واستنباط أحكامها من الكتاب والسنة. ولم تزده رحلته الحجازية التي استفاد خلالها من كبار علماء الحرمين الشريفين، ودرس مؤلفات شيخ الإسلام الإمام أحمد ابن تيمية وتلميذه الإمام محمد ابن قيم الجوزية وغيرهما، إلا تمسكا بهذه الطريقة السنية.

تناول الإمام الشاه ولي الله الدهلوي مباحث الاجتهاد والتقليد وأصول التشريع الإسلامي وتاريخه في عدد من مؤلفاته مثل حجة الله البالغة، والتفهيمات الإلهية، والإنصاف في سبب الاختلاف، وعقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد والمسوى والمصفى شرحي الموطأ، بغاية من التفصيل، واستعرض تطورها من العصر الأول حتى عهده بالدقة والتحليل العلمي الرصين، ودعا إلى انتهاج نهج علمي وسط أساسه التمسك بالكتاب والسنة ويخلو من ظاهرية ابن حزم الأندلسي رحمه الله، لأنها تسلب النصوص الشرعية بلاغتها وفصاحتها، كما يخلو من الغلو في القياس والرأي الذي يتحكم في النصوص ويصرفها عن معانيها الحقيقية. وانتقد القواعد الفقهية التي تؤدي إلى إهمال العمل بالأحاديث الصحيحة. كما شدد نكيره على الفقهاء الجامدين والمقلدين المتعصبين وغلاة أهل الحديث على السواء. وأكد الحاجة إلى التوفيق بين الحديث والفقه والتلفيق بين المذاهب الأربعة وتوحيد الفقه الإسلامي كله على أساس التمسك بالقرآن والسنة. وأيد نهجه هذا بالحجج الدامغة والأدلة القاطعة من القرآن والسنة وأقوال أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم من أعلام المحدثين والفقهاء.

وإنه يدعو المسلمين إلى ترك الفرقة والعصبية المذهبية بسبب تقليدهم لمذهب فقهي دون آخر أو لاختلافات العلماء والفقهاء في المسائل الاجتهادية. لأن اختلافهم في أكثر هذه المسائل ليس في أصل مشروعيتها، وإنما هو في ترجيح أحد القولين أو أفضلية أحد الأمرين. وقد وجد هذا الاختلاف في السلف الصالحين من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام رضي الله عنهم أجمعين، فلم يتخذوه سببا للفرقة والقطيعة بينهم. بل كان بعضهم يصلون خلف بعض ويتوسعون في هذه الأمور فيجوزون العمل بأحد القولين، ويتسامحون فيها إلى حد أنهم كانوا في بعض الأحيان يعملون بخلاف مذهبهم وذكر لذلك أمثلة كثيرة من سيرة السلف الصالحين رضي الله عنهم.

. فأثار بدعوته هذه روحا دينيا ونشاطا فكريا جديدا في الأوساط العلمية في الهند وازداد الإقبال على دراسة العلوم الإسلامية من مصادرها الأولى من كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين وآثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم. وسار بعده خلفاؤه وأتباعه على هذا النهج الإسلامي المستقيم، فنشأ بذلك اتجاه عام بمعرفة علوم الكتاب والسنة واتخاذهما مصدرا للعقائد والحقائق والأحكام وأساسا للفكر الإسلامي.

الخلافة الإسلامية

وهذا مجال آخر تتجلى فيه عبقرية الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله. فهو أول من اهتم بهذا الموضوع من علماء الهند، وأعطاه من العناية والدراسة والبحث ما يستحقه. وقبل ان نذكر أعماله في هذا المجال لابد من إشارة عابرة إلى الخلفية التاريخية لوجود فرقة الشيعة في الهند، لأنه هو الباعث الأساسي لاهتمامه بهذا الموضوع.

كان ملوك الهند المسلمون كلهم من عصر الغوريين حتى عصر اللوديين من أهل السنة. وكان الملك المغولي الثاني همايون بن بابر (المتوفى في ١٥ ربيع الأول ٩٦٢هـ) عندما هزمه خصومه من أسرة السوريين، لجأ إلى الملك الإيراني طهماسب الصفوي واسترد ملكه منهم بعد ١٥ سنة بنصرته ومساعدته العسكرية. فزاد في تكريم الإيرانيين وتقريب الأمراء والعلماء الشيعيين إليه، وفسح لهم المجال لنشر عقائدهم وأطلق لهم العنان. فأدى ذلك إلى قيام منافسة بينهم وبين الأمراء السنيين في البلاط الملكي. ولم يزل نفوذ الشيعة يزداد يوما فيوما حتى عصر الإمبراطور الصالح أورنك زيب عالمكير الذي كان ابنه وخلفه الملك بهادر شاه الأول (المتوفى سنة ١١٢٤ هـ) قبل المذهب الشيعي بصراحة، وبدأ يدعو الناس إليه. وأمر العلماء بزيادة الكلمات (عليّ وليّ الله ووصيّ رسول الله) في خطب الجمعة والعيدين. فاستغرب العلماء والفقهاء وعامة الناس أمره هذا، واستنكروه في أنحاء البلاد وحدثت احتجاجات واضطرابات في كثير من المدن. وفي أحمدآباد قتل الناس خطيبا سنيا نطق بهذه الكلمات اتباعا لأمر الملك. وكان ابن الملك عظيم الشان سنيا وكان يعارض أباه بصراحة وطلب منه أن يسحب أمره.

وكان علماء لاهور أشد الناس إنكارا لهذا الأمر فرفضوه رفضا باتا. وكان في مقدمتهم الشيخ محمد مراد اللاهوري والشيخ يارمحمد اللاهوري الذي ذهب إلى قاضي مدينة لاهور وشرح له موقفهم وطلب منه أن يقنع الملك بسحب أمره. ولكن الملك أصرّ على تنفيذ أمره. واشتد النـــزاع. واستدعى الملك العلماء والفقهاء إلى مجلسه وجعل يناظرهم ويستدل على صحة أمره بأقوال بعض الفقهاء. وأراد تخويفهم ببطشه وإجبارهم على الانقياد لأمره.

وكان الشيخ يارمحمد اللاهوري يتولى بيان موقف العلماء فردّ على أدلة الملك ردا شافيا وشرح موقف أهل السنة دونما وجل أو خوف. فقال له الملك: كيف تغلظ لدينا القول؟ أ لا تخاف غضب الملوك وبطشهم؟ فرد عليه الشيخ يارمحمد اللاهوري بقوله:

> لقد كنت سألت الله أربعا: طلب العلم، وحفظ القرآن الكريم، وحج بيت الله الحرام، والشهادة في سبيله. وقد منّ الله عليّ بفضله بثلاث، وأرجو أن أفوز بالشهادة على يدك.

ولما رأى الملك هذه الصلابة والاستقامة في موقف العلماء تراجع عن رأيه واضطر إلى سحب أمره.

وكان موقف العلماء هذا عبرة لمن جاء بعده من الملوك والأمراء، فلم يجرؤ أحد منهم على فرض عقائد الشيعة ودعوة الناس إليها علنا.

رغم ذلك لم يزل نفوذ الشيعة يقوى حتى اشتد النـــزاع والمنافسة بين الأمراء التورانيين من أهل السنة وأمراء الشيعة. وعجز الملوك عن التغلب على هذه المشكلة التي كانت في بداية أمرها محدودة ثم اشتدت وتوسعت في عصر الملك فرخ سير الذي لم يبق بيده من السلطة إلا اسمها وصار ألعوبة بأيدي الأميرين الشيعيين الشقيقين السيدين حسن علي خان وحسين علي خان ابني السيد عبد الله خان من أسرة سادات بارة المعروفة وغيرهما. فكانوا هم المسيطرين على الملك يتصرفون في أمور الدولة كما يشاءون، ويعبثون بالملوك ويبثون لهم الغوائل وينسجون لهم المكائد ويضربون بعضهم ببعض. واستمر الأمر على ذلك قرابة ربع قرن.

وقد أجمع المؤرخون على أن المؤامرات والدسائس التي دبرها هؤلاء الأمراء قضت على استقرار الدولة وشوكتها، وكانت من أهم الأسباب المؤدية إلى ضعفها وسقوطها.

عاصر الإمام المجدد الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله هذه الأوضاع، وشاهد انتشار فتنة الشيعة وازدياد نفوذهم السياسي والاجتماعي في عامة الناس وخاصتهم. فشعر بالحاجة إلى معالجة هذا الموقف والتصدي للرد على الشبهات والشكوك التي يثيرونها للتشكيك في خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم والنيل من غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. فألف كتابين على هذا الموضوع باللغة الفارسية هما: (١) قرّة العينين في تفضيل الشيخين (٢) إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء. وتناول فيهما جميع المسائل والمباحث الخاصة بهذا الموضوع بالعمق والشمول وبأسلوب يفيض علما وحكمة وإخلاصا، وذكر مآثر الخلفاء الراشدين الأربعة ومناقبهم وأعمالهم ومكانتهم في الإسلام. كما تناول بعض هذه المباحث وخاصة موقفه من الشيعة في عدد من مؤلفاته الأخرى، وترجم رسالة رد الروافض للإمام المجدد أحمد السرهندي إلى اللغة العربية باسم المقدمة السنية في الانتصار للفرقة النسنية.

"قرة العينين في تفضيل الشيخين" كتاب موجز ذكر فيه مآثر الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما باختصار.

أما كتابه "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء" فسفر علمي عظيم وعديم النظير في شرح المباحث والمسائل الخاصة بالخلافة الإسلامية والسياسة الشرعية ومكانة الخلفاء الراشدين الأربعة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. وفريد في أسلوب عرضه الذي يمتاز باستقامة الفكر

وغزارة المعاني وقوة الحجة والاستدلال والتحليل العلمي الرصين، واستوعب أصول السياسة الشرعية والخلافة الإسلامية وفروعها، وحوى نكاتا بديعة ولمسات إيمانية وفوائد تربوية نادرة مهمة لا يستغني عنها عالم أو باحث، وتتبارى فيها الحكمة والبلاغة، كأن الله فجّر ينابيع الحكمة والمعرفة على لسانه وقلمه.

وكذلك اشتمل على دراسة تحليلية شاملة للتاريخ الإسلامي بجميع عصوره ومراحلها من النواحي الدينية والعلمية والاجتماعية والسياسية بدءا بعصر النبوة وانتهاء بعصر المؤلف رحمه الله وغفر له. فصار بمميزاته هذه مرجعا مهما جدا للعلماء والباحثين.

وأرى أن هذا الكتاب يحتل المرتبة الثانية بعد كتابه "حجة الله البالغة" الذي كان ألفه باللغة العربية، بينما ألف "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء" باللغة الفارسية لنشره بين أبناء بلده. وقد ذكره العلامة عبدالحي الحسني بقوله.

"إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء" كتاب عديم النظير في بابه، لم يؤلف مثله قبله ولا بعده، ويدل على أن صاحبه لبحر زخار لا ساحل له"[1].

ذكر الإمام المجدد الشاه ولي الله الدهلوي في الأبواب الأولى من هذا الكتاب "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء" المسائل والأمور الأساسية الخاصة بموضوع الخلافة الإسلامية. وبدأها بذكر معنى الخلافة وشرح مهامها، وأن نصب الخليفة واجب على المسلمين بالكفاية إلى القيامة، وذكر الشروط والصفات التي يجب توفرها في الخليفة، وطرق انعقاد الخلافة، وما يجب على الخليفة من القيام بمصالح المسلمين، وما يجب على الرعية من السمع والطاعة له.

ثم تناول مباحث مهمة عديدة من الخلافة الإسلامية بالشرح والتحليل مستدلا بالقرآن الكريم والحديث النبوي وآثار السلف الصالحين، منها منـــزلة الخلافة الخاصة (أي خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم) في الإسلام وكذلك المناقب والمآثر العظيمة التي اتصف بها كل من الخلفاء الأربعة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم في مواصلة مسيرة دعوة الإسلام وتربية الأمة المسلمة على أحكام الإسلام والفتوحات الإسلامية التي رفعوا لواءها، كما ذكر الفتن التي أنذر رسول الله صلى الله عليه وسلم حدوثها وتتابعها وشرورها، وماذا يجب على المسلمين للحذر منها ومعالجتها.

وإلـــى هنا تنتهي هذه الجولة المباركة في دعوة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله ومميزات فكره ومساعيه في نشر الكتاب والسنة والعقيدة السلفية، ونختتم هذا البحث بقوله:

"ها أنا بريء من كل مقالة صدرت مخالفة لآية من كتاب، أو سنة قائمة عن رسول الله صلى الله

---

(١) نـــزهة الخواطر ٦/٥٠٩.

عليه وسلم أو إجماع القرون المشهود لها بالخير، أو ما اختاره جمهور المجتهدين ومعظم سواد المسلمين. فإن وقع شيء من ذلك فإنه خطأ. رحم الله تعالى من أيقظنا من سِنتنا أو نبهنا من غفلتنا. أما هؤلاء الباحثون بالتخريج والاستنباط من كلام الأوائل المنتحلون مذهب المناظرة والمجادلة فلا يجب علينا أن نوافقهم في كل ما يتفوهون به. ونحن رجال وهم رجال، والأمر بيننا وبينهم سجال"(١).

كما مضى كان الإمام المحدث الجليل الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله ألف كتابه هذا باللغة الفارسية لنشره بين أبناء بلده. فطبع بها، ثم بعد مدة نشرت ترجمته الأردية التي قام بها الشيخ عبدالشكور الفاروقي والشيخ اشتياق أحمد رحمهما الله. ولم يكن ترجم إلى اللغة العربية حتى الآن فلم يشتهر في العالم العربي الإسلامي رغم شهرته العلمية ورواجه الكبير في المنطقة المحلية. وقد قمنا بترجمته إلى اللغة العربية بأسلوب علمي وأدبي حديث بتوفيق الله سبحانه وتعالى لأول مرة، وقد فرغنا منها بفضله ومنّه يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ألف وأربعمائة واثنين وثلاثين هجرية بمدينة إسلام آباد عاصمة جمهورية باكستان الإسلامية. ونقدمها إلى قراء العالم العربي الإسلامي.

وقد شاركني في ترجمته العربية فضيلة الأخ الدكتور نور جمعه الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد وقام بتخريج أحاديثه فضيلة الشيخ إرشاد الحق الاثري مدير إدارة العلوم الأثرية في فيصل آباد، وكذلك ساعدني على إعداده وتصحيحه الأستاذ الدكتور نظام الدين نافع الأفغاني والأخ الدكتور حفيظ الرحمن، فأشكرهم وأشكر كل من أعانني بنصيحة أو بتشجيع مادي أو معنوي أو بتخريج بعض الأخبار أو بإعارة مراجع. وأسأل الله تعالى أن يجزي الجميع خيرا وأن يثيب مؤلفه وينفع به المسلمين. آمين، إنه سميع مجيب.

محمد بشير
مدير
معهد اللغة العربية إسلام آباد

د. نور محمّد جمعة أمراء
أستاذ
بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

في ١٤٣٢/٦/١٢هـ الموافق ٢٠١١/٥/١٦م

---

(١) مقدمة حجة الله البالغة ص ١٠-١١.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي بعث إلينا أشرف الرسل داعيا إلى أقوم السبل، وجعل أصحابا له وزراءه في عهده وخلفاءه من بعده، لتتم النعمة وتعم الرحمة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده وأشهد أن محمدا عبده ونبيه الذي لا نبي بعده، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فيقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه ولي الله -عفا الله عنه- أن بدعة التشيع قد ظهرت، وفشت في هذا الزمان. وقد تأثرت قلوب العامة في هذه البلاد بالشبهات والشكوك التي تثيرها الشيعة، وأصبح أكثرهم يشكون في صحة ثبوت خلافة الخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وقد شرح الله صدر هذا العبد الضعيف لهذا العلم ونوّره بنور توفيقه، حتى عرف بعلم اليقين أن إثبات خلافة هؤلاء الأعلام أصل من أصول الدين ولا يستقيم أي مسألة من مسائل الشريعة ما لم يتمسكوا بهذا الأصل. وذلك لأن أكثر الأحكام الشرعية التي ذكرت في القرآن الكريم وردت بطريق الإجمال، ولا يمكن بسطها وحلها بدون النظر في تفسير السلف الصالحين لها ومعرفة آثارهم، وكذلك حال أكثر الأحاديث المروية بأخبار الآحاد في بيانها وتفصيلها. فهي تحتاج إلى معرفة آثار السلف الصالح ورواياتهم ومعرفة استنباط المجتهدين منهم. كذلك لا يصح الجمع والتوفيق بين الأحاديث المتعارضة من غير الاستفادة من جهودهم، وقس عليها جميع العلوم والفنون الدينية من علم القراءة والتفسير والعقائد والسلوك وغيرها. فكلها لاتستقيم دون معرفة آثار هؤلاء العظماء فيها ومآثرهم.

فقد كان هؤلاء الخلفاء الراشدون أبوبكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين قدوة السلف الصالحين في هذه الأمور. فكانوا يقتدون بهم، ويتمسكون بآثارهم في جمع القرآن الكريم، ومعرفة القراءات المتواترة من الشاذة، والأقضية

والحدود، والأحكام الفقهية والقواعد الأصولية وغيرها التي يرجع الفضل في كثير منها إلى سعي الخلفاء الراشدين وتحقيقهم.

فمن أراد هدم هذا الأصل فقد سعى في هدم العلوم الدينية كلها ومن ثم تفكيك عرى الإسلام عروة عروة، وأنى لهم ذلك!

قد علم أن مدبر السموات والأرض سبحانه وتعالى قرر جميع الشرائع أولا وعينها في مرتبة الكلام النفسي[١] في أزل الآزال وإليه تشير الآية الكريمة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[٢] ثم أنـــزلها على قلب سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم إجمالا تارة وتفصيلا تارة أخرى، فبينها لأمته نصاً تارةً وإشارةً تارة أخرى، حتى تبين الحق وظهر أمر الله، وقامت حجة الله على عباده الذين كلفهم العمل بها إعتقادا وعملا.

وهكذا تقررت خلافة الخلفاء الراشدين في الكلام النفسي أولا، ثم أنـــزلت في القرآن الكريم إجمالا. ثم فسرت وفصلت على قلبه المبارك عن طريق مناماته مرة وبالفراسة في تفسير منامات أصحابه مرة أخرى. وهكذا صار المجمل مفصلا. فبلغ سيدنا محمد ﷺ هذا العلم الشريف أمته نصاً وإشارةً. فتبين لهم الحق وصاروا مكلفين باستخلاف هؤلاء العظام وقبول خلافتهم اعتقادا وعملا. وزال الخفاء عن حقيقة الخلافة. وبذلك عمل أهل القرن الأول (أي الصحابة) على رضى منهم ورغبة.

وهذا يرد على ظن المتأخرين من الأشاعرة الذين يظنون أن خلافة الخلفاء رضي الله عنهم لم تكن بنص مطلقا أو لم تكن بنص جلي، لكنه أمر مبني على الاجتهاد الذي أجمع عليه أهل ذلك العصر. وكذلك يرد على الشيعة الذين يزعمون أنه وقع ظلم عظيم لابتغاء الدنيا في القرن الأول واغتصبت الخلافة من مستحقها إلى من لا يستحقها وقد شارك الناس كلهم في هذه المؤامرة واتفقوا عليها. أستغفر الله من جميع ما كرهه.

وقد وصلنا في دراستنا إلى أن اختلاف العلماء ؛ هل استخلف النبي ﷺ أحدا من بعده أم لا ؟ يرجع إلى معنيين يحتملهما لفظ الاستخلاف الذي يطلق أحيانا على مجرد تنبيه من الشارع وإشارة منه إلى المكلفين بالانقياد لمن ولاّهم واستخلفهم والخضوع لأوامرهم، كما يطلق أحيانا على الهيئة المعتادة المعروفة بالوصية بولاية

---

(١) يستقر الكلام في النفس أولا ثم يلبس ثوب اللفظ فيخرج من الفم منمقا. هذا الذي يطرأ في النفس يسمى " الكلام النفسي". وما يخرج على اللسان يسمى " الكلام اللفظي". [م]

(٢) سورة التوبة: ٣٦.

العهد. فاستعمل لذلك الاستخلاف أو ما شاهه من الكلمات. فصار العلماء إلى فريقين يختار كل منهما من المعاني ما يميل إليه ويقول به.

ولم تكن مشاورات الصحابة في هذه المسئلة لخفاء النصوص عليهم لكنها كانت لحفظ الأحاديث، وتذكر النصوص، واستنباط المعاني المستخرجة من المصادر العديدة، واستثباها وغيره من الفوائد.

وأما وجه الجمع بين اختلاف العلماء فى أن الاستخلاف كان بنص جلي أو خفي؟ فيمكن بأن يكون بأن جماعة منهم درسوا الآية الكريمة التي فيها الإجمال، مقرونة بالأحاديث التي تفسرها، فرأوها "بالنص الجلي"، في حين أن الآخرين درسوا الآية منفصلة فوجدوها مـجملة ونظروا إلى الأحاديث منفصلة عنها، ولم يلحقوها بالآية الكريـمة، فلم يستطيعوا رفع حجاب الإجمال.

وكذلك حال الأحاديث المروية عن طريق أخبار الآحاد والتي تتفق على إثبات معنى الـخلافة المشترك فنظر جماعة منهم إلى بعضها دون بعض فرأوا أن الأمر مبني على أخبار الآحاد. لكن الآخرين وفّقوا إلى دراسة هذه الأحاديث مجتمعة فوجدوها متواترة المعنى.

ولما شرح الله سبحانه وتعالى صدري بنور توفيقه لهذا العلم الشريف وألقى في قلبي العناية بنشره كتابة مرة، وخطابا أخرى عملا بما أخرجه الإمام ابن ماجه[1] عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول ﷺ: " إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كتم حديثا فقد كتم ما أنـزل الله".

---

(١) (٢٦٣) كتاب السنة باب من سئل عن علم فكتمه. وفي إسناده الحسين بن المتوكل بن عبد الرحمن أبو عبد الله بن أبي السري شيخ ابن ماجه، ضعيف كما في التقريب ص ١١٤. وفي إسناده عبد الله بن السري أيضا. قال الحافظ في التقريب ص ٢٦٨: صدوق روى مناكير كثيـرة تفرد بـها. ورمز لضعفه السيوطي في الجامع الصغير. وقال المنذري أيضا: ضعيف كما في فيض القدير ٤٣٦/١. وقال الألباني أيضا: ضعيف جدا كما في ضعيف الجامع الصغير ٢٣٢/١. قلت: وليس الحمل على عبد الله بن السري ولا على الحسين بن أبي السري، بل على عنبسة بن عبد الرحمن ومحمد بن زاذان. راجع لتفصيله الكامل لابن عدي ١٥٢٨/٤، ١٥٢٩ والضعفـاء للعقيلي ٢٦٦/٢، ٢٦٥ والـميزان ٢/ ٤٢٨ وتاريخ بغداد ٤٧١/٩ و٤٧٢ والضعيفة رقم ١٥٠٧. ورواه ابن أبي عاصم في السنة رقم ٩٩٤ والخطيب وابن عدي وابن عساكر أيضا كما في تهذيبه في ترجمة خلف بن تميم ١٧٢/٥. وقد روي عن جماعة من الصحابة في إثم كتمان العلم. راجع العلل المتناهية ٨٨/١ وتعليقنا عليه. وله شاهد من حديث معاذ بن جبل رواه نصر الدين المقدسي في الحجة على تارك المحجة: قال قال رسول الله ﷺ "إذا ظهرت البدع في أمتي وشتم أصحابي فليظهر العالم علمه. فإن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"، كما ذكره السيوطي في مفتاح الجنة ص ١١٥.

نظرا الى كل ذلك كتبت هذه الرسالة الموجزة التي سميتها

إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء

وهي تحتوي مجلدين:

المجلد الأول

بيان الخلافة العامة، والخلافة الخاصة وشروطهما

وما إلى ذلك، وسرد الأدلة الدالة على خلافة الخلفاء الراشدين وحل اختلاف أهل العلم في أن الخلافة كانت بالنص أو بالاجتهاد؟

المجلد الثاني

بيان مناقب الخلفاء الأربعة ومآثرهم

وهذا أوان الشروع في المقصود. وبنور توفيقه أتمسك،وعلى فضله أتوكل، وإلى كلايته وحفظه كل أمر أفوض. حسبنا الله ونعم الوكيل. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المجلد الأول

بيان الخلافة العامة
والخلافة الخاصة وشروطهما

ويشتمل على

ثمانية أبواب

الباب الأول

بيان الخلافة العامة

ويشتمل على ست مسائل:

(١) تعريف الخلافة وشرح مهامها

(٢) نصب الخليفة واجب على المسلمين بالكفاية.

(٣) شروط الخلافة

(٤) طرق انعقاد الخلافة

(٥) بيان ما يجب على الخليفة من القيام بمصالح المسلمين

(٦) بيان ما يجب على الرعية من طاعة الخليفة

(١) تعريف الخلافة العامة

هي الرياسة العامة في التصدي لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالجهاد وما يتعلق به من ترتيب الجيوش والفرض للمقاتلة، وإعطائهم من الفيء، والقيام بالقضاء، وإقامة الحدود، ورفع المظالم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نيابة عن النبي ﷺ.

تفصيل ذلك أن الملة المحمدية على صاحبها الصلوات والتسليمات علمت بالقطع والتواتر أن رسول الله ﷺ لما بعثه الله سبحانه وتعالى لإصلاح الناس كافة، عاملهم معاملات وأجرى معهم أمورا كثيرة وعين نوابه في كل أمر وبذل جهده في جميع الأمور. وإذا استقرينا جميع أعماله هذه وتأملناها، وأرجعنا جزئياتها إلى الكليات والكليات إلى الكلي الواحد الشامل لها كلها، نجد أنها تدور في فلك إقامة الدين وهو الذي تندرج تحته جميع الكليات، وتحته أجناس أخرى؛

منها: الاهتمام بإحياء علوم الدين من تعليم القرآن والسنة والتذكير والموعظة، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[١]

ولما استفاض عنه ﷺ أنه كان يتخول أصحابه بالتذكير والموعظة.

ومنها إقامة أركان الإسلام، لما علم عنه بالاستفاضة والقطع أنه كان يتولى إمامة الصلوات والجمع والأعياد بنفسه، وكان ينصب الإمام في كل مكان، وكان يأخذ الزكاة وينفقها في وجوهها، وكان يرسل العمال لهذا الغرض، وكان يسمع الشهادة بهلال رمضان وهلال العيدين، وكان يأمر بالصوم والفطر عند صحة ثبوت الهلال، وكان يهتم بالحج بنفسه وعندما لم يحضر مكة في السنة التاسعة من الهجرة، أرسل أبابكر الصديق ليقوم بالحج نيابة عنه. وكذلك قيامه بالجهاد ونصب الأمراء وبعث الجيوش والسرايا والقضاء في الخصومات ونصب القضاة في بلاد الإسلام وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كلها أمور معروفة عنه ومستغنية عن إقامة أي دليل عليها.

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى[٢] وجب على أمته إقامة الدين بالتفصيل الذي ذكرناه آنفا. وكان هذا متوقفا على نصب شخص يهتم بهذا الأمر غاية الاهتمام ويقوم بإرسال نوابه إلى الآفاق ويكون عارفا لأحوالهم حتى يطيعوا أوامره ولا يتكاسلوا في تنفيذها. فيكون هذا الشخص خليفة رسول الله ﷺ ونائبه مطلقا.

---

(١) سورة الجمعة: ٢.

(٢) كناية عن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، والرفيق الأعلى هو الحق سبحانه وتعالى أو الأنبياء أو حضرة القدس. (فتح الباري ٨/ ١٣٧ وشرح النووي ١٥/ ٢٠٨).

فباشتراط الرياسة العامة، خرج منه علماء المسلمين المشتغلون بتعليمهم العلوم الدينية، وكذلك خرج منه قضاة الأمصار الإسلامية وأمراء الجيوش لأنهم يقومون بهذه الأعمال بتكليف من الخليفة.

وكان التذكير والموعظة في العصر الأول يعد من أعمال الخلافة، إذ قال النبيﷺ: "لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال"[1]. وبالتصدي لإقامة الدين، خرج كل من يتغلب ويتسلط على أهل الآفاق ويتصدى لأخذ المكوس من غير وجه شرعي مثل الملوك الجبابرة والمتغلبة.

وكذلك خرج بشرط التصدي كل من لديه الأهلية والكفاءة لإقامة الدين على أكمل وجه ويكون أفضل أهل زمانه، ولكن لا يتم على يده أمر من هذه الأمور الـــمعتبرة في الخلافة، فلا يكون المختفي أو غير المنصور وغير المتسلط خليفة.

وقيد نيابة عن النبي ﷺ، أخرج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم أنبياء وليسوا خلفاء. وداود عليه السلام الذي ســـماه القرآن الكريم خليفة، لم يكن بهذا المعنى أي خليفة رسول الله. وإنما كان خليفة الله. ولهذا الوجه لم يرض أبوبكرﷺ لقب خليفة الله وقال قولوا لي: خليفة رسول اللهﷺ.

(٢) نصب الخليفة واجب على المسلمين بالكفاية.

يجب على المسلمين نصب خليفة مستجمع للشروط بالكفاية إلى يوم القيامة وذلك لأدلة كثيرة، منها:

الدليل الأول: أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين اهتموا بنصب خليفة رسول الله ﷺ، وتعيينه حتى قبل أن يقوموا بدفنه. ولو لم يكونوا مدركين وجوب نصب الخليفة وعدم تأخيره من الشريعة لما قدموه على هذا الأمر الخطير. فهذه دلالة على وجود دليل شرعي من الرسول ﷺ لديهم، بطريق الإجمال.

الدليل الثاني: روي عن عبد الله بن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من مات

---

(١) صحيح، رواه أبوداود (٣٦٦٥) كتاب الأشربة باب في القصص، وأحمد ٢٢/٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩ والبخاري في التاريخ الكبير ٣ ق٩٣/١، ٣ ق٣٢٩/٢، والطبراني في الأوسط كما في المجمع ١٩٠/١ من حديث عوف بن مالك، وابن ماجه (٣٧٥٣) أبواب الأدب باب القصص، وأحمد ١٧٨/٢، ١٨٣ وابن عدي ١٤٧٣/٤، ٦٦٨/٢، والطبراني في الكبير عن كعب بن عياض كما في المجمع ١٩٠/١ لكن البخاري قال في التاريخ الكبير ٢٢٢/٤: لا يصح لأن هذا عن عوف بن مالك. ورواه الطبراني في الكبير عن عبادة بن الصامت وفيه: أو متكلف، بدل: "أو مختال" وقال عنه في المجمع ١٩٠/١: إسناده حسن. وحسن هذا الإسناد العراقي وتبعه السيوطي في الجامع كما في الفيض ٤٥٤/٦.

وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"[١]. فهذا نص شرعي صريح في هذا الباب.

الدليل الثالث: أن الله سبحانه وتعالى فرض الجهاد والقضاء وإحياء علوم الدين وإقامة أركان الإسلام ودفع الكفار عن حوزة الإسلام ولا تتم هذه الأعمال كلها من غير نصب خليفة يتولى أمرها. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وقد نبه كبار الصحابة على هذه القاعدة الأساسية.

(٣) شروط الخلافة

شروط الخلافة هي التي تمهد القيام بمهام الخلافة التي ذكرناها آنفا من إحياء علوم الدين، وإقامة أركان الإسلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والقيام بالجهاد، والقضاء، وإقامة الحدود. فكل ما يشترط فى القيام بأي من هذه الأعمال يشترط في الخلافة أيضا. ويضاف إليه شرط آخر هو القرشية بدليل الحديث المستفيض.

وبعد معرفة هذا الأصل نود ذكر شروط الخلافة بالتفصيل:

الشرط الأول: يشترط في الخليفة أن يكون مسلما إذ لا تليق رياسة المسلمين إلا بمسلم،كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[٢].

ولا يتصور القيام بهذه الأعمال التي تناط بالخلافة من كافر أبدا. ولو ارتد الخليفة، والعياذ بالله، لوجب الخروج عليه. فنصب الكافر أولا أولى بالمنع والحرمة.

الشرط الثاني: أن يكون عاقلا بالغا ولا يكون مجنونا أو سفيها أو صبيا. لأنهم محجورون شرعاً عن تصرفاتهم الشخصية الجزئية أيضا، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾[٣].

وماداموا منعوا من التصرف في أموالهم الشخصية فلا يصح تسلطهم على أموال المسلمين ورقابهم أبدا ولا يتصور أن يقوموا بالأعمال المطلوبة من الاستخلاف.

الشرط الثالث: أن يكون ذكرا لا أنثى. وذلك لما رواه البخارى أن رسول الله ﷺ لـــما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال: "ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"[٤]. لأن المرأة ناقصة العقل والدين، ولا تقدر على أي عمل في الحرب والقتال وكذلك لا تقدر على

---

(١) مسلم (٤٧٩٣) كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة.

(٢) سورة النساء: ١٤١.

(٣) سورة النساء: ٥.

(٤) (٤٤٢٥) كتاب المغازي باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر.

حضور المجالس والمشاركة في المجامع. فهي غير قادرة على القيام بالأعمال المطلوبة من الاستخلاف.

الشرط الرابع: أن يكون حرا فإن العبد لا تقبل شهادته في الخصومات ويعده العامة حقيرا مهانا، وبالإضافة إلى ذلك إنه مكلف بخدمة سيده.

الشرط الخامس: أن يكون متكلما وسـميعا وبصيرا. لأنه يجب على الخليفة أن يأمر بوجه لا يكون فيه غموض أو إبهام أو اشتباه، وأن يقدر على معرفة المدعي والمدعى عليه والمقر والمقرله والشاهد والمشهود عليه والاستماع لكلامهم، وكذلك يجب عليه تولية القضاة، ونصب العمال، وإصدار الأوامر إلى الجيش بما ينبغي لهم في الجهاد. ولا تتم هذه الأعمال بدون سلامة أعضائه من السمع والبصر واللسان. وما لايتم الواجب الا به فهو واجب.

الشرط السادس: أن يكون شجاعا ذا رأى وبصيرة في الحرب والسلم، وعقد الذمة، والفرض للمقاتلة، وتعيين الأمراء، ونصب العمال، وألا يكون مولعا بالدعة والملذات ولا غريرا يخبط في أمور الخلافة خبط عشواء ولا جبانا لا يستطيع إنجاز المهمات الحربية التي هي من أعظم مطالب الخلافة. ولا يتصور القيام بالجهاد إلا ممن كان شجاعا وبصيرا وغير مشغوف بالدعة والملذات.

الشرط السابع: أن يكون عدلا أى يجتنب الكبائر، ولا يصر على الصغائر ومتصفا بالمروءة، ولا يكون مستهترا خليع العذار. فإن جميع هذه الصفات يشترط توفرها في كل من الشاهد والقاضي وراوي الحديث. فاشتراطها في الرياسة العامة التي يملك صاحبها زمام أمور الخلق أولى وأوجب. قال الله سبحانه وتعالى ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾[1] وفسر الرضا بالعدالة والمروءة.

الشرط الثامن: أن يكون مجتهدا وذلك لأن مهام الخلافة تشمل القضاء وإحياء علوم الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا يستطيع النهوض بها إلا من كان مجتهدا. قال رسول الله ﷺ:

> "القضاة ثلاثة، واحد في الجنة واثنان في النار. فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فحكم به فهو في الجنة. ورجل عرف الحق فحكم فجار في الحكم فهو في النار. ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار". رواه أبوداود[2].

والمراد من الاجتهاد أن يكون عالما بجملة عظيمة من الأحكام الفقهية بأدلتها التفصيلية

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٢

(٢) (٣٥٧٣) كتاب القضاء باب في القاضي يخطئ، والترمذي (١٣٢٢) أبواب الأحكام باب ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القاضي، وابن ماجه (٢٣١٥) أبواب الأحكام باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق.والحديث صحيح.

من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، بمعرفة كل حكم مقرونا بدليله الشرعي بحيث يحصل له الظن القوي به.

ولا يتأتى الاجتهاد في هذا العصر إلا لمن جمع العلوم الخمسة وهي:

(١) علم القرآن الكريم قراءة وتفسيرا،

(٢) علم السنة النبوية بأسانيدها ومعرفة الصحيح والضعيف منها،

(٣) علم أقوال السلف في المسائل حتى لا يتجاوز الإجماع، ولا يختار قولا ثالثا عند اختلاف القولين،

(٤) علم العربية من اللغة والنحو وغيره،

(٥) علم طرق الاستنباط ووجوه التطبيق بين المختلفين.

ثم يجب عليه إعمال الفكر في المسائل الجزئية حتى يعرف كل مسئلة مقرونة بدليلها. ولا يلزم أن يكون مجتهدا مستقلا مثل الإمام أبي حنيفة والإمام الشافعي بل يكفي أن يكون مجتهدا منتسبا عالما بتحقيق السلف واستدلالاتهم في المسائل ويحصل الظن القوي فى كل مسئلة.

وتحقيق ذلك أن إحياء تفسير القرآن متوقف على معرفة هذه العلوم الخمسة بالإضافة إلى معرفة أحاديث أسباب النزول وآثار السلف في التفسير مع قوة الحفظ والفهم لسياق الآيات وتوجيهاتها وما إلى ذلك. وقس على التفسيرجميع الفنون الدينية. ولم يكن يشترط للمجتهد في عصر الصحابة أكثر هذه العلوم، وإنما كان يكفيه معرفة القرآن وحفظ السنة. لأن العربية كانت لغتهم وكانوا يعرفون الكلام العربي دون الحاجة إلى معرفة النحو وغيره. ولم تظهر آنذاك الأحاديث المتعارضة واختلاف السلف.

الشرط التاسع: أن يكون قرشيا من جهة نسب آبائه فإن أبابكر الصديق رضي الله عنه كان منع الأنصار من طلب الخلافة بهذا الحديث الذى روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الأئمة من قريش"[١]، ولما رواه أبوهريرة وجابررضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "الناس تبع

(١) صحيح، لكن لم أجده بهذا اللفظ عن أبي بكر، وقد روي بهذا اللفظ عن علي عند أبي يعلى (٥٦٠) والحاكم ٤/٢٥ والبيهقي والطبراني في الصغير والبخاري في تاريخه ١ ق٢/١١٢، وعن أبي برزة عند الطيالسي رقم ٩٢٦ وأحمد ٤/٤٢١ والبخاري في تاريخه ٢ق٢/١٦٠ والطبراني، وعن أنس عند الطيالسي رقم ٢١٣٣، وأحمد ٣/١٢٩، ١٨٣ والبيهقي ٣/١٢١ والبخاري في تاريخه ٢/٩٩، وعن أبي موسى عند الحاكم وأحمد والطبراني بلفظ: الأمراء من قريش، وكذا عن كعب بن عجرة، وغيره. وقال الحافظ في الفتح ١٣/١١٤: وأخرج أحمد هذا اللفظ مختصرا من حديث أبي بكر الصديق بلفظ: الأئمة من قريش ورجاله رجال الصحيح لكن في سنده انقطاع. قلت: لم أجده بهذا اللفظ في المسند، ورواه أحمد ٢/٣٦٤ والترمذي (٣٩٣٦) أبواب المناقب باب في فضل اليمن، وابن أبي شيبة ١٢/١٧٢ من طريق أبي مريم عن أبي هريرة بلفظ: الملك في قريش، الحديث. وذكره الألباني في

لقريش في هذا الشأن"[١].

وفي الباب أحاديث أخرى مثل ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان"[٢]، وكذلك روى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قوله: "إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين"[٣]، بالإضافة إلى طرق أخرى تؤيد هذا الحديث. و بهذا نكتفي هنا لغرض الاختصار.

واختلفوا في اشتراط الكتابة. فاشترطها جماعة لتوقف أمور دينية كثيرة على معرفة الخط من علم الكتاب والسنة وإنشاء الأحكام والرسائل وغيرها. ورد البعض بحجة أن النبي ﷺ كان أميا. والحق أنه لا يجوز قياس أحد فى هذا الأمر على الرسول ﷺ. ويتوقف اليوم معرفة الدين على معرفة الخط والكتابة ويناط كثير من المصالح بالكتابة.

والخلاصة أنه إذا استوفى شخص هذه الشروط استحق الخلافة. وإذا ولوه الخلافة وعقدوا له يصير خليفة راشدا. وإن ولوا شخصا غير مستجمع لهذه الشروط يعصى الساعون لاستخلافه، ولكن إذا تسلط ينفذ قوله فيما يوافق الشرع، للضرورة. لأن السعي فى خلعه سيؤدي إلى اختلاف الأمة وانتشار الهرج والمرج.

(٤) بيان طرق انعقاد الخلافة

تنعقد الخلافة بأحد الطرق الأربعة التي هى كما يلي:

الطريقة الأولى

بيعة أهل الحل والعقد من العلماء والقضاة والأمراء ووجوه الناس الذين يتيسر حضورهم. ولا يشترط اتفاق أهل الحل والعقد من جميع بلاد الإسلام لكونه ممتنعا. ولا تنفع بيعة شخص أو اثنين لما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته الأخيرة:

فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو والذي بايعه تغرة أن

الصحيحة رقم ١٠٨٣، ورواه ابن أبي عاصم في السنة رقم ١١٢٤، موقوفا عن أبي هريرة بلفظ: الخلافة في قريش.

(١) أما حديث أبي هريرة فأخرجه البخاري (٣٤٩٥) كتاب المناقب باب المناقب، ومسلم (٤٧٠١) كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، راجع سلسلة الصحيحة رقم ١٠٠٦، وأحمد ٢/٢٣٤. وأما حديث جابر فأخرجه مسلم (٤٧٠٣) كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش وأحمد ٣/٣٣١ و ٣/٣٨٣.

(٢) البخاري (٣٥٠١) كتاب المناقب، باب مناقب قريش، و(٧١٤٠) كتاب الأحكام باب الأمراء من قريش، ومسلم (٤٧٠٤) كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش من طريق ابن مسعود.

(٣) البخاري (٧١٣٩) كتاب الأحكام باب الأمراء من قريش.

يقتلا.[١]

وانعقدت خلافة سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ بطريق البيعة.

الطريقة الثانية

استخلاف الخليفة لشخص جامع لشروط الخلافة. والمراد منها أن يقوم الخليفة العادل انطلاقا من نصح المسلمين باختيار شخص تتوفر فيه شروط الخلافة ويوصيهم باتباعه. فهذا الشخص المرشح من قبل الخليفة يصير مخصوصا من بين الذين يستوفون الشروط ويجب على الأمة استخلافه. وبهذا الطريق انعقدت خلافة سيدنا الفاروق رضي الله عنه.

الطريقة الثالثة

طريقة الشورى وهي أن يجعل الخليفة أمر الخلافة شورى بين جماعة من الذين تتوفر فيهم الشروط ويخولهم اختيار شخص من بينهم لتولي الخلافة. فيشاور هؤلاء بعد موت الخليفة ويختارون أحـــدهم للاستخلاف. وإذا كان الـــخليفة من بينهم فيؤخذ باختيار ذلك الشخص أو تلك الجماعة.

وانعقدت خلافة سيدنا عثمان ذي النورين ﷺ بهذا الطريق. فإن عمر بن الخطاب ﷺ كان جعل الخلافة شورى بين ستة من أصحاب رسول الله ﷺ. وبعد ذلك عين عبد الرحمن بن عوف ليقوم باختيار أحدهم للخلافة. فاختار سيدنا عثمان ذا النورين ﷺ.

الطريقة الرابعة

طريقة الاستيلاء. إذا مات الخليفة وتصدى شخص للخلافة بغير بيعة وجمع الناس على طاعته بائتلاف القلوب أو بالقهر، ونصب القتال، يصير خليفة، ويجب على الناس اتباع قوله فيما يوافق الشرع. ثم الاستيلاء على نوعين:

الأول: أن يكون المستولي مستوفيا لشروط الخلافة، ويتمكن من صرف المنازعين بالصلح والتدبير، وبغير ارتكاب أمر محرم. وهذا القسم جائز ورخصة. وكان انعقاد خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بعد سيدنا علي ﷺ وصلح سيدنا الحسن ﷺ، من هذا النوع.

النوع الثاني: أن يكون المستولي غير جامع للشروط، ويصرف المنازعين بالقتال، وارتكاب المحرمات. وهذا غير جائز، ويكون فاعله عاصيا، لكن يجب قبول أحكامه التي توافق الشرع ولو أخذ عماله الزكاة تسقط عن أصحاب الأموال،وتنفذ أحكام قضاته، ويجوز الجهاد معه. وهذا الانعقاد على سبيل الضرورة. لأن السعي لعزله سيؤدي إلى إفناء النفوس، وظهور الهرج والمرج، وفساد عريض. ولا يعرف بوجه اليقين أن ارتكاب هذه الشدائد سيفضي إلى

---

(١) البخاري (٦٨٣٠) كتاب الحدود، باب رجم الحبلى في الزنى إذا أحصنت.

الصلاح أم لا؟ ويحتمل أن يستولي بعده شخص أسوأ منه. فلماذا ترتكب الفتن والشدائد التى قبحها واضح، لأجل المصلحة التي حصولها مجرد ظن وتخمين؟

وكان انعقاد خلافة عبد الملك بن مروان وخلافة أول خلفاء بني العباس من هذا النوع.

فالحاصل أن انعقاد الخلافة ينحصر في هذه الطرق الأربعة. فلو وجد شخص متفرد باستيفاء شروط الخلافة فى زمانه أو وجدت جماعة تتوفر فيهم هذه الشروط وكان أفضلهم، لا تنعقد خلافته إلا باتخاذ أحد الطرق المذكورة. لأن مجرد اتصافه بهذه الشروط لا يدفع الفتنة، ولا يحسم الخلاف بغير استيلائه أو بيعته. ومن أجل ذلك بادر جماعة من الصحابة بعد ما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى، إلى مبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولم يكتفوا بأفضليته.

وقد تكلم أهل العلم في الطريق الذي انعقدت به بيعة سيدنا علي ﷺ من الطرق المذكورة. وخلاصة القول الذى اختاره اكثرهم أنه كان استخلف ببيعة المهاجرين والأنصار الذين كانوا في المدينة وبهذا تشهد أكثر الرسائل التي بعثها سيدنا المرتضى رضي الله عنه إلى أهل الشام. وقال آخرون: انعقدت خلافته بطريق الشورى. وذلك لأن الشورى قررت استخلاف عثمان أو علي. فلما مات عثمان رضي الله عنه تعين استخلافه، وفيه ما فيه.

ملاحظة

وينبغي أن نتطرق إلى ملاحظة في ذيل هذه المسألة. وهو أنه يطرح هنا سؤال نفسه، تفصيله أنك قلت: إن خلافة الشيخين كانت بنص من النبيﷺ. فكيف يصح إذن القول بانعقاد خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ببيعة أهل الحل والعقد وخلافة عمر الفاروق بالاستخلاف؟ نجيب بأن مرادنا من ذلك أنه كان وجب بنص من النبي ﷺ استخلاف الصديق وسيدنا الفاروق رضي الله عنهما في الزمان المخصوص وعقد الخلافة لهما والرجوع إليهما وامتثال أوامرهما التي تخص الخلافة، لكن تعلق حكم وجوبها الفعلي بدخول الوقت الذي يتم فيه المبايعة والاستخلاف. ومثله أيضا أننا نعلم باليقين أن الشارع عليه الصلاة والسلام نص على ظهور الإمام المهدي في زمان ما قبل القيامة، وأنه إمام حق عند الله وعند رسوله، وأنه يملأ الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت قبله جورا وظلما.

فقد نص الشارع بهذه الإفادة على استخلاف الإمام المهدي وعلى وجوب إطاعة أوامره الخاصة بالخلافة اذا جاء زمان خلافته. ولكن لا يتحقق هذا المعنى فعلا إلا عند ظهور المهدي ومبايعته بين الركن والمقام.

ثم إن تشاور الأمة في مبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه واستخلافه لعمر بن الخطاب

رضي الله عنه برأي منه، واختيار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عثمان رضي الله عنه للخلافة، لايستلزم عدم وجود نص في هذا بل الظاهر أن هؤلاء العظماء تمسكوا في هذا الأمر بنص او إشارة من الشارع عليه الصلاة والسلام واشتهر في الناس نسبته إليهم كما يقال: أوجب هذا أبو حنيفة، وأوجبه الشافعي، وأحله الفاروق رضي الله عنهم. وموعدنا لبسط هذه المسألة، الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

(٥) بيان ما يجب على الخليفة من القيام بمصالح المسلمين

والأصل في هذه المسألة النظر في معنى الخلافة ومعرفة مقدمات إقامة الدين التي لا تتصور إقامته بغير تحقيقها، كذلك معرفة مكملات الدين التي لا تقوم على وجه الكمال من دون الإهتمام بها. وإذا تدبرنا هذه الأمور نجد أن الواجب على الخليفة:

١. القيام بحفظ الدين المحمدي بالصفة التي ثبت عليها في السنة النبوية المستفيضة، وانعقد عليها إجماع السلف الصالح، وبالإنكار على المخالفين وذلك بقتل المرتدين والزنادقة وزجر المبتدعة.

٢. والإهتمام بإقامة أركان الإسلام من الجمعة، والجماعات والزكاة والحج والصوم، وأن يتولى إقامتها بنفسه في محل وجوده وينصب أئمة المساجد والمصدقين في الأماكن البعيدة ويعين أمير الحج.

٣. ويقوم بإحياء علوم الدين بنفسه حسب الاستطاعة، ويعين المدرسين في كل بلد كما بعث سيدنا عمر الفاروق ﷺ عبد الله بن مسعود مع جماعة إلى الكوفة، وبعث معقل بن يسار وعبد الله بن معقل إلى البصرة رضي الله عنهم.

٤. ويقضي بين أهل الخصومات ويحكم في الدعاوى، وينصب القضاة لها.

٥. وأن يحفظ بلاد الإسلام من شرور الكفار، وقطاع الطرق، والمتغلبين، وينصب الجيوش الجرارة بعد تزويدهم بالأسلحة الحربية على ثغور دار الإسلام.

٦. وأن يباغت أعداء الله بالجهاد رفعا لشوكة المسلمين وإعلاء لكلمة الله، ويرتب الجيوش ويفرض أرزاق المقاتلة.

٧. وأن يأخذ الجزية والخراج، ويقوم بتقسيمها على الغزاة، ويقدر أعطيات القضاة والمفتين والمدرسين والواعظين وأئمة المساجد باجتهاده من غير إسراف أو تقتير.

٨. وأن يستعمل نوابا أمناء عدولا ناصحين، وأن يهتم دائما بتفقد أحوال الرعية والإشراف على أمور الجيش والغزاة وأمراء الأمصار والقضاة وغيرهم حتى لا يصدر منهم ظلم أو خيانة.

ولا يصلح استعمال الكفار على أمور المسلمين أبدا. فقد نهى عمر الفاروق ﷺ عن هذا نهيا باتا فيما أخرج عنه شيخ الشيوخ العارف السهروردي قدس سره في العوارف[١] عن وثيق الرومي[٢] قال: كنت مملوكا لعمر. فكان يقول لي: أسلم، فإنك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين، فإنه لا ينبغي أن أستعين على أمانتهم بــمن ليس منهم. قال: فأبيت. فقال عمر: لا إكراه في الدين. فلما حضرته الوفاة أعتقني، فقال: اذهب حيث شئت.

وهذا بيان ما يجب على الخليفة بطريق الاختصار والإيجاز.

(٦) بيان ما يجب على الرعية من طاعة الخليفة

يجب على المسلمين طاعة الخليفة في كل ما يأمر به من مصالح الإسلام، وفيما لا يكون مخالفا للشرع سواء كان الخليفة عادلا أم جائرا. وإذا كان القوم مختلفين في مذاهب الفروع، وأمر الخليفة بأمرفيه مجال الاجتهاد، غير مخالف للكتاب والسنة المشهورة وإجماع السلف والقياس الجلي على أصل واضح الثبوت، يجب على المسلمين السمع والطاعة له في قضائه واتباع أمره، ولو لم يوافق مذاهب المحكوم عليهم.

ويــحرم الخروج على السلطان بعد اجتماع المسلمين عليه ما لم يروا منه كفرا بواحا، ولو لم يكن السلطان جامعا لشروط الخلافة.

ويمكن أن تصنف صور الخروج على الخليفة إلى ثلاثة أوجه:

الوجه الأول

أن يكفر الخليفة بإنكاره لمسلمات الدين، والعياذ بالله. وحينئذ يجب الخروج عليه وقتاله. وهذا القتال أعظم أنواع الجهاد حتى لا ينتقص الإسلام ولا يغلب الكفر.

الوجه الثاني

إذا خرج الناس على الخليفة لنهب الأموال، وقتل النفوس، وتحليل الفروج بغير تأويل شرعي، وذلك بأن يحكم السيف وتنبذ أوامر الشريعة، فحكمهم حكم قطاع الطرق، ويجب دفعهم وتفريق جمعهم.

---

(١) بل ورواه من هو أقدم منه: سعيد بن منصور برقم ٤٣١، وابن أبي حاتم ٤٩٣/٢ وابن سعد ١٥٨/٤ وابن أبي شــيبة وابن المــنذر كما في الدر المنثور ٣٣٠/١ وفي إسناده شريك بن عبد الله، وأسق، لم أجد من وثقه.

(٢) وسماه بعضهم. وسق، وبعضهم: أسق، وفي الاصابة ١٠٤/١ رقم ٤٤٤، في القسم الثالث أسبق، نقلاً عن ابن سعد وهو خطأ، إذ هو في طبقاته: أسق.

الوجه الثالث

خروج الناس على الخليفة بقصد إقامة الدين وذلك بعد استدلالهم بشبهات مثارة على الخليفة أو على أوامره.

فإذا كان تأويلهم باطلا قطعي البطلان لا يعتد به كتأويل المرتدين ومانعي الزكاة في عصر أبي بكر الصديق ﷺ. والمراد من قطعية بطلان التأويل مخالفته لنص الكتاب أو سنة مشهورة أو الإجماع أو قياس جلي. وإذا لم يكن تأويلهم قطعي البطلان، وكان مما فيه مجال للاجتهاد، يعدُّون فئة باغية. وكان حكمهم في الزمان الأول حكم المجتهد المخطئ؛ الذي إن أخطأ فله أجر. أما بعد ما ظهرت الأحاديث المستفيضة المروية في صحيح مسلم وغيره والتي تشدد النهي عن البغي، وبعد ما انعقد على ذلك الإجماع، نحكم اليوم بعصيان البغاة.

وإن صدر من الخليفة جور صريح أو أمر بشيء مخالف للشرع وكان لدينا برهان شرعي واضح في تلك المسألة وقد مر شرح البرهان آنفا، جاز القيام بدفع ظلمه ومظالمه عن النفس وترك طاعته. ويعتبر الذين يساندون السلطان في إيذائهم عصاة. وإذا لم يكن لدينا برهان شرعي في المسألة فلنصبر ولنحتسب، ويعد البلاء الذي يصيبنا من قضاء الله، ونكف أيدينا عن السيف.

ومن أعظم أنواع الجهاد أمر الخليفة بالمعروف ونهيه عن المنكر بغير الخروج بالسيف. وينبغي أن يكون ذلك باللين دون العنف وفي الخلوة دون الجلوة حتى لا تقوم فتنة ويكون الأمر كله لله.

بعد ما شرحنا معنى الخلافة، وشروط الخليفة، والمسائل الخاصة بها، حان لنا العودة إلى ما نحن بصدده من إثبات الخلافة العامة للخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وأنه من أجلّ البديهيات. وإذا وضعنا معنى الخلافة وشروطها ومقاصدها في عين الاعتبار، وتذكرنا أحوالهم التي وصلت إلينا عن طرق مشهورة ومستفيضة، لم يبق لنا مجال الشك في ثبوت شروط الخلافة فيهم لا سيما بعد تحقق مقاصد الخلافة بأيديهم على وجه الكمال والتمام. وهذا أمر يعرفه كل عاقل. وأما الخفاء الذي يقولون به فإن مرده إلى اعتبار معان أخرى، غير ما ذكرنا في مفهوم الخلافة، مثل اشتراط الشيعة العصمة والوحي الباطني في الإمام. ولا يتصور أن يشك عاقل أو يثير أي شبهة في ثبوت صفات الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والذكورة وسلامة الأعضاء والقرشية في الخلفاء الأربعة في أتم وجهها وأكمل صورها كما لايسعه الإنكار بأن الأعمال العظيمة من مقاتلة المرتدين، وفتح بلاد العجم والروم ومدافعة جيوش كسرى وقيصر، تمت بتدبير وأمر منهم وعلى أيديهم. وفي هذا الكفاية لمن اكتفى والعاقل تكفيه الإشارة.

والشيعة أنفسهم يقولون إن الشيخين أبابكر وعمر اغتصبا الخلافة من سيدنا علي

المرتضى رضي الله عنه. وهذا أمر لايتصور تحقيقه إلا بكمال الجرأة والتدبير، وتأليف الناس وجمعهم على طاعتهما. فاعترفوا بشجاعتهما ورأيهما وكفايتهما من حيث لم يريدوا.

وأما تحقق شرطي الاجتهاد والعدالة فيهم، فإذا نظرت في أقوالهم وأقضيتهم ومناظراتهم وتدبرها تجد اجتهادهم أظهر من الشمس. ولم يسع أحد من المخالفين حتى اليوم أن يرميهم بالفسق الظاهر. وأما ما يتقولونه عليهم فمرجعه أمور مختلف فيها ولا يعرفها جمهور المسلمين ما عدا هذه الفرقة التي تطاولت عليهم دون سلطان الأدلة والبراهين، عاملهم الله بعدله. فالحاصل أن إثبات خلافتهم لايحتاج إلى إقامة برهان. والمهم في هذا الباب تجريد معنى الخلافة ومهام الخليفة من المفاهيم الأخرى التي يثيرونها، والاقتصار على شرح شروط الخلافة. وهذا ما أردنا شرحه في هذه العجالة والحمد لله رب العالمين.

البـــاب الثـــاني

بيان لوازم الخلافة الخاصة

(خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم)

ويحتوي على تمهيد وسبع لوازم:

(١) وجوب كون الخليفة من المهاجرين الأولين الذين شهدوا المشاهد الإسلامية وشهدوا نـــزول سورة النور.

(٢) وجوب كون الخليفة مبشرا بالجنة.

(٣) وجوب كونه من الطبقة العليا من الأمة.

(٤) ترشيح الخليفة من قبل رسول الله ﷺ لمهام الخلافة قولا وعملا.

(٥) إنجاز مواعيد الله عز وجل على يد الخليفة.

(٦) أن يكون الخليفة ممن يحتج بقولهم في الدين.

(٧) وجوب كون الخليفة أفضل الأمة في خلافته.

تـــمهيد

روي عن رسول الله ﷺ بسند صحيح أنه أخبر أن دولة الإسلام ستكون نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة، ثم تكون ملكا عضوضا ثم جبرية وعتوا[١]. وجاء في بعض الروايات بلفظ: "خلافة على منهاج النبوة"[٢]. وكذلك صح عنه ﷺ قوله: " الخلافة بعدي ثلاثون سنة"[٣]. وقد عدد الله سبحانه وتعالى أوصاف هذه الخلافة المرضية عنده وعلاماتها تصريحا وتلويحا في كثير من الآيات القرآنية. وهذا يدل على كمال رضاه وحبه لها. فمن هذه الآيات الكريمات:

(١) قوله سبحانه وتعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[٤].

(٢) وقوله سبحانه وتعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ﴾[٥]

(٣) وقوله سبحانه وتعالى ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾[٦]

(٤) وقوله سبحانه وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[٧].

إلى غيرها من الآيات.

وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قد تحدثوا ببعض هذه الصفات عندما تشاوروا في اختيار خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما استأثر الله به، مثل قولهم: " أحق بهذا الأمر"[٨]، وقولهم: "توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض"[٩]. وإذا جمعنا هذه الأدلة

---

(١) سيأتي تخريجه في ص ٩٥ في مسند أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما.

(٢) أحمد ٤/ ٢٧٣ والبزار أتم منه والطيالسي برقم ٤٣٨ عن النعمان بن بشير عن حذيفة بن اليمان. وذكره الألباني في الصحيحة رقم ٥ وتحقيق المشكاة رقم ٥٣٧٨ وقال: إسناده حسن.

(٣) أبوداود (٤٦٤٦) كتاب السنة باب في الخلفاء والترمذي (٢٢٢٦) أبواب الفتن باب ما جاء في الخلافة، وحسنه. وأحمد ٥/٢٢٠، ٢٢١ والحاكم ٧١/٣ وابن حبان كما في الموارد ص ٣٦٩ من حديث سفينة. راجع الصحيحة حديث رقم ٤٦٠ و ٥٤٩.

(٤) سورة الحج: ٤١.

(٥) سورة النور: ٥٥.

(٦) سورة الفتح: ٢٩.

(٧) سورة المائدة: ٥٤.

(٨) البخاري (٤١٠٨) كتاب المغازي باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.

(٩) المصدر نفسه (٣٧٠٠) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان.

وتأملناها ندرك عددا من الصفات الزائدة على الشروط التي ذكرناها في بيان الخلافة العامة. ومقصودنا في هذا الفصل معرفة هذه الصفات ثم إثبات وجودها في الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم. نقل عن قتادة -شيخ أهل البصرة من التابعين- أنه أطلق معنى الحواري بمن يستجمع لوازم الخلافة الخاصة مع قرشية النسب. قال معمر قال قتادة : "الحواريون كلهم من قريش أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وأبوعبيدة وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير"(١). وفسر قتادة فيما روى عنه روح بن القاسم: "الحواريون الذين تصلح لهم الخلافة"(٢). كذا في استيعاب ابن عبد البر(٣). والأصل الذي عليه مدار اعتبار هذه الصفات يشمل نكاتا ثلاثة:

النكتة الأولى

إن نفوس الأنبياء القدسية مفطورة على غاية الصفاء وعلو الفطرة، وقد اختارهم حكمة الله تعالى بفضل هذا الصفاء والعلو لتلقي الوحي، ووهب لهم رياسة العالم. قال الله تعالى ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾(٤) وتكون في الأمة جماعة جعلت جواهر نفوسهم قريبة من جوهر نفوس الأنبياء. وهؤلاء هم خلفاء الأنبياء باعتبار أصل فطرهم التي خلقوا عليها. مثالهم مثال المرآة التي تتأثر بالشمس ما لا يتأثر بها التراب والخشب والحجر.

فهؤلاء نخبة الأمة وصفوها، ويفوقون غيرهم في التأثر بالنفس القدسية للنبي والتحلي بحليته والاقتداء بسيرته المرضية، ويتلقون ما يتلقون من سنته وسيرته الطيبة بشهادة قلوبهم التي كأنها كانت تدرك تلك المعاني بالإجمال، وجاء كلام النبي مفصلا وشارحا لها.

ثم تتلوها طبقات من الناس ينحطون درجة فدرجة حتى تأتي مرتبة عامة المسلمين.

فالخلافة الخاصة أن يكون الخليفة الذي يرأس الأمة في الظاهر، رئيسهم في أصل طبعه وصفاء فطرته وعلوها، وفي المواهب الشخصية التي يتفاوت فيها بنو آدم،حتى تتكافأ الرياستان الظاهرة والباطنة. وتسمي الشريعة هؤلاء الذين يخلفون الأنبياء بأصل طبائعهم؛ صديقين وشهداء وصالحين. يستفاد هذا المعنى من الآيتين: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾(٥) و﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

---

(١) رواه عبد بن حميد وعبد الرزاق وابن المنذر كما في الدر المنثور ٢١٤/٦. قلت: ورواه ابن جرير ٩١/٢٨ أيضاً ورجال إسناده ثقات.

(٢) رواه ابن جرير ٢٨٧/٣ وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٣٥/٢ ورجال إسناد ابن جرير ثقات.

(٣) في المطبوعة: ابن عبدالله.

(٤) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٥) سورة الفاتحة: ٦، ٧.

﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾.[(١)]

فصرح في هذه الآيات أن مقصود المسلمين في دعواتهم التي يدعونها في صلواتهم، وبغيتهم من سلوك مراتب القرب منه موافقة جماعة المنعم عليهم وهم الطبقات الأربع. ويقول في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[(٢)]

فهذه أيضا إشارة إلى ذلك المعنى. فإن أولياء المسلمين هم أفاضلهم الذين وصفهم الله تعالى بإقامة الصلاة وبحب الله سبحانه وتعالى لهم وحبهم له وغيرها من الصفات. وكان عبدالله بن مسعود ﷺ بين هذا المعنى بقوله الذي أخرجه أبو عمر في خطبة الاستيعاب[(٣)]: "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه وبعثه برسالته. ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه". وذكر البيهقي نحوه إلا أنه قال: "فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه. فما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوه قبيحا فهو عند الله قبيح".

فإذا ثبتت أولوية هذه الجماعة فى الخلافة يكون اجتهادهم أولى وأحق من اجتهاد غيرهم.

ثم إن لكل صفة من الصفات المذكورة علامات ودلائل. ورسول الله ﷺ قد يصرح بثبوت هذه الصفات في أصحابه عند ذكر مناقبهم، وقد يلوح بثبوتها فيهم بذكر دلائلها وعلاماتها، والتلويح أبلغ من التصريح.

---

(١) سورة النساء: ٦٩.

(٢) سورة المائدة: ٥٤، ٥٥، ٥٦.

(٣) ٦/١ وأحمد ٣٧٩/١ والبزار كما في الكشف ٨١/١ وابن الأعرابي في معجمه رقم ٨٦٠ والطبراني في الكبير ١١٨/٩ وقال الهيثمي في المجمع ١١٧/١، ١٧٨ بعد عزوه إلى الثلاثة: رجاله موثقون. كلهم من طريق أبي بكر بن عياش ثنا عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه الحاكم أيضا ٧٨/٣، ٧٩ من طريق أحمد وزاد: وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلف أبوبكر. قال الحافظ في الدراية ص ٣٠٦: إسناده حسن. ورواه الطبراني في الكبير ١١٨/٩ والطيالسي برقم ٢٣٦، والبيهقي في الاعتقاد ص ١٦٢ وابن الأعرابي في معجمه: ٨٦١ والبغوي في شرح السنة ٢١٤/١ من طريق المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله. والمسعودي ضعيف. وقال البيهقي في المدخل: رواية ابن عياش أشبه. وله إسناد آخر عند البيهقي في المدخل والخطيب في الفقيه والمتفقه ١٦٧/١ راجع نصب الراية ١٣٣/٤ والضعيفة رقم ٥٣٣.

النكتة الثانية

إن خليفة النبي ﷺ مثل الناي الذي يضعه النافخ على فيه لرفع صوته. وينسب الإيقاع والإنشاد إلى النافخ فيه لا إلى الناي.

وكذلك ما قسم الله سبحانه وتعالى من هبات رحمته لرسوله ﷺ - وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى قبل إنفاذها وإتمامها- تمت ونفذت على يد خلفائه بوجه من وجوه السببية والنيابة. فالحق أن هذه الأعمال التي تمت ونفذت على يد خلفائه راجعة إليه وليس الخلفاء إلا مثل جوارحه.

فالخليفة في الخلافة الخاصة يتم وينفذ الأعمال التي هي في الحقيقة أعمال النبي ﷺ وينسبها القرآن الكريم والحديث القدسي إلى ذاته الشريفة ﷺ. والرسول ﷺ صرح مرارا وتكرارا تصريحا أو تلويحا إلى أن جميع الأعمال التي سيقومون بها راجعة إليه، والخلفاء قد تشرفوا بأن جعلوا وسيلة لإنجازها. يشهد بهذا المعنى قوله تعالى ﴿**ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ**﴾(١)

وكذلك يشهد به الحديث القدسي: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك. رواه مسلم."(٢)

ومثـــاله قصة نبي الله داود عليه الصلاة والسلام الذي بدأ بناء المسجد الأقصى، ولم يكمل على يده فسأل الله تعالى أن يرزقه ولدا يكمل بناءه، وحيث إنه كان حسنة من حسنات داود عليه الصلاة والسلام سجل ذلك أيضا في أعماله، بأنه بنى المسجد الأقصى.

النكتة الثالثة

لا شك أن الخلافة أمر خطير، وقد جبلت قلوب بني آدم على اتباع الهوى ويجري منهم الشيطان مجرى الدم. فإذا تركت الخلافة للرأى الشخصي يحتمل أن يجور الخليفة ويتهاون في القيام بمقاصد الخلافة، فيكون الضرر الذي يصيب الأمة المختارة من نصبه أشد من ضرر عدم استخلافه. وهذا الاحتمال كثير الوقوع ألا ترى، أن أكثر الملوك وقعوا في هذه المهلكة ولا يزالون يقعون فيها؟

ولا يرتفع هذا الاحتمال إلا بوعد من الله سبحانه وتعالى أو باتصاف الخليفة بالصفات التي يمتنع معها صدور الجور والتهاون منه عادة، ويحصل الظن القوي بعدله واجتهاده في القيام بالمصالح الملية، وفي غير ذلك لا يكون استخلافه خيرا محضا، ولا تطمئن نفوس البشر بنصبه لأن من نصب نفسه في هذا المقام أصبح مرشدا للخلائق ومعلما لهم في العلوم الظاهرة والباطنة

---

(١) سورة الفتح: ٢٩

(٢) طرف من حديث طويل (٧٢٠٧) كتاب الجنة وصفة النار باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار عن عياض بن حمار.

ويحتمل أن يسيء سيرته ويغلط في علمه، فيصوب أخطاءه الآخرون ويروجونها متمسكين ببعض القرائن. فإذا لم يحصل الثقة بعلم أحد وحاله من الحديث المستفيض المروي من الصادق المصدوق ﷺ وإشاراته لا يستقيم أمر الخلافة له أبدا.

فالخلافة الكاملة (الخاصة أو الراشدة) هي التي يحصل الثقة بصاحبها بنص من الشارع عليه الصلاة والسلام أو بإشارة منه، بينما يكتفى في الخلافة العامة بعدالة الخليفة وعلمه.

بعد ما فرغنا من ذكر هذه النكات الثلاثة نبدأ بتفصيل لوازم الخلافة الخاصة.

(١) **وجوب كون الخليفة من المهاجرين الأولين وممن حضر الحديبية ونزول سورة النور، وشهد بدرا وتبوك وغيرهما من المشاهد العظيمة** التي نوه الإسلام بها وبشر من شهدها بالجنة في أحاديث كثيرة مستفيضة.

(أ) أما وجوب كونه من المهاجرين الأولين فلأن الله سبحانه وتعالى عظم درجتهم ونوه باسمهم، إذ قال ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟**﴾[١] ثم قال: ﴿**ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾[٢] ثم اتبعه بقوله ﴿**ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ**﴾[٣]

فخلاصة دلالة هذه الآيات الكريمة أن المهاجرين الأولين الذين أذن لهم بالقتال وصفهم سبحانه وتعالى بوجه التعليق أنه إن أعطاهم التمكين والاستخلاف في الأرض يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. والنهي عن المنكر يشمل الجهاد لأن الكفر أعظم أنواع المنكر، والقتال أشد أنواع النهي،وكذلك يشمل إقامة الحدود ورفع المظالم. والأمر بالمعروف يشمل إحياء العلوم الدينية. فيؤكد هذا التعليق أن كل من أصبح ممكنًا ومستخلفا في الأرض من المهاجرين الأولين تنفذ على يده مقاصد الخلافة، ولا يخلف الله وعده. فإذا كان الخليفة من المهاجرين الأولين يحصل الثقة به وتطمئن النفوس إليه. وهذا نوع من العصمة التي هي ثابتة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وكذلك قال الله سبحانه وتعالى ﴿**فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ**﴾[٤].

ووصفهم في موضع آخر بقوله ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ**

(١) سورة الحج : ٣٩
(٢) سورة الحج : ٤٠
(٣) سورة الحج : ٤١
(٤) سورة آل عمران: ١٩٥

وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[١].

وعظم درجتهم بقوله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾[٢].

(ب) وأما اشتراط كونه من أهل الحديبية، فلأن الله سبحانه وتعالى قال ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾[٣]. ثم أتبع بقوله ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾.

فخلاصة معنى هذه الآيات الكريمة أن الصحابة الذين صحبوا رسول الله ﷺ في هذا المشهد المبارك يتم على يدهم إظهار دين الله وإعلاء كلمة الله. وإذا كان الخليفة ممن هذه صفتهم تتأكد الثقة به بأنه سيقوم بمقاصد الخلافة.

وأيضا لأن الله سبحانه وتعالى سجل رضاه لهذه الجماعة بقوله ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[٤].

وكذلك روي في الحديث عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: "لن يلج النار أحد شهد بدرا والحديبية"[٥].

وعنه قال قال رسول الله ﷺ: "لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة"[٦].

(ج) وأما وجوب كونه حضر نزول سورة النور، فلأن الله سبحانه وتعالى قال ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾[٧].

---

(١) سورة الأنفال: ٧٤

(٢) سورة التوبة : ٢٠

(٣) سورة الفتح: ٢٩

(٤) سورة الفتح: ١٨

(٥) لم أجده بهذا اللفظ عن جابر، إنما هو عن سعد مولى حاطب، كما رواه ابن قانع رقم ٥٢٧، والبغوي في معجم الصحابة ٣/٤٤ وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٣/١٢٨٤ واسناده ضعيف جدا وفيه انقطاع بين إسماعيل بن أبي خالد وسعد. ورواه أحمد عن جابر ٣/٣٩٦ بلفظ: لن يدخل النار رجل الخ. ورمز السيوطي في الجامع لتحسينه. وقال الحافظ في الفتح ٧/٣٠٥: إسناده على شرط مسلم، كما في الفيض ٥/٣٠٢ ورواه أحمد ٦/٢٦٢ عن أم مبشر أيضا وعن أم مبشر عن حفصة أيضا ٦/٢٨٥.

(٦) أحمد ٣/٣٥٠ عن جابر ومسلم (٦٤٠٤) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة الخ من حديث جابر يقول: أخبرتني أم مبشر نحوه، وأبوداود (٤٦٥٣) كتاب السنة باب في الخلفاء، والترمذي (٣٨٦٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح. راجع سلسلة الصحيحة رقم٢١٦٠.

(٧) سورة النور: ٥٥.

والمراد من كلمة (منكم) المسلمون الذين كانوا حاضرين حين نـــزول الآية، وليس المراد منها المسلمون قاطبة. لأنه إذا أريد منها المسلمون كلهم يلزم تكرار "منكم" حشوا من غير فائدة داخل عبارة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾.

فخلاصتها أن الله سبحانه وتعالى وعد جماعة من أصحاب الرسول ﷺ الذين كانوا معه عند نـــزول هذه الآية الكريمة بأن تمكين الدين وإظهار الإسلام سيتم بسعيهم واجتهادهم وجهادهم.

(د) وأما كونه ممن شهد المشاهد الإسلامية العظيمة، فلأن أهل بدر أفضل الصحابة ﷺ، كما أخرج البخاري[١] عن معاذ بن رفاعة بن رافع الذرقي عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال:

"ما تعدون أهل بدر فيكم؟ فقال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها. قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة."

وكذلك صح عن رسول الله ﷺ قوله فيهم: "لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم أو فقد وجبت لكم الجنة"[٢].

وأنـــزل فيمن اشترك في غزوة تبوك قوله ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾[٣].

وعلى هذا الأصل بنى عبد الله بن عمر ﷺ قوله الذي كان أعده ليقوله لـــمعاوية بن أبي سفيان: "أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وقاتل أباك على الإسلام" أخرجه البخاري[٤]. ومثله قول فقيه الشام عبد الرحمن بن غنم الأشعري الذي قاله لأبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهما، وكانا رسولين بين معاوية وعلي رضي الله عنهما، وكان معاوية سأل عليا المرتضى ﷺ الخلافة وأن يجعلها شورى بين المسلمين فكان مـــما قال لـــهما: عجبا منكما كيف جاز عليكما ما جئتما به تدعوان عليا أن يجعلها شورى؟ وقد علمتما أنه قد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق، وأن من رضيه خير ممن كرهه، ومن بايعه خير ممن لم يبايعه. وأي مدخل لمعاوية في الشورى وهو من الطلقاء الذين لا يجوز لهم الخلافة؟ وهو وأبوه رأس الأحزاب. فندما على مسيرهما وتابا بين يديه، أخرجه أبو عمر في الاستيعاب[٥].

---

(١) (٣٩٩٢) كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدرا.

(٢) البخاري (٣٩٨٣) كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا، ومسلم (٦٤٠١) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حاطب وأهل بدر رضي الله عنهم عن علي وقد روي عن جابر أيضا.

(٣) سورة التوبة : ١١٧.

(٤) (٤١٠٨) كتاب المغازي باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.

(٥) ٤٠٢/٢، ترجمة عبد الرحمن بن غنم.

(٢) وجوب كون الخليفة مبشرا بالجنة

ومن لوازم الخلافة الخاصة أن يكون الخليفة مبشرا بالجنة. والمراد منه أن يكون رسول الله ﷺ قال: إن فلانا من أهل الجنة، بتعيين اسمه وبغير تعليقه بأي شرط، أي إن خاتمة أمره هي النجاة والسعادة. فهذه البشارة قاطعة بنجاة ذلك الشخص وفوزه وتحليه بالإيمان وتقوى الله في خاتمة مراحل حياته. وكان الخلفاء إلى آخر حالهم قائمين بأمر الخلافة وانتقلوا إلى رحمة الله تعالى في حالة خلافتهم. و هذه البشارة تؤكد أيضا ظنا قريبا من اليقين أن ذلك الشخص (أي المبشر) سيعمل الصالحات ويجتنب المعاصي ويحرص على الطاعات في سائر عمره.

وإن كان أهل السنة والجماعة جوزوا مغفرة مرتكب الكبيرة، لكنها نادرة الوجود. ولو جوزنا صدور الكبيرة من المبشر بالجنة — في هذا المقام — للزم وجود نوع من التلبيس الشديد والتدليس الخطير في كلام المصطفى ﷺ. إذاً فوقوعها مستبعد جدا من المبشر بالجنة، كاستحالة وجود التدليس أو التلبيس في كلام النبي ﷺ.

أما بشارة الخلفاء الأربعة ﷺ بالجنة فقد بلغت حد التواتر الذي لا يحتمل الخلاف. ومن هذه الوجوه المتواترة:

أولا: بالإجمال، في الآيات القرآنية الخاصة بمناقب المهاجرين وأصحاب الحديبية وجيش العسرة وغيرهما من المشاهد العظيمة، وفي الأحاديث الواردة في مناقب الصحابة مطلقا، ومناقب من شهد تلك المشاهد منهم، ويطول سردها.

ثانيا: بدخولهم في حديث العشرة المبشرة الذي روي عن سعيد بن زيد.

ثالثا: بشارة الخلفاء الثلاثة والتي وردت في حديث أبي موسى وجابر وغيرهما.

رابعا: بشارة الشيخين في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما.

خامسا: بشارة كل من الخلفاء على حدة في الأحاديث التي رواها جماعة من المحدثين، ومنها الحديث "عثمان رفيقي في الجنة"[١]، والحديث: "لعلي بستان في الجنة"[٢].

(٣) وجوب كونه من الطبقة العليا من الأمة

ومن لوازم الخلافة الخاصة أن يكون الخليفة ممن نص رسول الله ﷺ على أنه من الطبقة

---

(١) عبدالله بن أحمد، وأبو يعلى في الكبير والبزار في حديث طويل عن عثمان. وفي إسناده أبوقتادة الزرقي وهو متروك كما في المجمع ٩١/٩. وقد صح بلفظ: عثمان في الجنة. وروي بلفظ: "إن لكل نبي رفيقا وإن رفيقي في الجنة عثمان". راجع ص ٦٠.

(٢) قد روي بمعناه عن علي وابن عباس، وسيأتي مفصلا في ص٢٩٧.

العليا من الصديقين والشهداء والصالحين. (والمحدث شقيق الصديق وداخل في حده من وجه)، أو كان النبي ﷺ قد صرح بعلو درجته في الجنة، أو كان رأيه موافقا للوحي الإلهي فنـزلت على رأيه آيات كثيرة. وهذا أيضا من لوازم كونه من الطبقة العليا. أو ثبت بالتواتر والقطع أن سيرته في العبادات والتقرب إلى الله أكمل من سيرة سائر المسلمين ويكون متحليا بالخصال المرضية والمقامات المرضية والأحوال السنية والكرامات القوية أي الأمور التي تسمى اليوم بالطريقة الصوفية والتي ذكرها صاحب قوت القلوب وغيره في كتبهم بالاتقان، والاستدلال على كل مسألة من الأحاديث والآثار القوية. وهذا من لوازم الصديقية والشهادة.

وأما اشتراط وجود هذا المعنى في الخليفة فمطلوب، حتى تتكافأ رياسته الظاهرة ورياسته الباطنة، ويحصل له التشبه الكامل برسول الله ﷺ، ويكون في عداد من وصفهم الله في هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[١].

وكذلك في عداد الموصوفين في الآية ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٢].

وثبوت هذه الصفة في الخلفاء الأربعة ﷺ مما ثبت وتواتر في دين الإسلام، وتدل عليها أحاديث كثيرة جدا، منها:

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير. فتحركت الصخرة. فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: إهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد. أخرجه مسلم والترمذي[٣].

(٢) وحديث أنس: أن رسول الله ﷺ صعد أحدا وأبوبكر وعمر وعثمان فرجف بهم. فقال: اثبت أحد! -أراه ضربه برجله- فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان. أخرجه البخاري وأبوداود[٤].

(٣) وحديث عثمان بمثل حديث أنس وفي آخره: شهد معه رجال، أخرجه النسائي[٥].

---

(١) سورة الفتح: ٢٩

(٢) سورة المائدة: ٥٤.

(٣) مسلم (٦٢٤٧) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل طلحة والزبير، والترمذي (٣٦٩٦) أبواب المناقب باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٤) البخاري (٣٦٨٦) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر، وأبوداود (٤٦٥١) كتاب السنة باب في الخلفاء، والترمذي (٣٦٩٧) أبواب المناقب باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأحمد والنسائي.

(٥) (٣٦٣٩) كتاب الإحباس باب وقف المساجد والترمذي (٣٦٩٩) أبواب المناقب باب في عدّ عثمان تسميته شهيدا... الخ، وقال: حسن صحيح.

(٤) وحديث أبي هريرة: أما إنك يا أبابكر أول من يدخل الجنة من أمتي، أخرجه أبوداود[١].

(٥) وحديث جابر: يا أبابكر أعطاك الله الرضوان الأكبر. فقال بعض القوم: وما الرضوان الأكبر يا رسول الله ؟ قال: يتجلى الله لعباده في الآخرة عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة، أخرجه الحاكم[٢] ونوزع في صحته والحق مع الحاكم.

(٦) وحديث عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار[٣].

(٧) والحديث: جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه، برواية ابن عمر وأبي ذر وعلي بن أبي طالب[٤].

(٨) والحديث: لقد كان فيما كان قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر، برواية أبي هريرة وعائشة[٥].

---

(١) أبوداود (٤٦٥٢) كتاب السنة باب في الخلفاء وفي إسناده أبوخالد يزيد بن عبد الرحمن الدالاني قال الحافظ: صدوق يخطئ كثيرا، وكان يدلس كما في التقريب ص ٥٨٤. وأما أبوخالد مولى آل جعدة فمجهول كما في التقريب ص ٥٨٤. قلت: أبوخالد الدالاني صدوق وله أوهام كما قاله الذهبي في المغني ٧٨٢/٢، ٧٨٣ وقال الحافظ في الفتح ٦٥٦/١٠ أيضاً: صدوق في حفظه شيء، وقد صرح بسماعه في رواية عبد الله في زوائد الفضائل رقم ٢٥٨؛ وأما أبوخالد مولى آل جعدة فتابعه أبوحازم عند الحاكم ٧٣/٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وهذا من أوهامهما لأن الدالاني لم يخرج له الشيخان. وقال الألباني في الضعيفة رقم ١٧٤٥: إن أبا حازم لا أدري أهكذا في رواية الحاكم أم هو تصحيف من الناسخ أو الطابع، قلت: قال الذهبي في تلخيص المستدرك كذلك: أبوحازم، وهكذا ذكره الحافظ في إتحاف المهرة ٦٠/١٥ رقم ١٨٨٦١، وتابعه أبويحيى مولى آل جعدة في زوائد الفضائل رقم ٥٩٣، فالإسناد بمجموع طرقه حسن.

(٢) ٧٨/٣، وقوله: والحق مع الحاكم. قلت: بل سكت عنه الحاكم وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: تفرد به محمد بن خالد الختلي عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن ابن سوقة، وأحسب محمدا وضعه. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٣٠٥/١. راجع الميزان ٥٣٤/٣ واللسان ٣٧١/١.

(٣) الترمذي (٣٦٧٠) أبواب المناقب باب قوله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: هكذا نبعث يوم القيامة، وقال: حسن غريب صحيح. قلت: بل فيه كثير أبو إسماعيل ضعيف فالإسناد ضعيف.

(٤) أما حديث ابن عمر فرواه الترمذي (٣٦٨٢) أبواب المناقب باب أن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وقال: حسن صحيح. وأحمد ٥٣/٢ و٩٥ وابن حبان (٦٨٩٥). وأما حديث أبي ذر فرواه الحاكم ٤٦١/١ وابن ماجه (١٠٨) كتاب السنة في فضل عمر رضي الله عنه، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٤٩)، وأما حديث علي فلم أجده وقد روي عن أبي هريرة وبلال ومعاوية والفضل بن عباس وعائشة وأبي بكر الصديق. راجع الفتح ٥٠/٧ والكنز ٥٧٣/١١،٥٨٠ وصحيح الجامع ص ١٧٣٦.

(٥) أما حديث أبي هريرة فرواه البخاري (٣٦٨٩) كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر. وأما حديث عائشة فرواه مسلم (٦٢٠٥) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله عنه.

(٩) ومثله حديث عقبة بن عامر: لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب[١].

(١٠) والحديث: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان فجا إلا سلك فجا غير فجك. من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة وبريدة السلمي[٢].

(١١) وحديث موافقة عمر الفاروق للوحي الإلهي من رواية عمر وابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم.[٣]

(١٢) والحديث: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين. من رواية علي بن أبي طالب وأنس وأبي جحيفة[٤].

(١٣) والحديث: أن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبابكر وعمر منهم وأنعما، أخرجه الترمذي وابن ماجه[٥].

(١٤) والحديث: ألا أستحي ممن يستحيى منه الملائكة!يعني عثمان. أخرجه مسلم[٦].

(١٥) والحديث: لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان، أخرجه

---

(١) الترمذي (٣٦٨٦) أبواب المناقب باب قوله صلى الله عليه وسلم لو كان نبي بعدي لكان عمر، وقال: حسن غريب، والحاكم ٨٥/٣ وأحمد ١٥٤/٤ وابن حبان كذا في الفتح ٥١/٧ والفسوي في المعرفة ٤٦٢/١ والخطيب في الموضح ٢٢٦/٢. راجع الكنز ٥٧٨/١١ وسلسلة الصحيحة رقم ٣٢٧.

(٢) أما حديث سعد فرواه البخاري (٣٦٨٣) كتاب فضائل أصحاب النبي باب مناقب عمر، ومسلم (١٠٥٥) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله عنه. وأما حديث أبي هريرة فلم أجده. وأما حديث عائشة فرواه الترمذي (٣٦٩١) أبواب المناقب باب قوله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليخاف منك يا عمر. وقال: حسن صحيح، وحسنه الألباني في تحقيق المشكاة رقم (٦٠٤٠) وأما حديث بريدة فرواه الترمذي (٣٦٩٠) أبواب المناقب باب قوله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليخاف منك يا عمر. وقال: حسن صحيح، وأحمد ٣٥٣/٥، ٣٥٦ وابن أبي شيبة ٢٩/١٢ والبيهقي ١٠/ ٧٧ وابن أبي عاصم في السنة: ١٢٥١، وابن حبان ص ٥٣٦. وقد روي هذا عن حفصة وابن عباس وغيرهما. راجع الكنز ٥٧٤/١١- ٥٧٥-٥٨١.

(٣) البخاري (٤٠٢) كتاب الصلاة باب ما جاء في القبلة، و(٤٤٨٣) في التفسير، تفسير قوله ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ ومسلم (٦٢٠٦) كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر رضي الله عنه، والترمذي (٢٩٥٩ و٢٩٦٠) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة.

(٤) الترمذي (٣٦٦٥ و ٣٦٦٦) أبواب المناقب باب أبوبكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة ما خلا النبيين من حديث علي وفيه الوليد بن محمد الموقري وهو متروك، وابن ماجه (٩٥) كتاب السنة فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الخطيب ١٠/ ١٩٢. وفي إسناده الحارث الأعور وهو ضعيف وله شواهد، راجع الصحيحة رقم ٨٢٤، و(٣٦٦٤) باب اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر من حديث أنس، وابن ماجه (١٠٠) كتاب السنة فضل أبي بكر الصديق من طريق أبي جحيفة.

(٥) الترمذي (٣٦٥٨) أبواب المناقب باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وحسنه. وابن ماجه (٩٦) كتاب السنة فضل أبي بكر الصديق، وأحمد ٢٧/٣-٩٣ وأبويعلى رقم ١١٢٥عن أبي سعيد. وقد روي عن جابر بن سمرة وابن عمر وأبي هريرة أيضا. راجع الكنز ٥٦١/١١. وصحيح الجامع: ٢٠٣١.

(٦) (٦٢٠٩) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عثمان بن عفان من حديث عائشة رضي الله عنها.

الترمذي[1].

(١٦) و الحديث: أما ترضى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى؟ برواية سعد بن أبي وقاص وجابر وغيرهما[2].

(١٧) و الحديث: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، رواه جماعة من الصحابة[3].

(١٨) وقال علي عن النبي ﷺ: إن لكل نبي سبعة نجباء رفقاء[4]، وأعطيت أنا أربعة عشر [قلنا من هم؟]، قال: أنا وابناي وجعفر وحمزة وأبوبكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وعبدالله بن مسعود وأبوذر والمقداد [وحذيفة]. رواه الترمذي[5].

وسنذكر في فصل قادم ما ثبت بالنقل المستفيض المعنى من السيرة المرضية للخلفاء الأربعة رضي الله عنهم.

(٤) ترشيح الخليفة من قبل رسول الله ﷺ لمهام الخلافة قولا وفعلا

من لوازم الخلافة الخاصة أن يكون الخليفة شخصا عامله رسول الله ﷺ مرارا وتكرارا، قولا وفعلا، معاملة الأمير لولي عهده. و لهذه المعاملة صور وطرق كثيرة، منها:

---

(١) (٣٦٩٨) أبواب المناقب باب ورفيقي في الجنة عثمان من حديث طلحة بن عبيد الله وقال: غريب وليس إسناده بالقوي وهو منقطع. وابن ماجه (١٠٩) كتاب السنة فضل عثمان رضي الله عنه من حديث أبي هريرة. راجع الضعيفة: ٢٢٩٢.

(٢) أما حديث سعد بن أبي وقاص فرواه مسلم (٦٢٢١) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، والترمذي (٣٧٣٠) أبواب المناقب باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى عليٌّ يوم الثلاثاء، وأحمد. وأما حديث جابر فرواه الترمذي (٣٧٣١) أبواب المناقب باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى عليٌّ يوم الثلاثاء، وقد روي من حديث أبي سعيد وابن عباس وابن عمـــر وعلي نفسه والبـــراء وزيد بن أرقم وأسماء بنت عميس وأم سلمة. راجع المجمع ٩/ ١١٠ والكنـــز ١١/ ٦٠٦، ٦٠٧.

(٣) البخاري (٣٧٠٢) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب علي بن أبي طالب، ومسلم (٦٢٢٠) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) لفظ الترمذي: ان كل نبي أعطي سبعة نجباء رفقاء، ووقع في المطبوعة "رقباء" بدل رفقاء. وفي ذكر الأسماء تقديم وتأخير بل سقط اسم حذيفة أيضاً.

(٥) (٣٧٨٥) أبواب المناقب باب إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وقال: حسن غريب من هذا الوجه، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٠٨٧ والطبراني ٦/ ٢٦٤، ٢٦٥، وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٦١٧ والذهبي في الميزان ٣/ ٤٠٢ وابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٢٨٠، ٢٨١ كلهم من طريق كثير النواء. وقد روي عن علي موقوفا، قلت: إسناده ضعيف لضعف كثير النواء والجهالة المسيب بن نجبة ولفظه: إن كل نبي أعطي سبعة نجباء رفقاء، أو قال: رقباء، وأعطيت أنا أربعة عشر. قلنا: من هم؟ قال: أنا و.... وسلمان وعمار والمقداد وحذيفة وعبدالله بن مسعود. راجع الكنـــز

الأولى: أن يبين الرسول ﷺ استحقاقه لتولي الخلافة بعده بذكر فضائله وحسن تدبيره في التعامل والسلوك مع الأمة.

الثانية: أن يظهر الرسول ﷺقرائن قوية كثيرة يدرك منها فقهاء الصحابة أنه لو كان مستخلفا لاستخلف فلانا[١] وليعلموا: أن أحب الناس إلى الرسول ﷺفلان[٢]و ليقولوا توفي رسول الله ﷺوهو عنهم راض،[٣] وما شابه ذلك.

الثالثة: بأن يأمره رسول الله ﷺ في حياته بإنجاز أعمال تخص ذاته الشريفة من حيث النبوة.

والسبب الذي يقتضي اشتراط توفر هذه الصفة فيمن يخلف النبي ﷺو يتولى الرياسة بعده هو تأكيد ثقة الأمة بخلافته من وجهة نظر الشريعة. ولهذا السبب كان الشيخان رضي الله عنهما إذا أرادا استعمال شخص على أمر من أمور الخلافة نظرا أ كان رسول الله ﷺ ولاه أمرا من أمور المسلمين. فإن وجداه أمضيا ما أراداه وإلا توقفا. وقد بلغت أمثال هذه القصص حد التواتر وسنذكر بعضها في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

و أيضا ليمكن نسبة ما سيقوم به خليفة رسول اللهﷺ من أمور الدين إليه بطريق نسبة الفعل إلى الآمر به، مثل قولنا: بنى الأمير المدينة.

أما بيان رسول اللهﷺمناقب الخلفاء وذكره لصفاتهم التي تؤكد استحقاقهم للخلافة فقد ورد عنه بطرق مشهورة ومستفيضة في سرد مناقب جماعة من أفاضل الصحابة مرة وبطريق ذكر فضائلهم الفردية مرة أخرى. ويشبه هذا البيان من الرسول ﷺ الإجازة التي يمنحها العلماء اليوم لرواية الحديث وتدريس العلوم والفتاوي لمن يختاروهم من تلامذتهم ليخلفوهم، وينصون على استحقاقهم للخلافة.

وكان الرسولﷺ قد صرح باختصاص كبار الصحابة وأفاضلهم بمرتبة الخلافة. ومن الروايات التي تدل على هذه الأمور:

(١) حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: أرحم أمتي بها أبوبكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب.... الخ أخرجه أبو عمر

---

(١) قول عائشة رضي الله عنها رواه مسلم (٦١٧٨) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر.

(٢) قال عبد الله بن شقيق قلت لعائشة: أي أصحاب النبيﷺ كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: أبوبكر. الترمذي (٣٦٥٧) أبواب المناقب باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٠١) كتاب السنة فضل أبي بكر الصديق عن أنس قيل: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قيل: من الرجال؟ قال: أبوها. ومسلم (٦١٧٧) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) راجع ص ٥٠.

في أول الاستيعاب.[(١)]

(٢) وحديث شيخ من الصحابة يقال له أبو محجن أو محجن بن فلان، قال: قال رسول الله ﷺ: إن أرأف أمتي بأمتي أبوبكر، فذكر الحديث[(٢)].

(٣) وحديث أنس بن مالك: أرحم أمتي بأمتي أبوبكر فذكر مثله. أخرجهما أبو عمر في الاستيعاب[(٣)].

(٤) وحديث ابن مسعود وحذيفة: لا أدري ما بقائي فيكم؟ فاقتدوا باللذين من بعدي[(٤)].

(٥) وحديث علي المرتضى وحذيفة: إن تؤمروا أبابكر تجدوه أمينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قويا أمينا لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا عليا، ولا أراكم فاعلين، تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم[(٥)].

(٦) وسئلت عائشة: من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلفه؟ قالت: أبوبكر. فقيل: ثم من بعد أبي بكر ؟ قالت: عمر. قيل: من بعد عمر ؟ قالت: أبو عبيدة[(٦)].

(٧) وقال عمر: ما أحد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن[(٧)].

---

(١) ١/٨ وفي اسناده زيد العمي ضعيف وله شواهد.

(٢) الاستيعاب ١/٨، وفي إسناده أبو سعد البقالي سعيد بن مرزبان وهو ضعيف كما في التقريب ص ١٩٣ ووقع في الاستيعاب: أبو سعيد، والصواب: أبو سعد.

(٣) ١/٨ والترمذي (٣٧٩٠) أبواب المناقب باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت...الخ، وابن ماجة (١٥٤) وزاد فيه: وأقضاهم علي بن أبي طالب. وأحمد ٣/١٨٤، ٢٨٠ وابن حبان ٢٢١٨ والحاكم ٣/٤٢٢. رجاله ثقات كما في التحفة. راجع الصحيحة: ١٢٢٤.

(٤) أما حديث ابن مسعود فرواه الترمذي (٣٨٠٥) أبواب المناقب باب مناقب عبد الله بن مسعود، والحاكم ٣/٧٦ وصححه، لكن تعقبه الذهبي وقال سنده واه، والبيهقي في مناقب الشافعي ١/٤٣٩. وقال الترمذي: غريب من هذا الوجه ويحيى بن سلمة يضعف في الحديث. وأما حديث حذيفة فرواه الترمذي (٣٦٦٣) أبواب المناقب باب اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، وحسنه، وابن ماجه (٩٧) كتاب السنة فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والحميدي ١/٣١٤ وابن حبان ص ٥٣٩ والحاكم ٣/٧٥ وأحمد ٥/٣٨٥، ٤٠٢ والبيهقي في مناقب الشافعي ١/٤٣٧ وغيره. راجع الصحيحة: ١٢٣٣.

(٥) أما حديث علي فرواه أحمد ١/١٠٩ وفي فضائل الصحابة ١/٢٨٤، وابنه في كتاب السنة ١/٥٤١ والحاكم ٣/٧٠ وأبو نعيم ١/٦٤ والبزار كما في الكشف ٢/٢٥٥ وابن حبان في المجروحين ٢/٢٠٩ وابن الجوزي في العلل المتناهية ١/٢٥١ وغيرهم وأما حديث حذيفة فرواه الخطيب في تاريخه ٣/٣٠٢ وأبونعيم في الحلية ١/٦٤ والحاكم ٣/٧٠. والحديث معلول.

(٦) مسلم (٦١٧٨) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر.

(٧) راجع ٥٠.

(٨) وحديث أبي سعيد قال: قال رسول اللهﷺ: ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض. أما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل. وأما وزيراي من أهل الأرض فأبوبكر وعمر. أخرجه الترمذي[1]. وللحديث طرق عند الحاكم[2] وغيره.

(٩) وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، أخرجه جماعة[3].

أما ترشيحه إياهم بمعاملتهم معاملة من يرشح للإمارة، فيشهد به ما يأتي:

١. تفويض إمامة الصلاة عند ذهاب النبي ﷺإلى قبيلة بني عمرو بن عوف، إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٢. تعيين أبي بكر الصديق رضي الله عنه في تبوك لاستعراض جيش المسلمين لما خرجوا من البلد وتفويض إمامة الصلاة إليه.

٣. تفويض إمامة الصلاة إلى أبي بكر في مرضه الأخير. وهذا متواتر المعنى.

٤. تعيين أبي بكر الصديق رضي الله عنه أميرا للحج في السنة التاسعة.

٥. وبعثه في غزوات كثيرة.

٦. استشارة النبي ﷺالشيخين دائما في أمور المسلمين.

٧. وتأمير عمر الفاروق رضي الله عنه على بعض الغزوات.

٨. وتعيينه عاملا على صدقات المدينة.

٩. بعث عثمان رضي الله عنه إلى أهل مكة في صلح الحديبية.

١٠. تعيينه عليا والي اليمن، والدعاء له بتيسير القضاء.

وهذه الاحاديث في مجموعها تصير متواترة المعنى.

---

(١) (٣٦٨٠) أبواب المناقب باب: فأما وزيراي في الأرض فأبوبكر وعمر... وقال: حسن غريب وأحمد في فضائل الصحابة: ١٠٦، ١٥٢، وابن عدي في الكامل والبخاري في تاريخه ١/١٥٩ من طريق تليد عن أبي الجحاف عن عطية عن أبي سعيد، وتليد رافضي ضعيف وعطية صدوق يخطيء كثيرا. فالحديث ضعيف وقال أحمد: الصواب أنه مرسل.

(٢) ٢/٢٦٤ من طريق سوار بن مصعب عن عطية به، وسوار متروك، وعطية العوفي فيه كلام. ورواه باسناد آخر وقال صحيح الاسناد، ووافقه الذهبي لكن فيه عطاء بن عجلان متروك. وله شاهد عن ابن عباس وأبي ذر وابن عمر وأبي أمامة رضي الله عنهم بأسانيد ضعيفة.

(٣) الترمذي (٣٧١٣) أبواب المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال: حسن غريب والنسائي في الكبرى والضياء والحاكم ٣/١١٠ وابن أبي عاصم في السنة: ١٣٦٥ وابن حبان ص ٥٤٤ عن زيد بن أرقم. وقد روي عن بريدة والبراء وسعد بن أبي وقاص وعلي وأبي أيوب وابن عباس وأنس وأبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهم. راجع سلسلة الصحيحة حديث رقم١٧٥٠.

(٥) إنجاز مواعيد الله عز وجل على يد الخليفة

و من لوازم الخلافة الخاصة أن تنجز على يد الـخليفة بعض الـمواعيد التي وعدها الله عز وجل رسوله ﷺ. وهذه علامة تختلف عن غيرها من علامات الخلافة الخاصة بأنها لا تعرف إلا بعد انعقاد الخلافة فعلا. وقد تحققت في الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم.

فمن المواعيد التي وعدها الله تعالى

(١) قوله سبحانه وتعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[١]؛ فذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

(٢) وذكر في الآية ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[٢]: تمكين الدين وتقويته على يدهم وعلى حسب سعيهم واجتهادهم، وحصول الأمن من الكفار.

(٣) وأشار سبحانه وتعالى في الآية ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾[٣] إلى فتح البلدان وشيوع الإسلام في الأقاليم المعمورة.

(٤) ووعد سبحانه وتعالى في الآية ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٤] غلبة دين الإسلام على اليهودية والنصرانية والمجوسية.

وتمت جميع هذه الأعمال والمواعيد في عصر الخلفاء الثلاثة ﷺ.

(٥) وذكر سبحانه وتعالى في الآية ﴿مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ﴾[٥] قتال أهل الردة وكان في زمان أبي بكر الصديق ﷺ.

(٦) وذكر في الآية ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾[٦] الاستنفار العام وحشد العساكر لقتال فارس والروم. وكان قد وقع كل ذلك في زمان المشايخ الثلاثة رضي الله عنهم.

(٧) ووعد في الآية ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ﴾[٧] جمع القرآن الكريم في المصاحف، وتم في زمان المشايخ الثلاثة ﷺ.

(٨) وذكر في الحديث القدسي: إن الله مقت عربهم وعجمهم[٨] قتال العجم، وقد وقع في زمن الخلفاء الثلاثة ﷺ.

---

(١) سورة الحج: ٤١.
(٢) سورة النور: ٥٥.
(٣) سورة الفتح: ٢٩.
(٤) سورة الفتح: ٢٨.
(٥) سورة المائدة: ٥٤.
(٦) سورة الفتح: ١٦.
(٧) سورة القيامة: ١٧.
(٨) راجع ص ٥٣.

(٩) ووعد في الحديث: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده"[١]. وكذلك في الحديث "لتفتحن كنوز كسرى[٢]": وقد كان فتح فارس والروم في زمن المشايخ الثلاثة ﷺ.

(١٠) وأخبر في الحديث: "لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"[٣]، وكذلك في حديث آخر بلفظ: "يلي قتلهم أولى الفرقتين"[٤] عن قتال الخوارج وكان في زمن علي المرتضى ﷺ.

(٦) أن يكون الخليفة ممن يحتج بقولهم في الدين

ومن لوازم الخلافة الخاصة أن يكون الخليفة ممن يحتج بقولهم في الدين. وهذا لا يعني أن يصح تقليد عامة الناس له. فان ذلك من لوازم الاجتهاد الذي مر بيانه في مبحث الخلافة العامة. وكذلك لا يعنى أن يكون الخليفة نفسه واجب الإطاعة من غير أمر من النبيﷺ. فإن هذا الأمر لا يصح إلا للنبي صلى الله عليه وسلم. بل المراد هنا منزلة بين المنزلتين وتفصيله أن يكون النبي ﷺ قد فوض بعض الأمور إلى شخص بعينه مع ذكر اسمه، فيجب على المسلمين متابعته في هذه الأمور. مثاله وجوب طاعة أمراء جيوش النبي ﷺ بموجب أمره.

ويشبه هذه الخصلة في الخلفاء الراشدين ﷺ قول زيد بن ثابت رضي الله عنه في الفرائض والذي ينبغي تقديمه على أقوال غيره من المجتهدين، ومثله تقديم قول عبدالله بن مسعود في القراءة والفقه وقول أبي بن كعب في القراءة على قول غيرهما، وكذلك يقدم مذهب أهل المدينة عند اختلاف الأمة على أقوال غيرهم.

وكان رسول الله ﷺ علم بتعليم الله له أن أمته ستفترق بعده وستتحير في بعض المسائل، فاقتضت رأفته الكاملة بأمته أن يهديهم إلى طريق الخلاص منها ويقيم الحجة لهم في هذا الباب.

وهذه الخصلة ثابتة للخلفاء الأربعة. فإن الله تبارك وتعالى يقول ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾[٥]. فأفاد أن الدين الذي يمكّن، وينتشر، ويظهر بسعي هذه الجماعة يكون هو الدين المرتضى. فعلم بذلك نسبة الدين الذي سيقوم بجهودهم إلى الشرع. وكذلك أفاد قوله

---

(١) البخاري (٦٦٣٠) كتاب الأيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، ومسلم (٧٣٣٠) كتاب الفتن باب هلاك كسرى وقيصر، عن جابر بن سمرة.

(٢) البخاري (٣٥٩٥) علامات النبوة في الإسلام، من حديث عدي بن حاتم.

(٣) البخاري (٣٣٤٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ ومسلم (٢٤٥١) كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاهم.

(٤) مسلم (٢٤٥٧ و ٢٤٥٨ و ٢٤٥٩) كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاهم، من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد.

(٥) سورة النور: ٥٥.

تعالى ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾[١] أن ما سيقومون به من الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محمود ومرضي عند الله. وهذا ما يصرح به حديث العرباض بن سارية: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي[٢]. وكذلك الحديث الذي رواه ابن مسعود وحذيفة رضي الله عنهما: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر[٣]. وقد روي هذا الأمر عن أكابر الصحابة أيضا، كما أخرج الدارمي[٤] عن عبدالله بن أبي يزيد قال: كان ابن عباس إذا سئل عن الأمر، فكان في القرآن أخبر به. وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله صلى عليه وسلم أخبر به، فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر. فإن لم يكن قال فيه برأيه.

وبهذا الأصل تمسك المجتهدون من التابعين وأتباعهم. وبه قال أصحاب المذاهب الأربعة، كما يعرفه كل من تأمل كتاب الموطأ وكتاب الآثار لمحمد بن الحسن. وتردد فيه بعض الأصوليين من الشافعية. والغالب أن ترددهم نشأ عن عدم أخذ السلف ببعض آثار الخلفاء ﷺ. والتحقيق في هذا الباب أن تقديم بعض الأدلة الشرعية على الأخرى لتعارضها لا ينبغي الاحتجاج بها كما يترك خبر الواحد إذا خالف حديثا مشهورا أو إجماعا. فلا يلزم منه أن خبر الواحد ليس بحجة.

و مما ينبغي أن يعلم أن مآخذ الفقه على طبقات، ولكل طبقة حكمها. ولمزيد من الشرح ننقل هنا كلام الإمام الشافعي رحمه الله:

قال البيهقي في السنن الصغرى[٥] أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو: قال حدثنا أبوالعباس قال أخبرنا الربيع قال قال الشافعي رحمه الله: ما كان الكتاب والسنة موجودين، فالعذر عند من سمعهما مقطوع إلا باتباعهما. فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب النبيﷺ أو واحدهم. ثم قال: قول الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان، قال في القديم: وعلي رضي الله عنهم، إذا صرنا إلى التقليد، أحب إلينا. وذلك إذا لم نجد دلالة في الاختلاف تدل على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة. فنتبع القول الذي معه الدليل. ثم بسط الكلام في ترجيح قول الأئمة إلى أن قال: فإذا لم يوجد عن الأئمة فأصحاب رسول الله ﷺ في الدين في موضع الأمانة، أخذنا بقولهم، وكان اتباعهم أولى بنا من اتباع من بعدهم. قال: والعلم طبقات: الأولى: الكتاب والسنة إذا ثبتت السنة. ثم الثانية:

---

(١) سورة الحج: ٤١.

(٢) الترمذي (٢٦٧٦) أبواب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، وقال: حسن صحيح؛ وأبوداود (٤٦٠٧) كتاب السنة باب في لزوم السنة، وابن ماجه (٤٣) كتاب السنة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وأحمد ١٢٦/٤، ١٢٧ والدارمي ٤٥/١، وابن حبان في الاحسان رقم ٥، والحاكم ٩٥/١، ٩٧. راجع الإرواء رقم ٢٤٥٥.

(٣) راجع ص ٦٣.

(٤) ٥٩/١، ورجاله موثقون لكنه منقطع لأن عبد الله بن أبي يزيد لم يسمع من ابن عباس.

(٥) المعرفة ١٠٧/١. راجع لشرحه الأم ٧٧/٧ وإعلام الموقعين ٢١٧/٢.

الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة. والثالثة: أن يقول بعض أصحاب النبي ﷺ ولا نعلم له مخالفا منهم. و الرابعة: اختلاف أصحاب النبي ﷺ. والخامسة: القياس على بعض هذه الطبقات. ولا يصار إلى شيء غير الكتاب والسنة وهما موجودان. وإنما يؤخذ العلم من الأعلى.

(٧) وجوب كون الخليفة أفضل الأمة في زمن خلافته

ومن لوازم الخلافة الخاصة أن يكون الخليفة أفضل الأمة في عصر خلافته عقلا ونقلا. وذلك لوجوه كثيرة، منها:

الوجه الأول: لما سبق أن شرحناه في تمهيد النكتة الأولى أن أمر الأمة لا يستقيم إلا إذا تكافأت الخلافة الظاهرة والخلافة الحقيقية ووضع كل شيء موضعه.

الوجه الثاني: نكتة أخرى جديرة بالاعتبار، خلاصتها أن رياسة الخواص لا تليق إلا بمن هو أخص الخواص؛ لأنها لا تكون مطلقة. وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا خواص الأمة فلا ينبغي رياستهم إلا لمن يكون أفضلهم وأخصهم. بينما نصب من ليس بأفضل رخصة لا تخلو من ضعف، ولا تستحق المدح من كل وجه.

الوجه الثالث: المطلوب في الخلافة الخاصة تمكين الدين المرضي من كل الوجوه. وهذا لا يتم إلا باستخلاف الأفضل. و إليه أشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله الذي قاله عندما استخلف الإمام الحسن: إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدي على خيرهم، رواه الحاكم[١]. وذلك بخلاف الخلافة العامة التي المطلوب فيها تمكين الدين المرضي من وجه دون وجه لا من كل الوجوه.

الوجه الرابع: أن الخلافة الخاصة تقاس على النبوة. ولذلك سميت في الحديث "خلافة على منهاج النبوة"[٢]؛ تكون نبوة ورحمة وخلافة ورحمة[٣] و لأنها تجمع الرياستين الدينية والدنيوية ظاهراً وباطناً. وكما يدل استنباء شخص على أنه أفضل الأمة حتى يرتفع القبح عن المستنبئ عز وجل، كذلك يدل استخلاف شخص على أفضليته.

الوجه الخامس: إن استعمال المفضول عند وجود الأفضل منه خيانة، وذلك لما ورد في

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ في المستدرك. نعم رواه من طريق صعصعة قال: قلنا يا أمير المؤمنين استخلف علينا. فقال: أترككم كما تركنا رسول الله ﷺ. قلنا يا رسول الله ﷺ: استخلف علينا. فقال: إن يعلم الله فيكم خيرا يول عليكم خياركم. وفي رواية قال علي: إن علم الله في قلوبكم خيرا يستخلف عليكم خياركم. المستدرك ١٤٥/٣ والبيهقي في الاعتقاد ص ١٨٤ أيضا.

(٢) راجع ص ٥٠.

(٣) سيأتي في مسندي أبي عبيدة ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما. راجع ص ٩٥.

الحديث الذي روي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: من استعمل رجلا من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين[١].

و لما روي عن أبي بكر الصديق ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمّر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله. لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم. أخرجهما الحاكم[٢].

إذا كان هذا حال استعمال المفضول في الأمور العامة فكيف أمر الخلافة الكبرى إذا أسندت إليه ؟ نعم، قد يجوز طرق أبواب الرخصة عند التباس الأمور واختلاط الخير والشر وعدم انتظام الأمر على ما هو حقه.

الوجه السادس: أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين جعلوا الأفضلية مدار الاستخلاف عندما تشاوروا في تعيين خليفة رسول الله ﷺ وقالوا: أحق بهذا الأمر. و كان الذين تكلموا منهم في استخلاف أبي بكر الصديق ﷺ لما أدركوا خطئهم اقتنعوا بأفضليته. وهذا لأن الخلافة الخاصة مخصوصة بالأفضلية.

أما طرق إثبات أفضلية الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم بترتيب خلافتهم فثابتة بأدلة كثيرة. و نكتفي في هذه العجالة بذكر ثلاثة طرق منها:

الطريق الأول: أن استخلاف هؤلاء العظماء قد ثبت بالنص والإجماع. والاستخلاف بهذا الطريق يلزم الأفضلية كما مر تقريره.

الطريق الثاني: وردت أحاديث مرفوعة كثيرة تنص على أفضليتهم، منها:

(١) حديث ابن عمر: كنا نخير في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول: أبوبكر خير هذه الأمة، ثم عمر، ثم عثمان[٣].

---

(١) ابن عدي ٣٥٢/٢ والعقيلي ٢٤٨/١ وابن أبي عاصم في السنة: ١٤٦٢، والحاكم ٩٢/٤ وقال: صحيح الإسناد. لكن تعقبه الذهبي فقال: حسن ضعيف كما في فيض القدير ٥٦/٦. وقد سقط هذا في تلخيص المستدرك. وتابعه يزيد بن أبي حبيب عند البيهقي ١١٨/١٠ لكن مداره على ابن لهيعة وهو مختلط. وله طريق آخر عند الخطيب في تاريخه ٧٦/٦ لكن فيه إبراهيم بن زياد القرشي مجهول. ذكره الألباني في الضعيفة: ٤٥٤٥.

(٢) ٩٤/٤ وقال: صحيح الاسناد، لكن تعقبه الذهبي: بكر بن خنيس قال الدارقطني: متروك. ورواه أحمد ٦/١ وفيه رجل لم يسم كما في المجمع ٢٣٢/٥.

(٣) البخاري (٣٦٥٥) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب فضل أبي بكر بعد النبي

(٢) وحديث: هذان سيدا كهول أهل الجنة[١].

ومنها التي تذكر أفضليتهم بالتلويح مثل:

(٣) حديث أبي بكرة وعرفجة الذي فيه قصة وزن الميزان ورجحانهم بترتيب الخلافة[٢].

(٤) وحديث أبي هريرة الذي فيه: أما إنك يا أبابكر أول من يدخل الجنة[٣].

(٥) وحديث جابر الذي فيه "يتجلى الله في الآخرة للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة"[٤] رواه الحاكم.

(٦) وحديث: إن أهل الجنة ليتراءون أصحاب الغرف... الخ[٥].

الطريق الثالث: إجماع الصحابة على أفضليتهم إجمالا وتفصيلا. وقصته طويلة جدا، إذ رويت عن كل من فقهاء الصحابة كلمات "خير هذه الأمة"[٦]، و "أحق بهذا الأمر"[٧] وأمثالها. ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعضها:

(١) قال عمر الفاروق عند بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: أنت أفضل مني[٨].

(٢) وقال أبوعبيدة: تأتوني وفيكم ثالث ثلاثة، مشيرا إلى الآية الكريمة ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾[٩].

(٣) وما قاله أبوبكر الصديق رضي الله عنه عندما استخلف عمر الفاروق، وشكاه الناس بقولهم: لو قد ولينا كان أفظ وأغلظ. فأجابهم: أبربي تخوفوني؟ أقول: اللهم استخلفت

صلى الله عليه وسلم و أبوداود (٤٦٢٧) كتاب السنة باب في التفضيل.

(١) راجع ص ٦٠.

(٢) أما حديث أبي بكرة فرواه أبوداود (٤٦٣٤) كتاب السنة باب في الخلفاء والترمذي (٢٢٨٧) أبواب الرؤيا باب ما جاء في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في الميزان والدلو، وقال: حسن صحيح. والحاكم ٧١/٣، وقال: صحيح على شرط الشيخين. لكن قال الذهبي: أشعث هذا ثقة. لكن ما احتجا به. وأما حديث عرفجة فذكره أبو عمر في الاستيعاب في ترجمة عرفجة ٤٩٦/٢. والطبراني في الأوسط رقم ٨١٧ وفيه عبدالأعلى بن أبي المساور وثقه في رواية وضعفه في روايات كما في المجمع ٥٩/٩ قلت: بل هو متروك وكذبه ابن معين كما في التقريب. وعزاه المتقي في الكنز ٦٣٣/١١ للشيرازي. وأخرجه الإسماعيلي في معجمه ٧١٧/٣ رقم الترجمة: ٣٣٣. وأحمد في فضائل الصحابة رقم ٢٢٠.

(٣) راجع ص ٥٩.

(٤) راجع ص ٥٩.

(٥) الترمذي (٢٥٥٦) أبواب صفة الجنة باب ماجاء في ترائي أهل الجنة الخ وابن ماجه (٩٦) كتاب السنة، فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وضعفه الألباني في تعليقه علي المشكاة رقم ٦٠٤٩.

(٦) رواه أحمد وابنه ١/١١٠، ١١٣، ١٢٦. وأبو يعلي برقم ٥٣٦. وإسناده صحيح.

(٧) راجع ص ٥٠.

(٨) ابن أبي شيبة في المصنف ١٤/ ٥٦٩ وفيه رجل لم يسم. وبقية رجاله ثقات.

(٩) ابن أبي شيبة في المصنف ٥٦٩،٥٧٠/١٤ وهو مرسل، وابن سعد في الطبقات ١٨١/٣.

عليهم خير خلقك. أخرج أبوبكر بن أبي شيبة كل ذلك[1].

(٤) **ولكن أكثرها تصريحا** قول سيدنا علي المرتضى الذي روي عنه بالتواتر أنه قاله على منبر الكوفة في خلافته: خير هذه الأمة أبوبكر ثم عمر. روى هذا اللفظ محمد بن الحنفية وأبوجحيفة وعلقمة ونـــزال بن سبرة وعبد الخير وحكم بن حجل وغيرهم[2].

(٥) وروى كل منهم بطرق متعددة ومستفيضة أنه قال: سبق رسول الله صلى عليه وسلم وصلى أبوبكر وثلث عمر، ثم خبطتنا فتنة. رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند والحاكم وغيرهما[3].

(٦) وكذلك روي بطرق مستفيضة أن عليا المرتضى قال عند جنازة عمر الفاروق رضي الله عنه: ما من الناس أحد أحب إلى أن ألقى الله بما في صحيفته من هذا المسجى. أخرجه الحاكم[4] من طريق سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن عليا دخل على عمر، وأخرجه محمد بن الحسن عن أبي حنيفة عن أبي جعفر الباقر عن علي مرسلا.

(٧) وكذلك روي عن علي رضي الله عنه بطريق أبي جحيفة وعبد الله بن عمر وغيرهما وثبت عنه بالاستفاضة أنه روى مرفوعا: هذان سيدا كهول أهل الجنة[5]. وروى أولاد الإمام الحسين كلهم هذا الحديث.

(٨) وقال أبوداود[6] حدثنا محمد بن مسكين قال حدثنا محمد يعني الفريابي قال سمعت سفيان يقول: من زعم أن عليا كان أحق بالولاية منهما فقد خطأ أبابكر وعمر والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، وما أراه يرتفع مع هذا له عمل إلى السماء.

(٩) وأخرج البيهقي[7] عن الشافعي بطرق متعددة أنه قال: اضطر الناس بعد رسول الله ﷺ إلى أبي بكر. فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر فولوه رقابهم.

ما مدار الأفضلية؟

وهنا مسألة أخرى يجب التنبه لها. وهي أن الشرائع لم تجعل الأمور العرفية التي يتبارى في ذكرها الشعراء من براعة النسب وقوة الفصاحة وزيادة الشجاعة وكمال الصباحة والتناهي في

---

(١) ابن أبي شيـــبة في المصنف ٣٥٦/١٢ و٥٧٢/١٤، ورجاله ثقات. لكن زبيدا لم يسمع من أبي بكر، وقد روى نحوه من طرق. راجع التاريخ لابن جرير ٥٤/٤ وابن سعد ٢٧٤/٣.

(٢) سيأتي تخريج مسانيدهم مفصلا، راجع ص ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣.

(٣) الحاكم ٦٧/٣ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. رواه أحمد ١١٢/١، ١٢٤، ١٣٢، ١٤٧.

(٤) ٩٤/٣ والشيباني في كتاب الآثار رقم ٨٦٩.

(٥) راجع ص ٦٠.

(٦) أبو داود (٤٦٣٠) كتاب السنة باب في التفضيل.

(٧) مناقب الشافعي ٤٣٤/١.

السخاء مدار الأفضلية. وإن كان الشرع استحسن هذه الخصال في الجملة. وكذلك لم تجعل العلوم الغريبة من الرمل والجفر والقيافة ولا الأمور التي لم تصرح بها الشريعة مثل معرفة وحدة الوجود ومراتب التنزلات الستة مدار الأفضلية. فإنها لم تذكرها فضلا عن جعلها مدار الأفضلية. ويقول المثل السائر: ثبت العرش أولا ثم انقش. وإنما المراد هنا الأوصاف والخصال التي جعلها القرآن العظيم والسنة الصحيحة مدار الأفضلية، وأطلق الشرع عليها "أعظم درجة" و"أكثر ثوابا" وغيرها من الأوصاف المماثلة التي ورد التنويه بها في مثل قوله تعالى

(١) ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾[1].

(٢) وقوله تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

(٣) وقال رسول الله ﷺ: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم[3].

(٤) وقال: من أفضل المسلمين أهل بدر[4]. أو كما قال.

وجوه أفضلية الخلفاء

فإذا تأملنا هذه الأمور ورجعنا هذه الصفات المفصلة إلى كلياتها، ورجعنا المقدمات إلى مقاصدها، ندرك أن مدار أفضلية الخلفاء بعضهم على بعض يرجع إلى مدى تشبههم بالأنبياء بحسب قوة اتصافهم بالخصال التي شرحناها في مبحث الخلافة الخاصة. فأيا ما شئت فقل.

ثم إن مقدمات إقامة الخلافة الخاصة ومكملاتهما كثيرة. والمقصود إنجاز مقاصد الخلافة لا الطرق الموصلة إليها. وإذا حصلت المقاصد فلا ينبغي الاشتغال بمناقشة المقدمات والمكملات. وذلك مثل عدو يجب قتله حتى ينجو الخلق من شره العام. فقام شاب وقضى عليه بأي شكل استطاعه. فقال أحمق: لو كان قتله بالسيف لكان أدل على شجاعته من القتل بالرمح، أو أن يقول: لو أن خشب الرمح كان من شجرة كذا كان أحسن. فهذا كله سفه وحمق.

---

(١) سورة الحديد: ١٠.

(٢) سورة النساء: ٩٥.

(٣) الترمذي (٢٦٨٥) أبواب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وقال: حسن غريب صحيح لكن في إسناده ضعف، والصواب أنه مرسل صحيح، راجع تعليق الألباني على المشكاة: ٢١٣.

(٤) البخاري (٣٩٩٢) كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدرا، عن رفاعة قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها. قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة.

(١) فأقوى وجوه الأفضلية كمال التمكين في الأرض، وظهور الدين المرضي على يد الخليفة. لأنه أصل الأصول ومدار المسائل الخاصة بالخلافة العامة والخاصة كلتيهما. وهذه الفضيلة في الخلفاء الثلاثة أظهر.

(٢) ومن أقوى وجوه أفضلية الخلفاء نص الشريعة على استخلافهم. وهذا المعنى في المشايخ الثلاثة أظهر، إذ ورد ذكر المشايخ الثلاثة دون غيرهم في أكثر أحاديث الخلافة.

(٣) ومن أقوى وجوه الأفضلية إتمام المواعيد الربانية التي وعدها الرسولﷺ. وذلك لأن حكمة الله تعالى اقتضت أن ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى قبل أن يتم بعض الأعمال التي كان وعدها إياه. فتمت ونفذت على يد خلفائه. فهي في الظاهر تنسب اليهم لأنهم أنجزوها، ولكنها في الحقيقة أعماله عليه الصلاة والسلام لأنه هو السبب في نفاذها. وكانت أيام الخلافة في الحقيقة تتمة أيام النبوة، إلا أن الوحي لم ينـزل فيها من السماء.

(٤) ومن أقوى وجوه الأفضلية نصرة الرسول ﷺ في تحمل أعباء النبوة وأداء الأمانة مخاصمة وجهادا وإنفاقا. قال الله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ﴾الخ[1]. والظاهر أن رسول الله ﷺ كان وحده. ولما أراد الله تعالى ظهور أمره ألهم أذكياء زمانه أن يقوموا بنصرته وتأييده. فالنصرة الربانية التي تشرف بها الرسول ﷺ شملتهم أيضا.

(٥) ومن أقوى وجوه الأفضلية التشبه بالنبي ﷺ في تأليف قلوب الناس على الإسلام. واتصاف الشيخين بهذه الصفة أظهر.

(٦) ومن أقوى وجوه الأفضلية التوسط بين النبي ﷺ وبين الأمة في نشر علوم القرآن والسنة. وهذا المعنى في الشيخين أظهر.

(٧) ومن أقوى وجوه الأفضلية جهاد الكفار من العرب والعجم ووجود هذه الصفة في المشايخ الثلاثة أبرز.

وبعد الفراغ من بيان لوازم الخلافة الخاصة علينا أن نعرف أن جمعا كثيرا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا قد اتصفوا بهذه الصفات بحسب ما لكل منهم، وبعضهم نالوا مرتبة الخلافة المقيدة مثل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في القراءة والفقه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه في القضاء وزيد بن ثابت رضي الله عنه في الفرائض. وكان القرشيون منهم الذين نالوا الأهلية لتحمل أعباء الرياسة استحقوا الخلافة المطلقة. وكان هؤلاء المستحقون للخلافة منتظرين فضل الله الذي يختار أحدهم لها فعلا، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وفي النهاية ينبغي أن يعلم أن كل فقرة من فقرات هذا الفصل مأخوذة من كتاب الله عز

---

(١) سورة الحديد : ١٠.

وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومؤيدة بأقوال كبار الأمة وعظماء أهل السنة، وأما تحريرها وترتيبها، ونقل الجزئيات إلى الكليات وشرح المسائل المستخرجة، فمن هذا العبد الضعيف وأثر من نور توفيق الله الذي سبق أن أشرت إليه. والحمد لله رب العالمين.

الـــبـاب الـــثـــالث

تفسير آيات الخلافة

ويحتوي تفسير ١١ آية من الآيات الدالة على خلافة
الخلفاء الراشدين وعلى لوازم خلافتهم الخاصة
وخاتمة في شرح نكتة دقيقة.

الآية الأولى: آية الاستخلاف

قال الله عز وجل في سورة النور التي صدرها بكلمته التامة ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[١].

الإشارة في قوله تعالى ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إلى استخلاف يوشع بعد موسى عليه الصلاة والسلام، واستخلاف داود وسليمان بعد مضي مدة من وفاة موسى عليه الصلاة والسلام. وحقيقة الاستخلاف في العرف القديم والجديد التمكين والتمليك ونصب الخليفة، كما قال الله تعالى ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢]. وقال النبي ﷺ: ما من نبي ولا خليفة، الحديث[٣]. وقال أيضا: سيكون في آخر الزمان خليفة يحثو المال، الحديث[٤]. والمراد من ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾: ليستخلفن جمعا منهم، كما يقال: استخلف بنو العباس وأثرى بنوتميم، ولو ان الذي يفوز بالخلافة والثروة في وقت واحد، واحد منهم فقط. وذلك لأن فوائد الخلافة والثروة تعود إلى القوم كلهم.

وليست هاتان النكتتان اللتان ذكرناهما آنفا من قبيل التأويل. وإنما هما من ظاهر الاستعمال. فانك لو تتبعت أمثال ذلك من اللغة لوجدت مائة منها توافق هذا التعبير الذي شرحناه بينما تجد عشرة بالمعنى الآخر. وهذا هو الميزان لمعرفة الفرق بين التأويل والمعنى الظاهر. وكذلك يستفاد من ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ أن الله تعالى أوجب انقياد الأمة للذين وعدوا بالاستخلاف فيما لهم من حقوق الخلافة. وذلك كما لو قال النبي ﷺ عن شخص: أمّرته عليكم، أو قال الخليفة: جعلت فلانا قاضيا عليكم، أو وليته القضاء عليكم، دل ذلك على ثبوت ما للأمير على السرية والقاضي على الرعية من الحقوق. فكأن هذا الكلام أسلوب موجز في إيجاب جميع الحقوق التفصيلية للخلافة.

---

(١) سورة النور: ٥٥.

(٢) سورة ص: ٢٦.

(٣) أحمد ٢٨٩/٢ عن أبي هريرة بلفظ: ما من نبي وخليفة أو قال: ما من نبي الا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر...، والبخاري (٧١٩٨) كتاب الأحكام باب بطانة الإمام وأهل مشورته، من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: "ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان"... .

(٤) مسلم (٧٣١٥) كتاب الفتن باب قسم الخليفة المال بغير عد، من حديث جابر وأبي سعيد. وأحمد ٥/٣.

ثم إنه لا فرق بين من قال: استخلفت فلانا عليكم، وقوله: وعدت فلانا أن أستخلفه عليكم غدا فان الغد إذا جاء ينجز الوعد.

ثم إن كلمة ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ تدل على أن الله سبحانه وتعالى مستخلفهم وأن نسبة الاستخلاف إليه. وحقيقة ذلك أن الله سبحانه وتعالى مدبر السماوات والأرض، ولطيف لما يشاء. وإذا كان صلاح العالم في نصب خليفة، ألهم قلوب الأمة استخلاف الشخص الذي تقتضي حكمته.

والحق أن جميع الحوادث منسوبة إلى الله تعالى. لكن بعض الحوادث تختص بكونها بإلهام منه تعالى لتحقيق الخير والصلاح، أو بكونها مؤيدة منه تعالى بطريق خرق العادة، أو بما شابه ذلك من الأسباب والمعاني التي تخصص نسبتها إلى الله عز وجل. فيختار في بيانها هذا الأسلوب. ومنه قول الله تعالى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(١).

فنسبة الاستخلاف إليه تدل على كمال شرف الخلفاء، وأن الخلافة نعمة عظيمة ومثل ذلك النسبة في ﴿عِبَادِى﴾ و﴿بيت الله﴾ و﴿نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾. فإنها تدل على كمال التشريف والرضاء.

والمراد من كلمة ﴿مِنكُمْ﴾ من الأمة المحمدية، أو من الحاضرين عند نزول الآية. وعند التحقيق يتعين المعنى الثاني. لأننا إذا أردنا المعنى الأول يلزم منه التكرار بلا فائدة لأن سياق الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يغني عن ذلك. وإذا علم ان المراد منه الحاضرون عند نزول سورة النور خرج منه سيدنا معاوية وبنو أمية وبنو العباس.

قوله ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ يدل على أمرين:

الأول: عندما ينجز هذا الوعد، وتتحقق خلافة هؤلاء الذين وعدوا الاستخلاف يظهر الدين، ويتمكن على أكمل الوجوه. **والثاني**: أن ما سيتم ويظهر بسعي هؤلاء المستخلفين واجتهادهم من مسائل العقائد والعبادات والمعاملات والمناكحات وأحكام الخراج وغيرها التي يقومون بتنفيذها وإجرائها، يعد من الدين المرضي. لأنه مما حصل له التمكين.

فإذا وجد شيء من أقضيتهم أو فتاويهم في مسألة أو حادث يكون دليلا شرعيا يتمسك به المجتهدون باعتباره من الدين المرضي الذي حصل له التمكين ولو أن اجتهاد كل مجتهد ولو كان صحابيا يحتمل الخطأ. والذين يرون أن كل مجتهد مصيب يجوزون تعدد الجواب في كل مسألة. وأما الذين يقولون المصيب واحد والآخر معذور غير آثم، فاحتمال الخطأ عندهم موجود في الطرفين. فأقضية الخلفاء وفتاويهم تحتمل الخطأ أيضا. و لكن هذه الظنون لا تزيل الصفة

---

(١) سورة الأنفال: ١٧.

الشرعية التي أعطاها القرآن الكريم لما تم ونفذ على يدهم وسعيهم في خلافتهم. وعلى كل حال تكون أقوالهم أقوى من قياس القائسين واستنباط المستنبطين.

وذلك على عكس ما تزعمه الإمامية أن الدين المرضي لم يزل مستورا مخفيا دائما وأن أئمة أهل البيت كانوا يستعملون التقية دائما ولم يقدروا على إظهار دينهم أبدا. ويستفاد من هذه الآية أن الذي بقي مستورا مخفيا ليس مرضيا بل هو باطل لأنه لو كان مرضيا عند الله تعالى لأصبح ظاهرا ممكّنا حسب وعد الله الذي لا يخلف الميعاد.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾ يدل على أن هؤلاء المستخلفين وسائر المسلمين سيصبحون عند قيام خلافتهم مطمئنين آمنين لا يخافون الكفار من الأديان المختلفة ولا يخاف بعضهم بعضا وذلك على عكس ما تزعمه الإمامية أن أئمة أهل البيت كانوا خائفين حذرين دائما، واستعملوا التقية ولقوا الغوائل وهتك الأعراض من عامة المسلمين ولم يكونوا منصورين ولا مؤيدين أبدا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يدل على أن هؤلاء الذين وعدهم الله الاستخلاف والذين سينعم عليهم بالخلافة سيتصفون بكمال الإيمان والعمل الصالح، إذ لا تطلق كلمة عملوا الصالحات فى العرف إلا على من يمتازون عن غيرهم من عامة المؤمنين بكمال الإيمان والعمل الصالح.

﴿كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ إشارة إلى أنه كما كان بنو إسرائيل وعدوا فى سفر من أسفار التوراة بفتح بلاد الشام، ونزلت فيه أحكام البلاد المفتوحة. والمعروف أنه لم ينجز هذا الوعد للحكمة الإلهية فى حياة موسى عليه السلام فاستخلف بعده يوشع ليتم على يده إنجاز هذا الوعد. ففتح يوشع بعد وفاة موسى عليه السلام ثمانين بلدة وأعاد الأمن والثقة في بني إسرائيل ووزع عليهم البلاد المفتوحة بحسب وصية موسى عليه السلام. وكذلك كان نبينا ﷺ وعد فتح بلاد الشام وبلاد العجم كما يشير إليه قوله تعالى ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾. لكن هذا الوعد لم يتحقق في حياته عليه الصلاة والسلام لحكمة يعلمها الله. فجعل له خلفاء وصدقهم وعده هذا. وكما كان داود وسليمان استخلفا بعد غلبة العمالقة وتفرق بني إسرائيل كما قال الله تعالى ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾. فأعادا الأمن والثقة فيهم وجمعا شملهم، كذلك كان خلفاء الرسول ﷺ أعادوا الأمن والثقة في نفوس الأمة بعد ظهور فتنة ارتداد العرب المسلمين.

والحاصل ان هذا التشبيه يبين ان خلافة هؤلاء المستخلفين ستكون خلافة راشدة ومرضية عند الله تعالى وستقوم بأعمال الخير.

ودلت كلمة ﴿لَهُمْ﴾ فى قوله تعالى ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ﴾، على أحد أمرين:

الأول: أن هذا التمكين الموعود سيتم على يد هؤلاء المستخلفين الذين سيسعون فى إتمامه سعيا بليغا. وسيتم لهم بفضل الله وتوفيقه ما أرادوا على أكمل وجه وأتم ظهور موافقا لقوله تعالى ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. **والثاني:** أهم يوجهون قوهم ويبذلون قصارى جهودهم في تمكين الدين ويسألون الله دائما تحقيقه. وإذا تم التمكين يفرحون به وينتفعون. وهكذا وقع، فقد تمت هذه النعمة العظيمة على المستخلفين. والحق أن كلا الأمرين تحقق والله أعلم. وقوله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يدل على أن هذا الأمر سيتحقق بعد ما ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى يتحقق معنى ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ على وجه الدقة والصحة. وقوله تعالى ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ تأكيد وتحقيق للاستخلاف ويفيد أن الاستخلاف نعمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى تستوجب الشكر عليها. وأول من كفر نعمة الاستخلاف هم قتلة أمير المؤمنين عثمان، ثم فرقة الإمامية الذين يزعمون أن الخلافة اغتصبت من مستحقها ووقعت فتنة عظيمة وخالف الصحابة كلهم وصية رسول الله ﷺ وعصوا كلهم المنصوص عليه بالخلافة! ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

وأول من أدرك من مفسري الصحابة أن الخلفاء مصداق هذه الآية وفهم إنجاز هذا الوعد في زمان عمر الفاروق رضي الله عنه، هو علي المرتضى كرم الله وجهه لأنه حينما استشار الفاروق الأعظم الصحابة فى ذهابه إلى العراق تمسك بهذه الآية واستدل بها على منعه من الذهاب. ويعلم من هذا بالبداهة أن خلافة عمر الفاروق من الاستخلاف الموعود. وقد ثبت قول علي المرتضى رضي الله عنه هذا بطرق عديدة عند أهل السنة والشيعة. وقد جاء في نهج البلاغة:[1]

> إن هذا الأمر لم يكن نصرته ولا خذلانه بكثرة ولا قلة وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعزه وأيده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع. ونحن على موعود من الله حيث قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ...﴾ الآية فالله منجز وعده وناصر جنده إلى آخر ما قال.

وليس كما قال الشيعة أن هذا الوعد سيتحقق فى زمان الإمام المهدي أو قد تحقق وانقضى فى زمان الرسول ﷺ.

وقوله تعالى ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ بيان للعلة الغائية من الاستخلاف كما قال تعالى أيضا ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾. فغاية الاستخلاف أن يتم تمكين الدين

(١) ١/٢٨٣ ط/مصر.

المرضي وإعلاء كلمة الله وإظهار دين الحق على الأديان كلها.

الآية الثانية: آية التمكين

قال الله تعالى في سورة الحج ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[1].

قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ تمهيد لإذن الجهاد بهذا الأسلوب الذي يشمل معنى بلاغيا عظيما وهو التأكيد على أنه من سنتنا المستمرة دفع غائلة الكفار عن المسلمين وهذا المقصود يتحقق بالجهاد. ثم أتبعه بقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ وهذا تعليل آخر لسنته بدفع شرور الكفار. لأنه لا يحب الخونة الكفرة لكنه يحب المؤمنين الشاكرين. وحيث أن الكفار دائما يتصفون بالخيانة والكفران والمؤمنون يتصفون دائما بالإيمان والشكر فكان من سنته المستمرة نصرة المؤمنين وكبت الكفار. وقوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ ذكر لسبب إذن الجهاد والقتال للمسلمين بأنهم مظلومون. والله سبحانه وتعالى يرحم المظلومين دائما ويكبت الظالمين. ويجوز في جميع الملل والنحل أن يدفع المظلوم ظلم الظالم. ثم الإشارة إلى المسلمين باسم الموصول وصلته ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ تعبير عن شدة ظلم الظالمين وأنهم مستحقون للكبت والهزيمة.

وقوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ وقع مكان؛ والله لأنصرنهم على الظالمين. سهلت العبارة لتشديد الوعيد للكفار وتأكيد البشارة للمؤمنين. فإن التهديد يشتد ويتأكد بتسهيل الأسلوب وتتأكد البشارة بتسهيل الوعد بطريق الكناية التي هي أبلغ من التصريح. ومن عادة الملوك أنهم يقولون في غاية الغضب: ألسنا قادرين على إهلاكك؟ ويقولون فى كمال رأفتهم: ألسنا قادرين على إنعامك؟ وإيجازهم يغني عن إطناب غيرهم.

وقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ بدل من ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ ويفيد السبب الثاني لكونهم مظلومين. فالسبب الأول أن الكفار يقاتلونهم ويؤذونهم والثاني ان الكفار يخرجونهم من ديارهم بغير ذنب صدر منهم.

وقوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ تهكم عجيب بالكفار والمعنى أن هؤلاء

---

(١) سورة الحج: ٣٨ - ٤١.

الضالين الحمقى يعتبرون التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب التعظيم والتوقير، ذنبا وجرما، ويعاملون الموحدين معاملة أشد المجرمين.

وقوله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ يذكر سببا آخر لإذن الجهاد والقتال. والمعنى أنه كما يحسن أن يدفع المظلوم شرور الظالم عن نفسه وماله وعرضه كما قال الله تعالى ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾، كذلك توجد في إقامة الجهاد مصلحة ملية أخرى وهي أن الحكمة الإلهية تقتضى ظهور ملة الحق على يد رسله ونوابهم على الكفار في جميع الأزمنة. ولما كان الكفار يعارضون غلبة ملة الحق ويقرعون الأسنان حسدا على ظهور الموحدين، ويعضون على الأيدي على ذلك فلولا أن الله جعل الموحدين مثل جوارحه ودفع بهم شرور الكفار لاختل نظام الملة والدين، ولكانت معابد جميع الأديان مخربة ولانعدم ذكر الله تعالى وانعدمت وسائل التقرب إليه.

قوله تعالى ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ إشارة إلى شرط يجب توفره فيمن يختاره الله عز وجل ليجعله مثل جارحته ويظهر على يده نصرة الدين وتمكين الإسلام. والمعنى أنه ما لم يكن أحد باذلا جهده الكامل وصارفا همته الكلية إلى نصرة الدين والسعي في حمل أمانة الدين والجهاد وإعلاء كلمته لن يبلغ هذه الدرجة ولن يصل إلى هذه الرتبة كما قيل:

وهنا ألف مسألة أدق من الشعره   وليس يجيد التزهد كل من حلق شعره

قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ بدل من ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ و﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ والمعنى إن مكنا بعضهم كما يقال: استخلف بنو العباس وأثرى بنوتميم. فإنه يستحيل تمكين جميع المهاجرين بل تمكين جم غفير منهم، ولايتوجه الذهن إلى هذا المعنى. فإنك تجد في الحديث مرارا وتكرارا؛ قالت الأنصار كذا وفعل بنوتميم كذا. والمراد منه زعماؤهم وليس كل فرد منهم. ومعنى ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ تعليق أحد جزئي حقيقة الخلافة الشرعية بالجزء الثاني. فإن حقيقة الخلافة الشرعية هى التمكين في الأرض مع إقامة الدين. فيكون المعنى أن هؤلاء إذا حصل لهم التمكين في الأرض فإن تمكينهم سيكون مقترنا بإقامة الدين. وهذا هي الخلافة الراشدة.

فالخلفاء الذين كانوا من المهاجرين الأولين الذين كانوا ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ و ﴿أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ وأذن لهم بالجهاد ومكنوا في الارض كما ثبت بالقطع، لابد أن يكونوا أقاموا الدين بمقتضى هذا التعليق. فثبت ثبوتا قطعيا أنهم كانوا خلفاء راشدين. فإن هذين الأمرين هما حقيقة الخلافة الراشدة. قوله تعالى ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يشير إلى إقامة أركان الإسلام. قوله تعالى ﴿وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ يشمل إقامة الجهاد وأخذ الجزية. فإنه لا منكر أشد من الكفر ولا نهي ولا ردع أكبر من قتل الكفار وأخذ الجزية. وكذلك يشمل إقامة الحدود

وإيقاع التعزيرات على عصاة المسلمين.

ويستفاد من قوله تعالى ﴿أَقَامُواْ﴾ و﴿أَمَرُواْ﴾ و﴿نَهَوْا﴾ أن كل ما يتم ويظهر على يد هؤلاء الممكنين في زمان تمكينهم في هذا الصدد سيكون معتدا به شرعا. ثم إن معنى ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾؛ إذا مكناهم. لأنه إخبار من الله تعالى بأن هؤلاء سيمكنون في المستقبل. وليس المقصود تعليق التالي بالمقدم (أي تعليق إقامة الدين بالتمكين). فإن سعيهم في الدين حاصل كما سبق ذكره في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾. قوله ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ يعني عواقب جميع الأمور إليه سبحانه وتعالى وأنه عليم بها. ولذلك أمر بإذن الجهاد لهم ويعلم أن هذا الجهاد سيكون سببا لردع الكفار ودفع شرورهم.

وإذا فرغت من معرفة المعاني اللغوية والشرعية للكلمات المفردة في هذه الآية حان أن تعرف نكتة أخرى. وهي أن الآيتين: آية الاستخلاف وآية التمكين تذكران أمرا واحدا. فالمقصود منهما واحد، والتعبير مختلف. وهذا من فروع الآية الكريمة: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾[1]. فذكر في موضع ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ . . . . وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ﴾ بينما ذكر التمكين في الأرض مع إقامة الدين في الموضع الثاني. والنتيجة واحدة. وذكر هنا وعد الله وذكر هناك ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ في سياق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾. وقال هنا ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ﴾ وقال هناك ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وبالأسلوب نفسه ذكر هنا الاستخلاف الذي عبر عنه هناك بالتمكين في الأرض. وذكر وصفهم هنا بقوله ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ بينما ذكر وصفهم هناك بقوله ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الخ وأشار هنا إلى تصويب أعمالهم والاعتداد الشرعي بما يقومون به من إقامة الحدود والتعزيرات بقوله ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وذكر ذلك المعنى هناك بقوله ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الخ. والمعنى الذي عبر عنه هنا بقوله ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾، ذكره هناك بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ و﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾. وبهذا الأسلوب قال في موضع ﴿مِنكُمْ﴾ أي من الحاضرين عند نزول الآية وذكرهم في الموضع الثاني بقوله ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾. وبين المفهومين من الموضعين نسبة العموم والخصوص من وجه. لأن عددا من المهاجرين كانوا استشهدوا في بدر وأحد ولم يدركوا نزول آية الاستخلاف، وهناك جماعة من الصحابة لم يكونوا من المهاجرين الأولين وأدركوا نزول آية الاستخلاف. فإذا قرنت الآيتين تعرف أن الخلافة إنما تكون في الذين يجمعون الأمرين معا. وإذا ذكر أمر واحد بعبارتين مختلفتين يجب تأييد الظاهر في إحدى العبارتين بنص العبارة الثانية، وتخصيص العموم في إحداهما بالخاص الذي يوجد في الأخرى،

---

(١) سورة الزمر: ٢٣.

وكذلك تقييد المطلق في إحداهما بالمقيد في الأخرى.

بعد الفراغ من هذا نبدأ الآن شرح مرادنا الأصلي. فنقول:

إن هاتين الآيتين المتحدتين في المعنى والمراد والمختلفتين في التعبير تدلان على خلافة الخلفاء لأنهما تذكران وعدالله الذي وعده. ووعده صادق، وواقع في عالم الخارج حتما. والثابت بالقطع واليقين أن هؤلاء المهاجرين الأولين الذين حضروا نــزول آية الاستخلاف كانوا أعطوا الاستخلاف والتمكين في الأرض حسبما اقتضت الآيتان. وإذا لم يكن هؤلاء هم الخلفاء الذين وصفوا فيهما لزم أن وعد الله لم يقع! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، لأنه لم يعش أحد من الصحابة بعد مئة سنة من وفاة الرسول ﷺ فضلا عن المهاجرين الأولين الحاضرين عند نــزول آية الاستخلاف. وإذا لم يقع هذا الاستخلاف والتمكين الموعود في ذلك الزمان فلا يتحقق أبدا إلى يوم القيامة. ولم يكن استخلف أو مكن في الأرض في ذلك الزمان أحد غير هؤلاء العظماء. فثبت بالقطع واليقين أنهم كانوا هم المستخلفين والممكنين في الأرض بمقتضى هذا الوعد الإلهي.

أما هؤلاء الجهلاء الذين يزعمون أن الخلافة اغتصبها من لا يستحقها ممن هو لها يفترون على الله جل وعلا ويكذبون رسوله ﷺ. فإن مخالفة الأمر التشريعي ممكنة كأن يؤمر زيد بالصلاة لكنه لم يصل. لكن إخلاف الوعد الإلهي غير ممكن البتة. والمقدم هنا الوعد والإخبار عما سيكون في المستقبل. والتشريع الخاص باستخلافهم تابع للموعود. والمعنى أن الخلافة بهذا التشريف والتصويب لا تكون إلا المرضية. وإذا تحقق معنى الاستخلاف يتحقق بمعنى استخلفت عليكم فلانا ثم فلانا. وهذا تعبير عن إيجاب انقياد الأمة لهم. فظاهر هذه الآيات وعد الاستخلاف وباطنها إيجاب إطاعة هؤلآء الخلفاء.

ولو أن مرتبة هؤلآء العظماء أعلى مما نقوله، لكننا نقول: لو فرضنا جدلا أن الله سبحانه وتعالى قال: سأعطي الخطيب الذي سيخطب هذه الجمعة كذا وكذا من النعم. أو قال: إن الذي سيخطب هذه الجمعة عالم قارئ صالح. ثم تنازع خطيبان في الخطبة وتنافسا حتى بلغ الأمر مبلغ المصارعة. وأخيرا غلب أحدهما الآخر وصرعه ثم صعد المنبر وخطب. فالمستحق منهما للكرامة والإنعام هو الغالب الذي خطب لا المغلوب المصروع. فهؤلآء الخلفاء الذين استخلفوا وتمكنوا ولو بالغلبة والقهر كما يزعم الجهال الضالون، هم المعنيون لا محالة بهذه الآيات لا غيرهم.

ولــم تكن خلافة سيد المرسلين ﷺ أمرا كلفت به العامة بحيث إذا عملوا به أطاعوا وإذا عصوا استحقوا العقوبة، لكنها موعود نــزل من فوق العرش من عند الذي لايخلف الميعاد ولا علاقة لجبر أحد أو اختياره في تحقيقه. غاية ما في الأمر أنه ما لم يكن الأشخاص المعنيون تولوا الخلافة كانت أذهان المسلمين تلتفت إلى كل أحد بحثا عمن سيتولاها. ومثاله قول الرسول

ﷺ الذي قاله في غزوة خيبر: "سأعطي" الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله(١)، فعلم المسلمون منه قطعا أن الذي سيعطى الراية غدا محب ومحبوب ولكنهم لم يعلموا من الذي سيفوز بهذه الكرامة. فباتوا يتفكرون فيه ويجلمون به إلى أن أعطى الرسول ﷺ الراية لعلي المرتضى فأدركوا أنه الموصوف بهذه المنـــزلة من دون شك.

وكذلك دلت هذه الآيات الكريمات على أن الله سبحانه وتعالى سيختار جمعا منهم وسيمكنهم في الأرض. ولكن بقي الغموض والإبهام يدور حول الأشخاص المعينين بسعي الجماعة، ولما تم على يد هؤلآء الخلفاء فتوح البلاد وتمكين الدين المرضي وإعلاء كلمة الله، علمنا بالقطع واليقين أن هؤلاء الخلفاء كانوا هم الموعود لهم فيها.

وإن خطر ببالك شك أو ترددت في ذلك فاقرأ قول قتادة الذي أورده الإمام البغوي في تفسيره(٢) حيث قال: قال قتادة: كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام. وقيل: كما استخلف الذين من قبلهم، يعني بني إسرائيل حيث أهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم.

فالمراد من الاستخلاف حسب قول قتادة رضي الله عنه ما هو إلا نصب الخليفة، وحسب قول غيره استخلاف قوم لقوم آخرين، فيحتمل أن يكون معناه تمكين المهاجرين الأولين كافة. فلايصح حينئذ الاستدلال بهذه الآية على خلافة الخلفاء. فنقول: التوجيه الأول مقبول لموافقته الاستعمال العربي وتفسير الرسولﷺ، فلا يلتفت إلى القول الثاني. وعلى تقدير تسليمه أيضا لايتصور عادة استخلاف جماعة عظيمة وتمكينهم بدون استخلاف بعضهم. لأن الصورة العملية لتمكين المهاجرين وضمان الاستقرار والأمن للمسلمين، نصب خليفة عليهم وتعيين رئيس منهم. فالمراد الحقيقي من وعد الاستخلاف وتمكين المسلمين كافة، ليس إلا نصب بعضهم خلفاء ممكنين في الأرض.

---

(١) راجع ص ٦١.
(٢) معالم التنـــزيل ٣/٣٥٤.

مــقدمـــة كثيرة الفوائد

ونود أن نذكر هنا مقدمة كثيرة الفوائد. وعد الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[1] أن يحفظ القرآن على مر الدهور. ثم بين صورة حفظه في الآية الثانية: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[2]. فوعده حق وكان حفظ القرآن أمرا لابد منه. ولكن الصورة التي يحفظ بها سبحانه وتعالى القرآن ليست كما يحفظ بنو آدم أشياءهم من النقش على الحجر أو غيره على سبيل المثال. بل الصورة العملية التي حفظه بها أن ألهم عبادا له صالحين من هذه الأمة المختارة ليسعوا إلى جمعه وتدوينه بين دفتي مصحف واحد، وجمع جميع المسلمين على نسخة واحدة، وأن تقوم جماعات عظيمة من القراء خاصة وسائر المسلمين عامة بقراءته ومدارسته دائما حتى لا تنقطع سلسلة التواتر في حفظه ونقله بل تتضاعف يوما فيوما. كما أنه سخر جماعات أخرى ليعتكفوا على تفسير القرآن وشرح غريبه وبيان أسباب نــزوله. وهكذا يتوارث المسلمون خلفا عن سلف العمل على حفظ القرآن وبيانه. وهذه هي الصورة التي اختارها الله سبحانه وتعالى لحفظ كتابه.

وإذا تعينت لنا هذه، فهي الصورة الثانية التي اختارها الرحمن وقد تحققت فعلا، وأنجز الله بها ما وعده، وعلمنا أن القراءات التي لم تحفظ لم تكن تلاوتها مختارة. ولذلك يرى المحققون من العلماء انه لا يجوز تلاوة القرآن في الصلاة وغيرها بغير القراءات المتواترة. والقراءة المتواترة هي ما يتوفر فيها شرطان:

الأول: أن يصل نقلها برواية ثقة عن ثقة إلى الصحابة، ولا يكتفي بمجرد احتمال الرسم لها.

والثاني: أن يحتملها رسم المصاحف العثمانية.

لأنه لما تعين أن صورة حفظه تشمل جمعه وتدوينه بين دفتين ثم اجتماع الأمة عليه، ثبت أن ما خرج عن هذه الصورة غير محفوظ. وما كان غير محفوظ لم يكن قرآنا. لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾، وقـــال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ الآيـــة. فقراءة ﴿والذكر والأنثى﴾ بدل ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ في سورة الليل: شاذة، ولا يجوز تلاوتها في الصلاة على رغم وجودها في رواية ابن مسعود وأبي الدرداء رضي الله عنهما بسند صحيح. وكان ابن عباس ﷺ ناقش الصحابة لما انتسخت المصاحف العثمانية من أصل الشيخين في قراءة بعض الآيات وكان يقرأ ﴿وصى ربك﴾ بدل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾[3] و﴿أو لم يتبــين﴾ بدل ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾[4]. لكنهم

---

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) سورة القيامة: ١٧.

(٣) سورة الإسراء: ٢٣.

(٤) سورة الرعد: ٣١.

لم يقبلوا قراءته وكتبوا ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ و﴿أَفَلَمْ يَاْيْئَسِ﴾. وانتشرت هذه النسخ في الآفاق. فهذه القاعدة تدلنا على صحة قول جماعة الصحابة. وكان تحري ابن عباس ﷺ من باب خطأ المعذور.

وكان الصحابة يتنافسون في جمع القرآن. فكتب كل منهم مصحفا لنفسه، ورتبوا سور القرآن بلغاتهم غير لغة قريش. فألهم الله سبحانه وتعالى سيدنا عثمان ذا النورين إلى محوها فمحاها وجمعهم كلهم على نسخة واحدة. وحدث بينهم آنذاك شيء من قيل وقال وأخذ ورد. وأخيرا اجتمعت الأمة كلها على المصاحف العثمانية. فعلمنا بالقطع أنها هي المراد بحفظها، ولم يقصد حفظ ما سواها. إذ لو كان حفظها مقصودا لم يقدر أحد على محوها. وهل هناك عاقل يعتبر وجود القرآن عند إمام موهوم الوجود، مختفي الحال حفظا؟ كما يدعون. سبحانك هذا بهتان عظيم. أو يعدّ حفظا إنْ كان أحد قد كتب رواية غريبة في كتاب غريب على سبيل الفكاهة: قال فلان كذا وكذا!

وعند الإشكال يكون الصواب في جانب وخطأ المعذور في الجانب الآخر، حتى إذا رفع الحجاب وانبلج الحق مثل فلق الصبح لم يبق مجال للخلاف، فمن تاه عندئذ يمينا أو شمالا فهو زنديق ينبغي قتله.

وإن كان لك أذن تسمع، وقلب يعقل فاسمع نكتة أدق من هذا. إن الله سبحانه وتعالى يلهم عباده الصالحين دائما ليقوموا بمراده وينفذوا مواعيده كما ذكرت قصة الخضر مع موسى عليهما السلام لشرح هذه النكتة. فمادام في الأرض نبي يوحى على قلبه فطاعته مفروضة. وإذا انقضى عصر النبوة وانقطع نــزول الوحي يقوم عباد الله الصالحون بالأعمال المطلوبة منهم إما برأي واجتهاد منهم، وإما بنوع من الرؤيا أو الإلهام أو الفراسة. وهذه الأنواع كلها لا تقيم في حينها حجة توجب تكليف الناس بها حتى إذا تم أمر، وظهر رشده وصوابه مثل فلق الصبح يعلم أهل التحقيق كلهم أنه الحق الخالص كما قال عمر رضي الله عنه في مباحثته مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مسئلة المرتدين: "فعرفت أنه الحق"[١].

فالدواعي التي كانت تلقى في قلوب الخلفاء من هذا القبيل. وكانت أيام الخلافة بقية أيام النبوة. فكأن الرسول ﷺ كان يصرح بأقواله في أيام نبوته بينما كان في أيام الخلافة جالسا صامتا يشير بيده ورأسه. فمن الناس من فهم مقصوده وأصاب، وأخطأ آخرون.

والإجماع الذي سمعت العلماء يذكرونه ليس معناه اتفاق المجتهدين كلهم لا يشذ فرد منهم في عصر واحد على مسألة. فإن هذه الصورة غير واقعة وغير ممكنة عادة. بل معناه أن

(١) البخاري (١٤٠٠) كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة، ومسلم (١٢٤) كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

يصدر الخليفة الخاص أمرا بعد مشاورة ذوي الرأي أو بدونها وينفذ أمره ويشتهر حتى يصير ممكّنا متبعا في الأمة. وكان النبي ﷺ قد أشار إلى حجية هذا الاجماع بقوله: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي. . .[١] الحديث.

بعد معرفة هذه المقدمة ينبغي أن يعلم أن الله تعالى كان قد وعد -والله لا يخلف ميعاد- أنه سيستخلف المهاجرين الأولين السابقين في الإيمان والطاعات، وأنهم سيقومون بالأعمال العظيمة المخصوصة. والصورة العملية لتحقيق هذا الوعد أن يستخلف منهم واحد بعد واحد. فإنه يستحيل عادة استخلاف جماعة عظيمة بغير نصب بعضهم خليفة عليهم، كما قال رسول الله ﷺ: "الإمام جنة يقاتل من ورائه"[٢]. وقال قائلهم:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

هذا القدر معلوم بالقطع. وإنما كان الإشكال والغموض حول من سيستخلفون؟ وكم تكون مدة الخلافة الموصوفة؟ وكيف يكون ترتيب خلافتهم؟ وكان ذلك وقت المشاورة والنظر فيمن يرشحون للاختيار ويفوزون بهذه المنزلة من تلك الجماعة المباركة. وأخيرا انقشعت سحب الظلام والإشكال وجاء الإلهام بتعيين واحد بعد واحد منهم. فسارع جمع منهم إلى قبول هذا الإلهام والسعي في إتمامه وانقاد له الآخرون بعد اللتيا والتي، وبعد تقليب الأمور حتى إذا انطبقت الأوصاف على المستخلفين ظهر الحق الصريح، وأبصرته العيون، وتيقن الناس كلهم أن هذا لم يكن فعل الجماعة لكنه اختيار الله الذي أنجز وعده فأخرجه من حجاب الأفكار والأقيسة إلى واقع المعايشة.

وإن كنت مترددا حتى الآن في صدق موعود الله وتتساءل كيف نعلم أن وعده كان لهؤلاء الخلفاء وأنه صدقهم؟ اذ لا تشمل الآيات الكريمة أسماءهم ولا صفاتهم التي تعينهم. ويحتمل أن تكون كلمة ﴿مِنكُمْ﴾ تأكيدا لا تأسيسا، فاسمع هذه الحكاية: من دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ إخبار الأنبياء السابقين به ونصوص التوراة والإنجيل وسائر الكتب الإلهية. وهذا مبحث واسع تجد فيه روايات كثيرة وردت من الصحابة والمؤمنين من أهل الكتاب.

يعترض المتأخرون من المتكلمين على هذا الاستدلال وعندما يعجزون عن الرد عليه يميلون إلى ضعفه. وخلاصة الاعتراض أن ما ذكرته الكتب الإلهية من أوصاف النبي ﷺ نهايتها أن ينتقل ذهن السامع إلى شخص غير معين موصوف بها، ويعلم أن فردا ما من الكلي المنتزع من هذه الأوصاف الكلية سيكون نبيا. ولا تنقل الأوصاف الكلية بغير الإشارة الحسية إلى فرد

---

(١) راجع ص ٦٧.

(٢) البخاري (٢٩٥٧) كتاب الجهاد باب يقاتل من وراء الإمام، ومسلم (٤٧٧٢) كتاب الإمارة باب الإمام جنة يقاتل من ورائه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

خاص. وإذا جمعنا هذه الأوصاف الكلية لا تؤدي إلا إلى كلي، ثم هي لا تدل على نبوة شخص معين. والكتب الإلهية لم تذكر إلا الرموز ولم تذكر عنوان النبوة و لم تستقص المشخصات. فلا يصح حينئذ تكليف الناس بالإقرار بنبوة فرد خاص. قال القاضي عضد في المواقف[١]: فإن قيل إن زعمتم مجيء صفته مفصلة أنه يجئ في السنة الفلانية في البلدة الفلانية، من صفته كيت وكيت فاعلموا أنه نبي، فباطل. لأنا نجد التوراة والإنجيل خاليين عن ذلك. وأما ذكره مجملا، فإن سلم لا يدل على النبوة بل على ظهور إنسان كامل أو نقول لعله شخص آخر لم يظهر بعد. قلنا: المعتمد ظهور المعجزة على يده وهذه الوجوه الأُخر للتكملة وزيادة التقدير. انتهى.

يقول الفقير عفا الله عنه: هذه زلة قدم صدرت من متأخري المتكلمين عفا الله عنا وعنهم، ويجب على عامة المسلمين عدم الاستماع لها وعلى العلماء إنكارها. وهذا واجب إنكاره. لأن العلماء اتفقوا على أن اجتهاد المجتهد وقضاء القاضي إذا خالفا صريح القرآن أو صريح السنة المشهورة أو صريح الإجماع أو القياس الجلي لا ينفذ، ولا يجوز تقليده. فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٢]. وقال تعالى ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[٣] فهذا دليل قاطع على أن أهل الكتاب بمعرفتهم خاتم النبيين ﷺ كانوا مكلفين بالإيمان به وقامت عليهم الحجة التشريعية. فالقول بأن هذه الأخبار ليست حجة ملزمة مخالف للقرآن. والتحقيق في ذلك أن أوصافه وأخباره التي ذكرت في الكتب السابقة قامت بها الحجة وثبت التكليف. ويحصل اليقين بأمرين:

الأول: القياس، سواء كان اقترانيا أم استثنائيا، أو كانت مقدماته يقينية أو شكله منتجا.

الثاني: الحدس، إذا انتقل الذهن من بعض مقدمات القياس إلى المطلوب بطريق الطفرة بغير ذكر جميع المقدمات، كما نعرف أن نور القمر مستفاد من نور الشمس من رؤية اختلاف أحوال القمر باختلاف قربه أو بعده عن الشمس. ثم الحدس على نوعين، الأول: الحدس الذي لا يدركه إلا أفراد قليلون من بني آدم لغموض مأخذه. فالله لايكلف العامة بهذا النوع. والثاني: الحدس الذي يدركه أكثر بني آدم لقرب مأخذه، مثل معرفة وجود الليل والنهار من غياب الشمس وطلوعها. وبهذا النوع يثبت التكليف الشرعي وتقوم الحجة.

فنصوص الكتب الإلهية السابقة التي تذكر ظهور خاتم الأنبياء ﷺ وإن كانت لاتؤدي إلى تعيين الفرد الخاص الذي هو أفضل البشر بطريق الأقيسة الاقترانية أو الاستثنائية لكنها تنقل الذهن إلى هذا التعيين بطريق حدس قريب المأخذ. لأنه لاشك أن المبشر بها الذي يجمع هذه

---

(١) كتاب المواقف لعضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، ٢/ ٣٨٧.
(٢) سورة الشعراء: ١٩٧.
(٣) سورة البقرة: ١٤٦.

الأوصاف بعد الأزمنة المتطاولة سيكون واحدا، فإذا وجدت في شخص استقر الحدس على أنه الموعود.

وكذلك الآيات الدالة على خلافة الخلفاء كان فيها نوع من الغموض في البداية. ولكن بعد ما فتحت بلاد العجم والشام بشكل لم يسبق له مثال منذ آدم حتى هذا العصر، واستتب الأمن والاستقرار والاطمئنان والسعادة للمسلمين وحدث تمكين الدين المرضي بشكل لم يوجد مثله في أي ملة أو عصر ولا عشره، فمن الذي يكون خلافته أحق بكونها مصداق وعد الاستخلاف من خلافة هؤلاء العباقرة؟ وستنضم إلى ذلك قرائن أخرى وينشأ حدس قريب المأخذ بأن هؤلاء الخلفاء هم المبشرون بهذه الآيات لا محالة وقد ثبت بهذا تكليف الناس على ذلك. وهذا الأسلوب في تفسير الآيات لمن لم يوفق في تتبع الأحاديث النبوية. وإلا كان الرسول ﷺ هو المفسر للقرآن العظيم. فإذا أشكل منه شيء يجب الرجوع إلى حديثه كما قال الله تعالى ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.[١]

فلنقلب الحجاب الآن ونبدأ الكلام بأسلوب آخر.

أولا: تفسير آيات الخلافة بالرُّؤَى النبوية

لما نزلت هذه الآيات التي لا خفاء في أصل معناها، وإنما وجد نوع من الغموض في تعيين الأفراد وترتيب خلافتهم ومدتها. فكان رسول الله ﷺ ينتظر عالم الغيب ويرجو الإفاضات العلوية حتى يحل العقدة في الرُّؤَى التي أري بعضها وأري بعضها أصحابه وفسرها رسول الله ﷺ. وهذه الرُّؤَى تشبه قصة رؤيا الأذان ورؤيا ليلة القدر. فمن هذه الرُّؤَى:

(١) قال رسول الله ﷺ: بينا أن نائم رأيتني على قليب عليها ذلو، فنزعت منها ما شاء الله. ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف. والله يغفر له. ثم استحالت غربا، فأخذها ابن الخطاب. فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمرحتى ضرب الناس بعطن، أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة[٢] والترمذي من حديث ابن عمررضي الله عنهما[٣].

---

(١) سورة النحل: ٤٤.

(٢) البخاري (٣٦٦٤) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب بعد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا، ومسلم (٦١٩٥) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله عنه.

(٣) راجع ص ١٨٢. وهو من رواية البخاري.

(٢) وأخرج ابن مردويه[١] عن ابن عمرﷺ قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة بعد طلوع الشمس. قال: رأيت قبل الفجر كأني أعطيت المقاليد والموازين، فأما المقاليد فهي المفاتيح. وأما الموازين فهذه التي يوزن بها. فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فوزنت بهم فرجحت، ثم جيء بأبي بكر فوزن بهم، فرجح. ثم جيء بعمر فوزن بهم فرجح. ثم جيء بعثمان فوزن بهم فرجح. ثم رفعت.

(٣) وأخرج أبوداود[٢] عن أبي بكرة ﷺ أن رجلا قال لرسول الله ﷺ: رأيت كأن ميزانا نـــزل من السماء فوزنت أنت وأبوبكر. فرجحت أنت. ووزن أبوبكر وعمر فرجح أبوبكر. ووزن عمر وعثمان فرجح عمر. ثم رفع الميزان. فاستاء لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى فساءه ذلك. فقال: خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء.

(٤) وأخرج أبوعمر[٣] عن عرفجة نحوه.

(٥) واخرج أبوداود[٤] عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: أري الليلة رجل صالح كأن أبابكر نيط برسول الله، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر. قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما نوط بعضهم ببعض فهم ولاة الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ.

(٦) وأخرج أبوداود[٥] عن سمرة بن جندب أن رجلا قال: يا رسول الله إني رأيت كأن دلوا دلي من السماء. فجاء أبوبكر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع. ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع. ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع. ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء (العراقي جمع عرقوة. وعرقوة الدلو هي الخشبة المعترضة على فم الدلو. انتشطت: انحلت).

(٧) وعن ابن عباس: كان أبوهريرة يحدث أن رجلا أتى رسول الله ﷺ قال: إني أرى

---

(١) بل ورواه أحمد ٢/٧٦ أيضا والطبراني إلا أنه قال: فرجح بهم في الجميع. وقال: جيء بعثمان فوضع في كفة ووضعت أمتي في كفة فرجح بهم. فرفعت. ورجاله ثقات كما في الـــمجمع ٩/٥٨. راجع الكنـــز ١١/٦٣٢، ٦٣٣.

(٢) (٤٦٣٥) كتاب السنة باب في الخلفاء وراجع ص ٧٠ أيضا.

(٣) راجع ص ٧٠.

(٤) (٤٦٣٦) كتاب السنة باب في الخلفاء، وأحمد ٣/٣٥٥ وابن أبي عاصم في السنة: ١١٣٤، والحاكم ٣/٧١ وقال: صحيح الإسناد. قلت: بل هو ضعيف لجهالة عمرو بن أبان بن عثمان وفي سماعه من جابر نظر، بل هو منقطع كما أشار إليه أبوداود. وضعفه الألباني في الظلال رقم (١١٣٤).

(٥) (٣٦٣٧) كتاب السنة باب في الخلفاء، وأحمد ٥/٢١ وعزاه المتقي إلى الطيالسي أيضا. راجع الكنـــز ١١/٢٣٢ والبيهقي في الاعتقاد ص ١٦٨.

الليلة ظلة ينطف منها السمن والعسل. فأرى الناس يتكففون بأيديهم. فالمستكثر والمستقل. أرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض. فأراك يا رسول الله أخذت به فعلوت. ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فعلا به. ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل فعلا به. فقال أبوبكر: بأبي أنت وأمي لتدعني فأعبرها. فقال: اعبرها. فقال فأما الظلة فظلة الإسلام. و أما ما

ينطف من السمن والعسل فهو القرآن لينه وحلاوته. وأما المستكثر والمستقل فهو المستكثر من القرآن والمستقل منه. وأما السبب الواصل من السماء في الأرض فهو الحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله ثم يأخذ به بعدك رجل فيعلو به. ثم يأخذ به رجل فيعلو به. ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع ثم يوصل له، فيعلو به. أي رسول الله لتحدثني أصبت أم أخطأت؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أصبت بعضا وأخطأت بعضا. فقال: أقسمت يا رسول الله لتحدثني ما الذي أخطأت؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقسم. أخرجه البخاري ومسلم والدارمي وأبوداود والترمذي[١]. قوله أخطأت بعضا، فسره العلماء بأقوال. لكن المراد منه عند هذا الفقير ترك تسمية هؤلاء الخلفاء والذي عبر عنه بالخطأ بجهة الاستعارة.

(٨) وعن الحسن قال: قال أبوبكر: يا رسول الله ما أزال أراني أطأ في عذرات الناس. قال: لتكونن من الناس بسبيل. قال: رأيت في صدري رقمتين. قال: سنتين. معزو إلى ابن سعد[٢].

ثانيا: استنباط رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الفراسة من بعض الحوادث أن هؤلاء هم خلفاؤه

١. أخرج الحاكم[٣] عن سفينة قال: لما بنى النبيﷺ المسجد وضع حجرا، ثم قال: ليضع أبوبكر حجرا إلى جنب حجري. ثم قال: ليضع عمر حجرا إلى جنب حجر أبي بكر. ثم قال: ليضع عثمان حجرا إلى جنب حجر عمر. ثم قال: هؤلاء الخلفاء بعدي.

---

(١) البخاري (٧٠٤٦) كتاب التعبير باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، ومسلم (٥٩٢٨) كتاب الرؤيا باب في تأويل الرؤيا، وأبوداود (٤٦٣٢) كتاب السنة باب في الخلفاء والدارمي ١٢٨/٣ والترمذي (٢٢٩٣) أبواب الرؤيا باب ما جاء في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في الميزان والدلو. وقد اختلف الرواة هل هذا عن أبي هريرة أو عن ابن عباس. راجع لتفصيله الفتح ١٢/ ٤٣٣.

(٢) ١٧٦/٣ وفي ابن سعد: كالرقمين، بدل رقمتين، وهو منقطع، الحسن لم يسمع من أبي بكر رضي الله عنه.

(٣) ١٣/٣ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وعنه البيهقي في الدلائل ٥٥٣/٣ والعقيلي ٢٩٧/١ وابن عدي ٨٣٦/٢ ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢٠٥/١ والبخاري في الضعفاء الصغير ص ٢٥٨ وابن حبان في المجروحين ٢٧٠/١ وقال ابن حبان: حشرج منكر الرواية لا يجوز الاحتجاج بخبره اذا انفرد. قلت: وقال في التقريب ص ١١٥: صدوق يهم. وراجع البداية لابن كثير

٢. وأخرج أبويعلى والحاكم[1] عن عائشة: لما أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه وجاء أبوبكر بحجر فوضعه، وجاء عمر بحجر فوضعه. وسئل رسول اللهﷺ عن ذلك: فقال: هم الخلفاء من بعدي.

٣. وأخرج البزار والطبراني في الأوسط والبيهقي[2] عن أبي ذر قال: كان النبيﷺ جالسا وحده. فجئت حتى جلست إليه. فجاء أبوبكر فسلم. ثم جاء عمر. ثم جاء عثمان وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات فأخذهن فوضعهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل. ثم وضعهن فخرسن. ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن. ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن. ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل. ثم وضعهن فخرسن. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذه خلافة نبوة.

٤. وأخرج ابن عساكر[3] عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ حصيات في يده، فسبحن حتى سمعنا التسبيح ثم صيرهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعنا التسبيح. ثم صيرهن في يد عمر فسبحن حتى سمعنا التسبيح. ثم صيرهن في يد عثمان. فسبحن حتى سمعنا التسبيح. ثم صيرهن في أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن.

ثالثا: تصريحاته التي تعين زمان الخلافة ومكانها وأسماء الخلفاء.

---

(١) الحاكم ٩٦/٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولكن تعقبه الذهبي فقال: أحمد منكر الحديث. وهو ممن نقم على مسلم إخراجه في الصحيح، ويحيى إن كان ثقة فقد ضعف. ثم لو صح هذا لكان نصا في خلافة الثلاثة ولا يصح بوجه. فإن عائشة لم تكن يومئذ دخل بها النبيﷺ وهي محجوبة صغيرة. فقولها هذا يدل على بطلان الحديث. قلت: فيما قاله الذهبي نظر، لأنه من باب مرسل الصحابي، وهو أمر معروف في المصطلح، وأحمد ضعيف ويحيى صدوق ربما أخطأ كما قاله الحافظ، لكنه منجبر بحديث عائشة عند أبي يعلى، فانه رواه برقم ٤٨٦٣ بلفظ نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك من طريق العوام بن حوشب عمن حدثه عن عائشة. قال الهيثمي في المجمع ١٧٦/٥: رجاله رجال الصحيح غير التابعي فإنه لم يسم.

(٢) البزار في المسند (٤٠٤٠)، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٧٤، وابن أبي عاصم في السنة ٣/ ٥٤٣، والمحب الطبري في الرياض ١/ ٥٥ و لم يذكر إسناده. وذكره الهيثمي في المجمع ٢٩٩/٨ وقال: رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات وفي بعضهم ضعف. وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢٠١/١ وقال: هذا حديث لا يصح، قال يحي بن معين: صالح بن أبي الأخضر ليس بشيء. وقال ابن حبان: اختلط عليه ما سمع بما لم يسمع، فحدث بالكل. فلا ينبغي أن يحدث عنه. وقريشى إختلط أيضا فلا يحتج به. راجع المجمع ١٧٩/٥ أيضا. وقال الدارقطني في العلل (٦٢٤٢): والحديث مضطرب. قلت: فالحديث بمجموع طرقه صحيح كما صححه الألباني في الظلال(١١٤٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢٠٣/١ وفيه مجاهيل.

ولما امتلأ قلبه المبارك بهذه الإفاضات الغيبية أخبر بشيء منها في عدد من المناسبات. وتصريحاته الخاصة بهذا المجال تدل على أمور ثلاثة:

(١) تعيين زمان الخلافة. (٢) وتعيين مكان الخلافة. (٣) وتعيين أسماء الخلفاء الذين سيتولون أمر الأمة بعده.

(١) ففيما يخص تعيين زمان الخلافة، فقد جاء في حديث سفينة: الخلافة بعدي ثلاثون سنة[1]. وما جاء في حديث ابن مسعود: تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين سنة[2].

و لا تناقض بين الحديثين. لأننا إذا عددنا سيدنا عليا المرتضى من الخلفاء اعتبارا بقوة سوابقه الإسلامية ولأنه كان أفضل الناس في زمان خلافته، تكون مدة الخلافة ثلاثين سنة. وإذا نظرنا إلى أن خلافته لم تنتظم فلم نعدها من الخلافة، فتنتهي الخلافة بمقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه. وأكثر الأحاديث تؤيد هذا المعنى.

(٢) وفيما يخص تعيين مكان الخلافة فقد جاء في الحديث الذي رواه أبوهريرة وغيره: الخلافة بالمدينة والملك بالشام[3].

و استعمال كلمة الخلافة في هذه الأحاديث وغيرها التي سنذكرها فيما بعد دلالة على أن المراد بها تفسير معنى الاستخلاف الموعود في آيات القرآن الكريم كما يدل كلمات خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا[4] على أنها وردت لإنجاز ما وعد به في الآية ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾[5].

(٣) وفيما يخص تعيين أسماء الخلفاء فقد وردت فيه أحاديث كثيرة، منها:

(١) أخرج الحاكم[6] عن أنس بن مالك قال بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إلى من ندفع زكاتنا إذا حدث لك حدث؟فقال: إدفعوها إلى أبي بكر. فقلت ذلك لهم. قال: قالوا: سله إن حدث بأبي بكر حدث الموت فإلى من ندفع زكاتنا؟ فقلت له ذلك. فقال تدفعونها إلى عمر. قالوا: فإلى من ندفعها بعد عمر؟فقلت له. قال: ادفعوها إلى عثمان.

---

(١) راجع ص٥٠.

(٢) أبوداود (٤٢٥٤) كتاب الفتن والـملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها، وسكت عنه، وأحمد ١/٣٩٠، ٣٩٣. وقال في العون: هذا حديث إسناده صحيح. وسيأتي في ص ١٧٩.

(٣) الـحاكم ٣/٧٢ وقال: صحيح وتعقبه الذهبـي فقال: سليمان وأبوه مجهولان والبخاري في تاريخه ٢/١٤ والبيهقي في الدلائل ٦/٤٤٧، وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/٢٨٠. راجع الضعيفة ١١٨٨.

(٤) مسلم (٤٤١٤) كتاب الحدود باب حد الزنا، وأبوداود (٤٤١٥) كتاب الحدود باب في الرجم، والترمذي (١٤٣٤) أبواب الحدود باب ما جاء في الرجم على الثيب، وابن ماجه (٢٥٥٠) كتاب الحدود باب حد الزنا.

(٥) سورة النساء: ١٥.

(٦) ٣/٧٧ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وأبونعيم في الحلية ٨/٣٥٨ ونعيم بن حماد رقم ٢٦٠ مرسلا عن الشعبي وفي إسناده عبد الأعلى بن أبي المساور متروك. وراجع ص ٢٠٢.

(٢) وعن سهل بن أبي حثمة قال: بايع أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال علي للأعرابي: ايت النبي ﷺ فاسأله إن أتى عليه أجله من يقضيه؟ فأتى الأعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فسأله. فقال: يقضيك أبوبكر. فخرج إلى علي فأخبره. فقال: ارجع واسأله: إن أتى على أبي بكر أجله من يقضيه؟ فأتى الأعرابي النبي ﷺ فسأله. فقال يقضيك عمر. فخرج إلى علي فأخبره. فقال: ارجع فاسأله: من بعد عمر: فقال: يقضيك عثمان. فقال علي للأعرابي: إيت النبي ﷺ فاسأله إن أتى على عثمان أجله من يقضيه؟ فقال النبي ﷺ إذا أتى على أبي بكر أجله، وعمر أجله، وعثمان أجله فإن استطعت أن تموت فمت. أخرجه الإسماعيلي في معجمه[١].

وأخرجه أيضا[٢] من حديث أبي هريرة وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع أعرابيا بقلائص إلى أجل. فقال: يا رسول الله إن أعجلتك منيتك فمن يقضيني؟ قال: أبوبكر. قال: فإن عجلت بأبي بكر منيته فمن يقضيني؟ قال: عمر. قال: وإن عجلت بعمر منيته فمن يقضيني؟ قال: عثمان. قال: فإن عجلت بعثمان منيته فمن يقضيني؟ قال: إن استطعت أن تموت فمت.

(٣) وعن جبير بن مطعم أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فكلمته في شيء. فأمرها أن ترجع. قالت فإن لم أجدك كأنها تقول الموت. قال: إن لم تجديني فأتي أبابكر. أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبوداود وابن ماجه[٣].

(٤) وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ استسلف من يهودي شيئا إلى الحول فقال: أ رأيت إن جئت و لم أجدك فإلي من أذهب؟ قال: إلى أبي بكر. قال: فإن لم أجده؟ قال: إلى عمر. قال: فإن لم أجده؟. قال: إن استطعت أن تموت إذا مات عمر فمت. ذكره المحب الطبري في الرياض النضرة عن القلعي[٤].

(٥) وأخرج ابن سعد[٥] عن ابن شهاب قال رأى النبي ﷺ رؤيا فقصها على أبي

---

(١) ص ٢٠١ وعبد الله في زوائد الفضائل (٢٨٩) وابن حبان في المجروحين ١/ ٣٤٥ والعقيلي ٢/١٦٦ وأبونعيم في الحلية ٨/٢٨٠ والطبراني في الأوسط مختصراً، بدون قصة، وفي إسناده مسلم بن ميمون الخواص ضعيف لغفلته كما في المجمع ٩/٥٤ وذكره الحافظ في الفتح ٢/٢٤ وسكت عنه. ولكن تابعه علي بن حرب في العلل المتناهية ١/١٩٩. وقال ابن الجوزى: طريقه جيد.

(٢) الإسماعيلي في المعجم ص ٤٨٣ وفي إسناده عبيدة بن نشيط ضعيف ومحمد بن ثابت مجهول.

(٣) البخاري (٣٦٥٩) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب بعد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا، ومسلم (٦١٧٩) كتاب فضائل الصحابة باب فضل أبي بكر الصديق ﷺ، والترمذي (٣٦٧٦) أبواب المناقب باب [قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة: فإن لم تجديني فأتي أبابكر] وقال صحيح. وأما عزوه إلى أبي داود وابن ماجه فلعله وهم. نعم رواه أحمد ٤/٢٨، ٨٣ والطيالسي رقم ٩٤٤.

(٤) قلت: أشار إليه المحب الطبري في الرياض ١/١٥٣ فقط والله أعلم.

(٥) ٣/١٧٧.

بكر. فقال: يأبابكر رأيت كأني استبقت أنا وأنت درجة. فسبقتك بمرقاتين ونصف. فقال: يا رسول الله يقبضك الله تعالى إلى رحمته ومغفرته وأعيش بعدك سنتين ونصفا.

(٦) وأخرج البيهقي وأبونعيم[١] عن ابن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيكون فيكم اثنا عشر خليفة. أبوبكر الصديق لا يلبث خلفي الا قليلا، وصاحب رحى دار الحرب يعيش حميدا ويموت شهيدا. قال رجل: ومن هو يا رسول الله؟ قال: عمر بن الخطاب. ثم التفت إلى عثمان بن عفان فقال: وأنت يسألك الناس بأن تخلع قميصا كساكه الله. والذي بعثني بالحق لئن خلعته لا تدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط.

(٧) وأخرج أبويعلى[٢] عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه [قال] بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة ثم كائن خلافة ورحمة، ثم كائن ملكا عضوضا، ثم كائن عتوا وجبرية وفسادا في الأمة يستحلون الحرير والخمور والفروج والفساد في الذمة ينصرون على ذلك ويرزقون حتى يلقوا الله.

(٨) وعن علي: ما خرج رسول الله ﷺ من الدنيا حتى عهد إلي أن أبابكر يلي الأمر بعده ثم عمر ثم عثمان ثم إلي فلا يجتمع علي. ذكرت بعض طرق هذا الحديث في الرياض النضرة وبعضها في غنية الطالبين[٣].

وقد أورد بعض الناس شبهة في هذا الحديث وهي إذا كان سيدنا علي المرتضى يعلم ذلك فمّا وجه تأخره عن بيعة أبي بكر الصديق مدة من الزمن وكذلك توقفه في خلافة عثمان

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ٢٤٩٨ وعنه أبونعيم في المعرفة ١/٢٣، ٤٩ وفي إسناده ربيعة بن سيف صدوق له مناكير، كما في التقريب ص ١٥٦ وقال في المجمع ٥/١٧٨: فيه مطلب بن شعيب قال ابن عدي: لم أر له حديثا منكرا غير حديث واحد غير هذا، وبقية رجاله وثقوا. قلت: مطلب صدوق وقد أكثر الطبراني عنه وقال: أبوسعيد: كان ثقة كما في اللسان ٦/٥٠ وقول ابن عدي: لم أر له حديثاً منكرا غير حديث واحد غير هذا، إنما أراد به حديثه: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، راجع الكامل ٦/٢٤٥٥ وقد تابعه محمد بن إسماعيل السلمي عند البيهقي في الدلائل ٦/٣٩٢ والحسن بن علي عنه ابن أبي عاصم في السنة: ١١٥٢، ١١٢٩، ١١٨٢ وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه.

(٢) رقم ٨٧٠ وقال الهيثمي في المجمع ٥/ ١٨٩: رواه أبو يعلى والبزار عن أبي عبيدة وحده، وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أول دينكم بدأ نبوة ورحمة فذكر نحوه. ورواه الطبراني عن معاذ وأبي عبيدة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو حديث أبي يعلى وزاد: يستحلون الحرير والفروج والخمور. وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله ثقات، انتهى. قلت: لكنه لم ينفرد به، وله شاهد من حديث سفينة. راجع ٥٠ وتعليق الألباني على السنة لابن أبي عاصم، راجع ص ٢٢٤. وله شاهد صحيح من حديث حذيفة أيضا، راجع ص ٥٠.

(٣) الرياض النضرة ١/٤٨ وغنية الطالبين ص ٧٧ ولم يذكرا إسناده. وقال المحب الطبري: هذا الحديث

حتى حكم بينهما عبد الرحمن؟ أما احتمال نسيانه لهذا الحديث فمستبعد جدا لكن الذي تقدّر وتـــحقق عند هذا الفقير أن هذا المعنى صحيح وثابت، لكن كان فيه نوع من الغموض والإبهام فلم يفهم جليا في أول الأمر. وبعد ما وقع أصبح مثل فلق الصبح. ويستبعد أن لا يكون بلغ سيدنا عليا المرتضى أي حديث من أحاديث الرؤى المستفيضة التي ذكرناها آنفا. ومما رواه علي المرتضى نفسه حديث: إن تستخلفوا أبابكر تجدوه الخ[١] ويشير فيه إلى خلافة الشيخين.

(٩) وعن ابن عباس قال: والله إن إمارة أبي بكر وعمر لفي كتاب الله. قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾. قال لحفصة: أبوك وأبوعائشة أولياء الناس بعدي. فإياك أن تخبري به أحدا. أخرجه الواحدي وله طرق ذكر بعضها في الرياض النضرة[٢].

(١٠) ذكر في غنية الطالبين[٣]: روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: لما عرج بي سألت أن يـــجعل الـــخليفة من بعدي علي بن أبي طالب. فقالت الملائكة: يا محمد إن الله يفعل ما يشاء. الخليفة من بعدك أبوبكر.

(١١) وفي حديث البخاري: [٤] أن عمر سأل حذيفة عن الفتنة التي تموج كموج البحر ماذا حفظ عن النبي ﷺ فيها؟ فقال: مالك ولها يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها بابا مغلقا. قال: أيكسر الباب أو يفتح؟ قال: قلت: لا، بل يكسر. قال: ذلك حري أن لا يغلق أبدا. ثم فسر حذيفة الباب بعمر.

رابعا: أمره تصريحا وتلويحا باقتداء هؤلاء الخلفاء كما جاء في:

(١) حديث ابن مسعود[٥]: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر.

(٢) وحديث حذيفة[٦]: إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر الحديث.

بناء الكلام على الموصول (اللذين) يدل على أن الصحابة كانوا يعلمون أن الشيخين

---

(١) راجع ص ٦٣.

(٢) لم أجده في الرياض النضرة. نعم رواه ابن عدي ١٢٧٢/٣ وأبونعيم في فضائل الصحابة والعشاري في فضائل الصحابة ص ٦ وابن مردويه وابن عساكر من طرق عن علي وابن عباس كما في الدر المنثور ٢٤١/٦..

(٣) ٧٦/١ و لم أجد له إسنادا.

(٤) (٧٠٩٦) كتاب الفتن باب الفتنة التي تموج كموج البحر، ومسلم (٣٩٦) كتاب الإيمان باب رفع الأمانة والإيمان.

(٥) راجع ص ٦٣.

(٦) راجع ص ٦٣.

رضي الله عنهما سيتوليان أمر الأمة بعد النبي ﷺ. وكيف لا وقد سمعوا من لسانه الصادق ﷺ أحاديث كثيرة في تعيين الخلافة وتحديدها.

(٣) وفي حديث ابن ماجه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه: [١] فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ.

خامسا: إشارته قولا وفعلا عند وفاتـــه إلى خلافـــة أبي بكر. ثم إن النبي ﷺ لم يكتف بهذا بل أشار عند وفاته بقوله وفعله إلى خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما روي عن عائشة: أن النبي ﷺ قال قبيل مرضه: لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون. ثم قلت: يأبى الله يدفع الله ويأبى المؤمنون. أخرجه البخاري ومسلم[٢] في معناه، وفيه: ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر.

فهذا الحديث الصحيح دليل صريح على أن النبي ﷺ كان يريد استخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وإنما عدل عن استخلافه بالصورة المعتادة اتكالا على فعل الله وموعوده إلا أنه أظهر إرادته هذه بتفويض إمامة الصلاة إليه. والقصة معروفة جدا.

الخلاصة

الخلاصة أن هذا ما قاله النبي ﷺ في تفسير هذه الآيات وتبيينها. ولا بيان بعد بيانه. وإذا ألحقنا هذه الأحاديث الشريفة بأصل آية الاستخلاف كما يلحق بيان مقدار المسح المذكور في حديث المسح بآية الوضوء أصبحت أسماء هؤلاء العظماء كأنها قد ذكرت في الآية.

وإذا كان الاستخلاف بمعنى نصب خليفة، صارت أسماءهم معينة لإدراك هذا الاستخلاف الموعود. وإذا كان بمعنى استخلاف قوم لقوم آخرين، تعين أن صورته لا تتم إلا بنصبهم خلفاء.

الآية الثالثة

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[٣].

---

(١) راجع ص ٦٧.

(٢) لم أجده في البخاري. رواه مسلم (٦١٨١) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وعزاه المؤلف الإمام في الباب الرابع في مسند عائشة إلى مسلم وحده. راجع ص١٩٩ والله أعلم. وقد روي عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبدالرحمن بن أبي بكر: ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر الخ. راجع الرياض النضرة ١/ ١٥٤.

(٣) سورة الأنبياء : ١٠٥.

المراد من الزبور جنس الصحف أو الزبور الذي أوتيه داود عليه الصلاة والسلام. ومعنى الزبور: الــمكتوب. وكلام الله يصدق بعضه بعضا. قال الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾[1]. فذكر حكاية واحدة بعبارتين مختلفتين. هنا قال الزبور والذكر، بينما ذكر في تلك الآية التوراة والإنجيل. وعبر عن غلبة الدولة الإسلامية مرة بميراث الأرض ومرة بقوله: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾. وهنا اختار التعبير ﴿عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾، بينما استعمل في الآية ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ ضميرا يرجع إلى ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾. وكلاهما يدل على حقيقة واحدة.

ونود أن ننقل هنا روايات من كتاب الخصائص للإمام جلال الدين السيوطي:

(١) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره[2] عن ابن عباسﷺ في هذه الآية قال: أخبر الله سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض أن يورث أمة محمد في الأرض.

(٢) وأخرج ابن أبي حاتم[3] عن أبي الدرداء ﷺ أنه قرأ قوله تعالى ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ فقال: نحن الصالحون.

(٣) قال السيوطي: [4] وقد وقفت على نسخة من الزبور وهو مائة وخمسون سورة. ورأيت في السورة الرابعة منها ما نصه: يا داود اسمع ما أقول ومر سليمان فليقله للناس من بعدك أن الأرض أورثها محمدا ﷺ وأمته.

(٤) وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود ﷺ قال: قال أبوبكر الصديق: خرجت إلى اليمن قبل أن يبعث النبي ﷺ. فنـــزلت على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب، وأتت عليه أربعمائة سنة إلا عشر سنين. فقال لي: أحسبك حرميا؟ قلت: نعم. قال: وأحسبك قرشيا؟ قلت: نعم. قال وأحسبك تيميا؟قلت: نعم. قال: بقيت لي منك واحدة. قلت: ما هي؟ قال: تكشف لي عن بطنك. قلت: لم ذاك؟قال: أجد في العلم الصادق أن نبيا يبعث في الحرم يعاون على أمره فتى وكهل. فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات. وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة، وعلى فخذه اليسرى علامة. وما عليك أن تريني؟فقد تكاملت لي فيك الصفة إلا ما خفي علي. قال أبوبكر: فكشفت له عن بطني، فرأى شامة سوداء فوق سرتي. فقال: أنت

---

(١) سورة الفتح : ٢٩.
(٢) ١٠٤/١٧ ورجاله موثقون وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٣٤١/٤. راجع الخصائص ٧٣/١ وسبل الهدى ، ٢٧٧/١.
(٣) أخرجه البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٣٤١/٤.
(٤) الخصائص ٧٣/١.

هو ورب الكعبة[١].

(٥) وأخرج ابن عساكر عن الربيع بن أنس رضي الله عنه قال: مكتوب في الكتاب الأول: مثل أبي بكر الصديق مثل القطر أينما وقع نفع[٢].

(٦) وأخرج ابن عساكر عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: أتيت عمر وبين يديه قوم يأكلون فرمى ببصره في مؤخر القوم إلى رجل فقال: ما تجد فيما تقرأ قبلك من الكتب؟قال: خليفة النبي ﷺ صدّيقه[٣].

(٧) وأخرج الدينورى في المجالسة[٤] وابن عساكر من طريق زيد بن أسلم قال أخبرنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: خرجت مع ناس من قريش في تجارة إلى الشام في الجاهلية. فلما خرجنا إلى مكة نسيت قضاء حاجة. فرجعت فقلت لأصحابي: ألحقكم. فوالله إني لفي سوق من أسواقها إذا أنا ببطريق قد جاء فأخذ بعنقي. فذهبت أنازعه. فأدخلني كنيسته. فإذا تراب متراكب بعضه على بعض. فدفع إلي مجرفة وفأسا وزنبيلا. وقال: انقل هذا التراب. فجلست أتفكر في أمري كيف أصنع؟ فأتاني في الهاجرة فقال لي: لم أرك أخرجت شيئا. ثم ضم أصابعه فضرب بها وسط رأسي فقمت فضربت بها[٥] هامته. فإذا دماغه قد انتشر. ثم خرجت على وجهي، ما أدرى أين أسلك فمشيت بقية يومي وليلتي حتى أصبحت. فانتهيت إلى دير فاستظلت في ظله. فخرج إلى رجل، فقال يا عبد الله ما يجيئك[٦] ههنا؟ قلت: ضللت عن أصحابي. فجاءني بطعام وشراب وصعّد فيّ النظر وخفضه. ثم قال: يا هذا، قد علم أهل الكتاب أنه لم يبق على وجه الأرض أحد أعلم مني بالكتاب. وإني أجد صفتك الذي تخرجنا من هذا الدير، وتغلب على هذه البلدة. فقلت له: أيها الرجل، قد ذهبت في غير مذهب. قال: ما اسمك؟ قلت: عمر بن الخطاب. قال: أنت والله صاحبنا غير شك. فاكتب لي عليّ ديري وما فيه. قلت: أيها الرجل قد صنعت معروفا فلا تكدره. فقال: اكتب لي كتابا في رق، ليس عليك فيه شيء. فإن تك صاحبنا فهو ما نريد. وإن تكن الأخرى فليس يضرك. قلت: هات. فكتبت له ثم ختمت عليه. فلما قدم عمر الشام في خلافته أتاه ذلك الراهب وهو صاحب دير القدس بذلك

---

(١) الصالحي في سبل الهدى ١٠/ ٢٧٨ و ٢٧٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ذكره الصالحي أيضاً لكن فيه عن أبي بكر.

(٤) برقم ٢٠٠١، وذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد ٢٧٩/١٠، ٢٨٠، ٢٦٤/١١ وعزاه للدينوري وابن عساكر، وذكره ابن كثير في البداية ٦٠/٧ عن الدينوري.

(٥) الصواب: فقمت بالمجرفة. فضربت بها.

(٦) الصواب: ما يجلسك.

الكتاب. فلما رآه عمر تعجب منه. فأنشأ[١] يحدثنا حديثه. فقال: أوف لي بشرطي. فقال عمر: ليس لعمر ولا لابن عمر منه شيء.

(٨) وأخرج ابن سعد[٢] عن ابن مسعود قال: ركض عمر فرسا فانكشف ثوبه عن فخذه. فرأى أهل نجران بفخذه شامة سوداء فقالوا: هذا الذي نجده[٣] في كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا.

(٩) وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد[٤] من طريق أبي إسحاق عن عبيدة[٥] قال: ركض عمر فرسا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فانكشف فخذه من تحت القباء. فأبصر رجل من أهل نجران شامة في فخذه. فقال: هذا الذي نجده في كتابنا أنه يخرجنا من ديارنا.

(١٠) وأخرج أبونعيم من طريق شهر بن حوشب عن كعب[٦] قال قلت لعمر بالشام: إنه مكتوب في هذه الكتب أن هذه البلاد مفتوحة على يد رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين سره مثل علانيته، قوله لا يخالف فعله، القريب والبعيد سواء في الحق عنده، أتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار متراحمون متواصلون متبارون. قال عمر: أحق ما تقول؟ قال: إي والله. قال: الحمد الله الذي أعزنا وأكرمنا وشرفنا ورحمنا بنبينا ﷺ.

(١١) وأخرج ابن عساكر عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب بن عمر أن عمر ابن الخطاب كان بالجابية فقدم خالد بن الوليد إلى بيت المقدس. فقالوا له: ما اسمك؟ قال: خالد ابن الوليد. قالوا: وما اسم صاحبك؟ قال: عمر بن الخطاب. قالوا: انعته لنا. فنعته. قالوا: أما أنت فلست تفتحها ولكن عمر. فإنا نجد في[٧] الكتاب أن قيسارية تفتح قبل بيت المقدس. فاذهبوا فافتحوها ثم تعالوا بصاحبكم.

(١٢) وأخرج الطبراني وأبونعيم في الحلية[٨] عن مغيث الأوزاعي أن عمر بن الخطاب

(١) الصواب: وأنشأ.

(٢) الطبقات ٣/٣٢٦. وذكره الصالحي في سبل الهدى ١٠/٢٧٩ وفي إسناده أبوإسحاق وهو مدلس ومختلط، وقال الهيثمي في المجمع ٩/٦١: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٣) الصواب: الذي كنا نجد.

(٤) ص ١٢٣. ذكره الصالحي أيضاً من طريق أبي إسحاق.

(٥) في المراجع: أبوعبيدة

(٦) ذكره الصالحي في سبل الهدى أيضاً ١٠/٢٧٩، ٢٨٠.

(٧) وفي الخصائص والسبل ١٠/٢٨٠ إنا نجد في الكتب كل مدينة تفتح قبل الأخرى وكل رجل يفتحها نعته وإنا نجد في الكتاب الخ سقطت هذه العبارة.

(٨) أبونعيم ٦/٢٥ عن الطبراني، ولم أجده في معاجمه، بل قد رواه نعيم بن حماد في الفتن: ٢٤٢، ٢٧٤، ٢٩٨ وإسناده حسن.

قال لكعب الأحبار: كيف تجد نعتي في التوراة؟ قال: خليفة قرن من حديد أمير شديد لا يخاف في الله لومة لائم. ثم يكون من بعدك خليفة تقتله أمة ظالمون له ثم يقع البلاء بعده.

(١٣) وأخرج ابن عساكر عن الأقرع مؤذن عمر أن عمر دعا الأسقف، فقال: هل تجدونا في شيء من كتبكم؟ قال: نجد في "كتبنا"[١] صفتكم وأعمالكم، ولا نجد أسـماءكم[٢]. قال: كيف تجدوني؟ قال: قرنا من حديد، قال: ما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد. قال عمر: الله أكبر. قال: فالذي من بعدي؟ قال: رجل صالح يؤثر أقرباءه. قال عمر: يرحم الله ابن عفان. قال: فالذي من بعده؟ قال: صداء من حديد[٣]. فقال عمر: وا دفراه! قال: مهلا يا أمير المؤمنين، فإنه رجل صالح. ولكن تكون خلافته في هراقة من الدماء والسيف مسلول.

(١٤) وأخرج ابن عساكر عن ابن سيرين قال: قال كعب الأحبار لعمر: يا أمير المؤمنين هل ترى في منامك شيئا؟ فانتهره. فقال: أنا أجد رجلا يرى أمر الأمة في منامه.

(١٥) وأخرج ابن راهويه في مسنده بسند حسن عن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري، قال: كان عبد الله بن سلام قبل أن يأتي أهل مصر يدخل على رؤس قريش، فيقول لهم: لا تقتلوا هذا الرجل يعني عثمان. فيقولون: والله ما نريد قتله. فيخرج وهو يقول: والله ليقتلنه! ثم قال لهم: لا تقتلوه، فوالله ليموتن إلى أربعين يوما. فأبوا. فخرج عليهم بعد أيام، فقال لهم: لا تقتلوه. فوالله[٤] ليموتن إلى خمس عشرة ليلة.

(١٦) وأخرج ابن سعد[٥] وابن عساكر عن طاوس قال: سئل عبد الله بن سلام حين قتل عثمان: كيف تجدون صفة عثمان في كتبكم؟قال: نجده يوم القيامة أميرا على القاتل والخاذل.

(١٧) وأخرج ابن عساكر من طريق محمد بن يوسف عن جده عبد الله بن سلام أنه دخل على عثمان، فقال له: ما ترى في القتال والكف؟قال: الكف أبلغ للحجة. وإنا لنجد في كتاب الله أنك يوم القيامة أمير على القاتل والآمر.

(١٨) وأخرج من هذا الطريق أن عبد الله بن سلام قال للمصريين: لا تقتلوا عثمان. فإنه لا يستكمل ذا الحجة حتى يأتي على أجله.

---

(١) سقط من الخصائص والسبل.

(٢) في الخصائص: أسماءكم اسما.

(٣) في الخصائص والسبل: صداء حديد.

(٤) سقط بعده من الإزالة (ليموتن إلى أربعين يوما. فأبوا. فخرج عليهم بعد أيام، فقال لهم: لا تقتلوه، لا تقتلوه فوالله).

(٥) ٨١/٣ وفي إسناده ليث، وفيه كلام معروف. و لم يثبت سماع طاوس عن ابن سلام.

(١٩) وأخرج الحاكم[١] عن أبي الأسود الدؤلي عن علي رضي الله عنه قال: أتاني عبدالله بن سلام وقد وضعت رجلي في الغرز وأنا أريد العراق، فقال: لا تأتي العراق. فإنك إن أتيته أصابك به ذباب السيف. قال علي: وأيم الله، لقد قالها لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك. قال أبوالأسود: فقلت في نفسي: بالله ما رأيت كاليوم رجل محارب يحدث الناس بمثل هذا.

(٢٠) وأخرج أبوالقاسم البغوي عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لذي قربات الحميرى وكان من أعلم يهود: يا ذا قربات، من بعده؟ قال: الأمين يعني أبابكر. قيل فمن بعده؟ قال: قرن من حديد يعنى عمر. قيل: فمن بعده؟ قال: الأزهر يعنى عثمان. قيل: فمن بعده؟ قال: الوضاح المنصور يعنى معاوية.

(٢١) وأخرج ابن راهويه والطبراني عن عبد الله بن مغفل قال: قال لي ابن سلام لما قتل علي: هذا رأس أربعين سنة، وسيكون عندها صلح[٢].

(٢٢) أخرج ابن سعد[٣] عن أبي صالح قال: كان الحادي يحدو بعثمان وهو يقول:

إن الأمير بعده علي وفي الزبير خلف مرضي

فقال كعب: لا بل معاوية[٤] فاخبر معاوية بذلك فقال: يا أبا إسحاق، أنى يكون هذا وههنا أصحاب محمد، علي والزبير؟ قال: أنت صاحبها.

ومما ينبغي أن يعلم أن سنة الله جرت على أنه حين يقدر أمرا من الأمور العظيمة وترتسم صورته فى الملأ الأعلى يتلقاه الملأ السافل. وحينئذ قد يعرفه بعض الكهان بكهانتهم وبعض أصحاب الأذهان الصافية بالرؤيا، وكذلك ترتسم صورته في بعض الأجسام. ونود أن ننقل هنا بعض الروايات فى هذا الباب من خصائص جلال الدين السيوطى أيضا:

(١) قول السطيح بعد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: ثم يلي أمره الصديق إذا قضى صدق، وفى رد الحقوق لا خرق ولا نزق. ثم يلي أمره الحنيف مجرب غطريف، وقد أضاف

---

(١) سقط هذا الأثر من الخصائص. أخرجه ابن حبان- الإحسان- ٨/ ٦٦، والحاكم ١٤٠/٣. وقال: صحيح على شرط الشيخين، وتعقبه الذهبي: ابن بشار ذو مناكير، وابن أعين غير مرضي. قلت: تابع ابن بشار إسحاق عند أبي يعلى رقم ٤٨٧، وأحمد بن ابان القرشي عند البزار كما في الكشف ٢٥٧١ وأما عبد الملك بن أعين فهو صدوق شيعي، وقال الهيثمي في المجمع ١٣٨/٩ رجال أبي يعلى رجال الصحيح غير إسحاق وهو ثقة مأمون.

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن: ١٩٦٤، ١٩٧٠ والبغوي في المعجم: ٢٦٣٨، بسند جيد. وليس عندهما: لما قتل علي.

(٣) لم أجده في مظانه، وذكره السيوطي والصالحي في السبل ٢٨٩/١٠ أيضاً، والبغوي في معجمه ٣٣١/٤ عن حارثة بن مضرب قال: حججت مع عمر فكان الحادي يحدو: إن الأمير بعد عثمان، وحججت مع عثمان فكان الحادي يحدو: إن الأمير بعد علي وإسناده جيد.

(٤) في الخصائص: لا بل هو معاوية.

المضيف وأحكم التحنيف. ثم يلي أمره وارع لأمره مجرب فيجتمع له جموع وعصب. فيقتلونه نقمة عليهم[١] وغضب. فيؤخذ الشيخ فيذبح إربا، فيقوم له رجال خطبا. ثم يلي أمره الناصر يخلط الرأي بأمر ماكر[٢] يظهر فى الأرض العساكر. والمراد من الناصر هاهنا معاوية بن أبي سفيان[٣].

(٢) وأخرج ابن عساكر عن أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون، المقرئ قال: لما فتحت عمّورية وجدوا على كنيسة من كنائسها مكتوب بالذهب: شر الخلف خلف يشتم السلف. واحد من السلف خير من ألف من الخلف. صاحب الغار[٤] نلت كرامة الافتخار إذ أثنى عليك الملك الجبار إذ يقول في كتابه المنـــزل على نبيه المرسل: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾. ياعمر ما كنت واليا بل كنت والدا. عثمان[٥] قتلوك مقهورا و لم يزوروك مقبورا وأنت يا علي إمام الأبرار والذاب عن وجه رسول الله ﷺ الكفار. فهذا صاحب الغار وهذا أحد الأخيار وهذا غياث الأمصار وهذا إمام الأبرار. فعلى من ينتقصهم لعنة الجبار. فقلت لصاحب له قد سقطت حاجباه على عينيه من الكبر: منذ كم هذا على باب كنيستكم مكتوبا؟ قال: من قبل أن يبعث نبيكم بألفي عام[٦].

(٣) وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق عن كعب قال: كان إسلام أبي بكر الصديق سببه بوحي من السماء. وذلك أنه كان تاجرا بالشام. فرأى رؤيا فقصها على بحيراء الراهب. فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة. قال: من أيها؟ قال: من قريش. قال: فايش أنت؟ قال: تاجر. قال: صدق الله رؤياك. فانه يبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد موته. فأسرها أبوبكر حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه، فقال: يا محمد ما الدليل على ما تدعي؟ قال: الرؤيا التى رأيت بالشام. فعانقه وقبل ما بين عينيه، وقال أشهد أنك رسول الله[٧].

(٤) وأخرج ابن عساكر عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: ليلة أسري بي رأيت على العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبوبكر الصديق عمر الفاروق، عثمان ذوالنورين[٨].

---

(١) الصواب: عليه.

(٢) في الخصائص: يخلط الرأي برأى ماكر.

(٣) المراد من الناصر الخ، لعله من كلام المؤلف. راجع قول السطيح في الخصائص ٨٤/١. وأخرجه أبونعيم في الدلائل رقم ٦٩، ١٢٢/١، ورجال إسناده ثقات.

(٤) في الخصائص: يا صاحب الغار.

(٥) فيه: يا عثمان

(٦) ذكره السيوطي في الخصائص ٩١/١.

(٧) السيوطي في الخصائص ٧٢/١ وعزاه لابن عساكر.

(٨) الخطيب في تاريخه ٢٦٤/١٠ ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ٣٣٧/١ من حديث جعفر بن

(٥) وأخرج أبويعلى والطبراني في الأوسط وابن عساكر والحسن بن عرفة في جزئه المشهور عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: ليلة عرج بي إلى السماء ما مررت بسماء إلا وجدت إسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله وأبوبكر الصديق خلفي[(١)].

(٦) وأخرج الدارقطني في الأفراد والخطيب وابن عساكر[(٢)] عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت ليلة أسري بي في العرش فرندة خضراء فيها مكتوب بنور أبيض: لا إله إلا الله محمد رسول الله أبوبكر الصديق عمر الفاروق.

(٧) أخرج ابن عساكر وابن النجار في تاريخيهما[(٣)] عن أبي الحسن علي بن عبدالله الهاشمي الرقي قال: دخلت بلاد الهند فرأيت فى بعض قراها شجرة لها ورد أسود، ينفتح عن وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط أبيض: لا اله إلا الله محمد رسول الله أبوبكر الصديق عمر الفاروق، فشككت في ذلك وقلت: إنه معمول. فعمدت إلى حبة لم تفتح ففتحتها فرأيت فيها كما رأيت في سائر الورد وفي البلد منه شيء كثير.

الآية الرابعة

قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ

محمد عن أبيه عن جده، وزاد في آخره: يقتل مظلوماً. وفي إسناده عبدالرحمن بن عفان ومحمد بن مجيب كذابان قاله ابن معين. وذكره المحب الطبري في الرياض ٤٦/١، ٥٤.

(١) أخرجه الحسن بن عرفة في جزئه كما في المطالب: ٣٨٦٦ ومن طريقه أبويعلى: ٦٥٧٦ وابن عدي في الكامل ١٥٠٧/٤ وابن الجوزي في الموضوعات ٣١٨/١ والطبراني في الأوسط. قال في المجمع ٤١/٩ فيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف، قلت: بل هو متروك كما في التقريب ص ٢٥٦ ونسبه ابن حبان إلى الوضع، اتفقوا على تضعيفه وعبدالرحمن بن زيد وحسنه السيوطي في اللآلي ٢٩٦/١ لشواهده وتعقبه الشوكاني في الفوائد ص ٣٣٣.

(٢) الدارقطني في الأفراد، كما في أطراف الغرائب والأفراد: ٤٦١١، ٤١/٥ ومن طريقه الخطيب في تاريخه ٢٥٤/١١ ورواه ابن حبان في المجروحين ٣٥٦/١ أيضاً ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١٨٧/١ عن سري بن عاصم وعمر بن إسماعيل بن مجالد قالا ثنا محمد بن فضيل، وسري يسرق الحديث، كذبه ابن خراش ومن مصائبه هذا الحديث كما قاله الذهبي في الميزان ١١٧/٢ وعمر بن إسماعيل متروك كذبه ابن معين وذكره الذهبي في ترجمته هذا الحديث ١٨٢/٣، ١٨٣ وقد أطنب الكلام في تحقيق إسناده محمد بن ظافر في تعليقه على المطالب.

(٣) ذكر ابن عساكر في ترجمة الحسن بن أحمد كما في تهذيب ابن عساكر ١٥٣/٤ وابن النجار في ذيل تاريخ بغداد ٥٨/٣ في ترجمة علي بن أحمد بن سعيد أبوالحسن الصفار.

﴿وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[(١)].

قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يشير إلى أمرين:

الأول: الإخبار عن الحادثة التي وقعت في مرض وفاة النبي ﷺ وتفاقمت بعد وفاته.

والثاني: الإخبار عن التدبير الذي أعدّه وقدّره الله سبحانه في عالم الغيب لمواجهة هذه الحادثة، حتى يعلمها الناس ولا يأخذهم الاضطراب والحيرة ولا يغلبهم اليأس من وقوعها وتفاقمها، بل يكونوا على بصيرة من أمرهم وعلى استعداد لمواجهتها، ويجتهدوا في إتمام هذا التدبير عند ظهوره برغبة منهم وطاعة ويحسبوا فيه سعادة لهم وفوزا.

وشرح هذه الحادثة أن ثلاث طوائف من العرب ارتدت عن الإسلام في آخر حياة النبي ﷺ، وادعى رجل من كل طائفة منها النبوة وصدقه قومه. فحدثت بذلك فتنة عظيمة وتفاقمت. فأحدهم ذو الخمار العنسي الذي كان يتكهن ويشعبذ. ادعى النبوة في مذحج باليمن. فكتب النبي ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين ليعدّوا العدة لقتاله. فاجتمع المسلمون لقتاله وتولى فيروز الديلمي قتله. وعلم النبي ﷺ قتله بالوحي وقال: فاز فيروز. ووصل خبر قتله إلى أبي بكر الصديق ﷺ في آخر ربيع الأول. فكان أول بشارة فتح سر بها.

والثاني مسيلمة الكذاب الذي تنبأ في قبيلة بني حنيفة باليمامة. وكتب إلى النبي ﷺ كتابا جاء فيه: من مسيلمة رسول الله. أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك. وبعث بكتابه هذا برجلين إلى النبي ﷺ. وسأل النبي ﷺ الرجلين: أتشهدان أن مسيلمة رسول الله؟ قالا: نعم، فقال النبي ﷺ: لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما. ثم كتب النبي ﷺ ردا على كتابه:

من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين[(٢)].

ثم مرض النبي ﷺ وانتقل إلى الرفيق الأعلى ولم يتخذ تدبيرا لدفعه. فوجه سيدنا أبوبكر الصديق ﷺ خالد بن الوليد على رأس جيش عظيم إليه فحملوا عليه. فقتله وحشي وتفرق جمعه وتاب بعضهم ورجعوا إلى الإسلام.

والثالث طليحة الأسدي الذي تنبأ في بني أسد في حياة النبي ﷺ فوجه أبوبكر الصديق

---

(١) سورة المائدة : ٥٤، ٥٥، ٥٦.

(٢) أبوداود (٢٧٦١) كتاب الجهاد باب في الرسل، وأحمد ٤٨٨/٣ من حديث نعيم بن مسعود وإسناده حسن. والدارمي ٢٣٥/٢ وأحمد ٣٩١/١، ٣٩٦ والبزار وأبويعلى: ٥٠٧٥، ٥١٩٩، ٥٢٢٥، ٥٢٣٨، وحسن إسناده الهيثمي في المجمع ٣١٤/٥ والنسائي في الكبرى من حديث عبدالله بن مسعود بدون قصة رسل مسيلمة. وليس في حديث نعيم ذكر مكتوب النبي ﷺ وإنما ذكره ابن إسحاق، راجع البداية ٥١/٥، ٣٤١/٦ والوثائق السياسية ص ٢٥٧.

ﷺ خالد بن الوليد بجيش إلى قومه لقتالهم. فهزمهم خالد وفر طليحة. ثم أسلم بعد ذلك وأبلى بلاء حسنا في حرب القادسية.

وكذلك اشتدت فتنة الردة وكفر عامة العرب غير الحرمين وقرية جواثي. ومنعت طائفة الزكاة. واختلف فقهاء الصحابة في قتالهم، ووقعت بينهم مجادلة في ذلك. فقالوا لأبي بكر: هم أهل القبلة ولا يجوز قتالهم. وكان عمر الفاروق ﷺ ممن يرى هذا الرأي وكان مما قاله:

"كيف تقاتل الناس وقد قال رسول اللهﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فمن قالها عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله. فقال أبوبكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. فإن الزكاة حق المال. والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونها إلى رسول اللهﷺ لقاتلتهم عليها. قال عمر: فعرفت أنه الحق. أخرجه الشيخان وغيرهما[1]".

وتفصيل التدبير الذي قدره الله تعالى لدفع هذه الحادثة أنه ألهم أبابكر الصديقﷺ العزيمة في قتالهم وثبت قلبه عليها وشرح صدره للسر الذي كان النبيﷺ أشار إليه في قوله عن هذه الفتنة: العصمة فيها السيف[2]. رواه حذيفة. وكان أكثر الصحابة قد ترددوا في قتال أهل الردة حتى عمر الفاروقﷺ سأله أن يتألف الناس ويرفق بهم. فرد عليه أبوبكر بقوله: أجبار أنت في الجاهلية خوار في الإسلام[3]؟ وجادل وناظر علياﷺ أيضا[4]. قال أنس بن مالك[5]: كره الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا: أهل القبلة. فتقلد أبوبكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج. وقال ابن مسعود[6]: كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء، أخرجهما البغوي وغيره. فكانت العزيمة التي ألقاها الله سبحانه وتعالى في قلب أبي بكر الصديق ﷺ مثل مصباح منير ينور كل شيء يواجهه حتى استعدت جماعات عظيمة من المسلمين للقتال وسعوا له سعيهم. قال أبوبكر بن عياش: سمعت أباحصين يقول: ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر، قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة. أخرجه البغوي[7].

وهذه إشارة إلى تحمل هذه العزيمة الربانية التي ألهمها حتى تمكن من جمع الأمة كلها على

---

(١) مر في مقدمة الباب الثالث، راجع ص ٨٦.
(٢) أبوداود (٤٢٤٤) كتاب الفتن والملاحم، وأحمد ٤٠٣/٥ ورجاله ثقات.
(٣) ذكره أبوعبد الله الخطيب في المشكاة ص ٥٥٦ في مناقب الصديق في الفصل الثالث وعزاه لرزين.
(٤) انظر البداية ٣٥/٦.
(٥) البغوي في المعالم ٤٥/٢.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المعالم ٤٥/١ وروى أحمد في فضائل الصحابة ٥٩٨ طرفه الأول وفي إسناده محمد بن بشير وفيه ضعف، وله إسناد آخر عند أبي نعيم في الفتن، ورجاله ثقات.

الجهاد والتمسك بسنة الإسلام. وقد أخرج أبوبكر[١] عن القاسم بن محمد عن عائشة أنها كانت تقول: توفي رسول الله ﷺ فنــزل بأبي بكر ما لونــزل بالجبال لهاضها. اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب. فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي لحظها وغنائها[٢] في الإسلام. وكانت تقول مع هذا: ومن رأى عمر بن الخطاب عرف أنه خلق غناء للإسلام كان والله أحوذيا نسيج وحده قد أعد للأمور أقرانها.

قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ ليس معناه أنه سيوجدهم من العدم أو يخرجهم من الكفر إلى الإيمان. بل المراد أنه سيبعثهم على الجهاد في سبيله بفضل العزيمة التي ألقاها في قلب أبي بكر الصديق ﷺ ويستحثهم عليه حتى يقوموا جميعا باتباع الإلهام الرباني وإتمام التدبير الإلهي.

قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ ذكر ستا من صفاتهم، منها اثنتان تخصان ما بين الله وبين عباده، واثنتان تخصان ما بينهم وبين غيرهم من بني آدم. إنهم يعاملون المؤمنين معاملة الوالد لولده وإنهم مع الكفار مثل جبريل الذي صار كجارحة من جوارح الجبار في صيحة ثمود في إهلاكهم وإتلافهم. ثم صفتان تخصان نصرتهم الملة الإسلامية، الأولى: القيام بالجهاد وفي معناه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثانية: عزيمتهم التي لا تضعفها أو تؤثر فيها لومة لائم ولا قرابة أحد من الناس أو غيرها من الأسباب.

قوله تبارك وتعالى ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، خلاصة تؤكد اتــصافهم بهذه الخصال التي منــزلتها عظيمة عند الله تعالى وأنها لا يدركها إلا أولياءه المخلصون. ويدل هذا الوصف الرائع على أن حرب أهل الردة تلى بدرا والحديبية وأنها من مشاهد الإسلام العظيمة.

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ الخ، تستعمل إنما في كلام العرب لتأكيد مفهوم السياق. فيكون المعنى أيها المسلمون لا تخافوا ارتداد العرب وشوكة أحزابهم فإن الله وليكم وناصركم وهو الذي يدبر الأمر ويلهم الخير وكذلك يقف معكم رسوله بدعوته إلى الجهاد والترغيب فيه وينصر أمته بالدعاء لهم. وسينصركم المؤمنون المخلصون الذين يقيمون الصلاة في خشوع ويؤدون الزكاة ابتغاء مرضاة الله. لأن الله ألقى في قلوبهم داعية الجهاد في سبيله وحبب إليهم الاهتمام بأعمال الخير ودفع الشر.

---

(١) المصنف ٥٧٢/١٤ والطبراني في الصغير ١٠١/٢، ١٠٢ والأوسط كما في مجمع البحرين ٢٢٥/٦ من طرق ورجال أحدها ثقات كما في المجمع ٥٠/٩ وذكره الحافظ في المطالب العالية ٣١/٤ أيضا. وراجع تعليق محمد بن ظافر على المطالب رقم ٣٨٨٠ والبداية ٣٠٤/٦، ٣٠٥.

(٢) وفي المصنف: بحظها وغنائها. وفي المجمع: بحظها وشانها.

وهذه الآية عامة في مدلولها. لأن كلماتها عامة تشمل جميع المؤمنين المخلصين المتصفين بهذه الصفات. وهي تنطبق على سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ لأن شمولها لمن هو سبب نـزولها قطعي، نظرا إلى عمومها كما قال عبدالله بن جابر: نـزلت في عبد الله بن سلام لما هجره قومه من اليهود. وأخرج البغوي[1] عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نـزلت في المؤمنين فقيل له إنها نـزلت في علي؟ فقال: هو من المؤمنين. لا كما ظنـته الشيعة الذين جعلوا ﴿رَٰكِعُونَ﴾ حالا من ﴿يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وذكروا قصة موضوعة أن عليا ﷺ تصدق بخاتمه على سائل في حالة الركوع. أرادوا بذلك التفريق بين معنى الآية وبين سياقها. فرق الله بين أعضائهم كما فرقوا بين آيات متسقة بعضها ببعض.

قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الخ يعني أن ولاية المسلمين ونصرهم وخاصة في مثل هذه الحوادث العظام لا يقوم بها إلا المؤمنون السابقون المتصفون بصفات الكمال.

قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ﴾ الخ أمر وترغيب في إخلاص الطاعة لله ولرسوله وخليفة رسوله وبيان أن غلبة الإسلام وسعادة الملة تنحصران في موالاة الله ورسوله وطاعتهما وحب المؤمنين.

بعدما تبين هذا فاعلم أن وعد الله صادق، لكن إنجازه لم يقع في زمان حياة النبي ﷺ لأنه لم يخرج أي جيش مجتمع لمحاربة المرتدين في ذلك الزمان. وكذلك لم يحدث أن جيشا مدججا بالآلات والأسلحة الحربية حارب المرتدين في هذه المدد المتطاولة بعد عصر الشيخين. فلابد من التسليم بأن هذه الآية إنما تنطبق على الجنود المجندة الذين وجههم أبوبكر الصديق لمحاربة أحزاب المرتدين والذين كانوا أتموا بفضل الله هذه الفتوحات الرائعة في أسرع وقت وأقل مدة.

ثم إن جمع الرجال والجيوش لمحاربة المرتدين من لوازم الخلافة التي هي رياسة الخلق في إقامة الدين وجهاد أعداء الله وإعلاء كلمته بوجه يحبه. وجهاد المرتدين من أعظم أنواع إقامة الدين. لأن ثناء الله على القائمين به ورضاه عنهم في هذه الآيات أظهر من الشمس في رابعة النهار.

ومما ينبغي أن يعلم أن قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ترغيب في تولي الخليفة الراشد. ولما علم أن أبابكر الصديق ﷺ مصداق هذه الآية ثبت أنه مورد النص وداخل في مدلولها قطعا. والترغيب في تولي الخليفة الراشد إشارة إلى أن الانقياد له واجب. فهذه دلالة على

---

(١) المعالم ٤٧/٢. وابن جرير ٢٨٨/٦ وابن المـنذر وعبد بن حميد أيضا كما في الدر المنثور ٢٩٤/٢ ورجاله ثقات.

وقوع خلافة سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ.

واعلم أيضا أن الله سبحانه وتعالى قد شهد بالتأكيد أن الذين سيقاتلون المرتدين يكونون محبوبين ومحبين وكذا وكذا. وهذه كلها من صفات الكمال. ولو لم يكن أبوبكر الصديق خليفة حقا لزم أن الذين جاهدوا بأمره وبايعوه ورضوا باستخلافه لم يكونوا محبوبين ومحبين ولا متصفين بصفات الكمال، واللازم باطل بشهادة الله تعالى.

ثم إن جمع المسلمين وتجهيزهم لجهاد المرتدين الذي عبر عنه قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ تم كما هو الظاهر على يد أبي بكر الصديق ﷺ. وهذا الأسلوب يشبه قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فكان جمع الرجال المتصفين بصفات الكمال وتوجيههم للقتال من فعل الله سبحانه وتعالى الذي نسبه إلى ذاته المقدسة وصار أبوبكر الصديق بمنـــزلة الجارحة في إنـــجازه. فأي منـــزلة تفوق هذه المنـــزلة بعد منـــزلة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؟ ومن الذي يكون كامـــلا ومكملا مثله؟ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ومما ينبغي أن يعلم أيضا أن مورد قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾، أبوبكر الصديق ﷺ ولو أن كلماته عامة. إذ دخول مورد النص في العام قطعي. فأبوبكر الصديق ﷺ ولي المسلمين وراعيهم. وهذا هو معنى الخلافة الراشدة. وكذلك دلت هذه الآية على أن أبابكر الصديق ﷺ كان من المتصفين بإقامة الصلاة بخشوع وإيتاء الزكاة أو بكثرة نوافل الصلاة. وهذا من لوازم الخلافة الخاصة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأمر بالجهاد والقتال ينسب في العرف الشائع إلى الآمر. بل ينبغي أن يفضل الآمر غيره في الاتصاف بهذه الصفات حتى تنور قوة عزيمته قلوبهم ويكون لهم أسوة يقتدون به. وهذا يدل على أن هذه الصفات الست كلها كانت متحققة في أبي بكر الصديق ﷺ على أكمل الوجوه. وهذا من لوازم الخلافة الخاصة أيضا. بل يحتمل أن تكون هذه كلها صفات أبي بكر وحده، وإنما ذكرت هنا بصيغة الجمع بوجه التعريض كما قال عز من قائل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ الآية. التي أريد بها أبوبكر وحده لكن استعملت صيغة الجمع للتعريض.

ومن القرائن التي تؤيد اختصاص أبي بكر الصديق ﷺ بهذه الصفات أنه لم يكن أحد غيره تعرض للوم المسلمين في قتال المرتدين. ولا عبرة بلوم الكفار. فوصف ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ مخصوص بأبي بكر الصديق وحده. فإن الصحابة لما جادلوه في قتال مانعي الزكاة وأرادوا منعه عنه لم يخف قلبه المبارك و لم توهن أقوالهم من عزمه بل أصر وثبت على الرأي الذي أراه الله

فيهم، لأنه كان مستيقنا بكفرهم وارتدادهم. فهذا قوله تعالى ﴿لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾.

الآية الخامسة

قال الله تعالى في سورة الفتح ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١]

سبب نــزول هذه الآية على ما دل عليه إجماع المفسرين والأحاديث الصحيحة وسياق الآيات أن النبي ﷺ أراد عام الحديبية أن يعتمر، فاستنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه. لأنه كان يخاف أن تمنعه قريش من دخول مكة أو يعرضوا له بحرب ليشتفوا منه بأخذ ثأر قتلاهم في بدر وأحد والأحزاب. فرأى أن يستصحب جمعا كبيرا من المؤمنين معه ليأمن شرور قريش ومكائدهم. فلم يخرج معه إلا المؤمنون المخلصون الذين اختاروا صحبته وتلبية دعوته على أغراض الدنيا. ولما وصلوا إلى الحديبية بلغهم أن قريشا أخذهم حمية الجاهلية واجتمعوا لقتالهم. وبعد الأخذ والرد والتفاوض انتهى الأمر إلى قبول المسلمين مصالحة المغلوبين فنحروا هدي الإحصار وعادوا إلى المدينة.

وفي هذه الرحلة ظهر إخلاص المؤمنين وصدق ضمائرهم واستولى على قلوبهم الحزن والكرب لفوات العمرة وقبول الصلح الذي ظنوه دنيئة في دينهم. فاقتضت حكمة الله أن يكشف عنهم ما بهم من الحزن والهم وأن يستجبرهم فوعدهم مغانم خيبر التي سيأخذونها قريبا. فجعلها خصيصا لأهل الحديبية. فلم يأذن للخروج إلى غزوة خيبر إلا لمن شهد الحديبية. فقسمت مغانم خيبر عليهم دون غيرهم كما قال الله تعالى ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾[٢].

ثم أثنى على الذين بايعوا رسوله في الحديبية مخبرا عن رضاه عنهم بقوله تعالى ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[٣].

ولم يتخلف أحد ممن شهدوا الحديبية عن مبايعة النبي ﷺ غير جد بن قيس المنافق وحده.

والحديبية مشهد عظيم من مشاهد الخير أدرك به الصحابة منازل عالية وبشرهم الله وجبر قلوبهم بمغانم كثيرة، منها التي سيأخذونها حال انصرافهم من الحديبية، ومنها التي سيأخذونها

---

(١) سورة الفتح: ١٦.
(٢) سورة الفتح: ١٥.
(٣) سورة الفتح: ١٨.

بعد ذلك، مثل مغانم حنين وبمغانم أخرى لم يقدر عليها العرب قط. وهي مغانم فارس والروم اللتين لم يخطر ببال العرب قط أن تكون لهم الغلبة عليهما بسبب قوتهم وشوكتهم وكثرة عددهم، فلم يكونوا يرجون أو يحلمون بأخذ غنائمهم. فالمراد من قوله تعالى ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾[1] مغانم العرب مثل حنين وغيرها، فعجل لكم هذه هي مغانم خيبر التي أخذوها فور انصرافهم من الحديبية، ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾[2] هي مغانم فارس والروم.

وكذلك اقتضت الحكمة الربانية أن يهدد المتخلفين عن الحديبية وأن يفضحهم فقال الله تعالى ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾ الخ وأخبرهم أنهم سيدعون لقتال قوم أولي بأس شديد. وأخبرهم بهذه الدعوة مسبقا حتى يتأملوا عواقب قبولها أو عدم قبولها، وليكونوا على بصيرة من أمرهم حتى إذا ظهرت لم يدهشوا لها، ولم تشوشهم الاحتمالات العقلية. وعلم من قوله تعالى ﴿سَتُدْعَوْنَ﴾ بطريق اقتضاء النص أنه سيكون داع في المستقبل يدعو الأعراب إلى جهاد الكفار ويكون هذا الداعي مفترض الطاعة ويقوم التكليف الشرعي بدعوته. فمن لبى دعوته يثاب ومن تخلف عنها يعاقب. وهذه لازمة بينة من لوازم الخليفة الراشد. والدعوة إلى جهاد الكفار من أعظم صفات الخليفة. فهذه الآية دلت على وعد وجود الداعي إلى الجهاد وإثبات خلافته.

والآن علينا أن ننظر من كان هؤلاء الدعاة الذين تنطبق عليهم هذه الأوصاف المذكورة في الآية وهي أربعة:

الأول: أن تكون الدعوة موجهة إلى الأعراب الذين هم أهل البوادي ولو شملت أهل الحواضر أيضا.

الثاني: أن تكون الدعوة لقتال قوم أولي بأس شديد ومعنى ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أن تزيد قوتهم وشوكتهم على قوة غيرهم من الفئات التي اشتركت في الحروب التي سبقتها. فإن الشدة والضعف أمر نسبي. فكل ضعيف أشد ممن هو أضعف منه. ولايطلق في العرف الشائع أولو بأس شديد إلا على قوم يفضل غيره في القوة والشوكة والعدد والآلات الحربية، فإن مفهوم أولي بأس شديد بحسب القياس والعقل الإنساني أن يكونوا أقرب إلى الغلبة ولو أن الحكمة الربانية قد تشتت شملهم على يد قوم مستضعفين بخرق العادة.

الثالث: أن تكون الدعوة لقتال الكفار من غير قريش. لأن تنكير قوم يدل على أنهم غير الأولين الذين دعا إليهم رسول الله ﷺ في الحديبية. ولو كان المراد قريشا لكان الكلام ستدعون إليهم مرة أخرى بدل ستدعون إلى قوم.

---

(١) سورة الفتح: ٢٠.

(٢) سورة الفتح: ٢١.

الرابع: أن هذه الدعوة ستكون لقتال لا ينتهي إلا بإسلام قوم أولي بأس شديد أو بقتالهم. وهذا لا يتناول قتالا يراد به تقوية خلافة خليفة أو ضرب البغاة المسلمين مثل دعوة علي ﷺ لقتال البغاة والخوارج وكذلك لا يتناول حربا يقصد بها إرهاب العدو ولا يحدث فيها قتال ويعود المسلمون بغير قتال كما كان رسول الله ﷺ دعا المسلمين للخروج إلى تبوك لقتال الروم لكن قيصر الروم لم يبرح مكانه و لم يتقدم للقتال فعاد المسلمون إلى المدينة دون قتال.

وبعد هذا التعريف ندرك جليا بأن هؤلاء الدعاة هم الخلفاء الثلاثة لا غيرهم. وذلك لأنه لا يخرج عقلا إلا أن يكون هذا الداعي إما رسول الله ﷺ أو الخلفاء الثلاثة أو سيدنا علي ﷺ أو بنوأمية أو بنو العباس أو الأتراك الذين ظهروا بعد زوال دولة العرب. أما رسول الله ﷺ فإن هذه الدعوة لم تقع في حياته. لأن الآية نزلت في قصة الحديبية وغزواته ﷺ بعد الحديبية معدودة معلومة. ولا تنطبق هذه الصفة على أي منها. فإن الغزوة التي تلت الحديبية هي غزوة خيبر التي لم يدع إليها أحد من الأعراب بل منعوا من ذلك بقوله تعالى ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾. فلم يُدع للخروج إليها إلا الذين كانوا قد شهدوا الحديبية. وبعدها وقعت غزوة الفتح التي دعي إليها بعض الأعراب ولكن لا لقتال قوم أولي بأس شديد بل كان المحاربون هم الذين كانوا في الحديبية ويقتضي نظم الكلام الفرق بين القومين. كذلك لا يحتمل أن يكون المراد منها غزوة حنين فإن هوازن كانوا أقل وأذل في مواجهة جيش النبي ﷺ الذي كان عدده اثني عشر ألف غاز من المهاجرين والأنصار والأعراب ومسلمة الفتح على رغم أن الله سبحانه قضى بحكمته أن يعلمهم درسا آخر كما أخبر في قوله تعالى ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾[1] الخ. وكذلك لا يحتمل أن يراد بها غزوة تبوك التي لا يصدق عليها وصف ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾. وكان المراد منها إيقاع الرعب في قلوب أهل الشام والروم. و لم يتقدم هرقل لقتال المسلمين و لم يبعث جيشه. فعاد المسلمون دون قتال. وأما بنوأمية وبنو العباس ومن بعدهم فلم يدعوا أعراب الحجاز واليمن قط لقتال الكفار كما هو معلوم من التاريخ قطعا. فلم تقع هذه الدعوة المقيدة بهذه الأوصاف في هذه الأزمان المتطاولة إلا من الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم.

قال الواقدي:[2] لما قبض رسول الله ﷺ استخلف أبوبكر ﷺ. فقتل في خلافته مسيلمة الكذاب ابن قيس الذي ادعى النبوة، وقاتل بني حنيفة، وقتل أيضا سجاح والأسود العنسي. وهرب طليحة إلى الشام. وفتحت اليمامة وأطاعت العرب لأبي بكر الصديق ﷺ فعول عند ذلك أن يبعث جيوشه إلى الشام وصرف وجهه إلى قتال الروم. فجمع الصحابة في المسجد وقام فيهم

---

(١) سورة التوبة: ٢٥.

(٢) فتوح الشام ٢/١.

فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي ﷺ ثم قال: أيها الناس اعلموا ان الله تعالى قد فضلكم بالإسلام وجعلكم من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وزادكم إيمانا ويقينا، ونصركم نصرا مبينا، فقال فيكم. ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾(١).

واعلموا أن الرسول ﷺ كان بوجهه وهمته إلى الشام. فقبضه الله تعالى واختار له ما لديه. ألا وإني عازم أن أوجه المسلمين بأهاليهم وأموالهم إلى الشام. فإن رسول الله ﷺ أمرني بذلك قبل موته. فقال: زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها. وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها. فما قولكم في ذلك؟ رحمكم الله. قالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ مرنا بأمرك ووجهنا حيث شئت، فإن الله عز وجل فرض طاعتك علينا، فقال تعالى ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٢). قال: ففرح أبوبكر ﷺ بقولهم وسر سرورا عظيما. ونـزل عن المنبر. فكتب الكتاب إلى ملوك اليمن وأمراء العرب وإلى أهل مكة. وكانت الكتب كلها يومئذ نسخة واحدة:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق بن أبي قحافة إلى سائر المسلمين، سلام عليكم. فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ونصلي على نبيه محمد ﷺ. وإني قد عزمت أن أوجهكم إلى الشام لتأخذوها من أيدي الكفار. فمن عول منكم على الجهاد فليبادر إلى طاعة الله وطاعة رسوله. ثم كتب ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا...﴾(٣) الآية. ثم بعث الكتاب إليهم وأقام ينتظر جوابهم وقدومهم. فكان أول من بعث إلى اليمن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ. انتهى كلامه.

فهذا دليل صريح على أن أبابكر الصديق ﷺ كان هو الداعي الذي قام بهذه الدعوة التي وصفتها الآية الكريمة. وكذلك يدل على أنه كان مظهر سر الحديث القدسي الذي يقول فيه الله تعالى لنبيه: ابعث جيشا نبعث خمسة مثله(٤).

فقد ظهر هذا السر وتحقق في خلافته. لأن كتابه هذا سحر العقول وأرشد القلوب بشكل لا تدركه الأفهام المادية وتكللت دعوته وسعيه بنجاح رائع، واجتمع في غزوة اليرموك أربعون ألف مقاتل وفازوا بانتصار لا يلفى له نظير منذ آدم حتى اليوم. وكان لهذا الفتح العظيم فوائد ونتائج كثيرة.

وأصبحت هذه الطريقة التي سلكها أبوبكر الصديق ﷺ سنة استن بها عمر الفاروق ﷺ

---

(١) سورة المائدة: ٣.
(٢) سورة النساء: ٥٩.
(٣) سورة التوبة: ٤١.
(٤) هو حديث عياض بن حمار، راجع ص ٥٣.

حين جرى على منهاجه ودعا الأعراب في غزوة القادسية كما ذكر في كتاب روضة الأحباب عند ذكر غزوة القادسية: إن أمير المؤمنين عمر ﷺ لما بلغه أن العجم ملكوا عليهم يزدجرد واستقامت أمورهم، كتب إلى جميع عماله كتابا أمرهم فيه أن يجهزوا كل من عنده فرس وسلاح وفيه قوة وشجاعة، وأن يبادروا ببعثهم إلى المدينة.

وكذلك اقتفى أثره أمير المؤمنين عثمانﷺ عندما وجه مثل هذه الدعوة لتعزيز نصرة عبد الله بن أبي السرح الذي كان يقاتل في أفريقيا ملك تلك الناحية.

إذا ثبت أن هؤلاء الخلفاء هم الدعاة الذين دعوا هذه الدعوة الموصوفة في القرآن الكريم تبين أنهم كانوا خلفاء راشدين وأن دعوتهم كانت موجبة تكليف الناس شرعا. وأنهم استحقوا الإثابة على قبولها أو العقاب على عدم قبولها.

الآية السادسة

وقال الله تعالى في سورة الفتح ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾(١)

سيق الكلام لبيان فضل المخلصين الذين صحبوا النبيﷺ في سفر الحديبية والبشارة لهم بأنهم سيغلبون جميع الأمم.

قوله تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، لما بدأ ذكر منــزلة هذه الجماعة لزم أن يذكر إمامهم أولا. واكتفى في مدح النبي ﷺ بكلمة ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾. لأنه ما من فضيلة إلا وتدخل ضمنا في وصف الرسالة "إذ كل الصيد في جوف الفرا".

قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ هم أهل الحديبية الذين صحبوا النبي ﷺ في سفرهم. سيق الكلام لبيان منــزلتهم. ولأن حقيقة المعية هي المعية في مكان أو سفر. وأما الأنواع الأخرى من المعية مثل المعية الدينية فمجاز لا يلتفت إليه مادام للحقيقة مساغ. وقد ورد في حديث مستفيض فضل أصحاب الحديبية(٢).

قوله تعالى ﴿أَشِدَّآءُ﴾ الخ؛ جميع الفضائل تنحصر في أمرين:

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) هو حديث جابر، راجع ص ٥٥.

الأول: حسن ما بين الإنسان وبين بني جنسه من المعاملات.

والثاني: حسن تهذيب نفسه.

وقد جمع الله تعالى فيهم كلا النوعين من الفضائل، وذكر أنهم جعلوا قوتهم الغضبية تبعا للغضب الإلهي وجعلوا رأفتهم ورحمتهم موافقة للرحمة الإلهية. فيشتد غضبهم على كل من طرده الله تعالى ويخفضون جناح الرحمة لكل من يحبه الله تعالى. وهذا كمال التخلق بأخلاق الله تعالى. وفيما يخص إحسان ما بينهم وبين الله ذكر تعبدهم وإكثارهم الصلوات. لأن الصلاة معراج المؤمن.

قوله تعالى ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً...﴾ الآية؛ بيان كمال إخلاصهم وأن باطنهم موافق لظاهرهم. قوله تعالى ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ يعني؛ ليس تعبدهم وخشوعهم أمرا طارئا يرد عليهم في حين ويزول في حين آخر، لكنه ملكة راسخة في نفوسهم أفنوا أعمارهم في اكتسابها، وأن قلوبهم ظفرت بحظ وافر من صلواتهم وتصبغت بها وأن بواطنهم تشبعت بدعواتهم ومناجاتهم، فتظهر أنوار سرائرهم على وجوههم. فإن "كل إناء يترشح بما فيه".

قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ الخ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى كلمة ﴿كَزَرْعٍ﴾ التي تليها كقوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾[1].

قوله تعالى ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ ذكر فيه أحوالا أربعة يدل أولها على بداية الأمر وآخرها على كمال النمو الذي لا نمو بعده. ولا شك أن النبي ﷺ ارتقت حاله شيئا فشيئا بمراحل كثيرة لا تنحصر في أحوال أربع. فالمراد هنا بيان المراحل الكبيرة التي مرت بها دعوة الرسول ﷺ وهي أربع. هذه دلالة الكلمات وأما مراحل النمو والتطور فهي كما يلي:

الحالة الأولى: بداية ظهور الإسلام إذ بعثه الله بمكة حين كان أهلها كلهم مشركين ومتبعين لما وجدوا عليه آباءهم من التحريفات فقاموا يعارضونه ويؤذونه فلم يقدر على إظهار دين الإسلام. فهذا معنى ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾.

الحالة الثانية: هي التي نجاه الله تعالى فيها من المشركين، فهاجر إلى المدينة وبدأ يجاهد أعداء الله فقاتل قريشا قصدا وقاتل غيرهم تبعا. ولما فتح الله له مكة وأطاعه أهل الحجاز كلهم، تأسست دولة إسلامية في الأرض. وفي نهايتها انتقل النبي ﷺ من هذه الدنيا إلى الرفيق الأعلى. فهذا معنى ﴿فَآزَرَهُ﴾.

الحالة الثالثة: هي التي بدأ فيها الشيخان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما جهاد دولتي

---

(١) سورة الحجر: ٦٦.

كسرى وقيصر القويتين اللتين كانتا تتقاسمان السيادة على العالم. فغلبتهما دولة الإسلام وأبادتها على بكرة أبيهما فهذه حالة ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾.

الحالة الرابعة: هي التي انتصر فيها المسلمون على ملوك النواحي وأقيال الأقاليم التابعة لكسرى أو قيصر والذين كانوا يؤدون لهما الخراج وكان لهم قوة وشوكة في بلدانهم. فدخل الإسلام إلى هذه البلدان والأقاليم وتمكن فيها وبنيت المساجد ونصب القضاة وتوطن بها رواة الحديث وأهل الفقه. فهذه حالة ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾.

ولما وجدنا أن هذه المراحل الكبيرة توافق المثال الذي ضربه القرآن الكريم، علم أنها هي مطمح إشاراته. وإذا ثبت ذلك تبين أن الخلفاء وهم من ﴿ٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ قطعا، هم موصوف بـ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ الخ. وهذا من لوازم الخلافة الخاصة. فمطمح إشار ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ خلافة الشيخين رضي الله عنهما، ومرمى بصر ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ هي الفتوحات والانتصارات التي تمت في خلافة أمير المؤمنين عثمان ﷺ وكذلك الفتوحات التي تمت بفضل الله تعالى بمجرد اجتماع كلمة المسلمين ووصولهم إليها سواء قصدها الخليفة أو لم يقصدها.

فالآية تدل على عظم منزلة الخلفاء ورسوخ قدمهم في تأييد الإسلام ونصرته وأنهم استحقوا رضى الله تعالى عنهم وثناءه عليهم لما قاموا به من جهاد أعداء الله وإعلاء كلمته.

قوله تعالى ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ إخبار بكمال رضاه عنهم فهو سبحانه وتعالى زارع مزرعة الإسلام. قوله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم﴾ الضمير في ﴿مِنۡهُم﴾، راجع إلى المفهوم من ﴿فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾. والمعنى أن دين الإسلام سيغلب وسيدخل فيه أفواج كثيرة. فالذين يؤمنون ويعملون الصالحات من هؤلاء وعدهم الله أجرا عظيما ونعيما مقيما.

الآية السابعة

قال الله تعالى في سورة التوبة بعد ما أمر بقتال أهل الكتاب ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾، وبعد ما ذكر من كفرهم واتخاذهم أربابا من دون الله ما يقتضي غضب الله عليهم والأمر بمقاتلتهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة: ٣٢، ٣٣.

ثم قال في سورة الصف بعد ما ذكر المفترين على الله عز وجل ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِءُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[١].

ومرادها أن أهل الأديان المنسوخة عموما والنصارى خصوصا، بعد ما ساء اعتقادهم بالله واخترعوا في دينهم بدعات شنيعة، يعادون ملة الحق التي هي الملة الحنيفية. فاستحقوا بذلك غضب الله ولعنته. فخذلهم الله وقضى في عالم الغيب كبتهم وإذلالهم وتبديد شملهم وذلك ببعث رسول بالهدى ودين الحق الذي يقوم بإظهاره على جميع الأديان. والمراد من قوله ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِءُوا﴾ أمران:

الأول: أن الكفار والمشركين يظنون نور الله نارا قليلة أو مصباحا ضعيفا يستطيعون إطفاءه بنفخ أفواههم -حاشا لله- فإن نور الله لا طاقة لنفخ الأفواه به.

والثاني: إنهم يثيرون شبهات باطلة عن دين الإسلام ويحاولون تشويه حقائقه وتعمية أنواره على ضعاف العقول ليقضوا على عرى الإسلام عروة بعد أخرى. وحاش لله.

إنه مراد الله سبحانه وتعالى وقد قدر ظهوره وإعلاء كلمته، فأنى لهم ما مكروا؟

قوله تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، لم يتم غلبة دين الحق على سائر الأديان في عهد النبيﷺ. لأن النصارى والمجوس ما زالوا حتى ذلك العهد قائمين في شوكتهم وقوتهم. فعجز عامة المفسرين عن تفسير هذه الآية. قال الضحاك: ذلك عند نزول عيسى عليه السلام[٢]. وقال الحسن بن الفضل[٣]: ليظهره على الدين كله بالحجج الواضحة. ويعتبر قول الشافعي أصح هذه الأقوال. قال: أظهر الله رسوله على الأديان كلها وأبان لكل من سمع بأنه الحق، وكل ما خالفه من الأديان فهو باطل لا محالة. وقد أظهره بأن جماع الشرك دينان: دين أهل الكتاب، ودين الأميين. فحارب رسول الله ﷺ الأميين حتى دانوا للإسلام، وجعل أهل الكتاب يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، وأجرى عليهم حكمه، فهذا ظهوره على الدين كله[٤].

ويقول هذا الفقير عفى الله عنه: إذا أشكل علينا درك معنى آية ما وجب علينا أمران:

الأول: أن نقيم المعنى في ميزان كتاب الله والعقل السليم الذي لم تفسده الأوهام. فإذا توافقا فبها ونعم، وإلا تركنا المعنى.

---

(١) سورة الصف: ٨، ٩.
(٢) البغوي في المعالم ٢/٢٨٦. وقد روي نحوه عن أبي هريرة وغيره. راجع الدر ٣/٢٣١.
(٣) وفي المعالم ٢/٢٨٧، الحسين بن الفضل وهو الصواب، راجع لترجمته السير ١٣/٤١٤ واللسان ٢/٣٠٧ وشذرات ٢/١٧٨.
(٤) البغوي ٢/٢٨٧.

والثاني: أن نجعل حديث الرسول ﷺ قدوتنا. لأنه المبين للقرآن الكريم والمفسر الحق لمعانيه.

فإذا وضعنا ما أرادوه من غلبة الرسول ﷺ على نصارى نجران ومجوس هجر ويهود خيبر وأخذ الجزية والخراج منهم، في كفة، ووضعنا كلمة ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ في كفة أخرى لا يستقيم المعنى، إذ الغلبة على فئة قليلة من أهل دين ما، لا تعد غلبة على جميع الأديان. وإنما تكون الغلبة التامة باستباحة بيضة الدين وتبديد شمل أهله وكسر قوته ودحض شوكته البتة. وهذا ما تدل عليه الأحاديث الآتية:

(١) فقد أخرج مسلم[١] عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرهم أن يشركوا بي ما لم أنـزل به سلطانا. وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنـزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا، وإن الله أمرني أن أحرق قريشا. فقلت: رب! إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة. فقال: استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله. . . الحديث.

(٢) وأخرج مسلم[٢] عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها. وأعطيت الكنـزين الأحمر والأبيض..." الحديث.

(٣) وأخرج مسلم[٣] عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "هلك كسرى، ثم لا يكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكـن ثم لا يكون قيصـر بعده، ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله".

(٤) وأخرج مسلم[٤] عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: لتفتحن عصابة من المسلمين أو من المؤمنين كنـز آل كسرى الذي في الأبيض.

---

(١) راجع ص ٥٣.

(٢) (٧٢٥٨) كتاب الفتن باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، وأبوداود (٤٢٥٢) كتاب الفتن والملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها، والترمذي (٢١٧٦) أبواب الفتن باب ما جاء في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا في أمته، وابن ماجه (٣٩٥٢) كتاب الفتن باب ما يكون من الفتن، وأحمد.

(٣) (٧٣٢٩) كتاب الفتن باب لاتقوم الساعة حتي يمر الرجل بقبر الرجل الخ، والبخاري (٣٠٢٧) كتاب الجهاد باب الحرب خدعة، واحمد في المسند٢/ ٢٣٣، ٢٤٠، ٥٠١.

(٤) (٧٣٣١) كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل... الخ.

(٥) وأخرج الترمذي[1] في حديث طويل عن عدي بن حاتم ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: إني لا أخاف عليكم الفاقة. فإن الله ناصركم ومعطيكم حتى يسير الظعينة فيما بين يثرب والحيرة أكثر ما تخاف على مطيها السرق. قال: فجعلت أقول في نفسي فأين لصوص طيّ؟

(٦) وأخرج أحمد[2] عن المقداد ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز وذل ذليل. إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيدينون لها، قلت: فيكون الدين كله لله[3].

فتقتضي هذه الأحاديث الصحيحة أن يكون تمام ظهور الدين بعد رسول الله ﷺ. لأننا إذا رجعنا العائد في ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ إلى الهدى ودين الحق، يكون المعنى أن إرسال الرسول ﷺ بالهدى ودين الحق سيفضي إلى ظهور ذلك الهدى ودين الحق على جميع الأديان. ولا يلزم أن يتم بحضرته ﷺ. فإن إرساله مفض إلى ظهور دينه، ولو كان بعضه على يد نوابه. وإذا رجعنا العائد إلى الرسول ﷺ لا يستبعد أيضا أن يتم ظهور دينه على يد نوابه وخلفائه. فإن ظهور دينه الذي يتم على يدهم يعد ظهوره هو. لأنه هو المرجع.

نكـــتـــة دقيـــقـــة

وإن استطعت أن تسمع فاسمع نكتة دقيقة. إذا أراد الله أن يبعث رسولا يقوم بإصلاح الناس وتقريبهم من الخير وتبعيدهم من الشر، يصور هذا الإصلاح في غيب الغيب صورة خاصة ليتخذها هذا الإصلاح عند ظهوره. فتكون بعثة الرسول مشتملة على إقامة تلك الصورة. ثم إن اقتضت الحكمة الإلهية إنتقال الرسول من العالم الأدنى إلى الرفيق الأعلى قبل أن يكمل تحقيق تلك الصورة المقررة، يختار الرسول أحدا من أمته لتحقيق هذه المقاصد. فيعدّه ويربّـيه حتى يصلح قلبه لتلقى الإلهام الإلهي ثم يوصيه بالاهتمام بتحقيق هذه المقاصد ويحثه عليها ويدعو له بالتوفيق لها. وهذا كشخص يملك الاستطاعة المالية لكنه يفقد الاستطاعة البدنية فيفترض عليه الحج بإنابة غيره عنه. فيكتب الحج الذي حجه غيره نائبا عنه ومكلفا من قبله في أعماله، ويكون هذا النائب مطيعا لكونه وسيلة وسببا فيه، فيستحق هو أيضا ثواب حج غير منقوص.

---

(١) (٢٩٥٣) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة فاتحة الكتاب، وقال: حسن غريب وأحمد ٣٧٨/٤ وابن حبان: ٧٢٠٦، والطبراني ٢٣٦/١٧، ٢٣٧ والبيهقي في الدلائل ٣٣٩/٥.

(٢) ٤/٦ ورجاله ثقات.

(٣) قلت: فيكون الدين كله لله، ليس هذا في المسند وإنما ذكره صاحب المشكاة رقم ٤٢، ورواه ابن حبان كما في الموارد: ١٦٣١، ١٦٣٢، والحاكم ٣٠/٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي والطبراني في الكبير ٢٢٥/٢٠ وفي مسند الشاميين رقم ٥٧٢ وصححه الألباني في تحقيق المشكاة رقم ٤٢.

فهذا هو الاستخلاف الذي جرى في كل دين. فاستخلف موسى عليه الصلاة والسلام يوشع كما استخلف سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الحواريين. وذكر في الإنجيل أن عيسى عليه السلام أخذ خبزة بيده ثم قال: هذا لحم عيسى ودمه. ثم قسمها على الحواريين. ولما أكلوها جعل عيسى عليه السلام يناجي ربه قائلا: اللهم اجعل عيسى يحل فيهم كما حل هذه الخبزة التي أكلوها وارحمهم كما ترحمني ليدعوا عبادك إليك.

فبحسب هذه القاعدة لما ساء اعتقاد الناس بالله سبحانه وتعالى وانتشر فيهم عقيدة الإرجاء أي إسقاط الاعتبار بالأعمال وعدم الخوف من عواقبها، وهي عقيدة تناقض الدين الذي كان عليه جميع الأنبياء عليهم الصلوات والسلام، اشتد غضب الله على الناس وتقرر في عالم الملكوت الانتقام منهم وجعل أجلا لإتلافهم وإهلاكهم كما قال الله تعالى ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

ولما جاء أجلهم هذا بعث الله تعالى أفضل البشر الذي هو سيدنا محمد ﷺ بالهدى ودين الحق وأنــزل عليه الوحي. فاستفرغ أقصى مجهوده في دعوة الناس إلى هذا الهدى ودين الحق. ففاز بقبوله السعداء وخسر برفضه الأشقياء للأبد.

واشتملت هذه البعثة المحمدية على الانتقام من الذين يسيئون الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى وأصبح النبي ﷺ وأصحابه كالجارحة في عمل الانتقام كما كان جبريل عليه السلام في صيحة ثمود. فصارت الحروب التي أمر بها النبي ﷺ مصدرا لنــزول بركات عظيمة على من شهدها وكان حضور ساعة فيها يعدل رياضة مئة سنة في تهذيب الباطن. وكان الجهاد في شريعتنا أفضل من سائر القربات وكان فضل أهل بدر وأحد والحديبية عظيما جدا.

فالصورة التي تقررت عنده تعالى لإصلاح العالم والانتقام من أعدائه هي غير الخسف بهم أو إمطار الحجارة عليهم أو إهلاكهم بصيحة وذلك لحكمة لا يعلمها الا هو. وتلك الصورة الخاصة هي ظهور الدين الإسلامي على غيره من الأديان ويتضمن كبت أهلها ودعاتها بالقتل والنهب والسبي وأخذ الخراج والجزية والقضاء على دولتهم وشوكتهم واستباحتهم. وكانت البعثة الــمحمدية متضمنة لهذه الصورة. فذلك قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[2].

وقوله ﷺ: "إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك ..."[3] الحديث.

تدل تواريخ الروم والعجم على أنهم كانوا يعلمون قطعا أن دولتهم ستزول وأن دولة

---

(١) سورة يونس: ٤٩.
(٢) سورة التوبة: ٣٣.
(٣) راجع ص ٥٣.

العرب ستتمكن في العالم. فكان أهل النجوم منهم قد أدركوا ذلك لما رأوا من أمارات النحس والضعة والتعادي في الأوضاع الفلكية على دولتهم والقوة والسعد في كواكب العرب، وعرفه الكهان بكهانتهم وسائر الناس بالرؤى والهواتف وما شاكلها. والنكتة التي خفيت عليهم هي أن داعية الانتقام نـــزلت من فوق السماوات السبع وأن الملأ الأعلى والملأ السافل تصبغوا بصبغتها ولم تكن الأوضاع الفلكية إلا دلالات على تعيين أجل للانتقام منهم، وهي ليست المؤثرات الحقيقية. ولو كانوا أدركوا هذه النكتة لعرفوا الحق من الباطل.

ومجمل القول أن العالم كله كان يحكمه آنذاك ملكان عظيمان وهما كسرى وقيصر. وكانت ديانتهما ظاهرة على جميع الأديان الأخرى. وكانا يميلان إلى الإباحية ويعتقدان عقيدة الإرجاء. وكانا يدعوان إلى هاتين العقيدتين الإباحية والإرجاء قولا وفعلا، وسببا ضلال الناس، لأن الناس على دين ملوكهم.

وكانت الروم والروس والفرنج والألمان وأفريقية والشام ومصر وبعض بلاد المغرب والحبشة تدين بالنصرانية موافقة لقيصر، بينما كانت خراسان وتوران وتركستان وزابلستان وباختر وغيرها كانت تدين بالمجوسية متابعة لكسرى. أما الأديان الأخرى من اليهودية وديانة المشركين والهندوكية والصابئية فكانت ضعيفة مستضعفة وأهلها قليلين مغلوبين.

فلما قضت الحكمة الإلهية ظهور دين الحق والانتقام من الفجرة بتهزيم هاتين الدولتين واستباحة هاتين الديانتين اللتين كانتا أعظم الديانات، اختار الله تعالى قطر الحجاز الذي لم يكن تابعا لأي من الملكين كسرى وقيصر بل كانا غافلين عنه، ولم يكن يتصور إقامة دولة في غيرها من الأقطار، اختاره لإقامة ملة الحق واستقرار دولتها به تمهيدا ليتم غلبتها على هاتين الدولتين.

ولـــما أراد الله تعالى أن يستأثر بنبيه ﷺ لـــما عنده من النعم والكرامات الروحانية التي لا تدرك إلا بالانتقال إلى الرفيق الأعلى، لزم أن يستخلف من يتولى إكمال ظهور الدين الحق، وإتمام كبت أعداء الله حتى تتحقق إرادة الانتقام التي تضمنتها البعثة المحمدية. فيكتب كل ذلك في صحيفة أعمال النبي ﷺ. وذلك كملك يرضى عن قائد من قواده فيستأثربه ويستخلصه لنفسه ويجعله جليسه في مجالس أنسه ومجامع بهجته. ويكلف هذا القائدُ المقربُ بعضَ أهل ثقته ومودته فتح حصن كان الملك أمر به مؤكدا. ولما تم فتحه على يد ذلك النائب سر به الملك سرورا عظيما وزاد قائده المقرب إكراما وتشريفا وأجزل له العطاء.

بعد إيضاحنا لهذه الأمور حان أن تعلم أن الوجه الصحيح في هذه الآية أي قولـــه تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ يدخل فيه جميع أنواع الظهور الذي يحصل لدين الإسلام وأعظمها الغلبة على دولتي كسرى وقيصر فتشمله من باب أولى، وقد كان حملة لوائه السادة الخلفاء رضي الله عنهم.

فكانت البعثة المحمدية تقتضي مساعيهم وتنطوي عليها. فكان الله تعالى اختارهم ليتم على يدهم إنجاز مقصوده وتحقيق تدبيره. وهذا معنى الخلافة الخاصة.

ثم المفهوم من معاني قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أن يكون الهدى ودين الحق الذي أرسل به الرسولﷺ ظاهرا وعلنا ومشهورا، ولا يكون مخفيا أو مستورا. فهذه الآية حكم بين أهل السنة وبين أهل البدعة. فالذي جاء به الرسول ﷺ من الهدى ودين الحق بلّغه أصحابه الذين فهموا مراده وأدركوا مقصوده، ثم بلغوه لمن بعدهم من قرن التابعين ثم... وثم... لأن المقصود من البعثة لم يكن مجرد تعليم النبيﷺ ولا أن يخرج من عهدة التبليغ ولو لم يفهمه السامعون. بل كان مراد الله تعالى أن يتم ظهور دين الحق قرنا بعد قرن. فالذي يقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم بلّغ أصحابه دين الحق ولكنهم لم يدركوا مراده أو أدركوه لكن الهوى حملهم على كتمانه فهو مبتدع.

وكذلك المعتزلة والشيعة الذين يقولون عن معنى الحديث: "إنكم سترون ربكم"[1] أن المراد منه حصول علم اليقين ولكن الصحابة لم يفهموا هذا المعنى لغموضه، وكذلك الشيعة الذين يقولون: إن النبي ﷺ كان نص على خلافة سيدنا عليرضي الله عنه لكن الصحابة كتموه إتباعا لهواهم وعصوا أمره، كلهم مبتدعون. لأن الله تعالى كان قد أراد أن يظهر دين الحق ولا يقدر أحد على منع مراده تعالى. ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

الآية الثامنة

قال الله تعالى في سورة آل عمران ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[2].

ليس معنى الإخراج أنهم أخرجوا من العدم إلى الوجود أو من ضيق إلى سعة، بل المراد أن الله سبحانه وتعالى اختصهم برحمته لهذه المنـــزلة بأنه تعالى ملأ الباطن النبوي المقدس بداعية إصلاح الخلق، وشرح صدره المبارك لهذه المهمة. فخرج شعاع من نور قلبه فتلقاه الذين كانوا أهلا له فتنورت بواطنهم بهذا النور، واستقرت هذه الداعية في نفوسهم. فظفروا بهذه النعمة واختصوا بها دون غيرهم. فكانوا خيار خلق الله وأفضلهم. وتفيد ﴿لِلنَّاسِ﴾ أن المقصود بهذا

---

(١) البخاري (٥٥٤) كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر، والترمذي (٢٥٥١) أبواب صفة الجنة باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى، وأبوداود (٤٧٢٩) كتاب السنة باب في الرؤية.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

التدبير الرباني إصلاح العباد حتى يتأدب ويتنور بسعي هذه الطائفة خلق كثير.

والآن إليك بعض الأحاديث التي تفسر معنى الآية:

(١) أخرج البغوي[١] وغيره عن أبي سعيد الخدري عن النبيﷺ أنه قال: ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة هي خيرها وأكرمها على الله عز وجل.

(٢) وأخرج البغوي[٢] عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبيﷺ يقول في قوله تبارك وتعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله.

(٣) وأخرج أبوعمر في الاستيعاب[٣] عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه وبعثه برسالته. ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه.

(٤) وأخرج أبوعمر[٤] عن أبي هريرة في قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ قال: خير الناس للناس يجيئون بهم في السلاسل يدخلونهم في الإسلام.

قوله تعالى ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ استئناف يبين سبب كونهم خير الناس. قال مجاهد كانوا خير الناس على الشرط الذي ذكره الله ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ...﴾ الآية[٥]. ثم ذكر هنا اتصافهم بصفتين. الأولى تخص فيما بينهم وبين الناس وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثانية تخص ما بينهم وبين الله وهي الإيمان الذي له بضع وسبعون شعبة.

قوله تعالى ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يفيد سبب إخراج هذه الأمة وهو أن أهل الكتاب كانوا في وقت من الأوقات أمة أخرجت للناس ثم فسدت حالهم، فاقتضت الحكمة

---

(١) المعالم ٣٤١/١، ٣٤٢ وعبد الرزاق ٣٤٧/١١ في حديث طويل ومن طريقه أحمد ٦١/٣ وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف كما في التقريب ص ٣٧١، والترمذي (٣٠٠١) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة آل عمران، وابن ماجه أبواب الزهد باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم (٤٢٨٨) والدارمي ٢/ ٣١٣ من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أيضاً لكن ليس فيه هذا الطرف.

(٢) المعالم ٣٤١/١ بإسناده عن بهزبه. والترمذي (٣٠٠١) أبواب التفسير باب ومن سورة آل عمران، وحسنه، والحاكم وصححه وابن جرير ٤٥/٤ وابن ماجه (٤٢٨٨) أبواب الزهد باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وعبدالرزاق في التفسير ١٣٤/١ وابن أبي حاتم ٧٣٢/٣ وغيرهم. راجع الدر المنثور ٦٤/٢ والتحفة.

(٣) راجع ص ٥٢.

(٤) الاستيعاب ٦/١ والبخاري (٤٥٥٧) كتاب التفسير باب ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وابن جرير ٤٤/٤ والفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم كما في الدر ٦٤/٢.

(٥) ابن عبد البر وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر كما في الدر ٦٤/٢.

الربانية إخراج أمة أخرى من العرب. قال البغوي[١] عن عمر ﷺ قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا. وقال أبوعمر[٢]: جاء عن عمر بن الخطاب: من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله تعالى فينا. ولا نـزاع بين القولين. لأن مفهوم الآية عام يشمل كل من ألقي في قلبه داعية إصلاح الخلق سواء كان من أول الأمة أو آخرها. ولكن مصداقها في الواقع هم أول الأمة. فإن رسم الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اندرس بعدهم.

وإذا تبين كل ذلك فاعلم أن السادة الخلفاء كانوا من الأمة التي وصفت بأنـها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. فقد ثبت بالتواتر اتصافهم بالإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإنهم جمعوا وجنّدوا جماعات عظيمة من المسلمين وفتحوا أقاليم كثيرة وبلادا واسعة ودخل بسعيهم أفواج وطوائف كثيرة في الإسلام. فكانوا خير الأمة وكانت خلافتهم خلافة حق. وهذا هو المراد.

الآية التاسعة

قال الله تعالى في سورة الحديد ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٣].

تفيد هذه الآية الكريمة أن أصحاب النبي ﷺ لا يستوون في الدرجات ولكن بعضهم أفضل وأكمل من بعض وذلك بحسب تقدمهم أو تأخرهم في الإنفاق والقتال في سبيل الله. ويدل على ذلك ما أخرج الحفاظ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبيﷺ قال: لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه[٤].

وتفسير ﴿مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ على وجهين:

الأول: أن المراد منه فتح مكة وهو قول الأكثر.

---

(١) المعالم ١/٣٤١ وابن جرير ٤/٤٣ وابن أبي حاتم ٣/٧٣٢ كما في الدر ٢/٦٣ وإسناده ضعيف، لأن في إسناده السدي عمن حدثه عن عمر.

(٢) الاستيعاب ١/٦ وابن جرير ٤/٤٤ كما في الدر ٢/٦٣ وإسناده ضعيف لأن قتادة قال: ذكر لنا أن عمر قال. وفيه "فينا" والصواب: منها، كما في ابن جرير. وفي الاستيعاب "فيها" مصحف.

(٣) سورة الحديد: ١٠.

(٤) البخاري (٣٦٧٣) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم (٦٤٨٨ و ٦٤٨٩) كتاب فضائل الصحابة باب تـحريم سب الصحابة.

والثاني: أن المراد منه صلح الحديبية. وهو أقعَدُ بأحاديث فضائل الحديبية. وهذا الاختلاف مبني على الاختلاف في تفسير الآية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[١] والتي فسروها أيضا على هذين الوجهين.

ودلت هذه الآية بمنطوقها على أن الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح، أفضل من المنفقين والمقاتلين بعده. ودلت بمفهومها الموافق أن كل من كان إنفاقه وقتاله أسبق، كان أفضل. والجدير بالإشارة أن القتال -في مكة أي قبل الهجرة- كان باليد والعصا، بينما كان القتال بعد الهجرة بالسيف والرمح. ويجوز إطلاق القتال على النوعين في اللغة العربية (فيشمل الجهاد الذي تم قبل الهجرة) ونظرا إلى هذا المفهوم الموافق للآية قال المفسرون: إنها نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ.

وننقل هنا الروايات والآثار التي تفسرها:

(١) قال البغوي[٢] روى محمد بن فضيل عن الكلبي أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ. فإنه أول من أسلم، وأول من أنفق في سبيل الله عز وجل.

(٢) قال عبد الله بن مسعود ﷺ: أول من أظهر إسلامه بسيفه أبوبكر والنبي ﷺ[٣].

(٣) وروي عن ابن عمر ﷺ قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده أبوبكر الصديق ﷺ وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال. فنزل جبريل عليه السلام فقال: ما لي أرى أبابكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال؟ فقال: أنفق ماله عليّ قبل الفتح. قال: فإن الله يقول: اقرأ عليه السلام وقل له: أ راض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ: يا أبابكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: أ راض أنت في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال أبوبكر ﷺ: أ أسخط على ربي؟ أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض[٤].

(٤) وأخرج الحاكم وأبوعمر[٥] عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أسلم أبوبكر وله

---

(١) سورة الفتح: ١.

(٢) المعالم ٤/٢٩٤، ٢٩٥ وفي الكلبي كلام معروف.

(٣) البغوي أيضا وخرجه الواحدي كما في الرياض النضرة ١/٧٤ ولم أجد إسناده وابن ماجه (١٥٠) كتاب.السنة فضل سلمان وأبي ذر والمقداد، وأحمد ١/٤٠٤ وابن أبي شيبة ١٢/١٤٩، ١٤/٣١٣ والحاكم ٣/٢٨٤ وابن أبي عاصم في الأوائل رقم ٩٨، والبيهقي في الدلائل ٢/١٧٠ وأبونعيم في الحلية ١/١٤٩ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وعن ابن مسعود بلفظ: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبوبكر الخ وإسناده حسن.

(٤) المحب الطبري في الرياض ١/١١٥ والبغوي ٤/٢٩٥ أيضا وفي إسناده العلاء بن عمرو وهو ضعيف. وذكره الذهبي في ترجمته في الميزان ٣/١٠٣ قال: هو كذب.

(٥) الاستيعاب ١/٣٣ وابن سعد ٣/١٧٢ وهو مرسل وابن سعد عن زيد بن أسلم أيضا. وابن حبان عن عائشة كما في الموارد/٥٣٢. والألباني في صحيح الموارد ٢/٣٣٥، راجع الصحيحة ٧/٤٠٥ رقم

أربعون ألفا أنفقها كلها على رسول الله ﷺ في سبيل الله.

(٥) في الرياض النضرة[١] عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا تسعة وثلاثين رجلا ألح أبوبكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال: يا أبابكر إنا قليل. فلم يزل يلح على رسول ﷺ حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد وقام أبوبكر في الناس خطيبا ورسول الله ﷺ جالس. وكان أول خطيب دعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ. وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوهم في نواحي المسجد ضربا شديدا. ووُطئ أبوبكر وضُرب ضربا شديدا ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة. فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما بوجهه[٢] وأثر ذلك حتى ما يعرف أنفه من وجهه. وجاءت بنو تيم تتعادى. فأجلوا المشركين عن أبي بكر. وحملوا أبابكر في ثوب حتى أدخلوه في بيته ولا يشكون في موته. ورجع بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبوبكر لنقتلن عتبة. ورجعوا إلى أبي بكر فجعل أبوقحافة وبنو تيم يكلمون أبابكر حتى أجابهم. فتكلم آخر النهار: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فنالوه بألسنتهم، وعذلوه. ثم قاموا وقالوا لأم الخير بنت صخر: انظري أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه، فلما خلت به وألحت. جعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: والله ما لي علم بصاحبك. فقال: اذهبي[٣] إلى أم جميل بنت الخطاب، فاسأليها عنه. فخرجت حتى جاءت أمّ جميل[٤] فقالت: إن أبابكر يسألك عن محمد بن عبد الله. قالت: ما أعرف أبابكر ولا محمد بن عبد الله. وإن تحبي أن أمضي معك إلى ابنك فعلت. قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبابكر صريعا دنفا. فدنت منه أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: إن قوما نالوا منك هذا لأهل فسق. وإني لأرجو أن ينتقم الله لك. قال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع. قال: فلاعين عليك منها. قالت: سالم صحيح[٥]. قال فأين هو؟ قالت: في دار الأرقم. قال: فإن لله على أليّة أن لا أذوق طعاما أو شرابا أو آتي رسول الله ﷺ. فأمهلتا[٦] حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه[٧] على النبيﷺ. قالت[١]: فانكب عليه فقبله،

٣١٤٤. وابن الأعرابي عن ابن عمر، انظر تاريخ الخلفاء ص ٣٩ والرياض ١/ ١١٦.

(١) ٦٣/١ وقال: خرجه الحافظ الدمشقي في الأربعين الطوال، وخرجه ابن ناصر السلامي من حديث عبد الله بن محمد الطلحي عن القاسم بن محمد عن عائشة.

(٢) وفي الرياض: فهما لوجهه.

(٣) وفي الرياض: والله ما أعلم بصاحبك. قال: فاذهبي.

(٤) وفي الرياض: جاءت إلى أم جميل.

(٥) في الرياض: سالم صالح.

(٦) في الرياض: فأمهلناه.

(٧) في الرياض: خلتا.

وانكب عليه المسلمون. ورق له رسول الله رقة شديدة. فقال أبوبكر: بأبي أنت وأمي ليس بي ما نال[٢] الفاسق من وجهي. هذه أمي برت بوالديها وأنت مبارك. فادعها إلى الله تعالى[٣] وادع الله عز وجل لها، عسى أن يستنقذها بك من النار. فدعا لها[٤] رسول الله ﷺ فأسلمت. فأقاموا مع رسول الله ﷺ شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا. وكان إسلام حمزة يوم ضرب أبوبكر.

(٦) وأخرج البخاري[٥] عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ. قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا. فجاء أبوبكر حتى دفعه عنه، فقال ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ**﴾.

(٧) وأخرج الحاكم[٦] عن أنس قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ حتى غشي عليه. فقام أبوبكر فجعل ينادي ويقول: ويلكم ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ**﴾؟ قالوا: من هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قحافة المجنون.

(٨) وقال ابن إسحاق[٧] حدثني نافع عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ قيل له: جميل بن معمر الجمحي قال: فغدا عليه. قال عبد الله بن عمر: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غـلام أعقـل كل ما رأيت، حتى جاءه فقال: أ علمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمدﷺ؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه، واتبعه عمر واتبعت أبي. حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا أن ابن الخطاب قد صبا. قال: يقول عمر من خلفه: كذب لكن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وبلح فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم. فأحلف بالله لو كنا ثلثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا. قال:

---

(١) في الرياض: قال.

(٢) في الرياض النضرة: ليس بي إلا ما نال.

(٣) في الرياض: إلى الله.

(٤) في الرياض: فدعاها.

(٥) (٣٦٧٨) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب فضل أبي بكر.

(٦) المستدرك ٦٧/٣ وقال: صحيح على شرط مسلم: ووافقه الذهبي وابن أبي شيبة في مسنده كما في المطالب ٣٨/٤ وأبونعيم في الدلائل ٦٧/١ وأحمد في الفضائل رقم ٢١٨، وأصله في البخاري من حديث عمرو بن العاص.

(٧) ابن هشام ٣٤٨/١ وإسناده حسن وزوائد الفضائل: ٣٧٢، والحاكم ٨٥/٣ وصححه على شرط مسلم، والبزار والطبراني كما في المجمع ٦٥/٩، والمحب الطبرى في الرياض ٢٥٤/١، ٢٥٥.

فبينا هو على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حيرة وقميص موشى حتى وقف عليه. فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبا عمر. قال: فمه! رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون؟ أ ترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هذا؟ خلوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل الذي زجر القوم فيك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذلك، أي بني، العاص بن وائل السهمي.

بعد ما بينا ذلك، نقول: لما ثبت أفضلية الشيخين على الذين أسلموا بعد فتح مكة بمنطوق الآية، وعلى المتقدمين بمفهومها، تكون خلافتهما خلافة راشدة. لأنه من لوازم الخلافة الخاصة أن يفضل الخليفة عامة المسلمين بالفضل الكلي وأن يفضل خواصهم المستحقين للخلافة والذين عاملهم رسول الله ﷺ معاملة من يرشح للإمارة، بالفضل الجزئي الذي يعادل الفضل الكلي وخاصة في الأمور المخصوصة بالرياسة والخلافة. والله أعلم.

الآية العاشرة

قال الله تعالى في سورة الحجر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]

(مر تفسير هذه الآية الكريمة في المقدمة قبل الآية الثالثة في هذا الباب فلا نعيده).

الآية الحادية عشرة

قال الله تعالى في سورة القيامة ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[2].

وأخرج مسلم[3] في حديث عياض بن حمارؓ عن النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى: وأنـزلت عليك قرآنا لا يغسله الماء. وهذا كناية عن أنه لو اجتمع بنو آدم كلهم على السعي لمحو القرآن لا يقدرون عليه. وهذا تفسير حفظه. ثم ذكر في الآية الثانية (الحادية عشرة) صورة حفظه.

وأخرج البخاري[4] عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ الآية، قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنـزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه، فأنـزل الله عز وجل ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال: جمعه في صدرك

---

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) سورة القيامة: ١٦-١٩.

(٣) راجع ص ٥٣.

(٤) (٥) كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، و (٤٩٢٧ - ٤٩٢٩) كتاب التفسير، تفسير سورة القيامة.

وتقرأه. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قال: فاستمع له وأنصت. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾: ثم إن علينا أن نقرئه. فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع. فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأ.

المرفوع في هذا الحديث قصة النبي ﷺ فقط. أما تفسير جمعه: أي جمعه في صدرك فمن تفقه عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

ويقول هذا الفقير عفا الله عنه: في هذا التفسير نظر. فإنه يستبعد حمل ثلاث كلمات على معان متقاربة، اللهم إلا إذا كان هذا التقرير في تفسير قوله تعالى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾. وكذلك يستبعد حمل قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ على معنى وقع بدون تراخ معقول. فالوجه الصحيح في تفسير هذه الآية: إن علينا جمعه في المصاحف وقرآنه أي سنوفق قراء أمة محمد ﷺ وعامتهم بتلاوته حتى لا تنقطع سلسلة التواتر. قال الله تعالى: لا تخش ضياع القرآن من قلبك ولا تشق على نفسك في ترديده. فكان من خوارقه ومعجزاته أنه لم يكن يلقى صعوبة في حفظ القرآن كما يلقاه جمهور المسلمين، بل كان يتمكن في قلبه الطاهر بمجرد سماعه من جبريل عليه السلام. فيكون المعنى: لا تخش ذلك فإننا قد أوجبنا علينا ما هو متأخر عن عهدة التبليغ الواجب عليك بمراتب وهو جمع القرآن في المصاحف وإقراءه عامة أمتك وخاصتهم. فلا تتعب في حفظه. وإذا قرأناه بلسان جبريل فاستمع له. ومعنى ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ ثم علينا تفسير القرآن وشرح معانيه. وسنبعث جماعة في كل عصر تقوم بشرح غريبه وبيان أسباب نزوله وشرح ما تصدق عليه آياته. وهذا كله متأخر عما عليك من حفظه وتبليغه بمراتب. فإن الآيات متشابهة وتصدق بعضها بعضا. وكان النبي ﷺ مبين القرآن العظيم. فكان مما وعده الله تعالى من حفظ القرآن أن يتم جمعه في المصاحف وأن يقوم المسلمون على تلاوته شرقا وغربا وليلا ونهارا. هذا معنى لا يغسله الماء.

والجدير بالذكر أن الله تعالى جمع بين جمعه وقرآنه بواو العطف بينما ذ در وعد بيانه بعد ﴿ثُمَّ﴾ التي هي للتراخي. وهذا يدل على أن القيام على تلاوته يستمر مع جمعه في المصاحف وأن الاشتغال بتفسيره سيتأخر عنه. وهكذا كان الواقع فعلا فكان أول من عني بتحفيظه أبيّ بن كعب وعبدالله بن مسعود في خلافة عمر رضي الله عنه وفي ذلك العصر تم جمعه في المصاحف تقريبا. وكان أول من اشتغل بالتفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنه بعد انقضاء أيام الخلافة الخاصة.

بعد ما شرحنا ذلك ينبغي أن يعلم أن جمع القرآن العظيم في المصاحف الذي قام به الشيخان رضي الله عنهما كان موعود الله تعالى الذي أوجبه على نفسه. والحق أن هذا الجمع من فعل الله تعالى الذي أنجز على يد الشيخين وهذا من لوازم الخلافة الخاصة كما مر.

خاتـــمة الباب

نكتة دقيقة

والآن نختم هذا الباب بنكتة دقيقة. ليست النبوة عند أهل الحق أمرا مكتسبا يدرك بالزهد والرياضة البدنية ولا أمرا جبليا كأن تخلق نفسُ النبي قدسية، فتضطر النفس القدسية إلى القيام بالأفعال التي تلائم قدسيته. ولكن إذا صار حال العالم إلى هيئة تقتضي فيها الحكمة الإلهية إرادة إصلاح بني آدم وإقامة عوجهم من فوق السماوات السبع، يختار الله تعالى أحدهم الذي يكون أزكاهم وأسمحهم وأعدلهم فيلقي في قلب هذا الداعي ليأمرهم بالعلوم والأعمال التي فيها صلاحهم ويلزمهم إياها. فإن أجابوه فبها وإلا فيخاصمهم أو يجاهدهم حتى يمتاز السعداء من الأشقياء، ويتنور العالم بنور الهدى. واقتضاء حال العالم هذا الأمر الخاص لازم كما إذا اجتمعت الصغرى والكبرى في نفس أحد لزمت النتيجة أو كما يقتضي تسخين الماء تحوله إلى الهواء، وعند ما تقتضي حال العالم ذلك، ينـــزل قضاء الله تعالى من فوق السماوات السبع إلى الملأ الأعلى فيتصبغون كلهم بصبغته وينـــزلون بالبركات الوافرة على هذه النفس القدسية ويتمثلون لها بصور مناسبة ويقذفون في نفسه العلوم الشرعية والإحسانية وغيرها.

وتطّلع هذه النفس القدسية على هذا التدبير المجرد الذي نـــزل من فوق السماوات السبع واكتسى بالأحكام المثالية في سدرة المنتهى وشاع في الملأ الأعلى ثم نـــزل إلى الأرض. ثم ينـــزل هذا التدبير من العالم المجرد مرة أخرى بمشايعة هذه الإرادة لابسا لبسا يناسب الملأ الأعلى على قلب هذا النبي في صورة الكلمات والحروف المحسوسة. وحينئذ يقال في لسان الشرع: بعث الله فلانا نبيا وأمره بتبليغ الأحكام وأوحى إليه.

فالنبوة أمر حادث فيمن تتعلق الإرادة ببعثه ليقوم بإصلاح العالم. وليست أمرا مكتسبا يدرك بالرياضة ولا جبليا، إلا أنها لا توهب إلا لمن كانت نفسه قدسية وكان معدودا في الملأ الأعلى وتكون قواه الملكية ظاهرة وغالبة جدا، ويكون صفاءه وصلاحه وسعادته وطبيعته في غاية الاعتدال الإنساني. ولمن كانت طبيعته قوية جدا لكن منقادة للقلب، ويكون قلبه متينا وشهما منقاد للملأ الأعلى، ويكون عقله في غاية الجودة والاستقامة لكن منقادا للملأ الأعلى. ويكون صورة منهم ومرآتهم وتشبه قوته العاقلة إدراك الملأ الأعلى حتى يستطيع تلقي الوحي، ويكون قوته العاملة في غاية الصلاح حتى يتصف بالعصمة. وهذا كله من اللوازم التي لا غنى للنبوة عنها. وجرت سنة الله تعالى ألا يهب النبوة إلا لمن خلق متصفا بهذه الأوصاف. وكم من نفوس قدسية

يتصف أصحابها ببعض هذه الأوصاف، أو أكثرها لكنهم لا يدركون النبوة كما قيل:

ولا كل من يسعى يصيد غزالة ولكن من صاد الغزالة قد سعى

وقال الله تعالى ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[١]

كما أن النبوة ليست مكتسبة ولا جبلية كذلك الخلافة الخاصة ليست هي الأخرى مكتسبة ولا جبلية. بل تصدر تلك الإرادة الإلهية من فوق السماوات السبع بنشر الهدى الذي جاء به النبي في الناس وإتمام نوره وإظهار دينه وإنجاز الموعود له. فتلقى هذه الداعية على قلب الخليفة. وقد يكون الحواريون الذين تتمكن داعية نصرة الدين في نفوسهم بالآلاف ويكون الخليفة فيهم كالقلب وهم كجوارحه. ويكون قلبه هو المحل الأول لحلول الداعية الإلهية ومنه تنتقل إلى غيره مثال انتقال ضوء المصباح إلى المرايا المنصوبة في الجدران. وهذا كله يدرك بالحدس القريب المأخذ وكأنه أمر بديهي، بل تدركه حاسة البصر.

وقولنا: **النبي من أمر بتبليغ شريعة الله**، له ظاهر وباطن. ظاهره تبليغ الشريعة للناس وباطنه الداعية القوية التي تفيض في قلبه. وكذلك قولنا: **الخليفة من يجري شريعة النبي في الناس ويظهر على يده موعود الله لنبيه**، له ظاهر وباطن. ظاهره إجراء أحكام الشريعة وباطنه الداعية القوية التي تمكنت بفضل تعليم النبي له في قلبه بل تفيض من جذر قلبه. وإذا لم تفض الداعية في قلبه لا يسمى خليفة خاصا. فإن كان فاجرا ينطبق عليه الحديث: إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[٢]. وان لم يكن فاجرا فهو كحجر أو خشب يستعمل في إكمال العمل المطلوب ولا فضل له فيه.

ويمكن إدراك وجود هذه الداعية في الخليفة بحدس قريب المأخذ فهو كالأمر البديهي أو المحسوس.

وإن كان الاحتمال العقلي يجوّز أن يُسْلِم شخص في آخر حياة النبي وتتمكن هذه الداعية في قلبه وتفيض منه، لكن هذا الإحتمال غير واقع البتة. فقد جرت سنة الله ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ ألا تلقى هذه الداعية القوية النازلة من فوق السماوات السبع والمتحلية بهمم الملأ الأعلى في قلب أحد إلا إذا كان جوهر نفسه خلق مشابها لجوهر نفس الأنبياء واستودعت أسوة الوحي في قوته العاقلة وهذه هي المحدَّثية، واستودعت أسوة العصمة في قوته العاملة، وهذه هي الصدِّيقية التي فرار الشيطان من ظله نتيجة منها. والفرق أن استعداد نفسه نائم لا يستيقظ ما لم يوقظه النبي ويكون استعداده النفسي بالقوة لا يعمل ما لم تؤيده نفس النبي. وهذا إجمال يطول

(١) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٢) البخاري (٣٠٦٢) كتاب الجهاد باب إن الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر، ومسلم (٣٠٥) كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

شرحه. ولا توهب هذه المنــزلة العالية إلا لمن لازم النبي زمانا وقضى في ظله سنوات طويلة وتقلب معه في السراء والضراء وانقلبت حاله معه ظهرا لبطن وتمكن في قلبه الحب العظيم للنبي كما جاء في الحديث: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والماء الزلال للعطشان"(١)، ويكون سبق غيره في نصرة الرسولﷺ بنفسه وماله وبلغ مرتبة التحقيق في التسنن بسنته في تحمل أعباء الجهاد، وظل شريكه في الشدائد والمكاره كأنه ابتلى بهذه الحوادث أصالة وتجاوز مرتبة أصحاب اليمين في تهذيب النفس إلى مرتبة السابقين الأولين. ويكون الرسولﷺ جربه في تمكن الأعمال المنجية في جوهر نفسه والترفع عن الأعمال الخسيسة والأخلاق الرذيلة، وبشره مرارا بالجنة والفوز بالدرجات العالية وأخبر بأحواله السنية ومقاماته العالية ونوه بشرفه وعظمته واستحقاقه للخلافة قولا وفعلا. فهذا هو الشخص الذي يقدر أن يحمل في جوهر نفسه الداعية القوية النازلة من فوق السماوات السبع والمتلونة بألوان الملأ الأعلى، ويقوم بإجراء دين النبي وإنجاز موعوده. و﴿**ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ**﴾.

هذه هي الخلافة الخاصة التي هي بقية أيام النبوة، وهي نوع من أنواع الولاية الأشبه بكمالات الأنبياء والذي يصدق عليه التشبه بالنبي من حيث هو نبيّ أصالة. فهذه الأوصاف كلها لوازم الخلافة الخاصة.

ورب شخص عزيز القدر قد جمع السوابق الإسلامية وغيرها من الأوصاف لكن لم تقم الإرادة الإلهية باستخلافه، ولم يرفعه التدبير الرباني إلى هذه المنــزلة العالية. واختصاص بعض الكاملين بالإرادة الإلــهية دون غيرهم من الأمور التي تعجز علوم البشر عن الإحاطة بها وكذلك لا تكاد علوم العامة تدرك حقيقة اختصاص بعض المفهّمين بالنبوة دون غيرهم، اللهم الا أن هذا الشخص الذي نصب واستخلف له نوعان من الفضل على رعيته كلهم:

الأول: الذي يعرف بعد استخلافه وهو أنه أعطي رياسة العالم دون غيره وأقيم مقام النبي ﷺ دون غيره. **والثاني** يعرف قبل أن يستخلف، لأن فعل الحكيم لا يخلو من الحكمة، وهو أنه يفضل العامة الذين لا يستحقون الخلافة بالفضل الكلي بينما يفضل خواص أصحاب النبيﷺ المستحقين للخلافة بالفضل الجزئي الذي يعتبر كالفضل الكلي.

وإن لم يتصف هذا الشخص الذى استخلف إلا بالتمكن من حسن السياسة وتأليف قلوب المسلمين لكفاه ذلك. لأنه كثير. والأصل الذي هو مدار الأمر تحمل الداعية الإلهية وإعلاء كلمة الله على يده، واللوازم الأخرى فروع لذلك. وإن زادت في شخص ما الأوصاف المعتبرة

---

(١) البخاري (١٤) كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، ومسلم أيضا (١٦٩) كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ عن أنس بلفظ: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين.

في لوازم الخلافة لكنها لم تحمله هذه الداعية و لم يتم إجراء الدين على يده لا ينال منـــزلة خلافة النبوة. أما إذا تحمل الداعية في قلبه وتم على يده إظهار الدين ووجد فيه أصل اللوازم بالقدر الذي لا بد منه في نـــزول تلك الداعية في قلبه فهو خليفة (أي خليفة النبي). مثاله كملك يريد قتل شرير. فقتله شخص بالـــخنق أو بضرب حجر ونال كرامة وحظوة لدى الملك. فيقول سفيه: فلان أحسن منك في الرمي أو الفروسية. فيرد عليه: لديّ من القوة والقدرة ما قتلت به الشرير. فلست بحاجة إلى أكثر منه. و لم يكن القتل مقصودا إلا بالعرض، بل لم تكن القوة والشجاعة مطلوبة إلا بالعرض. وإنما كان همي إرضاء الملك وقد حصل.

وحيث أنك لم تقرأ مباحث هذه المقدمة في كتب علم الكلام بهذه الروعة والجمال يحتمل أن يتطرق إليك وحشة، فنود أن نفيدك هنا ببعض الأحاديث استشهادا لما قلناه:

١- أما قولنا بأن حال بنى آدم من التمادي في الجهل والغي وسوء الإعتقاد بالله تعالى وغيره، يقتضي بعث الرسل، فمن أجل بديهيات الـــملة. وذلك لقوله تعالى ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾[1].

ولما في حديث عياض عن النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى: كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنـــزل به سلطانا. وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا أهل الكتاب وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك الحديث، أخرجه مسلم[2].

٢- وأما أن قضاء الله تعالى ينـــزل على الملأ الأعلى أولا فمن شواهده حديث إلقاء الحب: أخرج مالك[3] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إذا أحب الله العبد قال لجبريل عليه السلام: يا جبريل قد أحببت فلانا فأحبه. فيحبه جبريل. ثم ينادي جبريل في أهل السماء أن الله قد أحب فلانا، فأحبوه. فيحبه أهل السماء ثم يضع له القبول في الأرض.

٣- وأما أن الأنبياء عليهم السلام يفوقون غيرهم في الأخلاق الجبلية، فمن بديهيات الـــملة أيضا. ومن تدبر قوانين الـــحكمة الخلقية يعلم قطعا أن الاتزان الذى يتجلى في سيرهم لا يحصل إلا بانقياد النفس للقلب وانقياد القلب للعقل. ومن شواهده:

---

(١) سورة يس: ٦.

(٢) راجع ص ٥٣.

(٣) الموطأ ٣٤٨/٤ باب ما جاء في الـــمتحابين في الله والبخاري (٣٢٠٩) كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، ومسلم (٦٧٠٥) كتاب البر والصلة باب إذا أحب الله عبدا أمر جبريل فأحبه وأحبه أهل السماء.

١. حديث أنس: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس، أخرجه الشيخان[١].

٢. وأخرج البخاري[٢] عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه بينما هو يسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفله من حنين فعلقت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة، فخطفت رداءه. فوقف النبي ﷺ فقال: أعطوني ردائي. لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا.

٣. وأخرج الدارمي[٣] عن الزهري قال: إن جبريل قال: ما في الأرض أهل عشرة أبيات إلا قلبتهم فما وجدت أحدا أشد إنفاقا لهذا المال من رسول الله ﷺ.

٤- وأما أن غير الأنبياء أيضا قد يشبهون في أصل جوهر النفس، جوهر نفس الأنبياء عليهم السلام فمن شواهده:

(١) قال رسول الله ﷺ: رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، أخرجه البخاري[٤].

(٢) وقال: السمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة، أخرجه مسلم[٥]

٥- وأما أن الخلفاء كانوا يشبهون جوهر نفس الأنبياء، فمن شواهده:

(١) ما أخرج أبوعمر[٦] عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه وبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد. فجعلهم وزراء نبيه ﷺ يقاتلون عن دينه.

(٢) وأخرج أبوعمر[٧] عن ابن عباس في قول الله عز وجل ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ

---

(١) البخاري (٣٠٤٠) كتاب الجهاد باب إذا فرغوا بالليل، ومسلم (٦٠٠٦) كتاب الفضائل باب شجاعة النبي ﷺ.

(٢) (٢٨٢٠) كتاب الجهاد باب الشجاعة في الحرب والجبن.

(٣) ٣٥/١ وفي إسناده ابن أخي الزهري صدوق وفي حديثه عن الزهري كلام.

(٤) (٦٩٨٧) كتاب التعبير باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة.

(٥) لم أجده في مسلم بل رواه أبوداود (٤٧٧٦) كتاب الأدب باب في الوقار، وأحمد ١/ ٢٩٦ من حديث ابن عباس، وفي إسناده قابوس بن أبي ظبيان وفيه لين كما في التقريب ص ٤١٨ وظاهر صنيع الحافظ في الفتح ٣٥/١٢ على أنه يطلع عليه. قد روي هذا الحديث على عشرة أوجه، راجع لتفصيله الفتح ٣٦٢/١٢،

(٦) راجع ص ٥٢.

(٧) الاستيعاب ٧٩/١ وابن جرير ٢/٢٠ وابن أبي شيبة وعبدبن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وابن جرير ٢/٢٠ وعبد بن حميد عن سفيان كما في الدر المنثور ١١٣/٥ وإسناده صحيح.

﴿عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[1]. قال: أصحاب محمد ﷺ، قاله السدي والحسن البصري وابن عيينة والثوري.

(٣) وأخرج البخاري ومسلم[2] عن أبي هريرة قال قال رسول ﷺ: لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر.

(٤) وأخرج الترمذي[3] عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ جالسا فسمعنا لغطا وصوت صبيان. فقام رسول الله ﷺ فإذا حبشيـــة تزفن والصبيان حولـــها. فقال: يا عائشة تعالي فانظري. فجـــئت فوضعت لحْـــيَيَّ على منكب رسول الله ﷺ فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه. فقال لي: أمَا شبعت؟ أما شبعت؟ فجعلت أقول: لا لأنظر منـــزلتي عنده. إذ طلع عمر. فارفض الناس عنها. فقال رسول الله ﷺ: إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر. فرجعت.

٦- وأما أن الأنبياء عليهم السلام تلقى في نفوسهم الداعية القوية لهداية أمـــمهم، فمن شواهده الحديث: والذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره، أخرجه البخاري[4]. وكان النبي ﷺ قال هذه الكلمات لأبي طالب بمكة، وكذلك قالها في حديثه مع أبي سهيل في وقعة الحديبية أيضا.

٧- وأما أن الحواريين يحملون أيضا الداعية القوية فمن شواهده قول الله تعالى ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾[5] وهذه إشارة إلى أن داعية نصرة الدين وإظهاره كانت قوية لديهم ومتمكنة في نفوسهم.

أما دواعي الشيخين رضي الله عنهما لإعلاء كلمة الله وإجراء الدين الحق فأظهر من أن يقام علي إثباتها دليل. فمن أجل البديهيات أن الأفعال المتقاربة المترتبة ليلا ونهارا لا تصدر إلا عن دواع قوية ومتمكنة في أصل النفس. فهل هناك عاقل يظن أن خواجه حافظ ألف ديوانه الفارسي بغير أن يكون متضلعا من فنون الشعر ودون أن يكون استفرغ وسعه في نظم قصائده؟ أو يتصور أن أباعلي بن سينا صنف كتابه "القانون" بغير بصيرة في فنون الطب ودون أن يكون قد استنفد طاقته في تمحيص حقائقه وترتيب مسائله؟ ﴿سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ﴾. فإن لم تكن الداعية تمكنت في نفوسهم فكيف ظهرت منهم هذه الأعمال المتقاربة في المدد المتطاولة؟ وإن قال قائل:

---

(١) سورة النمل: ٥٩.
(٢) راجع ص ٥٩.
(٣) راجع ص ٦٠.
(٤) (٢٧٣١ و ٢٧٣٢) كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد، عن المسور.
(٥) سورة الصف: ١٤.

كانت داعيتهم للدنيا، فكيف أجرى الله تعالى مدحهم والثناء عليهم على لسان النبي الصادق المخبر عن الغيب ﷺ حتى بلغ درجة التواتر؟ وإن كانت الداعية مبنية على القوى النفسانية لا على التدبير الإلهي، فكيف صدرت عنها هذه البركات كلها؟ وصارت الانتصارات أضعافا مضاعفة؟

٨- وأما قولنا إن الخليفة يحصل له الفضل بمجرد تعلق الإرادة الإلهية بإستخلافه، فمن شواهده:

(١) ما أخرجه الدارمي[(١)] عن أبي ذر الغفاري قال: قلت يا رسول الله كيف علمت أنك نبي حين استنبئت؟ فقال: يا أباذر، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة فوقع أحدهما الأرض وكان الآخر بين السماء والأرض. فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم. قال: فزنه برجل. فوزنت به فوزنته. ثم قال: فزنه بعشرة. فوزنت بهم فرجحتهم. ثم قال: زنه بألف. فوزنت بهم فرجحتهم كأني أنظر إليهم ينتشرون من خفة الميزان. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لو وزنته بأمته لرجحها.

(٢) وأخرج الدارمي[(٢)] من حديث عتبة بن عبد السلمى قصة طويلة فيها شق صدره ﷺ عند ظئره حليمة. قال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة واجعل ألفا من أمته في كفة. قال رسول الله ﷺ: فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفق أن يخر علي بعضهم. فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم، ثم انطلقا وتركاني.

(٣) وأخرج أحمد بن مردويه[(٣)] عن ابن عمر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات غداة بعد طلوع الشمس. قال: رأيت قبل الفجر كأني أعطيت المقاليد والموازين. فأما المقاليد فهي المفاتيح. وأما الموازين فهذه يوزن بها. فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة. فوزنت بهم

---

(١) أوائل السنن ٩/١ وأبونعيم في الدلائل ٢٢١/١ ورجاله ثقات. ورواه البزار بلفظ: يا أباذر رأيت كأني وزنت بأربعين أنت فيهم فوزنتهم. قال الهيثمي: رجاله ثقات. المجمع ٣٣٠/٩ وله شواهد. راجع الصحيحة: ١٥٤٥ والبداية ٢٧٦/٢.

(٢) ٨/١ وأبونعيم في الدلائل، كما ذكره عنه ابن كثير في البداية ٢٧٥/٢ وقد أشار إليه في الدلائل ٢٢٥/١ لكن سقط هذا من المطبوع، والبيهقي في الدلائل ٧/٢ وأحمد ١٨٤/٤ والحاكم ٢١٦/٢ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وفيه نظر فإن بقية له في مسلم فرد حديث متابعة، وعزاه الهيثمي للطبراني أيضا وقال: إسناد أحمد حسن، المجمع ٨/ ٢٢٢ . وحسنه الألباني في الصحيحة رقم ٣٧٣.

(٣) كذا في المطبوعة ولعل الصواب: أحمد في مسنده. وقد عزاه المتقي في الكنز ٦٣٢/١١ إلى أحمد والطبراني، والمحب في الرياض ٣/١ إلى أحمد فقط. وهو في مسند الإمام أحمد ٧٦/٢ ورواه الطبراني أيضاً قال في المجمع ٥٨/٩، ٥٩: رجاله ثقات. وأحمد بن مردويه هو الحافظ أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني صاحب التاريخ والتفسير. راجع لترجمته التذكرة ١٠٥٠/٣ والسير.

فرجحت. ثم جيء بأبي بكر فوزن بهم فرجح. ثم جيء بعمر فوزن بهم فرجح. ثم جيء بعثمان فوزن بهم فرجح. ثم رفعت.

فهذا يدل على أن النبيﷺ كان علم نبوته من وزنه بأمته ورجحانه إياهم. ودل هذا الوزن والرجحان على أنه فاقهم بالفضل الكلي المعتبر عند الله تعالى كما علم أن هذا الفضل الكلي لازمة النبوة. وكان النبي ﷺ رأى هذه الرؤيا نفسها عن الخلفاء، فدلت على فضلهم على رعيتهم عند الله تعالى ورجحانهم إياهم في علم الله تعالى. وهذه لازمة خلافة النبوة. ودل ذلك على أن حقيقة الخلافة تثبت بمجرد تعلق الإرادة الإلهية بالاستخلاف. وأما الأمور الأخرى من بيعة أهل الحل والعقد ونفاذ أحكام الخليفة وغيره فهي من لوازم الوجود الخارجي للخلافة بحسب ما جرت به سنة الله تعالى. فهذه الفضيلة تثبت بمجرد تعلق الإرادة الإلهية في باب الاستخلاف بينما الفضيلة المبنية على السوابق الإسلامية أو الأوصاف الخلقية من حسن النياسة وغيره فأمر عادي. والله أعلم بحقيقة الحال. وليكن هذا آخر الباب.

الباب الرابع
ذكر أحاديث الخلافة

ويشتمل على:

(١) مقدمة موجزة

(٢) ورواية الأحاديث والآثار التي تدل على خلافة الخلفاء الراشدين تصريحا أو تلويحا، وعلى ثبوت لوازم خلافتهم الخاصة، وهي موزعة على الترتيب الآتي:

١- مسانيد العشرة المبشرة

٢- مسانيد المكثرين من الصحابة

٣- مسانيد المهاجرين

٤- مسانيد الأنصار

٥- مسانيد سائر الصحابة وعدد من التابعين

٦- أقوال السادة الأشراف

(٣) فذلكة الباب وتحتوي تمهيدا واثنى عشر فصلا.

مـــقـــدمـــة

إجماع الصحابة على خلافة الخلفاء الراشدين

اعلم رحمك الله أن العلماء ألفوا مؤلفات عديدة ومتنوعة على خلافة الخلفاء فنهج كل منهم منهجا اختاره لنفسه وسلك طريقا ارتضاه. وقد رأى هذا الفقير إلى رحمة مولاه أن يجمع أحاديث الخلافة الموزعة على مسانيد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وأن يذكر في مسند كل صحابي ما روي عنه مرفوعا، يتلوه ما روي عنه موقوفا. وذلك ليعرف الخاصة والعامة أن ما اشتهر من انعقاد خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بالإجماع أو بوصية الخليفة المتقدم، أمر محقق لا مجال للشك فيه.

ولكن ليس معنى هذا الإجماع أن كلا منهم كان قد توصل إلى رأي، رأى فيه المصلحة، غير محتج بدليل من الشريعة، ثم اجتمعت كلمتهم عند التشاور على هذا الرأي الواحد. بل المراد من إجماعهم أن كلا من الصحابة، استنبط بدليل الشرع الذي هو السنة النبوية الشريفة التي تشمل تصريحاته ﷺ، مرة وتلويحاته أخرى، صحة ثبوت خلافتهم، واضطر كل منهم على أساسها إلى قبولها والانقياد لها.

بعد ما اتفق أهل الاجتهاد والرأي في العصر الأول على خلافتهم وأجمعوا عليها، لم يكن لأحد ممن جاء بعدهم أن يختلف فيها.

أما التلويحات النبوية بخلافتهم فهي ترجع إما إلى إثبات لوازم الخلافة العامة، وإما إلى إثبات لوازم الخلافة الخاصة كالقيام بحفظ بيت المال أو أخذ زكاة المسلمين. وكذلك قوله ﷺ الذي أخبر فيه بأن أبابكر صديق وعمر شهيد، أو أخبر بأن لهما درجات عليا في الجنة، أو بشرهما بالجنة أو لوّح بترتيب الخلافة الخاصة، أو أنهما أفضل الأمة وما شاكله، فقد أثبت لهما لوازم الخلافة الخاصة. فهذا تلويح بخلافتهم الخاصة.

وإن ترددت وقلت: إن دلالة اللازم الذي يساوي ملزومه على وجود ملزومه مسلمة، ولكن دلالة اللازم الأعم على وجود ملزومه غير مسلمة. وهذه الصفات كلها من قبيل اللازم الأعم للخلافة الخاصة، ومن الجائز وجود بعض هذه الصفات في غير الخليفة الخاص أحيانا.

أقول: لاشك أن اللازم الأعم لا يدل على وجود ملزومه ولكنه لا يخلو أن يكون تعريضا به.

والتعريض نوع من البيان والدلالة، ويحصل به التفهيم والتفهم. مثاله ما أخرجه الإمام مالك[1] عن عمرة بنت عبدالرحمن أن رجلين استبا في زمان عمر بن الخطاب. فقال أحدهما للآخر: والله ما أبي بزان ولا أمي بزانية. فاستشار عمر بن الخطاب في ذلك. فقال قائل: مدح أباه وأمه. وقال آخرون: قد كان لأبيه وأمه مدح غير هذا. نرى أن تجلده الحد. فجلده عمر بن الخطاب الحد ثمانين. فالتعريض الجلي ملحق بالتصريح.

والتحقيق فيه أن التعريض لا يدل على معناه بمجرد لفظه، لكنه يدل عليه مقترنا بالقرائن. ومما لا شك فيه أن القرائن لها دلالة قطعية مثل دلالة الدخان على النار، أو دلالة ظنية مثل دلالة السحاب والهواء الرطب على المطر. وكذلك يدل اللفظ على المعنى المنطوق له. ويجتمع الاثنان في التعريض ويزيل أحدهما إبهام الآخر.

ومثل ذلك التحقيق عند هذا الفقير في الإيماءات والفحاوي وغيرها، فإنها لا تؤدي معانيها ولا تدل عليها بمحض لفظها لكنها تدل عليها بلفظها المقرون بالقرائن التي قد تكون خفية. والأصل الذي يؤخذ به في استنباط المعاني منها فهم أهل اللغة في مثل هذه الأحوال. لأجل ذلك يعتبر الإمام محمد بن إدريس الشافعي -وهو رأس أهل الاستنباط ورئيسهم- مفهوم الوصف متوقفا على بضعة شروط، وجودها مؤكد للقرائن الدالة على أداء معناه.

ففي ضوء هذا التحقيق لا يكون دلالة اللازم الأعم على وجود ملزومه أمرا مستبعدا أو شيئا مستنكرا.

بعد هذه المقدمة الوجيزة نبدأ بحثنا بعون الله عز وجل وتوفيقه.

---

(١) الموطأ مع الزرقاني ١٥٢/٤ ومحمد الشيباني في الموطأ ص ٣١٠ والبيهقي ٢٥٢/٨ وابن أبي شيبة ٥٣٨/٨.

مسانيد العشرة المبشرة

١- من مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وجوب نصب الخليفة

(١) أخرج الدارمي[١] عن حية بنت أبي حية عن أبي بكر الصديق، في قصة قالت: فذكرت غزونا خثعما وغزوة بعضنا في الجاهلية وما جاء الله به من الألفة وأطناب الفساطيط، وشبك ابن عون أصابعه ووصفه لنا معاذ وشبك أحمد، فقلت: يا عبد الله حتى متى ترى أمر الناس هذا؟ قال: ما استقامت الأئمة. قلت: ما الأئمة؟ قال: أما رأيت السيد يكون في الحواء فيتبعونه ويطيعونه؟ فما استقام أولئك.

(٢) وأخرج الدارمي[٢] عن قيس بن أبي حازم، قال: دخل أبوبكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب. قال: فرآها لا تتكلم فقال: ما لها لا تتكلم؟ قالوا: نوت حجة مصمتة. فقال: تكلمي. فإن هذا لا يحل. هذا من عمل الجاهلية. قال: فتكلمت، فقالت: من أنت؟ قال: أنا امرؤ من المهاجرين. قالت: أي المهاجرين؟ قال: من قريش. قالت: فمن أي قريش أنت؟ قال: إنك لسؤول. أنا أبوبكر. قالت: ما بقاءنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ فقال: بقاءكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم. قالت: وأيما الأئمة؟ قال: أما لقومك رؤساء وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلى. قال: فهم مثل أولئك على الناس.

والاستقامة في قوله (ما استقامت) تشمل العلم والعدالة والكفاية والشجاعة وغيرها من الصفات.

الإمارة في قريش

(٣) وأخرج البخاري[٣] في حديث عمر الطويل أن أبابكر قال للأنصار: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل. ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش. هم أوسط العرب نسبا ودارا.

(٤) وأخرج أبوبكر بن أبي شيبة[٤] في حديث طويل، فقال أبوبكر: على رسلكم.

---

(١) ١/٧٠ ورجاله ثقات. وابن مندة أيضاً، راجع الإصابة ٨/٥٧.

(٢) ١/٧١ عن أبي النعمان. والبخاري (٣٨٣٤) كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية.

(٣) (٦٨٣٠) كتاب الحدود باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت.

(٤) ١٤/٥٦٣، ٥٦٦ ورجاله ثقات. والبخاري (٦٨٣٠) كتاب الحدود باب رجم الحبلى في الزنا إذا

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر الأنصار إنا والله ما ننكر فضلكم ولا بلاءكم في الإسلام ولا حقكم الواجب علينا. ولكنكم قد عرفتم أن هذا الحي من قريش بمنـــزلة من العرب ليس بها غيرهم، وأن العرب لن تـــجتمع إلا على رجل منهم. فنحن الأمراء وأنتم الوزراء. فاتقوا الله، ولا تصدعوا الإسلام، ولا تكونوا أول من أحدث في الإسلام.

فاشتراط نسب قريش في الخليفة مجمع عليه عند أهل السنة.

تعريض بذكر الخلفاء الثلاثة على الترتيب

(٥) وأخرج البخاري ومسلم والدارمي وغيرهم[1] عن ابن عباس قال كان أبوهريرة يحدث أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أرى الليلة ظلة ينطف منها السمن والعسل، فأرى الناس يتكفـــفون بأيديهم، فالـــمستكثر والمستقل وأرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض. فأراك يا رسول الله أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم وصل به فعلا به. فقال أبوبكر: بأبي أنت وأمي لتدعني فأعبرها. قال: اعبرها. فقال: أما الظلة فظلة الإسلام. وأما ما ينطف من السمن والعسل فهو القرآن لينه وحلاوته، وأما المستكثر والمستقل فهو المستكثر من القرآن والمستقل منه. وأما السبب الواصل من السماء في الأرض فهو الحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيعليك الله، ثم يأخذ به بعدك رجل فيعلو به ثم يأخذ به رجل فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع ثم يوصل له فيعلو به، أي رسول الله لتحدثني أصبت أم أخطأت؟ فقال النبي ﷺ: أصبت بعضا وأخطأت بعضا. فقال: أقسمت يا رسول الله لتحدثني ما الذي أخطأت؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقسم.

فيدل هذا على أن أبابكر الصديق ﷺكان يعلم أن الخلافة بعد النبي ﷺ ستصير إلى ثلاثة رجال على الترتيب، وأنهم سيكونون ويبقون على منهاج النبوة. ويبقى سؤال أنه مادامت الخلافة وقعت فعلا كما عبرها ﷺ فما وجه الخطأ في تأويله؟ فيقول الفقير إلى رحمة مولاه: إنما سمى السكوت عن تسمية الأشخاص بأعيانهم -مع قدرته على ذلك- خطأ بطريق المشاكلة. إذ تدل آثار عديدة ذكرت في كتاب الخصائص للإمام السيوطي على أنه رضي الله عنه كان يعلمهم بأعيانهم.

١- وأخرج ابن عساكر[2] عن كعب، قال: كان إسلام أبي بكر الصديق سببه بوحي

أحصنت، مطولاً، ومسلم بعضه. وسيأتي في ص ١٥٠.

(١) البخاري (٧٠٤٦) كتاب التعبيـــر باب من لـــم ير الرؤيا لأول عابر إذا لـــم يصب التعبير، ومسلم (٥٩٢٨) كتاب الرؤيا باب في تأويل الرؤيا، والدارمي ١٢٨/٢.

(٢) راجع ص ١٠٣.

من السماء، وذلك أنه كان تاجرا بالشام، فرأى رؤيا فقصها على بحيراء الراهب، فقال له: من أين أنت؟ قال من مكة. قال: من أيها؟ قال: من قريش. قال: فأيش أنت؟ قال: تاجر. قال: صدق الله رؤياك. فإنه يبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد موته. فأسرها أبوبكر حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم. فجاءه، فقال: يا محمد ما الدليل على ما تدعي؟ قال: الرؤيا التي رأيت بالشام. فعانقه وقبل ما بين عينيه وقال: أشهد أنك رسول الله.

٢- وأخرج ابن عساكر[١] عن ابن مسعود قال: قال أبوبكر الصديق: خرجت إلى اليمن قبل أن يبعث النبي ﷺ، فنـزلت على شيخ من الأزد قد قرأ الكتب، وأتت عليه أربعمائة سنة إلا عشر سنين. فقال لي: أحسبك حرميا؟ قلت: نعم. قال: وأحسبك قرشيا؟ قلت: نعم. قال: وأحسبك تيميا؟ قلت: نعم. قال: بقيت لي منك واحدة. قلت: ما هي؟ قال: تكشف لي عن بطنك؟ قلت: لم ذاك؟ قال: أجد في العلم الصادق أن نبيا يبعث في الحرم، يعاون على أمره فتى وكهل. فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات. وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة. و ما عليك أن تريني فقد تكاملت فيك الصفة إلا ما خفي علي. قال أبوبكر: فكشفت له عن بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي. فقال: أنت هو، ورب الكعبة.

٣- وأخرج ابن سعد[٢] عن الحسن، قال: قال أبوبكر: يا رسول الله ما أزال أراني أطأ في عذرات الناس. قال: لتكونن من الناس بسبيل. قال: ورأيت في صدري كالرقمتين. قال: سنتين.

وإن قال قائل: إذا كان أبوبكر الصديق ﷺ يعلم أنه هو المبشر بالخلافة، فلماذا أبدى التوقف عند البيعة؟ ولماذا أشار إلى عمر الفاروق وأبي عبيدة رضي الله عنهما بقوله: بايعوا أحد هذين؟ أقول: لا تقتضي البشارة بشيء أمراً بالسعي لطلبه أيضا، كما كان النبي ﷺ لما بشر بأن عائشة ستكون زوجا له، لم يسع لنكاحها بل اكتفى بقوله: إن يكن هذا من عند الله يمضه. وتختلف أحوال أهل الله في مثل هذه الأمور. فأحيانا يسعون لما بشروا به وأحيانا يختارون التوقف والانتظار للعناية الربانية لتقع البشارة بالوجه الذي تريده. واختار سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه التوقف وذلك لرغبة منه عن حظوظ النفس أو لغيره من الأسباب المماثلة.

إثباته خلافته بسوابقه الإسلامية:

(٦) فقد أخرج الترمذي[٣]عن أبي سعيد الخدري قال: قال أبوبكر: أ لست أحق الناس

---

(١) راجع ص ٩٨.

(٢) ١٧٣/٣ رجاله ثقات لكنه مرسل.

(٣) ٣١١/٤ والعلل الكبير ص ٦٩٠ أيضاً والبزار كما في البحر الزخار رقم ٣٥ وابن حبان كما في الموارد ص ٥٣٢ والدارقطني في العلل ٢٣٤/١ وأبونعيم في المعرفة: ٧١، ٧٢. واختلفوا في وصله

بها؟ ألست أول من أسلم؟ ألست صاحب كذا؟ ألست صاحب كذا؟

استدلاله على أن التوقف عن بيعته يشق عصا المسلمين

(٧) فقد أخرج الحاكم[١] عن أبي سعيد في قصة طويلة، فلما قعد أبوبكر على المنبر، نظر في وجوه القوم، فلم ير عليا فسأل عنه. فقام ناس من الأنصار فأتوا به. فقال أبوبكر: ابن عم رسول الله وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعه. ثم لم ير الزبير بن العوام. فسأل عنه حتى جاءوا به. فقال: ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل قوله، فبايعاه.

إثباته خلافة عمر الفاروق بسبب أفضليته

(٨) فقد أخرج الترمذي[٢] عن جابر بن عبد الله قال: قال عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال أبوبكر: أما إنك إن قلت ذاك، فلقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر.

(٩) وأخرج أبوبكر بن أبي شيبة[٣] عن زيد بن الحارث (الصواب زبيد بن الحارث) أن أبابكر حين حضره الموت أرسل إلى عمر ليستخلفه، فقال الناس: تستخلف علينا فظا غليظا، ولو قد ولينا كان أفظ وأغلظ. فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر؟ قال أبوبكر: أبربي تخوفوني؟ أقول: اللهم استخلفت عليهم خير خلقك... الحديث.

(١٠) وأخرج أبوبكر بن أبي شيبة[٤] عن محمد عن رجل من بني زريق في قصة طويلة، قال أبوبكر لعمر: أنت أقوى مني. فقال عمر: أنت أفضل مني.

فمن يدرس هذه الآثار وينظر في مدلولاتها بعين الإنصاف والعدل يجدها كافية في إثبات الخلافة الخاصة في الطبقة الأولى، وإلا فلا معنى لذكرها وإيرادها بصدد إثبات الخلافة؟!

وإرساله. وقال الترمذي: المرسل أصح. وهو قول أبي حاتم كما في العلل لابنه ٣٨٨/٢.

(١) ٧٦/٣ والبيهقي في الإعتقاد ص ١٧٧، ١٧٨ وراجع البداية ٣٥٢/٦ وابن أحمد في السنة: ١٢٩٢ مرسلا بغير واسطة أبي سعيد. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) (٣٦٨٤) أبواب المناقب باب قول عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده بذاك. وقد رواه ابن عدي ١٥٥٧/٤ والدولابي في الكنى ٢/ ٩٩ والعقيلي ٤/٣ والحاكم ٩٠/٣ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي في تلخيصه وقال: عبد الله ضعفوه وعبدالرحمن متكلم فيه والحديث يشبه الموضوع. وقال في الميزان ٤١٥/٢: هذا كذب. وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية ١٩٠/١ وراجع الضعيفة رقم ١٣٥٧.

(٣) راجع ص ٧٠.

(٤) راجع ص ٧٠.

٢- من مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه

شروط الخلافة

(١) فقد أخرج أبويوسف[(١)] عن أبي المليح بن أسامة الهزلي، قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: "أيها الرعاء[(٢)] إن لنا عليكم حق النصيحة بالغيب والمعونة على الخير. أيها الرعاء إنه ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعم نفعا من حلم إمام ورفقه. وليس من جهل أبغض إلى الله، وأعم ضررا من جهل إمام وخرقه. وإنه من يأخذ بالعافية فيما بين ظهرانيه يعطى العافية من فوقه.

(٢) وأخرج أبويوسف[(٣)] عن عثمان بن عطاء الكلاعي عن أبيه قال: خطب عمر الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد؛ فإني أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويهلك من سواه، والذي بطاعته ينفع[(٤)] أولياءه وبمعصيته يضر أعداءه. فإنه ليس لهالك هلك معذرة في تعمد ضلالة حسبها هدى، ولا في ترك حق حسبه ضلالة. وإن أحق ما تعاهد[(٥)] الراعي من رعيته تعاهدهم[(٦)] بالذي لله عليهم في وظائف دينهم الذي هداهم الله له. وإنما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته، وأن ننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته، وأن نقيم أمر الله في قريب الناس وبعيدهم، ولا نبالي على من قال[(٧)] الحق. ألا وإن الله فرض الصلاة وجعل لها شروطا. فمن شروطها الوضوء والخشوع والركوع والسجود. واعلموا أيها الناس أن الطمع فقر، وأن اليأس غنى، وفي العزلة راحة من خلطاء السوء. واعلموا أنه من لم يرض عن الله فيما كره[(٨)] من قضائه، لم يودّ إليه فيما يحب كنه شكره. واعلموا أن لله تعالى عبادا يميتون الباطل بهجره ويحيون الحق بذكره، رغبوا و رهبـــوا. فرهبوا[(٩)] إن خافوا، فلم يأمنوا[(١٠)] فأبصروا[(١)] من اليقين ما لم يعاينوا.

---

(١) كتاب الخراج ص ١٢ وفي إسناده عبيد الله بن أبي حميد الهذلي شيخ أبي يوسف، متروك الحديث كما في التقريب ص ٣٤٠.

(٢) وفي الخراج: الناس.

(٣) كتاب الخراج ص ١٣ عن بعض أشياخه وهم مجاهيل. وبعد ذلك فيه عثمان بن عطاء وعبد الملك بن مسلم وقد تكلم فيهما.

(٤) وفي الخراج: تنتفع.

(٥) وفي الخراج: تعهد.

(٦) وفي الخراج: تعهدهم.

(٧) وفي الخراج: من كان.

(٨) في الخراج: فيما أكره.

(٩) في الخراج: رغبوا. فرغبوا ورهبوا.

(١٠) في الخراج: فلا يأمنوا.

فخلصوا بما لم يزايلوا. أخلصهم الخوف، فهجروا ما ينقطع عنهم[٢] الحياة عليهم نقمة والموت لهم كرامة.

(٣) وأخرج أبويوسف[٣] عن الزهري قال جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: يا أمير المؤمنين لا أبالي في الله لومة لائم أم أُقبل[٤] على نفسي؟ فقال: أما من تولى[٥] من أمر المسلمين شيئا، فلا يخاف في الله لومة لائم. ومن كان خلوا من ذلك فليقبل على نفسه، ولينصح لولي أمره.

(٤) وأخرج أبويوسف[٦] عن سعيد بن أبي بردة، قال كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى: أما بعد، فإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته. وإن أشقى الرعاة عند الله[٧] من شقيت به رعيته. وإياك أن ترتع فترتع[٨] عمالك، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة، نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغي بذلك السمن، وإنما حتفها في سمنها، والسلام.

(٥) وأخرج أبويوسف[٩] عن رجل عن عمر قال: لا يقيم أمر الله إلا رجل لا يضارع ولا يصانع ولا يتبع المطامع. ولا يقيم أمر الله إلا رجل لا ينتقص غَـرْبه، ولا يكظم في الحق على حزبه.

(٦) وقال أبويوسف[١٠] حدثني محمد بن إسحق قال وحدثني من سمع طلحة بن معدان اليعمري قال: خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي ﷺ، وذكر أبابكر الصديق فاستغفر له، ثم قال: أيها الناس إنه لم يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية الله. وإني لم أجد في هذا المال مصلحة إلا خلالا ثلاثا[١١]: أن يؤخذ بالحق ويعطى بالحق ويمنع من الباطل. وإنما أنا ومالكم كوالي[١٢] اليتيم، إن استغنيت عنه استعففت، وإن

---

(١) في الخراج: أبصروا.
(٢) في الخراج: ينقطع عنهم لما يبقى عليهم الحياة.
(٣) كتاب الخراج ص ١٤ وهو مرسل. ومع ذلك في إسناده عبد الله بن علي أبو أيوب الأفريقي شيخ أبي يوسف. قال عنه الحافظ في التقريب ص ٢٨٧: صدوق يخطئ.
(٤) في الخراج: لومة لائم خير لي، أم أقبل.
(٥) في الخراج: ولي.
(٦) كتاب الخراج ص ١٤ وسعيد لم يسمع من عمر وابن أبي شيبة في المصنف ١٣/ ٢٦٥.
(٧) سقط من الخراج.
(٨) في الخراج: تزيغ فتزيغ
(٩) كتاب الخراج ص ١٥ والرجل مجهول لم يسم.
(١٠) المصدر نفسه ص ١١٧ و فيه رجل لم يسم.
(١١) في الخراج: خلال ثلاث.
(١٢) في الخراج: كولي.

افتقرت أكلت بالمعروف. ولست أدع أحدا يظلم أحدا، ولا يعتدي عليه حتى أضع خده الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق. ولكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم، فخذوني بها. لكم علي أن لا أجتبي شيئا من خراجكم ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه. ولكم علي إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه. ولكم علي أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله وحده، وأسد لكم ثغوركم. ولكم علي أن لا ألقيكم في المهالك، ولا أجمركم في ثغوركم. وقد اقترب منكم زمان قليل الأمناء كثير القراء قليل الفقهاء كثير الأمل، يعمل فيه أقوام للآخرة يطلبون به دنيا عريضة تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب. ألا فمن أدرك ذلكم منكم فليتق الله ربه وليصبر. يا أيها الناس إن الله عظم حقه فوق حق خلقه. فقال فيما عظم حقه ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١].

ألا وإني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين. ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم فأدروا على المسلمين حقوقهم. ولا تضربوهم فتذلوهم، ولا تجمروهم[٢] فتفتنوهم. ولا تغلقوا الأبواب دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم. ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم ولا تجهلوا عليهم. وقاتلوا بهم الكفار طاقتهم. فإذا رأيتم بهم كلالة، فكفوا عن ذلك. فإن ذلك أبلغ في جهاد عدوكم. أيها الناس، إني أشهدكم على أمراء الأمصار أني لم أبعثهم إلا ليفقهوا الناس في دينهم، ويقسموا عليهم فيئهم، ويحكموا بينهم. فإن أشكل شيء رفعوه إلي. قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لا يصلح هذا الأمر إلا بشدة في غير تجبر ولين في غير وهن.

(٧) وأخرج أبويعلى[٣] عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بخيار أئمتكم من شرارهم الذين تحبونهم ويحبونكم ويدعون لكم وتدعون لهم. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم.

(٨) وأخرج مسلم وأبويعلى وغيرهما[٤] أن عمر بن الخطاب خطب يوم جمعة، فذكر نبي الله ﷺ، وذكر أبابكر فقال: إني رأيت كأن ديكا نقرني نقرة أو نقرتين و إني لا أراه إلا

---

(١) سورة آل عمران: ٨٠.

(٢) في الخراج: ولا تحمدوهم.

(٣) رقم ١٥٦ والترمذي (٢٢٦٤) أبواب الفتن باب في خيار الأمراء وشرارهم، وقال: غريب ومحمد بن أبي حميد يضعف من قبل حفظه. لكن له شاهد صحيح عن عوف بن مالك عند مسلم في الإمارة، وأحمد ٦/٢٢٤ والدارمي.

(٤) مسلم (١٢٥٨) كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كرثا أو نحوها... الخ، وأبويعلى رقم ١٦٧. واللفظ لأبي يعلى. وراجع ص ٥٠.

لحضور أجلي، وإن أقواما يأمروني أن أستخلف. وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافة[١]، ولا الذي بعث به نبيه ﷺ. وإني قد علمت أن أقواما سيطعنون في هذا الأمر أنا ضربتهم بيدي هذه على الإسلام. فإن فعلوا فأولئك أعداء الله الكفار الضلال. فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض... الحديث.

قوله: "وإن الله لم يكن ليضيع دينه" فيما أرى؛ في الخلافة الخاصة فقط، و إلا ففي أيام الخلافة العامة قال: قد اقترب زمان قليل الأمناء الخ.

قوله: "إن أقواما سيطعنون في هذا الأمر" فيما أرى؛ إشارة إلى انتقال الخلافة الخاصة إلى العامة وأن يتصدى لها من ليس من المهاجرين الأولين.

وقوله: "أولئك أعداء الله الكفار الضلال" تهديد وتخويف، فلم يرد بذلك حقيقة الكفر، والله أعلم.

(٩) وأخرج البخاري وأبويعلى وغيرهما[٢] عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال خرجت مع عمر بن الخطاب إلى مكة، فاستقبلنا أمير مكة نافع بن علقمة. فقال له: يا نافع من استخلفت على مكة؟ قال: استخلفت عليها عبد الرحمن بن أبزى. قال: عمدت إلى رجل من الموالى فاستخلفته على من بها من قريش وأصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وجدته أقرأهم بكتاب الله، ومكة أرض محتضرة، فأحببت أن يسمعوا كتاب الله من رجل حسن القراءة. قال: نعم ما رأيت، إن الله يرفع بالقرآن أقواما ويضع بالقرآن أقواما، وإن عبد الرحمن بن أبزى ممن رفعه الله بالقرآن. وفي رواية[٣]: فغضب عمر، حتى قام في الغرز، فقال: أ تستخلف على آل الله عبد الرحمن بن أبزى؟ قال: إني وجدته أقرأهم لكتاب الله وأفقههم في دين الله. فتواضع لها عمر حتى اطمئن على رحله، فقال: لئن قلت ذاك، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله سيرفع بهذا الدين أقواما ويضع به آخرين".

---

(١) في مسلم وأبي يعلى: خلافته.

(٢) لم أجده في البخاري، رواه أبويعلى في مسنده برقم ٢٠٦. وإسناده قوي إلا أن فيه غلطا في تسمية أبيه أي قوله نافع بن علقمة. لأن القصة معروفة لنافع بن عبد الوارث كما في الإصابة ٢٢٧/٦. ومسلم (١٨٩٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه الخ، وابن ماجه (٢١٨) كتاب السنة باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، وأحمد ٣٥/١ والبيهقي ٨٩/٣ والدارمي ٤٤٣/٢ والطحاوي في المشكل ٤٤٥/٥ وابن حبان كما في الإحسان ٧٤/٢ من طرق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) أبويعلى ٢٠٥

أقواله في أفضلية أبي بكر الصديق قد بلغت حد التواتر.

(١٠) فقد أخـــرج البخاري[١] عن عائشة رضي الله عنها في قصة الاتفاق على أبي بكر ثم تكلم أبوبكر، فتكلمْ أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لا، والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبوبكر: لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا. فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت. فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. فأخذ عمر بيده، فبايعه، وبايعه الناس.

(١١) وأخرج الحاكم[٢] عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن عمر قال: كان أبوبكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١٢) وأخرج البخاري[٣] عن ابن عباس قول عمر رضي الله عنه في قصة الاتفاق على أبي بكر، ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلانا فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كان بيعة أبي بكر فلتة، وتمت. ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها. وليس فيكم من يقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر.

وفي هذا الحديث أيضا؛ قال أبوبكر: وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا. فلم أكره مما قال غيرها. كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من حيث إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبوبكر، اللهم إلا أن تسول لي نفسي عند الموت شيئا، لا أجده الآن.

(١٣) وأخرج البخاري[٤]عن أنس، أنه سمع خطبة عمر الآخرة، حين جلس عمر على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي النبي ﷺ. فتشهد، وأبوبكر صامت لا يتكلم. قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا، يريد بذلك أن يكون آخرهم. فإن يك محمد ﷺ قد مات، فإن الله قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به. هدى الله محمدا ﷺ وإن أبابكر صاحب رسول الله ﷺ، وثاني اثنين، وإنه أولى المسلمين بأموركم. فقوموا فبايعوه. وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة. وكانت بيعة العامة على المنبر.

(١٤) وأخرج البخاري[٥] عن أبي وائل، قال جلست مع شيبة على الكرسي في الكعبة.

---

(١) (٣٦٦٧) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب بعد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذا خليلا الخ.

(٢) ٦٦/٣، وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٣) (٦٨٣٠) كتاب الحدود باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت.

(٤) (٧٢١٩) كتاب الأحكام باب الاستخلاف.

(٥) (١٥٩٤) كتاب الحج باب كسوة الكعبة.

قال: لقد جلس هذا المجلس عمر، فقال: لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته، قلت: إن صاحبيك لم يفعلا، قال: هما المرءان أقتدي بهما.

(١٥) ومن حديث رجل من بني زريق في قصة الاتفاق على أبي بكر، أخرج أبوبكر بن أبي شيبة[١] قال عمر: فبايعوا أبابكر. فقال أبوبكر لعمر: أنت أقوى مني. فقال عمر: أنت أفضل مني، فقالاها الثانية، فلما كانت الثالثة، قال له عمر: إن قوتي لك مع فضلك. قال: فبايعوا أبابكر.

(١٦) وأخرج الترمذي[٢] عن جابر بن عبد الله، قال: قال عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد رسول الله ﷺ، فقال أبوبكر: أما إنك إن قلت ذاك فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر.

(١٧) وأخرج أبويعلى[٣] عن علقمة وقيس بن مروان كليهما، في فضائل عبد الله بن مسعود عن عمر: قال فغدوت إليه لأبشره، فوجدت أبابكر قد سبقني إليه فبشره. ولا والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه.

(١٨) وفي المشكاة[٤] عن عمر، ذكر عنده أبوبكر فبكى، وقال: وددت أن عملي كله مثل عمله يوما واحدا من أيامه وليلة واحدة من لياليه. أما ليلته، فليلة سار مع رسول الله ﷺ إلى الغار. فلما انتهيا إليه، قال: والله لا تدخله حتى أدخل قبلك. فإن كان فيه شيء أصابني دونك فدخل فكسحه، ووجد في جانبه ثقبا. فشق إزاره، وسدها به. وبقي منها اثنان. فألقمها رجليه ثم قال لرسول الله ﷺ: ادخل فدخل رسول الله ﷺ، ووضع رأسه في حجره، ونام. فلدغ أبوبكر رجله من الجحر، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ. فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ. فقال: مالك يا أبابكر؟ قال: لدغت فداك أبي وأمي. فتفل رسول الله ﷺ فذهب ما يجد ثم انتقض عليه وكان [illegible] وأما يومه فلما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب وقالوا: لا نؤدي زكاة، فقال: لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه، فقلت: يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم، فقال لي: أجبار في الجاهلية و خوار في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحي، وتم الدين، أ ينقص وأنا حي؟ رواه رزين.

---

(١) ١٤/٥٦٩، ٥٧٠ ورجاله ثقات. و رجل من بني زريق لم يسم.

(٢) راجع ص ١٤٥.

(٣) رقم ١٨٩، ١٩٠ وأحمد ١/٢٥. وقال الهيثمي في المجمع ٩/٢٨٧: رواه أبويعلى بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير قيس بن مروان وهو ثقة. ورواه الحاكم ٢/٢٢٧ وابن خزيمة ٢/١٨٧ والطبراني ٩/٦٤ وأبونعيم في الحلية ١/١٢٤ أيضا.

(٤) راجع ص ١٠٦.

استدلاله على خلافة أبي بكر الصديق بتفويض إمامة الصلاة إليه

(١٩) فقد أخرج الحاكم وأبوبكر[١] عن عاصم عن زر عن عبد الله، قال: لما قبض رسول الله ﷺ، قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. قال: فأتاهم عمر ﷺ فقال: يا معشر الأنصار أ لستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبابكر يؤم الناس. فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبابكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبابكر.

(٢٠) وأخرج أحمد[٢] عن رافع الطائي رفيق أبي بكر في غزوة السلاسل، قال: وسألته عما قيل من بيعتهم. فقال وهو يحدثه عما تكلمت به الأنصار، وما كلم به عمر بن الخطاب الأنصار، وما ذكرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه، فبايعوني لذلك وقبلتها منهم، وتخوفت أن تكون فتنة تكون بعدها ردة.

استدلاله على خلافة أبي بكر الصديق بسوابقه الإسلامية

(٢١) فقد أخرج أبوبكر بن أبي شيبة[٣] عن ابن عباس في قصة الاتفاق على أبي بكر، ثم قلت: يا معشر الأنصار يا معشر المسلمين، إن أولى الناس بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ أبوبكر السباق المبين. ثم أخذت بيده، وبادرني رجل من الأنصار، فضرب على يده قبل أن أضرب على يده. وتبايع الناس.

إدراكه خلافة الخلفاء بوقوعها في عصر ظهور الإسلام وقوته

(٢٢) فقد أخرج أبويعلى[٤] عن علقمة بن عبد الله المزني عن رجل قال: كنت بالمدينة في مجلس فيه عمر بن الخطاب فقال لبعض جلسائه: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف الإسلام؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الإسلام بدأ جذعا ثم ثنيا ثم رباعيا ثم سديسا ثم باذلا[٥]. فقال عمر: فما بعد البذول إلا النقصان.

---

(١) الحاكم ٦٧/٣ وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. وابن أبي شيبة ٥٦٧/١٤ ومن طريقه ابن أبي عاصم في السنة: ١١٥٩، وابن سعد ١٧٩/٣ وأحمد ٣٩٦/١ وأبويعلى أيضا. قال الهيثمي في المجمع ١٨٣/٥: فيه عاصم بن أبي النجود وهو ثقة وفيه ضعف. وبقية رجاله رجال الصحيح، فالحديث حسن.

(٢) المسند ٨/١ وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليق المسند رقم ٤٢: إسناده صحيح.

(٣) المصنف ٥٦٣/١٤، ٥٦٦.

(٤) المسند برقم ١٨٧ وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات. قال الهيثمي في المجمع ٢٧٩/٧: رواه أحمد ٤٦٣/٣، ٥٢/٥.

(٥) الجذع: ولد الناقة في العام الرابع من عمره. والثني، في عامه السادس. والرباعي؛ في عامه السابع، والسديس في عامه الثامن، والباذل؛ ما اكتمل ثماني سنوات من عمره. إشارة إلى أن الإسلام إكتمل بالتدريج إلى أن عرج إلى الكمال المطلق. فما بعد التمام إلا النقصان. [م]

وهذا يوافق معنى الآية الكريمة ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ...﴾(١).

إدراكه خلافة الخلفاء من حديث القرون الثلاثة

(٢٣) فقد أخرج الترمذي(٢) عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، قال: "أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد".

إدراكه خلافة الخلفاء من عدم ظهور فتنة عامة في حياته

(٢٤) فقد أخرج البخاري(٣) عن شقيق قال: سمعت حذيفة يقول: بينما نحن جلوس عند عمر رضي الله عنه، إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟ قال: قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال: ليس عن هذا أسألك. ولكن التي تموج كموج البحر. قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين. إن بينك وبينها بابا مغلقا. قال عمر: أ يكسر الباب أم يفتح؟ قال: لا، بل يكسر. قال عمر: إذن لا يغلق أبدا. قلت: أجل. قلنا لحذيفة: أ كان عمر يعلم الباب قال: نعم، كما أعلم أن دون الغد الليلة وذلك أني حدثته حديثا ليس بالأغاليط فهبنا أن نسأله: من الباب؟ فأمرنا مسروقا فسأله، فقال: من الباب؟ قال: عمر.

استدلاله على خلافته بمحدثيته وموافقته الوحي

(٢٥) فقد أخرج مسلم(٤) عن ابن عمر قال عمر: وافقت ربي في ثلاث؛ في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر.

بيانه أنه أفضل أهل زمانه في خلافته

(٢٦) فقد أخرج محمد في الموطأ(٥) عن سالم بن عبد الله بن عمر قال عمر بن الخطاب: لو علمت أن أحدا أقوى على هذا الأمر مني، لكان أن أقدم فتضرب عنقي أهون علي. فمن ولي هذا الأمر بعدي فليعلم أن سيرد عنه القريب والبعيد. وأيم الله، إن كنت أقاتل الناس عن نفسي

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) (٢١٦٥) أبواب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. ورواه أحمد ١٨/١ وابن أبي عاصم في السنة رقم ٨٨ والبيهقي ٩١/٧ والحاكم ١١٤/١ و قد روي من طريق آخر عن عمر رضي الله عنه. راجع ما علقناه على مسند أبي يعلى (١٣٦) والصحيحة: ١١١٦، وظلال الجنة.

(٣) راجع ص ٩٦.

(٤) راجع ص ٦٠.

(٥) باب النوادر ص ٤٠٠ وفيه سيرده بدل: سيرد. وابن سعد ٢٧٥/٣.

(٢٧) وأخرج مسلم[١] عن سماك عن عمر في قصة الإيلاء: وقلما تكلمت -وأحمد الله- بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول. . الحديث.

بيانه لخلافة من يخلفه وجعلها شورى بين الستة

(٢٨) أخرج البخاري[٢] في قصة مقتل عمر والاتفاق على عثمان من حديث عمرو بن ميمون عن عمر، قالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف. قال: ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو عنهم راض، فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن، .... الحديث.

٣- من مسند عثمان بن عفان رضي الله عنه

استدلاله على خلافة المشايخ الثلاثة بكونهم من السابقين الأولين

(١) فقد أخرج الترمذي[٣] عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: لما حصر عثمان، أشرف عليهم فوق داره، ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن حراء حين انتفض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أثبت حراء، فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد؟ قالوا: نعم.

(٢) وأخرج الترمذي[٤] عن ثمامة بن حزن القشيري في قصة طويلة، قال عثمان: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة، ومعه أبوبكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، قال: فركضه برجله فقال: اسكن ثبير، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان؟ قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر، شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد، ثلاثا.

---

(١) (٣٦٩١) كتاب الطلاق باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن الخ من طريق سماك حدثني عبد الله ابن عباس عن عمر.

(٢) راجع ص ٥٠.

(٣) (٣٦٩٩) أبواب المناقب باب في عد عثمان تسميته شهيدا الخ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. والبخاري (٢٧٧٨) كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضا أو بئرا إلخ، والنسائي (٣٦٤٠) كتاب الإحباس باب وقف المساجد وابن حبان كما في الموارد ص٥٤٠ وابن أبي عاصم في السنة ٥٩٥/٢.

(٤) (٣٧٠٣) أبواب المناقب باب في عد عثمان تسميته شهيدا الخ، وقال: هذا حديث حسن. والنسائي (٣٦٣٨) كتاب الإحباس باب وقف المساجد، وزوائد المسند ٧٤/١ و ٧٥ وابن أبي عاصم في السنة ٥٩٤/٢ وابن خزيمة رقم ٢٤٩٢، والطحاوي في المشكل: ٥٠١٩، والدارقطني ١٩٦/٤ والبيهقي ١٦٨/٦ أيضاً.

(٣) وأخرج البخاري[١] عن عبيد الله بن علاء (الصواب عدي) بن الخيار في قصة، قال عثمان: أما بعد فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمنت بما بعث به، وهاجرت الهجرتين كما قلته[٢] وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعته فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل، ثم أبوبكر مثله ثم عمر مثله، ثم استخلفت. أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى. قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم... الحديث.

استدلاله بسوابقه الإسلامية على منع الخروج عليه

وقد سمعه منه جمع كثير ورووه متواترا.

(٤) فقد أخرج الترمذي[٣] عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: لما حصر عثمان أشرف عليهم فوق داره ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن حراء حين انتفض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أثبت حراء، فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد!، قالوا: نعم. قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في جيش العسرة: من ينفق نفقة متقبلة والناس مجهدون معسرون؟ فجهزت ذلك الجيش، قالوا: نعم. ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رومة لم تكن يشرب منها أحد إلا بثمن، فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل؟ قالوا: اللّهم نعم، وأشياء عدها.

(٥) وأخرج النسائي[٤] عن الأحنف بن قيس، قال: خرجنا حجاجا فقدمنا المدينة ونحن نريد الحج فبينا نحن في منازلنا نضع رحالنا، إذ أتانا آت فقال: إن الناس قد اجتمعوا في المسجد وفزعوا فانطلقنا، فإذا الناس مجتمعون على نفر في وسط المسجد وإذا علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص. فإنا كذلك إذ جاء عثمان بن عفان عليه ملاءة صفراء قد قنع بها رأسه فقال: أههنا علي؟ أههنا طلحة؟ أههنا الزبير؟ أ ههنا سعد؟ قالوا: نعم. قال: فإني أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أ تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من يبتاع من يد بني فلان بير رومة غفر الله له[٥] فابتعته بكذا وكذا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: قد

---

(١) (٣٦٩٦) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عثمان.

(٢) كما قلته، الصواب: كما قلت.

(٣) راجع الصفحة الماضية.

(٤) (٣٦٣٧) كتاب الإحباس باب وقف المساجد، وأحمد ٧٠/١ وابن حبان ص ٥٤٢ وابن أبي عاصم في السنة ٥٩٣/٢.

(٥) وفي النسائي مربد بني فلان غفر الله له، فابتعته بعشرين ألفا أو بخمسة وعشرين ألفا، فأتيت

ابتعتها بكذا، قال: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أ تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر في وجوه القوم، فقال: من جهز هؤلاء غفر الله له يعني جيش العسرة فجهزهم، "حتى ما تفقدوا"[(١)] عقالا ولا خطاما؟ قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد، اللهم اشهد.

(٦) وأخرج الترمذي والنسائي[(٢)] وهذا لفظ النسائي عن ثمامة بن حزن القشيري قال: شهدت الدار حين أشرف عليه عثمان، فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة. فقال: من يشتري بير رومة فيجعل دلوه فيها مع دلاء[(٣)] المسلمين بخير له منها في الجنة؟ فاشتريتها من صلب مالي فجعلت دلوي فيها مع دلاء المسلمين. وأنتم اليوم تمنعوني من الشرب منها، حتى أشرب من ماء البحر؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فأنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فأنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟ فاشتريتها من صلب مالي فزدتها في المسجد وأنتم تمنعوني أن أصلي فيه ركعتين. قالوا: اللهم نعم. قال: فأنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه أبوبكر وعمر وأنا، فتحرك الجبل، فركضه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال: اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان؟ قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة، يعني أني شهيد.

(٧) وأخرج النسائي[(٤)] عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عثمان أشرف عليهم حين حصروه، فقال: أنشد بالله رجلا سمع[(٥)] رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الجبل حين اهتز فركله برجله وقال: اسكن فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان وأنا معه. فانتشد له

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: اجعلها في مسجدنا وأجره لك. قالوا: اللهم نعم. قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أ تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من يبتاع بئر رومة" سقطت هذه العبارة من الإزالة. وكتب "من يد بني فلان" بدل: "مربد بني فلان". ثم حذفت العبارة بعدها.

(١) في النسائي: ما يفقدوا.

(٢) راجع ص ١٥٤.

(٣) في النسائي: دلوه مع دلاء.

(٤) (٣٦٣٩) كتاب الإحباس باب وقف المساجد، وأحمد في المسند ٥٩/١ وفي فضائل الصحابة رقم ٧٥١ وابن أبي عاصم في السنة ٥٩٥/٢ وابن حبان في الموارد ص ٥٤٥.

(٥) في النسائي: شهد.

رجال. ثم قال: أنشد بالله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بيعة الرضوان يقول: هذه يد الله وهذه يد عثمان. فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد بالله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جيش العسرة يقول: من ينفق نفقة متقبلة؟ فجهزت نصف الجيش من مالي. فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد بالله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من يزيد في هذا المسجد ببيت في الجنة؟ فاشتريته من مالي. فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد بالله رجلا شهد رومة تباع، فاشتريتها من مالي فأبحتها لأبناء السبيل. فانتشد له رجال.

جوابه عن الطعن في سوابقه الإسلامية

(٨) فقد أخرج أحمد[١] عن عاصم عن شقيق قال لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد: ما لي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبدالرحمن: أبلغه أني لم أفر يوم عينين -قال عاصم يقول: يوم أحد- ولم أتخلف يوم بدر، ولم أترك سنة عمر. قال: فانطلق، فخبر ذلك عثمان، فقال: أما قوله أني لم أفر يوم عينين فكيف يعيرني بذنب قد عفا الله عنه؟ فقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾[٢] وأما قوله: أني تخلفت يوم بدر، فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى ماتت، وقد ضرب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه، ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه، فقد شهد. وأما قوله: إني لم أترك سنة عمر فإني لا أطيقها، ولا هو، فأته فحدثه بذلك.

علمه اليقيني بأنه من أهل الجنة

(٩) فقد أخرج أحمد[٣] عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: شهدت عثمان يوم حوصر في موضع الجنائز. ولو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل، فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل عليه السلام، فقال: أيها الناس، أ فيكم طلحة؟ فسكتوا. ثم قال: أيها الناس، أ فيكم طلحة؟ فسكتوا. ثم قال: أيها الناس، أ فيكم طلحة؟ فسكتوا. ثم قال: أيها الناس،

---

(١) ٦٨/١ و ٧٥، وقال الهيثمي في المجمع ٨٤/٩: رواه أحمد وأبويعلى والطبراني باختصار والبزار بطوله بنحوه، وفيه عاصم بن بهدلة وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٥.

(٣) بل عبد الله في زوائد المسند ٧٤/١ وقال الهيثمي في المجمع ٩١/٩ و ٢٢٨/٧: رواه عبد الله وأبويعلى في الكبير والبزار. وفي إسناد عبد الله والبزار: أبوعبادة الزرقي وهو متروك الحديث وأسقطه أبويعلى من المسند والله أعلم. ورواه الحاكم ٩٧/٣ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي وقال: قاسم هذا لا يصح حديثه. وقال أبوحاتم: مجهول، وقلت: بل فيه أبوعبادة عيسى بن عبدالرحمن الزرقي أيضا وهو متروك كما في التقريب ص ٤٠٩. ورواه ابن أبي عاصم في السنة ٥٨٩/٢.

أ فيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عبيد الله، فقال له عثمان: ألا أراك ههنا؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة قوم تسمع ندائي آخر ثلاث مرات ثم لا تجيـــبني. أنشدك بالله، يا طلحة، تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع كذا وكذا وليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك؟ قال: نعم. فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا طلحة إنه ليس من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق من أمته معه في الجنة، وإن عثمان بن عفان هذا - يعنيني - رفيقي معي في الجنة. قال: اللهم نعم. ثم انصرف.

علمه اليقيني بأن البلوى ستصيبه

(١٠) فقد أخرج الترمذي والحاكم[١] عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن أبي سهلة مولى عثمان قال: قال لي عثمان يوم الدار: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلي عهدا، وأنا صابر عليه.

(١١) وأخرج الـــحاكم والترمذي[٢] عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا عثمان، إنه لعل الله يقمصك قميصا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم.

(١٢) وصح من حديث أبي موسى قوله صلى الله عليه وسلم: بشره بالجنة على بلوى تصيبه[٣].

---

(١) الترمذي (٣٧١١) أبواب المناقب باب حديث تبشيره صلى الله عليه وسلم عثمان بالجنة على بلوى تصيبه، وقال: حسن صحيح. لكن قال المباركفوري: في سنده سفيان بن وكيع وهو متكلم فيه. لكن قد تابعه محمد بن عبد الله بن نمير وعلي بن محمد عند ابن ماجه رقم ١١٣، وأحمد ٥٨/١ و ٦٩ والحاكم ٩٩/٣. وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. والبزار كما في البحر الزخار رقم ٤٠٢ ، وابن أبي شيــبة ٢٠٢/١٥ والحميدي ١٣٠/١، وهو عندهم عن أبي سهلة عن عائشة، ومن حديث النعمان عن عروة عن عائشة.

(٢) الحاكم ٩٩/٣، ١٠٠ وقال: صحيح، لكن تعقبه الذهبي وقال: أنى له الصحة ومداره على فرج بن فضالة. والترمذي (٣٧٠٥) أبواب المناقب باب منع النبي صلى الله عليه وسلم عثمان أن لا يخلع القميص الذي يقمصه إياه، بإسناد آخر وقال: حسن غريب. وابن ماجه (١١٢) كتاب السنة فضل عثمان رضي الله عنه، أيضا من طريقه. وابن حبان كما في الإحسان (٦٨٧٦). وانظر صحيح الموارد للألباني (١٨٤٢) وأحمد ٧٥/٦. وفي فضائل الصحابة: ٨١٦، وابن أبي شيبة ٤٨/١٢، ٤٩، ١٥/ ٢٠١.

(٣) البخاري (٣٦٩٣) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر رضي الله عنه، ومسلم (٦٢١٢) كتاب فضائل الصحابة باب من مناقب عثمان.

علمه اليقيني بأنه على الحق

(١٣) فقد أخرج الترمذي[١] من حديث مرة بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الفتن فقربها. فمر رجل مقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى. فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان. فأقبلت عليه بوجهه، فقلت: هذا؟ قال: نعم.

(١٤) وأخرج الترمذي[٢] عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال: يقتل هذا فيها مظلوما -لعثمان-.

(١٥) وأخرج الحاكم[٣] عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنها ستكون فتنة واختلاف أو اختلاف وفتنة. قال: قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالأمير وأصحابه، وأشار إلى عثمان.

(١٦) وأخرج أحمد[٤] عن كثير بن الصلت قال: أغفى عثمان في اليوم الذي قتل فيه فاستيقظ، فقال: لو لا أن يقول الناس تمنى عثمان الفتنة لحدثتكم. قال، قلنا: أصلحك الله، فحدثنا، فلسنا نقول ما يقول الناس. فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي هذا. فقال: إنك شاهد معنا الجمعة.

(١٧) وأخرج أحمد[٥] عن نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان، قالت: نعس أمير المؤمنين عثمان، فأغفى فاستيقظ فقال: ليقتلني القوم. قلت: كلا إن شاء الله لم يبلغ ذلك. إن رعيتك استعتبوك. قال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي وأبابكر وعمر، فقال: تفطر عندنا الليلة.

---

(١) (٣٧٠٤) أبواب المناقب باب في عد عثمان تسميته شهيدا الخ، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأحمد ٢٣٥/٤.. وابن أبي شيبة ٤١/١٢ والآجري في الشريعة رقم ١٤١٧، والقطيعي في فضائل الصحابة ٨٢٨، وله شاهد من حديث كعب بن عجرة.

(٢) (٣٧٠٨) أبواب المناقب باب قولهم: كنا نقول: أبوبكر وعمر وعثمان. وقال: حسن غريب من هذا الوجه. وأحمد ١١٥/٢. وفي الفضائل رقم ٧٢٤، وإسناده صحيح.

(٣) ٩٩/٣ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وأحمد ٣٤٥/٢ وفي الفضائل رقم ٧٢٣، وقال ابن كثير في البداية ٧١٠/٧: إسناده جيد حسن.

(٤) لم أجده في مسند عثمان في مسند الإمام أحمد. رواه أبويعلى في الكبير. فيه أبوعلقمة مولى عبدالرحمن بن عوف و لم أعرفه. وبقية رجاله ثقات كما في المجمع ٢٣٢/٧ نحوه.

(٥) بل عبد الله في زوائد المسند ٧٣/١. وقال الهيثمي في المجمع ٢٣٢/٧: فيه من لم أعرفهم. وابن سعد ٧٥/٣ وله إسناد آخر عند ابن أبي عاصم في السنة: ١٣٠٣، ورجاله ثقات وهو أطول وأتم من هذا، وله طرق عن عثمان. راجع المستدرك ١٠٣/٣ وابن سعد ٧٤/٣ والشريعة ص ١٤٣١.

٤- من مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه

شروط الخلافة ومهامها

(١) فقد أخرج أحمد[١] عن عبد الملك بن عمير عن عمارة بن روية عن علي ابن أبي طالب قال: سمعت أذناي ووعاه قلبي من رسول الله صلى الله عليه وسلم: الناس تبع لقريش صالحهم تبع لصالحهم وشرارهم تبع لشرارهم.

(٢) وأخرج أبويعلى[٢] عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس ذات يوم فقال: ألا إن الأمراء من قريش، ألا إن الأمراء من قريش، ألا إن الأمراء من قريش ما أقاموا بثلاث، ما حكموا فعدلوا وما عاهدوا فوفوا وما استرحموا فرحموا. فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

رواياته في أفضلية الشيخين بالتواترمرفوعا وموقوفا

وهذا هو مذهب جميع أهل الحق، ولم يرو عن أحد من الصحابة بصورة أصرح وأحكم كما روي عن علي المرتضى رضي الله عنه.

أما مرفوعه فالحديث: أبوبكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة، روي بطرق متعددة عنه.

(٣) فمن طريق الشعبي عن الحارث عن علي أخرج الترمذي وابن ماجة[٣] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أبوبكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، ما خلا النبيين والمرسلين. لا تخبرهما يا علي.

(٤) وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند[٤] عن الحسن بن زيد بن الحسن قال حدثني أبي عن أبيه عن علي، قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل أبوبكر وعمر فقال: يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة، وشبابها بعد النبيين والمرسلين.

(٥) وأخرج الترمذي[٥] عن الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع أبوبكر وعمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين. يا علي، لا تخبرهما.

---

(١) بل عبد الله في زوائد المسند ١٠١/١ والبزار وفيه محمد بن جابر اليمامي وهو ضعيف عند الجمهور. وقد وثق كما في المجمع ١٩١/٥. وله شاهد صحيح من حديث أبي هريرة راجع الصحيحة ١٠٠٧.

(٢) برقم ٥٦٠ وقال في المجمع ١٩١/٥: فيه من لم أعرفهم.

(٣) راجع ص ٦٠.

(٤) ٨٠/١ وإسناده حسن.

(٥) راجع ص ٦٠.

وقد وافقه غيره من الصحابة:

(٦) فقد أخرج الترمذي[١] عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، لا تخبرهما يا علي.

(٧) وأخرج ابن ماجه[٢] عن أبي جحيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبوبكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين.

ومن موقوفه: خير هذه الأمة أبوبكر ثم عمر، رواه عنه جمع كثير

(٨) فمن رواية ابنه محمد بن الحنفية عنه أخرج البخاري وأبوداود[٣] من طريق سفيان الثوري عن جامع بن راشد، قال: حدثنا أبويعلى عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبوبكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. فخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

(٩) وأخرج ابن ماجه[٤] عن عبد الله بن سلمة قال: سمعت عليا يقول: خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر، وخير الناس بعد أبي بكر عمر.

(١٠) ومن رواية علقمة بن قيس، أخرجه أحمد[٥].

(١١) ومن رواية عبد الخير[٦] صاحب لواء علي عنه، وفي طرقها العدد، فقد روى عنه حبيب بن أبي ثابت عن عبد خير قال سمعت عليا يقول على المنبر: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟ قال: فذكر أبابكر. ثم قال: ألا أخبركم بالثاني؟ قال: فذكر عمر. ثم قال: لو شئت لأنبأتكم بالثالث. قال: وسكت. فرأينا أنه يعني نفسه. قال سعيد: فقلت: أنت سمعت عليا يقول هذا؟ قال: نعم ورب الكعبة، وإلا صمّتا. [٧]

---

(١) (٣٦٦٤) أبواب المناقب باب "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر" وحسنه. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨٢٤).

(٢) (١٠٠) كتاب السنة فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وابن حبان كما في الموارد رقم ٢١٩٢، والدولابي في الكنى ١/١٢٠. وفي إسناده صالح جزرة ضعيف. وذكره ابن حبان في الثقات. وقد روي عن جابر وأبي سعيد الخدري أيضا. راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨٢٤).

(٣) البخاري (٣٦٧١) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب بعد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذا خليلا"، وأبوداود (٤٦٢٩) كتاب السنة باب في التفضيل.

(٤) (١٠٦) كتاب السنة في فضل عمر رضي الله عنه، وابن أبي عاصم في السنة ٥٧١/٢ وأبونعيم في الحلية ٢٠٠/٧ وابن أبي شيبة ١٩/١٢. ورجاله ثقات.

(٥) بل عبد الله ١٢٧/١.

(٦) راجع ص ٧١.

(٧) حلف بأنه سمعه من علي ودعا على نفسه بأن يصمت الله أذنيه [م].

(١٢) وروى عطاء بن السائب[١] عن عبد خير عن علي قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر، وخيرها بعد أبي بكر عمر، ثم يجعل الله الخير حيث أحب.

(١٣) وروي عن المسيب بن عبد خير[٢] عن أبيه قال قام علي فقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر وعمر. وإنا قد أحدثنا بعدهم أحداثا، يقضي الله فيها ما يشاء.

(١٤) وعن أبي إسحاق[٣] عن عبد خير عن علي: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر وعمر.

(١٥) ومن رواية أبي جحيفة عنه وفي طرقها العدد، عن عاصم بن أبي النجود عن زر يعني ابن حبيش عن أبي جحيفة قال: سمعت عليا يقول: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر، ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر عمر[٤].

(١٦) وعن الشعبي قال حدثني أبوجحيفة، الذي كان علي يسميه وهب الخير، قال علي: يا أبا جحيفة ألا أخبرك بأفضل هذه الأمة بعد نبيها؟ قال: قلت: بلى، قال: ولم أكن أرى أن أحدا لأفضل منه، قال: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر، وبعد أبي بكر عمر، وبعدهما آخر ثالث، ولم يسمه[٥].

(١٧) وعن أبي اسحق عن أبي جحيفة قال: قال علي: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر وبعد أبي بكر عمر، ولو شئت أخبرتكم بالثالث[٦].

(١٨) وعن عون بن أبي جحيفة قال: كان أبي من شُرَط علي، وكان تحت المنبر، فحدثني أبي أنه صعد المنبر -يعني عليا- فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر، والثاني عمر، وقال: يجعل الله الخير حيث

---

(١) رواه أحمد ١/١١٤ وأبونعيم في الحلية ٧/٢٠١.

(٢) رواه أحمد ١/١١٥.

(٣) أخرجه أحمد ١/١١٥ وابنه عبد الله ١/١٢٨ وفي الفضائل: ٤٣، ورجاله ثقات، وأبونعيم في الحلية ٧/٢٠٠ قلت: وقد رواه خالد بن علقمة وعبد الملك بن سلع عن عبد خير عن علي أيضا كما في المسند ١/١٢٥، وابن أبي عاصم.

(٤) عبد الله ١/١٠٦. والفضائل: ٣٩٩، ٤٠٠.

(٥) أحمد ١/١٠٦، ١٢٠. والفضائل: ٢٦٠. الرجل الثالث الذي لم يذكره علي رضي الله عنه اسمه ليس إلا عثمان رضي الله عنه، كما توضح الروايات التي سيأتي ذكرها عن سيدنا الحسن رضي الله عنه الذي قال: والله لو سمى الثالث لسمى عثمان. ولعل السبب في أن عليا لم يذكر اسم عثمان يرجع إلى أن عدداً كبيراً من أهل الفتنة -ممن شاركوا في قتل عثمان- كانوا في جيشه. فذكر مناقب عثمان يجعلهم يثيرون الفتن من جديد. [م].

(٦) عبدالله ١/١٠٦ والفضائل ٤٠٨، وابن أبي عاصم في السنة ٢/٥٧٠ وابن أبي شيبة ١٢/١٤، وأبونعيم في الحلية ٧/١٩٩ وأحمد ١/١٢٧.

أحب[١].

(١٩) وعن سفيان الثوري عن الأسود بن قيس عن رجل عن علي أنه قال يوم الجمل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا عهدا نأخذ به في إمارة. ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا، ثم استخلف أبوبكر، رحمة الله على أبي بكر، فأقام واستقام، ثم استخلف عمر، رحمة الله على عمر، فأقام واستقام، حتى ضرب الدين بجرانه[٢].

أخرج هذه الروايات كلها أحمد.

(٢٠) ومن رواية مسعر بن كدام عن عبد الملك بن ميسرة عن النـزال بن سبرة عن علي، قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر وعمر. أخرجه أبوعمر في الاستيعاب[٣].

ومن موقوفه أيضا: سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى أبوبكر و ثلث عمر:

(٢١) أخرج الحاكم[٤] عن قيس المحاربي، قال سمعت عليا يقول: سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى أبوبكر وثلث عمر، ثم خبطتنا فتنة. ويعفو الله عمن يشاء.

(٢٢) وعن الشعبي عن أبي وائل قال: قيل لعلي بن أبي طالب: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف. ولكن إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدي على خيرهم[٥].

(٢٣) ومن موقوفه المشتمل على المرفوع، ما أخرجه البخاري[٦] وغيره عن ابن أبي مليكة أنه سمع ابن عباس يقول: وضع عمر رضي الله عنه على سريره، فتكنفه الناس يدعون

---

(١) أحمد ١/١٠٦، ١١٠ والفضائل: ٤١٣، وأبو يعلى وأبونعيم في الحلية ٧/١٩٩ وقد رواه أحمد ١/١٢٧ عن حصين بن عبد الرحمن عن أبي جحيفة وفي الفضائل من طرق عن أبي جحيفة: ٤٤، ٤٠٦، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٢.

(٢) أحمد ١/١١٤. رجاله ثقات غير الرجل الذي لم يسم. والهيثمي في المجمع ٥/١٧٥ وابن أبي عاصم في السنة ٢/٥٧٥ من طريق آخر عن الأسود بن قيس عن سعيد بن عمرو عن أبيه عن علي. فالإسناد حسن.

(٣) ١/٣٣٣ وقال: روى محمد بن الحنفية وعبد خير وأبوجحيفة وغيرهم عن علي رضي الله عنه مثله.

(٤) ٣/٦٧، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي (المحاربي صوابه الخارفي). وأحمد ١/١١٢، والفضائل ص ٢٤١، وابن أبي عاصم في السنة ٢/٥٧٣ والبخاري في تاريخه ٤ ق١/١٧٢ والخطيب ٤/٣٥٧.

(٥) الحاكم ١/٧٩ وابن أبي عاصم في السنة ٢/٥١، ٥٧٥ والبزار كما في المجمع ٩/٤٧. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن أبي الحارث وهو ثقة. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. لكن في إسناده شعيب بن ميمون وهو ضعيف كما في التقريب ص ٢٢٥. وقد صرح الحافظ أن هذا من مناكير شعيب. راجع التهذيب ٤/٣٥٧ وأشار إلى هذا البخاري في التاريخ الكبير ٢ ق٢/٢٢٢ وذكره ابن عدي أيضا ٤/١٣١٨ والذهبي في الميزان ٢/٢٧٨. راجع تعليق الألباني على كتاب السنة. وراجع ص ٦٨.

(٦) (٣٦٧٧) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب بعد باب قوله: "لو كنت متخذا خليلا" الخ، ومسلم (٦١٨٧) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عمر رضي الله عنه.

ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي، فإذا علي رضي الله عنه، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك. وحسبت أني كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ذهبت أنا وأبوبكر وعمر، ودخلت أنا وأبوبكر وعمر، وخرجت أنا وأبوبكر وعمر[١].

(٢٤) وأخرج أحمد[٢] عن نافع عن ابن عمر قال: وضع عمر بن الخطاب بين المنبر والقبر، فجاء علي بن أبي طالب حتى قام بين يدي الصفوف، فقال: هو هذا، ثلاث مرات. ثم قال: رحمة الله عليك، ما من خلق الله أحد أحب إلي من أن ألقاه بصحيفته بعد صحيفة النبي صلى الله عليه وسلم من هذا المسجى عليه ثوبه.

(٢٥) وأخرج أحمد[٣] عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه، قال: كنت عند عمر وهو مسجى ثوبه، قد قضى نـــحبه. فجاء علي فكشف الثوب عن وجهـــه، ثم قال: رحمة الله عليك أبا حفص، فوالله ما بقي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته منك.

(٢٦) وأخرج الحاكم[٤] عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله: أن عليا دخل على عمر وهو مسجى، فقال: صلى الله عليك. ثم قال: ما من الناس أحد أحب إلي أن ألقى الله بما في صحيفته من هذا المسجى.

(٢٧) وأخرج محمد في كتاب الآثار[٥] عن أبي حنيفة عن محمد بن علي مرسلا نحوا من ذلك.

---

(١) وحتى كتب الشيعة لم تخل من مثل هذا المدح لعمر رضي الله عنه على لسان المرتضى، فقد ورد في نهج البلاغة ٢/٢٥٣، ط/مصر: "... وولاّهم وال فأقام. واستقام حتى ضرب الدين بجرانه"، قال ملاّ فتح الله كاشاني في شرح هذه العبارة بأن الوالي كان عمر بن الخطاب، وضرب الدين بجرانه؛ كناية عن الاستقرار والتمكين. [م].

(٢) بل عبدالله في زوائد المسند ١/١٠٩ وزوائد الفضائل ٤٧٦ أيضاً، وفي إسناده أبومعشر نجيح ضعيف.

(٣) بل عبد الله في زوائد المسند ١/١٠٩ وزوائد الفضائل ٣٤٨، وفي إسناده سويد بن سعيد صدوق في نفسه إلا أنه عمي فصار يلقن ما ليس من حديثه كما في التقريب ص ٢١٦ لكن تابعه سعيد بن منصور عند ابن سعد ٣/٣٧٠.

(٤) ٣/٩٤ وسكت عنه والذهبي. وابن أبي شيبة ١٢/٣٨ وابن سعد ٣/٣٦٩ وعبدالله في زوائد الفضائل ٣٤٥، ٣٤٦، ورجاله ثقات لكنه منقطع.

(٥) ص ١٩١، وابن سعد ٣/٣٧١ من طرق عن علي نحوه.

تصريحه بأن من فضله على الشيخين مبتدع ويعزر

(٢٨) فقد أخرج أبوعمر في الإستيعاب[١] عن الحكم بن حجل قال: قال علي: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري.

(٢٩) قال أبوالقاسم الطلحي في كتاب السنة[٢] له أخبرنا أبوبكر بن مردويه قال حدثنا سليمان بن أحمد ثنا الحسن بن منصور الرماني ثنا داود بن معاذ ثنا أبوسلمة العتكي عبد الله بن عبد الرحمن عن سعيد بن أبي عروبة عن منصور بن المعتمر عن إبراهيم عن علقمة قال: بلغ عليا أن أقواما يفضلونه على أبي بكر وعمر، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه بلغني أن قوما يفضلوني على أبي بكر وعمر. ولو كنت تقدمت فيه لعاقبت فيه: فمن سمعته بعد هذا اليوم يقول هذا فهو مفتر، عليه حد المفتري. ثم قال: إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر، ثم عمر ثم الله أعلم بالخير بعد. قال: وفي المجلس الحسن بن علي، فقال: والله لو سمى الثالث لسمى عثمان.

(٣٠) وأخرج أبوالقاسم[٣] عن عبد خير صاحب لواء علي أن عليا قال: ألا أخبركم بأول من يدخل الجنة من هذه الأمة بعد نبيها؟ فقيل له: بلى يا أمير المؤمنين. قال: أبوبكر ثم عمر. قيل: فيدخلانها قبلك يا أمير المؤمنين؟ فقال علي: أي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليدخلانها، وإني لمع معاوية موقوف في الحساب.

بشارة الشيخين بالجنة

(٣١) أخرج البخاري[٤] من حديث الحسن بن محمد بن علي أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع كاتب علي عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قصة حاطب بن أبي بلتعة: إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم.

كون الشيخين من السابقين المقربين

(٣٢) أخرج الترمذي[٥] عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل نبي سبعة نجباء ورقباء وأعطيت أربعة عشر، قلنا: من هم؟ قال: أنا وابناي وجعفر وحمزة

---

(١) ٣٣٣/١ وابن أبي عاصم في السنة ٥٧٥/٢ وعبد الله في زوائد المسند ص ٤٩، ٣٨٧، وفي إسناده أبوعبيدة أمية بن الحكم بن حجل لا يعرف، قاله الذهبي في الميزان ١/ ٢٧٥. والصواب: جحل.

(٢) ابن أبي عاصم في السنة من طريق أبي معشر عن إبراهيم عن علقمة به. وحسنه الألباني.

(٣) الدولابي في الكنى ١/ ١٢٠ والعقيلي في ترجمة اصبغ، وابن الجوزي في العلل المتناهية ١٩٦/١ وقال الحافظ في اللسان ١/ ٤٦٠: هذا أولى بكتاب الموضوعات.

(٤) راجع ص ٥٦.

(٥) راجع ص ٦١.

وأبوبكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وعبد الله بن مسعود وأبوذر والمقداد.

استدلاله على خلافة الشيخين بترشيحه صلى الله عليه وسلم إياهما

(٣٣) فقد أخرج الحاكم[١] عن أبي اسحق عن زيد بن يسمع عن علي قال: قيل: يا رسول الله من نؤمّر بعدك؟ قال: إن تؤمّروا أبابكر تجدوه هاديا أمينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة، وإن تؤمّروا عمر تجدوه قويا أمينا لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا عليا، ولا أراكم فاعلين، تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم.

استدلاله على خلافة الشيخين بطريق التعريض الجلي

(٣٤) فقد أخرج الترمذي[٢] من حديث أبي حبان التيمي عن أبيه عن علي، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله أبابكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة، وأعتق بلالا من ماله. رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرّا، تركه الحق وماله صديق. رحم الله عثمان تستحييه الملائكة. رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار.

استدلاله على خلافة أبي بكر الصديق بتفويض إمامة الصلاة إليه

(٣٥) فقد أخرج أبوعمر في الاستيعاب[٣] عن الحسن البصري عن قيس بن عباد قال: قال لي علي بن أبي طالب: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض ليالي وأياما، ينادى بالصلاة فيقول: مروا أبابكر يصلي بالناس. فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرت فإذا الصلاة علم الإسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، فبايعنا أبابكر.

ثناؤه على أبي بكر الصديق بعد موته

(٣٦) فذكر أبوعمر[٤] في ترجمة أسيد بن صفوان أنه أدرك رسول الله ﷺ، وروى عن علي حديثا حسنا في ثنائه على أبي بكر يوم مات. رواه عمر بن إبراهيم بن خالد عن عبد الملك بن عمير عن أسيد بن صفوان، وكان قد أدرك النبي ﷺ قال: لما قبض أبوبكر رحمه الله وسُجي

---

(١) راجع ص ٦٣.

(٢) (٣٧١٤) أبواب المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن أبي عاصم في السنة ٥٧٧/٢ وابن حبان في المجروحين ٣١٤/٢ والعقيلي في الضعفاء ٢١٠/٤ وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢٥٣/١ وقال: هذا الحديث يعرف بمختار. قال البخاري: هو منكر الحديث. وقال ابن حبان: كان يأتي بالمناكير عن المشاهير حتى يسبق إلى القلب. إنه كان المتعمد لذلك.

(٣) ٣٣٣/١. والآجري في الشريعة/١١٩٤ وفي إسناده أبوبكر الهذلي وهو متروك. ونسبه المتقي في الكنز ٣٢٨/١١ لإسحاق بن راهويه، وصححه. ونسبه السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٧٧ لابن عساكر.

(٤) الاستيعاب ٨/١ وحسنه. وروى ابن جرير طرفه الخاص بتفسير ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ ٣/٢٤ والماوردي في معرفة الصحابة وابن عساكر كما في الدر المنثور ٢٣٨/٥.

بثوب، ارتجت المدينة بالبكاء ودهش القوم كيوم قبض رسول الله ﷺ. فأقبل علي بن أبي طالب مسرعا باكيا مسترجعا حتى وقف على باب البيت فقال: رحمك الله يا أبابكر، وذكر الحديث بطوله. ثم وجدت هذا الحديث في الرياض النضرة.[١] وهذا لفظه عن أسيد بن صفوان، وكان قد أدرك النبي ﷺ. قال: لما قبض أبوبكر سجي عليه وارتجت المدينة بالبكاء عليه، كيوم قبض رسول الله ﷺ. فجاء علي مسترجعا وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبوبكر وهو مسجى. فقال: يرحمك الله يا أبابكر، كنت إلف رسول الله ﷺ وأنسه ومسترجعه وثقته وموضع سره ومشاورته. كنت أول القوم إسلاما، وأخلصهم إيمانا، وأشدهم يقينا وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأيمنهم على أصحابه، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديا وسمتا ورحمة وفضلا، وأشرفهم منــزلة وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده. فجزاك الله عن الإسلام خيرا وعن[٢] رسوله خيرا. كنت عنده بمنــزلة السمع والبصر. صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس. فسماك الله عز وجل في تنــزيله صديقا، فقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[٣] الذي جاء بالصدق محمد ﷺ، وصدق به أبوبكر. وآسيته حين بخلوا، وقمت به عند المكاره حين عنه قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحابة. ثاني اثنين وصاحبه في الغار المنــزل عليه السكينة والوقار. ورفيقه في الهجرة وخليفته في دين الله وأمته. أحسنت الخلافة حين ارتد الناس. وقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي. فنهضت حين وهن أصحابك وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا. ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ هموا. وكنت خليفة حقا لم تنازع ولم تصدع برغم المنافقين، وكبت الكافرين، وكره الحاسدين، وغيظ الباغين. وقمت بالأمر حين فشلوا، وثبت إذ تتعتعوا. ومضيت بنور الله إذ وقفوا. فاتبعوك، فهدوا.

وكنت أخفضهم صوتا وأعلاهم فوقا، وأمثلهم كلاما وأصوبهم منطقا وأطولهم صمتا وأبلغهم قولا، وأشجعهم نفسا وأعرفهم بالأمور وأشرفهم عملا، كنت والله للدين يعسوبا أولا حين نفر عنه الناس، وآخرا حين أقبلوا. كنت للمؤمنين أبا رحيما حتى صاروا عليك عيالا، فحملت أثقال ما ضعفوا ورعيت ما أهملوا، وحفظت ما أضاعوا وعلمت ما جهلوا. وشــمرت إذ خفضوا وصبرت إذ جزعوا. فأدركت أوتار ما طلبوا وراجعوا رشدهم برأيك فظفروا، ونالوا

---

(١) ٢٣٩/١.
(٢) في الرياض: الإسلام وعن.
(٣) سورة الزمر: ٣٣.

بك ما لم يحتسبوا. كنت على الكافرين عذابا صبا ولهبا وللمؤمنين رحمة وأنسا وحصنا.

فطرت والله بعبابها[١] وفزت بحبابها وذهبت بفضائلها، وأدركت سوابقها، ولم تغلل[٢] حجتك ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك ولم يرع قلبك ولم تحر. كنت كالجبل الذي لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف. وكنت كما قال رسول الله ﷺ: أمنّ الناس علينا في صحبتك وذات يدك. وكنت، كما قال: ضعيفا في بدنك قويا في أمر الله، متواضعا في نفسك، عظيما عند الله، جليلا في أعين الناس،كبيرا في أنفسهم. لم يكن لأحد فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لأحد فيك مطمع، ولا بمخلوق عندك هوادة.

الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه، والقوي عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق. القريب والبعيد عندك في ذلك سواء. أقرب الناس إليك أطوعهم لله وأتقاهم له. شأنك الحق والصدق والرفق. قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم. فأقلعت وقد نهج السبيل وسهل العسير وأطفئت النيران. اعتدل بك الدين، وقوي بك الإيمان، وثبت الإسلام والمسلمون، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون. فسبقت والله سبقا بعيدا. وأتعبت من بعدك إتعابا شديدا. وفزت بالخير فوزا مبينا. فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء، وهدت مصيبتك الأنام. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

رضينا عن الله قضاءه، وسلمنا له أمره. فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبدا. كنت للدين عزا وحرزا وكهفا، وللمؤمنين فئة وحصنا وغيثا، وعلى المنافقين غلظة وغيظا. فألحقك الله نبيك ﷺ، ولا حرمنا أجرك ولا أضلنا بعدك. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال وسكت الناس حتى انقضى كلامه. ثم بكوا حتى علت أصواتهم. وقالوا: صدقت يا ختن رسول الله ﷺ.

تبرئة علي نفسه من قتل عثمان وشهادته على فضله

(٣٧) فقد أخرج الحاكم[٣] من طريقين من حديث هارون بن إسماعيل الحزاز عن قرة بن خالد عن قيس بن عباد قال سمعت عليا رضي الله عنه يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان[٤]. ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي، وجاءوني للبيعة[١] فقلت: والله إني

---

(١) في الرياض: بغنائها.

(٢) في الرياض: لم تقلل.

(٣) ٩٥/٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين. وافقه الذهبي. وقد روى طرفه الأول أحمد في الفضائل: ٧٢٧، وابن سعد ٨٢/٣ والبغوي كما في البداية والنهاية ١٩٣/٧ بإسناد حسن عن ابن أبي ليلى عن علي، وله إسناد آخر عند ابن سعد، والحاكم ١٠٣/٣ والدولابي في الكنى ١٢٠/١.

(٤) مثل هذه الروايات وردت في كتب الشيعة كذلك، ففي نهج البلاغة ٧/٢ في رسالة علي لمعاوية:

لأستحيي من الله أن أبايع قوما قتلوا رجلا قال له رسول الله ﷺ: ألا نستحيي ممن يستحيي منه الملائكة. وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيل الأرض لم يدفن بعد. فانصرفوا. فلما دفن، رجع الناس، فسألوني البيعة. فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه. ثم جاءت عزيمة فبايعت. فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين. فكأنما صدع قلبي. وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى يرضى.[٢]

(٣٨) وأخرج الحاكم[٣] عن الأوزاعي سمعت ميمون بن مهران يذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما يسرني أن أخذت سيفي في قتل عثمان، وإن لي الدنيا وما فيها.

(٣٩) وأخرج الحاكم[٤] من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن حصين الحارثي قال جاء علي بن أبي طالب إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه يعوده وعنده قوم. فقال علي: اسكتوا، اسكتوا، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم. فقال زيد: أنشدك الله أنت قتلت عثمان؟ فأطرق علي ساعة، ثم قال: والذي فلق الحبة، وبرء النسمة، ما قتلته، ولا أمرت بقتله.

شهادته لعثمان بأنه من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟﴾[٥] الآية، وأنه من أهل الجنة ممن قال الله تعالى فيهم ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[٦] الآية.

(٤٠) فقد أخرج الحاكم[٧] من حديث الحاطبي عبد الرحمن بن محمد عن أبيه عن جده قال: لما كان يوم الجمل خرجت أنظر في القتلى. قال: فقام علي والحسن بن علي وعمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وزيد بن صوحان يدورون في القتلى. قال فأبصر الحسن بن علي قتيلا

"ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان ولتعلمن أني كنت في عزلة منه". [م]

(١) في الحاكم: وأرادوني على البيعة.

(٢) في الحاكم: ترضى.

(٣) ١٠٥/٣ ورجاله ثقات، إلا أن الوليد بن مسلم مدلس وقد عنعنه.

(٤) ١٠٦/٣ وفي إسناده حصين الحارثي قال الحافظ في التقريب: مقبول. وقال أحمد: ليس يعرف، أحاديثه مناكير، التهذيب ٣٨٣/٢.

(٥) سورة المائدة: ٩٣.

(٦) سورة الحجر: ٤٧.

(٧) ١٠٣/٣ وفي إسناده بشار بن موسى ضعيف كثير الغلط كما في التقريب ص ٦٠، وقال الذهبي في التلخيص: واه.

مكبوبا على وجهه، فقلبه على قفاه ثم صرخ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. فرخ قريش، والله. فقال له أبوه: من هو يا بني؟ قال: محمد بن طلحة بن عبيدالله. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون أما والله لقد كان شابا صالحا. ثم قعد كئيبا حزينا. فقال الحسن: يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا السير، فغلبك على رأيك فلان وفلان. قال: قد كان ذلك يا بني. ولوددت لو أني مت قبل هذا بعشرين سنة. قال محمد بن حاطب: فقمت فقلت: يا أمير المؤمنين إنا قادمون المدينة والناس سائلونا عن عثمان فماذا نقول فيه؟ قال فاغتم عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر، فقالا وقالا. فقال لهما علي: يا عمار ويا محمد، تقولان إن عثمان استأثر، وأساء الإمرة، وعاقبتم والله فأسأتم العقوبة وستقدمون على حكم عدل يحكم بينكم. ثم قال: يا محمد بن حاطب إذا قدمت المدينة، وسئلت عن عثمان فقلت: كان والله من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟﴾ [١]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [٢].

(٤١) وأخرج الحاكم[٣] من حديث هارون بن عنـزة عن أبيه قال رأيت عليا ﷺ بالخورنق، وهو على سرير، وعنده إبان بن عثمان، فقال: إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله عز وجل ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [٤].

٥- من مسند أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما

الاستدلال على خلافة الخلفاء بوقوعها في مرتبة سماها النبي ﷺ خلافة ورحمة

(١) فقد أخرج أبويعلى[٥] من حديث الليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ قال: كان أبوعبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ﷺ يتناجيان بحديث، فقلت لهما: ما حفظتما وصية رسول الله ﷺ لي؟ قال: وكان أوصاهما لي. قالا: ما أردنا أن ننتجي بشيء دونك. إنما ذكرنا حديثا حدثنا رسول الله ﷺ. فجعلا يتذاكرانه قال: إنه بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم كائن خلافة ورحمة، ثم كائن ملكا عضوضا. ثم كائن عتوا وجبرية وفسادا في الأمة، يستحلون الحرير والخمور والفروج والفساد في الأمة ينصرون على ذلك ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله.

---

(١) سورة المائدة: ٩٣.
(٢) سورة إبراهيم: ١١.
(٣) ١٠٥/٣ وإسناده وسط وقد روي هذا عن علي من طرق، راجع الدرالمنثور ١٠١/٤.
(٤) سورة الحجر: ٤٧.
(٥) راجع ص ٩٥، ٢٢٤.

استدلال أبي عبيدة على خلافة أبي بكر بسوابقه الإسلامية

(٢) فقد أخرج أبوبكر بن أبي شيبة[١] عن ابن عون عن محمد يعني ابن سيرين في حديث طويل قال محمد: وأتى الناس عند بيعة أبي بكر أبا عبيدة بن الجراح فقال: تأتوني وفيكم ثالث ثلاثة! يعني أبابكر. فقلت لمحمد: من الثالث ثلاثة؟ قال: فـوالله ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾[٢].

٦- ومن مسند **عبد الرحمن بن عوف** رضي الله عنه

بشارة العشرة بالجنة

(١) فقد أخرج أبويعلى[٣] من حديث قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن عبدالعزيز[٤] بن محمد عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: عشرة في الجنة، أبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو في الجنة، وأبوعبيدة بن الجراح في الجنة.

رأيه في خلافة أبي بكر ﷺ

(٢) فقد أخرج الحاكم[٥] عن موسى بن عقبة عن سعد بن إبراهيم قال حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر بن الخطاب ﷺ. وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير، ثـم قام أبوبكر فخطب الناس، واعتذر إليهم، وقال: والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغبا. ولا سألتها الله عز وجل في سر وعلانية. ولكني أشفقت من الفتنة. ومالي في الإمارة من راحة. ولكن أقللت أمرا عظيما مالي به من طاقة ولا يدان، إلا بتقوية الله عز وجل. ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم. فقبل المهاجرون منه ما قال... الحديث.

---

(١) راجع ص ٧٠.

(٢) سورة التوبة: ٤٠.

(٣) رقم ٨٣١، والترمذي (٣٧٤٧) أبواب المناقب باب مناقب عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، وأحمد ١٩٣/١ والفضائل ٢٧٨، وابن حبان ٧٠٠٢، والبغوي ٣٩٢٥، ٣٩٢٦، أيضا. ورجاله ثقات لكن قال الترمذي: قد روي هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبي صلي الله عليه وسلم نحو هذا برقم (٣٧٤٨). وهذا أصح من الحديث الأول وهو قول البخاري أيضا. ورجاله ثقات.

(٤) في المطبوعة: قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن عبد العزيز، وهو خطأ.

(٥) ٦٦/٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

رأيه في خلافة عثمان رضي الله عنه

(٣) فقد أخرج البخاري[١] في قصة مقتل عمر والاتفاق على عثمان: فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط. فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي. فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن. فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه. فأسكت الشيخان. فقال عبدالرحـــمن: أفتجعلونه إلي؟ والله علي أن لا آلو عن أفضلكم. قالا: نعم. فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت. فالله عليك، لئن أمرتك لتعدلن. ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن. ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك. فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه وبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه.

٧- ومن مسند الزبير بن العوام رضي الله عنه

رجوعه الى القول بخلافة أبي بكر بعد توقف

(١) فقد أخرج الحاكم[٢] من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف في حديث طويل؛ فقبل المهاجرون منه (أي من أبي بكر) ما قال، وما اعتذر به. قال علي والزبير رضي الله عنهما: ما غضبنا إلا أنا قد أخرنا عن المشاورة. وإنا نرى أبابكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ . إنه لصاحب الغار وثاني اثنين. وإنا لنعلم بشرفه وكبره. ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي.

٨- ومن مسند طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

ثناؤه على عمر رضي الله عنه

(١) ذكر المحب الطبري[٣] عن ابن مسعود رضي الله عنه أن عمر شاور الناس في الزحف إلى قتال ملوك فارس التي اجتمعت بنهاوند. فقام طلحة بن عبيد الله، وكان من خطباء الصحابة، تشهد ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فقد أحكمتك الأمور وعجنتك البلايا واحتنكتك التجارب. فأنت

(١) (٣٧٠٠) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان.
(٢) ٦٦/٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. والبيهقي في الاعتقاد ص ١٧٨ ، ١٧٩
(٣) الرياض النضرة ٦/٢؛ ٣ في مناقب طلحة رضي الله عنه.

وشأنك، وأنت ورأيك. إليك هذا الأمر فمرنا نطع، وادعنا نجب، واحملنا نركب، وقُدنا ننقد. فإنك ولي هذه الأمور. وقد بلوت واختبرت وجربت، فلم ينكشف لك عن شيء من عواقب قضاء الله عز وجل إلا عن خيار. ثم جلس.

حديثه في فضل عثمان رضي الله عنه

(٢) أخرج الحاكم[١] عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز فقال: أنشدك الله يا طلحة، أتذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في مكان كذا وكذا، وليس معه من أصحابه غيري وغيرك. فقال لك: يا طلحة إنه ليس من نبي إلا وله رفيق من أمته معه في الجنة. وإن عثمان رفيقي معي في الجنة. فقال طلحة: اللهم نعم.

(٣) وأخرج أبويعلى[٢] عن طلحة بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ: لكل نبي رفيق، ورفيقي عثمان.

٩- ومن مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

فرار الشيطان من عمر الفاروق رضي الله عنه

(١) فقد أخرج مسلم[٣] من حديث ابن شهاب، قال أخبرني عبد الحميد بن عبدالرحمن بن زيد أن محمد بن سعد بن أبي وقاص أخبره أن أباه سعدا قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ، وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواقمن. فلما استأذن عمر رضي الله عنه قمن يبتدرن الحجاب. فأذن له رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يضحك. فقال عمر رضي الله عنه: أضحك الله سنك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي. فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب. قال عمر رضي الله عنه: فأنت أحق يا رسول الله، أن يهبنك. ثم قال عمر رضي الله عنه: أي عدوات أنفسهن، أ تهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم. أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك.

(٢) وأخرج أبوبكر بن أبي شيبة[٤] من حديث أبي سلمة، قال قال سعد: أما والله ما كان بأقدمنا إسلاما ولا أقدمنا هجرة. ولكن قد عرفت بأي شيء فضلنا؟ كان أزهدنا في الدنيا، يعني عمر بن الخطاب.

---

(١) راجع ص ١٥٧- ١٥٨.

(٢) رقم ٦٦١، والترمذي (٩٣٩٨) أبواب المناقب باب ورفيقي في الجنة عثمان وقال: ليس إسناده بالقوي وهو منقطع. وأحمد في الفضائل ٦١٦، ٨٦١، وراجع الضعيفة ٢٢٩٢.

(٣) راجع ص ٦٠.

(٤) ٣٥/١٢ وإسناده صحيح.

منعه من الخروج على عثمان ﷺ

(٣) فقد أخرج أبويعلى[١] عن بسر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ قال: إنها ستكون فتنة؛ القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي. قال: أ رأيت إن دخل على بيتي وبسط يده ليقتلني؟ قال: كن كابن آدم.

(٤) وأخرج أبويعلى[٢] من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص، أن أباه حين رأى اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وتفرقهم، اشترى له ماشية. ثم خرج فاعتزل فيها بأهله على ماء. قال وكان سعد من أحدّ الناس بصرا. فرأى ذات يوم شيئا يزول، فقال لمن معه: ترون شيئا؟ قالوا: نرى شيئا كالطير. قال: أرى راكبا على بعير. ثم جاء بعد قليل عمر بن سعد على بختي أو بختية. ثم قال: اللهم إنا نعوذ بك من شر ما جاء به. فسلم عمر، ثم قال لأبيه: أرضيت أن تتبع أذناب هذه الماشية بين هذه الجبال، وأصحابك يتنازعون في أمر الأمة؟ فقال سعد بن أبي وقاص: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: إنها سيكون بعدي فتن، أو قال أمور، خير الناس فيها الغني الخفي التقي. فإن استطعت يا بني أن تكون كذلك فكن. فقال له عمر: أما عندك غير هذا؟ فقال له سعد: لا يا بني. فوثب عمر ليركب ولم يكن حط عن بعيره، فقال له سعد: أمهل حتى نغديك. قال: لا حاجة لي بغدائكم. قال سعد: فنحلب لك فنسقيك. قال: لا حاجة لي بشرابكم. ثم ركب فانصرف مكانه.

الخلافة لقريش

(٥) فقد أخرج أبويعلى[٣] عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: من يرد هوان قريش أهانه الله عز وجل.

---

(١) رقم ٧٤٦، والترمذي (٢١٩٤) أبواب الفتن باب ما جاء إنه تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، وحسنه، وأبوداود (٤٢٥٧) كتاب الفتن والملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها وأحمد ١٨٥/١. وله شواهد، راجع الإرواء ٢٤٥١.

(٢) حديث رقم ٧٤٥ وإسناده صحيح.

(٣) رقم ٧٧١، والترمذي (٣٩٠٥) أبواب المناقب باب في فضل الأنصار وقريش، وأحمد ١٧١/١، والبخاري في تاريخه ١ ق١٠٣/١ والحاكم ٧٤/٤ وصححه، وأقره الذهبي، والبيهقي في مناقب الشافعي ٦١/١، ٦٢. وعبد الرزاق ٥٨/١١ والبغوي في شرح السنة ٦١/١٤ وتمام الرازي في الفوائد رقم ١٤٢١ وابن أبي عاصم في السنة: ١٥٠٣، وفي الآحاد والمثاني ١٧٠/١ وأبونعيم في المعرفة: ٥٤٢؛ وابن أبي شيبة ١٧١/١٢، ورجال إسناد عبد الرزاق ثقات، وله شواهد، راجع الصحيحة: ١١٧٨.

١٠- ومن مسند سعيد بن زيد رضي الله عنه

بشارة العشرة بالجنة

(١) فقد أخرج أبويعلى[١] عن عبد الرحمن الأخنس قال خطبنا المغيرة بن شعبة فنال من علي، فقام سعيد بن زيد فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: النبي في الجنة وأبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن أسمي العاشر لسميت.

(٢) وأخرج الترمذي[٢] عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه أن سعيد بن زيد حدثه في نفر أن رسول الله ﷺ قال: عشرة في الجنة؛ أبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبوعبيدة وسعد بن أبي وقاص قال: فعد هؤلاء التسعة. وسكت عن العاشر فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور ومن العاشر؟ قال نشدتموني بالله، أبوالأعور في الجنة.

أبوبكر صديق والآخرون شهداء.

(٣) فقد أخرج أبويعلى[٣] عن عاصم عن زر عن سعيد بن زيد، قال اختبأنا مع رسول الله ﷺ، فوق حراء فلما استوينا رجف بنا. فضربه رسول الله ﷺ بكفه، ثم قال: اسكن حراء، فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد، وعليه رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وسعيد بن زيد، الذي حدث بالحديث.

(٤) وأخرج البخاري[٤] عن قيس قال سمعت سعيد بن زيد يقول: والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم[٥]. ولو أن أحدا ارفض للذي صنعتم بعثمان، لكان[٦].

---

(١) رقم ٩٦٧، والترمذي (٣٧٤٨) أبواب المناقب باب مناقب عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، وحسنه، وأبوداود (٤٦٤٩) كتاب السنة باب في الخلفاء، وأحمد ١٨٨/١ وفي الفضائل له: ٨٧، ٢٥٧، والطيالسي: ٢٣٦ وابن أبي شيبة ١٥/١٢، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٤ والبزار في مسنده: ١٢٦٩ والنسائي في الكبرى: ٨١٥٦، ٨٢٠٤، وابن حبان: ٦٩٩٣. وابن أبي عاصم في السنة ٦١٩/٢.

(٢) ٣٣٤/٤ وابن أبي عاصم في السنة: ١٤٣٦، والحاكم ٤٤٠/٣ ورجاله ثقات. وله إسناد آخر عند الترمذي (٣٦٩٦) أبواب المناقب باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، من طريق أبي هريرة.

(٣) رقم ٩٦٦. وفي إسناده صالح بن موسى الطلحي وهو متروك.

(٤) (٣٨٦٢) كتاب مناقب الأنصار باب إسلام سعيد بن زيد وإسلام عمر بن الخطاب.

(٥) أي أن عمر كان يعينـــي على الإسلام وهو كافر، أي أن الكفار في تلك الأيام لم يكونوا يصنعون ما صنعتموه أنتم المسلمون بإمامكم عثمان رضي الله عنه. [م]

(٦) أي لو أن أحدا انقلع عن مكانه لما صنعتموه أنتم بعثمان لكان يحق له. [م]

مسانيد المكثرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

١١- من مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

بشارة الشيخين بالجنة

(١) فقد أخرج الترمذي[١] عن عبد الله بن سلمة عن عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة. فاطلع أبوبكر. ثم قال: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة. فاطلع عمر.

أمره صلى الله عليه وسلم الأمة بالاقتداء بهما

(٢) فقد أخرج الترمذي والحاكم[٢] من حديث سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود[٣].

جعله قول الخلفاء إذا قضوا وأمضوا في ترتيب الأدلة بعد حديث النبي ﷺ وقبل القياس

(٣) فقد أخرج الدارمي[٤] عن سفيان عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير عن عبد الله بن مسعود قال: أتى علينا زمان لسنا نقضي ولسنا هنالك[٥]. وإن الله قد قدر من الأمر أن بلغنا ما ترون. فمن عرض له قضاء بعد اليوم، فليقض فيه بما في كتاب الله تعالى، فإن جاءه ما ليس في كتاب الله تعالى، فليقض بما قضى به رسول الله ﷺ، فإن جاءه ما ليس في

---

(١) (٣٦٩٤) أبواب المناقب باب إخباره صلى الله عليه وسلم عن اطلاع رجل من أهل الجنة فاطلع عمر، وابن عدي ١٥١٤/٤ وقال الترمذي: غريب من حديث ابن مسعود. قلت: وفي إسناده محمد ابن حميد الرازي ضعيف كما في التقريب ص ٤٤٢ والحاكم ٧١/٣ بإسناد آخر وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، قلت: بل فيه ضرار بن صرد وهو ضعيف وليس هو من رجال مسلم، بل وفيه يحيى بن يعلى الأسلمي وهو ضعيف أيضاً لكنه سقطت واسطته من المستدرك، وقد ذكره الطبراني في الكبير ٢٠٦/١٠ حديث رقم ١٠٣٤٣، وله عند الطبراني إسناد آخر (١٠٣٤٤) لكن فيه تليد بن سليمان رافضي ضعيف كما في التقريب. لكن له شاهد من حديث أبي موسى عند الترمذي، وجابر عند أحمد والطبراني والبزار.

(٢) راجع ص ٦٣.

(٣) ومن هنا جعل الخلفاء الراشدون قول ابن مسعود وفتواه في ترتيب الأدلة الشرعية بعد قول الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل القياس. [م]

(٤) ٥٩/١ ورجاله ثقات.

(٥) أي مر علينا زمان ما كنا نقضي ولم نكن بحاجة إلى ذلك لوجود النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانينا. [م]

كتاب الله و لم يقض به رسول الله ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون. ولا يقل: إني أخاف، وإني أرى، فإن الحلال بين والحرام بين. وبين ذلك أمور مشتبهة. فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

(٤) وأخرج الدارمي[١] هذا الحديث من حديث شعبة بالإسناد المذكور وفيه: إذا سئلتم عن شيء فانظروا في كتاب الله. فإن لم تجدوه في كتاب الله انظروا في سنة رسول الله ﷺ. فإن لم تجدوه في سنة رسول الله ﷺ، فما أجمع عليه المسلمون. فإن لم يكن فيما أجمع عليه المسلمون فاجهد رأيك، ولا تقل: إني أخاف وأخشى، الحديث.

(٥) وأخرج الدارمي[٢] من حديث أبي عوانة وجرير كليهما عن الأعمش نحوا من ذلك.

(٦) وأخرج الدارمي[٣] من طريق الأعمش عن إبراهيم قال: قال عبد الله: كان عمر إذا سلك بنا طريقا وجدناه سهلا. وإنه قال في زوج وأبوين للزوج النصف، وللأم ثلث ما يبقى[٤].

(٧) وأخرج الدارمي[٥] من هذا الطريق أيضا قال عبد الله: كان عمر إذا سلك طريقا اتبعناه فيه، ووجدناه سهلا. وإنه قضى في امرأة وأبوين من أربعة، فأعطى المرأة الربع، والأم ثلث ما بقي، والأب سهمين.

قوله بأفضلية أبي بكر ﷺ

(٨) فقد أخرج أبوعمر في الاستيعاب[٦] عن ابن مسعود: اجعلوا إمامكم أفضلكم، فإن رسول الله ﷺ جعل أبابكر إمامهم.

ثناؤه على عمر وذكر سوابقه

(٩) فقد أخرج أبوعمر[٧] عنه أنه قال: لأن أجلس مع عمر ساعة خير عندي من عبادة سنة.

(١٠) وأخرج الحاكم[٨] من طريق مجالد عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود ﷺ

---

(١) ١/٦٠، ٦١.

(٢) أيضا ١/٦١.

(٣) ٢/٣٤٤ وهو منقطع ومع ذلك فيه شريك القاضي وفيه كلام. والبيهقي ٦/٢٢٨ موصولا عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بلفظ: انه أتي في امرأة وأبوين فجعل للمرأة الربع وللأم ثلث ما بقي.

(٤) وفي الدارمي: بقي.

(٥) ٢/٣٤٥ وهو منقطع، إبراهيم لم يسمع من عبدالله بن مسعود. والبيهقي ٦/٢٢٨ وعبدالله في زوائد الفضائل رقم ٣٥٢، والحاكم ٤/٣٣٥ موصولا، عن إبراهيم عن الأسود عن عبدالله.

(٦) ١/٣٣٢ بلفظ: اجعلوا إمامكم خيركم فإن رسول الله ﷺ جعل إمامنا خيرنا بعده. والله أعلم.

(٧) الاستيعاب ٢/٤١٧ بلفظ: لمجلس كنت أجلس مع عمر أوثق في نفسي من عمل سنة. وعبدالله في زوائد الفضائل: ٣٨٨ بإسناد صحيح.

(٨) ٣/٨٣ وفي إسناده مجالد ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره كما في التقريب ص ٤٨٢ وله شاهد من حديث ابن عمر وأنس وابن عباس. وإسناد حديث ابن عمر حسن.

قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام. فجعل الله دعوة رسول الله ﷺ لعمر. فبنى عليه ملك الإسلام، وهدم به الأوثان.

(١١) وأخرج الحاكم[١] من طريق المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال: والله ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر.

(١٢) وأخرج الحاكم[٢] من طريق سفيان عن إسمعيل بن أبي خالد عن أبي حازم عن ابن مسعود قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

(١٣) وأخرج الحاكم[٣] عن أبي اسحق عن أبي عبيدة، قال: قال عبد الله: إن أفرس الناس ثلاثة؛ العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾[٤]، والمرأة التي رأت موسى عليه السلام فقالت لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾[٥]، وأبوبكر حين استخلف عمر.

(١٤) وأخرج الحاكم[٦] من طريق زهير عن يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: إن كان عمر لحصنا حصينا يدخل الإسلام فيه ولا يخرج منه. فلما أصيب عمر انثلم الحصن. فالإسلام يخرج منه، ولا يدخل فيه. إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر.

حكايته دفع الأنصار بحديث إمامة الصديق ﷺ

(١٥) فقد أخرج الحاكم[٧] عن عاصم عن زر عن عبد الله ﷺ قال: لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. قال: فأتاهم عمر ﷺ، فقال: يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبابكر أن يؤم الناس. فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم

---

(١) ٣/٨٣، ٨٤ وصححه، ووافقه الذهبي. وابن سعد ٣/٢٧٠ من طريق مسعر عن القاسم أتم منه.
(٢) ٣/٨٤ قال: على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. بل والبخاري (٣٦٨٤) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٣) ٣/٩٠ وابن سعد ٣/٢٧٣ وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. وأبوبكر الخلال في السنة رقم ٣٤٥، وابن جرير في التفسير ١٢/١٧٥ من طريق وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود، ورجاله ثقات.
(٤) سورة يوسف: ٢١.
(٥) سورة القصص: ٢٦.
(٦) ٣/٩٣ وفي إسناده يزيد بن أبي زياد وفيه ضعف. وقد روي بأسانيد، راجع مصنف ابن أبي شيبة ١٢/٢٤ وعبد الرزاق ٢/٢٧ وابن سعد ٣/٢٧٠ والطبراني وقال الهيثمي في المجمع ٩/٧٨: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح.
(٧) راجع ص ١٥٢.

أبابكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبابكر.

استدلاله على خلافة الصديق بالإجماع

(١٦) فقد أخرج الحاكم[١] من حديث عاصم عن زر عن عبد الله ﷺ قال: ما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ. وقد رأى أصحابه جميعا أن يستخلف أبوبكر.

استدلاله بخطبة النبي ﷺ قبل وفاته بخمس ليال على مناقب الصديق ﷺ

مما هو تعريض ظاهر على خلافته وعلى هذه الطريقة اعتمد أبوعمر في الاستيعاب[٢].

(١٧) فقد أخرج مسلم[٣] عن أبي الأحوص قال سمعت عبد الله بن مسعود ﷺ يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا، ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا.

الاستدلال على خلافة الخلفاء الثلاثة بالمدة التي ضربها رسول الله ﷺ لدوران رحى الإسلام ووقوع خلافتهم خلالها

(١٨) فقد أخرج الحاكم[٤] من طرق عن منصور عن ربعي بن حراش عن البراء بن ناجية قال: قال عبد الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: إن رحى الإسلام ستزول بغد خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين سنة. فإن يهلكوا فسبيل من قد هلك. وإن يقم لهم دينهم يقم سبعين. قال عمر ﷺ: يا رسول الله مما مضى أم مما بقي؟ قال: لا، بل مما بقي.

(١٩) وروى الحاكم[٥] بأسانيد صحيحة من طرق متعددة أن عثمان ﷺ قتل في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة.

الاستدلال على خلافتهم بحديث القرون الثلاثة

(٢٠) فقد أخرج أحمد[٦] عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) راجع ص ٥٢.

(٢) ٣٣٢/١.

(٣) (٦١٧٥) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر ﷺ. وعبد الرزاق ٢٢٨/١١ وابن أبي عاصم في السنة ٥٧٦/٢ وأحمد ٣٧٧/١، ٣٨٩، وابن أبي شيبة ٥/١٢ وابن ماجه (٩٣) كتاب السنة فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٤) ١٠١/٤ و٥٢١ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وأحمد ٣٩٣/١، ٣٩٥ والطحاوي في مشكل الآثار ٢٣٥/١ والخطيب في الفقيه والمتفقه ١٠٦/١ وأبويعلى برقم ٥٢٥٩ وغيره، وذكره الألباني في سلسلة الصحيحة برقم ٩٧٦ وراجع ص ٩٣.

(٥) ٩٦/٣. وراجع معرفة الصحابة لأبي نعيم ٦٥/١ وابن سعد ٧٧/٣، ٧٩ أيضاً.

(٦) ٣٧٨/١. والبخاري (٦٤٢٩) كتاب الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ومسلم

خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يأتي بعد ذلك قوم تسبق شهادتهم أيمانهم وأيمانهم شهادتهم.

هذا الاستدلال مبني على توجيه سليم تؤيده أكثر الأحاديث. وهو أن يحدد القرن الأول؛ من هجرة الرسول ﷺ حتى وفاته، والقرن الثاني؛ من بداية خلافة أبي بكر الصديق حتى وفاة عمر بن الخطاب ﷺ، والقرن الثالث؛ عصر خلافة عثمان ﷺ. فيشمل كل قرن ما يقرب من اثنتي عشرة سنة.

والقرن في اللغة القوم المتقارنون في السن. ثم أطلق على القوم المتقارنين في الإمارة والخلافة. وبتغير الخلافة والإمارة تتغير القرون، فيكون خلفاء آخرون ولهم وزراء وعمال ورؤساء وجنود آخرون كما يكون لهم ذميون وحربيون آخرون.

عثمان أفضلهم في خلافته

(٢١) فقد أخرج الحاكم[1] من حديث الأعمش عن عبد الله بن بشار قال لما جاءت بيعة عثمان قال عبد الله ﷺ: ما ألونا عن أعلانا ذا فوق[2].

منعه من الخروج على عثمان ﷺ

(٢٢) فقد أخرج أبوبكر بن أبي شيبة[3] عن أبي سعيد مولى ابن مسعود قال: قال عبدالله: والله لئن قتلوا عثمان لا يصيبوا منه خلفا[4].

١٢- ومن مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه

إن الخلافة في قريش.

(١) فقد أخرج أحمد وأبويعلى[5] وغيرهما من طرق شتى أن عبدالله بن عمر رضي

(٦٤٦٩) كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم الخ.

(١) الحاكم ٩٧/٣ وابن أبي شيبة ٤٣/١٢، ٥٨٨/١٤ وأحمد في الفضائل: ٧٣١، وفي مسائل الإمام أحمد لابن هاني ١٢٠/٢، ١٧٠ والفسوي ٧٦٠/٢، ٧٦١ وأبو يوسف في الآثار ٩٣٠، ٩٣١، وزوائد الفضائل رقم ٣٩١. وابن سعد ٦٢/٣، ٦٣ والطبراني بأسانيدها وقال عنها الهيثمي في المجمع ٨٨/٩: ورجال أحدها رجال الصحيح.

(٢) أي لم نقصر في اختيار أفضلنا خليفة علينا! وبعبارة أخرى: اخترنا أفضلنا وأعلانا خليفة علينا. [م].

(٣) ٢٠٤/١٥، وأبوسعيد مولى ابن مسعود ذكره ابن أبي حاتم ٤ ق٣٧٦/٣ وبيض له. وبقية رجاله ثقات.

(٤) أي: لا يجدون مثله. [م]

(٥) رواه أحمد ٢٩/٢، ٩٣، ١٢٨ وأبويعلى برقم ٥٥٦٤، بل والبخاري (٣٥٠١) كتاب المناقب

الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال هذا الأمر في قريش، ما بقي في الناس اثنان.

المهاجرون الأولون الذين جاهدوا مع رسول الله ﷺ قريشا في أول الإسلام، أولى بالخلافة.

(٢) فقد أخرج البخاري[١] من طريق معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه حديثا فيه: فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم فليطلع لنا قرنه. فنحن أحق به منه ومن أبيه[٢]! قال حبيب بن مسلمة[٣]: فهلا أجبته؟ قال عبدالله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك، من قاتلك وأباك على الإسلام. فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع، وتسفك الدم، ويحمل عني غير ذلك. فذكرت ما أعد الله في الجنان[٤]. قال حبيب: حفظت وعصمت.

أفضلية الخلفاء على ترتيب الخلافة.

فقد اشتهرت عن ابن عمر بروايات فيها العدد والثقة.

(٣) فقد أخرج البخاري[٥] من طريق يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله ﷺ، فنخير أبابكر، ثم عمر، ثم عثمان ابن عفان رضي الله عنهم.

(٤) وأخرج البخاري وأبوداود[٦] عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ لا نفضل بينهم.

(٥) وأخرج أبوداود[٧] من حديث يونس عن ابن شهاب قال: قال سالم بن عبد الله أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ حيّ: أفضل أمة النبي ﷺ بعده

باب مناقب قريش، ومسلم (٤٧٠٤) كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش.

(١) راجع ص ٥٠.

(٢) لعله كان يعرض بحسن بن علي وأبيه رضي الله عنهما. وكان رأي معاوية في الخلافة تقديم الفاضل في القوة والرأي والمعرفة على الفاضل في السبق في الإسلام والدين والعبادة، فلهذا أطلق أنه أحق ورأي ابن عمر بخلاف ذلك وأنه لا يبايع المفضول إلا إذا خشي الفتنة، راجع الفتح ٤٠٤/٧.

(٣) وكان جالسا بجانب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أي: لمن صبر وآثر الآخرة على الدنيا.

(٥) راجع ص ٦٩.

(٦) البخاري (٣٦٩٨) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأبوداود (٤٦٢٧) كتاب السنة باب في التفضيل.

(٧) (٤٦٢٨) كتاب السنة باب في التفضيل، وسكت عنه المنذري وأبوداود. وإسناده صحيح وابن أبي عاصم في السنة ١١٩٠، ١١٩١ من طريق شعيب ومحمد بن أبي عتيق كلاهما عن الزهري به.

أبوبكر، ثم عمر، ثم عثمان.

(٦) وأخرج الترمذي[1] من طريق حارث بن عمير عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كنا نقول ورسول الله حي: أبوبكر وعمر وعثمان.

وفي بعض طرق أحمد وأبي يعلى ذكر علي ﷺ.

(٧) وأخرج أبويعلى[2] عن عمر بن أسيد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ: النبي ثم أبوبكر، ثم عمر. ولقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال، لأن يكون فيّ واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم: تزوج فاطمة وولدت له، وغلق الأبواب غير بابه، ودفع الراية إليه يوم خيبر.

رؤيا القليب حجة ظاهرة على خلافة الشيخين.

(٨) فقد أخرج البخاري[3] من حديث عبيد الله عن أبي بكر بن سالم عن سالم عن عبد الله بن عمر، أن النبي ﷺ قال: رأيت في المنام أني أنـزع بدلو بكرة على قليب. فجاء أبوبكر، فنـزع ذنوبا أو ذنوبين نـزعا ضعيفا، والله يغفر له. ثم جاء عمر بن الخطاب، فاستحالت غربا، فلم أر عبقريا يفري فريه حتى روي الناس، وضربوا بعطن.

التعريض الظاهر بخلافة الخلفاء الأربعة بذكر فضائلهم على الترتيب

(٩) فقد أخرج أبويعلى[4] من طريق محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أرأف أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في الإسلام عمر، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرأهم أبي بن كعب. ولكل أمة أمين. وأمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح.

بشارة الشيخين بأنهما يبعثان مع النبي ﷺ

(١٠) فقد أخرج الترمذي والحاكم[5] من طريق عاصم بن عمر العمري عن عبدالله بن

---

(١) (٣٧٠٧) أبواب المناقب باب قولهم: كنا نقول: أبوبكر وعمر وعثمان، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) برقم ٥٥٧٥، وأحمد ٢٦/٢ وقال الهيثمي في المجمع ١٢٠/١٠ بعد عزوه لأحمد وأبي يعلى: رجالهما رجال الصحيح، وقال الحافظ في الفتح ١٥/٧: إسناده حسن.

(٣) (٣٦٨٢) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر ﷺ.

(٤) برقم ٥٧٣٦ وذكره الحافظ في المطالب ٨٥/٤، ٨٦. وفي إسناده محمد بن عبدالرحمن بن البيلماني وهو ضعيف. والحاكم ٥٣٥/٣ من طريق آخر عن نافع عن ابن عمر. لكن فيه كوثر بن حكيم. قال الذهبي: كوثر ساقط. وله شاهد صحيح من حديث أنس، راجع الصحيحة: ١٢٢٤.

(٥) الترمذي (٣٦٩٢) أبواب المناقب باب أنا أول من تنشق عنه الأرض الخ والحاكم ٦٨/٣ وقال:

دينار عن ابن عمر قال: قال رسول اللهﷺ: أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبوبكر، ثم عمر. ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي. ثم انتظر أهل مكة، حتى أحشر بين الحرمين.

(١١) وأخرج ابن ماجه والحاكم[١] من طريق إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر، قال: خرج رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر، فقال: هكذا نبعث.

مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه

(١٢) فقد أخرج البخاري[٢] من طريق موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. فقال أبوبكر رضي الله عنه: إن أحد شقي ثوبي يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه. فقال رسول الله ﷺ: إنك لست تصنع ذلك خيلاء.

(١٣) وأخرج الترمذي[٣] من حديث جميع بن عمير عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار.

مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١٤) فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما[٤] بطرق متعددة عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ قال: بينا أنا نائم شربت يعني اللبن، حتى أنظر إلى الري يجري في ظفري أو في أظفاري. ثم ناولت عمر. قالوا: فما أولت؟ قال: العلم.

(١٥) وأخرج البخاري[٥] من طريق عمر بن محمد أن زيد بن أسلم حدثه عن أبيه قال سألني ابن عمر عن بعض شأنه -يعني عمر- فأخبرته. فقال: ما رأيت أحدا قط بعد رسول الله

صحيح الإسناد ورده الذهبي وقال: عاصم هو أخو عبدالله ضعفوه. وقال الترمذي: حسن غريب. وعاصم بن عمر العمري ليس عندي بالحافظ. قلت: وقال الحافظ في التقريب: ضعيف. وابن عدي ١٨٧٠/٥، ١٨٧٢ وابن حبان رقم ٦٨٩٩، وابن الجوزي في العلل المتناهية رقم ١٥٢٨، والألباني في الضعيفة ٢٩٤٦.

(١) ابن ماجه (٩٩) كتاب السنة فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه والترمذي (٣٦٩٩) أبواب المناقب باب قوله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: هكذا نبعث يوم القيامة... والحاكم ٦٨/٣ وابن أبي عاصم في السنة ٦١٦/٢ وابن عدي ١٢١٥/٣ والخطيب في تاريخه ٣٦٥/٤ وابن حبان في المجروحين ٢٢١/١ وقال: لا يعرف بهذا الإسناد عن إسماعيل بن أمية إلا من رواية سعيد بن مسلمة عنه. وسعيد ضعيف، وقال أبوحاتم في العلل (٢٦٥٣): هذا حديث منكر.

(٢) (٣٦٦٥) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب بعد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذا خليلا الخ.

(٣) راجع ص ٥٩.

(٤) البخاري (٨٢) كتاب العلم باب فضل العلم، ومسلم كتاب فضائل الصحابة في فضائل عمر رضي الله عنه.

(٥) (٣٦٨٧) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر رضي الله عنه.

ﷺ من حين قبض، كان أجد وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١٦) وأخرج الترمذي[١] من طريق خارجة بن عبد الله الأنصاري عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب. قال: فكان أحبهما إليه عمر.

(١٧) وأخرج الترمذي[٢] أيضا من هذا الطريق عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه. قال وقال ابن عمر: ما نـــزل بالناس أمر قط، فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نـــزل فيه القرآن بنحو ما قال عمر.

(١٨) وأخرج الحاكم[٣] من طريق خالد بن أبي بكر بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ ضرب صدر عمر بن الخطاب بيده حين أسلم ثلاث مرات وهو يقول: اللهم أخرج ما في صدره من غل وأبدله إيمانا. يقول ذلك ثلاثا.

(١٩) وأخرج الحاكم[٤] من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: اللهم أيد الدين بعمر بن الخطاب.

فضل أهل بدر

(٢٠) فقد أخرج أبويعلى[٥] من طريق عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه قصة حاطب بن

---

(١) (٣٦٨١) أبواب المناقب باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن حبان كما في الموارد ص ٥٣٥ وابن سعد ٣/٢٦٧ وابن عدي ١/٩٢١ وأحمد ٢/٩٥٩ والفضائل ٣١٢ وعبد بن حميد رقم ٧٥٧. وقال الحافظ: في إسناده خارجة ابن عبد الله صدوق فيه مقال. قلت: ولم ينفرد به خارجة. بل تابعه عبـيدالله بن عمر عـند الحاكم ٣/٨٣ بلفظ: اللهم أيد الدين بعمر بن الخطاب. ورواه ابن أبي عاصم في السنة ٢/٥٨٤ من طريق الزهري عن سالم عن أبيه ابن عمر. لكنه بلفظ: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بالوليد بن المغيرة. وفي إسناده من لم أعرفهم. وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن حبان وأبي يعلى والحاكم وأحمد ولم يذكره المؤلف الإمام في مسنده.

(٢) راجع ص ٥٩.

(٣) ٣/٨٤ وقال: صحيح مستقيم الإسناد. لكن الذهبي تعقبه وقال قال البخاري: خالد له مناكير. قلت: ورواه الطبراني في الكبير ١٢/٣٠٦ والأوسط رقم ١١٠٠، وقال الهيثمي في المجمع ٩/٦٥ بعد عزوه للأوسط فقط: رجاله ثقات، لكن فيه خالد بن أبي بكر وهو لين كما في التقريب. وقال البخاري: لخالد مناكير عن سالم.

(٤) ٣/٨٣ ورجاله ثقات.

(٥) برقم ٥٤٩٧، وأحمد ٢/١٠٩ وقال الهيثمي في المجمع ٩/٣٠٢: رجال أحمد رجال الصحيح. قلت: وفي إسناد أبي يعلى شيخه الحسين بن علي بن الأسود صدوق يخطئ كما في التقريب ص ١١٢. وبقية رجاله رجال الصحيح.

أبي بلتعة وفيه: فقال عمر ائذن لي فيه. فقال رسول الله ﷺ: أو كنت قاتله؟ قال: نعم، إن أذنت لي فيه؟ فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم!

ذبه عن عثمان ؓ

(٢١) فقد أخرج البخاري[١] عن عثمان بن موهب قال جاء رجل من أهل مصر وحج البيت، فرأى قوما جلوسا. فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني. هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم. قال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهدها؟ قال: نعم. قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك. أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له. وأما تغيبه عن بدر، فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ، وكانت مريضة. فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان ببطن مكة أعز من عثمان لبعـثه مكانه. فبعث رسول الله ﷺ عثمان. وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة. فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان. فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان. فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

يقتل عثمان مظلوما.

(٢٢) فقد أخرج الترمذي[٢] عن كليب بن وائل عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال: يقتل فيها مظلوما -لعثمان-.

(٢٣) وأخرج الحاكم[٣] عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن عثمان أصبح، فحدث. قال: رأيت النبي ﷺ في المنام الليلة، فقال: يا عثمان، أفطر عندنا. فأصبح عثمان صائما، فقتل في يومه ؓ.

قعوده عن الفـتـنـة

(٢٤) فأخرج أبويعلى[٤] من حديث عمر بن محمد أن أباه حدثه عن عبد الله بن عمر قال: كنا نتحدث في حجة الوداع ورسول الله ﷺ بين أظهرنا. لا ندري ما حجة الوداع؟ فحمد الله وحده وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال. فأطنب في ذكره. ثم قال: ما بعث الله من نبي إلا

---

(١) (٣٦٩٩) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عثمان ؓ.

(٢) راجع ص ١٥٩.

(٣) ١٠٣/٣ وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. وابن أبي شيبة ٥٩٢/١٤، وابن سعد ٧٤/٣ من طريق يعلى بن حكيم عن نافع، بدون ذكر ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) برقم ٥٥٦١، والبخاري (٤٤٠٢ و٤٤٠٣) كتاب الحج باب حجة الوداع، ومسلم (٢٢٥) كتاب الإيمان باب بيان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا مختصرا ومطولا.

وأنذره أمته. لقد أنذره نوح والنبيون من بعده. وأنه يخرج فيكم. ما خفي عليكم من شأنه فلا يخفى عليكم أنه أعور عين اليمنى كأنها عنبة طافية. ثم قال: إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد. ثم قال: ويلكم أو ويحكم انظروا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعضكم.

(٢٥) وأخرج أبويعلى[١] عن ابن فضيل عن أبيه عن سالم عن ابن عمر، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الفتنة تجيء من ههنا، وأومأ بيده نحو المشرق حيث يطلع قرن الشيطان. وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض. وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ. قال الله له ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾.

١٣- ومن مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنه

استدلاله على خلافة الصديق رضي الله عنه بخطبة النبي ﷺ قبل وفاته

(١) فقد أخرج البخاري[٢] من حديث أيوب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبابكر، ولكن أخي وصاحبي.

(٢) وأخرج أحمد[٣] من حديث جرير عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه في خرقة. فقعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه ليس أحد أمنّ علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة. ولو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبابكر خليلا. لكن خلة الإسلام. سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر.

استدلاله على خلافة الصديق رضي الله عنه بحديث الإمامة

(٣) فقد أخرج أحمد[٤] من حديث أبي إسحاق عن أرقم بن شرحبيل عن ابن عباس رضي الله عنه

---

(١) برقم ٥٤٨٦، ورجاله رجال الصحيح. والبخاري (٧٠٩٢ و ٧٠٩٣) كتاب الفتن باب الفتنة من قبل المشرق، ومسلم (٧٢٩٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب الفتنة من قبل المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان.

(٢) (٣٦٥٦) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) ٢٧/١ والبخاري (٤٦٧) كتاب الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد من طريق جرير به.

(٤) ٢٠٩/١، ٢٣٢ وابن ماجه (١٢٣٥) أبواب إقامة الصلوات باب صلاة رسول الله ﷺ في مرضه، والطحاوي ٢٣٥/١ والبيهقي ٨٣/٣ وفيه أبوإسحاق وهو مدلس، وقد رواه أحمد في الفضائل: ٧٩، والفسوي في المعرفة ٥٠٩/١ والدارقطني ٣٩١/١ والبزار مختصرا كما في كشف الأستار ٢٢٣/٢ من طريق قيس بن الربيع عن عبد الله بن أبي السفر عن أرقم به، وقيس فيه كلام معروف؛ والفسوي

في قصة مرضه ﷺ، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة. فقال: مروا أبابكر يصلي بالناس... الحديث.

مناقب عمر بن الخطاب ﷺ

(٤) فقد أخرج ابن ماجه[1] من حديث عوام بن حوشب عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أسلم عمر ﷺ نـزل جبريل، فقال: يا محمد ﷺ لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

(٥) وأخرج الحاكم[2] عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: اللهم أعز الإسلام بعمر.

(٦) وأخرج الترمذي[3] من حديث النضر أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر. قال: فأصبح. فغدا عمر ﷺ على رسول ﷺ فأسلم.

(٧) وأخرج البخاري[4] من حديث أيوب عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة ﷺ، قال: لما طعن عمر جعل يألم. فقال له ابن عباس وكأنه يجزّعه: يا أمير المؤمنين، ولا كل ذلك. لقد صحبت رسول الله ﷺ، فأحسنت صحبته. ثم فارقته وهو عنك راض. ثم صحبت أبابكر، فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض. ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم. ولئن فارقتهم، لتفارقنهم وهم عنك راضون. فقال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإن ذلك منٌّ من الله تعالى منَّ به عليّ. وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذلك منٌّ من الله تعالى مَنّ به عليّ. وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك ومن أجل أصحابك. والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه.

جعله قول الشيخين أبي بكر وعمر في ترتيب الأدلة بعد حديث النبي ﷺ وقبل القياس

(٨) فقد أخرج الدارمي[5] عن عبد الله بن يزيد، قال: كان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل عن الأمر فكان في القرآن أخبر به. فإن لم يكن في القرآن، وكان عن رسول الله ﷺ،

١/٤٥٢ من طريق قيس به عن ابن عباس، والظاهر أنه سقط منه واسطة عباس. والله أعلم.

(١) (١٠٣) كتاب السنة في فضل عمر ﷺ. وابن حبان في الإحسان ١٧/٩ والموارد/٥٣٥ والحاكم ٨٤/٣ وقال: صحيح. لكن فيه عبد الله بن خراش وهو ضعيف. وابن عدي ١٥٢٥/٤ وعبدالله في زوائد الفضائل: ٣٣٥ وابن سيد الناس في عيون الأثر ١٢٥/١، ١٢٦ من طريق البغوي.

(٢) ٨٣/٣ وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٣) (٣٦٨٣) أبواب المناقب باب إسلام عمر على إثر دعائه صلى الله عليه وسلم وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقد تكلم بعضهم في النضر أبي عمرو وهو يروي مناكير، وعبدالله في زوائد الفضائل: ٣١١.

(٤) (٣٦٩٢) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر ﷺ.

(٥) راجع ص ٦٧.

أخبر به. فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر. فإن لم يكن، قال برأيه.

استدلاله على خلافة الخلفاء بحديث رؤيا الظلة

(٩) فقد أخرج أحمد[١] وغيره من حديث سفيان عن الزهري عن عبد الله بن عباس قال: رأى رجل رؤيا فجاء النبي ﷺ، فقال: إني رأيت كأن ظلة تنطف عسلا وسمنا، وكأن الناس يأخذون منها. فبين مستكثر وبين مستقل وبين ذلك. وكأن سببا متصلا إلى السماء. فجئت فأخذت به، فعلوت فعلاك الله. ثم جاء رجل من بعدك فأخذ به فعلا فعلاه الله. ثم جاء رجل من بعدكما فأخذ به فعلا، فعلاه الله. ثم جاء رجل من بعدكم، فأخذ به فقطع به ثم وصل له. فعلا، فعلاه الله. قال أبوبكر: ايذن لي يا رسول الله فأعبرها. فأذن له. فقال: أما الظلة فالإسلام. واما السمن والعسل فحلاوة القرآن. فبين مستكثر وبين مستقل وبين ذلك. وأما السبب، فما أنت عليه تعلو فيعليك الله. ثم يكون رجل من بعدك على منهاجك، فيعلو ويعليه الله. ثم يكون من بعدكما رجل فيأخذ بأخذكما، فيعلو فيعليه الله. ثم يكون من بعدكم رجل يقطع به ثم يوصل له فيعلو فيعليه الله. قال: أصبت يا رسول الله؟ قال: أصبت وأخطأت. قال: أقسمت يا رسول الله لتخبرني. قال: لا تقسم.

لم ينص النبي ﷺ على الخلافة لعلي خاصة ولا لبني هاشم عامة.

(١٠) فقد أخرج أحمد[٢] من حديث ابن المبارك عن يونس عن الزهرى عن عبدالله بن كعب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج علي من عند رسول الله ﷺ في مرضه فقالوا: كيف أصبح رسول الله ﷺ يا أبا الحسن؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئا. فقال العباس: ألا ترى إنى لأرى رسول الله ﷺ سيتوفى من وجعه. وإني لأعرف فى وجوه بني عبد المطلب الموت. فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فلنكلمه. فإن كان الأمر فينا بينه، وإن كان فى غيرنا كلمناه، فأوصى بنا. فقال علي: إن قال: الأمر في غيرنا لم يعطناه الناس أبدا. وإني والله لا أكلم رسول الله ﷺ فى هذا أبدا.

أبوبكر صديق وسائرهم شهداء.

(١١) فقد أخرج أبويعلى[٣] بإسناد غريب عن عكرمة عن ابن عباس، قال: كان النبى ﷺ على حراء فتزلزل الجبل. فقال رسول ﷺ: أثبت حراء، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد. وعليه رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمر وعلي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف

---

(١) راجع ص ٩٠- ٩١.
(٢) ١/٢٦٣، ٣٢٥ بل والبخاري (٤٤٤٧) كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته.
(٣) رقم ٢٤٣٩ وذكره الحافظ في المطالب ٤/٨٦. وفي إسناده نضر بن عبد الرحمن الخزار وهو متروك. ورواه ابن أبي عاصم في السنة ٢/٦٢٢ أيضاً.

وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

قوله في عثمان ﷺ

(١٢) فقد أخرج أبوعمر[١] في الاستيعاب أن عبد الله بن عباس قال: لو اجتمع الناس على قتال عثمان لرموا بالحجارة كما رمي قوم لوط.

١٤- ومن مسند أبي موسى (عبد الله بن قيس) الأشعرى رضي الله عنه

الخلافة في قريش.

(١) فقد أخرج أحمد[٢] عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: إن هذا الأمر في قريش، ما داموا إذا استرحموا رحموا وإذا حكموا عدلوا، وإذا قسموا أقسطوا فمن لم يفعل ذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل.

بشارة الخلفاء الثلاثة بالجنة والتعريض الظاهر بخلافتهم وإنذار عثمان بالبلوى

(٢) وقد أخرج الشيخان وغيرهما بروايات فيها العدد والثقة من ذلك ما أخرجه البخاري[٣] من حديث سعيد بن المسيب عن أبي موسى الأشعرى، أنه توضأ في بيته، ثم خرج فقلت: لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا. قال: فجاء المسجد، فسأل عن النبي ﷺ. فقالوا: خرج وجه ههنا. فخرجت على أثره أسأل عنه، حتى دخل بير أريس. فجلست عند الباب وبابها من جريد، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته. فتوضأ فقمت إليه، فإذا هو جالس على بير أريس وتوسط قفها. وكشف عن ساقيه ودلاهما في البير. فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت: ولأكونن بوابا للنبي ﷺ اليوم فجاء أبوبكر ﷺ فدفع الباب. فقلت من هذا؟ فقال: أبوبكر. فقلت: على رسلك. ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله هذا أبوبكر يستأذن؟ فقال ائذن له وبشره بالجنة. فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: أدخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة. فدخل أبوبكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف. ودلى رجليه في البير، كما صنع النبي ﷺ. وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني. فقلت: إن يرد الله لفلان يريد

---

(١) ٤٨٠/٢ وعبد الله في زوائد الفضائل رقم ٧٤٦ وابن سعد ٨٠/٣ من طريق أبي المليح عن ابن عباس وفيه زياد بن أبي المليح، قال أبوحاتم: ليس بالقوي كما في الميزان ٩٣/٢ والجرح والتعديل ١ ق ٥٤١/٢ ووقع في اللسان ١٩٦/٢ ليس بقوي، وله طريق آخر عند ابن سعد ٨٠/٣ والطبراني في الأوسط رقم ٣٤٧٧، وعزاه الهيثمي إلى الكبير أيضاً وقال: رجال الكبير رجال الصحيح، والمجمع ٩٧/٩ بلفظ: لو أن الناس لم يطلبوا بدم عثمان لرجموا بالحجارة من السماء.

(٢) ٣٩٦/٤ والبزار كما في الكشف: ١٥٨٢ والطبراني أيضا قال الهيثمي في المجمع ١٩٣/٥: رجال أحمد ثقات. فإسناده حسن إن شاء الله، وابن أبي عاصم في السنة برقم ١١٢١ أيضاً.

(٣) (٣٦٧٤) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب فضل أبي بكر رضي الله عنه، ومسلم (٦٢١٤) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عثمان وراجع ص ١٥٨ أيضا.

أخاه خيرا يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك. ثم جئت إلى رسول الله ﷺ، فسلمت عليه فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن. فقال: إئذن له وبشره بالجنة. فجئت فقلت: ادخل وبشرك رسول ﷺ بالجنة. فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ودلى رجليه في البير. ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله لفلان خيرا يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب. فقلت من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان. فقلت: على رسلك. وجئت إلى النبي ﷺ فاخبرته، فقال: إئذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيب به. فجئته، فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك. فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر. قال شريك قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم.

(٣) وأخرج البخاري[١] من حديث أبي عثمان النهدي عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح. فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة. ففتحت له. فإذا أبوبكر رضي الله عنه فبشرته بما قال رسول الله ﷺ. فحمد الله. ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: افتح له، وبشره بالجنة. ففتحت له، فإذا عمر رضي الله عنه. فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله. ثم استفتح رجل، فقال لي: افتح له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه. فإذا عثمان رضي الله عنه، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ. فحمد الله ثم قال: الله المستعان.

الاستدلال على خلافة الصديق رضي الله عنه بحديث الإمامة

(٤) فقد أخرج أحمد[٢] عن عبد الملك بن عمير عن أبي بردة عن أبي موسى، قال: مرض رسول الله ﷺ فاشتد مرضه، فقال: مروا أبابكر يصلي بالناس. فقالت عائشة: يا رسول الله ﷺ إن أبابكر رجل رقيق، متى يقوم مقامك لا يستطيع أن يصلي بالناس. قال: مروا أبابكر، فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف. فأتاه الرسول، فصلى أبوبكر بالناس في حياة رسول الله ﷺ.

أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالقعود عن الفتنة.

فقد روي عنه بروايات فيها العدد والثقة، منها:

(٥) ما أخرجه الترمذي[٣] عن هذيل بن شرحبيل عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال في الفتنة: كسروا فيها قسيكم، وقطعوا فيها أوتاركم، والزموا فيها أجواف بيوتكم، وكونوا كابن آدم.

---

(١) راجع ص ١٥٨.

(٢) ٤١٢/٤، والبخاري (٦٧٨) كتاب الأذان باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ومسلم (٩٣٦) كتاب الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذرالخ.

(٣) (٢٢٠٤) أبواب الفتن باب ما جاء في اتخاذ السيف من خشب في الفتنة وقال: حسن غريب. وهذا مختصر وصححه الألباني في تعليقه على المشكاة رقم ٥٣٩٩، وراجع لتفصيله الحديث الآتي بعده.

(٦) وأخرج أحمد[1] عن هذيل بن شرحبيل عن أبي موسى، قال قال رسول الله ﷺ: إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي. فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة. فإذا دخل على أحدكم بيته، فليكن كخير ابني آدم.

(٧) وأخرج أحمد[2] من حديث حطان بن عبد الله عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: إن بين يدي الساعة الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل. قالوا: أكثر مما نقتل؟ إنا نقتل في العام الواحد أكثر من سبعين ألفا. قال: إنه ليس لقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضا. قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ؟ قال: إنه ينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان، ويخلق له قوم من الناس يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء.

قعوده عن الفتنة

قال أبوموسى: والذي نفسي بيده ما أجد لي ولكم منها مخرجا إن أدركني وإياكم إلا أن نخرج منها كما دخلنا، لم نصب منها.

(٨) وأخرج أحمد[3] من طريق الحسن عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فقتل أحدهما الآخر، فالقاتل والمقتول في النار. قيل: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه أراد قتل صاحبه.

---

(١) ٤/ ٤١٦، وأبوداود (٤٢٥٩) كتاب الفتن والملاحم باب النهي عن السعي في الفتنة وابن ماجه (٣٩٦١) أبواب الفتن باب التثبت في الفتن وابن حبان كما في الموارد رقم ١٨٦٩ والبيهقي ١٩١/٨ وإسناده حسن كما قال الترمذي فيما سبق، بل قال الألباني: هذا إسناد صحيح على شرط البخاري، وله شواهد. راجع الإرواء رقم ٢٤٥١ والصحيحة: ١٥٣٥.

(٢) ٣٩١/٤، ٣٩٢، ٤١٤ وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. ورواه ابن ماجه (٣٩٥٩) أبواب الفتن باب التثبت في الفتنة من طريق أسيد بن المتشمس عن أبي موسى أيضا. ورجاله ثقات راجع الصحيحة: ١٦٨٢.

(٣) ٤٠١/٤ ورجاله ثقات لكن الحسن لم يسمع من أبي موسى. والنسائي (٤١٢٣) كتاب تحريم الدم باب تحريم القتل وابن ماجه (٣٩٦٤) أبواب الفتن باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما، وابن خزيمة في التوحيد ص ٣٨٥.

١٥- ومن مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه

بشارة المشايخ الثلاثة بالجنة

(١) فقد أخرج أحمد[١] من طريق قتادة عن ابن سيرين عن عبد الله بن عمرو قال: كنت مع رسول الله ﷺ فجاء أبوبكر. فاستأذن فقال: ائذن له وبشره بالجنة[٢] ثم جاء عثمان فاستأذن فقال: ائذن له وبشره بالجنة. قال: قلت: فأين أنا؟ قال: أنت مع أبيك.

ينذر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته فتنا شديدة ستحدث في المستقبل!

(٢) فقد أخرج أحمد[٣] عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، قال انتهيت إلى عبد الله بن عمرو بن العاص وهو جالس في ظل الكعبة فسمعته يقول: بينا نحن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ نـزلنا منـزلا. فمنا من يضرب خباءه، ومنا من هو في جشره، ومنا من ينتضل، إذ نادى مناديه: الصلوة جامعة. قال: فاجتمعنا. قال فقام رسول الله ﷺ، فخطبنا فقال: إنه لم يكن نبي قبلي إلا دل أمته على ما يعلمه خيرا لهم، وحذرهم ما يعلمه شرا لهم. وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها، وأن آخرها سيصيبهم بلاء شديد، وأمور تنكرونها. يجئ فتن يرقق بعضها لبعض. تجئ الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي. ثم تنكشف. ثم تجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه. ثم تنكشف. فمن سره منكم أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة، فلتدركه موتته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه. ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع. فإن جاء آخر ينازعه، فاضربوا عنق الآخر. قال: فأدخلت رأسي من بين الناس فقلت: انشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: فأشار بيده إلى أذنه. فقال: سمعته أذناي، ووعاه قلبي. قال فقلت: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا بأكل أموالنا بيننا بالباطل، وأن نقتل أنفسنا، وقد قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال فجمع يديه، فوضعهما على جبهته، ثم نكس هنية ثم رفع رأسه، فقال: أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله.

---

(١) ١٦٥/٢ والطبراني أطول منه، وقال الهيثمي في المجمع ٥٦/٩: بعض رجال الطبراني وأحمد رجال الصحيح. وعبد الله في زوائد الفضائل: ٢٥٧، والبخاري في التاريخ الكبير ١ ق ١٧٢/١ وابن أبي عاصم في السنة برقم ١٤٤٨، والطيالسي كما في منحة المعبود ١٣٨/٢ كلهم من طريق قتادة به، ورجاله ثقات لكن قتادة مدلس وقد عنعن.

(٢) (ثم جاء عمر فاستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة) سقط ما بين القوسين من الإزالة.

(٣) ١٤١/٢ ومسلم (٤٧٧٦) كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول والنسائي (٤١٩٦) كتاب البيعة باب ذكر ما على من بايع الإمام وأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه وأبوداود (٤٢٤٨) كتاب الفتن والملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها وابن ماجه (٣٩٥٦) كتاب الفتن باب ما يكون من الفتن.

سوابق أبي بكر الصديق ﷺ

(٣) فقد أخرج البخاري[١] عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ، وهو يصلي. فوضع رداءه في عنقه فخنقه بها خنقا شديدا. فجاء أبوبكر ﷺ حتى دفعه عنه، فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾.

١٦- ومن مسند أبي هريرة رضي الله عنه

الخلافة في قريش

(١) فقد أخرج أحمد والشيخان وغيرهم[٢] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم.

(٢) وأخرج أحمد[٣] من طريق ابن أبي ذئب عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن لقريش حقا ما حكموا فعدلوا وائتمنوا فأدوا واسترحموا فرحموا.

الاستدلال على خلافة الخلفاء الثلاثة بـرؤيا الظلة

(٣) فقد أخرج الشيخان وغيرهما بطرق متعددة منها ما أخرجه أبوداود[٤] من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، قال كان أبوهريرة يحدث أن رجلا أتى إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أرى الليلة ظلة ينطف منها السمن والعسل. فأرى الناس يتكففون بأيديهم. فالمستكثر والمستقل. وأرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض. فأراك يا رسول الله أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به. ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم وصل فعلا به. فقال أبوبكر: بأبي أنت وأمى لتدعني فلأعبرنها. فقال عبرها. فقال: أما الظلة فظلة الإسلام. وأما ما ينطف من السمن والعسل فهو القرآن لينه وحلاوته. وأما المستكثر والمستقل فهو المستكثر من القرآن والمستقل منه. وآما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فهو الحق الذي أنت عليه: تأخذ به فيعليك الله. ثم يأخذ به بعدك رجل فيعلو به. ثم يأخذ

---

(١) (٣٦٧٨) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب بعد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذا خليلا الخ.

(٢) راجع ص ٤٠- ٤١.

(٣) ٢/٢٧٠ والطبراني في الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح كما في المجمع ١٩٢/٥ وابن حبان كما في الموارد ص ٣٦٩ وعبد الرزاق ٥٧/١١ كلهم بلفظ: إن لي على قريش حقاً وإن لقريش عليكم حقاً، الخ.

(٤) راجع ص ٩٠- ٩١.

رجل آخر فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع ثم يوصل له، فيعلو به. أي رسول الله لتحدثني أصبت أم أخطأت؟ فقال: أصبت بعضا وأخطأت بعضا. قال: أقسمت يا رسول الله لتحدثني ما الذي أخطأت؟ فقال: النبي ﷺ: لا تقسم.

والاستدلال على خلافة الشيخين بــرؤيا القليب

(٤) فقد أخرج البخاري[1] عن ابن شهاب قال أخبرني سعيد أن ابا هريرة أخبره أن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيتني على قليب وعليها دلو. فنــزعت منها ما شاء الله. ثم أخذها ابن أبي قحافة. فنــزع منها ذنوبا أو ذنوبين، وفي نــزعه ضعف والله يغفر له. ثم استحالت غربا. فأخذها عمر بن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينــزع نــزع ابن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن.

(٥) وأخرج البخاري[2] من حديث معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم رأيت أني على حوض أسقي الناس. فأتاني أبوبكر فأخذ الدلو من يدي ليريحني. فنــزع ذنوبين، وفي نــزعه ضعف. والله يغفر له. فأتى ابن الخطاب فأخذ منه فلم يزل ينــزع، حتى تولى الناس والحوض ينفجر.

الاستدلال على خلافتهم بوجودها في المدينة

(٦) فقد أخرج الحاكم[3] من حديث هشيم عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: الخلافة بالمدينة، والملك بالشام.

والاستدلال على خلافتهم بحديث القرون الثلاثة

(٧) فقد أخرج أحمد وغيره[4] من طرق، منها طريق عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ. خير أمتي قرني الذي بعثت فيه، ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم. والله أعلم أقال الثالثة أم لا، ثم تجيء قوم يحبون السمانة يشهدون قبل أن يستشهدوا.

والاستدلال على خلافة أبي بكر الصديق بخطبة النبي ﷺ قبــيل وفاته

(٨) أخرج الترمذي[5] من طريق داود بن يزيد الأودي عن أبيه عن أبي هريرة قال:

---

(١) راجع ص ٨٩.
(٢) (٧٠٢٢) كتاب التعبير باب الاستراحة في النوم.
(٣) راجع ص ٩٣.
(٤) ٢٢٨/٢ ومسلم (٦٤٧٣) كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم.
(٥) (٣٦٦١) أبواب المناقب باب ما لأحد يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبابكر، وقال: حسن غريب. قلت: بل فيه محبوب بن محرز لين الحديث، وشيخه داود بن يزيد الأودي. وقد روي طرفه الثاني من طريق أبي صالح عن أبي هريرة كما سيأتي في الحديث الذي بعده، والطرف الثالث له شاهد من حديث عبدالله بن مسعود راجع ص ١٧٩.

قال رسول الله ﷺ: ما كان لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبابكر، فإن له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذا خليلا لا تخذت أبابكر خليلا. ألا وإن صاحبكم خليل الله.

(٩) وأخرج أحمد[١] من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر. فبكى أبوبكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله.

مواعيد الله الظاهرة على يد الخلفاء

(١٠) فقد أخرج الشيخان وغيرهما بطرق متعددة منها ما أخرج البخاري[٢] عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: أعطيت مفاتيح الكلم، ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم البارحة إذ أتيت بمفاتيح خزائن الأرض حتى وضعت في يدي. قال أبوهريرة: ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنقلونها.

وأخرج الشيخان وغيرهما بطرق متعددة منها:

(١١) ما أخرج أحمد[٣] عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده. والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله.

مناقب أبي بكر الصديق ﷺ

(١٢) فقد أخرج البخاري[٤] عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب يعني الجنة. يا عبد الله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام باب الريان. فقال أبوبكر ﷺ: ما على هذا الذي يدعى من

---

(١) ٢/٢٥٣، ٣٢٢ والفضائل: ٢٥ والطحاوي في المشكل: ١٥٩٩ وابن أبي عاصم في السنة رقم ١٢٢٩، وابن حبان ٩/٥٣٢ وابن أبي شيبة ١٢/٦، ٧ ومن طريقه ابن ماجه في المقدمة ص ١٠ وله شاهد عن عائشة عند أبي يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق وهو ثقة كما في المجمع ٩/٥١.

(٢) (٦٩٩٨) كتاب التعبير باب رؤيا الليل، ومسلم (١١٦٧، ١١٦٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) راجع ص ١١٨ .

(٤) (٣٦٦٦) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب بعد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذا خليلا الخ.

تلك الأبواب من ضرورة، وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ فقال نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبابكر.

(١٣) وأخرج أبوداود[١] من طريق عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن أبي خالد مولى آل جعدة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبرئيل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي يدخل فيه أمتي. فقال أبوبكر: يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه. فقال رسول الله ﷺ: "أما إنك يا أبابكر أول من يدخل الجنة من أمتي".

مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١٤) فقد أخرج البخاري[٢] عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر. فقلت لمن هذا القصر؟قالوا: لعمر فذكرت غيرته، فوليت مدبرا. فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟

(١٥) وأخرج البخاري[٣] عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر.

وفي رواية له: [٤] لقد كان فيما كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر.

(١٦) وأخرج البخاري[٥] عن ابن شهاب عن سعيد وأبي سلمة قالا: سمعنا أباهريرة يقول قال رسول الله ﷺ: بينما راع في غنمه عدا الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها. فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري؟ فقال الناس: سبحان الله. فقال النبي ﷺ: فإني أومن به وأبوبكر وعمر، وما ثم أبوبكر وعمر.

(١٧) وللبخاري في رواية أخرى[٦]: وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت

---

(١) راجع ص ٥٩.

(٢) (٣٦٨٠) كتاب فضائل أصحاب النبي باب مناقب عمر رضي الله عنه، ومسلم (٦٢٠٠) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر.

(٣) راجع ص ٥٩.

(٤) راجع ص ٥٩.

(٥) (٣٦٩٠) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٦) (٢٣٢٤) كتاب الحرث والمزارعة باب استعمال البقر للحراثة، ومسلم (٦١٨٣) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه.

إليه فكلمته، فقالت: إني لم أخلق لهذا لكني خلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله! قال النبي ﷺ: إني أومن بذلك وأبوبكر وعمر.

مناقب عثمان رضي الله عنه

(١٨) فقد أخرج ابن ماجه[1] عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لكل نبي رفيق في الجنة، ورفيقي فيها عثمان بن عفان.

(١٩) وأخرج ابن ماجه[2] بهذا الإسناد أن النبي ﷺ لقي عثمان عند باب المسجد فقال: يا عثمان هذا جبريل أخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية على مثل صحبتها.

يقتل عثمان مظلوما وأنه على الحق يوم يقتل.

(٢٠) فقد أخرج الحاكم[3] من طريق موسى ومحمد وإبراهيم بني عقبة قالوا: حدثنا أبوأمّنا أبوحسنة قال شهدت أبا هريرة وعثمان محصور في الدار، فقال أبوهريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنها ستكون فتنة واختلاف أو اختلاف وفتنة. قال: قلنا يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالأمير وأصحابه، وأشار إلى عثمان.

(٢١) وأخرج الحاكم[4] من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة: اشترى عثمان بن عفان الجنة من النبي ﷺ مرتين: حيث حفر بير رومة، وحيث جهز جيش العسرة.

أبوبكر صديق وسائرهم شهداء.

(٢٢) فقد أخرج الترمذي[5] من حديث عبد العزيز بن محمد عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ: اهدأ، إنما عليك نبي أو صديق أو شهيد.

---

(١) (١٠٩) كتاب السنة فضل عثمان رضي الله عنه وابن أبي عاصم في السنة ٥٨٩/٢ وعبد الله في زوائد الفضائل: ٧٥٧، ٨٤٣، وابن عدي ١٨٢٢/٥ وفي إسناده عثمان بن خالد العثماني متروك كما في التقريب ص ٣٥٢.

(٢) (١١٠) كتاب السنة فضل عثمان رضي الله عنه، وعبدالله في زوائد الفضائل: (٨٤٤)، وابن عدي ١٨٢٢/٥ وفيه عثمان بن خالد متروك كما مر آنفا، وله شواهد لكن قال ابن كثير في البداية ١٢٣/٧: غريب منكر من جميع طرقه.

(٣) ٩٩/٣ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وابن أبي عاصم في السنة ٥٨٧/٢ وأحمد ٣٤٥/٢ أيضا. وقد وقع في المستدرك هكذا: أبوحسنة، والصواب أبوحبيبة وهكذا ذكره الحاكم نفسه على الصواب ٤٣٣/٤. راجع لترجمته التعجيل ص ٧٤٧ وقال ابن كثير في البداية ٢١٠/٧: تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن. قلت: هو على شرط الزوائد و لم أجده في المجمع والله أعلم.

(٤) ١٠٦/٣ وقال: صحيح الإسناد لكن قال الذهبي في تلخيصه: عيسى بن المسيب البجلي ضعفه أبوداود.

(٥) راجع ص ٥٨.

بشارة أهل بدر بالجنة

(٢٣) فقد أخرج أبوداود[1] عن عاصم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: اطلع الله عز وجل على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم.

قعوده عن الفتنة

(٢٤) أخرج الترمذي[2] من حديث عبد العزيز بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا، ويمسى كافرأ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا. يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا.

١٧- ومن مسند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

التصريح بخلافة المشايخ الثلاثة عند تأسيس المسجد

(١) فقد أخرج الحاكم[3] من طريق أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عمه عن يحي بن أيوب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أول حجر حمله النبي ﷺ لبناء المسجد، ثم حمل أبوبكر حجرا آخر، ثم حمل عمر حجرا آخر، ثم حمل عثمان حجرا آخر. فقلت: يا رسول الله ألا ترى إلى هؤلاء كيف يسعدونك؟ فقال: يا عائشة هؤلاء الخلفاء من بعدي.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه وإنما اشتهر بإسناد واه من رواية محمد بن فضل بن عطية فلذلك هجر.

الاستدلال على خلافتهم بحديث القرون الثلاثة

(٢) فقد أخرج[4] أحمد من طريق غريب عن عبدالله البهي عن عائشة قالت: سأل رجل رسول الله ﷺ أي الناس خير؟ قال: القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث.

---

(١) (٤٦٥٤) كتاب السنة باب في الخلفاء، وأحمد ٢٩٥/٢ والحاكم ٧٧/٤، ٧٨ وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والطبراني في الأوسط رقم ٦٦٢ مطولاً وابن أبي شيبة ١٥٥/١٢ كلهم من طريق حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة وقال الهيثمي: إسناده حسن، وقال مرة: جيد، المجمع ١٠٦/٦، ١٦٠/٩، والبزار كما في الكشف ٢٨٨/٣ بإسناد آخر بلفظ: إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدراً إن شاء الله، ورجاله رجال الصحيح كما في المجمع ١٦١/٩ وقال ابن كثير في البداية ٣٢٨/٣: هو على شرط الصحيح. راجع الصحيحة (٢٧٣٢).

(٢) (٢١٩٥) أبواب الفتن باب ما جاء ستكون فتنة كقطع الليل المظلم وقال: حسن صحيح. ومسلم (٣١٣) كتاب الإيمان باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن أيضا.

(٣) راجع ص ٩٢.

(٤) ١٥٦/٦ ومسلم (٦٤٧٨) كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم الخ.

قولها في خلافة الشيخين رضي الله عنهما

(٣) فقد أخرج مسلم[١] من حديث ابن أبي مليكة قال سمعت عائشة، وسئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلفه؟ قالت: أبوبكر. فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبوعبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا.

(٤) وأخرج الترمذي[٢] عن عبد الله بن شقيق، قال قلت لعائشة: أي أصحاب النبي ﷺ كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: أبوبكر. قلت: ثم من؟ قالت: عمر. قلت: ثم من؟ قالت: أبوعبيدة بن الجراح. قال قلت: ثم من؟ فسكتت.

الاستدلال على خلافة الصديق بقول النبي ﷺ: ادعي لي أبابكر

(٥) فقد أخرج مسلم[٣] من حديث الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: ادعي لي أبابكر أباك وأخاك، حتى أكتب كتابا. فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا ولا. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر.

الاستدلال على خلافة الصديق بخطبة النبي ﷺ التي خطبها قبل وفاته

(٦) فقد أخرج الترمذي[٤] عن الزهري عن عروة عن عائشة، أن النبي ﷺ أمر بسد الأبواب إلا باب أبي بكر.

الاستدلال على خلافته بتفويض الإمامة إليه

(٧) فقد أخرج الترمذي[٥] من حديث مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه

---

(١) راجع ص ٦٣.

(٢) (٣٦٥٧) أبواب الفتن باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال: حسن صحيح. ورواه النسائي في الكبرى ٥٧/٥ وابن ماجه (١٠٢) كتاب السنة فضل أبي بكر الصديق ص ١١ وأحمد ٢١٨/٢ والحاكم ٧٣/٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. ورواه أبويعلى برقم ٤٧١٣.

(٣) (٦١٨١) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بل والبخاري (٥٦٦٦) كتاب المرضى باب قول المريض: إني وجع أو وا رأساه الخ وراجع ص ٩٧.

(٤) (٣٦٧٨) أبواب المناقب باب أمره صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب إلا باب أبي بكر، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. قلت: ورواه عبد الله في زوائد الفضائل ص ٣٣، والقطيعي أيضاً: ٥٦٧ والطحاوي في المشكل: ٣٥٤٦، وأبويعلى: ٤٦٧٨ والدولابي في الكنى ١٥٣/١ وابن حبان: (٦٨١٨) وابن عدي ٢٢٦/١ من طرق عن الزهري به، لكن قال أبوحاتم: هذا خطأ إنما يروى عن الزهري عن أيوب بن بشير أن النبي صلى الله عليه وسلم الخ، العلل لابن أبي حاتم ٣٦٠/٢، وحديث الزهري عن أيوب أخرجه البخاري في تاريخه ١ ق ٤٠٨/١ وابن سعد ٢٢٨/٢ وله شواهد.

(٥) (٣٦٧٢) أبواب المناقب باب مروا أبابكر فليصل بالناس... وقال: حسن صحيح. ومالك في الموطأ ٣٩٤/١ والبخاري (٦٧٩، ٧١٦) كتاب الأذان باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة.

عن عائشة أن النبي ﷺقال: مروا أبابكر فليصل بالناس. فقالت عائشة: يا رسول الله إن أبابكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء. فمر عمر فليصل. قالت، فقال: مروا أبابكر فليصل بالناس. قالت فقلت لحفصة، قولي له: إن أبابكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء. فأمر عمر فليصل بالناس. ففعلت حفصة. فقال رسول الله ﷺ: إنكن لأنتن صواحب يوسف. مروا أبابكر فليصل بالناس. فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرا.

(٨) وأخرج الترمذي[١] عن القاسم بن محمد عن عائشة، قالت قال رسول الله ﷺ: لا ينبغي لقوم فيهم أبوبكر أن يؤمهم غيره.

مناقب أبي بكر الصديق ﷺ

(٩) فقد أخرج الترمذي[٢] من حديث إسحاق بن يحي بن طلحة عن عمه إسحاق بن طلحة عن عائشة أن أبابكر دخل على رسول الله ﷺ فقال: أنت عتيق الله من النار. فيومئذ سمي عتيقا.

(١٠) وأخرج الحاكم[٣] عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: من سره أن ينظر إلى عتيق من النار، فلينظر إلى أبي بكر.

(١١) وأخرج الحاكم[٤] من حديث معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة، قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك. فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر. فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن قال ذلك لقد صدق. قالوا: وتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس؟ وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم. إني لأصدقه فيما هو أبعد من

---

(١) (٣٦٧٣) أبواب المناقب باب لا ينبغي لقوم فيهم أبوبكر أن يؤمهم غيره، وقال: غريب. وأشار إلى ضعفه في علله الكبير رقم ٦٩١ وابن عدي ١/١٧٠ و ٥/١٨٨١ وقال: لا يصح. وقال يحيى بن معين: أحمد بن بشير متروك. وقال ابن حبان: وعيسى بن ميمون منكر الحديث لا يحتج بروايته. انظر العلل المتناهية رقم ٣٠٠. قلت: أحمد بن بشير صدوق له أوهام كما قال الحافظ في التقريب/٤١١. وقال ابن كثير: في مسند الصديق: إن لهذا الحديث شواهد تقتضي صحته كما في اللآلئ ١/٢٩٩.

(٢) (٣٦٧٩) أبواب المناقب باب تسميته عتيقا... وقال: غريب قلت: في إسناده إسحاق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف. ورواه أبونعيم في المعرفة كما في الكنــز ١١/٥٥٦ وأبويعلى أتم منه كما في المطالب ٤/٣٦ وفي إسناده صالح بن موسى متروك. وقد روي موقوفا، راجع الإصابة ٤/٣٦. فله شاهد جيد من حديث عبد الله بن الزبير ذكره الألباني في الصحيحة برقم ١٥٧٤.

(٣) ٣/٦٢ وقال: صحيح الإسناد. ولكن الذهبي تعقبه وقال: صالح ضعفوه والسند مظلم.

(٤) ٣/٢٧٧ وقال: صحيح على شرط الصحيحين، ولم يخرجاه. فإن محمد بن كثير الصنعاني صدوق، والمحب الطبري في الرياض ١/ ٦٦، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٣٠٦.

ذلك. أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبابكر الصديق.

مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١٢) فقد أخرج مسلم[١] من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه سعد عن أبي سلمة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه كان يقول: قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون. فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم.

(١٣) وأخرج ابن ماجه[٢] من حديث الزنجي بن خالد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة.

(١٤) وأخرج الترمذي[٣] من حديث يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ جالسا فسمعنا لغطا وصوت صبيان. فقام رسول الله ﷺ. فإذا حبشية تزفن والصبيان حولها. فقال: يا عائشة، تعالي فانظري. فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله ﷺ. فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب ورأسه. فقال لي: أما شبعت؟ أما شبعت؟ قالت: أقول: لا، لأنظر منـــزلتي عنده. إذ طلع عمر. قالت: فارفض الناس عنها. قالت: فقال رسول الله ﷺ: إني أنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر. قالت: فرجعت.

مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه

(١٥) فقد أخرج مسلم[٤] عن عطاء وسليمان ابني يسار وأبي سلمة بن عبدالرحمن أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيته كاشفا عن فخذيه أو ساقيه. فاستأذن أبوبكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث. ثم استأذن عمر. فأذن له وهو كذلك، فتحدث. ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فدخل فتحدث. فلما خرج قالت عائشة: دخل أبوبكر فلم تهتش له ولم تباله. ثم دخل عمر فلم تهتش له، ولم تباله. ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك. فقال: ألا أستحي من رجل يستحي منه الملائكة.

(١٦) وأخرج الترمذي[٥] عن النعمان بن بشير عن عائشة أن النبي ﷺ قال: يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصا فإن أرادوك على خلعه، فلا تخلعه لهم.

---

(١) راجع ص ٥٩.

(٢) (١٠٥) كتاب السنة فضل عمر رضي الله عنه وفي إسناده مسلم بن خالد الزنجي صدوق كثير الأوهام كما في التقريب ص ٤٩١ وبقية رجاله ثقات. وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٢٥).

(٣) راجع ص ٦٠.

(٤) راجع ص ٦٠.

(٥) راجع ص ١٥٨.

١٨- ومن مسند أنس بن مالك رضي الله عنه

الخلافة في قريش.

(١) فقد أخرج أحمد[١] عن بكر بن وهب الجريري[٢] قال: قال لي أنس بن مالك: أحدثك حديثا ما أحدثه كل أحد، إن رسول الله ﷺ قام على باب البيت، ونحن فيه فقال: الأئمة من قريش. إن لهم عليكم حقا، ولكم عليهم حق مثل ذلك، ما إن استرحموا رحموا وإن عاهدوا وفوا وإن حكموا عدلوا. ومن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

(٢) وأخرج أحمد[٣] عن أنس قال: دعا النبي ﷺ الأنصار، ليقطع لهم البحرين. فقالوا: لا، حتى تقطع لإخواننا من المهاجرين. فقال إنكم ستلقون من بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني.

الاستدلال على خلافتهم بتفويض الصدقات إليهم من بعده صلى الله عليه وسلم

(٣) فقد أخرج الحاكم[٤] من طريق علي بن مسهر عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سل لنا رسول الله ﷺ إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ قال: فأتيته فسألته، فقال: إلى أبي بكر. فأتيتهم فأخبرهم. قالوا: ارجع إليه، فاسأله: فإن حدث بأبي بكر حدث فإلى من؟ فأتيته فأخبرته، فقال: إلى عمر، فقالوا: ارجع إليه فاسأله: فإن حدث بعمر حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته، فقال: إلى عثمان. فأتيتهم فأخبرهم. فقالوا: ارجع فاسأله: فإن حدث بعثمان حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته، فقال: إن حدث بعثمان فتبا لكم الدهر فتبا. هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

أبوبكر صديق وسائرهم شهداء.

(٤) ففد أخرج البخاري[٥] عن يحي عن سعيد عن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم

---

(١) ٣/١٢٩، ١٨٣ والبخاري في التاريخ الكبير ١ ق٢/١١٣، ٢ ق٢/١٠٠ والدولابي ١/١٠٦ والضياء ص ١٥٧٦ وأبويعلى رقم ٤٠١٩، ٤٠٢٠ والطبراني في الأوسط رقم ٦٦٠٦ والبزار كما في الكشف ٢/٢٢٨، قال الهيثمي في المجمع ٥/١٩٢: رجال أحمد ثقات. قلت: بكير الجزري مقبول كما في التهذيب ١/٤٩٦. وقد روي من طريق سعد عن أنس أيضا عند أبي يعلى رقم ٣٦٦٢، والبيهقي ٨/١٤٤ ومناقب الشافعي ١/١٨، ١٩ والطيالسي رقم ٢١٣٣ وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٢٨٥٨.

(٢) صوابه بكير بن وهب الجزري.

(٣) ٣/١١١، ١٦٦، وأبويعلى رقم ٣٧٣٧ بهذا اللفظ. بل والبخاري (٢٣٧٦) المساقاة باب القطائع.

(٤) راجع ص ٩٣. والصواب في كلمة فتبا الأخيرة: تبا بدون الفاء.

(٥) راجع ص ٥٨.

أن النبي ﷺ صعد أحدا وأبوبكر وعمر وعثمان،فرجف بهم فقال: اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.

أفضلية الشيخين

(٥) فقد أخرج الترمذي[١] من حديث محمد بن كثير عن الأوزاعي عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين. لا تخبرهما يا علي.

ثناء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم مع غيرهم

(٦) فقد أخرج أحمد والترمذي[٢] عن معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ: أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرأهم أبي بن كعب. ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبوعبيدة ابن الجراح.

(٧) قال الترمذي وقد رواه أبوقلابة عن أنس عن النبيﷺ نحوه[٣].

حديث إمامة أبي بكر في اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ

(٨) فقد أخرج البخاري[٤] عن ابن شهاب قال حدثني أنس بن مالك: أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبوبكر يصلي بهم لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة. فنظر إليهم وهم صفوف في الصلاة. ثم تبسم يضحك فنكص أبوبكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة. فقال أنس: وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله ﷺ. فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم. ثم دخل الحجرة، وأرخى الستر.

---

(١) (٣٦٦٤) أبواب المناقب باب اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، وقال: حسن غريب من هذا الوجه وعزاه المباركفوري لأبي يعلى رقم ٥٢٩ والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٩٦/٧، وذكره الألباني في الصحيحة رقم ٨٢٤.

(٢) راجع ص٦٣، ولم أجده في المسند من طريق معمر. وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٢٢٤.

(٣) الترمذي (٣٧٩١) أبواب المناقب باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت الخ، والنسائي في الكبرى (٨١٨٥) وابن ماجه في فضائل خباب ص ١٤ وابن حبان كما في الموارد ص ٥٤٨ والإحسان ١٣١/٩، وأحمد ١٨٤/٣، ٢٨١ وأبونعيم في الحلية ١٢٤/٣ والحاكم ٤٢٢/٣ والبيهقي ٢١٠/٦.

(٤) (٦٨٠) كتاب الأذان باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ومسلم (٩٤٤) كتاب الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر.

منـــزلة الشيخين عند النبي ﷺ

(٩) فقد أخرج الترمذي[1] عن الحكم بن عطية عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من الـــمهاجرين والأنصار وهم جـــلوس، وفيهم أبوبكر وعمر، فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبوبكر وعمر. فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه، ويتبسم إليهما.

مناقب أبي بكر الصديق

(١٠) فقد أخرج ابن ماجه[2] من طريق معتمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال قيل: يا رسول الله أى الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قيل: من الرجال؟ قال: أبوها.

(١١) وأخرج أحمد[3] من حديث جعفر بن سليمان الضبعى عن ثابت عن انس قال قال رسول الله ﷺ: إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى في شجر الجنة. فقال أبوبكر يا رسول الله إن هذه الطير ناعمة. قال: آكلتها أنعم منها ثلاثا. وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها يا أبابكر.

مناقب عمر بن الخطاب

(١٢) فقد أخرج الترمذي[4] من حديث إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس أن النبي ﷺ قال: دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب،فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش: فظننت أني أنا هو. فقلت: ومن هو؟ فقالوا: عمر بن الخطاب.

---

(١) (٣٦٦٨) أبواب المناقب باب فيما لأبي بكر وعمر عند النبي صلى الله عليه وسلم من المزية على سائر الصحابة والطيالسي (٢٠٦٤)، وأحمد ٣/١٥٠ وفي فضائل الصحابة رقم ٢٣٩، ٦٦٩ وأبويعلى برقم ٣٣٧٤ وابن عدي ٢/٦٢٣ وفي إسناده الحكم بن عطية وهو صدوق له أوهام كما في التقريب/١٢٢ وذكره الألباني في ضعيف سنن الترمذي رقم ٧٥٤. قلت: فالإسناد حسن.

(٢) (١٠١) كتاب السنة فضل أبي بكر الصديق ﷺ، واستنكر سنده أبوحاتم فقال: هذا حديث منكر، يمكن أن يكون حميد عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم، العلل لابنه رقم ٢٦٥١ وقال في موضع آخر: وأما عن أنس فليس بمحفوظ، العلل رقم ٢٦٦٦. قلت: فموضوع الحديث ثابت من رواية الصحيحين برواية عمرو بن العاص وفيه زيادة يسيرة.

(٣) ٣/٢٢١ ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة كما في المجمع ١٠/٤١٤، ورواه الترمذي باختصار كما سيأتي فيما بعده. قال الألباني: وهذا إسناد على شرط مسلم غير سيار بن حاتم، وهو صدوق له أوهام كما في التقريب وفيه نكارة ظاهرة. راجع الصحيحة حديث رقم ٢٥١٤.

(٤) (٣٦٨٨) أبواب المناقب باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في شربه من قدح اللبن... الخ وقال: حسن صحيح، وأخرجه أحمد في المسند ٣/١٠٧، وفي فضائل الصحابة له رقم ٧١٥ والهيثمي في بغية الباحث رقم ٩٧٠ وأبونعيم في معرفة الصحابة رقم ١٩٦ وصححه الألباني في الصحيحة رقم١٤٢٣.

تقرب أنس إلى الله تعالى بحب الشيخين

(١٣) فقد أخرج البخاري[١] من حديث حماد عن ثابت عن أنس أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله. قال: أنت مع من أحببت. قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت. قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبابكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبّي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

١٩- من مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

خطبة النبي ﷺ في مناقب أبي بكر قبل موته

(١) فقد أخرج البخاري[٢] عن بسربن سعيد عن أبي سعيد الخدري قال خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: إن الله تبارك وتعالى خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله. قال: فبكى أبوبكر ﷺ. فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيرّ. فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبوبكر ﷺ أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبابكر، ولو كنت متخذا خليلا لا تخذت أبابكر لكن أخوة الإسلام ومودته. لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر.

(٢) وأخرج الترمذي[٣] عن عبيد بن حنين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده، ثم ذكر نحوا مما تقدم.

مناقب عمر بن الخطاب ﷺ

(٣) فقد أخرج البخاري[٤] عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن

---

(١) (٣٦٨٨) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، ومسلم (٦٧١٣) كتاب البر والصلة باب المرء مع من أحب.

(٢) (٤٦٦) كتاب الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد، ومسلم (٦١٧٠) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر ﷺ.

(٣) (٣٦٦٠) أبواب المناقب باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا، وقال: حسن صحيح. والبخاري (٤٦٦) كتاب الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد، ومسلم (٦١٧٠) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٤) (٢٣) كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ومسلم (٦١٨٩) كتاب فضائل الصحابة باب

أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص. فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك. وعرض علي عمر وعليه قميص يجره. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين.

بشارة الشيخين بالجنة والإشارة إلى أنهما من السابقين المقربين

(٤) فقد أخرج الترمذي[(١)] من طريق سالم بن أبي حفصة والأعمش وجماعة كلهم عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ: إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء. وإن أبابكر وعمر منهم وأنعما.

منـــزلة الشيخين أبي بكر وعمر في أمور الملة

(٥) فقد أخرج الترمذي[(٢)] من حديث أبي الحجاف عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض. فأما وزيراي من أهل السماء، فجبريل وميكائيل. وأما وزيراي من أهل الأرض فأبوبكر وعمر.

الاستدلال على خلافتهم بوقوعها في مرتبة أمراء الخير

(٦) فقد أخرج أحمد[(٣)] من حديث عبد الله البهي عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: يكون عليكم أمراء يطمئن إليهم القلوب وتلين لهم الجلود. ثم يكون عليكم أمراء تشمئز منهم القلوب وتقشعر منهم الجلود. فقال رجل: أفلا نقاتلهم يا رسول الله؟ قال: لا، ما أقاموا الصلاة.

٢٠- ومن مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه

الخلافة لقريش.

(١) فقد أخرج أحمد[(٤)] من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر أن النبي ﷺ قال: الناس تبع لقريش في الخير والشر.

من فضائل عمر ﷺ والترمذي (٢٢٨٦) أبواب الرؤيا، في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم اللبن والقمص.

(١) (٣٦٥٨) أبواب الـــمناقب باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه وحسنه، وابن ماجه (٩٦) كتاب السنـــة فضل أبي بكر ﷺ وأحـــمد ٢٧/٣، وأبويعلى رقم ١١٢٥، وأبوداود ٣٣٢/٤ من طرق عن عطية. وعطية العوفي صدوق يخطئ كثيرا. وله إسناد آخر عند أحـــمد ٢٦/٣، ٦١ وأبي يعلى رقم ١٢٧٣، وابن حبان في الـــمجروحين ١١٩/٣ لكن فيه مجالد وهو ليس بالقوي. وابن عدي ٢٠٩٨/٦ من طريق كوثر بن حكيم عن أبي سعيد. وصحيح الترمذي للألباني رقم ٢٨٩٢.

(٢) راجع ص ٦٤.

(٣) ٢٨/٣، ٢٩ وأبويعلى برقم ١٢٩٥. وقال الهيثمي في المجمع ٢١٨/٥: فيه الوليد صاحب عبد الله البهي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٤) راجع ٤٠- ٤١.

الدليل على خلافة الخلفاء رؤيا نوط بعضهم ببعض.

(٢) فقد أخرج أحمد والحاكم[(١)] من حديث الزبيدى عن ابن شهاب عن عمرو بن أبان بن عثمان عن جابر بن عبد الله أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: أرى الليلة رجل صالح أن أبابكر ﷺ نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر. قال جابر: فلما قمنا من عند النبي ﷺ، قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ. وأما ما ذكر رسول الله ﷺ من نوط بعضهم ببعض، فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث به نبيه ﷺ.

بشارة الخلفاء الأربعة بالجنة

(٣) فقد أخرج أحمد[(٢)] من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: يطلع عليكم من تحت هذا الصور[(٣)] رجل من أهل الجنة. قال: فطلع أبوبكر ﷺ، فهنأناه بما قال رسول الله ﷺ. ثم لبث هنيئة ثم قال: يطلع عليكم من تحت هذا الصور رجل من أهل الجنة قال: فطلع عمر ﷺ. قال: فهنأناه بما قال رسول الله ﷺ. ثم قال: يطلع عليكم من تحت هذا الصور رجل من أهل الجنة. قال: فطلع عثمان ﷺ. قال: فهنأناه بما قال رسول الله ﷺ[(٤)] ثم قال: يطلع عليكم من تحت هذا الصور رجل من أهل الجنة. اللهم إن شئت جعلته عليا ثلاث مرار. قال: فطلع علي ﷺ.

مناقب أبي بكر الصديق ﷺ

(٤) فقد أخرج الحاكم[(٥)] عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: كنا عند النبيﷺ إذ جاءه وفد عبد القيس. فتكلم بعضهم بكلام أجاد في الكلام. فالتفت النبيﷺ إلى أبي بكر قال: يا أبابكر سمعت ما قالوا؟ قال: نعم يا رسول الله ﷺ وفهمته. قال: فأجبه. قال: فأجابهم أبوبكر بجواب وأجاد الجواب. فقال رسول الله ﷺ: يا أبابكر أعطاك الله الرضوان الأكبر. فقال بعض القوم: وما الرضوان الأكبر يا رسول الله؟ قال: يتجلى الله لعباده في الاخرة عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة.

---

(١) راجع ص ٩٠.

(٢) ٣/٣٥٦، ٣٨٠. والطبراني في الأوسط رقم ٦٩٩٨ والبزار باختصار. ورجال أحد أسانيد أحمد موثقون، كما في المجمع ٩/٥٧ و٥٨ وابن أبي شيبة أيضا ١٢/٥. والهيثمي في بغية الباحث رقم ٩٦١ لكن في سنده عبد الرزاق بن عمر لين الحديث.

(٣) هكذا في المجمع، وفي المسند: السور.

(٤) (ثم قال: يطلع عليكم من تحت هذا الصور رجل من أهل الجنة. قال: فطلع عثمان ﷺ. قال: فهنأناه بما قال رسول الله ﷺ). سقطت هذه العبارة من المسند والمجمع أيضا. والله أعلم. والصور هو المجتمع من صغار النخل.

(٥) راجع ص ٥٩.

مناقب عمر بن الخطاب ﷺ

(٥) فقد أخرج البخاري[١] من حديث عبد العزيز بن الماجشون عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاه امرأة أبي طلحة. فسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيت قصرا بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر. فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك. فقال عمر ﷺ: بأبي وأمي يا رسول الله، أعليك أغار؟

مناقب عثمان بن عفان ﷺ

(٦) فقد أخرج الحاكم[٢] عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن في بيت في نفر من المهاجرين منهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وقال رسول الله ﷺ: لينهض كل رجل منكم إلى كفوه. فنهض النبي ﷺ إلى عثمان فاعتنقه. وقال: أنت وليي[٣] في الدنيا والآخرة.

بشارة أهل الحديبية بالجنة

(٧) فقد أخرج أبوداود[٤] من حديث الليث عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال: لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة.

(٨) وقد أخرج أحمد[٥] من حديث سفيان عن عمرو عن جابر قال: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة. فقال لنا رسول الله ﷺ: أنتم اليوم خير أهل الأرض.

---

(١) (٣٦٧٩) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر ﷺ، ومسلم (٦١٩٨) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله عنه.

(٢) المستدرك ٩٧/٣ وقال صحيح الإسناد. وقال الذهبي: بل ضعيف، وفيه طلحة بن زيد وهو واه عن عبيد بن حسان شويخ مقل عن عطاء الكيخاراني. ورواه أبويعلى برقم ٢٠٤٧ ومن طريقه ابن حبان في المجروحين ٣٨٣/١ وعنه الذهبي في الميزان ٣٣٨/٢. وقال الهيثمي في المجمع ٨٧/٩ بعد عزوه لأبي يعلى: فيه طلحة بن زيد وهو ضعيف جدا. حتى قال الحافظ في المطالب العالية ٣٩/١٦: متروك، فالحديث ضعيف جدا.

(٣) هذه الكلمة هي التي اتخذها الشيعة ذريعة لإثبات خلافة سيدنا علي رضي الله عنه وهنا وردت في عثمان! لكن الحق أنها تعني في هذه الأحاديث كلها معنى الصديق والرفيق. كما ورد في حديث آخر "عثمان رفيقي في الجنّة". راجع ص ٦٠.

(٤) راجع ص ٥٥.

(٥) ٣٠٨/٣ بل ورواه الشيخان من هذا الطريق. فالبخاري (٤١٥٤) كتاب المغازي باب غزوة الحديبية ومسلم (٤٨١١) كتاب الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال الخ والحميدي في المسند ٢/ ٥١٤.

مسانيد المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ

أولها

٢١- مسند عمار بن ياسر رضي الله عنه

فضل الشيخين وكونهما من السابقين المقربين وأن أبابكر أفضل من عمر رضي الله عنهما

(١) فقد أخرج أبويعلى[١] من طريق حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: يا عمار، أتاني جبريل آنفا. فقلت: يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب في السماء. فقال: يا محمد، لو حدثتك بفضائل عمر مثل ما لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ما نفدت فضائل عمر. وأن عمر لحسنة من حسنات أبي بكر.

سوابق أبي بكر الصديق رضي الله عنه

(٢) فقد أخرج البخاري[٢] عن همام قال سمعت عمارا يقول: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبوبكر.

٢٢- من مسند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

الاستدلال على خلافتهم بمعاملتهم كمرشحين للإمارة

(١) فقد أخرج الحاكم[٣] من حديث عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: لقد هممت أن أبعث إلى الآفاق رجالا يعلمون الناس السنن والفرائض كما بعث عيسى بن مريم الحواريين. قيل له: فأين أنت عن أبي بكر وعمر؟ قال إنه لا غنى لي عنهما. إنهما من الدين كالسمع والبصر.

---

(١) برقم ١٦٠٠، والطبراني في الكبير والأوسط رقم ١٥٩٣ والهيثمي في مجمع البحرين رقم ٣٦٧١ وأحمد في فضائل الصحابة رقم ٦٧٨ وفيه الوليد بن الفضل العنـــزي. وهو ضعيف جدا قاله الهيثمي في المجمع ٦٨/٩. والسيوطي في اللآلئ المصنوعة ٣٠٣/١ والشوكاني في الفوائد المجموعة ص ٣٣٧ وابن عراق ٣٤٦/١. وقال الذهبي في الميزان ٣٤٣/٤: إسماعيل هالك والخبر باطل. وابن الجوزي في الموضوعات ٣٢١/١ وقال قال أحمد بن حنبل: هذا حديث موضوع.

(٢) (٣٦٦٠) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب بعد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذا خليلا الخ.

(٣) ٧٤/٣ وقال: تفرد به حفص بن عمر العدني عن مسعر. وقال الذهبي: هو واهٍ جدا. قلت: ذكر ابن عدي هذا الحديث في ترجمة حفص بن عمر الأبلي أبي إسماعيل ٧٩٧/٢ عن مسعر عن عبد الملك بن عمير عن ربعي يقول: سمعت رسول الله ﷺ الخ.

قول الشيخين حجة وأنه يجب الاقتداء بهما.

(٢) فقد أخرج الحاكم[١] من حديث مسعر بن كدام عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وإذا حدثكم ابن أم عبد فصدقوه.

(٣) وفي رواية الترمذي[٢] من حديث سفيان عن عبد الملك بن عمير عن مولى لربعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ فقال: إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم. فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر. واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه.

استدلاله على خلافة عمر وأنه غلق الفتنة

(٤) فقد أخرج البخاري[٣] من حديث الأعمش قال حدثنا شقيق قال سمعت حذيفة يقول: بينما نحن جلوس عند عمر إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟قال: قلت فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفره الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال: ليس عن هذا أسألك. ولكن التي تموج كموج البحر. قال: ليس عليك منها بأس، يا أمير المؤمنين. إن بينك وبينها بابا مغلقا. قال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: لا، بل يكسر. قال عمر: إذا لا يغلق أبدا. قلت: أجل. قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما أعلم أن دون غد الليلة. وذاك أني حدثته حديثا ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأله من الباب؟ فأمرنا مسروقا، فسأله فقال: من الباب؟ قال: عمر.

(٥) وأخرج الحاكم[٤] من حديث سفيان عن منصور عن ربعي عن حذيفة قال: كان الإسلام في زمان عمر كالرجل المقبل لا يزداد إلا قربا. فلما قتل عمر كان كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعدا.

الاستدلال على خلافة عثمان ﷺ وأنه إذا قتل لا يستقيم أمر الخلافة.

(٦) فقد أخرج الترمذي[٥] عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري الأشهلي عن

---

(١) راجع ص ٦٣.

(٢) (٣٧٩٩) أبواب المناقب باب مناقب عمار بن ياسر وحسنه، وأحمد ٣٨٥/٥ وابن حبان كما في الموارد ص ٥٣٩ وابن أبي شيبة ١١/١٢ وابن ماجه (٩٧) كتاب السنة فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وابن أبي عاصم في السنة ٥٤٥/٢. راجع لتفصيله وشواهده سلسلة الصحيحة رقم ١٢٣٣.

(٣) راجع ص ٩٦.

(٤) ٨٤/٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وابن أبي شيبة ٣٩/١٢ وابن سعد.

(٥) (٢١٧٠) أبواب الفتن باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحسنه. وابن ماجه (٤٠٤٣) أبواب الفتن باب أشراط الساعة وأحمد ٣٨٩/٥ وضعفه الألباني في الضعيفة رقم ٢٠٤٦.

حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم، فتجتلدوا بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم.

قوله في الخارجين على عثمان رضي الله عنه

(٧) فقد أخرج الحاكم[١] عن ربعي بن حراش قال: انطلقت إلى حذيفة بالمدائن ليالي سار الناس إلى عثمان، فقال: يا ربعي ما فعل قومك؟ قلت: عن أي حالهم تسأل؟ قال: من خرج منهم إلى هذا الرجل فسميت له رجالا ممن خرج. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من فارق الجماعة واستذل الإمارة، لقي الله ولا حجة له عنده.

علي حقيق بالخلافة ولكن الأمة لا تجتمع عليه فلذلك لم يستخلفه النبي ﷺ.

(٨) فقد أخرج الحاكم[٢] من طريق شريك بن عبد الله عن عثمان بن عمير عن شقيق بن مسلمة عن حذيفة قال: قالوا يا رسول الله، لو استخلفت علينا؟ قال: إن استخلف عليكم خليفة فتعصوه ينـــزل العذاب. قالوا: لو استخلفت علينا عليا؟ قال: إنكم لا تفعلون. وإن تفعلوا تجدوه هاديا مهديا، يسلك بكم الطريق المستقيم.

الاستدلال على خلافتهم بالترتيب الذي بينه النبي ﷺ لدولة ملته

(٩) فقد أخرج أحمد[٣] في مسند النعمان بن بشير من حديث حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله تعالى. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون. ثم يرفعها الله تعالى. ثم تكون ملكا عاضا فتكون ما شاء الله أن تكون. ثم يرفعها الله تعالى. ثم يكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون. ثم يرفعها الله تعالى. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت.

٢٣- من مسند أبي ذر رضي الله عنه

التعريض الظاهر لخلافة المشايخ الثلاثة

(١) فقد ذكر المحب الطبري[٤] بروايات شتى عن سويد بن بريد السلمى قال:

---

(١) ١١٩/١ وصححه ووافقه الذهبي. ومنه أخذه الإمام المؤلف. وأحمد ٣٨٧/٥. ورجاله ثقات كما في المجمع ٢٢٢/٥.

(٢) ٧٠/٣ وقال الذهبي: عثمان أبواليقظان ضعفوه. وشريك شيعي لين الحديث. وله إسناد آخر ضعيف. راجع العلل المتناهية وتعليقنا عليه ٢٥١/١.

(٣) راجع ص ٥٠.

(٤) راجع ص ٩٢.

دخلت المسجد فرأيت أباذر جالسا فيه وحده. فاغتنمت ذلك. فذكر بعض القوم عثمان، فقال: لا أقول لعثمان أبدا إلا خيرا. لا أقول لعثمان أبدا إلا خيرا. لا أقول لعثمان أبدا إلا خيرا، بعد شيء رأيته عند رسول الله ﷺ. كنت أتبع خلوات رسول الله ﷺ أتعلم منه. فخرج ذات يوم حتى انتهى إلى موضع كذا وكذا،فجلس. فانتهيت إليه، فسلمت عليه وجلست إليه. فقال: يا أباذر ما جاء بك؟ قلت: الله ورسوله. إذ جاء أبوبكر فسلم وجلس عن يمين رسول الله ﷺ. فقال: يا أبابكر ما جاء بك؟ قال: الله ورسوله. ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبي بكر. فقال: يا عمر، ما جاء بك؟ قال: الله ورسوله. ثم جاء عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر. فقال: يا عثمان ما جاء بك؟ قال: الله ورسوله. قال: فتناول النبي ﷺ سبع حصيات أو تسع حصيات، فوضعهن في كفه. فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل. ثم وضعهن، فخرسن. فتناولهن النبي ﷺ فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن، فتناولهن النبي ﷺ فوضعهن في يد عمر، فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل. ثم وضعهن فخرسن. فتناولهن النبي ﷺ فوضعهن في يد عثمان. فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن.

عمر محدث يقتدى به فيما أمر وسن.

(٢) فقد أخرج الحاكم[١] من حديث هشام بن الغاز عن ابن عجلان ومحمد بن اسحق عن مكحول عن غضيف بن الحارث عن أبي ذر قال مر فتى على عمر فقال عمر: نعم الفتى. قال فتبعه أبوذر فقال: يا فتى استغفر لي! فقال: يا أباذر، أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: استغفرلي. قال: لا أو تخبرني. فقال: إنك مررت على عمر، فقال: نعم الفتى وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

٢٤- **ومن مسند المقداد بن الأسود** رضي الله عنه

مواعيد الله الظاهرة على يد الخلفاء

(١) فقد أخرج أحمد[٢] من حديث سليم بن عامر قال سمعت المقداد بن الأسود يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل. إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون لها.

---

(١) راجع ص ٥٩.

(٢) راجع ص ١١٩.

٢٥- ومن مسند **خباب بن الأرت** رضي الله عنه

مواعيد الله الظاهرة على يد الخلفاء

(١) فقد أخرج أبويعلى[١] من حديث إسماعيل عن قيس عن خباب قال شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد ببردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ فجلس محمرا وجهه فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه ما يصرفه عن دينه. أو يمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه عن دينه. وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لايخشى إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون.

٢٦- ومن مسند **بريدة الأسلمي** رضي الله عنه

أبوبكر صديق وصاحباه شهيدان.

(١) فقد أخرج أحمد[٢] عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان جالسا على حراء ومعه أبوبكر وعمر وعثمان، فتحرك الجبل. فقال رسول الله ﷺ: اثبت حراء، فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيدان[٣].

حديث خير القرون

(٢) فقد أخرج أحمد[٤] عن عبد الله بن خولة[٥] قال كنت أسير مع بريدة الأسلمي فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: خير هذه الأمة القرن الذي بعثت أنا فيه ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم[٦] **ثم يكون قوم تسبق شهادتهم أيمانهم، وأيمانهم شهادتهم.**

تفويض إمامة الصلاة إلى أبي بكر الصديق

(٣) فقد أخرج أحمد[٧] عن عبد الملك بن عمير عن ابن بريدة عن أبيه قال مرض

---

(١) رقم ٧١٧٨ ، والبخاري (٣٦١٢) كتاب المناقب باب علامات النبوة.
(٢) ٣٤٦/٥ والهيثمي في المجمع ٥٥/٩ وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٨٧٥.
(٣) وفي المراجع: شهيد.
(٤) ٣٥٧/٥ وأبويعلي باختصار ورجالهما رجال الصحيح. ورواه ابن حبان في الثقات ١/٨.
(٥) والصواب عبد الله بن مولة.
(٦) وزاد في المسند ثم الذين يلونهم.
(٧) ٣٦١/٥ وقال الهيثمي في المجمع ١٨١/٥: رجاله رجال الصحيح. ورواه ابن أبي شيبة ٢٨/١٢ مختصرا.

رسول الله ﷺ فقال: مروا أبابكر يصلى بالناس. فقالت عائشة: يا رسول الله أبي رجل رقيق فقال: مروا أبابكر يصلي بالناس. فإنكن صواحبات يوسف. فأم أبوبكر الناس.

مناقب عمر ﷺ

(٤) فقد أخرج أحمد[1] عن حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة قال سمعت أبي يقول أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالا فقال: أي بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي. إني دخلت البارحة الجنة، فسمعت خشخشتك. فأتيت على قصر من ذهب مرتفع مشرف، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من العرب. قلت: أنا عربي لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من المسلمين من أمة محمد ﷺ قلت: وأنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب. فقال: رسول الله ﷺ: لو لا غيرتك لدخلت القصر. فقال: يا رسول الله ﷺ: ما كنت لأغار عليك. وقال لبلال بم سبقتني إلى الجنة؟ فقال ما حدثت إلا توضأت، وصليت ركعتين. فقال رسول الله ﷺ بهذا.

(٥) وأخرج أحمد[2] عن حسين عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، أن أمة سوداء أتت رسول الله ﷺ ورجع من بعض مغازيه فقالت: إني كنت نذرت إن ردك الله صالحا أن أضرب عندك بالدف. قال: إن كنت فعلت فافعلي، وإن كنت لم تفعلي فلا تفعلي. فضربت ودخل أبوبكر وهي تضرب. ودخل غيره وهي تضرب. ثم دخل عمر فجعلت دفها خلفها، وهي مقنعة. فقال رسول الله ﷺ: إن الشيطان ليفرق منك يا عمر. أنا جالس ههنا فدخل هؤلاء فلما أن دخلت، فعلت ما فعلت.

٢٧- ومن مسند عقبة بن عامر رضي الله عنه

عمر محدث يقتدى برأيه.

(١) فقد أخرج الترمذي[3] عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ: لو كان نبي بعدي لكان عمر بن الخطاب.

---

(١) ٥/٣٥٤ والفضائل (٧١٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢٠٩) والحاكم في المستدرك: ١٣١٣، والبغوي في شرح السنة رقم ١٠١٢. والترمذي (٣٦٨٩) أبواب المناقب باب أتيت على قصر مربع مشرف من ذهب لعمر في الجنة، وقال: حسن صحيح غريب. وصحيح الترمذي للألباني رقم ٢٩١١ والنسائي في الكبرى وابن حبان في الموارد ص ٥٣٦، وابن أبي شيبة ١٢/٢٩.

(٢) راجع ص ٦٠.

(٣) راجع ص ٦٠.

المواعيد الظاهرة على يد الخلفاء

(٢) وقد أخرج أحمد[١] عن أبي الخير عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ خرج يوما، فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم خرج إلى المنبر، فقال: إني فرط لكم وإني شهيد عليكم. وإني والله أنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض. وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها.

(٣) وأخرج أحمد[٢] من حديث عمرو بن الحارث عن أبي علي عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺقال: ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله عز وجل فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه.

٢٨- ومن مسند سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

الاستدلال على خلافة الخلفاء الأربعة بتحديد مدها

(١) أخرج الترمذي[٣] من حديث سعيد بن جمهان قال حدثني سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك. ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر. ثم قال: وخلافة عمر، وخلافة عثمان. ثم قال: أمسك خلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة قال سعيد: فقلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم. قال كذبوا بنو الزرقاء،بل هم ملوك شر الملوك.

الاستدلال على خلافة المشايخ الثلاثة برؤيا الميزان

(٢) فقد أخرج الحاكم[٤] عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى أم سلمة قال كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح أقبل على أصحابه فقال: أيكم رأى رؤيا؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله؛ كأن ميزانا نـــزل به من السماء، فوضعت في كفة ووضع أبوبكر في كفة أخرى. فرجحت بأبي بكر. فرفعت، وترك أبوبكر مكانه. فجيئ بعمر بن الخطاب فوضع في الكفة

---

(١) ١٤٩/٤ والبخاري (١٣٤٤) كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهيد، ومسلم (٦١١٧) كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته.

(٢) ١٥٧/٤ ومسلم (٤٩٤٧) كتاب الإمارة باب فضل الرمي والحث عليه الخ.

(٣) راجع ص ٥٠.

(٤) ٧١/٣ وصححه. وأبوداود (٤٦٤٦) كتاب السنة باب في الخلفاء والترمذي (٢٢٢٦) أبواب الفتن باب ما جاء في الخلافة والنسائي في السنن الكبرى رقم ٨٠٩٩ وأحمد ٢٢٠/٥، وفي فضائل الصحابـــة رقم ٧٨٩، وأبويعلى في المفاريد رقم ١٠٣ والألباني في الصحيحة رقم ٤٦٠ مختصراً.

الأخرى. فرجح أبوبكر ثم رفع أبوبكر ووضع عثمان فرجح عمر ثم رفع عمر ورفع الميزان. قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم قال: خلافة النبوة ثلاثون عاما. ثم يكون ملك. قال سعيد بن جمهان: فقال لي سفينة: أمسك سنتي أبي بكر وعشرا عمر وثنتي عشرة عثمان وستا علي[١].

٢٩- ومن مسند العرباض بن سارية رضي الله عنه

وجوب اتباع سنن الخلفاء الراشدين

(١) فقد أخرج ابن ماجه[٢] من حديث عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن ضمرة بن حبيب عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية يقول: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب. فقلنا يا رسول الله: إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ منها بعدي إلا هالك. من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا. فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة، وإن عبدا حبشيا. فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيث ما قيد انقاد.

مواعيد الله الظاهرة على يد الخلفاء

(٢) فقد أخرج أحمد[٣] من طريق إسماعيل بن عياش عن ضمضم عن شريح بن عبيد قال: قال العرباض ابن سارية: كان النبي ﷺ يخرج إلينا، وعلينا الحوتكية[٤] فيقول: لو تعلمون ما ذخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم وليفتحن لكم فارس والروم.

٣٠- من مسند عبد الرحمن بن غنم الأشعري رضي الله عنه

تصويب رأي الشيخين وأن رأيهما حجة والإشارة إلى خلافتهما

(١) فقد أخرج أحمد[٥] من حديث عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما.

---

(١) في المستدرك: ست علي.

(٢) راجع ص ٦٧.

(٣) ١٢٨/٤ وقال الهيثمي في المجمع ٢٦٠/١٠: رجاله وثقوا. وأبونعيم في الحلية ١٤/٢ والطبراني في مسند الشاميين رقم ١٦٤٧ وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٢١٦٨ وصحيح الترغيب رقم ٣٢٠٨.

(٤) أي ملابس قصيرة رخيصة.

(٥) ٢٢٧/٤ وقال الهيثمي في المجمع ٥٢/٩: رجاله ثقات. إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ. وضعفه الألباني في الضعيفة رقم ١٠٠٨.

الخلافة حق المهاجرين الأولين دون الطلقاء.

(٢) فقد أخرج أبوعمر في الاستيعاب[١] أن عبد الرحمن بن غنم عاتب أباهريرة وأبا الدرداء بحمص إذا انصرفا من عند علي رسولين لمعاوية. وكان مما قال لهما: عجبا منكما كيف جاز عليكما ما جئتما به؟ تدعوان عليا إلى أن يجعلها شورى؟ وقد علمتما أنه قد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق، وأن من رضيه خير ممن كرهه. ومن بايعه خير ممن لم يبايعه. وأي مدخل لمعاوية في الشورى؟! وهو من الطلقاء الذين لا يجوز لهم الخلافة. وهو وأبوه رؤس الأحزاب. فندما على مسيرهما وتابا بين يديه.

٣١- من مسند أبي أروى الدوسي رضي الله عنه

الاستدلال على خلافة الشيخين وأن مواعيد الله لنبيه ﷺ ستظهر على يدهما

(١) فقد أخرج الحاكم[٢] من طريق سهيل بن أبي صالح ومحمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي أروى الدوسي قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ فاطلع أبوبكر وعمر ﵄، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي أيدني بهما.

٣٢- من مسند أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

ثناء الله على الشيخين أبي بكر وعمر

(١) أخرج الحاكم[٣] من حديث موسى بن عمير قال: سمعت مكحولا يقول وسأله رجل عن قول الله عز وجل ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، قال: حدثني أبوأمامة أنه قال: الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين أبوبكر وعمر.

---

(١) راجع ص ٥٦.

(٢) ٧٤/٣ وقال: صحيح الإسناد. لكن الذهبي قال: عاصم واه. وقال الحافظ في الإصابة ٥/٧: سنده ضعيف. والبزار والطبراني أيضا وفيه عاصم بن عمر بن حفص وثقه ابن حبان وقال: يخطئ ويخالف، وضعفه الجمهور. وبقية رجاله ثقات كما في المجمع ٥٢/٩. قلت: أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة رقم ٣٧، ٥٧٨ والدولابي في الكنى ١٦/١ والطبراني في الأوسط رقم ٦٢٥٨ وفي موضع آخر عن البراء رقم ٧٢٩٥ لكن فيه زيادة وقد ضعفه الألباني في الضعيفة رقم ١٠٠٨.

(٣) ٦٩/٣ وقال: صحيح الإسناد. لكن الذهبي قال: موسى بن عمير واه.

(٤) سورة التحريم: ٤.

٣٣- من مسند سالم بن عبيد الأشجعي رضي الله عنه

إمامة أبي بكر الصديق في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم

(١) أخرج ابن ماجه[1] من حديث نبيط بن شريط عن سالم بن عبيد قال: أغمي على رسول الله ﷺ في مرضه، فقال: أحضرت الصلاة؟ قالوا: نعم. قال: مروا بلالا فليؤذن، ومروا أبابكر فليصل بالناس. ثم أغمي عليه فأفاق. فقال: أ حضرت الصلاة؟ قالوا: نعم. قال: مروا بلالا فليؤذن، ومروا أبابكر فليصل بالناس. فقالت عائشة: إن أبي رجل أسيف. فإذا قام مقامك يبكي، لا يستطيع. فلو أمرت غيره؟ ثم أغمي عليه فأفاق. فقال: مروا بلالا فليؤذن ومروا أبابكر فليصل بالناس. فإنكن صواحب يوسف. قال: فأمر بلال فأذن، وأمر أبوبكر فصلى بالناس. ثم إن رسول الله ﷺ وجد خفة، فقال: انظروا لي من أتكئ عليه. فجاءت بريرة ورجل آخر، فاتكأ عليهما. فلما رآه أبوبكر ذهب لينكص. فأوما إليه أن اثبت مكانك. ثم جاء رسول الله ﷺ إلى جنب أبي بكر حتى قضى أبوبكر صلاته. ثم إن رسول الله ﷺ قبض.

٣٤- من مسند عرفجة الأشجعي رضي الله عنه

حديث وزن المشايخ الثلاثة

(١) فقد أخرج أبوعمر[2] عن قطيبة بن مالك عن عرفجة الأشجعي قال: صلى بنا النبي ﷺ الفجر ثم جلس فقال: وزن أصحابي الليلة، وزن أبوبكر فوزن، ثم وزن عمر فوزن، ثم وزن عثمان فخف، وهو رجل صالح.

٣٥- من مسند عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه

نظر الله إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم.

(١) فقد أخرج مسلم[3] عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته

---

(١) (١٢٣٤) أبواب الصلاة باب ما جاء في صلاة رسول الله ﷺ في مرضه وقال: غريب لم يحدث به غير نضر بن علي. والترمذي (٣٩٧) في الشمائل باب ما جاء في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. والنسائي في الكبرى (٧٠٨١) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٢٨٧/٧ رقم ٢٤٣٩ مطولا أيضا.

(٢) راجع ص ٧٠.

(٣) راجع ص ٥٣.

عبدا حلال. وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاحتالتهم[١] عن دينهم. وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنـــزل به سلطانا. وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنـــزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرأه نائما ويقظان. وإن الله أمرني أن أحرق قريشا. فقلت: رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة. قال: استخرجهم كما أخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسننفق[٢] عليك. وابعث جيشا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، الحديث.

٣٦- من مسند ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه

منـــزلة أبي بكر الصديق عند النبي ﷺ وأصحابه

(١) أخرج أحمد[٣] من حديث أبي عمران الجوني عن ربيعة الأسلمي فذكر حديثا طويلا، آخره: ثم قال: إن رسول الله ﷺ أعطاني بعد ذلك أرضا وأعطى أبابكر أرضا[٤]. وجاءت الدنيا، فاختلفنا في غدق[٥] نخلة. فقلت أنا: هي في حدي. قال أبوبكر: هي في حدي. فكان بيني وبين أبي بكر كلام. فقال لي أبوبكر كلمة كرهها وندم. فقال لي يا ربيعة رد علي مثلها حتى تكون قصاصا. قال: قلت: لا أفعل. فقال لي أبوبكر: لتقولن لي[٦] أو لأستعدين عليك رسول الله ﷺ. فقلت: ما أنا بفاعل. قال: وربض الأرض[٧] وانطلق أبوبكر ﷺ إلى النبي ﷺ وانطلقت أتلوه. فجاء ناس من أسلم، فقالوا لي: رحم الله أبابكر في أي شئ يستعدي عليك رسول الله ﷺ ؟! وهو قال لك ما قال. قال: فقلت أتدرون من هذا؟ هذا أبوبكر الصديق، هذا ثاني اثنين، وهذا ذو شيبة المسلمين. إياكم، لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب فيأتي رسول الله ﷺ فيغضب بغضبه[٨] فيغضب الله عز وجل بغضبهما،[٩] فيهلك ربيعة. قالوا: ما تأمرنا؟ قال:

---

(١) في مسلم: فاجتالتهم.
(٢) في مسلم: فسينفق.
(٣) ٥٨/٤ وفي فضائل الصحابة رقم ٤٨١ والطبراني وفيه مبارك بن فضالة وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات، قاله الهيثمي في المجمع ٤٥/٩.
(٤) في المسند: وأعطاني أبوبكر أرضا. والصواب ما في الإزالة، وهكذا في المجمع.
(٥) في المراجع: عذق.
(٦) في المسند: فقال أبوبكر لتقولن.
(٧) في المسند: رفض.
(٨) وفي المسند: لغضبه.
(٩) في المسند: لغضبها.

ارجعوا. فانطلق أبوبكر ﷺ إلى رسول اللهﷺ، فتبعته وحدي حتى أتى النبي ﷺ فحدثته[١] الحديث كما كان. فرفع إلي رأسه، فقال: يا ربيعة ما لك وللصديق؟ قلت: يا رسول الله كان كذا[٢]. قال لي كلمة كرهها، فقال لي: قل كما قلت حتى يكون قصاصا. فأبيت. فقال رسول الله ﷺ: أجل، فلا ترد عليه. ولكن قل: غفر الله لك يا أبابكر. فقلت: غفر الله لك يا أبابكر. قال الحسن. فولى أبوبكر ﷺ وهو يبكي.

٣٧- ومن مسند أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه

الإمارة في قريش.

(١) أخرج أحمد[٣] عن سيار بن سلامة قال دخلت مع أبي على أبي برزة الأسلمي فقال: قال رسول الله ﷺ: الأمراء من قريش، الأمراء من قريش، الأمراء من قريش. لكم عليهم حق، ولهم عليكم حق ما فعلوا ثلاثا: ما حكموا فعدلوا، واسترحموا فرحموا، وعاهدوا فوفوا. فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

٣٨- ومن مسند عمرو بن عبسة رضي الله عنه

تقدم أبي بكر الصديق في الإسلام

(١) أخرج أحمد[٤] من حديث سليم بن عامر وغيره عن عمرو بن عبسة قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بعكاظ. فقلت: من تبعك على هذا الأمر؟ فقال: حر وعبد ومعه أبوبكر وبلال. فقال لي: ارجع حتى يمكن الله عز وجل لرسوله.

(٢) وأخرج أحمد[٥] من طريق عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن عن عمرو بن عبسة

---

(١) في المسند: فحدثه.

(٢) في المسند: كان كذا كان كذا.

(٣) ٤٢١/٤ وأبويعلى رقم ٣٦٣٣ أتم منه والبزار كما في الكشف ٢٣٠/٢. ورجال أحمد رجال الصحيح خلا سكين بن عبد العزيز وهو ثقة. قلت: وهو عند أحمد ٢٤/٤ أيضا نحو حديث أبي يعلى. وقال الألباني في صحيح الترغيب رقم ٢١٨٩ صحيح لغيره وراجع الإرواء ٣٠١/٢.

(٤) ٣٨٥/٤ والنسائي (٥٨٥) كتاب المواقيت باب إباحة الصلاة إلى أن يصلى الصبح، وابن ماجه (١٣٦٤) أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل ورجاله ثقات. والحاكم في المستدرك ٦١٧/٣ والطبراني في الأوسط ٢٦٧/١ رقم ٤٢٤ وفي مسند الشاميين ٣١٦/٢ رقم ١٤١.

(٥) ١١٤/٤ ورجاله ثقات. وابن سعد في الطبقات ٢١٥/٤ وأبونعيم في معرفة الصحابة رقم ٤٩٧٥.

قال أتيت النبي ﷺ فقلت: من تابعك على أمرك هذا؟ قال: حر وعبد يعني أبابكر وبلالا. وكان عمرو يقول بعد ذلك: فلقد رأيتني، وإني لربع الإسلام.

٣٩- ومن مسند **سلمان الفارسي** رضي الله عنه

فضل عمر رضي الله عنه

(١) أخرج الحاكم[١] من طريق عمران بن خالد الخزاعي البناني عن أنس بن مالك قال: دخل سلمان الفارسي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو متكئ على وسادة، فألقاها له. فقال سلمان: صدق الله ورسوله. فقال عمر: حدثنا يا أبا عبد الله. قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة، فألقاها إلي وقال لي: يا سلمان، ما من مسلم يدخل على أخيه المسلم فيلقي له وسادة إكراما له إلا غفر الله له.

٤٠- ومن مسند **ذي مخمر** رضي الله عنه

الخلافة في قريش.

(١) أخرج أحمد[٢] عن أبي حي عن ذي مخمر أن رسول الله ﷺ قال: كان هذا الأمر في حمير، فنـــزعه الله عز وجل منهم، فجعله في قريش وسيعود إليهم.

٤١- ومن مسند **عوف بن مالك الأشجعى** رضي الله عنه

صفة الخلافة الراشدة

(١) أخرج مسلم[٣] عن عوف بن مالك الأشجعى عن رسول الله ﷺ قال: خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم. قال: قلنا يا رسول الله، أ فلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة. لا ما أقاموا فيكم الصلاة. ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئا

---

(١) ٥٦٩/٣ والطبراني رقم ٦٠٦٨ وفي الأوسط رقم ١٥٩٩ والصغير ٢٦٩/١ وفيه عمران بن خالد الخزاعي وهو ضعيف كما في المجمع ١٧٤/٨.

(٢) ٩١/٤ والطبراني في الكبير رقم ٤٢٢٧ ورجالهما ثقات كما في المجمع ١٩٣/٥. وفي مسند الشاميين ١٣٥/٢، ١٠٥٧ والبخاري في التاريخ الكبير ٢٦٤/٣ رقم ٩٠٦ ونعيم بن حماد في الفتن ٣٨٤/١ رقم ١١٥٤ وابن أبي عاصم في السنة رقم ١١١٥ وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٢٠٢٢.

(٣) (٤٨٠٥) كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم، والدارمي ٣٢٤/٢ وأحمد ٢٤/٦.

من معصية الله تعالى، فليكره ما يأتي من معصية الله تعالى، ولا ينـــزعنّ يدا من طاعته.

(٢) وأخرج أبوعمر[١] عن عبد الملك بن عمير قال حدثني أبوبردة وأخي عن عوف بن مالك الأشجعي أنه رأى في المنام كأن الناس جمعوا فإذا فيهم رجل فرعهم فهو فوقهم ثلاث[٢] أذرع. قال فقلت: من هذا؟ قال: [٣] عمر. قلت: لم؟ قالوا: لأن فيه ثلاث خصال؛ لأنه لا يخاف في الله لومة لائم، وأنه خليفة مستخلف وشهيد مستشهد، قال فأتى أبابكر[٤] فقصها عليه. فأرسل إلى عمر، فدعاه ليبشره. قال: فجاء عمر. قال: فقال لي أبوبكر: اقصص[٥] رؤياك. فقصصتها قال: فلما بلغت: خليفة مستخلف زبرني عمر، وكهرني[٦] وقال: اسكت تقول هذا وأبوبكر حي؟ قال فلما كان بعد، وولي عمر مررت بالشام[٧] وهو على المنبر. قال: فدعاني وقال: اقصص رؤياك. فقصصتها، فلما قلت له: لا يخاف في الله لومة لائم. قال: إني لأرجو أن يجعلني الله منهم. قال فلما قلت: خليفة مستخلف، قال: قد استخلفني الله فسله أن يعينني على ما ولاني. فلما أن ذكرت شهيد مستشهد، قال أنى لي بالشهادة؟ وأنا بين أظهركم تغزون ولا أغزو ثم قال: بلى يأتي الله بها إن شاء الله.

٤٢- ومن مسند عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه

حب الصحابة

(١) أخرج أحمد[٨] عن عبد الله بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مغفل المزني قال: قال رسول الله ﷺ: أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي. فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم. ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه.

---

(١) الاستيعاب في ترجمة عمر بن الخطاب ﷺ ٢/٤٢٠.
(٢) في الاستيعاب: بثلاثة.
(٣) في الاستيعاب: قالوا فأتي أبابكر.
(٤) في الاستيعاب: فأتى إلى أبي بكر.
(٥) في الاستيعاب: اقص.
(٦) فيه: فانتهرني.
(٧) فيه: بالمسجد.
(٨) ٤/٨٧، وفضائل الصحابة رقم ٣، ٤ والترمذي (٣٨٦٢) أبواب المناقب باب من سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: حسن غريب. وفي تحفة الأشراف: غريب. وهو الصواب. وابن حبان كما في الإحسان رقم ٧٢١٢ وابن أبي عاصم في السنة رقم ٩٩٢ والخلال في السنة رقم ٧٦٨ مختصراً والشريعة رقم ١٩٩١ واللآلكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم ٢٣٤٦ والبغوي في شرح السنة رقم ٣٨٦٠ والألباني في ضعيف الموارد رقم ٢٨٧ والضعيفة رقم ٢٩٠١، وقال: ضعيف.

٤٣- ومن مسند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم

فضل عثمان رضي الله عنه

(١) أخرج أحمد[١] من حديث ابن جريج عن أبي خالد عن عبد الله بن أبي سعيد المزني قال: حدثتني حفصة ابنة عمر بن الخطاب قالت: كان رسول الله ﷺ ذات يوم قد وضع ثوبا بين فخذيه. فجاء أبوبكر فاستأذن، فأذن له وهو على هيئته. ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له. ثم جاء ناس من أصحابه والنبي ﷺ على هيئته ثم جاء عثمان فاستأذن، فأذن له. فأخذ ثوبه، فتجلله. فتحدثوا، ثم خرجوا. قلت: يا رسول الله جاء أبوبكر وعمر وعلي وسائر أصحابك، وكنت على هيئتك. فلما جاء عثمان تجللت بثوبك. فقال: ألا أستحي ممن يستحي منه الملائكة؟

بشارة أهل بدر وأهل الحديبية بالجنة

(٢) أخرج مسلم[٢] عن حفصة قالت: قال رسول الله ﷺ: إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية. قلت: يا رسول الله، أ ليس قد قال الله ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[٣] وقال: فلم تسمعيه يقول ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾[٤]

وفي رواية: لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها[٥]

---

(١) ٢٨٨/٦ وفضائل الصحابة رقم ٧٤٨ والطبراني في الكبير ٤٠٠/٢٣ والأوسط رقم ٨٩٢٧ وأبويعلى رقم ٧٠٥٣ باختصار كثير، وإسناده حسن كما في المجمع ٨٢/٩ وابن أبي عاصم في السنة ٥٨٨/٢. والبخاري في التاريخ الكبير ١٠٤/٥ والهيثمي في بغية الباحث ٨٩٦/٢ رقم ٩٧٢ وأبونعيم في معرفة الصحابة ٧١/١، ٧٢ رقم ٢٨٠ وابن بشران في أماليه رقم ٦٢٢ والبيهقي في السنن الكبـــرى ٢٣١/٢. وله شاهد من حديث عائشة عند مسلم (٦٢٠٩) أبواب فضائل الصحابة باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) (٦٤٠٤) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة بدون هذا اللفظ. نعم رواه أحمد ٢٨٥/٦ و ٣٦٢ ورجاله ثقات. وابن ماجه (٤٢٨١) أبواب الزهد باب ذكر البعث، ومصباح الزجاجة رقم ١٥٣٢ وابن أبي عاصم في السنة ٨٦٠/٢ والبغوي في شرح السنة رقم ٣٩٩٤ وأبويعلى رقم ٧٠٠٩ والطبراني في المعجم الكبير ٢٠٦/٢٣، والطبري في تفسيره ١١٢/١٦.

(٣) سورة مريم: ٧١.

(٤) سورة مريم: ٧٢.

(٥) مسلم (٦٤٠٤) أبواب فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة.

مسانيد الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ

٤٤- من مسند معاذ بن جبل رضي الله عنه في المشكاة

الخلافة الراشدة رحمة.

(١) عن أبي عبيدة ومعاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال: إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة. ثم يكون خلافة ورحمة، ثم ملكا عضوضا، ثم كائن جبرية وعتوا وفسادا في الأرض، يستحلون الحرير والفروج والخمور يرزقون على ذلك، وينصرون حتى يلقوا الله، رواه البيهقي في شعب الإيمان[١].

٤٥- ومن مسند أبي بن كعب رضي الله عنه

فضل عمر رضي الله عنه

(١) أخرج الحاكم[٢] من حديث يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب قال سمعت النبي ﷺ يقول: أول من يعانقه الحق يوم القيامة عمر، وأول من يصافحه الحق يوم القيامة عمر، وأول من يؤخذ بيده فينطلق به إلى الجنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٤٦- ومن مسند أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه

بشارة بفتوح الأمصار

(١) أخرج الحاكم[٣] عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي أيوب عن النبي ﷺ قال: إني رأيت في المنام غنما سودا دخلت فيها غنم عفر. يا أبابكر اعبرها. فقال أبوبكر: يا رسول الله هي

---

(١) رقم ٥٦١٦ وأبويعلى رقم ٨٧٠، والبزار في مسنده رقم ١٢٨٢ وأبونعيم في الدلائل ص ٢٠٠ وفي معرفة الصحابة رقم ٥٩٣ والطيالسي في مسنده رقم ٢٢٨ ونعيم بن حماد في الفتن رقم ٢٣٥ والطبراني في المعجم الكبير رقم ٣٦٧ والحافظ في المطالب ٥٧٤/٩ وعزاه للطيالسي. والمشكاة ص ٤٦٠ باب الإنذار والتحذير في الفصل الثاني. وقال الهيثمي في المجمع ١٨٩/٥: فيه ليث وهو ثقة لكنه مدلس وبقية رجاله ثقات. قلت: هو صدوق اختلط أخيرا ولم يتميز حديثه فترك، كما قال الحافظ في التقريب ص ٤٣٢. قوله: مدلس، لم أجد سلفه. وقد روى بعضه ابن أبي عاصم في السنة رقم ١١٣٠ وتعقبه الألباني أيضا لكنه صححه لشواهده راجع السنة لابن أبي عاصم.

(٢) ٨٤/٣ وسكت عنه، قال الذهبي في التلخيص: موضوع وفي إسناده كذاب. وابن ماجه (١٠٤) كتاب السنة فضل عمر رضي الله عنه والبوصيري في مصباح الزجاجة رقم ٣٩. وأحمد في فضائل الصحابة رقم ٦٣٠ والطبراني في المعجم الأوسط رقم ٥٥٨٠ وابن الجوزي في العلل المتناهية ١٩٢/١ والذهبي في الميزان رقم ٢٦٣١ وقال الألباني في الضعيفة رقم ٢٤٨٥: منكر جداً.

(٣) ٣٩٥/٤ وله شواهد، راجع الصحيحة رقم ١٠١٨.

العرب تتبعك ثم تتبعها العجم حتى تغمرها. فقال النبي ﷺ هكذا عبرها الملك سحر[١].

٤٧- ومن مسند أبي الدرداء رضي الله عنه

التعريض الظاهر لخلافة الشيخين.

(١) أخرج الحاكم[٢] عن سعيد بن جبير عن أبي الدرداء قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة خفيفة فلما فرغ من خطبته قال: يا أبابكر قم فاخطب. فقام أبوبكر فخطب فقصر دون النبي ﷺ. فلما فرغ أبوبكر من خطبته، قال: يا عمر قم فاخطب. فقام عمر فخطب فقصر دون النبي ﷺ ودون أبي بكر.

منـــزلة أبي بكر الصديق عند النبي ﷺ وأصحابه

(٢) أخـــرج البخاري[٣] عن بسر بن عبيد الله عن عائذ الله أبي إدريس عن أبي الدرداء قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبوبكر آخذا بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه. فقال النبي ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر. فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه. ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك فقال: يغفر الله لك يا أبابكر ثلاثا. ثم إن عمر ندم، فأتى منـــزل أبي بكر فسأل: أ ثم أبوبكر؟ قالوا: لا، فأتى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبوبكر، فجثى على ركبتيه. فقال: يا رسول الله ﷺ، والله أنا كنت أظلم، مرتين. فقال النبي ﷺ: إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت. وقال أبوبكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله. فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟ مرتين، فما أوذي بعدها.

٤٨- ومن مسند أسيد بن الحضير رضي الله عنه

منـــزلة أبي بكر عند الصحابة

(١) أخرج البخاري[٤] عن مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة في قصة نـــزول آية التيمم فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر.

---

(١) وفي المستدرك: بسحر.

(٢) ٨٦/٣ وقال: صحيح الإسناد، لكن قال الذهبي: منقطع.

(٣) البخاري (٣٦٦١) كتاب فضائـــل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب بعد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذا خليلا الخ.

(٤) (٣٣٤) أول كتاب التيمم.

لا تكون الأثرة إلا بعد عمر

(٢) أخرج أبويعلى[(١)] من طريق محمود بن لبيد عن ابن شفيع وكان طبيبا عن أسيد بن الحضير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنكم ستلقون أثرة بعدي. فلما كان عمر بن الخطاب قسم حللا بين الناس. فبعث إلي منها بحلة فاستصغرتها، فأعطيتها ابنين. فبينا أنا أصلي، إذ مر بي شاب من قريش عليه حلة من تلك الحلل نحوها. فذكرت قول رسول الله ﷺ: إنكم ستلقون أثرة بعدي، فقلت: صدق الله ورسوله. فانطلق رجل إلى عمر فأخبره فجاء وأنا أصلي، فقال: صل يا أسيد. فلما قضيت صلاتي قال: كيف قلت؟ فأخبرته. فقال: تلك حلة بعثت بها إلى فلان وهو بدري أحدي عقبي. فأتاه هذا الفتى فابتاعها منه فلبسها. فظننت أن ذاك يكون في زماني؟ قلت: قد والله يا أمير المؤمنين، ظننت أن ذاك لا يكون في زمانك.

٤٩- من مسند **زيد بن ثابت** رضي الله عنه

المهاجرون أولى بالخلافة من غيرهم.

(١) أخرج الحاكم[(٢)] من حديث وهيب عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلا منكم، قرن معه رجلا منا. فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان: أحدهما منكم والآخر منا. قال: فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك. فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين. فإن[(٣)] الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ. فقام أبوبكر ﷺ فقال: جزاكم الله خيرا يا معشر الأنصار وثبت قائلكم. ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم. ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم، فبايعوه. ثم انطلقوا. فلما قعد أبوبكر على المنبر نظر في وجوه القوم. فلم ير عليا. فسأل عنه. فقام ناس من الأنصار فأتوا به. فقال أبوبكر: ابن عم رسول الله

---

(١) رقم ٩٤١ ومن طريقه ابن حبان في الموارد ص ٥٧١ وضعيف الموارد للألباني رقم ٢٨٨ وعزاه الهيثمي في المجمع ٣٣/١٠ إلى أحمد فقط وقال: رجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس وهو ثقة، قلت: لم أجده في المسند في مسند أسيد ﷺ. ولعله وهم من الهيثمي وذكره الحافظ في المطالب ١٤٢/٤ وعزاه لأبي يعلى.

(٢) ٧٦/٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين والبيهقي في الاعتقاد ص ١٧٧ ومن طريقه ابن كثير في البداية ٣٠١/٦. وأحمد في المسند ١٨٥/٥ وابن سعد في الطبقات ٢١٢/٣ والطبراني في المعجم الكبير ١٢٢/٥ والهيثمي في المجمع ١٨٣/٥ وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) وفي المستدرك: وإن.

ﷺ وختـــنه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟! فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺفبايعه. ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاءوا به. فقال: ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين؟! فقال: لا تثريب[١] يا خليفة رسول الله ﷺ، مثل قوله، فبايعاه[٢].

هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه.

٥٠- ومن مسند زيد بن خارجة رضي الله عنه

تكلمه بعد موته بفضائل المشايخ الثلاثة

(١) أخرج أبوعمر[٣] من طريق سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج توفي في زمن عثمان بن عفان. فسجي بثوب. ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم. فقال: أحمد أحمد في الكتاب الأول[٤]. صدق صدق أبوبكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الأول. صدق صدق عمر ابن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول. صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت سنتان. أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بير أريس[٥] وما بير أريس؟

(٢) قال يحيى بن سعيد قال سعيد بن المسيب: ثم هلك رجل من بني خطمة فسجي بثوب. فسمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق.

قال أبوعمر: وكانت وفاته في خلافة عثمان. وقد عرض مثل قصته لأخي ربعي بن حراش.

٥١- ومن مسند رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه

فضل أهل بدر

(١) أخرج البخاري[٦] عن رفاعة بن رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها. قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة.

---

(١) في المستدرك: فقال مثل قوله: لا تثريب.

(٢) قد وقع تقديم وتأخير في نقل الكلام. فإن في المستدرك "مثل قوله" بعد "فقال".

(٣) الاستيعاب في ترجمة زيد ١٩٢/١ وابن أبي الدنيا في كتاب "من عاش بعد الموت" وابن كثير في البداية ١٥٦/٦.

(٤) الكتاب الأول قد يراد به الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل أو اللوح المحفوظ.

(٥) لعل هذا الخبر يشير إلى ما كان من أمر عثمان إذ كان يلبس خاتما للرسول صلى الله عليه وسلم، ففي آخر أيام خلافتـــه سقط الخاتم في بئر أريس، فأخرجوا ماءه بـــحثا عن الخاتم لكنهم لم يجدوه، وقد تفككت عرى الخلافة بعد ما فقد الخاتم وبغى القوم عليه.

(٦) راجع ص ٥٦.

٥٢- من مسند رافع بن خديج رضي الله عنه

فضل أهل بدر

(١) أخرج ابن ماجه[1] من حديث سفيان عن يحيى بن سعيد عن عباية بن رفاعة عن جده رافع بن خديج قال: جاء جبريل أو ملك إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون من شهد بدرا فيكم؟ قالوا: خيارنا. قال: كذلك هم عندنا خيار الملائكة.

٥٣- ومن مسند أبي سعيد المعلى رضي الله عنه

خطبة النبي ﷺ في مناقب أبي بكر الصديق ﷺ

(١) أخرج الترمذي[2] عن عبدالملك بن عمير عن أبي المعلى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال: إن رجلا صالحا خيره ربه بين أن يعيش في الدنيا ما شاء ويأكل في الدنيا ما شاء أن يأكل، وبين لقاء ربه. فاختار لقاء ربه. قال: فبكى أبوبكر. فقال أصحاب النبي ﷺ: ألا تعجبون من هذا الشيخ؟ إذ ذكر رسول الله ﷺ أن رجلا صالحا خيره ربه بين الدنيا وبين لقاء ربه، فاختار لقاء ربه. قال: فكان أبوبكر أعلمهم بما قال رسول الله ﷺ. فقال أبوبكر: بل نفديك بآبائنا وأموالنا. فقال رسول الله ﷺ: ما من الناس أحد أمن إلينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة. ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابن أبي قحافة خليلا. ولكن ود وإخاء إيمان، مرتين أو ثلاثا. وإن صاحبكم خليل الله.

٥٤- ومن مسند البراء بن عازب رضي الله عنه

بشارة بفتوح الأمصار

(١) أخرج أبويعلى[3] عن أبي عبد الله ميمون عن البراء قال: أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق. قال: فعرض لنا صخرة لا يأخذ فيه المعاول. فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ. قال: فأخذ

---

(١) (١٦٠) كتاب السنة فضل أهل بدر ورجاله ثقات، ومصباح الزجاجة رقم ٥٨ وابن أبي شيبة في المسند رقم ٧٧ وأحمد ٤٦٥/٣. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ٣٠٨٦.

(٢) (٣٦٥٩) أبواب المناقب باب: لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا، وقال: غريب. وأحمد ٢١١/٤، ٢١٢ وفيه ابن أبي المعلى الذي قال عنه في التقريب: لا يعرف. وأحمد في فضائل الصحابة رقم ٢٣٤، والطبراني في المعجم الكبير ٢٢ رقم ٨٢٥ وضعيف الترمذي رقم ٧٥٣، لكن الحديث صحيح.

(٣) المسند رقم ١٦٨١ والنسائي في الكبرى رقم ٨٨٠٣ وأحمد ٣٠٣/٤ وأبونعيم ص ١٨٠ والبيهقي في الدلائل ٤٢١/٣، وقال الهيثمي في المجمع ١٣٠/٨: رواه أحمد وفيه ميمون أبوعبد الله وثقه ابن حبان وضعفه جماعة. وبقية رجاله ثقات.

المعول. قال وأحسبه قال: ووضع ثوبه فضرب ضربة وقال: بسم الله، فكسر ثلث الصخرة. ثم قال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام. إني لأنظر إلى قصورها الحمر من مكاني هذا. ثم قال: بسم الله، وضرب أخرى فكسر ثلثيها وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس. والله إني لأنظر إلى المدائن وقصورها البيض من مكاني هذا. ثم قال: بسم الله وضرب أخرى وكسر بقية الحجر. وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن. والله إني لأنظر إلى مفاتيح صنعاء من مكاني هذا.

٥٥- من مسند أم حرام الأنصارية رضي الله عنها

بشارة بغزوة البحر فكانت في خلافة عثمان ﷺ

(١) أخرج البخاري[١] عن خالد بن معدان أن عمير بن الأسود العنسي حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت ﷺ وهو نازل في ساحل حمص وهو في بناء له ومعه أم حرام. قال عمير فحدثتنا أم حرام رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول: أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا. قالت أم حرام قلت: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم. قالت: ثم قال النبي ﷺ: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم. قلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا.

٥٦- ومن مسند سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه

إثبات الصديقية لأبي بكر والشهادة لهما

(١) أخرج أبويعلى[٢] عن عبد الرزاق عن معمر عن أبي حازم عن سهل بن سعد أن أحدا ارتج وعليه رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمر وعثمان، فقال رسول الله ﷺ: اثبت أحد، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان.

منـــزلة أبي بكر عند النبي ﷺ

(٢) أخرج أبويعلى[٣] عن حماد بن زيد عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: كان

---

(١) (٣٩٢٤) كتاب الجهاد باب ما قيل في قتال الروم.

(٢) رقم ٧٤٨٠، وأحمد ٣٣١/٥ وفضائل الصحابة رقم ٢٤٧. وقال الهيثمي في المجمع ٥٥/٩: رجاله رجال الصحيح، وابن أبي عاصم في السنة ٦٢٢/٢. وعبد الرزاق في المصنف رقم ٢٠٤٠١ وابن حبان كما في الإحسان رقم ٦٤٥٨.

(٣) رقم ٧٤٨٦ وأحمد ٣٣٦/٥ والطبراني في الكبير ٢٢٤/٦ ورجاله ثقات. أما الطرف الآخر: "إذا نابكم في صلاتكم شيء فليسبح الرجال وليصفق النساء" فقد رواه البخاري (٦٨٤) كتاب الأذان

قتال بين بني عمرو بن عوف، فأتاهم النبي ﷺ ليصلح بينهم وقد صلى الظهر فقال لبلال: إن حضرت صلاة العصر و لم آت، فمر أبابكر فليصل بالناس. فلما حضرت صلاة العصر أذن بلال وأقام وقال: يا أبابكر تقدم. فتقدم أبوبكر، فجاء رسول الله ﷺ فشق الصفوف. فلما رئي رسول الله ﷺ صفحوا يعني التصفيق. قال: وكان أبوبكر إذا دخل في صلاة لم يلتفت. فلما رأى التصفيق لا يمسك عنه التفت فرأى رسول الله ﷺ خلفه. فأومأ إليه النبي ﷺ أن امض، فلبث أبوبكر هنيئة يحمد الله على قول رسول الله ﷺ: امض. ثم مشى أبوبكر القهقرى يعني على عقبه. فلما رأى ذلك النبي ﷺ تقدم، فصلى بالقوم صلاقم. فلما قضى صلاته قال: يا أبابكر، ما منعك إذ أومأت إليك ألا تكون مضيت؟ قال أبوبكر: لم يكن لابن أبي قحافة أن يؤم رسول الله ﷺ. ثم قال للناس: إذا نابكم في صلاتكم شيء فليسبح الرجال وليصفق النساء.

٥٧- من مسند النعمان بن بشير رضي الله عنه

فضل القرون الثلاثة

(١) أخرج أحمد[1] من حديث عاصم بن بهدلة عن خيثمة والشعبى عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: خير الناس قرني، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم، ثم يأتي قوم تسبق أيماهم شهادهم وشهادهم أيماهم.

٥٨- من مسند عويم بن ساعدة رضي الله عنه

النهي عن سب الصحابة وبيان فضيلتهم

(١) أخرج الحاكم[2] من حديث عبد الرحمن بن سالم بن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده عن عويم بن ساعدة أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى اختارني واختار لي أصحابا. فجعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصهارا. فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل.

باب من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول فتأخر الأول أو لم يتأخر جازت صلاته، ومسلم (٩٤٩) كتاب الصلاة باب تقديم الجماعة من يصلي هم إذا تأخر الإمام الخ. راجع تعليقنا على هامش المسند رقم ٧٤٧٥.

(١) ٢٧٧/٤ وابن أبي عاصم في السنة ٦٢٩/٢ وقال الهيثمي في المجمع ١٩/١٠: رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط وفي طرقهم عاصم بن بهدلة وهو حسن الحديث. وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. فالحديث متواتر.

(٢) ٦٣٢/٣ وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. وضعفه الألباني في الضعيفة حديث رقم ٣٠٦٣.

٥٩- من مسند شداد بن أوس رضي الله عنه

بشارة بفتوح الأمصار

(١) أخرج أحمد[١] عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي الأشعث عن أبي أسماء الرحبي عن شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال: إن الله عز وجل زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها. وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها. وإني أعطيت الكنـــزين الأبيض والأحمر[٢]. وإني سألت ربي عز وجل ألا يهلك[٣] أمتي بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيهلكهم، وأن لا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض. قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يردّ وإني قد أعطيت لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ولا أسلط عليهم عدوا من غيرهم فيهلكوهم بعامة، حتى يكون يهلك بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا ويسبى بعضهم بعضا. قال وقال النبي ﷺ: وإني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين. فإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة.

٦٠- من مسند حسان بن ثابت رضي الله عنه

شعره في مدح أبي بكر رضي الله عنه

(١) أخرج الحاكم[٤] من حديث غالب بن عبد الله عن أبيه عن جده حبيب ابن حبيب قال: شهدت رسول الله ﷺ قال لحسان بن ثابت: قلت في أبي بكر شيئا؟ قل حتى أسمع. قال: قلت:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ صعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا ... من الخلائق لم يعدل به بدلا

فتبسم رسول الله ﷺ.

(٢) وأخرج الحاكم[٥] من حديث مجالد بن سعيد قال: سئل الشعبى من أول من أسلم؟ فقال أما سمعت قول حسان:

---

(١) ١٢٣/٤ وقال في المجمع ٢٢١/٧: رواه أحمد والبزار رقم ٣٤٨٧. ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) أي الفضة والذهب.

(٣) في المسند: لا يهلك. وفي المجمع: أن لا يهلك.

(٤) ٦٤/٣ وقال الذهبي: عمرو يضع الحديث.

(٥) ٦٤/٣ وفي إسناده مجالد بن سعيد ليس بالقوي. وكان تغير في آخر عمره كما في التقريب ص ٤٨٢ والخليل بن زكريا متروك كما في التقريب ص ١٤٤. وفضائل الصحابة رقم ١٠٣، ١١٩ والطبراني في المعجم الكبير رقم ١٢٥٦٢.

إذا تذكرت شجوا من أخي ثـقة فاذكر أخاك أبابكر بـما فعلا
خير البرية أتقـاهـا وأعـدلهـا بعد النبي وأوفاها بـما حـملا
الثاني التالي المحمـود مشـهـده وأول الناس منهم صدق الرسلا

(٣) وأخرج أبوعمر[١] من حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال حدثنا شيخ لنا قال حدثنا مجالد عن الشعبى قال: سألت ابن عباس أو سئل: أي الناس كان أول إسلاما؟ قال: أما سمعت قول حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقـة فاذكر أخاك أبابكر بما فـعـلا
خير البرية أتقاهـا وأعـدلـهـا بعد النبي وأوفاهـا بمـا حمـلا
الثاني التالي المحمـود مـشهـده وأول الناس منهم صدق الرسلا

(٤) قال أبوعمر: وروي أن رسول الله ﷺ قال لحسان: هل قلت في أبي بكر شيئا؟ قال: نعم. وأنشده هذه الأبيات وفيها بيت رابع وهو:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا

فسر النبي ﷺ بذلك وقال: أحسنت يا حسان. وقد روي فيها بيت خامس:

وكان حب رسول الله قد علموا خير البرية لم يعدل به رجلا

٦١- ومن مسند أبي الهيثم بن التيهان رضي الله عنه

شعره في مدح أبي بكر الصديق

(١) قال أبوعمر[٢] ومما قيل في أبي بكر قول أبي الهيثم بن التيهان فيما ذكروا:

وإني لأرجو أن يقـوم بأمـرنا ويحفظه الصديق والمرء من عـدي
أولاك خيار الحي فهر بن مالك وأنصار هذا الدين من كل معتدي

---

(١) الاستيعاب ١/٣٣٠ وفي إسناده مجالد وليس بالقوي ولم يسم شيخ أبي بكر.
(٢) الاستيعاب ١/٣٣٠.

٦٢- من مسند كعب بن عجرة رضي الله عنه

بشارة بثبات عثمان على الحق في الفتنة

(١) أخرج أحمد[١] من حديث مطر الوراق عن ابن سيرين عن كعب بن عجرة قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها وعظمها. قال: ثم مر رجل مقنع في ملحفة، فقال: هذا يومئذ على الحق. فانطلقت مسرعا أو محضرا، فأخذت بضبعيه فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: هذا. فإذا هو عثمان بن عفان.

(١) ٢٤٢/٤ وابن ماجه (١١١) كتاب السنة فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومصباح الزجاجة رقم ٤٣، وابن أبي شيبة ٤١/١٢ وفي المسند رقم ٥٠٩ ورجاله ثقات. والطبراني في المعجم الكبير رقم ٣٦٢.

مسانيد سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

أولها
٦٣- مسند جابر بن سمرة رضي الله عنه

بشارة بفتوح الأمصار واستقرار خلافة الإسلام

(١) أخرج البخاري وغيره[١] عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش.

(٢) وأخرج أحمد[٢] عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي: أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ. قال: فكتب إليّ: سمعت رسول الله ﷺ يوم الجمعة عشية رجم الأسلمي يقول: لا يزال الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش. قال وسمعته يقول: عصبة المسلمين يفتتحون البيت الأبيض بيت كسرى أو آل كسرى.

(٣) وأخرج البخاري[٣] من حديث عبد الملك بن عمير عن جابربن سمرة يرفعه قال: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده. والذي نفس محمد بيده، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله.

٦٤- ومن مسند عدي بن حاتم رضي الله عنه

بشارة بفتوح الأمصار واستقرار خلافة الإسلام

(١) أخرج البخاري[٤] من حديث محل بن خليفة عن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي ﷺ، إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكى إليه قطع السبيل. فقال: يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله - قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين

---

(١) البخاري (٧٢٢٢) في أواخر كتاب الأحكام باب بعد باب الاستخلاف، ومسلم (٤٧٠٦) كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش. راجع سلسلة الصحيحة رقم ٣٧٦، ٩٦٢.

(٢) ورجاله ثقات.

(٣) (٣٦١٩) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (٧٣٣٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب هلاك كسرى وقيصر.

(٤) (٣٥٩٥) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام.

دعّار[1] طيّ الذين قد سعروا البلاد- ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى. قلت: كسرى بن هرمز؟! قال: كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحدا يقبله منه. وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فليقولن: ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أعطك مالا وولدا؟ وأفضل عليك؟ فيقول: بلى. فينظر عن يـــمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم.

قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة. قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله تعالى. وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز. ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبوالقاسم ﷺ: يخرج ملء كفه.

٦٥- من مسند كرز بن علقمة الخزاعي رضي الله عنه

بشارة بفتوح البلاد

(١) أخرج الحاكم[2] من طريق سفيان ومعمر عن الزهري عن عروة قال: سمعت كُرز بن علقمة يقول: سأل رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل للإسلام من منتهى؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، أيما أهل بيت من العرب والعجم أراد الله بهم خيرا دخل عليهم الإسلام. ثم يقع الفتن كأنها الظلل.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال الحاكم: سمعت علي بن عمر الحافظ يقول: مما يلزم مسلما والبخاري إخراج حديث كرز بن علقمة: هل للإسلام من منتهى؟

---

(١) الفساق وقطّاع الطريق. وطيء: اسم قبيلة.

(٢) ١/٣٤، ٤/ ٤٥٥ وقال صحيح الإسناد ووافقــه الذهبي. والبغوي في شرح السنة ١٥/ ٢٩. وأحمد ٣/٤٧٧ وقال الهيثمي في المجمع ٧/٣٩٥: رواه أحمد والبزار والطبراني ١٩/١٩٧، بأسانيد ورجاله رجال الصحيح. والطيالسي في مسنده رقم ١٢٩٠ وأبونعيم في معرفة الصحابة ٥/٢٤٠٩ وفي الدلائل ٢/٥٤٨ والبيهقي في الأسماء والصفات ١/٢٥٢. خرجه الألباني في الصحيحة (٣٠٩١) وقال في صحيح الموارد ٢/ ٢٢٥: صحيح لغيره.

٦٦- من مسند عبد الله بن حوالة رضي الله عنه

بشارة بخلافة عثمان ﷺ

(١) أخرج الحاكم[١] عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: تهجمون على رجل معتجر ببردة، يبايع الناس، من أهل الجنة. فهجمت على عثمان ﷺ وهو معتجر ببردة حبرة يبايع الناس.

التحذير من الخروج عليه

(٢) أخرج الحاكم[٢] من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط التجيبي عن عبد الله بن حوالة الأسدي عن رسول الله ﷺ قال: من نجا من ثلاث فقد نجا. قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: موتي وقتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه ومن الدجال.

٦٧- ومن مسند هاشم بن عتبة بن أبي وقاص رضي الله عنه

بشارة بفتوح الأمصار

(١) أخرج الحاكم[٣] من حديث عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: يظهر المسلمون على جزيرة العرب، ويظهر المسلمون على فارس، ويظهر المسلمون على الروم، ويظهر المسلمون على الأعور الدجال.

٦٨- ومن مسند نافع بن عتبة بن أبي وقاص رضي الله عنه

بشارة بفتوح فارس والروم

(١) أخرج الحاكم[٤] من حديث موسى بن عبد الملك بن عمير عن أبيه عن جابر بن

---

(١) ٩٨/٣ وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي. راجع الصحيحة رقم ٣١١٨.

(٢) ١٠١/٣ وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي. ورواه أحمد ١٠٥/٤، وقال الهيثمي في المجمع ٣٣٤/٧: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير ربيعة بن لقيط وهو ثقة. وابن أبي عاصم في السنة رقم ١١٧٧ والضياء في المختارة رقم ٢٤٣ وصححه الألباني في الظلال.

(٣) ٣٩٥/٣ وابن السكن والبغوي والبزار في مسنده رقم ١٢٣٠ وأبونعيم في معرفة الصحابة ٢٧٤٥/٥ وقال البغوي: والصواب عن نافع بن عتبة. وقال ابن السكن: الحديث لنافع بن عتبة، إلا أن يكون نافع وهاشم سمعاه جميعا. راجع الإصابة ٢٧٥/٦ وسيأتي حديث نافع بعده.

(٤) ٤٣٠/٣، وقال الذهبي: فيه موسى بن عبد الملك وهو واه. ومسلم (٧٢٨٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب في الآيات التي تكون قبل الساعة عن جرير عن عبد الملك به.

سمرة عن نافع بن عتبة قال: قدم ناس من العرب على رسول الله ﷺ يسلمون عليه وعليهم الصوف. فقمت فقلت: لأحولن بين هؤلاء وبين رسول الله ﷺ. ثم قلت في نفسي: هو نجي القوم. ثم أبت نفسي إلا أن أقوم إليه. قال: فسمعته يقول: تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله.

٦٩- ومن مسند عبد الله بن هشام بن زهرة القرشي رضي الله عنه

فضل عمر ﷺ

(١) أخرج البخاري[1] من حديث ابن وهب قال أخبرني حيوة قال حدثني أبوعقيل زهرة بن معبد أنه سمع عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب.

وهذا حديث لم يطوله البخاري.

(٢) وأخرج الحاكم[2] من حديث رشيد بن سعد[3] وابن لهيعة عن زهرة بن معبد عن جده عبد الله بن هشام قال: كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال عمر: والله يا رسول الله، إنك لأحب إليّ من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي. فقال له رسول الله ﷺ: لا تكون مؤمنا حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي. فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر.

٧٠- ومن مسند عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنه

فضل القرون الثلاثة

روي من طرق كثيرة، منها:

(١) ما أخرج الحاكم[4] من حديث الأعمش عن هلال بن يساف قال: انطلقت إلى

---

(١) (٣٦٩٤) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٢) ٤٥٦/٣ وأحمد ٢٣٣/٤، وفي الإسناد رشدين وهو ضعيف وتابعه ابن لهيعة وفيه كلام معروف أيضا لكن تابعهما حيوة عند البخاري (٦٦٣٢) والمحب الطبري في الرياض ٢/ ٣٣.

(٣) الصواب: رشدين بن سعد.

(٤) ٤٧١/٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، وأقره الذهبي، والترمذي (٢٣٠٢) أبواب الشهادات باب منه يفشو الكذب حتى يشهد الرجل الخ، وقال: حسن صحيح. وأحمد ٤٢٧/٤ وابن أبي عاصم ٤٢٨/٢ والبخاري (٢٦٥١) كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهِدَ، ومسلم (٦٤٧٥) كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم،

البصرة، فدخلت المسجد. فإذا شيخ مستند إلى أسطوانة يحدث يقول، قال رسول الله ﷺ: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يأتي أقوام يعطون الشهادة قبل أن يسألوها.

٧١- ومن مسند عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما

بشارة بخلافة أبي بكر رضي الله عنه

(١) أخرج الحاكم[١] من حديث ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال قال رسول الله ﷺ: إيتني بدواة وكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا. ثم ولانا قفاه ثم أقبل علينا، فقال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر.

٧٢- ومن مسند عثمان بن أرقم[٢] بن أبي الأرقم المخزومي رضي الله عنه

فضل عمر وقوة إسلامه رضي الله عنه

(١) أخرج الحاكم[٣] عن عثمان بن الأرقم أنه كان يقول: أنا ابن سبع الإسلام. أسلم أبي سابع سبعة، وكانت داره على الصفا. وهي الدارة التي كان النبي ﷺ يكون فيها في الإسلام وفيها دعا الناس إلى الإسلام فأسلم فيها قوم كثير. وقال رسول الله ﷺ ليلة الاثنين فيها: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام. فجاء عمر بن الخطاب من الغد بكرة. فأسلم في دار الأرقم، وخرجوا منها وكثروا وطافوا بالبيت ظاهرين. ودعيت دار الأرقم دار الإسلام.

٧٣- ومن مسند الأسود بن سريع رضي الله عنه

فضل عمر رضي الله عنه ومنزلته

(١) أخرج الحاكم[٤] من حديث إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عبد الرحمن بن أبي

أيضا من طريق زهدم بن مضرب عن عمران بن حصين.

(١) ٤٧٧/٣ وقال الذهبي: إسناده صحيح. وابن أبي عاصم في السنة ٥٥٥/٢ من طريق عبدالعزيز بن رفيع بن أبي مليكة عن عائشة قالت قال لي رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: ادعي لي عبدالرحمن بن أبي بكر الخ. وراجع ما علق عليه الألباني في الصحيحة رقم ٦٩٠.

(٢) والصواب: الأرقم بن أبي الأرقم.

(٣) ٥٠٢/٣ وفي إسناده محمد بن عمر الواقدي وفيه كلام معروف.

(٤) ٦١٥/٣ وقال: صحيح الإسناد. لكن قال الذهبي: معمر له مناكير. وأحمد ٤٣٥/٣ والطبراني رقم ٨٤٤ ورجالهما ثقات وفي بعضهم خلاف، قاله الهيثمي في المجمع ٦٦/٩. والضياء في المختارة

بكرة عن الأسود بن سريع التميمي قال قدمت على نبي الله ﷺ فقلت: يا نبي الله قد قلت شعرا أثنيت فيه على الله تبارك وتعالى ومدحتك. فقال: أما ما أثنيت على الله تعالى فهاته، وأما ما مدحتني به فدعه. فجعلت أنشده. فدخل رجل طوال أقنى فقال: أمسك. فلما خرج قال: هات. فقلت: من هذا يا نبي الله الذي إذا دخل قلت: أمسك، وإذا خرج قلت: هات. قال: هذا عمر ابن الخطاب، وليس من الباطل في شيء.

٧٤- ومن مسند **أبي جحيفة السوائي** رضي الله عنه

بشارة بخلافة قريش

(١) أخرج الحاكم[1] عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال كنت مع عمي عند النبي ﷺ فقال: لا يزال أمر أمتي صالحا حتى يمضي اثنا عشر خليفة. ثم قال كلمة وخفض بها صوته، فقلت لعمى وكان أمامي: ما قال يا عم؟ قال: يا بني كلهم من قريش.

فضل الشيخين أبي بكر وعمر

(٢) أخرج ابن ماجه[2] من حديث مالك بن مغول عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: أبوبكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين.

٧٥- ومن مسند **عبد الله بن زمعة بن الأسود** رضي الله عنه

تفويض إمامة الصلاة إلى أبي بكر الصديق ﷺ

(١) أخرج أبوداود والحاكم[3] من حديث ابن إسحاق عن الزهري عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن زمعة بن الأسود قال: لما استعز برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين دعاه بلال إلى الصلاة فقال: مروا من يصلى بالناس. فخرج عبدالله ابن زمعة، فإذا عمر في الناس وكان أبوبكر غائبا. فقلت: يا عمر قم، فصل بالناس. فتقدم فكبر.

٢٥٣/٤ وأبونعيم في معرفة الصحابة ٢٧١/١.

(١) ٦١٨/٣ والطبراني في الأوسط رقم ٦٢٠٧ والكبير رقم ٣٠٨ والبزار رقم ٤٢٣٠ ورجال الطبراني رجال الصحيح، قاله الهيثمي في المجمع ١٩٠/٥.

(٢) راجع ص ٦٠.

(٣) أبوداود (٤٦٦٠) كتاب السنة باب في استخلاف أبي بكر والحاكم ٦٤١/٣ وقال: صحيح على شرط مسلم، وأحمد ٣٢٢/٤.

فلما سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر رجلا مجهرا قال رسول الله ﷺ: فأين أبوبكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون. فبعث إلى أبي بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس.

(٢) زاد الحاكم: قال عبد الله بن زمعة: فقال عمر: ويحك ماذا صنعتني يا ابن زمعة؟ والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أمر بذلك. ولولا ذاك ما صليت بالناس. قلت: والله، ما أمرني رسول الله ﷺ، ولكن حين لم أر أبابكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس.

(٣) وفي رواية لأبي داود من طريق ابن شهاب عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة أن عبدالله بن زمعة أخبره بهذا الخبر قال: لما سمع النبي ﷺ صوت عمر، خرج النبي ﷺ حتى أطلع رأسه من حجرته، ثم قال: لا، لا، لا، ليصل بالناس ابن أبي قحافة، يقول ذلك مغضبا.

٧٦- من مسند **أبي بكرة الثقفي** رضي الله عنه

رؤيا موازنة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الثلاثة

(١) أخرج أبوداود[١] عن الحسن عن أبي بكرة أن النبي ﷺ قال ذات يوم: من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانا نـــزل من السماء، فوزنت أنت وأبوبكر، فرجحت أنت بأبي بكر. ووزن عمر وأبوبكر، فرجح أبوبكر. ووزن عمر وعثمان، فرجح عمر. ثم رفع الميزان. فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ.

(٢) وفي رواية له من طريق عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه بمعناه ولم يذكر الكراهية. قال: فاستاء لها رسول الله ﷺ يعني فساءه ذلك، فقال: خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء[٢].

٧٧- ومن مسند **سمرة بن جندب** رضي الله عنه

رؤيا دلو دلي من السماء

(١) أخرج أبوداود[٣] عن الأشعث بن عبد الرحمن عن أبيه عن سمرة بن جندب أن رجلا قال: يا رسول الله رأيت كأن دلوا دلي من السماء. فجاء أبوبكر فأخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا. ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع. ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع. ثم جاء علي فأخذ بعراقيها[٤] فانتشطت وانتضح عليه منها شيء.

---

(١) راجع ص ٧٠.
(٢) أبو داود (٤٦٣٥) كتاب السنة باب في الخلفاء.
(٣) راجع ص ٩٠.
(٤) العراقي جمع عرقوة، وعرقوة الدلو هي الخشبة المعترضة على فمها.

٧٨- من مسند العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

إمامة أبي بكر الصديق ﷺ

(١) أخرج أبويعلى[(١)] عن ابن شرحبيل عن ابن عباس عن العباس قال: دخلت على رسول الله ﷺ وعنده نساء فاستترن مني إلا ميمونة. فدقّ له سعطه[(٢)]، فلدّ. قال: لا يبقين في البيت أحد إلا لدّ إلا العباس فإنه لم تصبه يميني[(٣)]. ثم قال: مروا أبابكر يصلي بالناس. فقالت عائشة لحفصة: قولي له: إن أبابكر إذا قام ذلك المقام بكى فقالت له. فقال: مروا أبابكر يصلي بالناس. فصلى أبوبكر. ثم وجد رسول الله ﷺ خفة، فخرج فلما رآه أبوبكر تأخر. فأومأ إليه بيده أي مكانك. فجاء فجلس إلى جنبه فقرأ رسول الله ﷺ من حيث انتهى أبوبكر.

٧٩- ومن مسند أبي الطفيل رضي الله عنه

بشارة النبي ﷺ بخلافة الشيخين أبي بكر وعمر

(١) أخرج أبويعلى[(٤)] من حديث حماد عن علي بن زيد عن أبي الطفيل عن النبي ﷺ وعن حبيب وحميد عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا أنــزع الليلة إذ وردت على غنم سود وغنم عفر. فجاء أبوبكر فنــزع ذنوبا أو ذنوبين فيهما ضعف، والله يغفر له. ثم جاء عمر فاستحالت غربا فملأ الحياض وأروى الواردة. فلم أر عبقريا من الناس أحسن نــزعا منه. فأولت أن الغنم السود العرب والعفر العجم.

---

(١) رقم ٦٦٧٤ وقال الهيثمي في المجمع ١٨١/٥: رواه أحمد ٢٠٩/٢ وفضائل الصحابة رقم ٨٠ والطبراني والبزار باختصار كثير، وأبويعلى أتم منه. وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وبقية رجاله ثقات. والدارقطني ٣٩٨/١ أيضا ولكن وقع فيه عبد الله بن الأرقم. والصواب: الأرقم بن شرحبيل. وقيس صدوق تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه كما في التقريب ص ٤٢٦ وراجع التهذيب ٣٩١/٨.

(٢) السعط: الدواء.

(٣) المراد بالقسم هنا، الأمر بوضع الدواء، وفي بعض الروايات رافق الأمر صيغة "والله" واستثناء العباس ورد في روايات أخرى كذلك، ففي البخاري: "فإنه لم يشهدكم" أي هو لم يشارككم في وضع الدواء. والقصة أن الأزواج المطهرات رضوان الله عليهن ظنن أن بالرسول صلى الله عليه وسلم ذات الجنب، فخلطن القسط بزيت الزيتون وأرغمن الرسول علي شربه، وهو يمنعهن، ظنا منهن أن منعه ليس إلا لكراهية المريض الدواء، فلهذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يوضع الدواء في فم كل من خالف أمره تأديبا لهم. وتم له ذلك بأن أرغم الجميع على شربه حتى ميمونة التي كانت صائمة في ذلك اليوم.

(٤) رقم ٩٠٠، وأحمد ٤٥٥/٥ وفي إسنـــاده علي بن زيد وهو ضعيف. وعزاه الهيثمي في المجمع ٧١/٩ للطبراني فقط وقال: إسناده حسن.

٨٠- ومن مسند مرة بن كعب رضي الله عنه

إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأن عثمان وأتباعه سيكونون على هدى في الفتنة

(١) أخرج الترمذي[(١)] عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني أن خطباء قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب النبي ﷺ. فقام آخرهم رجل يقال له مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت. وذكر الفتن فقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال: هذا يومئذ على الهدى. فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان. فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم.

(٢) وأخرج أحمد[(٢)] من حديث جبير بن نفير قال كنا معسكرين مع معاوية بعد قتل عثمان رضي الله عنه فقام كعب بن مرة أو مرة بن كعب، فقال: لو لا أني سمعت من رسول الله ﷺ ما قمت المقام. فلما سمع بذكر رسول الله ﷺ جلس الناس فقال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ مر عثمان بن عفان مرجّلا، فقال رسول الله ﷺ لتخرجن فتنة من تحت قدمي أو من بين رجلي. هذا يومئذ ومن اتبعه على الهدى. قال فقام ابن حوالة الأزدي من عند المنبر. فقال: إنك لصاحب هذا؟ قال: نعم. قال: والله إني لحاضر ذلك المجلس، ولو علمت أن لي في الجيش مصدقا كنت أول من تكلم به.

٨١- ومن مسند أبي رمثة رضي الله عنه

منـــزلة الشيخين عند النبي ﷺ

(١) أخرج الحاكم[(٣)] من حديث أزرق بن قيس قال صلى بنا إمام لنا يكنى أبا رمثة قال: صليت هذه الصلاة أو مثل هذه الصلاة مع رسول الله ﷺ، قال: وكان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما يقومان في الصف المقدم عن يمينه. وكان رجل قد شهد التكبيرة الأولى من الصلاة. فصلى نبي الله ﷺ ثم سلم عن يمينه وعن يساره حتى رأينا بياض خده ثم انفتل كانفتال أبي رمثة يعنى نفسه. فقام الرجل الذي أدرك معه التكبيرة الأولى من الصلاة يشفع. فوثب إليه عمر، فأخذ بمنكبه فهزه. ثم

---

(١) (٣٧٠٤) أبواب الـمناقب باب في عد عثمان تسميته شهيدا الخ وقال: حسن صحيح. والـحاكم ١٠٢/٣ وأحمد ٢٣٥/٤، وابن أبي شيبة ٤٢/١٢ وابن أبي عاصم ٥٩٠/٢ بإسناد آخر. راجع صحيح الترمذي للألباني رقم ٢٩٢٢. وراجع ص ١٥٩.

(٢) ٢٣٦/٤، ورجاله ثقات. راجع الصحيحة رقم ٣١١٩.

(٣) ٢٧٠/١ وقال: صحيح على شرط مسلم. لكن قال الذهبي: المنهال ضعفه ابن معين وأشعث فيه لين، والحديث منكر. وأبوداود (١٠٠٧) أبواب الصلاة باب في الرجل يتطوع في مكانه الذي صلى فيه المكتوبة، والبيهقي ١٩٠/٢ والمعجم الكبير رقم ٧٢٨ وفي الأوسط رقم ٢١٠٩. وله شاهد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عند عبدالرزاق ٤٣٢/٢ وأحمد ٣٦٨/٥ وأبي يعلى رقم ٧١٣٠، قال في المجمع ٢٣٤/٢: رجال أحمد رجال الصحيح. وصححه الألباني في الظلال ٥٤٤/٢.

قال: اجلس فإنه لم يهلك أهل الكتاب إلا أنه لم يكن بين صلاقم فصل. فرفع النبي ﷺ بصره، فقال: أصاب الله بك يا ابن الخطاب.

٨٢- ومن مسند **نافع بن عبد الحارث** رضي الله عنه

بشارة المشايخ الثلاثة بالجنة مثل حديث أبي موسى رضي الله عنه

(١) أخرج أحمد[1] من طريق وهيب عن موسى بن عقبة قال سمعت أبا سلمة يحدث ولا أعلمه إلا عن نافع بن عبد الحارث أن رسول الله ﷺ دخل حائطا من حوائط المدينة فجلس على قف البير. فجاء أبوبكر يستأذن فقال: ائذن له وبشره بالجنة. ثم جاء عمر يستأذن فأذن له وبشره بالجنة ثم جاء عثمان يستأذن، فقال ائذن له وبشره بالجنة وسيلقى بلاء.

(٢) وأخرج أحمد[2] عن يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة قال قال نافع بن عبد الحارث فذكر نحوه.

٨٣- ومن مسند **جبير بن مطعم** رضي الله عنه

دليل على خلافة أبي بكر رضي الله عنه

(١) أخرج البخاري[3] عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أ رأيت إن جئت و لم أجدك؟ كأنها تقول الموت، قال: إن لم تجديني فأتي أبابكر.

٨٤- ومن مسند **عبد الله بن الزبير** رضي الله عنه

فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

(١) أخرج البخاري[4] من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة قال كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير في الجد فقال: أما الذي قال رسول الله ﷺ لو كنت متخذا من هذه الأمة خليلا لاتخذته؛ أنـزله أبا، يعنى أبابكر رضي الله عنه.

---

(١) ٤٠٨/٣ والطبراني في الأوسط رقم ٢٨٣٢ ورجال أحمد رجال الصحيح. والهيثمي في المجمع ٥٦/٩ وابن أبي شيبة ٥٥/١٢.

(٢) ٤٠٨/٣.

(٣) راجع ص ٩٤.

(٤) (٣٦٥٨) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا الخ.

فضل عمر رضي الله عنه

(٢) أخرج البخاري[(١)] من حديث نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا؛ أبابكر وعمر، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبوبكر لعمر: ما أردت إلا خلافي! قال: ما أردت خلافك. فارتفعت أصواتهما في ذلك. فأنـزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ الآية. قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبابكر[(٢)].

(٣) أخرج البخاري[(٣)] من طريق ابن جريج عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فذكر نحوا من الحديث المتقدم.

٨٥- ومن مسند **عبد الرحمن بن خباب السلمي** رضي الله عنه

فضل عثمان رضي الله عنه

(١) أخرج أحمد[(٤)] من حديث الوليد بن أبي هشام عن فرقد أبي طلحة عن عبد الرحمن ابن خباب السلمي قال: خطب رسول الله ﷺ فحض على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان: علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها. قال: ثم حض. فقال عثمان: علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. ثم نـزل مرقاة من المنبر ثم حض فقال عثمان: وعلي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال: فرأيت النبي ﷺ يقول بيده هكذا ويحركها، وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب: ما على عثمان ما عمل بعد هذا!

٨٦- ومن مسند **عبد الرحمن بن سمرة القرشي** رضي الله عنه

فضل عثمان رضي الله عنه

(١) أخرج الحاكم[(٥)] من طريق ابن شوذب عن عبد الله بن القاسم عن كثير مولى

---

(١) (٤٨٤٥)، تفسير سورة الحجرات.

(٢) أي لم يبين كيف كان يخفض أبوبكر صوته. عد أبابكر أبا لابن الزبير لأنه ابن لأسماء بنت أبي بكر، فأبوبكر جده.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ٧٥/٤ وفي فضائل الصحابة رقم ٨٢٢، وابن أبي عاصم في السنة ٥٨٧/٢ والترمـذي (٣٧٠٠) أبواب المناقب باب في عد عثمان تسميته شهيدا الخ، وقال: غريب. قلت: وفي إسناده فرقد أبوطلحة وهو مجهول. وضعفه الألباني في تحقيق المشكاة حديث رقم ٦٠٦٣.

(٥) ١٠٢/٣ وقال: صحيح الإسناد. وأقره الذهبي، والترمذي (٣٧٠١) أبواب المناقب باب في عد

عبدالرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان ﷺ إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة، ففرغها عثمان في حجر النبي ﷺ قال: فجعل النبي ﷺ يقلبها ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم، قالها مرارا.

٨٧- ومن مسند معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

الخلافة في قريش.

(١) أخرج البخاري[١] من حديث شعيب عن الزهري قال: كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية وهم عنده في وفد من قريش أن عبد الله بن عمرو يحدث أنه سيكون ملك من قحطان، فغضب فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد، فإنه بلغني أن رجالا منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ وأولئك جهالكم فإياكم والأماني التي تضل أهلها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين.

عناية عمر بتنقيح الأحاديث

(٢) أخرج أحمد[٢] عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر اليحصبي قال: سمعت معاوية يحدث وهو يقول: إياكم وأحاديث رسول الله ﷺ إلا حديثا كان على عهد عمر. وإن عمر ﷺ أخاف الناس في الله عز وجل. سمعت رسول الله يقول: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين. وسمعته يقول: إنما أنا قاسم وإنما يعطى الله عز وجل. فمن أعطيته عطاء بطيب نفس فقمن أن يبارك لأحدكم، ومن أعطيته بكراهية فهو كالذي يأكل ولا يشبع. وسمعته يقول: لا تزال أمة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس.

عثمان تسميته شهيدا الخ، وقال: حسن غريب. والمعجم الأوسط رقم ٩٢٢٢ ومسند الشاميين رقم ١٢٧٤ وابن أبي عاصم في السنة ٥٨٧/٢ وأحمد ٦٣/٥. والترمذي (٢٩٢٠).

(١) راجع ص ٤١.

(٢) ٩٩/٤ ورجاله ثقات وفي بعضهم كلام يسير وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٩٧١. بل ومسلم (٣٢٨٩) كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة.

٨٨- ومن مسند عمرو بن العاص رضي الله عنه

فضل أبي بكر وعمرﷺ

(١) أخرج البخاري[١] من حديث أبي عثمان قال حدثنا عمرو بن العاص أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل. قال فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها. فقلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعد رجالا.

٨٩- ومن مسند رجل من الصحابة

فضل المشايخ الثلاثة

(١) أخرج أبويعلى[٢] من حديث قتادة عن محمد بن سيرين أن رجلا بالكوفة شهد أن عثمان ﷺ قتل شهيدا. فأخذه الزبانية فرفعوه إلى علي ﷺ وقالوا: لو لا أن تنهانا أو نـهيتنا أن لا نقتل أحداً لقتلناه. هذا زعم أنه يشهد أن عثمان قتل شهيدا. فقال الرجل لعلي: وأنت تشهد. أتذكر أني أتيت رسول الله ﷺ فسألته فأعطاني، وأتيت أبابكر فسألته فأعطاني، وأتيت عمر فسألته فأعطاني وأتيت عثمان فسألته فأعطاني. قال: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ادع الله أن يبارك لي. فقال النبي ﷺ: كيف لا يبارك لك وأعطاك نبي وصديق وشهيدان وأعطاك نبي وصديق وشهيدان وأعطاك نبي وصديق وشهيدان.

٩٠- ومن مسند رجل من الصحابة

رؤيا وزن المشايخ الثلاثة واستخلافهم

(١) أخرج أحمد[٣] من حديث أسود بن هلال عن رجل من قومه، كان يقول في خلافة عمر بن الخطاب: لا يموت عثمان حتى يستخلف. قلنا: من أين تعلم ذلك؟ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول رأيت الليلة في المنام كأن ثلاثة من أصحابي وزنوا، فوزن أبوبكر ثم وزن عمر ثم وزن عثمان فنقص صاحبنا وهو صالح.

---

(١) (٣٦٦٢) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب بعد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذا خليلا..، ومسلم (٦١٧٧) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر.

(٢) رقم ١٥٩٨ وقال الهيثمي في المجمع ٩١/٩: رجاله رجال الصحيح. والحافظ في المطالب العالية ٥٠/٤ أيضا. وابن أبي شيبة رقم ١٢٠١٠ نحوه.

(٣) ٦٣/٤، وابن أبي عاصم في السنة ٥٣٨/٢ ورجاله ثقات رجال الشيخين. وابن أبي شيبة رقم ٣١٩٢٨.

٩١- ومن مسند عبد الله بن جعفر رضي الله عنه

ثناؤه على أبي بكر رضي الله عنه

(١) أخرج الحاكم[١] من طريق يحيى بن سليم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: ولينا أبوبكر فكان خير خليفة الله وأرحمه بنا وأحناه علينا.

٩٢- ومن مسند جرير بن عبد الله البجلى رضي الله عنه

مسابقة أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار في الإنفاق على المسلمين

(١) أخرج أحمد[٢] من حديث شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر. فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة. قال: فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام. فصلى ثم خطب فقال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ الآية[٣] وقرأ التي[٤] في الحشر ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾. تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة. قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه أن تعجز[٥] عنها بل قد عجزت. ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت رسول الله ﷺ يتهلل وجهه، حتى كأنه[٦] مذهبة. فقال رسول الله ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينتقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينتقص من أوزارهم شيء.

(٢) وأخرج أحمد[٧] في هذه القصة من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن حميد بن هلال عن جرير بن عبد الله أن رجلا من الأنصار جاء النبي ﷺ بصرة من ذهب تملأ ما بين أصابعه، فقال: هذه في سبيل الله. ثم قام أبوبكر فأعطى. ثم قام عمر فأعطى. ثم قام

---

(١) ٧٩/٣ وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي. وأحمد في فضائل الصحابة رقم ٦٩٩.
(٢) ٣٥٨/٤، ومسلم (٢٣٥١) كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة الخ.
(٣) وفي المسند إلى آخر الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ١.
(٤) وفي المسند: وقرأ الآية التي في الحشر١٨.
(٥) وفي المسند: كفه تعجز.
(٦) في المسند: يعني كأنه.
(٧) ٣٦٠/٤.

المهاجرون فأعطوا. فأشرق وجه رسول الله ﷺ حتى رأيت الإشراق في وجنتيه. ثم قال: من سن سنة صالحة في الإسلام. . . الحديث.

لا تــزال الأمة بخير ما دامت الخلافة بالإجماع دون السيف.

(٣) أخرج أحمد[١] من طريق إسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير في قصة بعث رسول الله ﷺ إياه إلى اليمن، فذكر القصة حتى قال: ثم لقيت ذا عمرو، فقال لي: يا جرير إنكم لن تزالوا بخير ما إذا هلك أمير تأمرتم في آخر. وإذا كانت بالسيف غضبتم غضب الملوك، ورضيتم رضى الملوك.

ليس الطلقاء من قريش أكفاء للمهاجرين في الدين.

(٤) أخرج أحمد[٢] من طريق عاصم عن أبي وائل عن جرير قال: قال رسول الله ﷺ: المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض، الطلقاء من قريش، العتقاء من ثقيف، بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة.

٩٣- من مسند جندب بن عبد الله رضي الله عنه

خطبة النبي ﷺ بمناقب أبي بكر الصديق

(١) أخرج مسلم[٣] عن جنــدب بن عبد الله قال: سـمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل. وإن الله قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا. ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبابكر خليلا. ألا، وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، **ألا فلا تتخذوا القبور مساجد. وإني** أنهاكم عن ذلك.

٩٤- ومن مسند محجن أو أبي محجن رضي الله عنه

الثناء على جماعة من الصحابة منهم الخلفاء الأربعة ﷺ

(١) أخرج أبوعمر[٤] من حديث عبد الحميد بن عبد الرحمن أبي يحيى الحماني عن أبي

---

(١) ٣٦٣/٤ ورجاله ثقات، والبخاري (٤٦٥٩) كتاب المغازي باب ذهاب جرير إلى اليمن.
(٢) ٣٦٣/٣. قال الهيثمي في المجمع ١٥/١٠: رواه أحمد والطبراني بأسانيد وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٠٣٦.
(٣) (١١٨٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور الخ.
(٤) راجع ص ٦٣.

سعد مولى لحذيفة عن شيخ من الصحابة يقال له أبومحجن أو محجن بن فلان، قال: قال رسول الله ﷺ: إن أرأف أمتي بأمتي أبوبكر، وأقواها في أمر الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأقضاها علي، وأقرأها أُبيّ، وأفرضها زيد، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل. ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح.

شعره في مدح أبي بكر الصديق

(٢) وقال أبوعمر[١] في ترجمة أبي بكر الصديق وقال فيه أبومحجن الثقفي:

وسميت صديقا وكل مهاجـــر	سواك يسمى باسمه غيـــر منكر
سبقت إلى الإسلام والله شاهد	وكنت جليسا بالعريـــش المشهر
وبالغار إذ سميت بالغار صاحبا	وكنت رفيقـــا للنبي المـــطــهر

٩٥- ومن مسند زرارة بن عمرو النخعي والد عمرو بن زرارة

سيكون عثمان رضي الله عنه على الحق في الفتنة.

(١) قال أبوعمر[٢] تعليقا: قدم على النبي ﷺ في وفد النخع فقال: يا رسول الله إني رأيت في طريقي رؤيا هالتني قال: وما هي؟ قال: رأيت أتانا خلفتها في أهلي ولدت جديا أسفع أحوى، ورأيت نارا خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو. وهي تقول: لظى لظى بصير وأعمى[٣]. فقال النبي ﷺ: أخلفت[٤] في أهلك أمة مسرة حملا؟ قال: نعم. قال فإنها قد ولدت غلاما وهو ابنك. قال: فأنى له أسفع وأحوى. قال: أدن مني. أ بك برص تكتمه؟ قال: والذي بعثك بالحق ما علمه أحد قبلك. قال: فهو ذاك. وأما النار فهي[٥] فتنة تكون بعدي. قال وما الفتنة يا رسول الله؟ قال: يقتل الناس إمامهم ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس، وخالف بين أصابعه. دم المؤمن عند المؤمن أحلى من الماء[٦] يحسب المسيء أنه محسن. إن مت أدركت ابنك وإن مات ابنك أدركتك. قال: فادع الله أن لا تدركني. فدعا له.

---

(١) الاستيعاب ١/٣٣٠.
(٢) الاستيعاب ١/٢٠٠ في ترجمة زرارة.
(٣) أي تخرج من النار شعل تحرق الأعمى والبصير.
(٤) في الاستيعاب: خلفت.
(٥) وفي الاستيعاب: أما النار فإنها.
(٦) وفي الاستيعاب: من العسل.

٩٦- ومن مسند سعيد بن المسيب مرسلا

مناقب عديدة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

(١) أخرج الحاكم[١] من حديث ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سعيد بن المسيب قال: كان أبوبكر الصديق من النبي ﷺ مكان الوزير، فكان يشاوره في جميع أموره، وكان ثانيه في الإسلام، وكان ثانيه في الغار، وكان ثانيه في العريش يوم بدر، وكان ثانيه في القبر، لم يكن رسول الله ﷺ يقدم عليه أحدا.

(٢) وقال أبوعمر[٢] في ترجمة أبي بكر الصديق تعليقا قال رسول الله ﷺ لبعض من لم يشهد بدرا وقد رآه يمشي بين يدي أبي بكر: تمشي بين يدي من هو خير منك؟

٩٧- ومن مسند عبد الله بن حنطب مرسلا في حب الشيخين

عظم منــزلة الشيخين عند النبي صلى الله عليه وسلم

(١) أخرج الترمذي والحاكم[٣] من حديث عبد العزيز بن عبد المطلب عن أبيه عن جده عبدالله بن حنطب أن النبي ﷺ رأى أبابكر وعمر فقال: هذان السمع والبصر.

٩٨- قول محمد بن سيرين في حب الشيخين

(١) أخرج الترمذي[٤] من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين قال: ما أظن رجلا ينتقص أبابكر وعمر يحب النبي ﷺ.

---

(١) وسكت عنه الذهبي وقال الذهبي: في روايته مجهول.

(٢) بل وذكره في أوائل الاستيعاب ٨/١، ٩. والطبراني في الأوسط وابن حبان في المجروحين من حديث جابر، ورواه الطبراني وابن عساكر وأبونعيم في الحلية والفضائل عن أبي الدرداء. وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية ١٨٧/١: والحديث غير ثابت.

(٣) الترمذي (٣٦٧١) أبواب المناقب باب قوله صلى الله عليه وسلم فيهما: هذان السمع والبصر، وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبــي: حسن، لكن قال الترمذي: هذا حديث مرسل وعبد الله بن حنطب لم يدرك النبي ﷺ. وقال الحافظ في الإصابة ٥٨/٤: حديث مضطرب لا يثبت. وقد ذكره الألباني في سلسلة الصحيحة رقم ٨١٤.

(٤) (٣٦٨٥) أبواب المناقب باب قول عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: هذا حديث حسن غريب.

ذكر شيء من أقوال السادة الأشراف

٩٩- من أقوال الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

رؤيا الحسن في منازل المشايخ الثلاثة

(١) أخرج أبويعلى[١] من طريق أبي مريم رضيع الجارود قال: كنت بالكوفة فقام الحسن بن علي خطيبا فقال: يا أيها الناس، رأيت البارحة في منامي عجبا. رأيت الرب تعالى فوق عرشه، فجاء رسول الله ﷺ حتى قام عند قائمة من قوائم العرش، فجاء أبوبكر فوضع يده على منكب رسول الله ﷺ. ثم جاء عمر فوضع يده على منكب أبي بكر. ثم جاء عثمان، فكان بيده رأسه، فقال: رب سل عبادك فيم قتلوني؟ قال فانبعث من السماء ميزابان من دم في الأرض. قال، فقيل لعلي: أ لا ترى ما يحدث به الحسن؟ قال: يحدث بما رأى.

(٢) وأخرج أبويعلى[٢] من طريق آخر عن الحسن بن علي قال: لا أقاتل بعد رؤيا رأيتها. رأيت رسول الله ﷺ واضعا يده على العرش، ورأيت أبابكر واضعا يده على النبي ﷺ، ورأيت عمر واضعا يده على أبي بكر، ورأيت عثمان واضعا يده على عمر. ورأيت دماء دونهم، فقلت: ما هذه الدماء؟ فقيل: دماء عثمان يطلب الله به.

لم يخالف علي عمر رضي الله عنهما.

(٣) وذكر المحب الطبري[٣] عن ابن السمان أنه أخرج في كتابه عن الحسن بن علي قال: لا أعلم عليا خالف عمر، ولا غير شيئا مما صنع حين قدم الكوفة.

شهادة علي والحسن والحسين بعدل عمر

(٤) وذكر أيضا عنه في كتاب الموافقة[٤] أنه أخرج عن أبي جعفر قال: بينما عمر يمشي في طريق من طرق المدينة إذ لقيه علي ومعه الحسن والحسين رضي الله عنهم، فسلم عليه

---

(١) رقم ٦٧٤٣، وقال في المجمع ٩/٩٦: رواه أبويعلى بإسنادين وفي أحدهما من لم أعرفه وفي الآخر سفيان بن وكيع وهو ضعيف، والحافظ في المطالب أيضا ٤/٢٩١. والطبراني في المعجم الكبير ٣/٩٢ نحوه.

(٢) رقم ٦٧٣٥، وفيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف. راجع الحديث الذي قبله.

(٣) الرياض النضرة ٢/٨٥ بغير سند.

(٤) ٢/٦٠.

علي، وأخذ بيده، فاكتنفهما الحسن والحسين عن يمينهما وشمالهما. قال: فعرض له[١] من البكاء ما كان يعرض له. فقال له علي: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: ومن أحق مني بالبكاء يا علي؟ وقد وليت هذه الأمة أحكم فيها ولا أدري أ مسيء أنا أم محسن؟ فقال له علي: والله إنك لتعدل في كذا، وتعدل في كذا. قال: فما منعه ذلك من البكاء. ثم تكلم الحسن بما شاء الله، فذكر من ولايته وعدله، فلم يمنعه ذلك. فتكلم الحسين بمثل كلام الحسن، فانقطع بكاءه عند انقطاع كلام الحسين. فقال أ تشهدان بذلك يا ابني أخي؟ فسكتا، فنظرا إلى أبيهما. فقال علي: اشهدا، أنا معكما شهيد.

١٠٠- من أقوال أولاد الحسن بن علي رضي الله عنهم

عظم منـــزلة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق

(١) أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند[٢] عن الحسن بن زيد بن الحسن قال حدثني أبي عن أبيه عن علي قال: كنت عند النبيﷺ، فأقبل أبوبكر وعمر، فقال: يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين.

(٢) وذكر المحب الطبري[٣] عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد سئل عن أبي بكر وعمر فقال: أفضلهما وأستغفر لهما. فقيل له: لعل هذا تقية وفي نفسك خلافه؟ قال: لا نالتني شفاعة محمد ﷺ إن كنت أقول خلاف ما في نفسي.

(٣) وعنه[٤] وقد سئل عنهما: فقال ﷺ، ولا صلى على من لم يصل عليهما.

لم يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم عليا.

(٤) وروي عن الحسن المثلث أخي عبد الله المذكور أنه قال لرجل ممن يغلو فيهم: ويحكم أحبونا بالله. فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا. فقال له رجل: إنكم ذوو قرابة من رسول اللهﷺ وأهل بيته. فقال: ويحكم! لو كان الله نافعا بقرابة رسول اللهﷺ بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباه وأمه. والله إني أخاف أن يضاعف الله للعاصي منا العذاب ضعفين، والله إني لأرجو أن يؤتى الـــمحسن منا أجره مرتين. ثم قال: لقد أساءنا[٥]

---

(١) وفي الرياض: فعرض لعمر من.

(٢) ١/٨٠ ورجاله ثقات وقد مر في مسند علي بن أبي طالب راجع ص ٦٠. وراجع سلسلة الصحيحة رقم ٨٢٤.

(٣) الرياض النضرة ١/٥٩، ٦٠.

(٤) أيضا ١/٦٠.

(٥) في الرياض: أساء بنا.

آباؤنا وأمهاتنا إن كان ما تقولون[(١)] من دين الله ثم لم يخبرونا به، ولم يطلعونا عليه ولم يرغبونا فيه، ونحن كنا أقرب منهم قرابة منكم، وأوجب عليهم وأحق أن يرغبونا فيه منكم. ولو كان الأمر كما تقولون إن الله جل وعلا ورسوله ﷺ اختارا[(٢)] عليا لهذا الأمر وللقيام على الناس[(٣)] بعده فإن عليا أعظم الناس خطيئة وجرما، إذ ترك أمر رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره ويعذر إلى الناس. فقال له الرافضي: ألم يقل النبي ﷺ لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقال: أما والله لو يعني رسول الله ﷺ بذلك؛ الأمر والسلطان والقيام على الناس لأفصح به كما أفصح بالصلاة والزكاة والصيام والحج. ولقال: أيها الناس إن هذا الولي بعدي فاسمعوا وأطيعوا[(٤)].

١٠١- من أقوال أولاد الحسين رضي الله عنه

عظم منـــزلة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

(١) **أما مرفوعا**: فقد أخرج الترمذي[(٥)] عن الزهري عن علي بن الحسين (زين العابدين) عن علي بن أبي طالب قال: كنت مع رسول الله ﷺ إذ طلع أبوبكر وعمر. فقال رسول الله ﷺ: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين. يا علي لا تخبرهما.

(٢) وأما **موقوفا**: فقد أخرج أحمد[(٦)] في مسند ذي اليدين عن أبي حازم[(٧)] قال جاء رجل إلى علي بن الحسين فقال: ما كان منـــزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ؟ فقال: منـــزلتهما الساعة.

عظم منـــزلة عمر عند علي رضي الله عنهما

(٣) وأخرج الحاكم[(٨)] من طريق عبدالله بن عمر بن أبان قال حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبدالله أن عليا دخل على عمر وهو مسجى فقال:

---

(١) في الرياض: ما يقولون.
(٢) في الرياض: إختار.
(٣) في الرياض: للقيام إلى الناس.
(٤) أيضا ١/٦٠، ٢٢٤.
(٥) راجع ص ٦٠.
(٦) بل رواه عبد الله في زوائد أبيه ٤/٧٧ وأحمد في فضائل الصحابة رقم ٢٢٣ وفي الزهد ص ١١١. وقال الهيثمي في المجمع ٩/٥٤: ابن أبي حازم لم أعرفه وشيخ عبد الله ثقة. والبيهقي في الإعتقاد ص ١٨٧ وفي آخره: هما ضجيعاه. وسيأتي في ص ٢٧٦، وابن أبي حازم هو عبد العزيز صدوق.
(٧) وفي المسند: ابن أبي حازم.
(٨) راجع ص ١٦٤.

صلى الله عليك. ثم قال: ما من الناس أحد أحب إلي أن ألقى الله بما في صحيفته من هذا المسجى.

(٤) وأخرج محمد بن الحسن عن أبي حنيفة قال حدثنا أبوجعفر محمد بن علي (الباقر) قال جاء علي بن أبي طالب إلى عمر بن الخطاب حين طعن فقال: رحمك الله، فوالله ما في الأرض أحد كنت ألقى الله بصحيفته أحب إلي منك[1].

شهادة الإمام الباقر والإمام جعفر الصادق بعدل الشيخين

(٥) وروي عن ابن أبي حفصة قال: سألت محمد بن علي (الباقر) وجعفر بن محمد (الصادق) عن أبي بكر وعمر. فقالا: إماما عدل نتولاهما ونتبرأ من عدوهما. ثم التفت إليّ جعفر بن محمد، فقال: يا سالم أ يسب الرجل جده؟ أبوبكر الصديق جدي[2]. لا تنالني شفاعة جدي محمد ﷺ إن لم أكن أتولاهما وأتبرأ من عدوهما[3].

شهادة أبي جعفر الصادق بأفضلية الشيخين

(٦) وعن أبي جعفر أنه قال: من جهل فضل أبي بكر وعمر جهل السنة[4].

(٧) وقيل له ما ترى في أبي بكر وعمر؟ فقال: إني أتولاهما وأستغفر لهما. فما رأيت أحدا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما[5].

(٨) وسئل عن قوم يسبون أبابكر وعمر. فقال: أولئك المراق.

(٩) وعنه قال: من شك فيهما كمن شك في السنة، وبغض أبي بكر وعمر نفاق، وبغض الأنصار نفاق. إنه كان بين بني هاشم وبين بني عدي وبين بني تيم شحناء في الجاهلية. فلما أسلموا تحابوا، ونـزع الله ذلك من قلوبهم، حتى إن أبابكر اشتكى خاصرته فكان علي يسخن يده بالنار، ويضمد بها خاصرة أبي بكر. ونـزلت فيهم هذه الآية ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[6].

---

(١) راجع ص ١٦٤.

(٢) لأن أم الإمام جعفر هي أم فروة بنت قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) الرياض النضرة ٥٧/١. وأحمد في فضائل الصحابة رقم ١٧٦ والبيهقي في الإعتقاد ص١٨٥.

(٤) الطبري ٥٧/١. وأحمد في فضائل الصحابة رقم ١٠٩ والآجري في الشريعة رقم ١٨٠٣ واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد رقم ٢٣٢٤.

(٥) المصدر السابق.

(٦) سورة الحجر: ٤٧

نظرة طائرة على أحاديث الخلافة التي ذكرها الإمام المؤلف في هذا الباب الرابع، وقد بلغ مجموعها ٣٩٦ حديثا[1].

	اسم المسند	عدد الروايات
١.	مسند أبي بكر الصديق	١٣
٢.	مسند عمر بن الخطاب	٢٨
٣.	مسند عثمان بن عفان	١٧
٤.	مسند علي بن أبي طالب	٤١
٥.	مسند أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل	٢
٦.	مسند عبدالرحمن بن عوف	٣
٧.	مسند الزبير بن العوام	١
٨.	مسند طلحة بن عبيدالله	٣
٩.	مسند سعد بن أبي وقاص	٥
١٠.	مسند سعيد بن زيد	٤
١١.	مسند عبدالله بن مسعود	٢٢
١٢.	مسند عبدالله بن عمر	٢٥
١٣.	مسند عبدالله بن عباس	١٢
١٤.	مسند أبي موسي الأشعري	٨
١٥.	مسند عبدالله بن عمرو بن العاص	٣
١٦.	مسند أبي هريرة	٢٤
١٧.	مسند أم المؤمنين عائشة	١٦
١٨.	مسند أنس بن مالك	١٣
١٩.	مسند أبي سعيد الخدري	٦
٢٠.	مسند جابر بن عبدالله	٨
٢١.	مسند عمار بن ياسر	٢
٢٢.	مسند حذيفة بن اليمان	٩
٢٣.	مسند أبي ذر الغفاري	٢
٢٤.	مسند مقداد بن الأسود	١
٢٥.	مسند خباب بن الأرت	١
٢٦.	مسند بريدة الأسلمي	٥
٢٧.	مسند عقبة بن عامر	٣
٢٨.	مسند سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢
٢٩.	مسند العرباض بن سارية	٢
٣٠.	مسند عبدالرحمن بن غنم الأشعري	٢
٣١.	مسند أبي أروى الدوسي	١
٣٢.	مسند أبي أمامة الباهلي	١
٣٣.	مسند سالم بن عبيد الأشجعي	١
٣٤.	مسند عرفجة الأشجعي	١
٣٥.	مسند عياض بن حمار	١
٣٦.	مسند ربيعة بن كعب الأسلمي	١
٣٧.	مسند أبي برزة الأسلمي	١
٣٨.	مسند عمرو بن عبسة	٢
٣٩.	مسند سلمان الفارسي	١
٤٠.	مسند ذي مخمر	١
٤١.	مسند عوف بن مالك الأشجعي	٢
٤٢.	مسند عبدالله بن مغفل المزني	١
٤٣.	مسند أم المؤمنين حفصة	٢
٤٤.	مسند معاذ بن جبل	١
٤٥.	مسند أبيّ بن كعب	١
٤٦.	مسند أبي أيوب الأنصاري	١
٤٧.	مسند أبي الدرداء	٢
٤٨.	مسند أسيد بن الحضير	٢
٤٩.	مسند زيد بن ثابت	١
٥٠.	مسند زيد بن خارجة	٢
٥١.	مسند رفاعة بن رافع	١
٥٢.	مسند رافع بن خديج	١
٥٣.	مسند أبي سعيد المعلى	١
٥٤.	مسند البراء بن عازب	١
٥٥.	مسند أم حرام الأنصارية	١
٥٦.	مسند سهل بن سعد الساعدي	٢
٥٧.	مسند النعمان بن بشير	١
٥٨.	مسند عويم بن ساعدة	١

(١) رتب هذه القائمة المترجم محمد بشير.

	اسم المسند	عدد الروايات
٥٩.	مسند شداد بن أوس	١
٦٠.	مسند حسان بن ثابت	٤
٦١.	مسند أبي الهيثم بن التيهان	١
٦٢.	مسند كعب بن عجرة	١
٦٣.	مسند جابر بن سمرة	٣
٦٤.	مسند عدي بن حاتم	١
٦٥.	مسند كرز بن علقمة الخزاعي	١
٦٦.	مسند عبدالله بن حوالة	٢
٦٧.	مسند هاشم بن عتبة بن أبي وقاص	١
٦٨.	مسند نافع بن عتبة بن أبي وقاص	١
٦٩.	مسند عبدالله بن هشام بن زهرة القرشي	٢
٧٠.	مسند عمران بن الحصين الخزاعي	١
٧١.	مسند عبدالرحمن بن أبي بكر	١
٧٢.	مسند عثمان بن أرقم بن أبي الأرقم	١
٧٣.	مسند الأسود بن سريع	١
٧٤.	مسند أبي جحيفة السوائي	٢
٧٥.	مسند عبدالله بن زمعة بن الأسود	٣
٧٦.	مسند أبي بكرة الثقفي	٢
٧٧.	مسند سمرة بن جندب	١
٧٨.	مسند عباس بن عبدالمطلب	١
٧٩.	مسند أبي الطفيل	١
٨٠.	مسند مرة بن كعب	٢
٨١.	مسند أبي رمثة	١
٨٢.	مسند نافع بن عبدالحارث	٢
٨٣.	مسند جبير بن مطعم	١
٨٤.	مسند عبدالله بن الزبير	٣
٨٥.	مسند عبدالرحمن بن خباب الأسلمي	١
٨٦.	مسند عبدالرحمن بن سمرة القرشي	١
٨٧.	مسند معاوية بن أبي سفيان	٢
٨٨.	مسند عمرو بن العاص	١
٨٩.	مسند رجل من الصحابة	١
٩٠.	مسند رجل من الصحابة	١
٩١.	مسند عبدالله بن جعفر	١
٩٢.	مسند جرير بن عبدالله البجلي	٤
٩٣.	مسند جندب بن عبدالله	١
٩٤.	مسند محجن -أبي محجن-	٢
٩٥.	مسند زرارة بن عمرو النخعي	١
٩٦.	مسند سعيد بن المسيب	٢
٩٧.	مسند عبدالله بن حنطب	١
٩٨.	قول محمد بن سيرين	١
٩٩.	أقوال الحسن والحسين ابني علي	٤
١٠٠.	أقوال أولاد الحسن بن علي	٤
١٠١.	أقوال أولاد الحسين بن علي	٩
	المجموع	٣٩٦

فذلكة الباب الرابع

دلالات وتأملات وتحليلات مستنبطة من نصوص القرآن والحديث

وتشتمل على مقدمة واثني عشر فصلا:

مــقــــدمة

يتوقف فهم الدلائل والتأملات والتحليلات التي تستنبط من آيات الخلافة وأحاديثها التي سبق ذكرها في هذه الأبواب على تمهيد مقدمة، فنقول:

شرائع الإسلام على نوعين.

شرائع الملة المحمدية أي العقائد والأحكام التي شرعها الله سبحانه وتعالى لعباده على نوعين:

النوع الأول:

الأحكام التي كشفت الشريعة النقاب عن حقيقتها وبينــتها بيانا شافيا وتمت حجة الله على عباده بتكليفه إياهم بها. وهذا النوع من الأحكام مأخوذ من صريح القرآن الكريم وصريح السنة الصحيحة المشهورة أو إجماع الطبقة الأولى أو القياس الجلي على الكتاب والسنة.

والــحق أن مدار الشريعة الإسلامية على هذه الأحكام الصريــحة، وعلى أساس قبولها أو ردها يتوقف التسنن أو الابتداع.

وإذا ثبت حكم من الأحكام بهذا الوجه الذي يصدق عليه "أنه عندكم من الله فيه برهان" لا يبقى أي مجال لمخالفته أو رده. ومن خالفه أو رده متمسكا بشبهات واهية لا يُعْذَر، وكذلك لا يُعْذَر مقلده أيضا. مثال ذلك الذين منعوا الزكاة عن أبي بكر الصديق ﷺ، بعد ما استأثر الله بنبيه ﷺ. فتذاكر الصحابة فيهم، وشرح الله صدر أبي بكر ﷺ لقتالهم، فعرفوا أنه الحق وأخذوا به جميعا وقاتلوهم.

وتعد القدرية والمرجئة والخوارج والروافض من هذا القبيل. وقد ورد في الأحاديث الصحيحة ذم هذه الفرق الأربع.

النوع الثاني:

هي الأحكام التي لم يكشف النقاب عن حقيقتها ولم يثبت تكليف الناس بها بصراحة كافية، بل صار اختلاف الأدلة أو عدم شيوع الأحاديث الواردة فيها، حجابا على معرفة حقيقتها، أو لم يرد فيها دليل صريح فتفرقت الاستنباطات والأقيسة. فهذا النوع من الأحكام يحتمل الاجتهاد والأخذ والرد. فيرى جماعة أن كل مجتهد مصيب في حين أن طائفة أخرى ترى أن المصيب واحد والآخر معذور.

والتحقيق عند هذا الفقير عفا الله عنه، أن الأمر فيه تفصيل؛ بأنه إذا وجد مجتهد حديثا صحيحا من الآحاد والآخر لم يجده، فالذي وجده وأخذ به مصيب والآخر معذور. وأما إذا كان

منشأ الاختلاف تعدد طرق الجمع بين دليلين أو قياسا خفيا، فالمجتهدان كلاهما مصيب. وذلك لأن المقصود موافقة حكم الشارع و الخضوع لأمره وكلاهما أراده بحسب ما أدى إليه اجتهاده. والاختلاف بين مذاهب فقهاء أهل السنة من هذا النوع، فجميعها مقبولة.

ومرادنا في هذا الباب بل في هذه الأبواب كلها، أن نبين أن ثبوت القرشية والسوابق الإسلامية و البشارة بالجنة وغيرها من الفضائل والحسنات للخلفاء الراشدين ﷺ من النوع الأول. وحجة الله قائمة بها على منكريها. فهم غير معذورين عند الله سبحانه وتعالى بشبهاتهم الواهية. والذين ينكرونها مبتدعون ومطرودون من جماعة المحمديين على متبوعهم أفضل الصلوات وأيمن التحيات. لأن بدعتهم هذه مكفرة عند البعض ومفسقة أشد الفسق عند الآخرين. وكذلك اشتراط القرشية والخصال السبع المذكورة في الخلافة الخاصة ثابت ثبوتا قطعيا بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة وآثار الصحابة ﷺ.

وخلافة الخلفاء الراشدين ﷺ ثابتة في الشريعة ثبوتا قطعيا. وقد سلك الصحابة والتابعون في إثباتها مسالك متنوعة واختاروا مناهج متعددة، لكل منها دلالاتها، إما قطعية وإما ظنية. وإذا تأملناها وجمعناها تصير متواترة بالمعنى.

وإذا ضممنا إليها عموم الآيات القرآنية وإشاراتها وقرائنها، يصير الاستدلال بها قطعيا.

بعد هذا التمهيد نقول: إن كون الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من قريش وكونهم من السابقين إلى الإسلام وكونهم من المهاجرين الأولين، وشهودهم بدرا والحديبية وغيرهما من الغزوات والمشاهد العظيمة، كله ثابت ثبوتا قطعيا لا مجال لمنكر أن ينكرها.

يبدو أن إطالة الكلام في هذه الحقائق الجلية الباهرة نوع من اللغو. ولكننا رغم ذلك نريد سرد مآثرهم في هذا الباب بأبلغ وجه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ذا النورين ﷺ لم يشهد بدرا وبيعة الرضوان، وأن عليا رضي الله عنه لم يشهد تبوك. لكنهما كانا في حكم من شهدها كما سنذكره قريبا إن شاء الله تعالى.

الفصل الأول
دلائل اشتراط القرشية في الخلافة

أما اشتراط القرشية في الخلافة الاختيارية –وليس الكلام هنا عن الخلافة الإجبارية– فقد ثبت بأحاديث كثيرة منها:

(١) حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعا: الأئمة من قريش[(١)].

---

(١) راجع ص ٤٠.

(٢)　وحديثه موقوفا: لن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا[١].

(٣)　وحديث ذي النورين وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما مرفوعا: من أراد هوان قريش أهانه الله[٢].

(٤)　وحديث علي المرتضى رضي الله عنه مرفوعا: ألا إن الأمراء من قريش ما قاموا بثلاث، ما حكموا فعدلوا، وما عاهدوا فوفوا، وما استرحموا فرحموا[٣].

(٥)　وحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان[٤].

(٦)　وحديث ابن عباس مرفوعا: اللهم أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا. أخرجه الترمذي[٥].

(٧)　وحديث أبي هريرة مرفوعا: إن هذا الأمر في قريش ماداموا إذا استرحموا فرحموا[٦]. الخ

(٨)　وحديث أبي هريرة مرفوعا: الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم[٧].

(٩)　وحديثه مرفوعا: إن لقريش حقا ما حكموا فعدلوا و ائتمنوا فأدوا واسترحموا فرحموا[٨].

(١٠)　وأيضا حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: الملك في قريش والقضاء في الأنصار و الأذان في الحبشة و الأمانة في الأزد[٩].

---

(١)　البخاري (٦٨٣٠) حديث طويل في كتاب المحاربين باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت.

(٢)　أما حديث ذي النورين فرواه أحمد ٦٤/١ وأبويعلى في الكبير والبزار ورجالهم ثقات كما في المجمع ٧/١٠ وابن حبان كما في الموارد ص ٥٦٩، والصحيحة رقم ١١٧٨. وأما حديث سعد فقد مر في مسنده. راجع ص ١٧٤.

(٣)　راجع ص ١٦٠.

(٤)　راجع ص ١٨٠- ١٨١.

(٥)　(٣٩٠٨) أبواب المناقب باب في فضل الأنصار وقريش، وقال: حسن صحيح غريب. وحسنه الألباني في الضعيفة حديث رقم ٣٩٨.

(٦)　راجع ص ١٩٣.

(٧)　راجع ص ٤٠- ٤١.

(٨)　راجع ص ١٩٣.

(٩)　أحمد ٣٦٤/٢ رجاله ثقات كما قاله الهيثمي في المجمع ١٩٢/٤. والترمذي (٣٩٣٦) أبواب المناقب باب في فضل اليمن وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٠٨٤.

(١١) وحديث جابر مرفوعا: الناس تبع لقريش في الخير والشر[١].

(١٢) وحديث أنس مرفوعا: الأئمة من قريش. إن لهم عليكم حقا ولكم عليهم حقا مثل ذلك؛ ما إن استرحموا رحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا. فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[٢].

(١٣) وحديث أبي برزة الأسلمي مرفوعا: الأمراء من قريش، لكم عليهم حق، ولهم عليكم حق ما فعلوا ثلاثا، مثل حديث أنس رضي الله عنه[٣].

(١٤) وحديث ذي مخمر: كان هذا الأمر في حمير، فنـزعه الله منهم فجعله في قريش[٤] الخ.

(١٥) وحديث معاوية بن أبي سفيان مرفوعا: إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين[٥].

(١٦) وحديث جابر بن سمرة وأبي جحيفة مرفوعا: لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش[٦].

(١٧) وحديث عمرو بن العاص مرفوعا: قريش ولاة الناس في الخير و الشر إلى يوم القيامة. أخرجه الترمذي[٧].

وأخرج الشافعي عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن مشايخه أحاديث، منها:

(١٨) عن ابن شهاب أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموا من قريش ولا تعالموها أو تعلموها، شك ابن أبي فديك[٨].

(١٩) وعن حكيم بن أبي حكيم أنه سمع عمر بن عبد العزيز وابن شهاب يقولان: قال رسول الله ﷺ: من أهان قريشا أهانه الله[٩].

---

(١) راجع ص ٤٠- ٤١.
(٢) راجع ص ٢٠٢.
(٣) راجع ص ٢٢٠.
(٤) راجع ص ٢٢١.
(٥) راجع ص ٤١.
(٦) راجع ص ٢٣٤ و ٢٣٩.
(٧) (٢٢٢٧) أبواب الفتن باب ما جاء أن الخلفاء من قريش إلى يوم القيامة، وقال: حسن صحيح غريب، وأحمد ٢٠٣/٤ وابن أبي عاصم في السنة ٥٢٧/٢ والألباني في الصحيحة ١٤٥/٣.
(٨) الشافعي في مسنده/٢٧٨ ورجاله ثقات إلا أنه مرسل. صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ٤٣٨٣.
(٩) المصدر السابق ورجاله ثقات إلا أنه مرسل. وقد روي عن عثمان مرفوعا ورجاله ثقات.

(٢٠) وعن الحارث بن عبد الرحمن أنه قال بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: لو لا أن يبطر قريش لأخبرها بالذي لها عند الله عز و جل[١].

(٢١) وعن شريك بن أبي نمر عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال لقريش: أنتم أولى الناس بهذا الأمر ما كنتم مع الحق إلا أن تعدلوا عنه فتلحون كما تلحى هذه الجريدة، يشير إلى جريدة في يده[٢].

(٢٢) وأخرج الشافعي[٣] عن يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة الأنصاري عن أبيه عن جده رفاعة أن النبي ﷺ نادى: أيها الناس إن قريشا أهل أمانة من بغاها العواثر كبه[٤] الله لمنخريه. يقولها ثلاثا.

(٢٣) وأخرج الشافعي[٥] عن عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم حدثه أن قتادة بن النعمان وقع بقريش فكأنه نال منهم. فقال رسول الله ﷺ: مهلا يا قتادة! لا تشتم قريشا فإنك لعلك ترى فيها رجالا أو يأتي منهم رجال تحقر عملك مع أعمالهم وتغبطهم إذا رأيتهم. لو لا أن تطغى قريش لأخبرها بالذي لها عند الله.

(٢٤) وأخرج الشافعي[٦] عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾[٧] قال: يقال ممن الرجل؟ فيقال: من العرب. فيقال: من أي العرب؟ فيقال: من قريش؟

(٢٥) وذكر الشافعي متن الحديث تعليقا ثم وصله البيهقي[٨] بإسناده عن جبير بن

---

(١) أيضا ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٢) أيضا ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٣) ص ٢٧٩ ورجاله موثقون وفي بعضهم كلام. والبزار والطبراني مفصلا وأحمد مختصرا ورجال أحمد والبزار والطبراني ثقات كما في المجمع ٢٦/١٠. راجع الصحيحة رقم ١٦٨٨.

(٤) وفي المسند: أكبه.

(٥) أيضا ورجاله ثقات وأحمد ٣٨٤/٦ مرسلا ومسندا، وأحال لفظ المسند على المرسل، والبزار كما في الكشف ٢٩٧/٣ كذلك، والطبراني في الكبير ٦/١٩ مسندا ورجال البزار في المسند رجال الصحيح، ورجال أحمد في المرسل والمسند رجال الصحيح غير جعفر بن عبدالله بن أسلم في مسند أحمد وهو ثقة وفي بعض رجال الطبراني خلاف، كما في المجمع ٢٣/١٠.

(٦) الرسالة ص ١٢ وعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير ٤٦/٢٥ وابن المنذر وابن أبي حاتم ٣٢٨٣/١٠ والقرطبي ٩٤/١٦ والماوردي ٥٣٦/٣ والبيهقى كما في الدرالمنثور ١٨/٦ والبيهقي في مناقب الشافعي ٣٢/١، وأبونعيم في الحلية ٦٥/٩ أيضا.

(٧) سورة الزخرف: ٤٤.

(٨) أوائل سننه الصغرى، أعني معرفة السنن والآثار ٢٠/١ وأحمد ٨١/٤، ٨٣ وأبويعلى برقم ٧٣٦٣ والبزار والطبراني. ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح كما في المجمع ٢٦/١٠. والطيالسي رقم ٢٧٠٥، وأبونعيم في الحلية ٦٤/٩ وابن حبان ص ٥٦٩ والحاكم ٧٢/٤ أيضا وقال الحاكم: صحيح

مطعم قال قال رسول الله ﷺ: للقرشي مثل قوة الرجلين من غيرهم. فقيل للزهري: بم ذلك؟ قال: من نبل الرأي. ذكر هذه الأحاديث كلها البيهقي في أوائل سننه الصغرى.

والخلاصة أن جماعة عظيمة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، ذكروا هذا المعنى بألفاظ مختلفة وطرق متنوعة تصرح بعضها بخلافة قريش و تحتوي الأخرى على إشارات واضحة أو قرائن تقرب الذهن إلى هذا المعنى.

(٢٦) ثم لما توفى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ قالت الأنصار: منا أمير و منكم أمير. فمنعهم المهاجرون بهذه وانقادوا إليه وانعقد إجماعهم على ذلك وسكت المعارضون. وقد رويت هذه القصة بطرق كثيرة جدا وسنذكر بعضها في بيان انعقاد خلافة أبي بكر الصديق وبعد هذه المداولات والمناظرات اجتمعت كلمتهم على هذه القاعدة و تفرق المجلس على هذا الإجماع.

الفصل الثاني
دلائل على اشتراط كون الخليفة في الخلافة الخاصة من المهاجرين الأولين

يشترط في الخلافة الخاصة أن يكون الإمام من المهاجرين الأولين والسابقين إلى الإسلام ونصرة نبيه ﷺ لإعلاء كلمة الله. هذا ما تؤكده بل وتكاد أن تنص عليه الأدلة الكثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار المروية عن عدد كبير من أصحاب رسول الله ﷺ. ونذكر هنا بعضها:

(١) منها قول الله عز وجل ﴿**لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ**﴾[١].

(٢) وقول الله عز وجل ﴿**ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ**﴾[٢].

(٣) وقول سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه[٣] في خطبته الأخيرة حين جعل الخلافة شورى بين ستة من الصحابة رضي الله عنهم: وإني قد علمت أن أقواما سيطعنون في هذا الأمر. أنا ضربتهم بيدي هذه على الإسلام فإن فعلوا فأولئك أعداء الله الكفار الضلال.

(٤) وقول عبدالله بن عمر[٤] رضي الله عنهما لمعاوية: أحق بهذا الأمر من قاتلك

على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٦٩٧.

(١) سورة الحديد: ١٠.

(٢) سورة الحج: ٤١.

(٣) مسلم (١٢٥٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثًا الخ.

(٤) راجع ص ٥٠.

وقاتل أباك على الإسلام.

(٥) وقول زيد بن ثابت ﷺ الذي قاله يوم انعقاد خلافة أبي بكر الصديق ﷺ: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، فإن الإمام يكون من المهاجرين ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ[١].

(٦) وقول رفاعة بن رافع الزرقي البدري في قصة خروج طلحة والزبير على علي وبلوغ الخبر إلى علي،كما ذكر في الاستيعاب[٢]، فقال رفاعة بن رافع الزرقيُ: إن الله لما قبض رسوله ﷺ ظننا أنا أحق الناس بهذا الأمر لنصرتنا الرسول ومكانتنا من الدين فقلتم: نحن المهاجرون الأولون وأولياء رسول الله الأقربون. إنا نذكّركم الله أن لا تنازعونا[٣] مقامه في الناس. فخليناكم والأمر. فأنتم أعلم وما كان بينكم غير أنا لما رأينا الحق معمولا به والكتاب متبعا والسنة قائمة رضينا و لم يكن لنا إلا ذلك. فلما رأينا الأثرة أنكرنا، إلى آخر ما قال.

(٧) وقول عبدالرحمن بن غنم الأشعري[٤] لأبي هريرة وأبي الدرداء ﷺ: وأي مدخل لمعاوية في الشورى وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة وهو وأبوه رؤوس الأحزاب. فندما على مسيرهما وتابا بين يديه. فهذا يدل على أن أبا هريرة وأبا الدرداء رجعا أخيرا إلى قول عبدالرحمن بن غنم الأشعرى.

(٨) وحديث جرير بن عبد الله مرفوعا: المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض، والطّلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة[٥].

(٩) ومن أقوى الأدلة على ذلك قول علي رضي الله عنه الذى كتبه مرارا إلى أهل الشام أن أمر الخلافة مفوض إلى المهاجرين والأنصار ولا دخل لغيرهم فيها وإن اجتمعوا على رجل وبايعوه لا يجوز لأحد أن يردها أو يخالفها[٦].

---

(١) البيهقي في الإعتقاد ص ١٧٧، ١٧٨ ومن طريقه ابن كثير في البداية ٢٤٩/٥ والرياض النضرة ٢١٦/١، وقال ابن كثير: هذا إسناد صحيح. والطبراني وأحمد أيضا ورجاله رجال الصحيح كما في المجمع ١٨٣/٥. وقد سبق هذا الحديث في مسند زيد بن ثابت ص ٢٢٦– ٢٢٧.

(٢) ١/ ١٧٧ في ترجمة رفاعة بن رافع رضي الله عنه. وفي إسناده أبو مخنف وجابر وحالهما معروف. وابن الأثير الجزري في أسد الغابة ٢/ ١٧٩.

(٣) وفي الاستيعاب: إن تنازعوا.

(٤) الاستيعاب في ترجمة عبد الرحمن بن غنم ٤٠٢/٢ بدون إسناد.

(٥) أحمد ٣٦٣/٤ والطبراني بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح، قاله الهيثمي في المجمع ١٥/١٠. وصححه في الصحيحة رقم ١٠٣٦.

(٦) وتجد مثل هذه العبارات في كتب الشيعة كذلك، ففي نهج البلاغة ط: مصر، ٧/٢ وردت رسالة لعلي إلى معاوية فيها: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على

(١٠) ومن القرائن الدالة على ذلك حديثه ﷺ في ذكر من هو أحق بإمامة الصلاة حيث قال: فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة[١].

(١١) ومن القرائن القوية التي تدل على هذا المعنى قول الله عز وجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَـٰجَرْنَ مَعَكَ﴾[٢] وكانت السيدة أم هانئ حرمت شرف تزويج النبي ﷺ إياها بسبب قيد الهجرة الذي صرحه القرآن الكريم في هذه الآية.

(١٢) ومن القرائن الدالة على هذا المعنى أن العباس رضي الله عنه رغم كونه عما لرسول الله ﷺ ورئيس بني هاشم لم يكن له حظ أو مدخل في أمر الخلافة العظيم و لم يكن يعتد من أهلها و لم يكن يذكر فيمن يستحقها. وإلى ذلك أشار بعض أولاده فيما أخرج الحاكم[٣] عن أبي إسحاق قال: سألت قثم بن العباس كيف ورث علي رسول الله ﷺ دونكم؟ قال: لأنه كان أولنا به لحوقا وأشدنا به لزوقا.

خلاصة جميع هذه الأدلة الكثيرة من الأحاديث والآثار أن كون المرء من المهاجرين الأولين يعد شرفا عظيما ومنزلة رفيعة له في شريعة الإسلام، وهو شرط مطلوب لا يمكن تخطيه فيمن يخلف النبي ﷺ كما ذكر ذلك مفصلا عند بيان انعقاد خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وبين الهجرة الأولى وبين القريشية نسبة عموم وخصوص من وجه. وكان أبوبكر الصديق وأمثاله جامعين للخصلتين كلتيهما. وقد منع الأنصار من طلب الإمارة بهاتين الخصلتين. أما المناقشات التي جرت بين علي المرتضى وبين معاوية بن أبي سفيان فكان مدار الفرق فيها الهجرة.

الفصل الثالث
متى انقطعت الهجرة؟

وهنا بحث شريف في مسألة الهجرة التي وردت فيها أحاديث وآثار كثيرة، نذكر بعضها

رجل وسموه إماما كان ذلك رضى.

(١) مسلم (١٥٣٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب من أحق بالإمامة.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٠.

(٣) ١٢٥/٣ وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٩٣٨) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٢٩٤/١ والطبراني في المعجم الكبير ٤٠/١٩.

فيما يلي:

(١) أخرج البخاري[١] عن عاصم عن أبي عثمان النهدي عن مجاشع بن مسعود قال: انطلقت بأبي معبد إلى النبي ﷺ ليبايعه على الهجرة فقال: مضت الهجرة لأهلها. أبايعه على الإسلام والجهاد. فلقيت أبا معبد فسألته فقال: صدق مجاشع.

(٢) وأخرج البخاري[٢] عن ابن عمر: لا هجرة اليوم أو بعد رسول الله ﷺ.

(٣) وأخرج عن مجاهد[٣]: كان ابن عمر يقول لا هجرة بعد الفتح.

(٤) وأخرج عن عائشة[٤]: قالت لا هجرة اليوم. كان المؤمن يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله مخافة أن يفتن عليه فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام. فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية.

(٥) وأخرج الطبراني في الصغير[٥] من حديث أبي هند يحيى بن عبد الله بن حجر بن عبد الجبار بن وائل بن حجر الحضرمي الكوفي بالكوفة قال حدثنا عمي محمد بن حجر بن عبد الجبار قال حدثني سعيد بن عبد الجبار عن أبيه عبد الجبار عن أمه أم يحيى عن وائل بن حجر حديثا طويلا في قصة وفوده على النبي ﷺ ثم رجوعه إلى وطنه ثم اعتزاله الناس في فتنة عثمان ثم قدومه على معاوية، فقال له معاوية: فما منعك من نصرنا وقد اتخذك عثمان ثقة وصهرا. قلت: إنك قاتلت رجلا هو أحق بعثمان منك. قال وكيف يكون أحق بعثمان مني وأنا أقرب إلى عثمان في النسب؟ قلت: إن النبي ﷺ كان آخا بين علي وعثمان فالأخ أولى من ابن العم. ولست أقاتل المهاجرين. قال: أ ولسنا مهاجرين؟ قلت: أ ولسنا قد اعتزلناكما جميعا. وحجة أخرى: حضرت رسول الله ﷺ وقد رفع رأسه نحو المشرق وقد حضره جمع كثير ثم رد إليه بصره فقال: أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم، فشدد أمرها وعجله وقبحه. فقلت له من بين القوم: يا رسول الله وما الفتن؟ فقال: يا وائل، إذا اختلف سيفان في الإسلام فاعتزلهما. فقال: أصبحت شيعيا؟ فقلت: لا[٦] ولكني أصبحت ناصحا للمسلمين. فقال معاوية: ولو سمعت ذا وعلمته ما أقدمتك. أو ليس قد رأيت ما صنع محمد بن مسلمة عند مقتل عثمان انتهى بسيفه إلى الصخرة فضربه حتى انكسر؟! فقال: أولئك قوم يحملون علينا. قلت: فكيف تصنع بقول

---

(١) البخاري (٢٩٦٢) كتاب الجهاد والسير باب البيعة في الحرب على أن لا يفروا.

(٢) (٤٣١١) كتاب المغازي باب بعد باب مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة زمن الفتح.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) ١٤٣/٢ والكبير ٤٦/٢٢ رقم ١١٧ وفيه محمد بن حجر وهو ضعيف كما في المجمع ٣٧٦/٩.

(٦) وفي الطبراني: قلت: لا.

رسول الله ﷺ من أحب الأنصار فبحبي ومن أبغض الأنصار فببغضي؟

(٦) وأخرج أبويعلى[١] عن معاوية بن أبي سفيان قال سمعت رسول الله ﷺ: لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، قالها ثلاث مرات. ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها.

فكيف الجمع بين هذه الأحاديث في انقطاع الهجرة بالفتح أو بقائها إلى يوم القيامة؟

وجه التطبيق بينها أن الهجرة في اللغة: خروج المرء من وطنه المألوف، وأكملها هجرة المسلم في زمان غربة الإسلام وغلبة الكفار إلى رسول الله ﷺ ليتشرف بصحبته ويسعى ويجاهد تحت رأيته ﷺ لإعلاء كلمة الله والتخلص من سلطان الكفار الذي هو المانع القوي لإقامة أركان الإسلام. وهذا هو المعنى الأكمل للهجرة الحقيقية الذي يفهم في الشرع بدون أي قرينة. وقد انقطعت الهجرة بهذا المعنى بفتح مكة لقول النبي ﷺ: لا هجرة بعد الفتح.

ولها معنى آخر؛ وهو أن يهاجر المرء في طلب فضيلة من الفضائل الدينية من طلب العلم وزيارة الصالحين والفرار من الفتن وغيرها من المعاني الإسلامية السامية التي هي أيضا مطلوبة ويجب السعي إليها. وهذا النوع من الهجرة باق إلى يوم القيامة ولكنه لا يساوي الهجرة إلى رسول الله ﷺ للتعلم والتأدب منه والجهاد معه وقد اشتبه الفرق بين نوعي الهجرة واختلط على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، والله أعلم بحقيقة الحال.

الفصل الرابع
دلائل على اشتراط الخصال الأخرى في الخلافة الخاصة

والسبب لاشتراط الصفات والخصال الأخرى (غير القرشية والهجرة) في الخلافة أننا إذا تأملنا حقيقة معنى الخلافة الراشدة أو الخلافة الخاصة أو الكاملة، (سمها ما شئت) نجد أنه لابد أن يتحلى فيها الخليفة بالصفات والخصال المخصوصة بالمقربين والكاملين والتي كان النبي ﷺ مع كونه نبيا مبعوثا من الله سبحانه وتعالى، جامعا لها، وكذلك لابد أن يقوم الخليفة بالأعمال التي كان رسول الله ﷺ يقوم بها، ويؤديها لكونه نبيا مرسلا من عند الله سبحانه وتعالى. ثم لابد أن يعلم اتصاف الخليفة بهذه الخصال والأعمال من الشريعة بالقطع والتأكيد. وإذا استقرينا هذه الخصال والأعمال نجدها أقساما ثلاثة:

---

(١) أبويعلى (٧٣٣٣)، وأبوداود (٢٤٧٩) كتاب الجهاد باب في الهجرة هل انقطعت، والنسائي في الكبرى رقم ٨٦٥٨، وأحمد ٩٩/٤ أيضا. وفي إسناده أبوهند البجلي لا يعرف، قاله الذهبي وغيره، وقال الحافظ في التقريب ص ٦١٧: مقبول. وصححه الألباني في إرواء الغليل ٣٣/٥.

القسم الأول: حسن عباداته التي بينه وبين الله سبحانه وتعالى وحسن معاملاته مع خلق الله.

القسم الثاني: نصرة رسول الله ﷺ في سبيل جهاد أعداء الله وإعلاء كلمة الله.

القسم الثالث: إكمال الأعمال التي كان يجب أن تنفذ وتتم بعد رسول الله ﷺ والتي هي تتمة للأعمال التي بدأها رسول الله عليه الصلاة والسلام. وأن تنفذ على يده تلك المواعيد التي كان الله قد وعدها رسوله ﷺ من سقوط دولتي كسرى وقيصر وفتح البلدان ونشر العلم وأشباه ذلك.

(١) الصفات الشخصية

وكذلك تنقسم الصفات الشخصية إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: كون المرء من السابقين المقربين.

قسم الله سبحانه وتعالى المسلمين إلى فئات ثلاثة: السابقين أو المقربين و المقتصدين والظالمين، كما يعلم مما يلي:

(١) قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[١].

(٢) وقال الله تعالى ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٢].

(٣) قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٣].

(٤) أخبرنا شيخنا أبوطاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني بداره بظاهر المدينة المشرفة سنة (١١٤٤هـ) قراءة عليه وأنا أسمع، قال أخبرني أبي الشيخ إبراهيم الكردي قال أخبرني الشيخ أحمد القشاشي قال: أنبأنا الشمس الرملي إجازة عن الزين زكريا عن ابن الفرات عن عمر بن حسن المراغي عن الفخر بن البخاري عن فضل الله بن سعد النوقاني عن محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي[٤] قال في تفسيره: أخبرنا أبوسعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي

---

(١) سورة فاطر: ٣٢.

(٢) سورة الواقعة: ٧-١١.

(٣) المطففين: ١٩-٢١.

(٤) المعالم ٥٧١/٣ وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث أيضا، كما في الدر المنثور ٢٥٢/٥. قلت: وفي إسناده عمران بن حصين العقيلي، وهو متروك كما في التقريب ص

أخبرنا أبوإسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا أبوعبد الله الحسين بن محمد بن فنجويه يعني الثقفي الدينوري حدثنا محمد بن علي بن الحسين بن الفافا القاضي حدثنا بكر بن محمد المروزي حدثنا أبوقلابة حدثنا عمرو بن الحصين عن الفضل بن عميرة عن ميمون الكردي عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ الآية، فقال قال رسول الله ﷺ: سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له. قال أبوقلابة: فحدثت به يحيى بن معين، فجعل يتعجب منه.

فيجب أن يكون الخليفة من الفئة الأولى وهم السابقون المقربون من الصديقين أو الشهداء أو الصالحين وأن يُعلم في الشريعة بطريق اليقين والقطع كونه منهم.

القسم الثاني: العلم بالحكمة وأوامر الله سبحانه وتعالى بحيث يستطيع أن ينوب عن رسول الله ﷺ في تبليغ الشريعة والحكمة.

القسم الثالث: اتصافه بالحزم وغيره من الخصال التي تؤهله للقيام برياسة العالم وسياسة الأمة من الشجاعة والكفاية ومعرفة شؤون الرعية والرفق في السياسة وغيرها.

(٢) التشبه بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام

ويحصل التشبه بالأنبياء من حيث النبوة بأمور ثلاثة:

الأول: أن يبشره النبي ﷺ بالجنة بناء على وحي إلهي.

الثاني: أن يبين النبي ﷺ بالوحي تصريحا أو تلويحا كونه أفضل الأمة.

الثالث: أن يبين النبي ﷺ بقوله أو فعله استحقاقه لمنصب الخلافة.

وأما العبادات فهي لازمة من لوازم السابقين والمقربين، وحسن معاملة خلق الله سبحانه وتعالى من لوازم حسن السياسة. فهاتان الخصلتان تندرجان في ذينك القسمين.

أما نصرة النبي ﷺ في إعلاء كلمة الله بحضرته وفي أيام حياته فتسمى السوابق الإسلامية التي إليها تشير الآية الكريمة ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ﴾[1]. والهجرة أيضا باب منها.

٣٩٠، وشيخه الفضل بن عميرة أيضا فيه لين كما في التقريب ص ٤١٦. وقد ذكر العقيلي هذا الحديث في ترجمته ٤٤٣/٣ وقال: لا يتابع عليه.

(١) سورة الحديد: ١٠.

الفصل الخامس
دلائل على اشتراط السوابق الإسلامية في الخلافة الخاصة

وأما اشتراط السوابق الإسلامية في الخلافة الخاصة أو الكاملة فقد ثبت من وجوه كثيرة. وقد علم بالقطع والتواتر أن السوابق الإسلامية كانت مدار الأفضلية والشرف والكرامة عند الله ونــزلت في ذلك آيات كثيرة من القرآن الكريم التي منها:

(١) قول الله عز وجل ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ...﴾

وكذلك أبدى عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، عندما انعقدت خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أمثلة كثيرة تدل على الاهتمام بالسوابق الإسلامية وما لها من المكانة والأفضلية في الشريعة المطهرة، منها:

(٢) قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أ لست أحق الناس بها؟ أ لست أول من أسلم؟ ألست صاحب كذا؟ أ لست صاحب كذا[١]؟

(٣) وقول عمر رضي الله عنه: إن أبابكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين، وإنه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه[٢].

(٤) وعدّ عثمان رضي الله عنه[٣] سوابقه الإسلامية حين قدحوا في خلافته واعترضوا عليه.

(٥) وباح علي رضي الله عنه بسوابقه الإسلامية في أيام خلافته بأصرح ما يكون حين أراد إثبات خلافته وترجيح نفسه على غيره.

(٦) وروي عن النبي ﷺ أنه قال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[٤].

(٧) وقال أبوعبيدة: تأتوني وفيكم ثالث ثلاثة؟[٥]

(٨) وروى ابن عمر: ما يدريك؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما

---

(١) الترمذي (٣٦٦٧) أبواب المناقب باب قول أبي بكر: ألست أحق الناس بها الخ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني رقم ١٨ والبزار في مسنده ١/٩٤ وابن حبان كما في الإحسان رقم ٦٧٢٤ وأبونعيم في معرفة الصحابة ١/٢٥ رقم ٧١، ٧٢ والضياء في المختارة ١/١٠١، ١٠٣.

(٢) راجع ص ١٥٠.

(٣) راجع ص ١٥٥.

(٤) البخاري (٣٩٨٣) كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا، ومسلم (٦٤٠١) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل حاطب وأهل بدر من حديث علي، وعن جابر وغيره أيضا. وراجع ص ٥٥.

(٥) راجع ص ٧٠.

شئتم[١].

(٩) وروى أبوهريرة رضي الله عنه: اطلع الله على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[٢].

(١٠) وروت حفصة رضي الله عنها: إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية[٣].

(١١) وروى جابر رضي الله عنه: لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة[٤].

(١٢) وروي أنه قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: أنتم اليوم خير أهل الأرض[٥].

(١٣) وروى رفاعة بن رافع: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها. فقال: كذلك من شهد بدرا من الملائكة[٦].

(١٤) وروى رافع بن خديج نحوا من ذلك[٧].

(١٥) وقال سعيد بن المسيب: كان أبوبكر الصديق من النبي ﷺ مكان الوزير؛ فكان يشاوره في جميع أموره وكان ثانيه في الإسلام وكان ثانيه في الغار وكان ثانيه في العريش يوم بدر وكان ثانيه في القبر. و لم يكن رسول الله ﷺ يقدم عليه أحدا[٨].

(١٦) وأخرج أبوعمر تعليقا: قال رسول الله ﷺ لبعض من لم يشهد بدرا وقد رآه يمشي بين يدي أبي بكر: أ تمشي بين يدي من هو خير منك؟[٩]

(١٧) قال العارف السهروردي في الباب الخامس والخمسين من العوارف[١٠] روي أن رسول الله ﷺ كان جالسا في صفة ضيقة، فجاءه قوم من البدريين فلم يجدوا موضعا يجلسون فيه. فأقام رسول الله ﷺ من لم يكن من أهل بدر. فجلسوا مكانهم. فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾[١١] الآية.

---

(١) راجع ص ١٨٤- ١٨٥.
(٢) راجع ص ١٩٨.
(٣) راجع ص ٢٢٣.
(٤) راجع ص ٥٥.
(٥) راجع ص ٢٠٨.
(٦) راجع ص ٥٦.
(٧) راجع ص ٢٢٨.
(٨) راجع ص ٢٥٠.
(٩) راجع ص ٢٥٠.
(١٠) ٤/١٨٦ مع إحياء علوم الدين للغزالي. وابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان أتم منه كما في الدر المنثور ٦/١٨٤.
(١١) سورة المجادلة: ١١.

(١٨) ومما يدل على هذا المعنى أن عمر رضي الله عنه كان يقدم أهل بدر ثم أهل الحديبية على سائرهم من الصحابة، سواء في كتابة أسماءهم في دفتر الغزاة أو العطاءات وتنظيم المجالس والأمور المهمة الخاصة بالخلافة وطلب الدعاء منهم و التبرك بهم. ومضت الأمة المسلمة منذ ذلك على هذا الترتيب في تفضيلهم و تكريمهم حتى اليوم.

(١٩) وأخرج الواقدي عن أبي بكر الصديق ﷺ[١] في وصيته لعمرو بن العاص: اتق الله في سر أمرك وعلانيته فإنه يراك ويرى عملك. فقد رأيت تقدمي لك على من هو أقدم منك سابقة. واعلم يا عمرو إن معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر فأكرمهم واعرف لهم حقهم. ولا تطاول عليهم بسلطانك ولا تداخلك نخوة الشيطان فتقول: إنما ولاني أبوبكر لأني خير منكم. وإياك وخداع النفس. فكن كأحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك.

(٢٠) وأخرج البخاري[٢] عن قيس بن أبي حازم قال: كان عطاء البدريين خمسة آلاف، خمسة آلاف. وقال عمر: لأفضلنهم على من بعدهم.

الفصل السادس
دلائل على بشارة الخلفاء الراشدين بالجنة

أما بشارة كل من الخلفاء الراشدين بالجنة فقد ثبتت بطرق كثيرة ووجوه عديدة، منها:

أولا: عموم الآيات القرآنية الكريمة التي نـــزلت في فضل المهاجرين والمجاهدين والمشتركين في الغزوات والمشاهد الإسلامية من الحديبية وتبوك وغيرهما.

ثانيا: الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في فضل أهل بدر، ومنها:

(١) الحديث الذي رواه كل من عمر وعلي وابن عمر وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم: لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[٣].

(٢) وحديث رفاعة بن رافع ورافع بن خديج رضي الله عنهما جاء جبريل فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين... الخ[٤].

(٣) وحديث حفصة وجابر رضي الله عنهما: إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية[٥].

---

(١) ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/ ٦٦ بمعناه.
(٢) (٤٠٢٢) كتاب المغازي باب بعد باب شهود الملائكة بدرا.
(٣) راجع ص ٥٦ و ١٨٤- ١٨٥ و ١٩٨.
(٤) راجع ص ٥٦ و ٢٢٨.
(٥) راجع ص ٥٥ و ٢٢٣.

ثالثا: الأحاديث النبوية المروية في فضل أهل الحديبية منها:

(١) قوله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة[١].

(٢) والحديث الذي رواه جابر رضي الله عنه: أنتم خير أهل الأرض[٢].

رابعا: الأحاديث النبوية التي وردت في بشارة العشرة بالجنة ورواها عبد الرحمن وسعيد بن زيد[٣].

خامسا: الأحاديث النبوية التي وردت في بشارة الخلفاء الأربعة بالجنة، منها حديث جابر ابن عبد الله ﷺ[٤].

سادسا: الأحاديث النبوية التي وردت في بشارة الخلفاء الثلاثة بالجنة، مثل حديث أبي موسى ونافع بن عبد الحارث[٥].

سابعا: الأحاديث الواردة في بشارة الشيخين رضي الله عنهما بالجنة، منها:

(١) حديث أبي سعيد الخدري: إن أهل الدرجات العلى يراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء وإن أبابكر وعمر منهم وأنعما[٦].

(٢) والحديث الذي رواه علي وأنس رضي الله عنهما: هذان سيدا كهول أهل الجنة[٧].

(٣) وحديث ابن مسعود ﷺ: سيطلع عليكم رجل من أهل الجنة فيهما جميعا[٨].

ثامنا: الأحاديث الواردة في بشارة أبي بكر الصديق ﷺبالجنة، منها:

(١) حديث أبي هريرة ﷺ إنه يدعى من أبواب الجنة كلها[٩].

(٢) وحديث أنس ﷺ في وصف طير الجنة وفي آخره قوله ﷺ لأبي بكر: وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها[١٠].

تاسعا: الأحاديث الواردة في بشارة عمر الفاروق بالجنة،ومنها الحديث الذي رواه كل

---

(١) راجع ص ٥٥.
(٢) راجع ص ٢٠٨.
(٣) راجع ص ١٧١ و ١٧٥.
(٤) راجع ص ٢٠٧.
(٥) راجع ص ١٨٩- ١٩٠ و ٢٤٣.
(٦) راجع ص ٢٠٦.
(٧) راجع ص ٦٠.
(٨) راجع ص ١٧٦.
(٩) راجع ص ١٩٥- ١٩٦.
(١٠) راجع ص ٢٠٤.

من جابر وأنس وأبي هريرة وبريدة الأسلمي ﷺ: رؤيا النبي ﷺ التي رأى فيها قصرا من ذهب لعمر(١).

عاشرا: الأحاديث الواردة في بشارة ذي النورين ﷺ بالجنة ومنها حديث عبدالله بن حوالة تهجمون على رجل يبايع الناس وهو معتجر ببردة من أهل الجنة فكان عثمان(٢).

حادي عشر: الأحاديث الواردة في بشارة علي المرتضي ﷺ بالجنة، منها قوله ﷺ لعلي: لك في الجنة خير منها(٣).

الفصل السابع
دلائل على أن الخلفاء الراشدين من المؤمنين السابقين المقربين

وكذلك كون الخلفاء الراشدين ﷺمن السابقين المقربين ثبت بأحاديث كثيرة جدا، منها:

(١) حديث تحرك الجبل الذي روي بطرق كثيرة جدا عن عثمان وسعيد بن زيد وأبي هريرة وابن عباس وأنس وبريدة وسهل بن سعدﷺ، وفيه قوله ﷺ: اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيد.(٤)

(٢) وحديث علي ﷺ: إن الشيخين من النجباء(٥).

(٣) وحديث أبي سعيد ﷺ: إن أهل الدرجات العلى يراهم من تحتهم...الخ(٦).

(٤) وحديث عمار ﷺ الذي يحدث فيه جبريل بفضائلهما(٧).

(٥) وحديث أبي بكرة وعرفجة رضي الله عنهما في رؤيا رجحانهم في الميزان(٨).

(٦) وحديث ابن مسعود ﷺ وغيره في تشبه الشيخين بملكين مقربين(٩).

(٧) وحديث علي وأنس رضي الله عنهما: هما سيدا كهول أهل الجنة(١٠).

---

(١) راجع ص ١٩٦ و ٢٠٤ و ٢٠٨ و ٢١٤.
(٢) راجع ص ٢٣٦.
(٣) الخطيب ٢٩٨/١٢ والبزار وقال في المجمع ١١٨/٩: فيه الفضل بن عميرة وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجالــه ثقات. وسيأتي متنه وتخريجه مفصلا في ص٢٩٧.
(٤) راجع ص ٥٨، ١٥٦- ١٥٧ و ١٧٥ و ١٨٨- ١٨٩ و ٢١٣ و ٢٢٩.
(٥) راجع ص ٦١.
(٦) راجع ص ٢٠٦.
(٧) راجع ص ٢٠٩.
(٨) راجع ص ٧٠.
(٩) ضعيف الترمذي رقم ٧٥٨ والمشكاة (٦٠٥٦) وضعيف الجامع الصغير (٥٢٢٣).
(١٠) راجع ص ٦٠.

(٨) والحديث الذي روى في مناقب أبي بكر الصديق ﷺ: إنه يدعى من أبواب الجنة كلها[١].

(٩) والحديث الذي روي في فضل عمر ﷺ: لقد كان فيما كان قبلكم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر[٢].

(١٠) وحديث فرار الشيطان من ظل عمر ﷺ[٣].

(١١) والحديث الذي روي فيه قوله ﷺ: رفيقي في الجنة عثمان[٤].

الفصل الثامن
أحداث معاملة النبي صلى الله عليه وسلم الخلفاء كمرشحين للإمارة بعده

كان رسول الله ﷺ يرشح الخلفاء لتولي الخلافة والإمارة بعده وكان يعاملهم معاملة من يرجى وينتظر أن يتولى قيادة الأمة والإمارة في المستقبل كما تدل عليه أحاديث كثيرة، منها:

(١) حديث سهل بن سعد ﷺ[٥]: أن رسول الله ﷺ لما ذهب إلى قبيلة عمرو بن عوف لعقد المصالحة معهم فوض أمر إمامة الصلاة بعده إلى أبي بكر الصديق ﷺ.

(٢) وأنه ﷺ أمر أبابكر في مرض وفاته بإمامة الصلاة بالتأكيد. وهذه القصة متواترة بالمعنى.

(٣) أما حديث تفويضه ﷺ إمارة الحج إليه فمشهور جدا.

(٤) وحديث أبي الدرداء الذي قال فيه ﷺ: فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ فما أوذي بعدها[٦].

(٥) وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي سمى فيه رسول الله ﷺ الشيخين وزيريه[٧].

(٦) وقال علي ﷺ لعمر حين توفي: إن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما. إني كنت لأسمع رسول الله ﷺ يقول: جئت أنا وأبوبكر وعمر، ودخلت أنا وأبوبكر وعمر،

---

(١) راجع ص ١٩٥- ١٩٦.
(٢) راجع ص ٥٩.
(٣) راجع ص ٦٠.
(٤) راجع ص ١٩٧.
(٥) راجع ص ٢٢٩- ٢٣٠.
(٦) راجع ص ٢٢٥.
(٧) راجع ص ٦٤.

وخرجت أنا وأبوبكر وعمر[١].

(٧) وسئل علي بن الحسين عن منــزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ فقال: كمنــزلتهما اليوم هما ضجيعاه[٢].

(٨) وفي كثير من الأحاديث أخبر رسول الله ﷺ: أن أبابكر أرأف الأمة وأن عمر الفاروق أشدهم في أمر الله وذا النورين أصدقهم حياء وعليا أقضاهم[٣].

وإطلاق صفة من هذه الصفات على كل واحد منهم إشارة جلية منه ﷺ إلى أنهم يستحقون الإمارة على المسلمين.

(٩) حديث حذيفة وعلي رضي الله عنهما: إن تؤمروا أبابكر... الخ[٤].

(١٠) والحديث الذي رواه حذيفة وابن مسعود وفيه قوله ﷺ: اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر[٥].

(١١) والحديث الذي رواه مطلب بن أبي وداعة فيه قوله ﷺ: الحمد لله الذي أيدني بهما[٦].

(١٢) والحديث الذي رواه الحاكم عن حذيفة رضي الله عنه وفيه قوله ﷺ: لا غنى لي عنهما. إنهما من الدين كالرأس من الجسد[٧].

(١٣) والحديث الذي رواه عبد الرحمن بن غنم الأشعري وفيه قوله ﷺ: لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما[٨].

(١٤) وحديث أنس رضي الله عنه الذي يقول فيــه: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الــمسجد لم يرفع أحد منا رأسه غير أبي بكر وعمر. فإنهما كانا يتبسمان إليه ويتبسم إليهما[٩].

الفصل التاسع
دلائل على إنجاز المواعيد الإلهية على يد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

(١) راجع ص ١٦٣- ١٦٤.
(٢) راجع ص ٢٥٣.
(٣) راجع ص ٦٣، ١٨٢.
(٤) راجع ص ٦٣.
(٥) راجع ص ٦٣.
(٦) راجع ص ٢١٧.
(٧) راجع ص ٢٠٩. وفيه: كالسمع والبصر.
(٨) راجع ص ٢١٦.
(٩) راجع ص ٢٠٤.

وقد أنجز الله سبحانه وتعالى عددا من المواعيد التي وعدها هذه الأمة المختارة على يد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. وهذا المعنى يتضمن نكاتا ثلاثة:

النكتة الأولى: أن هذا الأمر لازمة من لوازم الخلافة الخاصة. ولا يخفى أن خلافته ﷺ تعني النيابة عنه، وفي الاصطلاح الشرعي: الاهتمام بإقامة الأعمال والأمور التي بعث ﷺ لإقامتها. ولا يتحقق معنى الخلافة الخاصة حقيقة ما لم يحصل مشابهته ﷺ في سيرته. وكان من الأعمال والسير التي أنفذها رسول الله ﷺ بل من أعظمها وأشرفها فتح بلاد الكفار.

النكتة الثانية: أن رسول الله ﷺ كان وعد وبشر أمته بفتح بلاد الشام والعراق له كما ورد في الأحاديث التي بلغت حد التواتر بالمعنى والتي رواها أبوهريرة وعقبة بن عامر وعدي بن حاتم وخباب وغيرهم من الصحابة الذين لا يحصى عددهم.

النكتة الثالثة: أن هذه المواعيد التي كان رسول الله ﷺ قد وعد بها أمته، ظهرت على يد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وهم الذين نفذوها وقد ثبت هذا بالنقل المتواتر من قبل أعلام المسلمين وجمهورهم من المحدثين والفقهاء والمؤرخين، أضف إلى ذلك حديثه ﷺ الذي يقول فيه: الحمد لله الذي أيدني بهما، وكذلك حديث استبشار أهل السموات بإسلام عمر[١] وغيرهما. كل ذلك يؤكد هذه النكتة، فلا يبقى مجال للشك أو الريبة فيها.

الفصل العاشر
دلائل على أن قول الخلفاء الراشدين حجة شرعية

من صفات الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أنهم إذا أصدروا حكما وتم تنفيذه في المسلمين يعتبر حجة وحكما شرعيا فوق القياس في ترتيب الأحكام. هذا ما يدل عليه أدلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة، منها:

(١) قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾[٢].

(٢) قول الله عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[٣].

(٣) جاء في حديث العرباض بن سارية: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدى"[٤].

---

(١) راجع ص ١٨٧.
(٢) سورة النور: ٥٥.
(٣) سورة الحج: ٤١.
(٤) راجع ص ٦٧.

(٤) وجاء في حديث ابن مسعود وحذيفة: "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر"[(١)].

(٥) وورد في حديث عبد الرحمن بن غنم الأشعري: "لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما"[(٢)].

(٦) ومن أقوى الأدلة على ذلك حديث: "السكينة تنطق على لسان عمر". وقد بلغ حد التواتر بالمعنى وروي بطرق كثيرة عن علي وأبي ذر وابن عمر وغيرهم[(٣)].

(٧) وكذلك الأحاديث التي تذكر موافقات عمر الفاروق للوحي الإلهي[(٤)] والتي بلغت حد التواتر بالمعنى.

(٨) ومن أقوى الأدلة على ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشاور الشيخين في مصالح الجهاد وأمور الشريعة المطهرة وكان يقبل مشورتهما.

(٩) والحديث المتواتر بالمعنى "عليكم بالسواد الأعظم"[(٥)] والذي روي بطرق كثيرة[(٦)].

ورواه الإمام الشافعي واستدل به على أن الإجماع حجة. وقد اختلف علماء الإسلام في فقه هذه الأحاديث. وحملها جماعة منهم على وجوب إطاعة الخليفة إذا لم يأمر بمعصية، وحملها آخرون على وجوب الالتزام بالإجماع.

ويقول هذا الفقير عفا الله عنه: إن المراد منها أن قول الخلفاء حجة إذا تم تنفيذه في المسلمين. فهذا يشمل الأمرين كليهما: وجوب إطاعة الخليفة ووجوب الأخذ بالإجماع.

وتفصيل هذا الإجمال أن الله سبحانه وتعالى أودع في نفوسهم الزكية ملكة خاصة ثم

---

(١) راجع ص ٦٣.

(٢) راجع ص ٢١٦.

(٣) راجع ص ٥٩ بمعناه.

(٤) راجع ص ٦٠.

(٥) بلغت طرق هذا الحديث في التواتر حدا لم يستطع الشيعة كتمانه واضطروا إلى ذكره في كتبهم، ففي نهج البلاغة ١/٢٦١، ط/مصر ذكروا عن علي رضي الله عنه قوله: "سيهلك في صنفان؛ محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس فيَّ حالا النمط الأوسط، فالزموه والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله على الجماعة وإياكم والفرقة فإنَّ الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب. ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه". ففي هذه الرواية منع علي رضي الله عنه الناس أن يغلوا في حبه، وأكد على اتباع السواد الأعظم، بل أمر بقتل من يخلف الجماعة ولا ينكر أحد أن أهل السنة والجماعة كانوا دوما السواد الأعظم في المسلمين.

(٦) وهذا قول الخطيب. راجع الفقيه والمتفقه ١/١٦٧.

أيدهم بنور من عنده. فإذا اجتمعت هاتان الفضيلتان (أمر من أوامر الخلفاء وقد تلقته الأمة بالقبول والخضوع له) يصير قول الخليفة حجة في الدين: نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء.

(١٠) وأخرج الحاكم حديث عمر ﷺ في خطبته التي ألقاها بالجابية من طرق، منها:

(أ) طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال خطبنا عمر بالجابية فقال: "إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، فقال: أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الرجل ولا يستشهد. فمن أراد منكم بحبحة الجنة فيلزم الجماعة. فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد. ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان – قالها ثلاثا – وعليكم بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد. ألا ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن"[(١)].

(ب) ومنها طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: وقف عمر بن الخطاب بالجابية فقال: رحم الله رجلا سمع مقالتي فوعاها. إني رأيت رسول الله ﷺ وقف فينا كمقامي فيكم، ثم قال: "احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يكثر الهرج ويظهر الكذب ويشهد الرجل ولا يستشهد ويحلف ولا يستحلف. من أحب منكم بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد. لا يخلون رجل بامرأة. فإن الشيطان ثالثهما. من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن"[(٢)].

(ج) وأخرج البيهقي[(٣)] من طريق الشافعي عن ابن عيينة عن عبد الله بن أبي لبيد عن ابن سليمان بن يسار عن أبيه أن عمر بن الخطاب قام بالجابية للناس خطيبا، فقال: إن رسول الله ﷺ قام فينا كمقامي فيكم، فقال: "أكرموا أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يظهر الكذب، حتى إن الرجل ليحلف ولا يستحلف ويشهد ولا يستشهد. ألا فمن سره بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة. فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد. ولا يخلون رجل بامرأة فان الشيطان ثالثهما. ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن".

قال الإمام الشافعي في أثناء كلامه: فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما عليه جماعتهم

---

(١) الحاكم ١١٤/١ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي والترمذي (٢١٦٥) أبواب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة، وأحمد ١٨/١ وابن أبي عاصم ٤٢/١، وله إسناد آخر عند الآجري في الشريعة ص ٧، ٨. راجع الصحيحة حديث رقم ١١١٦. وقد مر في ص ١٥٣.

(٢) الحاكم ١١٥/١ وصححه ووافقه الذهبي. وابن أبي عاصم مختصرا في السنة ٤٢/١، ٤٣٥/٢ وفي إسناده إبراهيم بن مهاجر وهو ضعيف.

(٣) المعرفة ٢٣/١ وقال: هذا مرسل. وقد رواه جماعة عن ابن المبارك عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي ﷺ موصولا. والخطيب في الفقيه والمتفقه ١٦٣/١. وصححه الألباني في تحقيق المشكاة رقم ٦٠٠٣.

من التحليل والتحريم، والطاعة فيهما. من قال بما تقول جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم. وإنما تكون الغفلة في الفرقة. فأما الجماعة فلا تمكن فيها كافة غفلة عن معنى كلام الله ولا سنة ولا قياس إن شاء الله.

(١١) وأخرج الحاكم[١] من حديث معتمر بن سليمان عن رجل عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: "لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبدا. وقال: يد الله على الجماعة. فاتبعوا السواد الأعظم. فإنه من شذ شذ في النار".

واختلفت الرواة على معتمر بن سليمان في تسميته الرجل الواقع بينه وبين عبد الله بن دينار وبين الحاكم كل ذلك.

(١٢) وأخرج الحاكم[٢] من حديث عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: "لا يجمع الله أمتي أو قال: هذه الأمة على الضلالة أبدا ويد الله على الجماعة ".

(١٣) وأخرج الحاكم[٣] عن أنس عن النبي ﷺ في حديث طويل: وسأل ربه أن لا يجتمعوا على ضلالة، فأعطي ذلك.

(١٤) وأخرج الحاكم[٤] عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: "من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه".

(١٥) وأخرج الحاكم[٥] من حديث نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: " من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه". وقال: "من مات

---

(١) ١/١١٥ والفقيه والمتفقه ١/١٦١، والترمذي (٢١٦٧) أبواب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة، وابن أبي عاصم في السنة ١/٣٩ وإسناده ضعيف، والشطر الأول صحيح وله شواهد. راجع ما علقه الألباني على "السنة".

(٢) ١/١١٦، والفقيه والمتفقه ١/١٦٢.

(٣) ١/١١٦ وفي إسناده مبارك بن سحيم أبوسحيم مولى عبدالعزيز بن مهيب متروك كما في التقريب ص ٤٨١، وروى ابن أبي عاصم في السنة ١/٤١ وابن ماجه في الفتن باب السواد الأعظم ص ٢٩١ والخطيب في الفقيه والمتفقه ١/١٦١ بلفظ: إن أمتي لا تجتمع على الضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم. لكن في إسناده أبوخلف حازم بن عطاء الأعمى متروك، ورماه ابن معين بالكذب كما في التقريب ص ٥٨٥. وله إسناد آخر عند الخطيب دون الشطر الثاني.

(٤) ١/١١٧ وابن أبي عاصم ٢/٤٣٣، ٥٠٢ والخطيب في الفقيه والمتفقه ١/١٦٣ وأحمد ٥/١٨٠، وأبوداود (٤٧٥٨) كتاب السنة باب في الخوارج. وفي إسناده خالد بن وهبان وهو مجهول كما في التقريب ص ١٣٩ والميزان ١/٦٤٤. فما معنى قول الذهبي في التلخيص: خالد لم يضعف؟ وبقية رجاله ثقات.

(٥) ١/١١٧ وقال: صحيح على شرطهما. ومسلم (٤٧٩٣) كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، من طريق نافع وأسلم عن ابن عمر. وأحمد ٢/١٣٣ والفقيه والمتفقه ١/١٦٤، ١٦٥. والصحيحة رقم ٩٨٤.

وليس عليه إمام جماعة فإن موتته ميتة جاهلية".

(١٦) وأخرج الحاكم[١] من حديث الحارث الأشعري حديثا طويلا، في آخره، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آمركم بخمس كلمات أمرني الله بهن: الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله. فمن خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه إلا أن يرجع".

(١٧) وأخرج الحاكم[٢] عن معاوية قال قال رسول الله ﷺ: "من فارق الجماعة شبرا دخل النار".

(١٨) وأخرج الحاكم[٣] عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من فارق أمته أو عادى أعرابيا بعد هجرته فلا حجة له".

(١٩) وأخرج الحاكم[٤] من حديث حذيفة عن ربعي بن حراش قال: أتيت حذيفة بن اليمان ليالي سار الناس إلى عثمان، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من فارق الجماعة واستذل الإمارة لقي الله ولا حجة له".

(٢٠) وأخرج الحاكم[٥] عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ثلاثة لا يسأل عنهم، رجل فارق الجماعة وعصى إمامه، فمات عاصيا إمامه، وعبد أبق من سيده فمات، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤونة الدنيا فتبرجت بعده، فلا يسأل عنهم".

(٢١) وأخرج الحاكم[٦] عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "الصلاة المكتوبة إلى

---

(١) ١١٧/١، والطيالسي برقم ١١٦٢ والفقيه والمتفقه ١٦٤/١ مختصرا وأحمد ٢٠٢/٤ والترمذي (٢٨٦٣) أبواب الآداب باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة مطولا منه، وصححه، والبخاري في التاريخ ١ق٢٦٠/٢ وأبويعلى برقم ١٥٦٨ والآجري في الشريعة ص ٨ وصححه الدارقطني في الإلزامات وابن خزيمة والنسائي في الكبرى أيضا. راجع صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ١٧٢ والتعليق على الترغيب للألباني ١٨٩/١.

(٢) ١١٨/١ وفي إسناده عبد الله بن غنام بن حفص ولم أجد ترجمته ولا ترجمة أبيه غنام والله أعلم.

(٣) ١١٨/١ وفي إسناده من لم أعرفه. ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٢٣/٢.

(٤) ١١٩/١، ١٠٤/٣ وصححه ووافقه الذهبي. والقضاعي في مسند الشهاب رقم ٤٤٩ وأحمد في المسند ٣٨٧/٥.

(٥) ١١٩/١ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وابن أبي عاصم ٤٣/١، ٤٣٦/٢ وابن حبان برقم ٥٠٠ وأحمد ١٩/٦ والبخاري (٥٩٠) في الأدب المفرد والألباني في الصحيحة برقم ٥٤٢.

(٦) ١١٩/١ وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وله طريق آخر بمعناه عند مسلم وغيره. راجع سلسلة الصحيحة برقم ٩٨٣، والسنة لابن أبي عاصم برقم ٩٠ والفقيه والمتفقه ١٦٢/١ والشريعة للآجري ص ٩، ١٠.

الصلاة المكتوبة التي بعدها كفارة لما بينها والجمعة إلى الجمعة وشهر رمضان إلى شهر رمضان كفارة لما بينها". ثم قال بعد ذلك: "إلا من ثلاث، إلا من الإشراك بالله ونكث الصفقة وترك السنة. قلنا: يا رسول الله أما الإشراك بالله فقد عرفناه، فما نكث الصفقة وترك السنة؟ قال: أما نكث الصفقة أن تبايع رجلا بيمينك ثم تخالف إليه فتقاتله بسيفك. وأما ترك السنة فالخروج من الجماعة".

(٢٢) وأخرج الحاكم[١] في حديث حذيفة الطويل حين ذكر قوما يهدون بغير هديه وقوما يدعون إلى أبواب جهنم. قلت: فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم". قلت: "فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة؟قال: فاعتزل تلك الفرق كلها".

(٢٣) وأخرج الشيخان[٢] من حديث عمر بطرق مختلفة: "أنتم شهداء الله في الأرض".

(٢٤) وأخرج الحاكم[٣] من حديث أبي زهير الثقفي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار، أو قال: خياركم من شراركم. قيل: يا رسول الله بماذا؟ قال: "بالثناء الحسن والثناء السيئ. أنتم شهداء بعضكم على بعض".

(٢٥) وأخرج مسلم[٤] من حديث ثوبان والمغيرة وجابر بن سمرة وجابر بن عبد الله ومعاوية بن أبي سفيان وألفاظهم متقاربة: " لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس".

يجوز أن يحمل الحديث: "لا يجتمع أمتي على الضلالة" على أنه لا تزال طائفة منها على الحق آخذة بالسنة وقائمة بالواجبات الملية ولا يراد منه حجية الإجماع. لكن المعنى الأول هو المشهور الذي حمل عليه جمهور الفقهاء، والله أعلم.

إذا نظرنا إلى هذه الروايات الكثيرة وتأملنا كلماتها التي تنهى عن مفارقة الجماعة وتأمر بلزوم السواد الأعظم نجد أنها لا تخلو من علتين وأنها تشير إلى مصلحتين عظيمتين. الأولى: إقامة الخلافة التي هي جامعة للمصالح الكثيرة، والثانية: حفظ الملة من التفرق والاختلاف.

فالمتبادر إلى الفهم أن الأمر الصريح يخص أمرا يأمر به خليفة راشد بعد مشاورة أهل العلم جمهورهم أو كلهم وينفذ أمره في المسلمين.

---

(١) بل ورواه البخاري (٣٦٠٦) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (٤٧٨٤) كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٢) البخاري (١٣٦٧) كتاب الجنائز باب ثناء الناس على الميت ومسلم (٢٢٠٠) كتاب الجنائز باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى.

(٣) ١٢٠/١ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٤) (٤٩٥١) كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم.

أما الأحكام التي يتفق عليها جمهور الفقهاء إذا لم تكن مؤيدة بقوة الخلافة، وكذلك حكم الخليفة في الأمور التي فيها مجال الاجتهاد، فهي أيضا واجبة الاتباع، لكونها ملحقة بالأصل المنصوص عليه ولأنها مشتركة في أحد شطري العلة. وهذا يشبه ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[1] أن منطوق الآية إباحة قصر الصلاة في حالة اجتماع السفر والخوف كليهما فقط. وقد ألحق بها السنة وإجماع الأمة القصر في السفر من غير خوف. والسر في ذلك أن كلا من السفر والخوف سبب للتخفيف.

وقد اجتمع في أوامر الخلفاء الراشدين ظن إصابة رأيهم إلى هاتين المصلحتين. فتأكد الأمر غاية الوكادة. ويماثلهم في ظن الإصابة عبد الله بن مسعود في السنة والقراءة وأُبي بن كعب في القراءة، وعلي المرتضى في القضاء، وزيد بن ثابت في الفرائض، حيث ورد الثناء الحسن لهم في هذه الأمور على لسان الصادق المصدوق سيدنا محمد ﷺ. ولكننا إذا اعتبرنا المصلحتين المذكورتين آنفا فهؤلاء لا يلحقون الخلفاء الراشدين.

وكذلك الأحكام التي يتفق عليها فقهاء الأمصار من غير تأييد الخليفة لها، مظنة الإصابة، وذلك للعلة التي أشار إليها الإمام الشافعي رحمه الله بقوله:

إنما الغفلة في الفرقة. فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافة غفلة عن معنى كتاب ولا سنة ولا قياس.

وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه قوله: "فاقض بما قضى به الصالحون".

والمعلوم أنه إذا أصر كل أحد على اتباع رأيه ولم يؤخذ قول الخليفة في الأمور التي فيها مجال الاجتهاد، لا يتم أمر الخلافة ولا يستقيم ولا تتحقق مصلحة إقامة الخلافة. وهذه هي المصلحة التي قال لأجلها الإمام الشافعي رحمه الله: وإذا رجعنا إلى التقليد فقول الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان (وقال في القول القديم) وعلي أحب إلينا. والسبب في توقفه في قول علي رضي الله عنه في مذهبه الجديد أنه لم يحصل لقوله التمكين واجتماع الأمة عليه. وهذا من الأوصاف المؤثرة.

الفصل الحادي عشر
دلائل على أن كلا من الخلفاء الراشدين كان أفضل الأمة في زمان خلافته

لقد كان كل من الخلفاء الراشدين ﷺ أفضل الأمة في زمان خلافته. هذا ما تدل عليه الأحاديث والآثار الآتية:

---

(١) سورة النساء: ١٠١.

(١) حديث ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نخير في زمان رسول الله ﷺ فنقول: أبوبكر خير هذه الأمة ثم عمر ثم عثمان[١].

(٢) وحديث علي المرتضى رضي الله عنه: "هذان سيدا كهول أهل الجنة "[٢].

(٣) والحديث الذي رواه أبوبكرة الثقفي وعرفجة وغيرهما في وزن المشايخ الثلاثة وظهور رجحان أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٣].

(٤) ما تواتر عن عمر الفاروق رضي الله عنه أن أبابكر أفضل الأمة بعد النبي ﷺ[٤].

(٥) قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أقول: اللهم استخلفت عليهم خير خلقك[٥].

(٦) قول عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه الذي قاله عندما عقدت بيعة الخلافة لعثمان ذي النورين رضي الله عنه؛ والله عليه أن لا يألو عن أفضلهم في نفسه[٦].

(٧) وقول علي المرتضى رضي الله عنه الذي قاله على منبر الكوفة: خير هذه الأمة أبوبكر ثم عمر[٧].

(٨) بناء على هذه الإجماعيات قال سفيان الثوري رحمه الله: من زعم أن عليا كان أحق بالولاية منهما فقد خطأ أبابكر وعمر والمهاجرين والأنصار وما أراه يرتفع مع هذا له عمل إلى السماء.

(٩) قال الإمام الشافعي رحمه الله: اضطر الناس بعد رسول الله ﷺ إلى أبي بكر فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر فولوه رقابهم[٨].

(١٠) وروي عن عدد من الصحابة والتابعين قولهم: إن قتال المرتدين الذي نهض به أبوبكر الصديق رضي الله عنه كان من أعمال الأنبياء.

الفصل الثاني عشر
دلائل إثبات خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

أما خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فيمكن الاستدلال على إثباتها بأدلة

---

(١) راجع ص ٦٩.
(٢) راجع ص ٦٠.
(٣) راجع ص ٧٠.
(٤) راجع ص ١٥١.
(٥) راجع ص ٧٠.
(٦) راجع ص ١٧٢.
(٧) راجع ص ٧٠.
(٨) البيهقي في مناقب الشافعي ١/٤٣٤.

وأساليب كثيرة، منها:

(١) **إجماع الصحابة** رضي الله عنهم على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهذا هو الدليل الذي اختاره عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حين قال: ما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه سيئا فهو عند الله سيئ. وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلفوا أبابكر[1].

(٢) **استخلاف أبي بكر** عمر رضي الله عنهما والذي قال عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أفرس الناس ثلاثة؛ أبوبكر حين استخلف عمر...[2] الحديث. وأجمع الناس كلهم على خلافته بحيث لم يبق لأحد منهم أي اعتراض عليها. وبهذا تحقق معنى الإجماع هنا أيضا ولكن بعد استخلافه وتسلطه.

(٣) وكذلك **اتفاقهم على خلافة ذي النورين** ﷺ معروف. وهذه هي الطريقة التي اختارها المتأخرون من الأشاعرة في إثبات خلافتهم واقتنعوا بها.

(٤) ومنها **تفويض النبي صلى الله عليه وسلم إمامة الصلاة في مرضه إلى أبي بكر** ﷺ. وهذا هو الدليل الذي استدل به الصحابة ﷺ عند الاستخلاف فاقتنع به المهاجرون والأنصار. أما أصل قصة تفويض الإمامة إليه فمروي بالتواتر.

وكذلك الاحتجاج بتفويض الإمامة إليه على خلافته أمر مستفيض عن أكابر فقهاء الصحابة مثل عمر الفاروق وعلي المرتضى وابن مسعود ﷺ.

وكذلك قصة ذكر تفويض الإمامة عند انعقاد بيعة الخلافة لأبي بكر ﷺ وانقياد المعارضين له وامتناع الأنصار بسبب هذا الحديث، مروية عن أكابر الصحابة مثل أبي بكر الصديق وعمر وعبد الله بن مسعود ﷺ.

والاستدلال بـحديث تفويض الإمامة إلى أبي بكرﷺ على خلافته على وجهين: الإجمال والتفصيل.

إجمالا: أن أكابر الصحابة ﷺاستدلوا به على خلافته، وتلقته الأمة كلها بالقبول وأذعن له المعارضون. وبهذا الوجه تم الإجماع على صحة الاستدلال.

تفصيلا: إقامة شخص لشخص غيره محله تكون بالقول تارة وبالفعل أخرى. ولابد أن يكون الفعل مفهما. وتختلف طريقته في كل طبقة وكل زمان فالمحترف يجلس خليفته في الدكان، والمدرس يُجلس خليفته في حلقة الدرس، بينما كان ملوك العجم يُجلسون خلفاءهم على كرسي

---

(١) أحمد ١/٣٧٩ وغيره وراجع ص ٥٢ و ١٧٩.

(٢) راجع ص ١٧٨.

الملك والعرش. وفي الإسلام كانت الصلاة أشد الطاعات وأكثر العبادات، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولى إمامة الناس في الصلاة دائما. ففوض إمامة الصلاة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. فأصبح دليلا جليا على خلافته.

(٥) **وحديث عائشة وعبد الرحمن** رضي الله عنهما: لقد هممت أن أدعو أبابكر، فأعهد إليه[١].

(٦) **وخطبته ﷺ الأخيرة** التي خطبها قبل خمس ليال من وفاته والتي رواها جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود وأبوسعيد الخدري وجندب بن عبد الله وأبوهريرة وغيرهم ﷺ[٢]. واتخذ أبوعمر -صاحب الاستيعاب-[٣] هذه الطريقة واقتصر عليها.

(٧) **الرؤى الكثيرة التي رآها رسول الله ﷺ أو رآها أصحابه** ثم عرضوها عليه وكان تعبيرها كلها خلافة الخلفاء[٤]. وكانت هذه الرؤى تفسيرا لآية الاستخلاف وآية التمكين في الأرض. منها:

الأولى: رؤيا القليب التي رواها أبوهريرة وابن عمر رضي الله عنهما[٥].

الثانية: رؤيا الوزن التي رواها أبوبكرة الثقفي[٦] والتي ذكر فيها أن شخصا أريها وعبرها رسول الله ﷺ بالخلافة، بينما رواها عرفجة[٧] وجماعة آخرون أن رسول الله ﷺ نفسه رآها. ولا يستبعد أن يكون الأمران كلاهما وقعا.

الثالثة: رؤيا نوط بعضهم ببعض كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه[٨].

الرابعة: رؤيا الدلو المذكورة في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه[٩].

---

(١) راجع ص ٩٧ و ١٩٩.

(٢) راجع ص ١٧٩، ١٩٤- ١٩٥، ٢٠٥، ٢٤٨.

(٣) ١/٣٣٢، ٣٣٣.

(٤) من الثابت شرعا أن رؤيا الأنبياء حجة إذ هي لون من ألوان الوحي، وقد ثبت ذلك في السنة وفي القرآن ﴿أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ...﴾ الآية (سورة الصافات: ١٠٢)، و﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ...﴾ الآية. (يوسف: ٤١). أما رؤى الأصحاب، فما حكاه الصحابي وعبره النبي صلى الله عليه وسلم له فهذا حجة كذلك إذ لا ﴿يَنطِقُ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣، ٤)، وكذلك ما عبره صحابي آخر في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم فتعتبر حجة من قبيل السنة التقريرية.

(٥) راجع ص ٨٩، ١٨٢.

(٦) راجع ص ٧٠.

(٧) راجع ص ٧٠.

(٨) راجع ص ٩٠.

(٩) راجع ص ٩٠.

الخامسة: رؤيا الظلة والحبل النازل من السماء المذكورة في حديث أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم[١].

السادسة: الرؤيا التي رواها حسن البصري مرسلا.

(٨) **التعريض الجلي من رسول الله ﷺ بخلافة الخلفاء الثلاثة** بتحويل الأمور الخاصة بإدارة بيت المال إليهم، هذا ما تدل عليه الأحاديث الآتية:

(أ) حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه: أن امرأة أتت رسول الله ﷺ الخ. أخرجه الشيخان[٢]. قال الشافعي: وفيه دليل على خلافة أبي بكر.

(ب) وحديث أنس: بعثني بنو المصطلق الخ[٣].

(ج) وحديث سهل بن أبي حثمة: بايع أعرابي النبي ﷺ الخ[٤].

(د) وحديث أبي هريرة قريبا من معناه[٥].

(٩) **التعريض الجلي من رسول الله ﷺ بخلافة الخلفاء الثلاثة** بإثبات بعض خواص الخلافة الخاصة لهم كما تدل عليه الأحاديث الآتية:

(أ) حديث أبي ذر رضي الله عنه الذي فيه قصة تسبيح الحصيات في أيدي الخلفاء الثلاثة على الترتيب[٦].

(ب) وحديث أنس نحوا من ذلك[٧].

(ج) وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه الذي فيه أمره صلى الله عليه وسلم الصديق بالخطبة ثم أمره لعمر بالخطبة[٨].

(د) وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الذي فيه قصة الحائط[٩].

(١٠) **قوله صلى الله عليه وسلم مشيرا إلى الخلفاء الثلاثة:** هم الخلفاء، في قصة تأسيس المسجد من حديث عائشة وسفينة رضي الله عنهما[١٠].

---

(١) راجع ص ٩٠- ٩١.
(٢) راجع ص ٩٤.
(٣) راجع ص ٩٣.
(٤) راجع ص ٩٤.
(٥) راجع ص ٩٤.
(٦) راجع ص ٩٢.
(٧) راجع ص ٩٢.
(٨) راجع ص ٢٢٥.
(٩) راجع ص ١٨٩، ١٩٠.
(١٠) راجع ص ٩١، ٩٢.

(١١) **الأحاديث الدالة على معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلفاء** معاملة من يرشح للخلافة حتى إذا عرض لهم أمر عقد الخلافة تدل على صحة خلافتهم، ومنها:

(أ) حديث علي وحذيفة: إن تؤمروا أبابكر، الحديث[١].

(ب) وحديث حذيفة وغيره: لاغنى لي عنهما. هما من الدين بمنـــزلة السمع والبصر[٢]. وفي لفظ: منـــزلة الرأس من الجسد.

(ج) وحديث أبي سعيد الخدري: وأما وزيراي في الأرض فأبوبكر وعمر[٣].

(١٢) **الأحاديث التي تدل على أن دولة الإسلام ستكون بهذا الترتيب**: نبوة ورحمة ثم خلافة ورحمة، وفي لفظ: خلافة على منهاج النبوة ثم يكون ملكا عضوضا. وفعلا كانت بعد عصر النبوة خلافة على منهاج النبوة، وخلافة ورحمة. هذا ما دلت عليه الأحاديث التي رواها أبوعبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة وغيرهم[٤] رضي الله عنهم.

شرح حديث خير القرون

(١٣) الأحاديث النبوية التي جاء فيها قوله ﷺ: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم ينشأ قوم تسبق أيمانهم شهادتهم وشهادتهم أيمانهم". رواها جماعة عظيمة منهم عمر وابن مسعود وعمران وحذيفة وغيرهم[٥] رضي الله عنهم.

فالمراد من القرن الأول عصر رسول الله ﷺ من الهجرة حتى وفاته' والقرن الثاني عصر الشيخين، والقرن الثالث عصر خلافة عثمان ذي النورين رضي الله عنه. وبعد ذلك ظهر الاختلاف وقامت الفتن.

وتفصيل هذا الإجمال أن رسول الله ﷺ لما ذكر الفتنة التي ظهرت بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه في الأحاديث التي جاءت بطرق كثيرة وبلغت التواتر، كما سيأتي قريبا، ذكر المدة التي قبلها بخصال حميدة عديدة وذكر المدة التي بعدها بخصال ذميمة. وإذا لاحظنا جميع هذه الروايات التي هي مختلفة في أساليب البيان ولكنها متحدة في معناها، يغلب الظن أن المراد من القرون الثلاثة تفصيل تلك المدة.

وأما تقسيم تلك المدة إلى قرون ثلاثة ومدح هذه القرون، فيرجع إلى صفات الكمال

---

(١) راجع ص ٦٣.

(٢) راجع ص ٢٠٩.

(٣) راجع ص ٦٤.

(٤) راجع ص ٥٠، ٩٥.

(٥) راجع ص ١٧٩- ١٨٠، ٢٣٧- ٢٣٨.

التي اتصف بها مدبرو الدولة الإسلامية والقائمون بأمرها في تلك المدة وشيوع أعمال الخير وظهور الدولة الإسلامية وإنجاز المواعيد الربانية بتمكين دين الحق وإظهاره فيها.

(١٤) الأحاديث التي تدل على أن الأمة الإسلامية ستستمر في الظهور والنمو والازدياد ثم تعود إلى التناقص كما جاء في حديث علقمة بن كرز[١] وكذلك الحديث: "يكون ثنيا ثم رباعيا ثم سديسا ثم بازلا"[٢]، إلى غير ذلك. وهكذا كان الواقع والمشاهد أن الإسلام لم يزل يزيد حتى زمان خلافة عثمان رضي الله عنه ثم بدأ في النقصان. فعلم بذلك أن خلافتهم هي الخلافة الراشدة التي بشرت بها الأمة.

(١٥) ومنها حديث ابن مسعود رضي الله عنه: "تدور رحى الإسلام بست وثلاثين سنة". وأنذر أن فتنا كبيرة ستظهر بعدها وقال: "فإن يهلكوا فسبيل من قد هلك"[٣]. ومعنى دوران رحى الإسلام استقامة الأمور وغلبة الإسلام على سائر الأديان وكثرة الفتوح. وهذا معنى الخلافة الراشدة أيضا. فخلافتهم هي الخلافة الراشدة.

(١٦) ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه: الخلافة بالمدينة والملك بالشام[٤]. فهذا يدل على أن الخلافة الراشدة ستكون بالمدينة. والواقع أن غير الخلفاء الثلاثة لم يقيموا بالمدينة.

(١٧) ومنها الأحاديث التي تدل على كون عمر بن الخطاب رضي الله عنه غلق الفتنة وحافظ الأمة من الفتن، ومنها حديث حذيفة[٥] وهو أصح هذا الباب، وحديث عبدالله ابن سلام وأبي ذر وغيرهم رضي الله عنهم. وهكذا كان الواقع والحقيقة فإنه لم تنشأ أي فتنة في عصر سيدنا عمر رضي الله عنه. وهذه بشارة بخلافته الراشدة رضي الله عنه وأرضاه.

(١٨) ومنها الأحاديث التي تدل على أن عثمان كان على الحق وخصومه على الباطل في الفتنة. وقد وردت هذه الأخبار بكثرة الطرق في مسانيد كل من ابن عمر وعبدالله بن حوالة ومرة بن كعب وكعب بن عجرة وأبي هريرة وحذيفة وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم[٦].

(١٩) وأن عثمان كان الخليفة عندما قامت الفتنة وأن خصومه أرادوا نزع الخلافة منه، هذا ما تدل عليه الأحاديث التي سبقت الإشارة إليها. فعلم أن خلافته حق عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الصواب: كرز بن علقمة. راجع ص ٢٣٥
(٢) راجع ص ١٥٢.
(٣) راجع ص ٩٣، ١٧٩.
(٤) راجع ص ٩٣.
(٥) راجع ص ٩٦.
(٦) راجع ص ١٥٨، ١٥٩، ١٨٥، ١٩٧، ٢١١.

(٢٠) الأحاديث التي تدل على ذكر لوازم الخلافة الخاصة وهي كثيرة ووردت بطرق متشعبة. والاستدلال بهذه اللوازم على وجهين:

الوجه الأول: أن نبدأ بتنقيح معاني الخلافة الخاصة، ونعرف الأوصاف والمعاني التي تميز الخلافة الخاصة من الخلافة العامة الصحيحة والخلافة الجابرة ثم نستدل على وجود هذه الأوصاف والمعاني في الخلفاء الراشدين بأدلة كثيرة وقوية. فيدل هذا الوجه على مقصوده دلالة قطعية.

الوجه الثاني: أن نكتفي ببعض هذه اللوازم ونثبت وجودها في الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بأدلة ملزمة ومقنعة، وأن نذكر دليلا منفصلا لكل لازمة من هذه اللوازم. وقد اختار أكثر الصحابة والتابعين هذا الوجه. فآثار هؤلاء السادة تحتمل احتمالين:

الاحتمال الأول أنهم اكتفوا بذكر بعضها وسكتوا عن بعضها اعتمادا على أنها معلومة عند الآخرين أيضا، كما يذكرون إحدى مقدمتي الدليل ويسكتون عن الأخرى. ويكون أصل الاستدلال حينئذ كاملا على رغم وجود نوع من المسامحة في الخطاب.

والاحتمال الثاني أنهم أرادوا الاستدلال بهذه اللازمة الواحدة فقط. لأن كل لازمة مفيدة لغرضها ومحققة لمقصودها. فالدليل في هذا الأسلوب يكون ظنيا أو خطابيا. فنرى جماعة من الصحابة يستدلون بالبشارة بالجنة، بينما جماعة منهم يستدلون بترشيحه صلى الله عليه وسلم أبابكر وعمر رضي الله عنهما للخلافة. ومن هذا القبيل قول السيدة عائشة رضي الله عنها: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لاستخلف أبابكر ثم عمر.

وجماعة منهم أثبتوا وصف السابقين المقربين للخلفاء ومن هذا القبيل استدلال الشيخ محي الدين بن عربي على خلافة عمر بأن حقيقة النبوة الوحي والعصمة، وحقيقة خلافة النبوة أن يكون في خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة من الوصفين معا. ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر محدث وأن السكينة تنطق على لسانه، وأن الشيطان يفر من ظل عمر رضي الله عنه، فقد أثبت له خلافة النبوة.

وهنالك آخرون يستدلون بأفضلية الخلفاء التي يدل عليها الحديث: كنا نخير ... الخ وحديث الوزن وغيره. والخلاصة أن الاستدلال بهذا الوجه له طرق كثيرة لا يمكن الإحاطة بها. وللبيب المتفطن أن يستخرج من كلامنا هذا طرقا واضحة عديدة نحن في غنى عن سردها، فلا نطيل الكلام في هذا الباب.

الباب الخامس

بيان الفتن التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنها ستـــتوالى عند انقضاء أيام الخلافة الخاصة

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول

الفتن التي ستحدث عند انقضاء الخلافة الخاصة

الفصل الثاني

بيان التغيرات الكلية التي سوف تحدث في هذه الأمة إلى يوم القيامة

الفصل الأول
بيان الفتن التي ستحدث عند انقضاء الخلافة الخاصة

١ - فتنة قتل عثمان رضي الله عنه

ثبت من طرق عديدة تبلغ حد التواتر بالمعنى أن الرسول ﷺ قد أخبر بأن سيدنا عثمان ﷺ سيقتل، وأنه ستقوم عند قتله فتنة عظيمة تغير أوضاع الناس وأحوالهم، ويكون شرها مستطيرا، وبلاؤها عظيما مستديما. وكذلك وصف الزمان الذي سبقها خير وصف مبينا ما فيه من الخصال والصفات النبيلة كما أنه تطرق إلى الزمن الذي يليه وما فيه من الفتن والويلات، واستقصى في وصف هذه الفتن وشرح أحوالها شرحا بالغا لم يترك لأحد مجالا للشك في انطباق الموصوف على الصفة التي وقعت. وكان قد أخبر بأن عرى الخلافة الخاصة ستتفكك بظهور الفتنة التي تثور عند مقتل عثمان رضي الله عنه فتختفي بها بقية بركات أيام النبوة. وكان قد شرح ذلك شرحا بالغا كشف النقاب عن الحقيقة وأقام حجة الله على عباده.

وكان صدى هذا الخبر في عالم الواقع، أن سيدنا عليا ﷺ مع رسوخ قدمه في السوابق الإسلامية، وعلى رغم اتصافه بصفات الخلافة الخاصة وانعقاد البيعة له ووجوب انقياد الرعية له في أحكام الله تعالى، لم يتيسر له التمكن في الخلافة ولا السيطرة على مقاليد الحكم، فلم ينفذ أمره في الأقطار، ولم يخضع المسلمون كلهم لأمره في الأرض. وتوقفت عجلة الجهاد والفتوحات الإسلامية في عصره توقفا تاما، وتفرقت كلمة المسلمين فذهب ريحهم وصار بأسهم بينهم وانقطع حبلهم حتى رفع قوم سيوفهم في وجه الخليفة في معارك دامية، ومنعوا يده من التصرف في البلاد. فبدأت رقعة حكمه تتقلص يوما بعد يوم، وخاصة بعد قصة التحكيم حتى لم يبق له في آخر الأمر إلا الكوفة وما جاورها. وإن كانت هذه الويلات والمساوي لم تؤثر في المحامد والصفات الشخصية الكاملة التي اتصف بها سيدنا علي رضي الله عنه ولكن لا ينكر أحد بأن الخلافة لم تتحقق على وجهها إذ بقي سلطانه متزلزلا وفي مهب الرياح. ولما حصل من بعده التمكن والاستقرار لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، اجتمع شمل المسلمين وزالت فرقتهم واتحدت كلمتهم لكنه لم يكن متصفا بالسوابق الإسلامية ولا جامعا للوازم الخلافة الخاصة. ولاشك أن من تلاه من الملوك كان أبعد عن مركز الحق -كما لا يخفى. وهكذا تحقق ما أخبر به رسول الله ﷺ من انقطاع الخلافة الخاصة المنتظمة النافذة. وإليك تفصيل كل ذلك فيما يلي.

(١) إخباره ﷺ بمقتل عثمان مع أنه على الحق يومئذ!

أما إخباره ﷺ بأن عثمان سيقتل مع أنه على الحق فثابت من طرق كثيرة، منها:

(١) عن ابن عمر: ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فقال: يقتل هذا فيها مظلوما. أخرجه الترمذي[١].

(٢) وعن عائشة أن النبي ﷺ قال: يا عثمان، لعل الله يقمصك قميصا. فإن أرادوك على خلعه فلا تخلع لهم. أخرجه الترمذي[٢].

(٣) وعن مرة بن كعب وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة وألفاظهم متقاربة: ذكر رسول ﷺ فتنة، فقربها. فمر رجل مقنع رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا يومئذ على الهدى. فوثبت فأخذت بضبعي عثمان. فاستقبلت إلى رسول الله ﷺ، فقلت هذا؟ قال: هذا. هذا لفظ ابن ماجه من حديث كعب بن عجرة. وأخرج الترمذي والحاكم[٣] عن آخرين قريبا منه.

(٤) وفي حديث أبي هريرة: ستكون فتنة واختلاف أو اختلاف وفتنة. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالأمير وأصحابه، وأشار إلى عثمان[٤].

(٥) ومن حديث عثمان يوم الدار: إن رسول الله ﷺ قد عهد إلي عهدا وأنا صابر عليه[٥].

(٦) وفي حديث أبي موسى لعثمان: وبشره بالجنة على بلوى تصيبه[٦].

(٢) تعيين زمان هذه الفتنة

وأما تعيين زمان هذه الفتنة فقد ثبت فيما جاء:

(١) من حديث عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: إن رحى الإسلام ستزول بعد خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين سنة[٧]. فإن يهلكوا فسبيل من قد

---

(١) راجع ص ١٥٩.
(٢) راجع ص ١٥٨.
(٣) راجع ص ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٢.
(٤) راجع ص ١٥٩.
(٥) راجع ص ١٥٨.
(٦) راجع ص ١٥٨.
(٧) هذا شك من الراوي؛ في أنه هل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ٣٥ سنة أو ٣٦ أو ٣٧، ولكن أكثر الروايات وقفت على ٣٥ سنة من غير شك. وهناك روايات ذكرت ٣٣ وأخرى ٣٤ سنة. وهذا يحمل على معنيين. الأول: أن نحسب هذا الأمر من بداية الهجرة إلى سنة ٣٥ من الهجرة كما فعل

هلك. وإن يقم لهم دينهم يقم سبعين سنة. قال عمر ﷺ: يا نبي الله بما مضى أو بما بقي؟ قال: بل بما بقي[١].

وكان قد تحقق معنى هذا الحديث على أرض الواقع بأن عثمان رضي الله عنه قد قتل سنة خمس وثلاثين فاختل نظام الجهاد من يومئذ. ثم في زمن معاوية بن أبي سفيان استقام أمر الجهاد ثم زالت دولة بني أمية بعد مضي سبعين سنة من ذلك التاريخ.

(٣) تعيين الجهة التي تثور فيها هذه الفتنة

وكذلك ثبت تعيين الجهة التي ستظهر فيها هذه الفتنة من الحديث الذي رواه ابن عمر وجماعة من الصحابة. وهذا حديث مستفيض: ألا إن الفتنة هاهنا حيث يطلع قرن الشيطان. وكذلك تحقق الأمر على أرض الواقع. فإن جميع الفتن التي حدثت بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه وقعت بالعراق الذي يقع شرقي المدينة المنورة.

(٤) تعيين صورة هذه الفتنة وصفتها

وكذلك ورد عدد من الروايات في تعيين صورة هذه الفتنة وصفتها، منها:

(١) ما أخرجه الترمذي[٢] عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺقال: والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم، ويرث دنياكم شراركم. هذا حديث حسن.

(٢) وأخرج أحمد[٣] عن ابن عون الأنصاري أن عثمان قال لابن مسعود: ويحك إني قد سمعت وحفظت، وليس كما سمعت، أن رسول الله ﷺ قال: سيقتل أمير وينتزى منتز، وإني أنا المقتول وليس عمر. وإنما قتل عمر واحد، وإنه يجتمع علي.

(٣) وذكر أبو عمر[٤] أن زرارة بن عمرو قص على النبي ﷺ رؤياه، فقال: رأيت نارا خرجت من الأرض، فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو. هي تقول: لظى لظى بصير

المؤلف رحمه الله. والثاني: أن نحسب الأمر من اليوم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الكلام، وندخل خلافة سيدنا علي في الموضوع. ولكن الأحاديث التي بينت أن بداية الفتنة ستكون مع مقتل عثمان تخالف هذا المعنى الأخير!

(١) راجع ص ٩٣، ١٧٩.

(٢) راجع ص ٢١٠-٢١١.

(٣) ٦٦/١ وفيه "أبو عون" وهو مقبول كما في التقريب. وروي عن عثمان مرسلا كما في التهذيب. وراجع غاية المقصد رقم ٤٤١٧.

(٤) راجع ص ٢٤٩.

وأعمى. فقال النبي ﷺ في تعبيره: أما النار فهي فتنة تكون بعدي. قال: وما الفتنة يا رسول الله؟ قال يقتل الناس إمامهم ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس، وخالف بين أصابعه. دم المؤمن على المؤمن أحلى من الماء، يحسب المسيء أنه محسن. إن مت أدركت ابنك. وإن مات ابنك أدركتك. قال: فادع الله أن لا تدركني. فدعا له.

(٥) تعيين الفئة التي ستثيرها

وكذلك عين الرسول ﷺ الفئة التي تثير الفتنة:

(١) أخرج الحاكم[١] من حديث ابن مسعود ورفعه: أحذركم سبع فتن تكون من بعدي. وعد أولها فتنة تقبل من المدينة. قال الراوي: فكانت فتنة المدينة من قبل طلحة والزبير[٢].

(٦) وصف الخلفاء الذين تنتظم خلافتهم بتعيين عددهم وأسمائهم

وكذلك وصف رسول الله ﷺ حال خلفائه الذين تنتظم وتستقر خلافتهم مع تعيين عددهم وأسمائهم، كما أخبر بأن الخلافة تنقضي بعدهم، في روايات كثيرة، منها:

(١) حديث أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما في رؤيا رجل رأى فيها ظلة تنطف سمنا وعسلا وسببا واصلا من السماء إلى الأرض[٣]. فأخذ به النبي ﷺ وعلا، ثم رجل آخر، ثم رجل آخر. ثم انقطع بالثالث. ثم وصل له. فعبره الصديق بما يدل على ابتلاء الثالث.

(٢) وأخرج أبوداود[٤] عن الحسن عن أبي بكرة أن النبي ﷺ قال ذات يوم: من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء، فوزنت أنت وأبوبكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن أبوبكر وعمر، فرجح أبوبكر. ووزن عمر وعثمان، فرجح عمر. ثم رفع الميزان. فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ.

(٣) وأخرج أبوداود[٥] عن سمرة بن جندب أن رجلا قال: يا رسول الله كأن دلوا

---

(١) ٤٦٨/٤- ٤٦٩ وقال: صحيح الإسناد. لكن قال الذهبي: هذا من أوابد نعيم بن مهدي. قلت: بل نعيم بن حماد. ذكره الألباني في الضعيفة رقم ١٨٧٠.

(٢) وذلك لأنهما بعد استشهاد عثمان ذهبا إلى مكة والتقيا بأم المؤمنين عائشة التي كانت قد خرجت حاجة، فكلماها عن مآسي المسلمين وما هم فيه من الفتن وحرضاها على الخروج إلى البصرة سعيا للإصلاح. لكن مجيئها إلى البصرة صار مقدمة لمعركة الجمل المشهورة. ولا ضير عليهما في ذلك إذ لم يقصدا بذلك إلا الخير والإصلاح. (عبدالشكور)

(٣) راجع ص ٩٠- ٩١.

(٤) راجع ص ٧٠.

(٥) راجع ص ٩٠.

دلي من السماء فجاء أبوبكر فأخذ بعراقيها. فشرب شربا ضعيفا. ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء.

(٤) وعن سهل بن أبي حثمة قال: بايع أعرابي النبي ﷺ. فقال علي للأعرابي: إيت النبي ﷺ، فاسأله إن أتى عليه أجله من يقضيه؟ فأتى الأعرابي النبي ﷺ، فسأله فقال: يقضيك أبوبكر. فخرج إلى علي وأخبره، فقال ارجع فاسأله إن أتى على أبي بكر أجله من يقضيه؟ فأتى الأعرابي النبي ﷺ فسأله فقال: يقضيك عمر. فقال علي للأعرابي: سله من بعد عمر؟ فقال: يقضيك عثمان. فقال علي للأعرابي: إيت النبي ﷺ، فسله إن أتى على عثمان أجله من يقضيه؟ فقال النبي ﷺ: إذا أتى على أبي بكر أجله، وعمر أجله وعثمان أجله، فإن استطعت أن تموت فمت[١].

(٥) وأخرج الحاكم[٢] عن أنس قال بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سل لنا رسول الله ﷺ إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ قال: فأتيته فسألته. فقال: إلى أبي بكر، فأتيتهم فأخبرتهم. قالوا: ارجع إليه فاسأله: فإن حدث بأبي بكر حدث، فإلى من؟ فأتيته، فأخبرته فقال: إلى عمر. فقالوا: ارجع إليه فسله: فإن حدث بعمر حدث، فإلى من؟ فأتيته فسألته، فقال: إلى عثمان. فأتيتهم فأخبرتهم. فقالوا: ارجع فسله فإن حدث بعثمان حدث، فإلى من؟ فأتيته فسألته، فقال: إن حدث بعثمان حدث فتبا لكم الدهر فتبا.

(٧) إخباره ﷺ بعدم اجتماع الأمة على علي المرتضى

وكذلك أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن الأمة لا تجتمع على سيدنا علي رضي الله عنه وتألم خاطره من ذلك كما ورد في أحاديث عديدة، منها:

(١) أخرج الحاكم[٣] عن علي رضي الله تعالى عنه قال إن مما عهد إليّ النبي ﷺ أن الأمة ستقذرني بعده[٤].

(٢) وأخرج الحاكم[٥] عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ لعلي: أما إنك ستلقى

---

(١) راجع ص ٩٤.

(٢) راجع ص ٩٣.

(٣) ٣/١٤٠ وقال: صحيح الإسناد. وأقره الذهبي. قلت: فيه هيثم وهو مدلس وقد عنعن. وله إسناد آخر في دلائل النبوة ٦/٤٤٠ وابن الجوزي في العلل المتناهية ١/٢٤٢ وهو أيضا ضعيف. راجع الضعيفة ٤٩٠٥.

(٤) والصواب: ستغدر بي بعده كما في المستدرك ٣/١٤٠ وذكره الألباني في الضعيفة رقم ٤٩٠٥.

(٥) ٣/١٤٠ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وأورده الألباني في الضعيفة رقم ٤٩٠٦.

بعدي جهدا. قال في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك.

(٣) وأخرج أبو يعلى[١] عن علي بن أبي طالب قال: بينما رسول الله ﷺ آخذ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة إذ أتينا على حديقة، فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة؟! قال: لك في الجنة أحسن منها. ثم مررنا بأخرى، فقلت يا رسول الله ما أحسنها من حديقة؟! قال: لك في الجنة أحسن منها. حتى مررنا بسبع حدائق كل ذلك أقول: ما أحسنها، ويقول: لك في الجنة أحسن منها. فلما خلا له الطريق اعتنقني ثم أجهش باكيا. قال قلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعدي. قلت: يا رسول الله في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك.

(٤) وأخرج أحمد[٢] عن علي حدثنا[٣] في آخره: وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين، تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم.

(٥) وأخرج الطبراني[٤] عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ لعلي: إنك مؤمر مستخلف وإنك مقتول، وإن هذه مخضوبة من هذه، يعنى لحيته من رأسه.

(٨) أمر النبي ﷺ بالقعود في هذه الفتنة

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بالقعود في هذه الفتنة وأكد أمره هذا تاكيدا صريحا حتى أمر بتكسير السيوف والقسي وتقطيع الأوتار كما ورد في أحاديث عديدة، منها:

(١) حديث سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان بن عفان: أشهد أن رسول الله ﷺ قال: إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من

---

(١) رقم (٥٦١) وأخرجه الحاكم ١٣٩/٣ وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي ورواه الخطيب ٣٩٨/١٢ ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢٤٠/١ أتم منه. وقال: فيه الفيض، قال يحيى بن معين: كذاب خبيث. قلت: لكن قال الذهبي في الميزان ٣٦٦/٣: مقارب الحال إن شاء الله. وقال الحافظ في اللسان ٤٥٦/٤: أخرج له الحاكم محتجا له وذكره ابن حبان في الثقات. ومع ذلك تابعه حرمي بن عمارة عند الحاكم وأبي يعلى رقم ٥٦١ وعبد الله بن أحمد في زوائد الفضائل رقم ١١٠٩ بل في إسناده الفضل بن عميرة الطفاوي قال الحافظ في التقريب ص ٤١٦: فيه لين. ذكره ابن حبان في الثقات. وقال الساجي: في حديثه ضعف وعنده مناكير، وقال العقيلي: لا يتابع عليه. وقال الهيثمي في المجمع ١١٨/٩ رواه أبو يعلى والبزار وفيه الفضل بن عميرة وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله ثقات.

(٢) راجع ص ٦٣.

(٣) والصواب: حديثا في.....

(٤) ٢٤٧/٢ وفيه إنك امرؤ، وأبونعيم في الدلائل ٢/ ٥٥٣، والطبراني في الكبير ٢/ ٢٤٧ والأوسط (٧٣١٤) بنحوه وفيه ناصح بن عبدالله وهو متروك كما في المجمع ١٢٦/٩.

الساعي. قال قلت: أفرأيت إن دخل على بيتي وبسط يده إلي ليقتلني؟ قال: كن كابن آدم[١].

(٢) وحديث أبي موسى أنه قال في الفتنة: كسروا فيها قسيكم وقطعوا فيها أوتاركم والزموا فيها أجواف بيوتكم وكونوا كابن آدم[٢].

(٣) وحديث أم مالك البهزية ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها. قالت قلت: يا رسول الله من خير الناس فيها؟ قال: رجل في ماشيته يؤدي حقها ويعبد ربه، ورجل آخذ برأس فرسه يخوف العدو ويخوفونه[٣].

(٤) وحديث أهبان بن صيفي حين دعاه علي إلى الخروج معه: إن خليلي وابن عمك عهد إلي إذا اختلف الناس أن أتخذ سيفا من خشب[٤].

(٥) وحديث خباب بن الأرت عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي. فإن أدركك ذلك فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل[٥].

(٦) وحديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ : تكون فتنة المضطجع فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب والراكب خير من المجري. قلت: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: ذلك أيام الهرج حين لا يأمن الرجل جليسه. قلت: فبما تأمرني إن أدركت ذلك الزمان؟ قال: اكفف نفسك ويدك وادخل دارك، الحديث[٦].

(٧) وحديث أبي هريرة قال: أيها الناس أظلكم فتن كأنها قطع الليل المظلم خير الناس فيها صاحب شاءٍ يأكل من رأس[٧] غنمه، ورجل وراء الدرب آخذ بعنان فرسه يأكل من

---

(١) راجع ص ١٧٤.

(٢) راجع ص ١٩٠.

(٣) أحمد ٦/٤٢٠ والترمذي (٢١٧٧) أبواب الفتن باب ما جاء في الرجل يكون في الفتنة، وقال: غريب من هذا الوجه، والطبراني في مسند الشاميين راجع الإصابة ٨/٢٧٨. وذكره الألباني في الصحيحة رقم ٦٩٨. وله شواهد عن أم مبشر وأبي سعيد وابن عباس.

(٤) الترمذي (٢٢٠٣) أبواب الفتن باب ما جاء في اتخاذ السيف من خشب، وقال:حسن غريب، وابن ماجه (٣٩٦٠) أبواب الفتن باب التثبت في الفتنة، وصحيح سنن الترمذي رقم ١٧٩٤ وأحمد ٥/٦٩.

(٥) أحمد ٤/١١٠ وأبو يعلى برقم ٧١٨٠، والطبراني ٤/٦٨ ولم أعرف الرجل الذي من عبد القيس وبقية رجاله رجال الصحيح كما في المجمع ٦/٣٠٣.

(٦) أبوداود (٤٢٥٨) كتاب الفتن والملاحم باب النهي عن السعي في الفتنة، باختصار، وأحمد ١/٤٤٨، ٤٤٩ بإسنادين ورجال أحدهما ثقات والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٢٧ ووافقه الذهبي.

(٧) في المستدرك: رسل.

سيفه[١].

(٨) وحديث أبي بكرة قال رسول الله ﷺ: ألا إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي. فإذا نـــزلت، ألا من كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه. فقال له رجل: يا رسول الله أ رأيت إن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: فليأخذ حجرا فليدق به على سيفه ثم لينج إن استطاع النجا. ثم قال: هل بلغت؟ ثلاثا[٢].

(٩) وحديث محمد بن مسلمة: قلت: يا رسول الله كيف أصنع إذا اختلف المصلون؟ قال: تخرج بسيفك إلى الحرة فتضربها به ثم تدخل بيتك حتى تأتيك منية قاضية أو يد خاطئة[٣].

(١٠) وحديث وائل بن حجر: حضرت رسول الله ﷺ وقد رفع رأسه نحو المشرق، وقد حضره جمع كثير، ثم رد إليه بصره فقال: أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم، فشدد أمرها وعجله وقبحه، فقلت له من بين القوم: يا رسول الله، وما الفتن؟ فقال: يا وائل، إذا اختلف سيفان في الإسلام فاعتزلهما[٤].

---

(١) الحاكم ٤/٤٣٢، ٤٦٥ وقال: موقوف صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) مسلم (٧٢٥٠) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب نـــزول الفتن كمواقع القطر، وأبوداود (٤٢٥٦) وأحمد ٥/ ٣٩ وابن أبي شيبة ١٥/ ٧ والحاكم ٤/ ٤٤٠ وسكت عنه. وقال الذهبي: صحيح. وابن حبان ٧/ ٥٨٢.

(٣) المستدرك ٣/١١٧ والبيهقي ٨/١٩١ من طريق محمود لبيد عن محمد بن مسلمة وابن عساكر كما في الكنـــز ١١/٢٣٤. ورواه أحمد ٤/٢٢٥ وابن أبي شيبة ١٥/٢٢ من طريق الحسن عن محمد بن مسلمة، وابن ماجه (٣٩٦٢) وابن أبي شيبة ١٥/٣٧ من طريق أبي بردة عن محمد بن مسلمة، وعزاه الهيثمي في المجمع ٧/٣٠٠، ٣٠١ للطبراني في الأوسط فقط، وقال: رجاله ثقات.

(٤) طرف من حديث طويل رواه الطبراني في الصغير ٢/١٤٣ والكبير، وفيه محمد بن حجر وهو ضعيف كما في المجمع ٩/٣٧٦.

٢- ذكر حال المسلمين قبل هذه الفتنة بخلال حميدة وما بعدها بخلال ذميمة

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أحوال المسلمين قبل هذه الفتنة بخلال حميدة بينما ذكر ما بعدها بخلال ذميمة واستقصى في شرحها استقصاء تاما وشرحها من وجوه عديدة وبأساليب متنوعة، منها:

(١) تدور رحى الإسلام خمسا وثلاثين سنة.

قال: تزول رحى الإسلام بخمس وثلاثين سنة. فإن يهلكوا فسبيل من قد هلك[١]. دوران رحى الإسلام عبارة عن وجود الجهاد وغلبة دين الحق على سائر الأديان بايتلاف النفوس واجتماع الجموع على الخير. والهلاك كلمة جامعة لجميع أنواع الشر وأصلها انقطاع الجهاد ووقوع الفرقة بين المسلمين.

(٢) الخلافة بالمدينة والملك بالشام.

كما ورد في أحاديث عديدة، منها:

(١) حديث أبي هريرة الخلافة بالمدينة والملك بالشام[٢].

(٢) وفي المشكاة[٣] عن عمر قال قال رسول الله ﷺ: رأيت عمودا من نور خرج من تحت رأسي ساطعا حتى استقر بالشام.

وقد قسم النبي ﷺ الدولة إلى قسمين مختلفين؛ فسمى الأول خلافة كما سمى الثاني ملكا.

(٣) فيما تقدم من الأحاديث: إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة. ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا عضوضا[٤].

(٤) وفي قوله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ﴾[٥].

فهذه أدلة قاطعة على تباين الحالتين وتغاير المنزلتين. وقد صدقه الواقع، إذ أقام الخلفاء الثلاثة بالمدينة ولم يقم بعدهم أي ملك بالمدينة. وإذا أردت معرفة مزيد من أحوال الملك بالشام فاقرأ الحديث التالي:

---

(١) راجع ص ٩٣، ١٧٩.

(٢) راجع ص ٩٣.

(٣) ص ٥٨٣ باب ذكر اليمن والشام والبيهقي في دلائل النبوة ٤٤٩/٦ وابن كثير في البداية ٢٢١/٦ وفي إسناده نصر بن محمد بن سليمان الحمصي ضعيف كما في التقريب ص ٥٢٢. وهو صحيح بالشواهد، راجع تخريج أحاديث كتاب فضائل الشام للألباني رقم ٣.

(٤) راجع ص ٩٥.

(٥) سورة النور: ٥٥.

(٥) عن عبد الله بن حوالة قال قال رسول الله ﷺ: يابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نـــزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام. والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه إلى رأسك[١]، [٢].

(٣) نـــزع الأمانة من صدور الرجال

أخرج البغوي[٣] من حديث حذيفة قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر. حدثنا أن الأمانة نـــزلت في جذر قلوب الرجال ونـــزل القرآن فقرأوا من القرآن وعلموا من السنة. ثم حدثنا عن رفعها. قال: ترفع الأمانة، فينام الرجل ثم يستيقظ وقد رفعت الأمانة من قلبه، ويبقى أثرها كالوكت أو كالمجل كجمر دحرجته على رجلك. فهو يرى أن فيه شيئا وليس فيه شيء. وترفع حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينا. ولقد رأيتني وما أبالي أيكم أبايع. لئن كان مسلما ليردنه علي إسلامه ولئن كان معاهدا ليردنه علي ساعيه. فأما اليوم لم أكن أبايع منكم إلا فلانا وفلانا.

ولا شك أن ما شاهده حذيفة رضي الله عنه من اختلال الأمانة كان بعد وقوع هذه الفتنة المستطيرة.

(٤) ظهور الكذب وخاصة في بيان حديث رسول الله ﷺ وآثار السلف الصالح

هذا ما تدل عليه أحاديث عديدة، منها:

(١) ما جاء في خطبة عمر رضي الله عنه بالجابية عن النبي صلى الله عليه وسلم: أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم. ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الرجل ولا يستشهد[٤].

(٢) وأخرج مسلم[٥] عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم.

---

(١) وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وضع يده على رأس عبد الله بن حوالة.

(٢) أحمد ٢٨٨/٥ وأبوداود (٢٥٣٥) كتاب الجهاد باب في الرجل يغزو ويلتمس الأجر والغنيمة، ورجاله ثقات. والألباني في صحيح أبي داود رقم ٢٢٨٦ وتراجع عن تضعيفه في تحقيق المشكاة رقم ٥٤٤٩.

(٣) شرح السنة ١٥/٥، والبخاري (٦٤٩٧) كتاب الرقاق باب رفع الأمانة والترمذي (٢١٧٩) أبواب الفتن باب ما جاء في رفع الأمانة وابن ماجه (٤٠٥٣) أبواب الفتن باب ذهاب الأمانة وأحمد ٥/ ٢٨٨.

(٤) راجع ص ١٥٣.

(٥) المقدمة رقم ١٦ وأحمد ٣٢١/٢.

(٣) وأخرج مسلم[١] عن مجاهد قال جاء بشير بن كعب العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ. قال: فجعل ابن عباس لا يأذن بحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس ما لي لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله ﷺولا تسمع؟! فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا. فلما ركب الناس الصعبة والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف.

ولا شك أن العصر الأول الذي وصفه سيدنا ابن عباس بالصدق والأمانة كان قبل هذه الفتنة بينما العصر الذي وصفه بقوله: ركبوا الصعب والذلول كان بعد وقوعها وأكثر هذا الكذب الذي شاع في أحاديث سيدنا علي المرتضى -المرفوعة منها والموقوفة- كان في العراق، وقد أشار العلماء إلى ذلك:

(أ) فقد أخرج مسلم[٢] عن أبي إسحاق قال: لما أحدثوا تلك الأشياء بعد علي قال رجل من أصحاب علي: قاتلهم الله أي علم أفسدوا.

(ب) وأخرج مسلم[٣] عن أبي بكر بن عباس قال: سمعت المغيرة يقول: لم يكن يصدق على علي في الحديث عنه إلا من أصحاب عبد الله بن مسعود.

(ج) وأخرج مسلم[٤] عن ابن أبي مليكة قال: كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتب لي كتابا ويخفي عني. فقال ولد ناصح أنا أختار له الأمور اختيارا وأخفي عنه. قال: فدعا بقضاء علي ﷺ فجعل يكتب منه أشياء ويمر به الشيء فيقول: والله ما قضى بهذا علي إلا أن يكون ضل.

(د) وأخرج مسلم[٥] عن طاوس قال: أوتي ابن عباس بكتاب فيه قضاء علي فمحاه إلا قدر، وأشار سفيان بن عيينة بذراعه.

(هـ) وأخرج مسلم[٦] عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة! سمعت أبي، عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الفتنة تجئ من ههنا وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله عز وجل له ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾[٧].

---

(١) المقدمة رقم ٢١.
(٢) المقدمة رقم ٢٤.
(٣) المصدر نفسه رقم ٢٥.
(٤) المصدر نفسه رقم ٢٢.
(٥) المقدمة رقم ٢٣.
(٦) حديث (٧٢٩٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان.
(٧) سورة طه: ٤٠.

ومن هنا كان أبو إسحاق السبيعي وأمثاله من علماء الكوفة ممن كانوا يجهدون أنفسهم في حفظ أحاديث سيدنا علي لم يكونوا يأخذون برواية جنوده وإنما كانوا يأخذون عن أصحاب عبد الله بن مسعود. وللسبب نفسه لم يكن أهل المدينة يقبلون رواية أهل العراق. قال مالك: "لم يأخذ عنهم أولنا فلا يأخذ عنهم آخرنا".

وذلك لأنه لم يتفرغ العلماء لتمييز الرجال وضبط أحوال الرواة على ما ينبغي قبل جمع أحاديث البلاد. فمن ثم فضلوا سبيل الاحتياط بنبذ تلك الأحاديث جملة والاكتفاء بأحاديث أهل المدينة وفتاويهم.

ولما ظهر الشافعي وأحمد كانت الأحاديث قد جمعت من شتى البلاد فتمكنوا من بحث أحوال رواتها، وأخذوا بروايات الثقات والضابطين التي اتصلت أسانيدها وسمي رواتها. وتركوا الأحاديث المرسلة وأخبار المتهمين والمبهمين. ومضى على نهجهم ونسلك طريقهم فيما بعد جميع أهل الحديث، فكانت هذه نقطة انفصام أهل الحديث من أهل الرأي.

(٥) تعمق الناس في تجويد كلام الله المجيد أكثر مما جرى عليه لسان العرب، والاكتفاء بالقراءات وعدم التفقه فيه

١. كما أخرجه أبوداود[١] عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابي والعجمي، فقال: اقرأوا فكل حسن. وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه.

٢. وأخرج أبوداود[٢] عن سهل بن سعد الساعدي قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقترئ، فقال: الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأحمر وفيكم الأبيض وفيكم الأسود. اقرؤوه قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقوم السهم يتعجلونه ولا يتأجلونه.

٣. وأخرج البغوي[٣] عن عبد الله بن مسعود أنه قال لإنسان: إنك في زمان قليل

(١) (٨٣٠) كتاب الصلاة باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة، وأحمد ٣٩٧/٢ وسكت عنه أبوداود والمنذري. وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، صحيح سنن أبي داود رقم ٧٨٣.

(٢) (٨٣١) كتاب الصلاة باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة، وسكت عنه أبوداود والمنذري. وحسنه الألباني، راجع صحيح سنن أبي داود حديث رقم ٧٨٤.

(٣) شرح السنة ٣٩٦/١٤. ومالك في جامع الصلاة ٣٥٣/١، مع الزرقاني. والبيهقي في الشعب رقم ٥٠٠٠ من طريق ابن بكير عن مالك به وسنده ضعيف لانقطاعه، ورواه – موصولاً – البخاري في الأدب المفرد ٧٨٩ وعبد الرزاق في المصنف رقم ٣٧٨٧ والطبراني في الكبير رقم ٨٠٦٦، من طرق عن ابن مسعود به وليس فيه (يحفظ فيه حدود القرآن ويضيع حروفه) وحسن إسناده الألباني في الأدب المفرد رقم ٧٨٩.

قراؤه كثير فقهاؤه يحفظ فيه حدود القرآن ويضيع حروفه، قليل من يسأل كثير من يعطي، يطيلون فيه الصلاة ويقصرون فيه الخطبة يبدون فيه بأعمالهم قبل أهوائهم. وسيأتي على الناس زمان كثير قراؤه قليل فقهاؤه يحفظ فيه حروف القرآن ويضيع حدوده، كثير من يسأل قليل من يعطى، يطيلون الخطبة ويقصرون الصلاة؟ يبدون بأهوائهم قبل أعمالهم.

(٦) تعمق الناس في تأويل متشابه القرآن

سيتعمق الناس في البحث عن تاويلات متشابه القرآن الكريم كما أخبر بذلك في عدد من الأحاديث، منها:

١. ما أخرجه الدارمي[١] عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾[٢] قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم.

٢. وأخرج الدارمي[٣] عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل. فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ. فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه، فقال: أنا عبد الله عمر. فجعل له ضربا حتى دمى رأسه فقال: يا أمير المؤمنين حسبك، قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي.

٣. وأخرج الدارمي[٤] عن عمرو بن الأشج[٥] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن. فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله.

(٧) تعمق الناس في المسائل الفقهية وخوضهم في الفروع المفروضة التي لم تقع بعد

ومنها تعمق الناس في المسائل والفروع الفقهية والتكلم في الصور الافتراضية التي لم تقع بعد، وكان السلف السابقون يكرهون الخوض فيها، وكذلك إسراع الفقهاء في إصدار الفتاوى وكان السلف السابقون يهابون الفتيا هيبة شديدة. ورد ذلك في روايات عديدة، منها:

---

(١) ٥٥/١ المقدمة باب من هاب الفتيا الخ. بل والبخاري (٤٥٤٧) في تفسير آل عمران، ومسلم (٦٧٧٥) كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن الخ.

(٢) سورة آل عمران: ٧.

(٣) ٥٤/١ ورجاله ثقات.

(٤) ٤٩/١ وفي إسناده الليث وفيه كلام معروف. وابن عبد البر في الجامع ١٢٣/٢ وابن حزم في الأحكام ٢٥٠/٢ والخطيب في الفقيه والمتفقه ٢٣٤/١ والآجري في الشريعة ص ٥٢.

(٥) والصواب: عمرو بن الأشجع.

١. ما أخرجه الدارمي[١] عن وهب بن عمرو الجمحي[٢] أن النبي ﷺ قال: لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها. فإنكم إن لا تعجلوها قبل نزولها لا ينفك المسلمون وفيهم إذا هي نزلت من إذا قال وفق وسدد. وإنكم إن تعجلوها تختلف بكم الأهواء فتأخذوا هكذا وهكذا وأشار بين يديه وعن يمينه وعن شماله.

٢. وأخرج الدارمي[٣] عن طاوس قال قال عمر على المنبر: أحرج بالله على رجل سأل عما لم يكن. فإن الله قد بين ما هو كائن.

٣. وأخرج الدارمي[٤] عن ابن عمر سأله رجل عن شيء. فقال: لا تسأل عما لم يكن. فإني سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن.

٤. وأخرج الدارمي[٥] عن الزهري قال بلغنا أن زيد بن ثابت الأنصاري كان يقول إذا سئل عن الأمر: أكان هذا؟ فإن قالوا: نعم قد كان، حدث فيه بالذي يعلم والذي يرى. وإن قالوا: لم يكن، قال: ذروه حتى يكون.

٥. وأخرج الدارمي[٦] عن عامر الشعبيقال سئل عمار بن ياسر عن مسئلة، فقال: هل كان هذا بعد؟ قالوا: لا. قال: دعونا حتى يكون. فإذا كانت تجشمناها[٧] لكم.

٦. وأخرج الدارمي[٨] عن مسروق قال كنت أمشي مع أبي بن كعب، فقال فتى: يا عماه ما تقول في كذا وكذا؟ قال يا ابن أخي، كان هذا؟ قال: لا، قال: فاعفنا حتى يكون.

٧. وأخرج الدارمي[٩] عن سعيد بن جبير[١٠] قال: ما رأيت قوما كانوا خيرا من أصحاب رسول الله ﷺ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسئلة حتى قبض، كلهن في القرآن، منهن: يسألونك عن الشهر الحرام ويسألونك عن المحيض، قال: ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم.

٨. وأخرج الدارمي[١١] عن عبادة بن نسيء سئل عن امرأة ماتت مع قوم ليس لها ولي، فقال: أدركت أقواما ما كانوا يشددون تشديدكم ولا يسألون مسائلكم.

---

(١) ٤٩/١ ورجاله ثقات.
(٢) وفي الدارمي: وهب بن عمرو الجمحي، ولعله وهب بن عمير الجمحي ذكره الحافظ في الإصابة ٣٢٧/٦.
(٣) ٥٠/١ ورجاله ثقات.
(٤) ٥٠/١ ورجاله ثقات.
(٥) المصدر نفسه ورجاله ثقات إلا أنه منقطع.
(٦) المصدر نفسه ورجاله ثقات.
(٧) يقال: جشمت الأمر بالكسر، وتجشمته: إذا تكلفته، النهاية في غريب الحديث ٢٧٤/١.
(٨) ٥٦/١ ورجاله ثقات وله إسناد آخر.
(٩) ٥١/١ ورجاله ثقات.
(١٠) والصواب: سعيد بن جبير (عن ابن عباس) سقط من الإزالة.
(١١) ٥١/١ ورجاله موثقون.

٩. وأخرج الدارمي[١] عن عطاء بن السائب قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول؛ لقد أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار، وما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث. ولا يسأل عن فتيا إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا.

١٠. وأخرج الدارمي[٢] عن داود قال سألت الشعبي: كيف كنتم تصنعون إذا سُئلتم؟ قال: على الخبير وقعت. كان إذا سئل الرجل قال لصاحبه أفتهم، فلا يزال حتى يرجع إلى الأول.

١١. وأخرج الدارمي[٣] عن ابن المنكدر قال: إن العالم يدخل فيما بين الله وبين عباده فليطلب لنفسه المخرج.

١٢. وأخرج الدارمي[٤] عن مسعر قال: أخرج إلي معن بن عبد الرحمن كتابا فحلف لي بالله أنه خط أبيه. فإذا فيه: قال عبد الله والذي لا إله إلا هو ما رأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رأيت أحدا كان أشد عليهم من أبي بكر ﷺ. وإني لأرى عمر ﷺ كان أشد خوفا عليهم أو لهم[٥].

(٨) كثرة سؤال الناس عن الإلهيات

ومنها كثرة سؤال الناس عن الإلهيات حتى يقولوا: من خلق الله! وقد تحقق هذا المعنى في زمنٌ أبي هريرة ﷺ.

١. أخرج مسلم[٦] من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لا يزال الناس يسألونكم عن العلم حتى يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟! قال وهو آخذ بيد رجل. فقال: صدق الله ورسوله. قد سألني اثنان وهذا الثالث، أو قد سألني واحد وهذا الثاني.

٢. وأخرج مسلم[٧] من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: لا يزالون يسألونك يا أباهريرة حتى يقولوا هذا الله فمن خلق الله؟ قال فبينا أنا في المسجد إذ جاء ناس من الأعراب، فقالوا: يا أباهريرة: هذا الله فمن خلق الله؟ قال: فأخذ حصى بكفه فرماهم ثم قال: قوموا، صدق خليلي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ١/٥٣ ورجاله ثقات. وابن عبد البر في الجامع ٢/١٦٣.
(٢) ١/٥٣ ورجاله ثقات.
(٣) المصدر نفسه ورجاله ثقات.
(٤) ١/ ٥٣ ورجاله ثقات.
(٥) هذا شك من الراوي؛ هل قال "عليهم" أو "لهم"، وكلاهما بمعنى واحد.
(٦) (٣٤٧) كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها.
(٧) (٣٤٩) كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها.

(٩) انتشار أخبار بني إسرائيل في الناس وروايتها عنهم

ومنها انتشار أخبار بني إسرائيل في الناس والرواية عن أهل الكتاب. وهو أول علم أجنبي اختلط بعلوم الدين، كما ورد في روايات عديدة، منها:

١. ما أخرجه الدارمي[١] عن جابر أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة فقال: يا رسول الله ﷺ هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير. فقال أبوبكر ﷺ: ثكلتك الثواكل ما ترى بوجه رسول الله ﷺ؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ، فقال: أعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل ولو كان حيا وأدرك نبوتي لاتبعني.

٢. وأخرج البخاري[٢] عن عبد الله بن عباس أنه قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنـــزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضا لم يشب. وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتاب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب، قالوا هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمنا قليلا. ولا ينهاكم ما جاءكم من العلم من مسألتهم. فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنـــزل عليكم.

(١٠) زيادة الأوراد والأحزاب على السنة المأثورة والتزام المستحبات مثل التزام الواجبات

ومنها حرص الناس على زيادة الأوراد والأحزاب على السنة المأثورة تقربا إلى الله عز وجل والتزام المستحبات مثل التزام الواجبات والاهتمام بدعوة الناس إلى التزامها.

١. كما أخرج الدارمي[٣] عن الحكم بن المبارك انا عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد. فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أ خرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج. فلما خرج قمنا إليه جميعا. فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته و لم أر، والحمد لله إلا خيرا. قال: فما هو؟ قال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصاة،

---

(١) ١١٥/١ وأحـــمد ٣٨٧/٣ وفي إسناده مجالد بن سعيد وليس بالقوي وكان تغير في آخر عمره كما في التقريب ص ٤٨٢. وله شواهد كثيرة ولذا حسنه الألباني، راجع لتفصيله الإرواء ٣٤/٦.

(٢) (٢٦٨٥) كتاب الشهادات باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة.

(٣) ٦٨/١المقدمة في باب كراهية أخذ الرأي. وفيه عمر، والصحيح ما أثبتناه، وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٢٠٠٥.

فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة، ويقول: هللوا مائة فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك وانتظار أمرك. قال: أفلا أمرهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم. ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدوا سيئاتكم. فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء. ويحكم يا أمة محمد ﷺ ما أسرع هلكتكم. هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون. وهذا ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر. والذي نفسي في يده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتح باب ضلالة؟ قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه. إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم. وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم. ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن مسلمة: رأينا عامة أولئك الخلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج.

٢. وفي مصنف أبي بكر بن أبي شيبة[١] قيل لابن عمر: تصلي الضحى؟ قال: لا، قيل: صلاها عمر، قال: لا. قيل: صلاها أبوبكر، قال: لا، قيل:صلاها رسول الله ﷺ قال: لا إخال[٢].

٣. وفي شرح السنة[٣] كان ابن عمر إذا سئل عن سبحة الضحى فقال: لا آمر بها ولا أنهى عنها، ولقد أصيب عثمان وما أدري أحدا يصليها، وإنها لمن أحب ما أحدث الناس إلي.

٤. وأخرج الدارمي[٤] عن ربيعة بن يزيد قال قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: يفتح القرآن على الناس حتى يقرأه المرأة والصبي والرجل، فيقول الرجل: قد قرأت القرآن فلم أتبع، والله لأقومن به فيهم لعلي أتبع! فيقوم به فيهم فلا يتبع، فيقول: قد قرأت القرآن فلم أتبع، وقد قمت به فيهم فلم أتبع، لأحتظرن مسجدا لعلي أتبع، فيحتظر في بيته مسجدا فلا يتبع. فيقول قد قرأت القرآن فلم أتبع وقد قمت به فلم أتبع، وقد احتظرت في بيتي مسجدا[٥] فلم اتبع، والله لآتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب الله و لم يسمعوه عن رسول الله ﷺ لعلي أتبع. قال معاذ: فإياكم فإن ما جاء به ضلالة.

(١١) كان الوعظ والفتيا في بداية الأمر موقوفا على إذن من الخليفة. فلم يكونوا يعظون

---

(١) ٤٠٥/٢، والبخاري (١١٧٥) أبواب التطوع باب صلاة الضحى في السفر.

(٢) وفي المصنف: لا إخاله.

(٣) ١٣٨/٤ وعبدالرزاق ٧٨/٣، ٧٩ ورجاله ثقات. وصحح الحافظ إسناده في الفتح ٥٢/٣.

(٤) المقدمة باب تغيير الزمان ٦٧/١ ورجاله ثقات غير سعيد وهو ابن عبدالعزيز التنوخي اختلط في آخر عمره، التقريب ص ٣٨٣ ومروان بن محمد هو الطاطري.

(٥) في الدارمي: لأحتظرن في بيتي مسجدا.

ولا يفتون من غير إذن منه. أما المتأخرون فكانوا يعظون ويفتون من دون استشارة الخليفة أو إذن منه لكن لم يزل الأمر متوقفا على استشارة الصالحين كما وردت بذلك روايات عديدة، منها:

١. ما أخرج أبوداود[١] عن عوف بن مالك الأشجعي قال قال رسول الله ﷺ: لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال.

٢. وأخرج الدارمي[٢] عن ابن عون عن محمد قال: قال عمر لابن مسعود: ألم أنبأ أو أنبئت أنك تفتي ولست بأمير، ولّ حارها من تولى قارها.

٣. وأخرج الدارمي[٣] عن المسيب بن رافع قال: كانوا إذا نزلت فيهم قضية ليس فيها عن رسول الله ﷺ أثر اجتمعوا لها وأجمعوا، فالحقّ فيما رأوا، فالحقّ فيما رأوا.

يشير الواقع بأن الاختلافات الفقهية لم تكن قد ظهرت إلى أيام سيدنا عثمان وإذا طرأ شيء من ذلك رجع الناس إلى الخليفة، وكان الخليفة بعد ما يستشير ذوي الرأي يقرر أمرا يجتمع الناس عليه. لكن لما ظهرت الفتن بدأ كل عالم يفتي بما يرى ومن هنا بزغت الخلافات وازدهرت، وما ذكره الشهرستاني في كتابه الملل والنحل بأن الخلاف ظهر من أول يوم انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى خطأ لا يصح.

فليس من الخلاف أن تتعارض الأقوال أثناء المشورة ثم يختارون أمرا يتفقون ويجمعون عليه وإنما الخلاف أن يظهر قولان كل يزعم الحق بجانبه ويسعى إلى هدم الآخر وإبطاله.

وجملة القول أن هذا التغير بأنواعه السبعة حدث في خيار هذه الأمة الذين هم العلماء والعباد والقراء. والمفسدة العظيمة التي نجمت عنه أن الطبقات المتأخرة حسبت هذا التغير بهيئته وصفته سنة بمعنى أن أصله مأخوذ من السنة، ووجهوا اللوم إلى كل من ترك التزام مذاهبهم أو تهاون فيه.

٤. وأخرج الدارمي[٤] عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير، إذا ترك منها شيء قيل تركت السنة. قالوا ومتى ذلك؟ قال إذا ذهبت علماؤكم وكثرت جهلاءكم وكثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم وكثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الدين.

---

(١) (٣٦٦٥) كتاب العلم باب في القصص، وأحمد ١٧٨/٢، ١٨٣ وإسناده حسن.
(٢) ٦١/١ المقدمة باب الفتيا وما فيها من الشدة ورجاله ثقات إلا أنه منقطع.
(٣) ٤٨/١، ٤٩ ورجاله ثقات.
(٤) ٦٤/١ وفي إسناده يزيد بن أبي زياد وفيه كلام معروف.

(١٢) فتنة اقتـــتال المسلمين

ومنها اقتـــتال المسلمين كما ذكر في عدد من الروايات التي منها:

١. أخرج ابن ماجه[(١)] من حديث أسيد بن المتشمس[(٢)] قال حدثنا أبوموسى حدثنا رسول الله ﷺ أن بين يدي الساعة لهرجا. قال: قلت يا رسول الله ما الهرج؟ قال: القتل. فقال بعض المسلمين: يا رسول الله إنا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: ليس بقتل المشركين، ولكن بقتل بعضكم بعضا حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته. فقال بعض الأقوام: يا رسول الله ومعنا عقولنا ذلك اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تنـزع عقول أكثر ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس لا عقول لهم.

ثم قال الأشعري: وأيم الله إني لأظنها مدركتي وإياكم. وأيم الله ما لي ولكم منها مخرج إن أدركتنا فيما عهد إلينا نبينا ﷺ إلا أن نخرج منها كما دخلنا فيها.

٢. وأخرج ابن ماجه[(٣)] من حديث عبد الله بن شداد بن الهاد عن معاذ بن جبل قال: صلى رسول الله ﷺ يوما صلاة فأطال فيها. فلما انصرف قلنا أو قالوا: يا رسول الله، أطلت اليوم الصلاة. قال: إني صليت صلاة رغبة ورهبة سألت الله عز وجل لأمتي ثلاثا، فأعطاني اثنتـين ورد علي واحـدة. سألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيـرهم فأعطانيها. وسألته أن لا يهلكهم غرقا فأعطانيها. وسألته أن لا يجعل بأسا بينهم فردها علي.

٣. وأخرج ابن ماجه[(٤)] من حديث أبي قلابة الجرمي عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وأعطيت الكنـزين الأصفر والأحمر والأبيض يعني الذهب والفضة. وقيل إن ملكك إلى حيث زوي لك. وإني سألت الله عز وجل ثلاثا: أن لا يسلط على أمتي جوعا فيهلكهم به عامة، وأن لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض. وإنه قيل لي: إذا قضيت قضاء

---

(١) (٣٩٥٩) أبواب الفتن باب التـثبت في الفتنة وإسناده صحيح، وذكره البوصيري في الزوائد رقم ١٣٩١.

(٢) في السنن: المنتشر، والصحيح: المتشمس كما في التهذيب.

(٣) (٣٩٥١) أبواب الفتن باب ما يكون من الفتن وأحمد ٢٤٠/٥ وابن أبي شيـبة وغيرهم كما في الدر ١٩/٣. وله شاهد عن أنس عند أحمد ١٤٦/٣، والحاكم ٣١٤/١.

(٤) (٣٩٥٢) أبواب الفتـن باب ما يكون في الفتن، ومسلم (٧٢٥٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، باختصار منه أيضا والترمذي (٢١٧٦) أبواب الفتن باب ما جاء في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا في أمته، وأبوداود (٧٢٥٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، وأحمد وابن حبان والبزار والحاكم وصححه وابن مردويه كما في الدر ١٧/٣

فلا مرد له. وإني لن أسلط على أمتك جوعا فيهلكهم، ولن أجمع عليهم من بين أقطارها حتى يفني بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا. وإذا وضع السيف فلن يرفع عنهم إلى يوم القيامة. وإن مما أتخوف على أمتي أئمة مضلين، وستعبد قبائل من أمتي الأوثان، وستلحق قبائل من أمتي بالمشركين. وإن بين يدي الساعة دجالين كذابين قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي. ولن تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل.

ووقع القتال واشتداده بين المسلمين بعد مقتل سيدنا عثمان ذي النورين ﷺ أوضح من أن يوضح.

(١٣) فتنة شيوع سب السلف الصالح

ومنها شيوع سب السلف الصالح كما ورد في روايات عديدة، منها:

١. ما في الترمذي[١] في تعداد علامات القيامة وأن يسب آخر هذه الأمة أولها.

٢. وأخرج ابن ماجه[٢] من حديث محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كتم حديثا فقد كتم ما أنـــزل الله عز وجل.

والظاهر أن أهل الشام ابتلوا بسب سيدنا علي المرتضى بعد مقتل عثمان ﷺ. وذكر في المستدرك[٣] أن سب الشيخين ظهر في جند سيدنا علي وكان قد أخرج نفرا من جنوده بسبب هٰذه الجريمة. وهكذا شاع سب سيدنا عثمان ﷺ في الناس.

(١٤) فتنة افتراق المسلمين

كما ورد في عدد من الروايات التي منها:

١. ما أخرجه ابن ماجه[٤]من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة. وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.

---

(١) (٢٢١١) أبواب الفتن باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، وذكره الألباني في ضعيف سنن الترمذي: ٣٨٧.

(٢) راجع ص ٣١.

(٣) ١٤٦/٣.

(٤) (٣٩٩١) أبواب الفتن باب افتراق الأمم، وأحمد ٣٣٢/٢ والحاكم ١٢٨٦/١ وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقـــه الذهبي، وأبوداود (٤٥٩٦) أول كتاب السنـــة باب شرح السنـــة، والترمذي (٢٦٤٠) أبواب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، والآجري في الشريعة ص ٢٥ وابن حبان كما في الموارد رقم ١٨٣٤ وصحيح الموارد للألباني: ١٥٣٩، وفي الصحيحة برقم ٢٠٣.

٢. وأخرج ابن ماجه[١] من حديث راشد بن سعد عن عوف بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة. فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة. فواحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار. قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة.

٣. وأخرج ابن ماجه[٢] من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي لتفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة.

(١٥) فتـــنة ظهور الخوارج

أخرج الحفاظ ذكر الخوارج من حديث جماعة عظيمة من الصحابة. فهذا حديث متواتر بالمعنى.

١. أخرج ابن ماجه[٣] من حديث زر عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير الناس يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية. فمن لقيهم فليقتلهم فإن قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم.

٢. وأخرج ابن ماجه[٤] من حديث أبي سلمة قال قلت لأبي سعيد الخدري: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر في الحرورية شيئا؟ فقال سمعته يذكر قوما يتعبدون يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصومه مع صومهم. يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، أخذ سهمه فنظر في نصله فلم ير شيئا[٥]، فنظر في رصافه فلم ير شيئا، فنظر في قدحه فلم ير شيئا،

---

(١) (٣٩٩٢) أبواب الفتن باب افتراق الأمم، وابن أبي عاصم في السنة رقم ٦٣ والألباني في الصحيحة برقم ١٤٩٢.

(٢) (٣٩٩٣) أبواب الفتن باب افتراق الأمم، ورجاله ثقات. وقد روي من طرق عن أنس ذكر سبعة منها الألباني في الصحيحة برقم ٢٠٤.

(٣) (١٦٨) كتاب السنة باب ذكر الخوارج، وأحمد ٤٠٤/١ والترمذي (٢١٨٨) أبواب الفتن باب ما جاء في صفة المارقة، وصححه. وصححه الألباني في ظلال السنة رقم ٩١٤ وصحيح الجامع برقم ٨٠٥٢.

(٤) (١٦٩) كتاب السنة باب في ذكر الخوارج، والبخاري (٣٣٤٤) كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾، ومسلم (٢٤٥٧) كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٥) أي من أثر الدم.

فنظر في القذذ فتمارى هل يرى شيئا أم لا[١].

٣. وأخرج ابن ماجه[٢] عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: إن بعدي من أمتي أو سيكون بعدي من أمتي قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه. هم شرار الخلق والخليقة.

قال عبد الله بن الصامت: فذكرت ذلك لرافع بن عمرو أخي الحكم الغفاري فقال: أنا أيضا قد سمعته من رسول الله ﷺ.

٤. وأخرج ابن ماجه[٣] عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ بالجعرانة وهو يقسم التبر والغنائم وهو في حجر بلال. فقال رجل: اعدل يا محمد. فإنك لم تعدل. فقال: ويلك ومن يعدل بعدي إذا لم أعدل؟! فقال عمر: دعني يا رسول الله حتى أضرب عنق هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ: إن هذا في أصحاب أو أصيحاب له يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

٥. وأخرج ابن ماجه[٤] من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ينشأ نشأ يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع. قال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج في عراضهم الدجال.

٦. وأخرج ابن ماجه[٥] من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج قوم في آخر الزمان أو في هذه الأمة يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم أو حلوقهم سيماهم التحليق. وإذا رأيتموهم أو لقيتموهم فاقتلوهم.

(١٦) ظهور فتنة القدرية

(١٧) ظهور فتنة المرجئة

كما ورد في روايات عديدة، منها:

---

(١) أي كما لا يرى أثر الدم على السهم، فكذلك يخرجون من الدين ولا أثر له على قلوبهم.

(٢) (١٧٠) كتاب السنة باب في ذكر الخوارج، ورجاله ثقات. ومسلم (٢٤٦٩) كتاب الزكاة باب الخوارج شر الخلق والخليقة.

(٣) (١٧٢) كتاب السنة باب في ذكر الخوارج، ورجاله ثقات. وأحمد ٣/٣٥٤ وابن أبي عاصم في السنة ٢/٤٥٩، بإسناد آخر عن أبي الزبير به وأتم منه. وقال الألباني: حديث صحيح، وإسناده ضعيف، راجع ظلال الجنة رقم ٩٤٣.

(٤) (١٧٤) كتاب السنة باب في ذكر الخوارج، وقال البوصيري: إسناده صحيح احتج البخاري بجميع رواته. والألباني في الصحيحة رقم ٢٤٥٥.

(٥) (١٧٥) كتاب السنة باب في ذكر الخوارج، وأبوداود (٤٧٦٦) كتاب السنة باب في قتال الخوارج، وأحمد ٣/٣٢٤ ورجاله ثقات. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ٨٠٥٤.

١. ما أخرجه ابن ماجه[١] من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم.

٢. وأخرج ابن ماجه[٢] من حديث عكرمة عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: صنفان من هذه الأمة ليس لهما في الإسلام نصيب، المرجئة والقدرية.

(١٨) فتـــنة ظهور الروافض

كما ورد في بعض الروايات التي منها:

١. ما أخرجه الحاكم[٣] عن علي ﷺ قال دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا علي إن فيك من عيسى عليه السلام مثلا، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنـــزلوه بالمنـــزلة التي ليس لها. قال وقال علي: ألا وإنه يهلك في محب مطر بما ليس في ومبغض مفتر يحمله شنآني على أن يبهتني. ألا وإني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ بما استطعت. فما أمرتكم به من طاعة الله فحق عليكم طاعتي مما أحببتم أو كرهتم. وما أمرتكم بمعصية أنا وغيري فلا طاعة لأحد في معصية الله عز وجل. إنما الطاعة في المعروف.

وهذه الفرق الباطلة الأربعة (الخوارج والقدرية والمرجئة والروافض) هي منشأ سائر الفرق والمذاهب الباطلة كما تنشأ الأمراض المختلفة من الأخلاط الأربعة.

(١٩) فتـــنة استحلال المحرمات بالتأويل

ومنها استحلال الفروج بتأويل المتعة كما استحلت الخمور بتأويل كونها نبيذا واستحلت المعازف في هذا العصر. وقد ورد ذلك في أحاديث عديدة، منها:

١. ما أخرجه البخاري[٤] عن أبي عامر وأبي مالك الأشعري قالا: سمعت رسول الله

---

(١) (٩٢) كتاب السنة باب في القدر، وابن عدي ١٩٠/١ وابن الجوزي في العلل المتناهية ١٥٤/١ وفي إسناده بقية وقد عنعنه يحدث عن الضعفاء. وحسنه الألباني، راجع ظلال السنة رقم ٣٢٨.

(٢) (٦٢) كتاب السنـــة باب في الإيمان، والترمذي (٢١٤٩)، والبخاري في تاريخـــه ٢ ق ١٣٣/٢ وابن حبان في المجروحين ٣٣٩/١ والخطيب ٣٦٨/٥ وابن أبي عاصم ١٤٧/١، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية ١٥٢/١ وإسناده ضعيف. وضعفه الألباني في ظلال السنة رقم ٣٣٤.

(٣) ١٢٣/٣ وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبي: فيه الحكم وهاه ابن معين. والبخاري في التاريخ الكبير ١ ق ٢٨١/٢ وعبد الله في زياداته ١٦٠/١ والسنة ص١٩٠ وذكره في العلل ١٦٢/١ وأبويعلى برقم ٥٣٠ وقال الهيثمي في المجمع ١٣٣/٩: وفي إسناده الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف. وضعفه الألباني، الضعيفة رقم ٤٨٤٢.

(٤) والصواب عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري. رواه البخاري (٥٥٩٠) كتاب الأشربة باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، وأبوداود (٤٠٣٩) كتاب اللباس باب ما جاء في الخز.

ﷺ يقول: ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينـزلن أقوام إلى جنب علم تروح عليهم سارحة لهم، فيأتيهم[(١)] رجل لحاجته فيقول: ارجع إلينا غدا. فيبهتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة.

٢. وأخرج ابن ماجه[(٢)] من حديث خالد بن معدان عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب طائفة من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها.

٣. وأخرج ابن ماجه[(٣)] من حديث ثابت بن السمط عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ: يشرب ناس من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه.

٤. ووجدت في كتب تخريج أحاديث الرافعي للحافظ ابن حجر العسقلاني[(٤)] قال: روى عبدالرزاق عن معمر لو أن رجلا أخذ بقول أهل المدينة في استماع الغناء وإتيان النساء في أدبارهن، وبقول أهل مكة في المتعة والصرف، وبقول أهل الكوفة في المسكر كان شر عباد الله[(٥)].

(٢٠) زوال الأمن من بين المسلمين

ومنها زوال الأمن من بين المسلمين بأن يكون أحد قتل والد مسلم آخر وغيره قتل أخاه، فيختفي بعضهم من بعض ولا يقدرون على الصلاة في المسجد. كما ورد في الحديث الذي:

١. أخرجه مسلم[(٦)] من حديث شقيق عن حذيفة قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: احصوا لي كم يلفظ الإسلام. قال فقلنا: يا رسول الله أتخاف علينا؟ ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة. قال: إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا. قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلى إلا سرا.

---

(١) ولفظ البخاري: تأتيهم يعني الفقير لحاجته.

(٢) (٣٣٨٤) أبواب الأشربة باب الخمر يسمونها بغير اسمها، وابن عدي ١٩٦٧/٥ وفي إسناده عبدالسلام بن عبد القدوس وهو ضعيف كما في التقريب ص٣٢٥. ولـه شواهـد راجع الترغيب ٢٥١/٣ وذكره الألباني في الصحيحة حديث رقم ٩٠، ٤١٥.

(٣) (٣٣٨٥) أبواب الأشربة باب الخمر يسمونها بغير اسمها، وأحمد ٣١٨/٥ وإسناده حسن.

(٤) وهو كتاب تلخيص الحبير ١٨٧/٣ .

(٥) لعل الراوي اختلط عليه الأمر، أو أن معمرا أبلغ كلاما لا يصح بتاتا، إذ لم يقل أهل المدينة ولا أحد من أئمة السنة بإتيان النساء في أدبارهن، ولا قال أهل مكة ولا أحد من أهل السنة بالمتعة ولا أجاز أهل الكوفة ولا أحد من أئمة السنة شرب الخمر أو المسكر، وقد نجد مثل هذه الأخطاء عند نقل مذاهب الغير، وقد وجدنا مثل هذا الخطأ عند صاحب الهداية إذ زعم أن مالكا يجيز المتعة! (عبدالشكور).

(٦) (٣٧٧) كتاب الإيمان باب جواز الاستسرار بالإيمان للخائف، والبخاري (٣٠٦٠) كتاب الجهاد والسير باب كتابة الإمام الناس.

(٢١) يتولى الخلافة من ليس أهلا لها.

ومنها أن يتولى الخلافة من ليس أهلا لها أو مفضول بالنسبة لمن يستحقها. كما قد مر من حديث حذيفة: ويرث دنياكم شراركم[١].

(١) وأخرج البخاري[٢] وغيره من حديث أبي هريرة قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي قال: متى الساعة؟ قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة.

(٢) وأخرج البغوي[٣] من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم أبناء الملوك أبناء فارس والروم، سلط الله شرارها على خيارها.

ووقع هذا في زمان سيدنا عثمان رضي الله عنه.

(٢٢) تهاون شديد في إقامة أركان الإسلام

ومنها حدوث تهاون شديد في إقامة أركان الإسلام كما ورد فيما:

(١) أخرجه ابن ماجه[٤] من حديث عثمان بن خثيم عن القاسم بن عبدالرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون من السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها. فقلت: يا رسول الله إن أدركتهم كيف أفعل؟ قال: تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصى الله.

---

(١) راجع ص ٢١٠- ٢١١.

(٢) البخاري (٥٩) كتاب العلم باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه الخ.

(٣) شرح السنة ٣٩٥/١٤، بل ورواه الترمذي (٢٢٦١) أبواب الفتن باب متى يسلط شرار أمتي على خيارها، وقال: غريب. وفي إسناده موسى بن عبيدة ضعيف لا سيما في عبدالله بن دينار كما في التقريب ص ٥١٣ وهذا منه. والطبراني عن أبي هريرة لكنه قال: سلط بعضهم على بعض، وإسناده حسن كما في المجمع ٢٣٧/١٠. وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٩٥٦.

(٤) (٢٨٦٥) أبواب الجهاد باب لا طاعة في معصية الله، وأحمد وابنه ٣٩٩/١، ٤٠٠ ورجاله ثقات لكن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي اختلط بآخرة لم يتميز حديثه الأول من الآخر فاستحق الترك، قاله ابن حبان. قلت: ليس في الإسناد المسعودي بل فيه عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود الـهذلي الكوفي ابن عبد الله بن مسعود وهو ثقة. وله شاهد من حديث عبادة بن الصامت عند أحمد ٣٢٥/٥، ٣٢٩ والحاكم ٣٥٧/٣ والطبراني. وقال الهيثمي في المجمع ٢٢٧/٥ بعد عزوه لأحمد والطبراني: رجالهما ثقات إلا أن اسماعيل بن عياش رواه عن الحجازيين وروايته عنهم ضعيفة. وفي إسناد الحاكم: مسلم بن خالد الزنجي وفيه مقال. وقال الحاكم: وقد روي هذا الحديث على شرط الشيخين في ورود عبادة بن الصامت على عثمان متظلما، بمتن مختصر. قلت: رواه ابن أبي شيبة وغيره. راجع المطالب العالية ٢٣٤/٢، وسلسلة الصحيحة رقم ٥٩٠ وسلسلة الضعيفة رقم ١٣٥٣.

(٢) وأخرج البخاري وغيره[١] -وهذا لفظ البغوي- عن ثابت عن أنس قال: ما أعرف منكم شيئا كنت أعهده على رسول الله ﷺ ليس قولكم لا إله إلا الله. قلنا: يا أبا حمزة. الصلاة. فقال: قد صليتم حين تغرب الشمس أ فكانت تلك صلاة رسول الله ﷺ؟ ثم قال: على إني لم أر زمانا خيرا للعامل من زمانكم هذا إلا أن يكون زمان مع نبي.

(٣) وقد مر حديث أنس وغيره: إذا مات أبوبكر وعمر وعثمان فتبا لكم[٢]. وفي لفظ: فإن استطعت أن تموت فمت[٣].

ومما يشهد به التاريخ أنه لم يكن أي خليفة يقيم الحج بنفسه بعد سيدنا عثمان وإنما كان يؤمّر من ينوب عنه. ولم يستطع سيدنا علي رضي الله عنه أن يقيم الحج بنفسه بل في بعض السنين لم يستطع أن يقدر نائبا، كما هو مذكور في المستدرك.

وقد أمّر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على الحج في أيام خلافته أبان بن عثمان في حين أن الخلفاء السابقين كانوا يقيمون الحج بأنفسهم إلا عن عذر وقد كانت إقامة الحج تعد من خصائص الخلافة بل من لوازم الخليفة كما كان الجلوس على الأريكة أو لبس التاج أو الإقامة في القصر الملكي من علامات الملك عند الأكاسرة والقياصرة.

(٢٣) التشدد في العبادات وعدم الرضى بالرخص الشرعية

كما ذكر في روايات عديدة، منها:

(١) ما روي في المصابيح[٤] قال رسول الله ﷺ: إن الدين ليسر ولن يشاد الدين أحد، إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة.

(٢) وذكر البغوى[٥] عن عمير قال: من أدركت من أصحاب النبي ﷺ أكثر من سبعين فما رأيت قوما أهون سيرة ولا أقل تشديدا منهم.

(٣) قال إبراهيم: إذا بلغك في الإسلام أمران فخذ أيسرهما[٦].

---

(١) البخاري (٥٣٠) كتاب مواقيت الصلاة، باب تضييع الصلاة عن وقتها، وأحمد، وابن سعد، راجع الفتح ١٣/٢.
(٢) راجع ص ٩٣، ٢٠٢.
(٣) راجع ص ٩٤ من حديث سهل بن أبي حثمة وأبي هريرة رضي الله عنهما.
(٤) المصابيح ٤٣٦/١ و شرح السنة ٥٠/٤. بل ورواه البخاري (٣٩) كتاب الإيمان باب الدين يسر، والنسائي (٥٠٣٧) كتاب الإيمان باب الدين يسر، وأحمد أيضا، وذكره الخطيب في المشكاة باب القصد في العمل ص ١١٠.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.

(٤) وقال الشعبي: إذ اختلف عليك في أمرين فخذ أيسرهما فإن أيسرهما أقربهما من الحق. لأن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1][2].

ويستفاد من هذه الآثار أن التقاط الرخص من المذاهب الأربعة ما لم يعارضه نص من القرآن أو الحديث المشهور أو إجماع السلف أو القياس الجلي أو الحديث الصحيح، أمر مستحسن خلافا للفقهاء المتأخرين وخلافا لمن تطرف ورآه فسقا.

(٢٤) حدوث فتنتين ذكرهما النبي ﷺ

(١) كما أخرجه البغوي[3] من حديث حذيفة قال قلت: يا رسول الله أ يكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر؟ قال: نعم، قلت: فما العصمة يا رسول الله؟ قال: السيف. قلت: وهل بعد السيف بقية؟ قال: نعم، يكون إمارة على أقذاء، وهدنة على دخن. قال قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم ينشأ دعاة الضلالة. فإن كان لله في الأرض خليفة جلد ظهرك وأخذ مالك فالزمه وإلا فمت وأنت عاض على جذل شجرة.

وفي لفظ قلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن. قال قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك[4].

(٢) وأخرج مسلم[5] عن عتبة بن غزوان حديثا طويلا في آخره: وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى يكون عاقبتها ملكا فستجزون وتجربون الأمراء بعدنا.

ويفسر هاتين الفتنتين قول سعيد بن المسيب الآتي:

قال سعيد بن المسيب ثارت الفتنة الأولى فلم يبق ممن شهد بدرا أحد، ثم كانت الثانية

---

(١) سورة البقرة : ١٨٥.
(٢) البغوي، معالم التنزيل ١/ ٢٠١.
(٣) شرح السنة ١٤/١٥، بل ورواه البخاري (٣٥٧١) كتاب المناقب باب علامات النبوة، ومسلم (٤٧٨٤) كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين.
(٤) المصادر المذكورة أعلاه.
(٥) (٧٤٣٥) في أوائل كتاب الزهد باب الدنيا سجن المؤمن وأحمد ١٧٤/٤ أيضا.

فلم يبق ممن شهد الحديبية أحد. قال: وأظن لو كانت الثالثة لم ترتفع وفي الناس طباخ[١].

قال البغوى: أراد بالفتنة الأولى مقتل عثمان وبالثانية الحرة. وقوله طباخ أي خير ونفع. يقال: فلان لا طباخ له أي لا عقل له.

فالمراد من الفتنة الأولى مقتل سيدنا عثمان ﷺ وما بعده إلى أن استقرت خلافة عبدالملك. وعدت وقعة الردة التي حدثت في زمان أبي بكر الصديق ﷺ فتنة لشدتها على المسلمين بينما لم تعدها الرواية الثانية فتنة لأنها لم تقع بين المسلمين بل كانت بين المسلمين والكفار.

(٢٥) انقضاء المنهج النبوي لنمو الأمة المسلمة

كان النبي ﷺ عين منهجا خاصا لنمو الأمة المسلمة وصعودها وبقي مستقرا إلى آخر عهد سيدنا عثمان ﷺ ثم أنذر بالفتن:

(١) كما أخرج البغوى[٢] عن عروة بن الزبير عن كرز بن علقمة الخزاعي قال قال أعرابي: يا رسول الله هل للإسلام منتهى؟ قال: نعم، أيما أهل بيت من العرب والعجم أراد الله بهم خيرا أدخل الله عليهم الإسلام. قال: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: ثم يقع الفتن كأنها الظُّلل. قال فقال الأعرابي: كلا يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: بلى والذي نفسي بيده ثم لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض.

قوله: أساود أي حيات، وقوله: صبا أي شديدة.

(٢٦) ذكر الفتن بأعدادها

وكذلك بين النبي ﷺ الفتن بأعدادها:

(١) كما أخرج البغوى[٣] عن عوف بن مالك الأشجعى قال أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة آدم، فقال: اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون. فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا.

بعد ما لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى افتتح بيت المقدس، ثم حدث طاعون عمواس، ثم

---

(١) البخاري (٤٠٢٤) كتاب المغازي باب بعد باب شهود الملائكة بدرا، والحاكم ٤/٤٤٨ ورجاله ثقات. والبغوي في شرح السنة ١٤/٣٩٥.

(٢) راجع ص ٢٣٥.

(٣) شرح السنة ١٥/٤٣. والبخاري (٣١٧٦) كتاب الجزية والموادعة باب ما يحذر من الغدر.

كثر المال في عهد سيدنا عثمان ﷺ ثم قامت فتنة مستطيرة عامة بمقتله.

٢٧- أخرج البغوي[(١)] من حديث جبير بن نفير عن مالك بن نخام عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال. ثم ضرب على فخذي الذي حدثه يعني معاذا أو على منكبه ثم قال: إن هذا لحق كما أنت ههنا أو كما أنت قاعد.

وأريد هنا من بيت المقدس إقليم الشام. لأن بيت المقدس أفضل بقاعها وأقدمها. وكانت حاضرة أنبياء بني إسرائيل وملوكهم. وكان عمران الشام في زمان خلافة سيدنا عثمان ﷺ في إمارة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من قبله، ووقع خراب المدينة بمقتل سيدنا عثمان ﷺ وخروج علي إلى العراق. وخروج الملحمة هو حرب الجمل وصفين كما تم فتح القسطنطينية في زمان إمارة معاوية بن أبي سفيان.

وهنا ينهض **سؤال** بل حيرة في الخاطر أن خروج الدجال ذكر متعاقبا لفتح القسطنطينية. وقد مضى على فتحها أكثر من ألف سنة ولم ير أي أثر لخروجه حتى الآن.

وكذلك ما جاء في حديث حذيفة: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم"[(٢)]. فإن هذا الأسلوب ينبئ أن حادث قتل الإمام والاجتلاد بالسيوف علامة من علامات القيامة. وقد مضى أكثر من ألف سنة ولم يظهر أي أثر للساعة.

وكذلك قوله ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين[(٣)].

وكذلك الآية ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[(٤)]، إلى غيرها من الآيات والأحاديث في هذا المعنى مما لا يحصى.

والجواب أن خروج الدجال وقيام الساعة وكل الفتن المذكورة آنفا يرتبط بعضها ببعض

---

(١) شرح السنة ٤٦/١٥. وأبوداود (٤٢٩٤) كتاب الملاحم باب في أمارات الملاحم، وأحمد ٢٣٢/٥، والخطيب في تاريخه ٢٢٣/١٠. وفي إسناده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وثقه بعضهم وتكلم فيه غير واحد، قاله المنذري. وقال الحافظ في التقريب ص ٣٠٥: صدوق يخطئ وتغير بآخرة. وعد الذهبي هذا من مناكيره لكن قال ابن كثير في البداية والنهاية ٥٩/١: هذا إسناد جيد، وحسنه الألباني في تعليقه على المشكاة رقم ٥٤٢٤ وصححه في صحيح الجامع الصغير (٤٠٩٦)، وأما مالك بن نخام فصوابه: مالك بن يخامر.

(٢) الترمذي (٢١٧٠) أبواب الفتن باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسنه، وابن ماجه (٤٠٤٣) أبواب الفتن باب أشراط الساعة وأحمد ٣٨٩/٥. والألباني في ضعيف سنن ابن ماجه رقم ٨٧٦ والضعيفة رقم ٢٠٤٦ وضعيف الجامع الصغير ٦١١١.

(٣) البخاري (٦٥٠٣ و ٦٥٠٤) كتاب الرقاق باب قول النبي ﷺ بعثت أنا والساعة الخ، ومسلم (٢٠٠٥) كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة.

(٤) سورة القمر: ١.

ارتباطا قويا مثل غرس شجرة بأثمارها. فالمعنى أن هذا الأمر ابتداء الفتنة وغايتها خروج الدجال وقيام الساعة. ولهذا كان أنذر نوح عليه السلام قومه الدجال رغم بعد زمانه عن زمان الدجال، كما أن الذي يغرس الغرسة يقول إن غايتها الثمرة، وكل ما يبذل من جهد في سقيها وتشذيبها وتعهدها تكون غايته الثمرة. فكأن سلسلة الفتن تنتهي بنهايتها التي هي خروج الدجال.

وهنا سر دقيق لا يمكن شرحه دون تمهيد مقدمات وليس هذا مقامه.

٢٨- حديث أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل: قال رسول الله ﷺ: إنه بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة ثم كائن خلافة ورحمة ثم كائن ملكا عضوضا، ثم كائن عتوا وجبرية وفسادا في الأمة يستحلون الحرير والخمور والفرج والفساد في الأمة. ينصرون على ذلك ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله[١].

٢٩- أخرج ابن ماجه[٢] من حديث زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: انتهيت إلى عبد الله بن عمرو بن العاص وهو جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه، فسمعته يقول: بينا نحن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ نزل منزلا فمنا من يضرب خباءه ومنا من ينتصل ومنا من هو في جشره، إذ نادى مناديه: الصلاة جامعة. فاجتمعنا، فقام رسول الله ﷺ فخطبنا فقال:

إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على ما يعلمه خيرا لهم وينذرهم ما يعلمه شرا لهم. وإن أمتكم جعلت عافيتها في أولها وإن آخرهم يصيبهم بلاء وأمور تنكرونها. ثم تجيء فتن يرقق بعضها بعضا فيقول المؤمن: هذه مهلكتي ثم تنكشف. ثم تجيء فتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف. فمن سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه موتته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يأتوا إليه. ومن بايع إماما، فأعطاه صفقة يمينه وثمرة قلبه، فليطعه ما استطاع. فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر.

قال: فأدخلت رأسي بين الناس، فقلت: أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: فأشار بيده إلى أذنيه فقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي.

٣٠- أخرج البغوي[٣] من حديث قيس بن أبي حازم عن مرداس الأسلمي، قال النبي

---

(١) راجع ص ٩٥، ٢٢٤.

(٢) (٣٩٥٦) أبواب الفتن باب ما يكون من الفتن. ومسلم (٤٧٧٦) كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول، وأبوداود (٤٢٤٨) كتاب الفتن والملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها والنسائي (٤١٩٦) كتاب البيعة باب ذكر ما على من بايع الإمام وأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه وأحمد ١٩١/٢ أيضا.

(٣) شرح السنة ٣٨٩٣/١٤. والبخاري (٤١٥٦) كتاب المغازي باب غزوة الحديبية.

ﷺ: يذهب الصالــحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفـــالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة. ومر تفسير هذا الحديث من قول سعيد بن المسيب.

وبهذا الأسلوب بين رسول الله ﷺ أشياء وأمورا كثيرة يمكن الاطلاع عليها في أبواب الفتن وتغير الناس وسائر الأبواب المتفرقة. ولكن نكتفي هنا بهذا القدر. فإن الغرفة تنبئ عن الغدير والجفنة تحكي البيدر الكبير.

٣- أحكام ومصالح تخص أزمنة الفتن

ثم إن الرسول ﷺ وضع وبين أحكاما ومصالح تخص أزمنة الفتن التي تظهر فيها الشرور. وهي وردت في أحاديث كثيرة جدا أرشد فيها الأمة إلى ما يجب عليهم عمله في زمان كذا وصورة كذا.

وفيما يلى نورد بعض هذه الأحكام:

(١) إذا تسلط على الخلافة من لا يستحقها يجب طاعته فيما وافق الشرع لا فيما خالفه.

(٢) ولا يجوز الخروج عليه ولا قتاله إلا إذا ظهر منه كفر صريح.

وقد تواتر هذا المعنى في أحاديث عديدة، منها:

(١) حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر: اسمع وأطع ولو لعبد حبشي كأن رأسه زبيبة[١].

(٢) وحديث أم الحصين أنها سمعت النبي ﷺ يخطب في حجة الوداع وهو يقول: ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا له وأطيعوا[٢].

(٣) وحديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية. فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة[٣].

(٤) حديث علي أن رسول الله ﷺ قال: لا طاعة في معصية. إنما الطاعة في المعروف[٤].

(٥) حديث النواس بن سمعان قال قال رسول الله ﷺ: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[٥].

(٦) وحديث عبادة بن الصامت قال: دعانا النبي ﷺ فبايعنا، فقال: فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان[٦].

---

(١) البخاري (٦٩٦) كتاب الأذان باب إمامة المفتون والمبتدع.

(٢) مسلم (٤٧٥٨) كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وأحمد.

(٣) البخاري (٧١٤٤) كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية.

(٤) البخاري (٧٢٥٧) كتاب أخبار الآحاد باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان الخ. ومسلم (٤٧٦٥) كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية.

(٥) البغوي في شرح السنة (٢٤٥٥)، وقد روى الحاكم وأحمد من حديث عمران والحكم بن عمرو الغفاري. ورجاله ثقات. راجع الصحيحة رقم ١٧٩، ١٨١.

(٦) البخاري (٧٢٠٢) كتاب الأحكام باب كيف يبايع الإمام الناس، ومسلم (٤٧٥٥) كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء.

(٧) وحديث أم سلمة قالت قال رسول الله ﷺ: يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون. فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم. ولكن من رضى وتابع. قالوا: أفلا نقتلهم؟ قال: لا، ما صلوا، لا، ما صلوا[١].

(٨) وحديث الحارث الأشعري أن نبي الله ﷺ قال: إن الله تعالى أمر يحيى ابن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن. فكاد يبطئ فقال له عيسى: إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وأن تأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن. فإما أن تبلغهم وإما أن أبلغهم؟ فقال: يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي. فجمع بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد وقعدوا على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن تعملوا بهن. أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا. فإن مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بورق أو ذهب، فقال: هذه داري وهذا عملى فاعمل وأد إلى عملي. فجعل يعمل ويؤدى عمله إلى غير سيده. فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك. وإن الله عز وجل خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا. وأمركم بالصلاة. فإن الله ينصب وجهه لعبده ما لم يلتفت. فإذا صليتم فلا تلتفتوا. وأمركم بالصيام. فإن مثل الصيام كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يحب أن يجد ريح المسك. وأمركم بالصدقة. فإن مثل ذلك مثل رجل أسره العدا فشدوا يديه إلى عنقه. فقدموه ليضربوا عنقه، فقال: هل لكم إلى أن أفتدي نفسي. فجعل يفتدى نفسه. وأمركم بذكر الله كثيرا. فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره، فأتى حصنا حصينا فتحصن فيه. فإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل.

قال وقال رسول الله ﷺ: وأنا آمركم بخمس أمرني به: بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله. وإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع[٢].

(٩) وحديث أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من فارق الجماعة وخرج من الجماعة فمات فميتة جاهلية. ومن خرج على أمتي بسيفه يضرب برها وفاجرها لا يحاشي مؤمنا لإيمانه ولا يفي لذي عهد بعهده، فليس من أمتي[٣].

---

(١) مسلم (٤٨٠٠، ٤٨٠١) كتاب الإمارة باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع الخ.

(٢) الترمذي (٢٨٦٣) كتاب الأدب باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، وصححه، وأحمد ٢٠٢/٤ والحاكم ١١٧/١، وصححه، وابن حبان كما في الموارد ص ٣٧٢ والطيالسي برقم ١١٦١، ١١٦٢ وأبو يعلى برقم ١٥٦٨. وصححه الألباني في صحيح الموارد رقم ١٢٨٧.

(٣) مسلم (٤٧٨٦ و ٤٧٨٨) كتاب الإمارة باب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(١٠) وحديث عبد الله بن مسعود قال قال لنا رسول الله ﷺ: إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله ﷺ؟ قال: أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم[١].

(١١) وحديث وائل بن حجر قال سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا؟ قال: اسمعوا وأطيعوا. فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم[٢].

أخرج هذه الأحاديث كلها البغوي[٣].

(٣) إذا انعقدت البيعة لشخص واستقر تسلطه ثم أراد غيره الخروج عليه وقتاله فينبغي قتله ولو كان أفضل منه أو مساويا له أو مفضولا.

كما جاء في عدد من الأحاديث التي منها:

(١) أخرج البغوي[٤] عن عرفجة عن النبي ﷺ قال: من خرج على أمتي وهم مجتمعون يريد أن يفرق بينهم فاقتلوه كائنا من كان.

(٢) وأخرج البغوي[٥] من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما.

(٣) وأخرج البغوي[٦] من حديث أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: كان بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي. وإنه لا نبي بعدى وسيكون خلفاء، فيكثرون. قالوا فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم. فإن الله سائلهم عما استرعاهم.

(٤) وأخرج ابن ماجه[٧] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في قصة طويلة عن النبي ﷺ قال: من بايع إماما فأعطاه صفقة يمينه وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع. فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر.

---

(١) البخاري (٣٦٠٣) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (٤٧٧٥) كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول.

(٢) مسلم (٤٧٨٢) كتاب الإمارة باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق.

(٣) شرح السنة ٤٠/١٠ كتاب الإمارة والقضاء.

(٤) شرح السنة ٥٥/١٠. ومسلم (٤٧٩٦) كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع.

(٥) شرح السنة ٥٦/١٠. ومسلم أيضا (٤٧٩٩) كتاب الإمارة باب إذا بويع لخليفتين.

(٦) شرح السنة ٥٦/١٠. والبخاري (٣٤٥٥) كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ومسلم (٤٧٧٣) كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول.

(٧) (٣٩٥٦) أبواب الفتن باب ما يكون في الفتن ومسلم (٤٧٧٦) كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول الخ.

(٤) ما الواجب إذا أخر الخلفاء الصلوات في زمان الفتنة؟

(١) أخرج مسلم[١] عن أبي ذر قال قال لي رسول الله ﷺ: كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يميتون الصلاة ويؤخرون عن وقتها؟ قلت: فما تأمرني؟ قال: صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل فإنها لك نافلة.

(٥) ما الحكم إذا تعدى أمراء زمان الفتنة في أخذ الزكاة؟

(١) أخرج أبوداود[٢] عن جابر بن عتيك قال قال رسول الله ﷺ: سيأتيكم ركيب مبغضون، فإذا جاؤوكم فرحبوا وخلوا بينهم وبين ما يبتغون. فإن عدلوا فلأنفسهم وإن ظلموا فعليهم، وأرضوهم فإن تمام زكاتكم رضاهم وليدعوا لكم.

(٢) وأخرج أبوداود[٣] عن جرير بن عبد الله قال: جاء ناس يعني من الأعراب إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن ناسا من المصدقين يأتونا فيظلمونا. فقال أرضوا مصدقيكم. قالوا: يا رسول الله وإن ظلمونا. قال: ارضوا مصدقيكم وإن ظلمتم.

(٦) منع التخلي للعبادة في الزمن الأول ثم صار مطلوبا ومحبوبا.

(١) أخرج الترمذي[٤] عن أبي هريرة قال مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة، فأعجبته. فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما. ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله. من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة.

(٢) وأخرج أحمد[٥] عن أبي أمامة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية فمر رجل بغار فيه شيء من ماء وبقل. فحدث نفسه بأن يقيم فيه ويتخلى من الدنيا. فاستاذن رسول الله ﷺ في ذلك فقال رسول الله ﷺ: إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفة

---

(١) (١٤٦٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب كراهة تأخير الصلاة عن وقتها المختار الخ.

(٢) (١٥٨٨) كتاب الزكاة باب رضاء المصدق والبيهقي ١١٤/٤ وفي إسناده أبو غصن ثابت بن قيس صدوق يهم كما في التقريب ص ٧٢ وشيخه لين أيضاً ص٤٥٠ وعبد الرحمن بن جابر مجهول أيضاً ص ٥٧٣. وقال البيهقي: هذا حديث مختلف في إسناده عن أبي غصن. وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود رقم ٢٧٨.

(٣) (١٥٨٩) كتاب الزكاة باب رضاء المصدق. بل ورواه مسلم (٢٢٩٨) كتاب الزكاة باب إرضاء السعاة.

(٤) (١٦٥٠) أبواب فضائل الجهاد باب ما جاء في الغدو والرواح في سبيل الله، وحسنه والحاكم ٦٨/٢ وقال: صحيح على شرط مسلم. وحسنه الألباني، صحيح الترغيب رقم ١٣٠١.

(٥) ٢٦٦/٥ والطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف. وذكره الألباني في الصحيحة رقم ٢٩٢٤.

السمحة. والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاة ستين سنة.

(٣) وأخرج البغوى[١] عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: يوشك أن يكون خير مال المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن.

(٤) وأخرج البغوي[٢] عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي. من تشرف لها تستشرفه. فمن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به.

(٧) جاز التعرب في هذا الزمان لمن بايع على الهجرة.

كما أخرج النسائي[٣] عن سلمة بن الأكوع أنه دخل على الحجاج، فقال: يا ابن الأكوع ارتددت على عقبيك وذكر كلمة معناها وبدوت؟ قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ أذن لنا في البدو.

(٨) إسقاط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من قائمة واجبات الإسلام في زمان الفتنة

(١) أخرج الترمذي وابن ماجه[٤] عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يأيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[٥] فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقابه.

(٢) وأخرج الترمذي وابن ماجه[٦] عن أبي ثعلبة الخشني في قوله تعالى ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾، قال: أما والله لقد سألت عنها رسول الله ﷺ

---

(١) شرح السنة ١٥/٢٠. بل والبخاري (١٩) كتاب الإيمان باب من الدين الفرار من الفتن، وأبوداود (٤٢٦٧) أبواب الفتن والملاحم باب الرخصة في التبدي في الفتنة والنسائي (٥٠٣٩) كتاب الإيمان وشرائعه باب الفرار من الفتن وابن ماجه (٣٩٨٠).

(٢) شرح السنة ١٥/٢٠. بل والبخاري (٣٦٠١) كتاب المناقب باب علامات النبوة ومسلم (٧٢٤٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب نزول الفتن كمواقع القطر.

(٣) (٤١٩١) كتاب البيعة باب المرتد أعرابيا بعد الهجرة بل والبخاري (٧٠٨٧) كتاب الفتن، باب التعرب في الفتنة.

(٤) الترمذي (٣٠٥٧) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة المائدة وصححه وأبوداود (٤٣٣٨) كتاب الملاحم باب الأمر والنهي وابن ماجه (٤٠٠٥) أبواب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأحمد ١/ ٥، ٧، ٩ وأبو يعلى (١٢٣- ١٢٧). وصححه الألباني في صحيح الموارد رقم ١٥٤٢.

(٥) سورة المائدة: ١٠٥.

(٦) الترمذي (٣٠٥٨) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة المائدة وحسنه وأبوداود (٤٣٤١) كتاب الملاحم باب الأمر والنهي وابن ماجه (٤٠١٤) أبواب الفتن باب قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾. راجع الدر المنثور. وقال الألباني: صحيح لغيره.

فقال: بل ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمرا لا بد لك منه فعليك نفسك ودع أمر العوام. فإن وراءكم أيام الصبر. فمن صبر فيهن كان كمن قبض على الجمر. للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله. قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: أجر خمسين منكم.

(٣) وأخرج الترمذي(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: كيف بك إذا أبقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه. قال: فبم تأمرني؟ قال: عليك بما تعرف ودع ما تنكر. وعليك بخاصة نفسك وإياك وعوامهم.

وفي رواية: الزم بيتك وأملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك ودع أمر العامة.

(٩) لا يؤخذ من الفيء إذا تنازعت قريش الملك.

أخرج أبوداود(٢) من حديث ذي الزوائد صاحب رسول الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله في حجة الوداع، أمر الناس ونهاهم ثم قال: هل بلغت؟ قالوا: اللهم نعم، ثم قال: إذا تجاحفت قريش الملك فيما بينها وعاد العطاء أو كان رشا، فدعوه.

(١٠) عدت مصاحبة الخلفاء مفخرة وسعادة في الزمان الأول في حين وجب اجتناب صحبتهم في زمان الفتـــنة.

في المشكاة(٣) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إنه تصيب أمتي في آخر الزمان من سلطانهم شدائد لا ينجو منه إلا رجل عرف دين الله فجاهد عليه بلسانه ويده وقلبه. فذلك الذي سبقت له السوابق، ورجل عرف دين الله فصدق به ورجل عرف دين الله فسكت عليه. فإن رأى من يعمل الخير أحبه عليه وإن رأى من يعمل بباطل أبغضه عليه، فذلك ينجو على إبطانه كله.

---

(١) لم أجده في الترمذي والله أعلم. ورواه أبوداود (٤٣٤٢، ٤٣٤٣) كتاب الملاحم باب الأمر والنهي وابن ماجــه (٣٩٥٧) أبواب الفتن باب التـثبت في الفتنة والدارمي ٣٠١/٢ وأحمد ١٦٢/٢، ٢٢٠، ٢٢١ وغيرهم. وراجـــع فتح الباري ٣٩/١٣. وقد روى البخاري (٤٧٨) كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد أوله فقط. وذكره الألباني في الصحيحة رقم ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) (٢٩٥٩) كتاب الخراج والفيء والإمارة باب في كراهية الافتراض في آخر الزمان. في إسناده سليم بن مطير قال الحافظ في التقريب ص ٢٠٣: لين الحديث. راجع الإصابة ٧٠١/٢. والألباني في ضعيف سنن أبي داود رقم ٦٣٤.

(٣) ص ٣٤٨ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعزاه للبيهقي في شعب الإيمان. وضعفه محقق شعب الإيمان وبين سبب ضعفه، رقم ٨١٨١ طبعة الدار السلفية بالهند.

(١١) كان قول الخليفة حجة في السابق وانقطع هذا المعنى في زمان الفتـــنة.

(١) كما أخرج مسلم[١] عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره. ثم إنه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.

(٢) وفي المشكاة[٢] عن ابن مسعود قال: من كان مستنا فليستن بمن قد مات. فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوبا وأعمقها علما، وأقلها تكلفا. اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم. فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. رواه رزين.

(٣) وأخرج ابن ماجه[٣] عن العرباض بن سارية يقول: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقيل: يا رسول الله وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد فقال: عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا. وسترون من بعدي اختلافا شديدا. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم والأمور المحدثات. فإن كل بدعة ضلالة.

(٤) وأخرج الدارمي[٤] عن الأعمش قال قال عبد الله: أيها الناس إنكم ستحدثون ويحدث لكم. فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالأمر الأول.

(٥) وأخرج الدارمي[٥] عن سفيان عن واصل عن امرأة يقال لـــها عائذة قالت رأيت ابن مسعود يوصي الرجال والنساء يقول: ومن أدرك منكم من امرأة أو رجل فالسمت الأول، والسمت الأول، فإنا على الفطرة.

والمعلوم أن وفاة عبد الله بن مسعود ﷺ كانت في آخر أيام خلافة سيدنا عثمان ﷺ.

(١٢) وجوب القعود عن القتال

قال الله تعالى في الحالة الأولى ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ

---

(١) (١٧٩) الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان.
(٢) ص ٣٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.
(٣) راجع ص ٦٧.
(٤) ٦١/١ إلا أنه منقطع لأن الأعمش لم يسمع من ابن مسعود رضي الله عنه.
(٥) ٧١/١ وفي إسناده إمرأة يقال لها عائذة، ينظر من ذكرها وبقية رجاله ثقات.

يُسْلِمُونَ﴾[١] فأوجب الجهد فيها بينما نهى النبيﷺ عن القتال في الحالة الثانية وأمر فيها بالقعود عن القتال أمرا مؤكدا. فانظر الفرق بينهما. ففي الأولى أوجب الشرع امتثال دعوة الخليفة للقتال وحرم التخلف عنه، وفي الثانية أوجب القعود وحرم المشاركة في القتال والنصرة.

(١٣) مضاعفة الأجور لمن تمسك بالسنة في زمان الفتنة

كما ورد ذلك في الأحاديث الآتية:

(١) أخرج الترمذي[٢] عن بلال بن الحارث قال قال رسول الله ﷺ: من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل أجور من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا. ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الإثم مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا.

(٢) وأخرج الترمذي وابن ماجه[٣] عن أبي ثعلبة الخشني عن النبي ﷺ قال: فإن وراءكم أيام الصبر. فمن صبر فيهن كان كمن قبض على الجمر. للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله. قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: أجر خمسين منكم، مختصر.

(٣) وأخرج البغوي[٤] عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: العبادة في الهرج كهجرة إليّ.

(١٤) الموت في تلك الأيام خير من الحياة.

كما روي عن أبي هريرة قال قال رسول اللهﷺ: إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسخياءكم وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها. وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها[٥].

(١٥) كلمة حق عند سلطان جائر أفضل من الجهاد في سبيل الله.

كما أخرج البغوي[٦] عن أبي أمامة أن رجلا قال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟

---

(١) سورة الفتح : ١٦.

(٢) (٢٦٧٧) أبواب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع وحسنه من حديث عمرو بن عوف أن النبي ﷺ قال لبلال الخ. وقال الترمذي بعد نقل تحسينه: بل كثير بن عبد الله متروك واه. ولكن الحديث له شواهد. راجع مرعاة المفاتيح ١٦١/١. وذكره الألباني في ضعيف الترغيب رقم ٤٢ وابن ماجه (٢٠٩) كتاب السنة باب من أحيى سنة قد أميتت من طريق عمرو بن عوف المزني.

(٣) راجع ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٤) شرح السنة ٢٣/١٥. ومسلم (٧٤٠٠) كتاب الفتن في فضل العبادة في الهرج.

(٥) الترمذي (٢٢٦٦) أبواب الرؤيا باب متى يكون ظهر الأرض خيرا من بطنها الخ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح المري وصالح في حديثه غرائب لا يتابع عليها وهو رجل صالح. والألباني في ضعيف الترغيب رقم ١٥٥٧.

(٦) شرح السنة ٦٥/١٠. وأحمد ٢٥١/٥، ٢٥٦ وإسناده حسن. راجع سلسلة الصحيحة رقم ٤٩١.

ورسول الله ﷺ يرمي الجمرة الأولى، فأعرض عنه. ثم قاله عند الجمرة الوسطى فأعرض عنه. فلما رمى جمرة العقبة ووضع رجله في الغرز قال: أين السائل؟ قال: أناذا يا رسول الله. قال: أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جابر.

حوادث عجيبة

ثم حدثت حوادث عجيبة تصرخ بلسان حالها بأن بركات أيام النبوة قد انتهت منذ ذلك اليوم. ونذكر فيما يلي بعضها:

(١) في المشكاة[١] عن أبي هريرة قال: أتيت النبي ﷺ بتمرات فقلت: يا رسول الله ادع الله فيهن بالبركة. فضمهن ثم دعا لي فيهن بالبركة. قال خذهن فاجعلهن في مزودك. كلما أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل فيه يدك فخذه ولا تنثره نثرا. فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله. فكنا نأكل منه ونطعم وكان لا يفارق حقوي حتى كان يوم قتل عثمان فإنه انقطع.

وقد قال أبوهريرة في ذلك يوم قتل عثمان رضي الله عنه:

للناس هم ولي اليوم همان هم الجراب وهم الشيخ عثمان

(٢) وأخرج البخاري[٢] عن نافع عن ابن عمر قال اتخذ رسول الله ﷺ خاتما من ورق. وكان في يده. ثم كان بعد في يد أبي بكر. ثم كان بعد في يد عمر، ثم كان بعد في يد عثمان حتى وقع بعد في بئر أريس، نقشه محمد رسول الله.

(٣) وأخرج البخاري[٣] عن أنس رضي الله عنه قال كان خاتم النبي ﷺ في يده، وفي يد أبي بكر بعده، وفي يد عمر بعد أبي بكر، قال: فلما كان عثمان جلس على بئر أريس فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط. قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فنزح البئر فلم يجده.

(٤) وأخرج أبو عمر[٤] قال قام عامر بن ربيعة يصلى من الليل حين نشب الناس في الطعن على عثمان. فصلى من الليل ثم نام. فأتي في المنام فقيل له: قم فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة التي أعاذ منها صالح عباده، فقام فصلى ودعا. ثم اشتكى فما خرج بعد إلا بجنازته.

(٥) وأخرج أبو يعلى[٥] من أقوال السيد المجتبى الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قام خطيبا

---

(١) ص ٥٤٢ في المعجزات وعزاه للترمذي وهو في جامعه (٣٨٣٩) أبواب المناقب باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقد روي من غير هذا الوجه عن أبي هريرة. فذكره ابن حبان كما في الموارد ص ٥٢٧ وأحمد ٣٥٢/٢ أيضا.. والبيهقي في الدلائل ١٠٩/٦، ١١٠. وقال الألباني: حسن صحيح. راجع الصحيحة رقم ٢٩٣٦ وصحيح الموارد رقم ١٨٠٠.

(٢) (٧٨٧٣) كتاب اللباس باب نقش الخاتم.

(٣) (٧٨٧٩) كتاب اللباس باب هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر.

(٤) الاستيعاب في ترجمة عامر بن ربيعة ٤٤٨/٢ ومالك في الموطأ والطبراني ورجاله رجال الصحيح كما في المجمع ٤٤٨/٢.

(٥) راجع ص ٢٥١.

فقال: أيها الناس رأيت البارحة في منامي عجبا. رأيت الرب تعالى فوق عرشه، فجاء رسول الله ﷺ، حتى قام عند قائمة من قوائم العرش. فجاء أبوبكر فوضع يده على منكب رسول الله ﷺ ثم جاء عمر فوضع يده على منكب أبي بكر. ثم جاء عثمان فكان بيده رأسه فقال: سل عبادك فيم قتلوني؟ فانبعث من السماء ميزابان من دم في الأرض.

قال فقيل لعلي: ألا ترى ما يحدث به الحسن؟ قال: يحدث بما رأى.

(٦) وأخرج أبو عمر[١] عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة توفي زمن عثمان بن عفان فسجي بثوب، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم، فقال: أحمد أحمد في الكتاب الأول، صدق صدق أبوبكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول، صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم، مضت أربع وبقيت سنتان، أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر أريس. وما بئر أريس.

ثم هلك رجل من بني خطم فسجي بثوب. فسمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم، فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق.

(٧) ومر قول سعيد بن المسيب قريبا في ذهاب الصالحين بسبب الفتن[٢].

إخبار أحبار أهل الكتاب بهذه الأمور

وكذلك جاء في عدد من الآثار أن أحبار أهل الكتاب أخبروا بهذا المعنى أيضا:

(١) كما أخرج الطبراني[٣] أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار: كيف تجد نعتي في التوراة؟ قال: خليفة قرن من حديد أمير شديد لا يخاف في الله لومة لائم. ثم يكون من بعدك خليفة تقتله أمة ظالمون ثم يقع البلاء بعده.

(٢) وفي الرياض[٤] عن كعب قال: والذي نفسي بيده إن في كتاب الله المنـــزل محمد ﷺ أبوبكر الصديق عمر الفاروق عثمان الأمين فالله الله يا معاوية في أمر هذه الأمة. ثم نادى الثانية إن في كتاب الله المنـــزل ثم أعاد الثالثة.

(٣) أخرج أبو عمر في الاستيعاب[٥] عن عبد الله بن سلام قال لقد فتح الناس على

---

(١) راجع ص ٢٢٧.
(٢) راجع ص ٣١٨- ٣١٩.
(٣) راجع ص ١٠٠- ١٠١.
(٤) ٢/١٤٠.
(٥) ٢/٤٨٠.

أنفسهم بقتل عثمان باب فتنة لا يتغلق عليهم إلى قيام الساعة.

(٤) وأخرج أبوبكر[1] عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال: لا تسلوا سيوفكم. فلئن سللتموها لا تغمد إلى يوم القيامة.

(٥) وأخرج أحمد[2] عن جرير في قصة بعث رسول الله ﷺ إياه إلى اليمن حتى قال: ثم لقيت ذا عمرو، فقال لي: يا جرير إنكم لن تزالوا بخير ما إذا هلك أمير تأمرتم في آخر، وإذا كانت بالسيف غضبتم غضب الملوك ورضيتم رضى الملوك.

أقوال بعض الصحابة فيها

وكذلك أخبر أصحاب النبي ﷺ بعظم هذه القضية وأبدوا رقتهم وأسفهم عليها كما تدل عليه الآثار الآتية:

(١) أخرج أبوبكر[3] عن أبي سعيد مولى ابن مسعود قال قال عبد الله: والله لئن قتلوا عثمان لا يصيبوا منه خلفا.

(٢) وأخرج البغوي[4] قال أبو الدرداء: إن الناس كانوا ورقا لا شوك فيه، فأصبحوا شوكا لا ورق فيه.

(٣) وأخرج أبو عمر[5] أن ثمامة بن عدى أمير عثمان على الصنعاء خطب يوم بلغه موت عثمان، فأطال البكاء، ثم قال: هذا حين انتزعت خلافة النبوة من أمة محمد ﷺ وصارت ملكا وجبرية، من غلب على شيء أكله.

لقد طال الكلام في بيان اختلاف الزمان السابق واللاحق حتى كاد الترتيب يختل والسياق ينقطع، فنعود الآن إلى موضوعنا الأصلي.

---

(١) ابن أبي شيبة ٢١٥/١٥ ورجاله ثقات.

(٢) ٣٦٣/٤ وقد مر في المسانيد في مسند جرير بن عبد الله رضي الله عنه ص ٢٤٨.

(٣) ابن أبي شيبة ٥٩٣/٤، ٢٠٤/١٥.

(٤) شرح السنة ٣٩٦/١٤.

(٥) الاستيعاب ٧٨/١، ٧٩ وابن أبي شيبة رقم ١٠٥٩٨، ١٨٩٣٦، والطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح كما في المجمع ٩٩/٩.

٤- مميزات خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم

لقد ثبت بالنقل المتواتر الذي لا يوجد نقل أوثق منه في الأحكام الشرعية أن النبي ﷺ كان قد أخبر الأمة بالفتنة التي حدثت بمقتل سيدنا عثمان ﷺ وشرحها شرحا مفصلا لا يوجد في بيان الأحكام الشرعية رواية أوثق منها ثبوتا. فقد جعلها حدا فاصلا بين زمان الخير وبين زمان الشر، وشهد على أن الخلافة على منهاج النبوة ستنقطع من ذلك اليوم وتصير ملكا عضوضا. وعنى بالملك العضوض حدوث حروب ومقاتلات ونـزاعات داخلية والتنازع على الملك.

وهذه هي الميزة التي تميز خلافة الخلفاء الثلاثة عما بعدها. فإنها كانت على منهاج النبوة وخالية من الفتن. ولأجل ذلك جعلت أحاديث كثيرة ذكر الخلفاء الثلاثة في حكم واحد. وهذا يقوي الظن بأن هؤلاء العظام الثلاثة يشتركون في مرتبة من المراتب لا يشاركهم فيها أحد غيرهم، كما وردت في بعض الأحاديث كلمات مشعرة بانقطاع الخلافة بعدهم، منها:

١. جمع ذكر الخلفاء الثلاثة في حديث تحرك الجبل برواية عثمان وأنس، كما مر[١].

٢. وجمع ذكر الثلاثة في قصة الحائط برواية أبي موسى الأشعري ﷺ[٢].

٣. وكذلك جمع ذكر الثلاثة في حديث الوزن بالأمة وورد في بعض الروايات: ثم رفع الميزان[٣].

٤. وكذلك في حديث الظلة[٤].

٥. وكذلك ورد في حديث ابن عمر: كنا نخير الخ[٥]، ذكر الثلاثة، وقال ابن عمر في آخره: ثم نسكت[٦].

٦. وكذلك جمع ذكر الثلاثة في رؤيا نوط بعضهم ببعض[٧].

٧. وكذلك جمع ذكرهم في رؤيا دلو دلى من السماء وفي المرة الرابعة ذكر انتشاط العرقوة[٨].

---

(١) راجع ص ٥٨، ١٥٤.
(٢) وهي الرواية التي فيها: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحائط... فجاء رجل فاستفتح ... الحديث، راجع ص ١٥٨ و ١٨٩- ١٩٠.
(٣) راجع ص ٧٠، ٩٠.
(٤) راجع ص ٩٠- ٩١.
(٥) راجع ص ٦٩.
(٦) راجع ص ١٨١.
(٧) راجع ص ٩٠.
(٨) راجع ص ٨٩، ١٨٢.

٨. وكذلك جمع ذكرهم في قصة سؤال بني المصطلق ثم أتبعه بقوله: فتبا لكم[١].

٩. وكذلك ورد ذكر المشايخ الثلاثة بالحصر: هم الخلفاء بعدي، في قصة تأسيس المسجد ووضع الأحجار[٢].

١٠. وكذلك جمع ذكر المشايخ الثلاثة في قصة اشتراء القلائص ثم ذكر قوله: وأخبر بهذه الفتنة، ثم قال: "وإن يقم لهم دينهم، يقم لهم سبعين عاما"[٣].

١١. وكذلك اكتفى بذكر هؤلاء الثلاثة في قصة تسبيح الحصى[٤].

١٢. وفي حديث "تزول رحى الإسلام" فقد عين ﷺ زمان الخلافة بأبلغ وجه وأخبر بهذه الفتنة، ثم قال: "وإن يقم لهم دينهم، يقم لهم سبعين عاما"[٥].

قال البغوي[٦]: أراد بالدين الملك. قال أبو سليمان: ويشبه أن يكون أريد بهذا ملك بني أمية وانتقاله إلى بني العباس. وكان ما بين أن استقر الملك لبني أمية إلى أن ظهر الدعاة بخراسان وضعف أمر بني أمية ودخل الوهن فيه، نحو من سبعين سنة.

١٣. وكذلك تعيين مكان الخلافة في حديث: الخلافة بالمدينة والملك بالشام[٧]، إلى غير ذلك مما لا يحصى.

حقيقة الخلافة الخاصة

أما قوله ﷺ في حديث أبي بكرة الثقفي: الخلافة بعدي ثلاثون سنة[٨]، فينبغي فهم حقيقة معناه. الخلافة الخاصة مركبة من وصفين اثنين:

الوصف الأول: وجود خليفة خاص (راشد)

والوصف الثاني: نفاذ تصرفه واجتماع كلمة أهل الإسلام عليه.

وينتفي هذا المجموع بانتفاء أحد هذين الوصفين أو انتفائهما معا. والحكمة الإلهية تقتضي التدريج بين كل ضدين. فانتفى هذا المجموع في الحالة الأولى بعد الخلفاء الثلاثة، بانعدام الوصف الثاني وهو اجتماع كلمة المسلمين وانتظام الملك. كان سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه متصفا

---

(١) راجع ص ٩٣، ٢٠٢.
(٢) راجع ص ٩١، ٩٢.
(٣) راجع ص ٩٣، ١٧٩ من حديث ابن مسعود.
(٤) راجع ص ٩٢.
(٥) راجع ص ٩٣، ١٧٩ من حديث ابن مسعود.
(٦) شرح السنة ٥/١٨.
(٧) راجع ص ٩٣.
(٨) له شاهد من حديث سفينة، راجع ص ٥٠.

بصفات الخلافة الخاصة وانعقدت خلافته شرعا، ولكن حدثت الفرقة بين المسلمين فلم ينفذ تصرفه في أطراف الأرض. مثال ذلك كملك عادل بعث مدرسا ليقوم بالتدريس في مدرسة وأمر الطلاب بالتعلم منه. ولكنهم لم يتمكنوا من التعلم منه بناء على وجوه عديدة يكون بعضها بإرادتهم واختيارهم وأخرى خارجة من إرادتهم. فلم تتحقق صورة الاستفادة منه عمليا. فيجوز في هذه الحالة أن نقول: يوجد بهذه المدرسة مدرس، ولكن الناس لم يجتمعوا إليه و لم يستفيدوا منه علما، كما يجوز أن نقول: لا يوجد بها مدرس يقوم بمهام التدريس عمليا.

فقد وجد في هذه الحالة خليفة خاص متصف بصفات الخلافة الكاملة ولكن لم توجد خلافته عمليا و لم تستقر. وبعده اتحدت كلمة المسلمين وزالت الفرقة من بينهم ولكن لم يوجد خليفة جامع للأوصاف المعتبرة في الخليفة الخاص. وهذا الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: هدنة على دخن.

ثم في الفتنة الثانية انعدم الوصفان معا، فلم يوجد الاتصاف بصفات الخلافة الخاصة ولا اجتمعت كلمة المسلمين. بل تفرقوا شذر مذر وادعى كل منهم الخلافة وأعد جنودا مجندة. وإلى هؤلاء أشار بقوله: "دعاة على أبواب جهنم"[1]. ثم لما تسلط عبد الملك واستقرت له الأمور وزالت الفرقة، ظهرت أحكام الخلافة الجابرة التي كان الرسول ﷺ شرحها في أحاديث عديدة.

وهذا أمر مقطوع به عند من يحفظ جملة صالحة من الأحاديث ولديه قدرة على التوفيق بينها فيضعها مواضعها. وأما من لم يحظ بملكة تمكنه من استنباط الأحكام من الأحاديث المتفرقة فليجتنب الدخول في معارك الاستنباط.

وأما الذي يتجاهل الدلائل الواضحة ويتعامى عن الآيات البينات ويعرف الأقوال بالرجال ولا يعرف الرجال بالأقوال بسبب داء خفي فليس كلامنا معه ولا نوجه إليه خطابنا.

---

(١) راجع ص ٣١٨ من حديث حذيفة بن اليمان.

٥- تنبيهات مهمة

ونختم هذا البحث بتنبيهات عديدة ينتهي بها هذا الفصل الأول من الباب الخامس.

التنبيه الأول أسباب تغييرات أحوال العالم

(١) السبب الحقيقي في تغير أحوال العالم واختلاف الزمان السابق واللاحق هو إرادة الحق سبحانه وتعالى الذي خصص كل طبقة بوصف، ويقضي لكل زمان بحكم منفصل كما قال عزوجل ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[١]. فإن العناية الإلهية الأولى بسطت سلسلة الخلق منذ أزل الآزال وجعلت لكل موضع منها وضعا خاصا ووصفا معينا لا يتغيران ولا يتبدلان أصلا كما قال سبحانه وتعالى ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٢].

والتشريع عبارة عن أنه صار البشر يتظالمون وشاعت المظالم بينهم إلى درجة اختلال نظام العالم وتكاثر الأعمال السيئة وانتشار الأخلاق الرذيلة وعبادة الأوثان فيهم، فإذا انتقلوا بهذه الحالة إلى دار الآخرة استحقوا العذاب كلهم لا محالة إلا ما شاء الله تعالى. فحينئذ تظهر الغيرة الإلهية ويقبل عليهم مدبر السموات والأرض برحمته ويلقي داعية القيام بالإصلاح والإرشاد في قلب من هو أزكى خلق الله فيهم وأعدلهم عنده سبحانه ويُنــزل الشرائع الموجبة لإصلاح أحوالهم.

قضاء الله وقدره غالب على التشريع.

ثم إن حكم هذه العناية الإلهية الموزعة على الآجال غالب على حكم التشريع. فإذا أريد إصلاح العالم ببعث نبي أو نصب خليفة راشد يؤخر ذلك حتى تجتمع أجزاء الزمان المناسب للبعث أو النصب كما قال عز وجل ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[٣]. كما أنه إذا أراد معاقبة الكفار فلا يعاقبهم فجأة بل يؤخرهم إلى أجل مسمى. ثم إن للعقاب أشكالا وألوانا مختلفة وتوزع على الآجال وتناسب قواعد العناية الإلهية الأولى. وإذا أريد تشريع قواعد مفضية إلى إقامة العدل بين بني آدم فيراعي جبلة تلك الأقوام ومقتضيات ذلك الزمان ومقدراته. فيتم إصلاح الأحوال الفاسدة بوجه لا يخرج عما تقتضيه العناية الربانية الأولى. فتغيرات العالم وبعث أنبياء ونصب خلفاء راشدين وتسليط ملوك جابرة كلها صور من نفحات تلك العناية المبسوطة على أجزاء الزمان والموزعة على القرون والطبقات. ولايستطيع التشريع إبطال تلك الحكمة ولا هدم هذا النظام. نعم! إذا جاء زمان بعث نبي يجعله وسيلة لنــزول فيوضه، وإذا أراد نصب خليفة راشد

---

(١) سورة الرحمن: ٢٩.
(٢) سورة ق: ٢٩.
(٣) سورة الرعد: ٣٨.

يجعله سببا لإتمام مواعيد نبيه كلها. وفي كل زمان ينـــزل شريعة تناسب ذلك الزمان ومقتضياته. لذلك نرى أن نبينا محمدا ﷺ بين شريعة زمانه ثم ذكر وفصل أحكام أيام الفتنة.

هذه المسألة دقيقة جدا. وإذا ألهم عبد فهمها استطاع حل كثير من المشكلات وإلا اعترضت له عقد كثيرة يصعب عليه حلها.

(٢) فقدان خليفة راشد

والظاهر أن هذا التغير يحدث إذا فقد خليفة راشد من الدنيا. فإن الخليفة الراشد يعطى علم تقلبات الزمان وتغيراته وأسبابها فيدرك كيف يعالج الأوضاع المؤدية إلى تغير الرسوم وكيف يزيل المواد الفاسدة ويعرف الحمية التي بتركها تنشأ أمراض عديدة، كما يعطى بسطة في القوة تمكنه من التصرف في رياسة العالم، مثل الطبيب الحاذق والماهر الذي يدبر علاج المريض ويزيل مواد المرض مع وصف الحمية له أيضا. وكل ذلك يترشح من كلام الخليفة وإشاراته، كما قيل: كل إناء ينضح بما فيه. ولا ينطق بهذا التدبير غير الخليفة ولو كان وليا من أولياء الله. وإن نطق به لا يستطيع التصرف في أمور الخلق حسب مقتضياته. فكل ميسر لما خلق له. فالذي يعرف هذه الرموز يدرك كل ذلك من كلام المرء وحركاته وسكناته ومن هو وكيف هو؟ وأما الجاهل فيخلط العلوم بعضها ببعض ويضيع في الرموز ولا يميز بينها كما لا يميز بين منصب وآخر.

(٣) حدوث فتنة المال

(٤) انتشار فتنة الاهواء

ومن أسباب هذه التغيرات وجود الأخلاق الشهوية والسبعية التي ركبت في النفوس المعوجة غير المعتدلة. ثم كثرة المال التي تحوّل هذه الرذائل من القوة إلى الفعل، كما قال سبحانه وتعالى ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾[(١)] وكقوله عليه الصلاة والسلام: إعجاب كل ذي رأي برأيه، رغم اشتياقه إلى المشورة. فتسمى الفتنة الأولى فتنة المال، والثانية فتنة الأهواء. وقد ذكر النبي ﷺ في كثير من أحاديثه هاتين الفتنتين، ومنها:

١. أخرج ابن ماجه[(٢)] عن أنس بن مالك قال قيل: يا رسول الله متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم. قلنا: يا رسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رذالتكم.

قال زيد في تفسير معنى قول النبي ﷺ: والعلم في الفساق.

---

(١) سورة العلق: ٦، ٧.

(٢) (٤٠١٥) أبواب الفتن باب قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ وأحمد ١٨٧/٣ ورجاله موثقون. وقد سقط واسطة الهيثم بن حميد من المسند. وقال الألباني: ضعيف الإسناد لعنعنة مكحول، ضعيف ابن ماجه رقم ٨٧٠.

٢. وأخرج الدارمي[(١)] عن حية بنت أبي حية عن أبي بكر الصديق في قصة طويلة قالت: فذكرت غزونا خثعما وغزوة بعضنا بعضا في الجاهلية وما جاء الله به من الألفة وإطناب الفساطيط، فقلت: يا عبد الله حتى متى ترى أمر الناس هذا؟ قال: ما استقامت الأئمة. قلت: وما الائمة؟ قال: ما رأيت[(٢)] السيد يكون في الحواء فيتبعونه ويطيعونه، فما استقام أولئك.

٣. وأخرج ابن ماجه[(٣)] عن عياض بن عبد الله أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: قام رسول الله ﷺ فخطب الناس فقال: لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا. فقال له رجل: يا رسول الله أيأتي الخير بالشر؟ فصمت[(٤)] رسول الله ﷺ ساعة ثم قال: كيف قلت؟ قال: قلت وهل يأتي الخير بالشر؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الخير لا يأتي إلا بخير أو خير هو أن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم، إلا آكلة الخضر أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس فثلطت وبالت. ثم اجترت فعادت فأكلت. فمن يأخذ مالا بحقه يبارك له ومن يأخذ مالا بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع.

٤. وأخرج ابن ماجه[(٥)] عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم أي قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نكون كما أمرنا الله. قال رسول الله ﷺ: أو غير ذلك؟ تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض.

٥. وأخرج ابن ماجه[(٦)] عن عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة أخبره عن عمرو بن عوف وكان شهد بدرا مع رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث أباعبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها وكان النبي ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمّر عليهم العلاء الحضرمي. فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين. فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ. فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له. فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم. ثم قال: أظنكم أنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟ قالوا: أجل يا رسول الله. قال أبشروا

---

(١) ١/ ٧٠ والبخاري بمعناه (٣٨٣٤) كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية من طريق قيس عن أبي بكر.

(٢) وفي الدارمي: قال أما رأيت.

(٣) (٣٩٩٥) أبواب الفتن باب فتنة المال، والألباني في صحيح سنن ابن ماجه. ومسلم (٢٤٢١) كتاب الزكاة باب التحذير من الاعتزاز بزينة الدنيا الخ.

(٤) وفي ابن ماجه: فسكت.

(٥) (٣٩٩٦) أبواب الفتن باب فتنة المال، بل ومسلم (٧٤٢٧) كتاب الزهد والرقائق باب الدنيا سجن المؤمن وجنة للكافر.

(٦) المصدر نفسه. بل ومسلم (٧٤٢٥) كتاب الزهد والرقائق باب الدنيا سجن المؤمن وجنة للكافر والبخاري (٣١١٨) كتاب الجزية والموادعة باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب.

وأملوا ما يسركم. فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم.

٦. وفي المشكاة[١] أنه يخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ لصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله.

التنبيه الثاني تفاوت طبقات المؤمنين

لا تظنن أن جميع الناس في زمان الفتنة والشرور يصبحون أشرارا وتتعطل العناية الإلهية بتهذيب النفوس فيها تماما. كلا بل هنا أسرار عجيبة. ولم تزل طائفة في كل زمان مهبط الأنوار والبركات الربانية كما ذكر في أحاديث عديدة، منها:

١. ما أخرجه مسلم[٢] برواية جماعة: لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس.

٢. وأخرج ابن ماجه[٣] عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء.

٣. وأخرج ابن ماجه[٤] عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء.

٤. وأخرج ابن ماجه[٥] عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء. قال: قيل ومن الغرباء؟ قال: النزاع من القبائل.

٥. وأخرج ابن ماجه[٦] عن عمر بن الخطاب أنه خرج يوما إلى مسجد رسول الله

---

(١) ص ٣٠باب الإعتصام بالكتاب والسنة. وأبوداود (٤٥٩٧) كتاب السنة باب شرح السنة وأحمد ١٢/٤ من حديث معاوية ﷺ. ورجاله ثقات. وسكت عنه أبوداود والمنذري. وصححه الألباني في تعليقه على المشكاة حديث رقم ١٧٢ وظلال الجنة رقم ١، وقال في صحيح الترغيب رقم ٥١: حسن.

(٢) (٤٩٥٠) كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي الخ. والبخاري (٣٦٤٠، ٣٦٤١) كتاب المناقب باب بعد باب سؤال المشركين أن يريهم آية الخ.

(٣) (٣٩٨٦) أبواب الفتن باب بدأ الإسلام غريبا. بل ومسلم (٣٧٣) كتاب الإيمان باب بيان أن الاسلام بدأ غريبا.

(٤) (٣٩٨٧) أبواب الفتن باب بدأ الاسلام غريبا.

(٥) (٣٩٨٨) والترمذي (٢٦٢٩) أبواب الإيمان باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبا الخ وأحمد وابنه عبدالله ٣٩٨/١ والطبراني في الكبير ١٢٢/١. وقال الترمذي: حسن غريب صحيح. وقال الألباني: صحيح دون قال: قيل ... ضعيف ابن ماجه رقم ٨٦٢.

(٦) (٣٩٨٩) أبواب الفتن باب من ترجى له السلامة من الفتن والبيهقي في شعب الإيمان كما في المشكاة ص ٤٥٥ وفي إسناده عبد الله بن لهيعة وفيه مقال. لكن تابعه عباس بن عياش عند

ﷺ فوجد معاذ بن جبل قاعدا عند قبر النبي ﷺ يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: يبكيني شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقول: إن يسير الرياء شرك، وإن من عادى لله وليا فقد بارز الله بالمحاربة. إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة.

وهؤلاء وإن قلوا في زمان الفتنة قد يفضلون كثيرا على من كانوا في الزمان السابق بوجه من الوجوه العديدة.

٦. وأخرج الترمذي وابن ماجه وغيرهما[١] عن أبي ثعلبة الخشني في حديث طويل آخره: فإن وراءكم أيام الصبر فمن صبر فيهن كان كمن قبض على الجمر. للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله. قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: أجر خمسين منكم.

٧. وفي المشكاة عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا. فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه. أخرجه مسلم[٢].

خمس طبقات

ثم قسم النبي ﷺ هؤلاء الغرباء الذين هم أقل قليل في كل طبقة، إلى خمس طبقات وذكر خواص كل طبقة منها. ومعنى هذا الكلام دقيق جدا.

٨. وأخرج ابن ماجه[٣] عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: أمتي على خمس طبقات. فأربعون سنة أهل بر وتقوى، ثم الذين يلونهم إلى عشرين ومائة سنة، أهل تراحم وتواصل. ثم الذين يلونهم إلى ستين ومائة سنة، أهل تدابر وتقاطع ثم الهرج الهرج النجا النجا.

٩. وفي رواية عنه[٤] قال رسول الله ﷺ: أمتي على خمس طبقات كل طبقة أربعون

الحاكم ٣/٢٧٠، ٤/٣٢٨ وقال: صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي. فقال: أبوقحذم، قال أبو حاتم: لا يكتب حديثه، وقال النسائي: ليس بثقة. وأورده الألباني في الضعيفة رقم ٢٩٧٥ وضعيف سنن ابن ماجه رقم ٨٦٣.

(١) راجع ص ٣٢٧- ٣٢٨.

(٢) مسلم (٣٦٩) كتاب الإيمان باب رفع الأمانة والإيمان الخ.

(٣) (٤٠٥٨) أبواب الفتن باب الآيات وإسناده ضعيف لضعف يزيد الرقاشي. وضعفه الألباني في الضعيفة برقم ٢٩٤٠ وضعيف سنن ابن ماجه برقم ٨٨٠.

(٤) المصدر السابق (٤٠٥٨) وفيه معن والمسور بن الحسن وخازم مجهولون. قال أبو حاتم: هذا الحديث باطل. وقال الذهبي في المسور: حديثه منكر، قاله البوصيري في زوائده ٢/٣٠. وهو مثل الأول.

عاما. فأما طبقتي وطبقة أصحابي فأهل علم وإيمان. وأما الطبقة الثانية ما بين الأربعين إلى الثمانين فأهل بر وتقوى. ثم ذكر نحوه.

وتفصيل هذا الإجمال أنه لا تزال طائفة في كل زمان قائمة بالسنة السنية ظاهرة على الحق وإن قلوا. ولا يكون هؤلاء القائمون على الحق على صفة واحدة، بل ستكون الطبقة الأولى أربعين سنة ابتداء من هجرة خير البشر ﷺ حتى وفاة سيدنا علي ﷺ. ووجه القرب في هذه الطبقة هو الإيمان والعلم أي قوة التصديق بالأحكام الشرعية والعناية التامة بحفظ المسموعات من النبي ﷺ حيث اعتبروها الغنيمة الكبرى وانقطعوا لها عن كل ما سواها.

والأصل في هذا الوجه أن العالم قبل أن يبعث النبي ﷺ كان قد امتلأ كفرا وجهلا وقد أعمت الأوضاع الفاسدة الناس ظاهرهم وباطنهم وانشغفت قلوبهم بالهيئات الخسيسة والدنية. فشملت العالم عناية الله تعالى الذي هو مدبر السموات والأرض. فأنـــزل فجأة داعية الهدى والإصلاح على قلب نبينا محمد ﷺ وألقى على قلبه المبارك العلوم التي يهتدي بها. ثم لما تشرف أصحابه الذين اختارهم بصحبته في ظل الوحي انطبعت هذه الداعية في قلب كل من كان على الفطرة السليمة منهم وانعكس علمها في عقلهم. وكانت تلك الجماعة التي كانت على الفطرة السليمة على منازل شتى:

(١) منها طائفة خلقهم على استعداد يشبه استعدادات الأنبياء وأودعت في طبائعهم أسوة النبوة. فكانوا على رأس الأمة. وكأنهم تلقوا تلك الداعية وتلك العلوم بشهادة قلوبهم ونالوا حظا وافرا من التحقيق.

(٢) وطائفة أخرى لديهم أتم الاستعداد للتقليد. فقبلوا انعكاس تلك الداعية وتلك العلوم وأعطوا حظا عظيما من السعادة. وكلا وعد الله الحسنى. وكلما ازداد البعد عن هذا الانطباع زاد الحرمان من هذه الرحمة الكاملة. وإنما كانت الأعمال والأخلاق في هذه الطبقة مقصودة بالتبع وملحوظة بالعرض. بينما سبب القرب في هذه الطبقة الثانية هو العمل بالشرائع الإسلامية من الفرائض والنوافل واجتناب المحرمات والمكروهات. فهؤلاء توجهوا إلى الاعمال بعزم وانطلقوا لها عن كل ما سواها. فنشأ بفضل هذه الأعمال نور استولى على قلوبهم وتمكن منها. فكانوا على هذا النور وعاشوا عليه ومضوا عليه. وهؤلاء هم **أهل بر وتقوى**.

(٣) وطائفة ثالثة راجت فيها الأعمال بطريق العادة أو الظاهر فتوجهت إلى الأعمال المتباينة؛ الرفيع منها والوضيع، وقامت بجميع أشكالها حتى لم يبق لديها فرق بين المحق والمبطل من جهة أشكالها وصورها. فمن كان منهم قد فطر على صفاء القلب وتحلى بحسن الأخلاق ولين الجانب نورته هذه الأعمال وهذبته. ومن لم يكن كذلك لم تفده هذه الأعمال التي لم تكن

صدرت منه بنية قوية وعزيمة صادقة. فلم ينـــزل نور هذه الأعمال على قلوبهم لأنهم لم يستطيعوا دفع الموانع التي تقف حائلا دون قبولها على خلاف الطبقة الأولى التي لم تضعف نياتهم ولا أفسد الرياء أعمالهم. وهؤلاء هم **أهل التواصل والتراحم**.

(٤) وفي الطبقة الرابعة ازدادت الأوضاع الفاسدة والنيات الكاسدة فلا يتيسر نور الأعمال دون العزلة والانفراد واعتزال القبائل والعشائر. فكل من تلقى النور من هذه الطبقة إنما تلقاه بالإعتزال والخلوة من الناس. هؤلاء هم **أهل التدابر والتقاطع**.

(٥) وفي الطبقة الخامسة تغيرت الدورة واتجهت العناية الإلهية إلى ملكات النفس التي تكتسب بالأعمال والأذكار وتتحكم في جذور لطائف العقل والنفس والقلب. وهؤلاء هم **أهل المقامات والأحوال**.

وهكذا تختلف الأوصاف التي هي مدار العناية الإلهية في كل طبقة. والكلام في هذا يطول ولنقتصر على تفسير الطبقات. ومن هذا المبحث نستطيع أن ندرك على أي منــزلة كان عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعائشة الصديقة وأمثالهم ﷺ؟! وفي أي مقام كان سعيد بن المسيب والفقهاء السبعة ومعاصروهم؟!

التنبيه الثالث: منــزلة سيدنا معاوية بن أبي سفيان وفضائله

ينبغي أن تعرف بأن سيدنا معاوية بن أبي سفيان ﷺ كان أحد أصحاب رسول الله ﷺ وصاحب الفضائل الجليلة والمناقب المشهودة وهو من زمرة أصحاب الرضوان ﷺ. فحذار ثم حذار أن تسيء الظن به أو تقع في فتنة سبه فترتكب الحرام، كما ورد بذلك روايات عديدة، منها:

١. ما أخرجه أبوداود[1] عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ: لا تسبوا أصحابي. فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه.

٢. وأخرج أبوداود[2] عن أبي بكرة قال قال رسول الله ﷺ للحسن بن علي: إن ابني هذا سيد وإني أرجو أن يصلح الله به بين فئتين من أمتي. وفي رواية: لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين.

---

(١) (٤٦٥٨) كتاب السنة باب في النهي عن سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والبخاري (٣٦٧٣) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب بعد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذا خليلا الخ، ومسلم (٦٤٨٨) كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة.

(٢) (٤٦٦٤) كتاب السنة باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، والبخاري (٣٧٤٦) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب الحسن والحسين.

٣. وأخرج الترمذي[١] حديث عبدالرحمن بن عميرة[٢] وكان من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية: اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به.

٤. وأخرج ابن سعد وابن عساكر[٣] عن سلمة بن مخلد قال سمعت النبي ﷺ يقول لمعاوية: اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد وقه العذاب.

٥. وأخرج الترمذي[٤] من حديث عمير بن سعيد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم اهد به.

ويدل العقل أيضا على ذلك (أي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له). فإن روايات كثيرة تدل على أن النبي ﷺ كان قد علم بأن معاوية سيتولى الخلافة في وقت من الأوقات وقد كان النبي ﷺ رؤوفا ورحيما بأمته كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]

٦. وأخرج الديلمي[٦] عن الحسن بن علي قال سمعت عليا يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك معاوية.

٧. وأخرج الآجري في كتاب الشريعة[٧] عن عبد الملك بن عمير قال قال معاوية

---

(١) (٣٨٤٢) أبواب المناقب باب مناقب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وابن عساكر كما في الكنز ٧٨٩/١١، ٥٨٨/١٣، وقال الترمذي: حسن غريب، وأحمد ٢١٦/٣ وراجع الإصابة ١٧٥/٤ وما علقناه على العلل المتناهية ٧٥/١ والخطيب ٢٠٧/١ والبخاري في تاريخه ٣ ق١/٧٤٠، ٤ ق١/٣٢٧ وأبو نعيم في أخبار أصبهان ١٨٠/١ والحلية ٣٥٨/٨. وخرجه الألباني في الصحيحة برقم ١٩٦٩.

(٢) الصواب: عبد الرحمن بن أبي عميرة.

(٣) الطبراني أيضا كما في المجمع ٣٥٦/٩ وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢٧٢/١، وله شاهد من حديث العرباض بن سارية عند ابن حبان في صحيحه كما في الموارد ص ٥٦٦ وأحمد ١٢٧/٤ والبزار والطبراني كما في الزوائد ٣٥/٩ ومن حديث أبي هريرة راجع تعليق العلل المتناهية. وتكلم عليه الألباني في الصحيحة حديث رقم ٣٢٢٧، وصحيح الموارد رقم ١٩٣٦.

(٤) (٣٨٤٣) أبواب المناقب باب مناقب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وفي إسناده عمرو بن واقد وهو متروك كما في التقريب، راجع البداية ١٢٢/٨. والألباني في صحيح سنن الترمذي باب مناقب معاوية رضي الله عنه، وقال: صحيح بما قبله.

(٥) سورة التوبة : ١٢٨.

(٦) ٢١٩/٥ رقم ٧٦٦١ والعقيلي ١٧٦/٢ وعزاه المتقي لسمويه ونعيم بن حماد في الفتن أيضا كما في الكنز ٥٨٨/١٣. وفي إسناده سفيان بن الليل والسري بن إسماعيل كلاهما ضعيفان. راجع الميزان ١٧١/٢ والإصابة ١١٣/٦.

(٧) رقم ١٩٦٦، وابن أبي شيبة ١١/ ١٤٨، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني رقم ٥٢٢ والطبراني في الكبير ٣٦١/١٩ وفي الأوسط رقم ٥٤٩٦ والبيهقي في الدلائل ٤٤٦/٦ من طرق عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر به، وأخرجه أبو يعلى رقم ٧٣٤٢، من طريق سويد بن سعيد والآجري في الشريعة

ﷺ: ما زلت في طمع من الخلافة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا معاوية إن ملكت فأحسن.

٨. وقد صح من حديث أم حرام أن رسول الله ﷺ قال: "أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا"[(١)]. وكان أول من غزا في البحر معاوية في زمن عثمان بن عفان وكانت أم حرام في جيشه وماتت بعد ما خرجت من البحر.

٩. وقد استفاض أن النبي ﷺ استكتبه[(٢)] وهو لا يستكتب إلا عدلا أمينا.

١٠. وقد روى الآجري[(٣)] من طرق متعددة أن ذلك كان بإشارة من جبريل.

١١. وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: لست بخليفة ولكني أول ملوك الإسلام، وستجربون الملوك بعدي[(٤)].

١٢. وكان يحتفظ عنده بشعرات شريفة من شعر النبي ﷺ فأوصى عند وفاته أن تجعل في مناخره. وكان يعلم بعض مقاصد الخلافة ولكنه لم يستطع إمضاءها.

١٣. وأخرج أحمد[(٥)] عن عبد الله بن عامر اليحصبي قال سمعت معاوية يحدث وهو يقول: إياكم وأحاديث رسول الله ﷺ إلا حديثا كان على عهد عمر وإن عمر ﷺ أخاف الناس في الله عز وجل[(٦)].

ص ١٩٦٨ من طريق الوليد بن الأغر كلاهما عن عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي، عن جده، عن معاوية عند أبي يعلى نحوه، وإسناده حسن، والحافظ في المطالب رقم ٤٠٥١ وحسن إسناده محقق المطالب العالية وابن عساكر أيضا كما في الكنـز ٧٤٩/١١ وقال: فيه إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر قال العقيلي: ضعيف إلا أن للحديث شواهد كما أشير إليه قبل، وراجع المجمع ١٨٦/٥، ٣٥٦/٩.

(١) البخاري (٢٩٢٤) كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في قتال الروم.

(٢) أحمد ٢٩١/١ والآجري في الشريعة رقم ١٩٣٦، ١٩٤٠ وأصله في مسلم (٦٦٢٨) كتاب البر والصلة والأدب باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه الخ عن ابن عباس قال قال لي النبيﷺ ادع لي معاوية وكان كاتبه. وقال المدائني: كان زيد بن ثابت يكتب الوحي وكان معاوية يكتب للنبي ﷺ فيما بينه وبين العرب كما في الإصابة ١١٣/٦ وقال الخطيب أبو عبد الله هو أحد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ الوحي، قيل: لم يكتب من الوحي شيئا إنما كتب له كتبه. راجع البداية ١١٣/٨، ١١٧.

(٣) الشريعة رقم ١٩٣٤، ١٩٣٥ والطبراني في الأوسط وفيه محمد بن فطر ولم أعرفه. وعلي بن سعيد الرازي فيه لين وبقية رجاله رجال الصحيح كما في المجمع ٣٥٧/٩.

(٤) ابن أبي شيبة ١٤٧/١١ بلفظ: أنا أول الملوك. وفيه شيخ من أهل المدينة لم يسم. انظر البداية ١٣٥/٨.

(٥) راجع ص ٢٤٥.

(٦) اختصر المصنف في هذا المبحث على خمس فضائل لسيدنا معاوية رضي الله عنه وهي: ١-أنه من الصحابة، ٢- دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالسعادة في الدارين، ٣- تشمله فضيلة الجهاد في البحر، ٤- أنه كان من كتاب الوحي، ٥- كان قلبه يفيض محبة واحتراما للنبي صلى الله عليه وسلم. وللاستزادة في مناقبه يمكن الرجوع إلى كتب السيرة والتاريخ وبالأخص كتاب "تطهير الجنان" لابن حجر المكي.

التنبيه الرابع أقسام تغيرات الأوضاع وأحكامها

تغيرات الأوضاع على أقسام عديدة. ولكل قسم منها حكم خاص. فمنها ما ليس للبشر فيه دخل ولا اختيار مثل حدوث المجاعات والزلازل وكثرة النساء وقلة الرجال وتكاثر الأشرار الخبيثي النفوس وقلة الأخيار المعتدلي الأخلاق، أولي الحكم. وقد أخرج الشيخان[1] من حديث ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة.

وحيث إن مدار التكليف على القدرة والطاقة، والمؤاخذة مشروطة بالاختيار. فلا مؤاخذة في هذه التغيرات لكونها خارجة عن اختيار الإنسان. ولكنها تؤدي إلى قصور بني آدم عن بلوغ الكمال الذي هو مطلوب وإن كان بدون اختيارهم.

ومنها ما يكون باختيار بني آدم وإرادهم. وهو ينقسم إلى أنواع عديدة:

النوع الأول: ارتكاب المناهي مثل شرب الخمور وكثرة الزنا أو ترك الأمور المفروضة مثل ترك الصلاة. فلا شك أن هذا النوع مؤاخذ عليه.

النوع الثاني: أن يلتزموا أمورا مستحبة مثل التزام السنن المؤكدة بصورة وهيئة مخصوصة من الأمور المباحة وأن يواظبوا عليها ويعضوا عليها بالنواجذ. وهذا النوع يسمى البدعة الحسنة. مثال ذلك اختراع الأحزاب والأوراد.

فهذا النوع يترتب عليه ثواب ولكن الاعتقاد بملازمته باطل. ومدار الثواب على القدر الثابت من الشرع فقط. وأما الصورة أو الهيئة المباحة فلا يوجه فيها مدح ولا ذم. ويحتمل ترتب مفاسد على التزامها كأن يظنها أهل القرن التالي سنة بهيئاتها كلها فيلزم التحريف في الشريعة السمحة. وإن كان ذلك الشخص الذي التزم أمرا مباحا لا يشعر بحدوث تلك المفاسد فلا يكون مخطئا.

النوع الثالث: أن يلزم كل فريق أمرا مباحا اتخذوه شعارهم. وهكذا يفشو رسم ويظهر وضع في كل زمان. وهذا كله باق على الإباحة. فلا لوم عليه ولا مدح إلا بالعرض إذا تعصبوا ورجحوا وضعا على آخر، أو أن يتخذه الناس في القرن التالي سنة ويقعوا في ورطة التحريف.

ثم إن قبح الأمور القبيحة قد يثبت بنص من كتاب الله أو الأحاديث المشهورة أو القياس الجلي أو إجماع الأمة المرحومة وخاصة في أيام الخلافة الخاصة لأنها من بقايا بركات النبوة. فهذه الأصول الأربعة هي التي يصدق عليها "وعندكم من الله برهان".

وفي هذه الصور لا يعذر شخص لجهله هذه الأصول، ولا يصح الاستدلال على مخالفتها

---

(١) البخاري (٦٤٩٨) كتاب الرقاق باب رفع الأمانة ومسلم (٦٤٩٩) كتاب فضائل الصحابة باب قوله ﷺ الناس كإبل مائة الخ.

بشبهات واهية أو تقليد عالم من العلماء. ولا فوز لمخالفهما عند الله تعالى. وقد يدرك قبح هذه الأشياء بخبر واحد صحيح بغير معارض له. وفي هذه الصورة يعذر الشخص الذي يجهلها ما لم يبلغه الحديث ويرتفع حجاب جهله. فإذا بلغه الحديث وانكشف حجاب جهله فلا يسمع له قول ولا استدلال.

وقد يثبت قبحها بأدلة ظنية متعارضة. وهذا النوع حكمه مثل حكم اختلاف السلف، وهو أن المجتهدَين مصيبان أو المصيب واحد والآخر مخطئ معذور.

وإذا علمت هذه المقدمات فيجب عليك أن لا تحكم على تلك التغيرات التي سنذكرها في مبحث تغير الأوضاع واختلاف الأمة الذي حدث في ذلك الزمان، حكما واحدا ولا تنزلها منزلة واحدة. فلكل زمان مقال، ولكل مقال مجال.

الفصل الثاني
بيان التغيرات الكلية التي سوف تحدث في هذه الأمة إلى يوم القيامة

(غير التغيرات العظيمة التي ذكرناها في الفصل الأول)

وهذا المبحث طويل الذيل جدا، ولا يمكن استيعابه هنا. وإنما أردنا شرح بعض الأحاديث التي تخص موضوعنا وتعالج ما نحن فيه، مثل حديث القرون الثلاثة[١] وحديث: فإن يقم له دينهم يقم سبعين سنة[٢]، وحديث اثني عشر خليفة[٣] وحديث خمسمائة سنة[٤]. وهذا تفصيل التغيرات.

التغير الأول

انتقال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى

فالتغير الأول ما هو إلا انتقال نبينا ﷺ من دار الدنيا إلى الرفيق الأعلى. وأي حادث أهول منه وأي تغيير أعظم منه؟! فيه انقطع نـــزول وحي الله سبحانه وتعالى واختفت معه بركات النبوة السماوية المتواترة، كما وصف ذلك في أحاديث كثيرة، منها:

١. ما أخرج الدارمي[٥] عن عكرمة في آخر حديث طويل في وفاة النبي ﷺ؛ وجعلت أم أيمن تبكي. فقيل لها: يا أم أيمن أ تبكين على رسول الله ﷺ؟ قالت: إني والله ما أبكي على رسول الله ﷺ ألا أكون أعلم أنه قد ذهب إلى ما هو خير له من الدنيا. ولكني أبكي على خبر السماء انقطع.

٢. وأخرج الدارمي[٦] عن أنس وذكر النبي ﷺ قال: شهدته يوم دخل المدينة فما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ المدينة. وشهدته يوم موته فما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ.

٣. وأخرج الترمذي[٧] عن أنس قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ

---

(١) راجع ص ١٧٩- ١٨٠.
(٢) طرف من حديث ابن مسعود: إن رحى الإسلام ستزول الخ راجع ص ٩٣، ١٧٩.
(٣) طرف من حديث جابر بن سمرة، راجع ص ٢٣٤.
(٤) أبوداود (٤٣٥٠) كتاب الملاحم باب قيام الساعة من حديث سعد بن أبي وقاص، راجع العون.
(٥) ١/٤٠ ورجاله ثقات. ومسلم (٦٣١٨) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أم أيمن رضي الله عنها.
(٦) ١/٤ ورجاله ثقات. وأحمد ٣/١٢٢. وصحح إسناده الألباني في المشكاة رقم ٥٩٦٢.
(٧) (١٨٣٦) أبواب المناقب باب سلوا الله لي الوسيلة الخ وابن ماجه (١٦٣١) أبواب الجنائز باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب. والألباني في صحيح سنن الترمذي رقم

المدينة أضاء منها كل شيء. فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء. وما نفضنا أيدينا من التراب وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

٤. وأخرج الدارمي[١] عن مكحول أن رسول الله ﷺ قال: إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبة بي فإنها من أعظم المصائب.

التغير الثاني

وفاة سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه

فقد ورد في أحاديث عديدة أن عمر رضي الله عنه غلق باب الفتنة، منها حديث حذيفة "ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين"[٢]. وقد ذكرناه مرارا. (ولم نعتبر وفاة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه التغير الثاني) لتقارب سيرة الشيخين. فإن أبابكر الصديق رضي الله عنه وضع اللبنة الأولى وأتمها عمر رضي الله عنه. وكان المسلمون في زمانهما متآلفين رحماء بينهم وأشداء على الكفار ومتفقين على الجهاد. ولم يقع بينهم أى خلاف. كانت الرعية والجنود يحبون الخليفة، ويفضلونه على أنفسهم، وكان الخليفة أرحم بهم من والد أحدهم به. وكان أمراء الأمصار رؤساء الجيوش من المهاجرين الأولين والأنصار السابقين. فقد أخرج الترمذي في كتاب الشمائل[٣] عن عتبة بن غزوان في حديث طويل آخره قال عتبة بن غزوان: لقد رأيتني وإني لسابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى تفرجت أشداقنا. فالتقطت بردة فقسمتها بيني وبين سعد. فما منا من أولئك السبعة إلا وهو أمير مصر من الأمصار وستجربون الأمراء بعدنا.

وقد كان الشيخان أبوبكر وعمر في العهد النبوي الشريف وزيري رسول الله ﷺ ومشيريه فكان يأخذ برأيهما في الأمور العظيمة والتدابير المهمة من شؤون الدولة. ثم كان عمر الفاروق رضي الله عنه في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وزيره ومشيره وناصر خلافته ومعينه وظهيره. ولما أسندت الخلافة إليه قام بخدمات جليلة وأيد الدين بوجوه كثيرة لم تقدر لأحد بعده.

فنظرا إلى تقاربهما في السوابق والسيرة وتحمل أعباء المشورة في أمور الملك وشؤون الملة ولما كان قد قدر لهما من الفتوح ونشر الدين جمعهما النبي ﷺ وجعلهما كالتوأمين والفرقدين في

٢٨٦١ وصحيح ابن ماجه رقم ١٦٣١.

(١) ٤٠/١ ورجاله ثقات إلا أنه مرسل. وابن ماجه (١٥٩٩) أبواب الجنائز باب ما جاء في الصبر على المصيبة عن عائشة بمعناه لكن في إسناده موسى بن عبيدة المروزي وهو ضعيف. ورواه أبو يعلى أيضا من طريقه قاله البوصيري في المصباح ٢٨٥/١.

(٢) راجع ص ٩٦، ٢١٠

(٣) باب في عيش النبي ﷺ. بل ومسلم (٧٤٣٥) أوائل الزهد.

أحاديث كثيرة، منها:

١. قال رسول الله ﷺ في قصة تكلم البقرة وفي قصة الذئب: أومن به أنا وأبوبكر وعمر.[(١)]

٢. وقال علي: كثيرا ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: "كنت أنا وأبوبكر وعمر، وفعلت أنا وأبوبكر وعمر، وخرجت أنا وأبوبكر وعمر، وانطلقت أنا وأبوبكر وعمر، ودخلت أنا وأبوبكر وعمر".[(٢)]

٣. وقال رسول الله ﷺ: "إن أهل الجنة ليتراؤون أهل عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء وإن أبابكر وعمر منهم وأنعما".[(٣)]

٤. وقال ﷺ: "أبوبكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين".[(٤)]

٥. وقال: "إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر"[(٥)].

٦. وقال أنس كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد لم يرفع أحد رأسه غير أبي بكر وعمر كان يــتبسمان إليه ويتبسم إليهما.[(٦)]

٧. وخرج ﷺ ذات يوم ودخل المسجد وأبوبكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال: "هكذا نبعث يوم القيامة".[(٧)]

٨. وقال ﷺ: "لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما"[(٨)].

٩. وقال: "هذان السمع والبصر".[(٩)]

١٠. وقال: "أما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الأرض فأبوبكر وعمر".[(١٠)]

---

(١) راجع ص ١٩٦، ١٩٧.
(٢) راجع ص ١٦٣- ١٦٤.
(٣) راجع ص ٧٠.
(٤) راجع ص ٦٠.
(٥) راجع ص ٦٣.
(٦) راجع ص ٢٠٤.
(٧) راجع ص ١٨٣.
(٨) راجع ص ٢١٦
(٩) صحيح الترمذي للألباني رقم ٢٨٩٩ والصحيحة رقم ٨١٤. وراجع ص ٢٠٩.
(١٠) راجع ص ٦٤.

١١. وقال: " الحمد لله الذي أيدني بهما"[١].

١٢. ورأى رسول الله ﷺ في رؤيا القليب شأنهما ورأى رجحانهما في رؤيا الرجحان في الوزن فعبره النبي ﷺ بالخلافة.[٢]

١٣. وأخبر أن حسنات عمر كعدد نجوم السماء ثم قال: "جميع حسنات عمر كحسنة واحدة من حسنات أبي بكر".[٣]

١٤. وفي حديث: ألا أستحيي ممن يستحيي منه الملائكة[٤]، في منقبة عثمان. وأن رسول الله ﷺ عامل أبابكر الصديق وعمر الفاروق معاملة واحدة.

١٥. وفي حديث أبي موسى أنه بشرهما بشارة واحدة بخلاف عثمان.[٥]

١٦. ثم هما ضجيعاه ﷺ.

١٧. وقال على بن الحسين: منــزلتهما في حياته كمنــزلته منهما بعد موته[٦]. ووردت في هذا المعنى أحاديث كثيرة جدا. فلا شك أنهما من قرن واحد. وانقضى القرن الثاني بانقضائهما.

ويناسب هذا المقام تحرير الخطبة التي ألقاها خطيب الشام عبد الله بن الأهتم والتي تتجلى فيها فصاحته. فقد أخرج الدارمي[٧] من حديث خالد بن معدان قال: دخل عبدالله بن الأهتم على عمر بن عبد العزيز مع العامة، فلم يفجأ عمر إلا وهو بين يديه يتكلم. فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال:

"وأما بعد فإن الله خلق الخلق غنيا عن طاعتهم آمنا لمعصيتهم، والناس يومئذ في المنازل والمرائي[٨] مختلفون. والعرب[٩] بشر تلك المنازل أهل الحجر وأهل الوبر[١٠] تجتاز دونهم طيبات الدنيا ورخاء عيشها. لا يسألون الله جماعة ولا يتلون[١١] كتابا. ميتهم في النار وحيهم أعمى نجس، مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه. فلما أراد الله أن ينشر عليهم رحمته بعث

---

(١) راجع ص ٢١٧.
(٢) راجع ص ٧٠، ٨٩، ١٨٢.
(٣) المشكاة رقم ٦٠٥٩، راجع تعليق الألباني عليه.
(٤) راجع ص ٦٠.
(٥) راجع ص ١٥٨، ١٨٩- ١٩٠.
(٦) راجع ص ٢٥٣.
(٧) ٤٢/١ وفي إسناده سليمان بن الحكم أبو أيوب الخزاعي ذكره ابن أبي حاتم ٢ ق ١٠٧/١ وسكت عنه.
(٨) وفي الدارمي: والرأي.
(٩) في الدارمي: فالعرب.
(١٠) في الدارمي: وأهل الوبر وأهل الدبر.
(١١) في الدارمي: ولا يتلون له كتابا.

إليهم رسولا من أنفسهم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم عليه السلام ورحمة الله وبركاته.

فلم يـــمنعهم ذلك أن جرحوا[١] في جسمه ونقبوا[٢] في رسمه، ومعه كتاب من الله ناطق لا يقدم إلا بإذنه[٣] ولا يؤخر إلا بإذنه[٤]، فلما أمر بالعزمة وحمل على الجهاد، انبسط لأمر الله لوثه، فأفلج الله حجته، وأجاز كلمته وأظهر دعوته. وفارق الدنيا تقيا نقيا.

ثم قام بعده أبوبكر ﷺ. فسلك سنته وأخذ سبيله. وارتدت العرب أو من فعل ذلك منهم فأبى أن يقبل منهم بعد رسول اللهﷺ إلا الذي كان قابلا. انتزع السيوف من أغمادها، وأوقد النيران في شعلها ثم نكب بأهل الحق أهل الباطل، فلم يبرح يقطع أوصالهم ويسقي الأرض دماءهم حتى أدخلهم في الذي خرجوا منه. وقررهم بالذي نفروا عنه. وقد كان أصاب من مال الله بكرا يرتوي عليه وحبشية أرضعت ولدا له. فرأى ذلك عند موته غصة في حلقه، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده. وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه.

ثم قام بعده عمر بن الخطاب ﷺ فمصر الأمصار وخلط الشدة باللين وحسر عن ذراعيه وشمر عن ساقيه، وأعد للأمور أقرانها وللحرب آلتها. فلما أصابه قين[٥] المغيرة بن شعبة، أمر ابن عباس يسأل الناس: هل يثبتون قاتلـــه. فلما قيل قين[٦] الـــمغيرة بن شعبة استهل بـــحمد ربه أن لا يكون أصابه ذو حق في الفيء فيحج عليه[٧] بأنه إنما استحل دمه بما استحل من حقه. وقد كان أصاب من مال الله بضعة وثمانين ألفا، فكسر لها رباعه وكره بها كفالة أولاده. فأداها إلى الخليفة من بعده. وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبيه.

ثم إنك يا عمر[٨] بُـــنَيّ الدنيا ولدتك ملوكها وألقمتك ثديها[٩] ونبت فيها تلتمسها مظانها. فلما وليتها ألقيتها حيث ألقاها الله تعالى هجرتها وجفوتها وقذرتها إلا ما تزودت منها. فالـــحمد لله جلا بك حوبتنا وكشف بك كربتنا. فامض ولا تلتفت. فإنه لا يعز على الحق شيء ولا يذل على الباطل شيء.

---

(١) في الدارمي: وجرحوه.
(٢) في الدارمي: ولقبوه في اسمه.
(٣) في الدارمي: لا يقوم إلا بأمره.
(٤) وفي الدارمي: ولا يرحل إلا بإذنه.
(٥) في الدارمي: فتى.
(٦) في الدارمي: فتى.
(٧) في الدارمي: فيحتج.
(٨) في الدارمي: ثم يا عمر.
(٩) في الدارمي: فكان عمر.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات.

قال أبو أيوب وكان عمر بن عبد العزيز يقــول في الشيء: قال لي ابن الأهتم: امض ولا تلتفت.

التغير الثالث

قتل سيدنا عثمان بن عفان ﷺ

ثم التغير الثالث ما هو إلا قتل سيدنا عثمان ﷺ، وما ترتب عليه من الآثار والمفاسد. وهو أعظم التغيرات. وقد جعلها رسول الله ﷺ حدا يفصل بين زمان الخير وزمان الشر. وهو مطمح إشاراته في كثير من أحاديثه التي تبلغ بجملتها حد التواتر، أنه بذلك ستنقضي أيام الخلافة الخاصة. وكذلك نص عليه في أحاديث كثيرة. ولذلك جمع ذكر الخلفاء الثلاثة في أحاديث عديدة كما مر في الباب الأول.

وإذا نظرت بعين البصيرة تجد أنه كلما ورد ذكر الخلافة الخاصة المنتظمة بالفعل كان الخلفاء الثلاثة معا. وحيث ذكرت الخلافة الخاصة بشمول نبينا ﷺ واشتراكه في الأمور العظيمة أو بعده اكتفى بذكر الشيخين فقط. فبعدهما بدأ القرن الثالث من القرون المشهود لها بالخير وتستمر مدة خلافة سيدنا عثمان ذي النورين ﷺ التي تقارب اثني عشرة سنة.

وكانت سيرة سيدنا ذي النورين ﷺ تغاير سيرة الشيخين. فقد كان يتنــزل من العزيمة إلى الرخصة أحيانا. وكذلك لم يكن أمراؤه بمنــزلة أمراء الشيخين رضي الله عنهما، ولم يكن انقياد الرعية له مثل انقيادهم لأبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهم. ولم تكن الخشونة تحولت من القول إلى الفعل ولم تتجاوز القلب واللسان إلى اليد والسلاح إلا عند إتمام هذا القرن. وهذا أمر لا ينازع فيه إلا مكابر.

واعلــم أسعدك الله تعالى أنه إذا أشكل عليك فهم حديث فارجع إلى حديث آخر ليشرح لك مطمح إشارة النبي ﷺ ومراده. لأن الحديث النبوي مثل القرآن الكريم يشبه بعضه بعضا. قال الله تعالى ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾[1]. وقد بين النبي ﷺ كل الأمور غالبا بعبارات مختلفة وأساليب متنوعة. فقد ورد في حديث خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ينشأ قوم تسبق أيمانهم شهادتهم وشهادتهم أيمانهم[2] وفي لفظ: ثم يفشو الكذب. لاحظ ما علمته

---

(١) سورة الزمر: ٢٣.

(٢) راجع ص ١٧٩- ١٨٠.

من خير القرون وشر القرون المتأخرة ثم اقرأ حديث: تزول رحى الإسلام لخمس وثلاثين سنة. فإن يهلكوا إلخ ونقح مراده. ثم وازن لفظ "رحى الإسلام بالخير الذي علمته من الحديث الأول. وكذلك وازن كلمة الهلاك التي وردت في آخره بلفظ "تسبق أيمانهم شهادتهم إلخ. ولفظ ثم يفشو الكذب تجد أن معنى أحدهما هو عين معنى الآخر. وقد يبدو لك أن كلمات خمس وثلاثين سنة تزيد على هذه المقارنة في الظاهر. ولكنك إذا تأملت تجد أنها عين معنى القرون الثلاثة بالتأويل الذي سبق أن ذكرناه.

وإذا توافق حديثان في أكثر الأمور يجب إضافة القيد المذكور في أحدهما إلى المطلق منهما كما يجب تأويل المتشابه منهما حسب الحكم الوارد في الآخر.

ثم تدبر حديث الخلافة بالمدينة والملك بالشام. فهنا جعلت الخلافة قسيما للملك. وانظر ماذا ينتج من هذه المقابلة تجد أن القرون الثلاثة الممدوحة بالخير هي قرن النبوة وقرنا الخلافة. وكلها كانت بالمدينة ولم تستقر الخلافة بعدها بالمدينة أبدا. فتحديد المدة بخمس وثلاثين سنة وتعيين كون الخلافة بالمدينة يصدقان على أمر واحد ويرميان إلى معنى واحد.

ثم اقرأ حديث أبي عبيدة ومعاذ بن جبل: إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكا عضوضا، وقارنه بحديث القرون وحديث "تزول رحى الإسلام" وحديث الخلافة بالمدينة والملك بالشام فستدرك لا محالة أن الخلافة والرحمة توافق معنى الخير وأن الملك العضوض يساوي الفتنة.

ثم خذ حديث كرز بن علقمة الذي جاء فيه "أن الاسلام ينتشر ويعلو ثم يعودون أساود صُبّا" وتدبر حتام الإسلام ينتشر ويعلو؟ وفي أي زمان وقعت فتنة أساود صُبّا؟ ثم قارن هذا المعنى بأحاديث خير القرون ورحى الإسلام وخلافة ورحمة، فإنك لا تجد شكا في أنها تتفق على أمر واحد.

ومن ناحية أخرى قارن حديث "أساود صبا" بحديث الهرج ويفشو الكذب ويهلكوا وملكا عضوضا، تجدها جميعها متحدة المعنى.

ثم اترك ذلك وخذ حديث حذيفة: لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم، وانظر إلى أي حادث يشير؟ ومتى وقع ذلك؟ إلى غيره من الأحاديث.

وخلاصة القول أنك إذا طهرت ذهنك من الكدورات وقارنت بين الأحاديث بعضها ببعض تدرك معنى كلام رسول الله ﷺ. وبعد ذلك اقرأ الأخبار المروية عن أحبار أهل الكتاب وآثار الصحابة رضي الله عنهم لتفوز بالطمأنينة والاقتناع.

وإن لم تستطع إدراك مرامها رغم استعمال هذه الطريقة فاعذر نفسك من تنقيح معاني

السنة والخوض في دقائقها. فإنك لا تجد طريقة أحسن منها ولا تجد روايات متكاثرة متوافرة في أي مسألة غير هذه، ولا في باب الصلاة والزكاة. فإنه قد قيل:

إذا لم تستطع أمرا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وإنما الاختلاف في هذه القرون الثلاثة مثل الاختلاف بين أصناف نوع واحد. فهي واحدة من وجه ومختلفة ومتعددة من وجه آخر. ففي حديث رحى الإسلام أعطيت كلها مرتبة واحدة وكذلك أنـــزلت منـــزلة واحدة في حديث الخلافة بالمدينة والملك بالشام. وأطلق عليها وصف واحد في حديث نبوة ورحمة وخلافة ورحمة. واعتبرها في حديث الفتن الذي رواه حذيفة ﷺ زمان الاستقامة، كما اعتبرها حديث كرز بن علقمة ﷺ زمان انتشار الإسلام وعلوه.

ولما انقضت هذه القرون الثلاثة وحدث التغير الأعظم تغيرت صورة العالم. وحدث التغير النوعي بالنسبة للزمان الأول. وحدث خلال مدة هذا التغير ثلاث فتن وهدنتان وقد ذكر النبي ﷺ هذه الحوادث الخمس بشرح وتفصيل لا مزيد عليه.

أخرج الشيخان(1) عن حذيفة قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. قال قلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير. فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت وما دخنه؟ قال: يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم. من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك. قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

وفي رواية قلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير. فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن. قال قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

وفي رواية قلت: فما العصمة يا رسول الله؟ قال: السيف. قلت: وهل بعد السيف بقية؟

---

(1) راجع ص ٣١٨.

قال: نعم، يكون إمارة على أقذاء وهدنة على دخن. قال، قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال بعد ذلك معه نهر ونار. فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره.

قال البغوي قوله: فما العصمة؟ قال: السيف. كان قتادة يضعه على أهل الردة كانت في زمن الصديق ﷺ. وقوله: هدنة على دخن، معناه صلح على بقايا من الضغن. وذلك أن الدخان أثر من النار.

قال أبو عبيد: أصل الدخن أن يكون في لون الدابة أو الثوب أو غيره كدورة إلى سواد. وفي بعض الروايات قلت: يا رسول الله الهدنة على الدخن ما هي؟ قال: لا يرجع قلوب بني آدم عن الذي كانت عليه.

ويروى: "وجماعة على أقذاء" يقول يكون إجتماعهم على فساد من القلوب. شبهه بأقذاء العين.

وإليك الآن تفصيل الفتن الثلاث والهدنتين.

الفتنة الأولى
وهي تشمل ثلاث حوادث عظيمة.

بدأت هذه الفتنة في خلافة سيدنا علي ﷺ. وكان النبي ﷺ أخبره بأن خلافته لا تنتظم وأظهر تألمه من ذلك كما ورد في روايات عديدة، منها:

١. في الخصائص[١] أخرج الطبراني وأبو نعيم عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ لعلي: إنك مؤمر مستخلف، وإنك مقتول. وإن هذه مخضوبة من هذه يعني لحيته من رأسه.

٢. وأخرج الحاكم[٢] عن علي ﷺ قال: إن مما عهد إليّ النبي ﷺ أن الأمة ستقذرني بعده[٣].

٣. وأخرج الحاكم[٤] عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ لعلي: أما إنك ستلقى بعدي جهدا. قال: في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك.

---

(١) ٢٠/٢. وقال الهيثمي في المجمع ١٣٦/٩: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه. وفيه ناصح بن عبد الله وهو متروك. وقد مر تحت عنوان: إخباره صلى الله عليه وسلم بعدم اجتماع الأمة على المرتضى. راجع ص ٢٩٧.

(٢) راجع ص ٢٩٦.

(٣) في المستدرك: ستغدرني، بالغين المعجمة.

(٤) راجع ص ٢٩٦- ٢٩٧.

٤. وأخرج أحمد[١] عن إياس بن عمرو الأسلمي عن علي عن النبي ﷺ أنه سيكون اختلاف أو أمر، فإن استطعت أن تكون أسلم فافعل.[٢]

الحادثة الأولى حرب الجمل

وقد أخبر النبي ﷺ عنها في حديث واحد غريب. أخرج أبو يعلى[٣] عن قيس بن أبي حازم قال: مرت عائشة بماء لبني عامر يقال له الحوئب. فنبحت عليها الكلاب، فقالت: ما هذا؟ قالوا: ماء لبني عامر فقالت: ردوني، ردوني. سمعت رسول الله ﷺ يقول: كيف بإحداكن إذا نبحت عليها كلاب الحوئب؟!

١. وأخرج الحاكم[٤] من حديث يحيى بن سعيد عن الوليد بن عياش عن إبراهيم عن علقمة قال ابن مسعود رضي الله عنه قال لنا رسول الله ﷺ: أحذركم سبع فتن تكون بعدي؛ فتنة تقبل من المدينة، وفتنة بمكة، وفتنة تقبل من اليمن وفتنة تقبل من الشام. وفتنة تقبل من المشرق وفتنة تقبل من المغرب. وفتنة من بطن الشام وهي السفياني. قال فقال ابن مسعود: منكم من يدرك أولها. ومن هذه الأمة من يدرك آخرها. قال الوليد بن عياش: فكانت فتنة المدينة من قبل طلحة والزبير، وفتنة الشام من قبل بني أمية، وفتنة المشرق من قبل هؤلاء[٥].

الحادثة الثانية حرب صفين[٦]

وروي في خبر صحيح أن الرسول ﷺ كان أخبر بها أيضا.

(١) أخرج الشيخان[٧] عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة.

وهذه إشارة إلى أن أهل الشام رفعوا المصحف الشريف وقالوا: بيننا وبينكم هذا القرآن.

---

(١) بل عبد الله في زوائد المسند ١/٩٠ ورجاله ثقات كما في المجمع ٧/٢٣٤.
(٢) في المسند: السلم.
(٣) رقم ٤٨٤٨ وأحمد ٦/٥٢، ٩٧ وابن حبان كما في الموارد ص ٤٥٣ والبزار كما في الكشف ص ٥٩٤ والحاكم ٣/١٢٠ وصححه. والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٤٧٥.
(٤) ٤/٤٦٨ وقال: صحيح الإسناد. لكن قال الذهبي: هذا من أوابد نعيم بن حماد. والألباني في الضعيفة رقم ١٨٧٠. وقد مر بعضه في ص ٢٩٥.
(٥) أي أهل العراق.
(٦) صفين اسم لموضع وقعت به المعركة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في شهر صفر سنة ٣٧ من الهجرة.
(٧) البخاري (٣٦٠٨) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ومسلم (٧٢٥٦) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما.

فرد عليهم علي ﷺ بقوله: هذا قرآن صامت وأنا قرآن ناطق. وأخرج البخاري[١] أن رسول الله ﷺ قال لعمار تقتلك الفئة الباغية. وانتهت هذه الحرب بالتحكيم وذكرها النبي ﷺ بأسلوب يدل على أنها مبدأ مفاسد عديدة وأن الشارع لا يرضاها.

الحادثة الثالثة حرب النهروان[٢]

وقد ذكرها النبي ﷺ في خبر متواتر وأخبر أنها ستقع حين تقع الفرقة بين المسلمين وأن الجماعة التي تقتل الفئة الباغية ستكون أولاهما بالحق وأن قتلها سيكون إحدى حسناتها.

وبعد ما وقعت هذه الحوادث الثلاثة حدث استشهاد سيدنا علي ﷺ وكان النبي ﷺ أخبر بقتله في حديث مستفيض. وكذلك ذم قاتله وقال إنه سيكون أشقى الآخرين. كما أخرج الحاكم[٣] في حديث طويل عن عمار بن ياسر ﷺ قال: كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذي العسيرة. فقال رسول الله ﷺ: ألا أحدثكما بأشقى رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي هذه يعني قرنه حتى تبتل من الدم لحيته.

الهدنة الأولى

وبدايتها هي الصلح الذي تم بين سيدنا الحسن ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ وكان رسول الله ﷺ قد أخبر بها في حديث صحيح روي عنه:

أخرج البخاري[٤] عن الحسن قال لقد سمعت أبابكرة ﷺ قال: بينا النبي ﷺ يخطب جاء الحسن، فقال: ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين.

ثم أخبر بحقيقة هذه الهدنة بأنها ستكون إمارة على أقذاء وهدنة على دخن. وكذلك أخبر بأن معاوية بن أبي سفيان سيستقل بالملك. فقد أخرج ابن أبي شيبة عن معاوية

---

(١) (٤٤٧) كتاب الصلاة باب التعاون في بناء المساجد، ومسلم (٧٣٢٠-٧٣٢٤) كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل الخ وفيه من حديث أم سلمة وقد روي عن جماعة من الصحابة ﷺ.

(٢) نهروان اسم لمكان دارت فيه معركة بين علي رضي الله عنه والخوارج وذلك سنة ٣٨ من الهجرة.

(٣) ١٤١/٣ وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وأحمد ٦٣/٤ والطبراني والبزار باختصار. ورجال الجميع موثقون إلا أن التابعي لم يسمع من عمار كما في المجمع ١٣٦/٩. قلت أنكر سماعه البخاري لكن قال الحافظ: ما المانع من سماعه من عمار. راجع التهذيب ١٣٦/٩. والألباني في الصحيحة رقم ١٧٤٣ وحسنه بالشواهد.

(٤) راجع ص ٣٤٤.

قال: ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ يا معاوية إن ملكت فأحسن[١].

الفتنة الثانية
وهي مشتملة على حوادث عديدة.

الحادثة الأولى

شهادة سيدنا الحسين رضي الله عنه[٢].

في المشكاة معزوا إلى البيهقي[٣] عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إني رأيت حلما منكرا الليلة. قال: وما هو؟ قلت: إنه شديد. قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري. فقال رسول الله ﷺ: رأيت خيرا. تلد فاطمة إن شاء الله غلاما يكون في حجرك. فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ.

فدخلت يوما على رسول الله ﷺ فوضعته في حجره. ثم كانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان الدموع. فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، مالك؟ قال: أتاني جبريل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا. فقلت: هذا؟ قال: نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء.

---

(١) راجع ص ٣٤٥- ٣٤٦.

(٢) وكانت ذلك في واقعة كربلا الشهيرة التي استشهد فيها ستة عشر رجلا من بيت النبوة في محرم عام ٦١ من الهجرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد لخص هذه الواقعة الإمام الذهبي نقلا من كتاب "منهاج السنة" للإمام ابن تيمية: " وأما يزيد فلم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق، والحسين رضي الله عنه كان يظن أن أهل العراق ينصرونه ويوفون له بما كتبوا إليه، فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل، فلما قتلوا مسلما وغدروا به وبايعوا ابن زياد أراد (الحسين) الرجوع فأدركته السرية الظالمة، فطلب أن يذهب إلى يزيد أو يذهب إلى الثغر أو يرجع إلى بلده، فلم يمكنوه من ذلك حتى يستأسر لهم، ولكنه رضي الله عنه أبى أن يسلم نفسه وأن ينـــزل على حكم عبيدالله بن زياد وقاتل حتى قتل شهيدا مظلوما رضي الله عنه. ولما بلغ ذلك يزيد أظهر التوجع، وظهر البكاء في داره، ولم يسب لهم حريما أصلا، بل جهزهم وأعطاهم وبعثهم إلى وطنهم... المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٦٧.

(٣) في مناقب أهل البيت ص ٥٧٢ والبيهقي في الدلائل ٤٦٨/٦ والحاكم ١٧٧/٣ وابن كثير في البداية ٢٣٠/٦، قلت: وفي إسناده شداد بن عبدالله أبوعمار وإنه لم يسمع من أبي هريرة فكيف يـــمكن أنه سمع من أم الفضل. فالحديث منقطع. ومع ذلك فيه محمد بن متعب صدوق كثير الغلط وروى عن الأوزاعي أحاديث منكرة، قاله الـــحاكم وغيره كما في التهذيب ٤٥٩/٩. ورواه هذا عن الأوزاعي. فالحديث مع انقطاعه ضعيف. والعجب من الحاكم يقول: صحيح الإسناد. ورده الذهبي بقوله: بل منقطع ضعيف. فإن شدادا لم يدرك أم الفضل. ومحمد بن متعب ضعيف. نعم قد روي إخباره ﷺ بقتل سبطه الحسين من طرق.

الـــحادثة الثانية

وقعة الحرة[1]

أخرج أبوداود[2] عن أبي ذر قال كنت رديفا خلف رسول الله ﷺ يوما على حمار. فلما جاوزنا بيوت المدينة، قال كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة جوع؟ تقوم عن فراشك ولا تبلغ مسجدك حتى يجهدك الجوع. قال قلت: الله ورسوله أعلم. قال: تعفف يا أبا ذر. قال: كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة موت تبلغ البيت العبد، حتى إنه يباع القبر بالعبد؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم. قال: تصبر يا أبا ذر. قال: كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة قتل تغمر الدماء أحجار الزيت[3]؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم. قال: تأتي من أنت منه. قال قلت: وألبس السلاح؟ قال: شاركت القوم إذا. قلت فكيف أصنع يا رسول الله؟ قال: إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ناحية ثوبك على وجهك ليبوء بإثمك وإثمه.

الحادثة الثالثة

استحلال مكة بسبب خروج عبد الله بن الزبير

وكان النبي ﷺ أخبر بذلك أيضا[4].

---

(١) في عام ٦٣ من الهجرة، وصل الخبر إلى يزيد بأن أهل المدينة خرجوا على حكمه، فأرسل إليهم جيشا كبيرا. استشهد في هذه المعركة عدد كبير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وحدث هرج ومرج في المدينة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد كتب الإمام الذهبي عن أسباب خروج يزيد: " أما فعله بأهل الحرة، فإنهم لما خلعوه وأخرجوا نوابه، وحاصروا عشيرته أرسل إليهم مرة بعد مرة، يطلب الطاعة فامتنعوا وصمموا، فجهز إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن ينذرهم ويهددهم، فإن أبوا قاتلهم". المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٩٢.

(٢) أبوداود الطيالسي رقم ٤٥٩ وأبوداود (٤٢٦١) كتاب الفتن والملاحم باب النهي عن السعي في الفتنة وابن ماجه (٣٩٥٨) أبواب الفتن باب التثبت في الفتنة وأحمد ١٤٩/٥، ١٦٣ وابن حبان كما في الموارد ص ٤٦٠ والاحسان ٢٤٢/٨ والحاكم ٤٢٣/٤ والبغوي في المصابيح ٤٧٧/٣ أيضا وقال الحاكم: صحيح. وذكره الألباني في صحيح الموارد رقم ١٥٥٩ والإرواء ١٠٠/٨ رقم ٢٤٥١.

(٣) كانت أحجار في المدينة تلمع، فتسمى أحجار الزيت.

(٤) لما أراد يزيد أن يأخذ البيعة لنفسه من أهل المدينة، أنكر عليه بعض كبار الصحابة، منهم سيدنا الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، فخرجوا من المدينة إلى مكة. وانخدع سيدنا الحسين رضي الله عنه لوعد من شيعة الكوفة فتحرك صوبهم واستشهد في وقعة كربلا المشهورة. أما عبدالله ابن الزبير فبقي في مكة وأعلن الخلافة لنفسه، أرسل يزيد جيشا لقتال عبد الله بن الزبير سنة ٦٤ من الهجرة، وقعت معركة في الحرم بين الفريقين انتهكت فيها حرمة الحرم، قيل: أحرق جيش يزيد أستار الكعبة و... مع أن الذهبي في "المنتقى في منهاج الاعتدال ص ٢٩٥" رفض ذلك قائلا: " أما الكعبة فلم تقصد بإهانة، وإنما قصدوا ابن الزبير، ولم يهدم يزيد الكعبة ولا أحرقها باتفاق المسلمين. ولكن طارت إلى الأستار شرارة من نار من امرأة فاحترقت الكعبة فهدمها ابن الزبير وأعاد بناءها".

الحادثة الرابعة

خروج إبراهيم بن الأشتر لمحاربة عبيد الله بن زياد

الحادثة الخامسة

استيلاء المختار على الكوفة

وكان الرسول ﷺ أخبر به بقوله: في ثقيف كذاب ومبير.

١. أخرج الترمذي[١] عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: في ثقيف كذاب ومبير. قال عبد الله بن عصمة: يقال الكذاب هو المختار بن أبي عبيد والمبير هو الحجاج ابن يوسف.

٢. وروى مسلم في الصحيح[٢] حين قتل الحجاج عبد الله بن الزبير قالت أسماء: "إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيرا".

الحادثة السادسة

قتال مصعب للمختار الثقفي

الحادثة السابعة

قتال ضحاك بن قيس لمروان

الحادثة الثامنة

قتال عبد الملك لمصعب بن الزبير

الحادثة التاسعة

ظهور الحجاج بن يوسف الثقفي ومظالمه

وقد كان النبي ﷺ أخبر بها.

وإلى هذه الحروب أشار النبي ﷺ بقوله: "دعاة على أبواب جهنم"[٣].

في أثناء المعركة وصل خبر موت يزيد فتراجع جيشه وبقيت خلافة ابن الزبير إلى عهد عبد الملك بن مروان حيث أرسل جيشا بقيادة حجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٣ من الهجرة، ووقعت معركة استشهد فيها ابن الزبير رضي الله عنه وارتكب حجاج كثيرا من المظالم.

(١) (٢٢٢٠) أبواب الفتن باب ما جاء في ثقيف كذاب ومبير، انظر ما بعده.

(٢) (٦٤٩٦) كتاب فضائل الصحابة باب ذكر كذاب ثقيف.

(٣) طرف من حديث حذيفة في البخاري (٧٠٨٤) الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن الجماعة. راجع ص ٣١٨.

الهدنة الثانية

اجتماع كلمة الأمة على عبد الملك بن مروان

بعد كل هذا الهرج وحيص وبيص استقر الأمر لعبد الملك بن مروان ودان لحكمه جميع أهل الإسلام. واستمر الحكم بعده في أولاده وأحفاده على هذه الطريقة. وقد ورد ذكر حكمهم في عدد من الأحاديث التي منها:

١. أخرج البخاري[١] من حديث أبي هريرة: "هلكة أمتي على أيدي غلمة من قريش".

٢. وأخرج الحاكم[٢] عن أبي ذر سمع النبي ﷺ يقول: " إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولا ومال الله نحلا وكتاب الله دغلا".

٣. وأخرج أبو يعلى والحاكم[٣] عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: " رأيت في النوم بني الحكم ينـزون على منبري كما تنـزو القردة". قال: فما رئي النبي ﷺ ضاحكا مستجمعا حتى توفي.

٤. وأخرج البيهقي[٤] عن ابن المسيب قال: رأى النبي ﷺ بني أمية على منبره فساءه ذلك. فأوحي إليه إنما هي دنيا أعطوها، فقرت عينه.

٥. وأخرج الترمذي والحاكم والبيهقي[٥] عن الحسن بن علي قال: إن رسول الله ﷺ قد رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلا رجلا، فساءه ذلك. فنزلت ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[٦] ونزلت ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ

---

(١) (٧٠٥٨) كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ "هلاك أمتي على يدى أغيلمة سفهاء".

(٢) ٤٧٩/٣ وقال الذهبي: علي ضعف رواته منقطع. وأبو يعلى رقم ٦٤٩٢ إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين كان دين الله دخلا، ومال الله دولا، وعباد الله خولا" وإسناده حسن، والسيوطي في الخصائص ٢/ ٢٤٧ أيضا. والألباني في الصحيحة رقم ٧٤٤.

(٣) أبو يعلى رقم ٦٤٣٠ والحاكم ٤٨٠/٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. والبيهقي في الدلائل ٣٣٢/٤ وابن كثير في البداية ٢٣٤/٦ والهيثمي في المجمع ٢٤٤/٥ وقال: رجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبدالله وهو ثقة. قلت: وإسناده حسن.

(٤) الدلائل ٥٠٩/٦ وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. ومع ذلك هو مرسل أيضا.

(٥) الترمذي (٣٣٥٠) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة ليلة القدر وابن جرير ٢٦٠/٣٠ والبيهقي في الدلائل ٥١٠/٦ والحاكم ١٧١/٣ وقال: هذا إسناد صحيح. ورده الذهبي بقوله: روى عن يوسف نوح بن قيس أيضا. وما علمت أحدا تكلم فيه. والقاسم وثقوه. رواه عنه أبوداود والتبوذكي وأطال الكلام فيه من حيث الإسناد والمعنى. والألباني في ضعيف السنن للترمذي برقم ٦٦٣ وقال ضعيف الإسناد مضطرب، ومتنه منكر.

(٦) سورة الكوثر: ١.

﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[١] يملكها بنو أمية. قال القاسم بن الفضل: فحسبنا ملك بني أمية، فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص.

٦. وأخرج أبوداود[٢] عن عبد الله بن حوالة قال قال رسول الله ﷺ: "يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نـــزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه إلى رأسك".

نكتة دقيقة

التطبيق بين مدح خلافة بني أمية وبين ذمها

وهنا نكتة دقيقة يجب أن تفهمها. وهي أنه ورد في خلافة الشام أحاديث مختلفة بعضها تذمها وأخرى تمدحها. مثل حديث آخر روي عن عبد الله بن حوالة الذي أخرجه أحمد وأبوداود[٣] عن ابن حوالة قال قال رسول ﷺ: سيصير الأمر أن تكونوا جنودا مجندة: جند بالشام، وجند باليمن وجند بالعراق. فقال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك. فقال: عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده. فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم واستقوا من غدركم. فإن الله عز وجل توكل لي بالشام وأهله.

والوجه الذي يرفع هذا التعارض أن أهل الشام لم يكونوا مستحقين للخلافة بأنفسهم. ولما استقرت الخلافة فيهم توجهت العناية التشريعية لتقويتهم لتأيـــيد أمر الجهاد والتعاون على تنظيمه. فحيثما ورد الذم يتوجه إلى ذواقم وحيثما جاء المدح يوجه إلى أمور الملك والجهاد وغيرها. ومن أهل الشام عمر بن عبدالعزيز الذي كان خليفة راشدا وتحلى بالعلم والفضل والزهد، وخلف آثارا محمودة خالدة في العالم؛ منها كتابة علم الحديث وتدوينه، وكذلك إيقاف بدعة سب أهل البيت[٤]. ويصدق عليه قول الرسول ﷺ: يبعث الله على رأس كل مائة من يجدد لها دينها.

---

(١) القدر: ١– ٣.

(٢) راجع ص ٣٠١.

(٣) أبوداود (٢٤٨٣) كتاب الجهاد باب في سكنى الشام وأحمد ١١٠/٤ والحاكم ٥١٠/٤ والطحاوي في المشكل ٥/٢ من طرق عن ابن حوالة. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. وقال الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام حديث رقم ٢: صحيح جدا.

(٤) تطاول بنوأمية في سب سيدنا علي رضي الله عنه وآل بيته إلى درجة أن كثيرا من الخطباء كانوا يطيلون ألسنـــتهم عليهم حتى على المنابر، إلى أن جاء سيدنا عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فنهى الناس عنه، جزاه الله خيرا.

الفتنة الثالثة

ظهور دعاة بني العباس

ولما اقترب انتهاء مدة هذه الهدنة ظهر دعاة بني العباس من قبل خراسان فحدثت حروب وارتكبت مظالم وفظائع شديدة وقتلوا كل من وجدوه من بني أمية أو أعوانهم. وانتشرت هذه الدعوة والحركة في كافة أنحاء الدولة وأطرافها وصار ما صار. بعد هذه الحروب والحوادث آل الحكم لبني العباس واستقر أمرهم. وبذلك انتهت مدة التغير الثالث وبدأ ظهور التغير الرابع.

وهذا التغير الثالث الذي اشتمل على حوادث عظيمة واستمر زمانا طويلا يتسم بوحدة وانسجام خاص كما اتسمت التغيرات المتقدمة بوحدة وانسجام خاص. بناء على ذلك يجوز أن نقول أن للإسلام دولتين لا غير. الدولة الأولى كانت بالمدينة، والثانية كانت بالشام. كما قال النبي ﷺ: الخلافة بالمدينة والملك بالشام.[١] وكذلك جاء في الإسرائيليات في وصف النبي ﷺ: مهاجره طيبة وملكه بالشام.[٢]

فوصفت الدولة الأولى بكونها خيرا وخلافة ورحمة وزمان انتشار الإسلام، بينما وصفت الدولة الثانية بأنها فيها تسبق أيمانهم شهادتهم يفشو الكذب وملك عضوض ويعودون فيها أساود صبا[٣]. وذكر تاريخ الدولة الأولى بقوله تزول رحى الإسلام لخمس وثلاثين سنة[٤] وذكر تاريخ الدولة الثانية بأنها سبعون سنة بعد قيام أمر الهدنة الأولى. ولم يكن سب السلف الصالح في الأولى، وأما الثانية فسبوا فيها السلف الصالح على اختلاف أهوائهم وآرائهم.

في الدولة الأولى كانوا يرجعون في جميع أمورهم الدينية إلى النبي ﷺ أو الخليفة الخاص، ولم يكن هناك اختلاف يعتد به في الدولة في أمور الدين. ولكن **في الدولة الثانية** ظهرت اختلافات ومذاهب ضالة مضلة في أصول العقيدة كالمرجئة والقدرية والخوارج والروافض وفي الفتاوى والأحكام؛ فطائفة تتبع مذهب أهل العراق وأخرى تتبع مذهب أهل المدينة. ولكن لم تكن هذه الاختلافات قد دونت بعد فلم يستحكم أساس النزاع بينهم.

وينبغي أن نعتبر هذه الحالة (الناشئة من التغير الثالث) مع الحالة الأولى (الناشئة من التغير الأول والثاني) بمنزلة نوعين مختلفين في الحقيقة لكن تحت جنس واحد. وإلى هذا الوصف المشترك الذي يجمع بينهما (وهو بمنزلة الجنس) أشار النبي ﷺ بقوله: "لا يزال الإسلام

---

(١) راجع ص ٩٣.

(٢) الدارمي ٥/١ عن كعب ورجاله ثقات والبغوي في شرح السنة ٢١٠/١٣ والمصابيح ٤٢/٤ والخطيب أبو عبد الله في المشكاة باب فضائل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه رقم ٥٧٧١.

(٣) راجع ص ٩٥.

(٤) راجع ص ٩٣، ١٧٩.

عزيزا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش"، وفي رواية: "لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش"، أخرجه الشيخان[١] من حديث جابر بن سمرة.

ويحتاج تحقيق هذا الأمر المشترك الجامع بين الدولتين: دولة المدينة ودولة الشام إلى تفصيل. وهو أن ظهور الدين يتم بأمرين اثنين؛ الأول: الخلافة، والثاني: العلم الذي جاء به النبي ﷺ. أما نقطة اتفاق هاتين الدولتين في أمور الخلافة فمن جهة أن الخليفة كان مستقلا ويتصرف في أمور الملك والرعية دون مقاومة الخارجين عليه وبغير الاعتماد الكلي على أمراء الجيوش على خلاف دولة بني العباس. وأما اتفاقهما من الناحية العلمية فإنه لم تكن المذاهب دونت حتى ذاك الزمان ولم يكن أحد يقول أنه يتبع الشخص الفلاني. ولكنهم كانوا يتبعون أدلة الكتاب بتأويل أصحابهم وكانوا يقولون إن الأمر كذا وكذا بمقتضى الشريعة المحمدية على صاحبها الصلوات والسلام، أخطأوا فيه أم أصابوا. وكان الفقه في ذلك العصر مختلطا بآثار الصحابة والتابعين. وكانوا يأخذون بالمسند والمرسل جميعا.

التغير الرابع

استقرار الدولة العباسية في العراق

والتغير الرابع أو العصر الرابع يبتدئ باستقرار دولة بني العباس في العراق ويستمر نحو أربعمائة سنة. وقد أخبر النبي ﷺ بدولتهم في عدد من الأحاديث التي منها:

١. ما أخرجه الترمذي[٢] عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: يخرج من خراسان رايات فلا يردها شيء حتى تنصب بإيلياء.

والى هذا أشير بفتنة السراء وهو معنى " ثم يكون جبرية وعتوا"[٣].

٢. وأخرج أبوداود[٤] من حديث عبد الله بن عمر قال كنا قعودا عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس. فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: هي هرب وحرب. ثم فتنة السراء ودخنها من تحت قدم رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني. إنما أوليائي المتقون. ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة

---

(١) راجع ص ٢٣٤.

(٢) الترمذي (٢٢٦٩) أبواب الرؤيا باب في العمل في الفتن وأرض الفتن وعلامة الفتن والبيهقي في الدلائل ٥١٦/٦ وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف كما في التقريب ص ١٥٨. والألباني في ضعيف سنن الترمذي رقم ٣٩٥ وضعيف الجامع الصغير رقم ٢٤٣٧ والضعيفة رقم ٤٨٢٥.

(٣) راجع ص ٩٥.

(٤) ١٥٢/٤ وأحمد ١٣٣/٢ والحاكم ٤٦٦/٤، ٤٦٧ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي والبغوي في شرح السنة ١٩/١٥. وقال الألباني في تحقيقه للمشكاة حديث رقم ٥٤٠٣: إسناده صحيح.

الدهيماء لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته. فإذا قيل انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا حتى تصير[١] إلى فسطاطين؛ فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه. فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غد.

قال الخطابي[٢] في قوله فتنة الاحلاس: إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس لدوامها وطول لبثها. يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح: هو حلس بيته وقد يحتمل أن يكون شبهها بالأحلاس لسواد لونها وظلمتها. والحرب ذهاب المال والأهل. يقال: حرب الرجل فهو حريب إذا سلب ماله وأهله. والدخان: يريد أنها تثور كالدخان من قدميه. وقوله "كورك على ضلع" مثل ومعناه الأمر الذي لا يثبت ولا يستقيم. وذلك أن الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله. وإنما يقال في باب الملاءمة[٣] والموافقة إذا وصفوا: هو ككف في ساعد، وساعد[٤] في ذراع ونحو ذلك. يريد أن هذا الرجل غير خليق للملك ولا مستقل به. والدهيماء تصغير الدهماء صغرها على مذهب المذمة لها.

والذي تحقق عند هذا الفقير أن المراد من هذا الحديث أن فتنة الأحلاس هي فتنة بني أمية في الشام، والمراد من الهرب هرب عبد الله بن الزبير من المدينة إلى مكة. والحرب هي مقاتلات الضحاك بن قيس وغيره. وفتنة السراء فتنة بني العباس. ولعلك قرأت في كتب التاريخ قصة عهد إبراهيم العباسي إلى أبي مسلم الخراساني. وأما فتنة الدهيماء فهي فتنة الترك. وقد أشير إليها بقوله: فإذا قيل انقضت تمادت، إشارة إلى استقلال طوائف من الأتراك طبقة بعد طبقة في أرض الروم وفارس.

وبقيت هنا مسألة في غاية الإشكال أن الحديث الذي رواه ابن ماجه وأشير فيه إلى خروج أبي مسلم من خراسان قيل لذلك الخليفة المهدي وورد الحث على نصرته، وقد أثار الخوارج إعتراضا عليه أيضا.

٣. أخرج ابن ماجه[٥] من حديث علقمة عن عبد الله بن مسعود قال بينما نحن عند

---

(١) وعند أبي داود: حتى يصير الناس إلى ......

(٢) راجع المعالم مع المختصر للمنذري ١٣١/٦ وأخذ الإمام المؤلف كلامه هذا من شرح السنة.

(٣) في المعالم: الملامة.

(٤) في المعالم: وكساعد.

(٥) (٤٠٨٢) أبواب الفتن باب خروج المهدي، والعقيلي ٣٨١/٤ ومن طريقه الذهبي في الميزان ٤٢٣/٤، وأبو يعلى مختصرا بعضه رقم ٥٠٦٢ وذكره الهيثمي في المجمع ٣١٦/٧ ولم ينسبه لأحد وقال: فيه يزيد بن أبي زياد وهو لين وبقية رجاله ثقات. قلت: بل هو ضعيف. كبر فتغير فصار يتلقن. وكان شيعيا كما في التقريب ص ٥٥٨ وقال أبو أسامة في حديث يزيد هذا: لو حلف عندي خمسين يمينا قسامة ما صدقته. أهذا مذهب علقمة؟ أهذا مذهب عبد الله كما في الميزان والعقيلي. والألباني في

رسول الله ﷺ إذ أقبل فتية من بني هاشم. فلما رآهم النبي ﷺ اغرورقت عيناه وتغير لونه. قال فقلت: ما نــزال نرى في وجهك شيئا نكرهه. فقال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا. وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رآيات سود. فيسئلون الخير فلا يعطونه. فيقاتلون فينصرون. فيعطون ما سألوا. فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملأها قسطا كما ملؤوها جورا. فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج.

٤. وأخرج ابن ماجه[1] عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ: يقتتل عند كنــزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة. ثم لا يصير إلى واحد منهم. ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم. ثم ذكر شيئا لا أحفظه فقال فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج. فإنه خليفة الله المهدي.

٥. وأخرج ابن ماجه[2] عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله ﷺ يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي. يعني: سلطانه.

والتحقيق في هذه الأحاديث الثلاثة عند هذا الفقير أن المراد من المهدي فيها هو الخليفة العباسي لا الإمام المهدي الذي سيظهر في آخر الزمان. وإنما سمى المهدي وخليفة الله مع الحث على نصرته وتأييده لأنه كان تقرر استقرار خلافة هذه الطائفة في قضاء الله وقدره الذي لا تبديل فيه. فمعنى المهدي أنه سيهتدي إلى التدابير المؤدية إلى خلافته على خلاف الخوارج الذين ضاعت تدابيرهم سدى و لم يظفروا إلا بالهرج والمرج.

ومعنى كونه خليفة الله أن خلافته تقررت في قدر الله. فيجب طاعته وعدم مخالفته. لأن أهم أهدافه حسم النــزاع وتقليل الهرج والمرج. فالخلافة المستقرة وإن كان صاحبها كورك على ضلع خير من الخلافة المضعضعة وإن كان صاحبها أفضل. لأن ثمرة التشريع تقليل المفاسد وتعيين الوجه إلى حصول الغاية المقصودة في أقل وقت.

كان أمر الخليفة في أوائل الدولة العباسية ينفذ في أطرافها. ثم ضعف حكمهم بعد المعتصم بالله، واستقل السلجوقيون إلى أن صارت الدولة صورة لا حقيقة لها. وخرج عليها

ضعيف سنن ابن ماجه رقم ٨٨٦.

(١) (٤٠٨٤) أبواب الفتن باب خروج المهدي، والحاكم ٤/٤٦٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأقره الذهبي والبيهقي في الدلائل ٦/٥١٥، وفي إسناده أبو ملابة الرقاشي صدوق تغير حفظه كما في التقريب ص ٣٤. وروي من وجه آخر هو أضعف منه. راجع البيهقي. والألباني في ضعيف سنن ابن ماجه رقم ٨٨٧ والضعيفة رقم ٨٥.

(٢) (٤٠٨٨) أبواب الفتن باب خروج المهدي وفي إسناده عبد الله بن لهيعة وفيه مقال معروف. والألباني في ضعيف سنن ابن ماجه رقم ٨٨٩ والضعيفة رقم ٤٨٢٦ وضعيف الجامع الصغير رقم ٦٤٢١.

العبيديون في مصر، وسبب خروجهم فتنة عظيمة، واستولت النصارى على الشام. ثم زالت شوكة العبيديين وأخرجت النصارى من الشام أيضا. ثم تغلب الأتراك الجنكيزيون على خراسان. وأخيرا اختل حكم الخليفة العباسي وانقضت دولة العرب واستولى العجم على الدولة في كافة أطرافها. وبذلك ابتدأ التغير الخامس.

التغير الخامس

دولة العجم

في أيام الدولة العباسية قامت مذاهب الأصول والفروع ونضجت. ودون أصحاب مذاهب الفقه الإسلامي الحنفي والشافعي والمالكي كتبهم. وفي الأصول امتاز المعتزلة والشيعة والجهمية بعضهم عن بعض. وفي هذا العصر تم نقل العلوم اليونانية إلى اللغة العربية كما نقل إليها تاريخ الفرس. وبذلك كان كل منهم مسرورا بمذهبه.

حتى نهاية دولة الشام لم يكن أحد يسمي نفسه حنفيا أو شافعيا. ولكنهم كانوا يؤولون الأدلة على مذهب أصحابهم. أما في دولة العراق فاتخذ كل منهم اسما خاصا له فلم يكونوا يحكمون بأدلة الكتاب والسنة ما لم يجدوا تصريحا من أصحاب مذاهبهم. واستحكمت الاختلافات الناشئة عن تأويل الكتاب والسنة. وإن كانت الدولة العباسية يختلف أولها وأوسطها وآخرها لكنها مضت على تأسيس المذاهب وتفريعها والتخريج عليها.

وينبغي أن تعتبر هذه الحالة بالنسبة للحالتين الأوليين جنسين سافلين تحت جنس عال واحد. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار هذا الأمر المشترك بينهما، كما أخرجه أبو داود[1] من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم. قيل لسعد: كم نصف يوم؟ قال: خمسمائة سنة.

وتفصيل ذلك أن الخلافة في دولة المدينة والشام والعراق بقيت في قريش. وكان أمر العرب ينفذ في كافة أطراف الدولة ونواحيها ولو بحسب الصورة والظاهر. وكانت مدة هذه الدولة خمسمائة سنة. وأريد بالأمة في هذا الحديث القوم والقبيلة. وبنهاية هذه المدة انقرضت دولة قريش وزالت شوكة العرب. وساد الأعاجم وصاروا رؤساء المحافل وملوك البلدان. واستوطن الناس مدنا مختلفة واعتنقوا مذاهب متنوعة. واتخذ كل منهم مذهبه أصلا يتبعه ويسير عليه. وصار المذهب الذي كان قد استنبط فيما مضى سنة مستقرة وانحصر علمهم في التخريج على التخريج والتفريع تلو التفريع وكانت دولة هؤلاء مثل دولة المجوس إلا أنهم يصلون وينطقون

(١) راجع ص ٣٤٩.

كلمة الشهادة.

وقد ولدنا خلال هذا التغير الخامس ولا ندري ما الله يريد بعده. وهذا آخر الباب الخامس.

الباب السادس

آيات القرآن الكريم التي فيها عموم وتعريضات بصفات الخلافة الخاصة وتدل على خلافة الخلفاء الأربعة وسماتهم وفضائلهم وتضحياتهم والآيات التي نــزلت فيهم أو وافقتهم أو التي كانوا من أسباب نــزولها.

ملاحظة

خلا هذا الباب الطويل والمهم من أية عناوين جانبية على تفسير الآيات الكريمة التي ذكرها المؤلف الإمام في فضائل الصحابة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فيه. فرأى المترجم وضع عناوين مناسبة على المطالب والمسائل المهمة تسهيلا لفهمها للقارئ الكريم. فهي من وضع المترجم محمد بشير عفا الله عنه.

يتشعب علم الحديث بطبعه إلى خمسة فنون:

(١) **فن السنن**؛ ويعتبر أقواها من حيث السند مثل الموطأ، وجامع سفيان. ويليه:

(٢) **فن السيرة**: مثل كتاب محمد بن إسحاق وكتاب موسى بن عقبة، وتعد أبواب الشمائل من ضمنه.

(٣) **وفن التفسير**: مثل تفسير عبد الرزاق وتفسير البخاري والترمذي وابن ماجه والحاكم وغيرهم.

(٤) **وفن الزهد والرقاق**: منه كتاب الزهد لابن المبارك من المتقدمين وكتاب قوت القلوب وفروعه من المتأخرين، وتدخل أبواب الفتن وأشراط الساعة والبعث والجنة والنار في إطار هذا الفن.

(٥) **وفن معرفة الصحابة** مثل الاستيعاب، ويشمل مناقب الصحابة كذلك.

ويمكن أن نخرّج أكثر الأحاديث في فنين أو ثلاثة، ولذا يمكن عدها في أي من هذه الفنون. والكتب التي وضعت في هذا الباب عالج بعضها فنا واحدا وأخرى فنين أو ثلاثة...

غايتنا الأساسية في هذا الباب استخراج أدلة الخلافة الخاصة وبراهين خلافة الخلفاء وسوابقهم من الأحاديث والآثار الواردة في علم التفسير، واستخراج ما ورد عنهم في تفسير القرآن، والذكر والمواعظ وغيرها مما نقل عنهم تحت الآيات العامة والتعريضات. يشترط في الاستدلال بالإشارات أن تجتمع جميع القرائن النقلية والحالية على الجزم واليقين بأن هذه الإشارات كلها تقف على وجود شخص ما صفته كذا وكذا في هذا الموقف...

أما إذا كان الكلام عاما وتاما ولا تتشابه فيه قرائن الحال مع الشخص المذكور فلا يمكن الاستدلال به؛ ولكننا مع ذلك نذكره -أحيانا- لنشير إلى أن قائله من الصحابة أو التابعين يقر ويعترف بفضل الخلفاء، وينسكب قوله وأثره هذا في سلك الإجماع المنعقد في احترامهم وتبجيلهم.

آية سورة الفاتحة

(١) الصراط المستقيم منهج الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهج خلفائه

قال أبوالعاليـــة والحسن في تفسير قوله تعالى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[1]: أي رسول الله وصاحباه[2].

---

(١) سورة الفاتحة: ٦.

(٢) ابن جرير ١/٧٥ وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن عدي وابن عساكر كما في الدر ١/١٥ وصححه ابن كثير ١/٢٨. والحاكم عن ابن عباس نحوه وقال ٢/٢٥٩: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

يقول العبد الفقير -عفا الله عنه: يمكن أن نفهم هذا القول في ضوء أن الله عز وجل بين الصراط المستقيم بقوله ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، وفي موضع آخر بين حال من أنعم عليهم وهم ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[١]، وقد استفاض عن رسول اللهﷺ حديثه بأن أبابكر صديق وعمر شهيد[٢]، وكذلك بين غايته الأصلية من قوله هذا بقوله: "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر"[٣]. فيمكن أن نستدل بهذه الآية على أن الله عز وجل يعلّم عباده بأن يسألوه في دعواتهم الهداية إلى الصراط المستقيم، وثبت مما أشرنا إليه أن الصراط المستقيم هو طريقة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وبهذا يلزم أن يكونا هما خليفتي الرسول ﷺ من بعده لأن خليفته الخاص هو الذي يتخذ الصراط المستقيم منهجاً وقد لفتت الشريعة الأنظار إليه.

آيات سورة البقرة

(٢) النجاة في طاعة الخليفة الذي اصطفاه الله

قال تعالى ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[٤].

يقص الله عز وجل قصص الأنبياء السابقين وأممهم في القرآن الكريم ليعتبر ويتعظ منها اللاحقون، فيتضح لنا من هذه الآية مسائل عديدة في باب الخلافة الخاصة (خلافة النبوة) وهي:

المسألة الأولى: إذا سيطر الكفار على المسلمين وجب الجهاد لطردهم، أو إذا حان وقت الفتح الموعود -في حالة وجوب الجهاد ابتداء- لا يكفي الأخذ بالعُدة والعدة ووجود التنظيم من الرئيس والمرؤوس لنيل ما قدره الله لهم من النصر والفتح فحسب، بل يجب أن يتولى الإمارة من كتب الفتح باسمه. فإذا وصل الأمر إلى هذا وتبين شخصه يجب استخلافه وتعيينه الخليفة الخاص المنصوص في قضاء الله وحكمه.

كما ذكر الله تعالى مثال بني إسرائيل إذ غلبتهم العمالقة من وراء قادتهم وأولادهم ونُهبت ديارهم وكُسرت شوكتهم، ولم يكونوا مؤهلين للفتح، استخلف الله عليهم طالوت ملكا، وأمر نبيه بأن يتبين من أمره بالآيات والعلامات المشيرة إليه ويعلن الخلافة باسمه.

---

(١) سورة النساء: ٦٩.

(٢) راجع ص ٥٨، وقد روي عن عثمان وسعيد بن زيد وابن عباس وسهل وبريدة رضي الله عنهم، راجع التحفة ٣١٩/٣.

(٣) راجع ص ٦٣.

(٤) سورة البقرة: ٢٤٧.

المسألة الثانية: وإذا استقرت الخلافة بنص من الشارع سبحانه وتعالى لشخص ما يُعد الخروج على طاعته وبث الشكوك الواهية والأدلة الزائفة في عدم أولويته بهذا المقام ذنبا ومعصية، على غرار ما فعله بنو إسرائيل إذ قالوا ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ أي لطالوت، مع أنه كان من صلب بني إسرائيل! لكنه لم يكن من أسرة الملوك بل كان دباغا أو سقاء، لكن الله عز وجل لم يلتفت إلى كلامهم و لم يرتض ذلك منهم.

المسألة الثالثة: أن الأصل في تولي الخلافة هو استقرار الغيب أو القدر بأن يرقم الفتح باسم ذلك الشخص وحنكته ودهائه، وأن استخلاف الله عز وجل له يعد اصطفاء له. وليس أساس هذا الاختيار مبنيا على الصفات التي قد يعتبرها العامة صفات مدح من المال والحسب بل على الصفات التي تؤهله للقيام بالأمر المستخلف فيه لتطمئن به قلوب الناس، كما كان في استخلاف طالوت، فلم يلتفت إلى قلة ماله و لم يحقره بسقايته بل ذكر البسطة في العلم والجسم من صفاته التي تؤهله لهذا المقام وذلك لتطمئن نفوس القوم وتقر به أعينهم، والله تعالى أعلم.

(٣) اختار الله رسوله واختار أمته

قال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١].

وقال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٢].

وقال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٣]... الآية.

(٤) نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته مكتوب في التوراة

(١) وأخرج البغوي[٤] عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: إن هذه الأمة تُوْفي سبعين أمة هي خيرها وأكرمها على الله عز وجل".

(٢) وأخرج الدارمي[٥] عن كعب في السطر الأول: "محمد رسول الله عبدي المختار؛

(١) سورة البقرة: ١٢٧- ١٢٩.
(٢) سورة البقرة: ١٤٣.
(٣) سورة آل عمران: ١١٠.
(٤) راجع ص ١٢٣.
(٥) ٥/١ ورجاله ثقات.

لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام". وفي السطر الثاني: "محمد رسول الله أمته الحمادون؛ يحمدون الله في السراء والضراء يحمدون الله في كل منـــزلة ويكبرونه على كل شرف، رعاة الشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة ويأتزرون على أوساطهم ويوضئون أطرافهم وأصواهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل".

(٣) وأخرج الدارمي[١] عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال كعب: نجده محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر إلى طابة ويكون ملكه بالشام وليس بفحاش ولا سخاب في الأسواق ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، أمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء ويكبرون الله على كل نجد، يوضئون أطرافهم ويأتزرون في أوساطهم يصفّون في صلواتهم كما يصفّون في قتالهم، دويهم في مساجدهم كدوي النحل، يسمع مناديهم في جو السماء"[٢].

قوله تعالى ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أن يطهر المهاجرين والأنصار على يد رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يطهر سائر الأمم بأيدي المهاجرين والأنصار.

(٥) اختار الله رسوله واختار خلفاءه

وقوله تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ .... فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٣] الآيتين.

(١) أخرج البغوي[٤] عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام فأنـــزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، فلا تُقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان.

(٢) وأخرج البغوي[٥] عن عبد الله بن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة؛ إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها

---

(١) ٦/١.

(٢) هذه الروايات تؤيد قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ...﴾ الآية رقم ١٤٦ من سورة البقرة.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٥- ٢٨٦.

(٤) المعالم ١/٢٧٥ والترمذي (٢٨٨٢) والدارمي ٢/٤٤٩ وابن حبان كما في الموارد ص ٤٢٧ والحاكم ٢/٢٦٣ وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٥) المعالم أيضا.

وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾[١]، قال: فراش من ذهب، قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثا؛ الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات[٢].

أول ما ظهر وجه الرسول ﷺ في الأزل نبيا مبعوثا من عند الله عز وجل ظهرت بجانبه أمته، لأن أمر النبوة أمر إضافي لا يتحقق إلا إذا وجدت الأمة! كما قيل: شرفت يد السلطان الصولجان بالضرب ولكن ما فائدة الصولجان في المباراة إذا لم تكن كرة؟!

وظهر الذين كانوا روابط ووسائط بين الرسول ﷺ وبين أمته وهم ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، فحدث أن ارتقى وظهر الدين، ثم انحط وسقط ونقص. فإنك إن تصورت كرة متحركة يلزم من ذلك تصورك للمحور والقطبين والدائرة الكبيرة تلقائيا، سواء قصدت أم لم تقصد -أو من حيث تدري أو لا تدري- ولذا كلما ذكر خاتم النبيين ﷺ في الكتب السماوية ذكرت مواصفات أمته وأن مآلهم إلى المغفرة وأنهم يكلفون بشريعة سهلة سمحة. وصوّر هذا كله في قالب من الدعاء والإجابة، والله تعالى أنزل هاتين الآيتين ليكشف هذه الأسرار لرسوله ﷺ وأمته. فكل ما كان مقدرا في الأزل ظهر كما ينبغي أن يظهر، وما لم يظهر لم يكن مقصودا، بل لم يكن إلا وهما وتخيلا كأنياب الغول والإنسان صاحب الرؤوس العشرة.

فقد هلك من زعم أن الله قد قضى بخلافة شخص ما، بيد أن غيره مسك مقاليد الخلافة على أرض الواقع!

إذا قلت: ترد الفتن على قضاء الله عز وجل، فما يحكم ويدار به الواقع غير ما حكم به الله عز وجل! فأجيب على هذه الشبهة بأن الذي نحن نتدارسه هو صورة التشريع الإلهي الذي هو من رحمته تعالى ومنّه على خلقه أي رسالة الرسول ﷺ وإقامة أمة الرحمة تحت قيادته، لا الفتن والمعاصي واتباع الشهوات، وشتان ما بينهما!

(٦) مدح الخلفاء الأربعة وبشارتهم بدرجات عظيمة

قال الله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[٣].

وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) سورة النجم: ١٦.
(٢) المقحمات: أي تلك السيئات والذنوب التي تؤدي إلى النار.
(٣) سورة البقرة: ٢٠٧.

﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

وقال سبحانه وتعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(٢)].

تقسم الأعمال التي تقرب العباد إلى الله عز وجل إلى قسمين:

قسم يتساوى فيه جميع البشر بكل مللهم ونحلهم وتتقرب به البشرية إلى الله عز وجل في جميع الأزمان ويسمى "البر الحقيقي". قال تعالى ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ ....﴾[(٣)] الآية.

وقسم آخر من هذه الأعمال التي يختص بها بعض الملل دون بعض، فهي مناط قرب ومدارج فضل لبعض الأمم دون غيرها، منها الهجرة والجهاد.

والقرآن الكريم كثيرا ما ذكر هذه الفضائل والأعمال وشرحها وفصلها وعلق بها الارتقاء إلى الدرجات العلى في الدنيا والآخرة. وهذا الأمر أوضح من أن تسرد له حجج وبراهين، غير أن الحق قد اختفى بسبب شيوع العلوم الأجنبية بين المسلمين، لذا رأينا أن نسرد هنا بعض الأدلة.

منها (١) قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى ...﴾ الآية.

فذكر الحق سبحانه وتعالى فريقين متضادين، وقد أثنى على فريق وذم الآخر، وذكر من أوصاف الفريق الأول أنهم يقدمون نفوسهم مرضاة لله ويخوضون غمار المهالك.

و(٢) قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ ...﴾ نص صريح في فضل المهاجرين والمجاهدين.

و(٣) يفهم من قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ...﴾ الآية، كما هو الشائع في العرف، كثرة الإنفاق في مجالات الخير مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى.

ولا يخفى على أحد أن الخلفاء رضوان الله عليهم أجمعين بذلوا أرواحهم طلبا لمرضاة الله عز وجل. فهذا أبوبكر الصديق ﷺ شارك الدعوة إلى الله عز وجل في مكة وقد ضُرب وشُتم وأُوذي في الله كثيرا، ورافق الرسول ﷺ في رحلة الهجرة في وقت أرسل الكفار أناسا في طلبهما وأعلنوا جائزة كبيرة لمن يعثر عليهما. وكذلك عمر ﷺ آمن قبل الهجرة وضُرب وأُوذي في الله وقد ظهرت شجاعته وتضحيته في أحداث الهجرة. وعلي المرتضى ﷺ قدم حياته فداء للرسول

(١) سورة البقرة: ٢١٨.
(٢) سورة البقرة: ٢٧٤.
(٣) سورة البقرة: ١٧٧.

ﷺ وبات على فراشه ليلة الهجرة وكان يدرك أن الكفار لو هجموا عليه لن ينجو منهم. وعثمان رضي الله عنه تحمل من عمه ومن قومه أذى كثيرا، وكل هذا لم يستطع أن يفك عقد الإيمان من عنقه، وقد هاجر مرتين؛ الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة. وبعد هذا كله، مع قلة الأحباب وكثرة الأعداء، وقفوا كلهم يقاتلون لإعلاء كلمة الله تحت راية رسول الله ﷺ. وقد قدموا أمثلة رائعة في بذل نفوسهم وأموالهم في سبيل الله. فهم ممن يدخلون تحت هذه الآيات الكريمة بل هم على رأس القائمة والمقصود من الآيات لا محالة.

وإذا قال جاحد متعصب: إن هذه الآيات عامة وتحتمل أناسا آخرين!

نقول: أجل! قصر العام على الخاص له شروط وضوابط، لكن إخراج من تحققت فيه هذه الأوصاف بصورة أبلغ وأشهر من الرعيل الأول الذين تقع الأنظار عليهم عند سماع الآيات من هذا العموم ليس من لغة العرب، ولا يقول به إلا الجاهل بالبلاغة، ولا يفهم هذا الفهم إلا الهمج، ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[1].

وإذا عاد المتعصب قائلا: إن هذه الفضائل كانت ثابتة في هؤلاء الناس إلا أن ارتكابهم لبعض المعاصي أحبط أعمالهم وأضاع فضلهم.

نقول: هذا تضليل أقبح من الأول، لأنه يعني أن هذه الآيات التي تتلى ويتعبد بها في الصلوات والأذكار والطاعات منذ بزوغ فجر الإسلام والتي ستبقى قائمة إلى قيام الساعة لا يراد منها ظاهرها، فهذا تدليس وخداع عظيم لكل الأزمان ولكل البشر! تعالى الله عنه علوا كبيرا.

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾[2]، قال: كما آمن أبوبكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ[3].

يقول العبد الفقير: مع أن هذا الأثر سنده ضعيف، لكن معناه قوي ويشمله قوله تعالى ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي سبق أن أفضنا القول فيه.

(٧) نـزول الآية موافقة لعمر رضي الله عنه

قوله تعالى ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]. هذه الآية من موافقات عمر ﷺ.

---

(١) سورة النور: ١٦.
(٢) سورة البقرة: ١٣.
(٣) ابن عساكر بسند واه، كما في الدر ١/ ٣٠.
(٤) سورة البقرة: ٩٧.

(١) كما روي عن الشعبي وعكرمة وقتادة وعبدالرحمن بن أبي ليلى والسدي[١]. وهو من المراسيل الصحيحة لاستفاضة طرقه عن عكرمة. قال: كان عمر يأتي اليهود ويكلمهم. فقالوا: إنه ليس من أصحابك أحد أكثر إتيانا إلينا منك، فأخبر من صاحب صاحبك الذي يأتيه بالوحي؟ فقال: جبريل. قالوا: ذاك عدونا من الملائكة ولو أن صاحبه صاحب صاحبنا لاتبعناه. فقال عمر: من صاحب صاحبكم؟ قالوا: ميكائيل. قال: وما هما؟ قالوا: أما جبريل فينـــزل بالعذاب والنقمة وأما ميكائيل فينـــزل بالغيث والرحمة وأحدهما عدو لصاحبه. فقال عمر ﷺ: وما منـــزلتهما؟ قالوا: هما من أقرب الملائكة منه، أحدهما عن يمينه –وكلتا يديه يمين– والآخر عن الشق الآخر. قال عمر ﷺ: لئن كانا كما تقولون ما هما بعدوين. ثم خرج من عندهم، فمر بالنبي ﷺ فدعاه فقرأ عليهم ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ...﴾ الآية. فقال عمر ﷺ: والذي بعثك بالحق إنه الذي خاصمتهم به آنفا.

(٢) وأخرج الحاكم[٢] عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ: "وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ومن أهل الأرض أبوبكر وعمر".

(٣) وأخرج الطبراني[٣] بسند حسن عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال: إن في السماء ملكين أحدهما يأمر بالشدة والآخر يأمر باللين وكل مصيب، فذكر جبريل وميكائيل، ونبيان أحدهما يأمر باللين والآخر يأمر بالشدة وكل مصيب وذكر إبراهيم ونوحا، ولي صاحبان أحدهما يأمر باللين والآخر بالشدة وكل مصيب وذكر أبابكر وعمر.

(٤) وأخرج البزار والطبراني في الأوسط والبيهقي في الأسماء والصفات[٤] عن عبد الله ابن عمرو قال: جاء فـــئام من الناس إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله زعم أبوبكر أن الحسنات من الله والسيئات من العباد، وقال عمر: الحسنات والسيئات من الله. فتابع هذا قوم وتابع هذا قوم، فقال رسول الله ﷺ: لأقضين بينكما بقضاء إسرافيل بين جبريل وميكائيل، إن ميكائيل قال بقول أبي بكر وقال جبريل بقول عمر. وقال جبريل لميكائيل: إنا متى يختلف أهل

---

(١) حديث الشعبي رواه ابن أبي شيـــبة وابن راهويه وابن جرير ٤٣٥/١ وابن أبي حاتم، وإسناده صحيح، لكن الشعبي لم يدرك عمر. وأما حديث عكرمة فرواه ابن عيـــينة، وأما حديث قتادة فرواه ابن جرير ٤٣٤/١. وأما حديث ابن أبي ليلى فرواه ابن جرير ٤٣٥/١ وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأما حديث السدي فرواه ابن جرير أيضاً. راجع الدر ٩٠/١.

(٢) أيضا راجع ص ٦٤.

(٣) المعجم الكبير ٣١٥/٢٣ وقال الهيثمي في المجمع ٥١/٩: رجاله ثقات.

(٤) الأسماء والصفات ٢٥٩/١، وقال الهيثمي في المجمع ١٩٢/٧: رواه الطبراني في الأوسط و البزار بنحوه، و في إسناد الطبـــراني عمر بن الصبـــح و هو ضعيف جدا، وشيخ البزار السكن بن سعيد و لم أعرفه، وبقية رجال البزار ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر.

السماء يختلف أهل الأرض فلنتحاكم إلى إسرافيل. فتحاكما إليه فقضى بينهما بحقيقة القدر وخيره وشره وحلوه ومره كله من الله، ثم قال: يا أبابكر إن الله لو أراد أن لا يعصى لم يخلق إبليس، فقال أبوبكر: صدق الله ورسوله.

(٨) نـــزول الآية موافقة لعمر رضي الله عنه

وقوله تعالى ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ...﴾[١] الآية.

هذه الآية أيضا من موافقات عمر ﷺ، فقد أخرج البخاري والترمذي وغيرهما[٢] عن عمر ﷺ قال: وافقت ربي في ثلاث؛ أو وافقني ربي في ثلاث. قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنـــزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ...﴾ الحديث.

فمن قيام عمر بحفظ شعائر الله عزوجل إعادته مقام إبراهيم إلى مكانه بعدما دحرجته السيول، كما روي عن سفيان بن عيينة عن حبيب بن أبي الأشرف قال: كان سيل أم نهشل قبل أن يعمل عمر الردم بأعلى مكة، فاحتمل المقام عن مكانه، فلم يدر أين موضعه؟ فلما قدم عمر سأل من يعلم موضعه، فقال عبد المطلب بن أبي وداعة: أنا يا أمير المؤمنين، قد كنت قدرته وذرعته بمقاط وتخوّفت عليه هذا من الحجر والركن إليه ومن وجه الكعبة. فقال: إيت به، فجاء به فوضعه موضعه هذا. وعمل عمر الردم عند ذلك، قال سفيان: فذلك الذي حدثنا هشام بن عروة عن أبيه أن المقام كان على شفع البيت، فأما موضعه الذي هو موضعه الآن وأما ما يقول الناس أنه كان هناك موضعه، فلا[٣]. قلت: (المِقاط بالكسر حبل صغير شديد الفتل والجمع مقط).

(٩) انطباق الآيات على الخلفاء

(١) عن عمر في قوله تعالى ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[٤] قال: إذا مرّ بذكر الجنة سأل الله الجنة وإذا مر بذكر النار تعوذ بالله من النار[٥].

(١٠) كان عثمان من كتّاب القرآن الكريم

(٢) وروي من طـــرق متعـــددة أن المصريين لـــما دخلوا على عثمان كان المصحف بين يديه فضربوه بالسيف على يديه فجرى الدم على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

---

(١) سورة البقرة: ١٢٥.
(٢) راجع ص ٦٠.
(٣) الأزرقي في أخبار مكة برقم ٥٩٩ وذكره السيوطي في الدر أيضاً ١/١٢٠.
(٤) سورة البقرة: ١٢١.
(٥) ابن أبي حاتم كما في الدر ١/١١١.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾[١]، فقال عثمان: والله إنها لأولى[٢] يد خطّت المفصّل. قيل: فما مات منهم رجل سويّا[٣]،[٤].

(١١) نــزول الآية في عمر رضي الله عنه

(٣) وروى أحمد وأبوداود[٥] من حديث معاذ بن جبل كان عمر ﷺ أصاب من النساء بعدما نام فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فأنــزل الله تعالى:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[٦].

(٤) وأخرج الطبراني في الأوسط عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ذاكر الله تعالى في رمضان مغفور له وسائل الله لا يُخيَّب[٧].

(١٢) تفسير الخلفاء لآيات الحج

(١) وعن عمر في قوله تعالى ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ﴾[٨] قال: شوال وذوالقعدة وذو الحجة"[٩].

(٢) وعن عمر ﷺ: افصلوا بين حجكم وعمرتكم، اجعلوا الحج في أشهر الحج واجعلوا العمرة في غير أشهر الحج، أتم لحجك وعمرتك.

(٣) وعن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال في خطبته: الصدق أمانة والكذب خيانة، والكَيس الـتُّقى والعجز الفجور[١٠]،[١١].

---

(١) سورة البقرة: ١٣٧.

(٢) وفي الدر: لإنها أول.

(٣) وكأن سقوط الدم على هذه الآية إشارة غيبية إلى أنه لن يضيع سدى وأن الله سيثأر به.

(٤) ابن أبي داود في المصاحف، وابن بشران وأبونعيم في الـمعرفة، وابن عساكر كما في الدر ١/١٤٠. قلت: لم أجده في المصاحف. والله أعلم.

(٥) أبوداود (٥٠٦) كتاب الصلاة باب كيف الأذان. وأحمد ٥/٢٤٦.

(٦) سورة البقرة: ١٨٧.

(٧) الهيثمي في المجمع ٣/١٤٣ وقال: فيه هلال بن عبد الرحمن وهو ضعيف. وذكره المتقي في الكنـز أيضاً رقم ٢٣٦٧٦.

(٨) سورة البقرة: ١٩٧.

(٩) سعيد بن منصور وابن المنذر كما في الدر ٢١٨/١.

(١٠) النشاط والاستعداد يؤديان إلى التقوى، والعجز والكسل ينتهيان إلى الفجور والضلال.

(١١) الأصبهاني في الترغيب كما في الدر ٢٢١/١ وروى ابن إسحاق في خطبة أبي بكر رضي الله عنه

(٤) وعن عمر ﷺ أنه كتب إلى ابنه عبد الله ﷺ: أما بعد؛ فإني أوصيك بتقوى الله فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نصب عينك وجلاء قلبك، واعلم؛ أنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسنة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خلق له[١].

(٥) وأخرج الشافعي[٢] في الأم عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب حين دفع من عرفة قال:

إليك تعدو قلقا وضينها مخالفا لدين النصارى دينها

(٦) وأخرج البيهقي[٣] عن أبي هريرة أن رجلا مرّ بعمر بن الخطاب وقد قضى نُسكَه، فقال له عمر: أحججت؟ قال: نعم، فقال له: اجتنبتَ ما نُهيت؟، قال: ما ألوتُ. قال عمر: استقبل عملك.

(٧) قيل لعطاء بن أبي رباح: أ بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يستأنفون العمل، يعني الحجاج؟ قال: لا، ولكن بلغني عن عثمان بن عفان وأبي ذر الغفاري رضي الله عنهما ما لا يستقبلون العمل[٤].

(٨) وعن سالم عن أبيه عن عمر سمعت النبي ﷺ قال يقول الله تبارك وتعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيه أفضل ما أُعطي السائلين[٥].

"الصدق أمانة والكذب خيانة ..." وإسناده صحيح كما في البداية ٣٠١/٦ وروى ابن سعد ١٨٣/٣ خطبته من طريق عروة وفيه: اعلموا أن أكيس الكيس التقوى وأن أحمق الحمق الفجور. وابن الجوزي في الصفوة ٢٦٠/١ أيضاً.

(١) المحب الطبري في الرياض النضرة ٨١/٢، ٨٢ والسيوطي في الدر ٢٢١/١ وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب التقوى.

(٢) قال الشافعي: أخبرنا الثقة ابن أبي يحيى أو سفيان أو هما عن هشام بن عروة عن أبيه أن عمر رضي الله عنه كان يحرك في محسر ويقول ... الخ. كما في مسند الشافعي ص ٣٧٣ وأيضاً مسنده بترتيب الشيخ محمد عابد رقم ٩٢٨. والبيهقي في السنن ١٢٦/٥ أيضاً. والطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من عرفات وهو يقول: ... الخ. وفي إسناده عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف. وقال الطبراني: المشهور في الرواية عن ابن عمر أنه أفاض من عرفات وهو يقول...الخ. كما في المجمع ٢٥٦/٣. وعزاه السيوطي في الدر ٢٢٣/١ إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور أيضاً.

(٣) شعب الإيمان برقم ٤١١٨.

(٤) شعب الإيمان برقم ٤١١٧ مثله، غير أنه ذكر في آخره: "إنهما قالا: يستقبلون العمل" بدل "ما لا يستقبلون العمل".

(٥) البخاري في خلق أفعال العباد ص ٦٩، وفي إسناده ضرار بن صرد وشيخه صفوان بن أبي الصهبا، ضعيفان. وذكره السيوطي في الدر ٢٢٨/١ وعزاه للبيهقي في الشعب. راجع سلسلة الضعيفة ٥٠٦/٣.

(٩) وعن ابن أبي نـــجيح سئل ابن عمر عن صوم عرفة فقال: حججت مع النبي ﷺ فلم يصمه، ومع أبي بكر فلم يصمه، ومع عمر فلم يصمه، ومع عثمان فلم يصمه وأنا لا أصومه ولا آمر به ولا أنهى عنه[١].

(١٣) نـــزول الآية في صهيب الرومي

(١٠) وروى صهيب ﷺ أن المشركين لما أطافوا برسول الله ﷺ وجدته يصلي فكرهت أن أقطع عليه صلاته، فقال: أصَبتَ. وخرجا من ليلتهما. فلما أصبح خرج حتى أتى أم رومان زوجة أبي بكر فقالت: ألا أراك هاهنا وقد خرج أخوك ووضع لك شيئا من زاده. قال صهيب: فخرجت حتى دخلت على زوجتي أم عمرو، فأخذت سيفي وجعبتي وقوسي حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة. فأجده وأبابكر جالسين. فلما رآني أبوبكر قام إليّ فبشرني بالآية التي نـــزلت فـــيّ[٢]، فأخذ بيدي فلُمتُه بعض اللائمة فاعتذر وربحني رسول الله ﷺ فقال: ربح البيع أبا يحيى[٣].

(١٤) فراسة الخلفاء في تفسير الآيات

(١) عن عكرمة[٤] أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا تلا هذه الآيات ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[٥] قال: اقـــتتل الرجلان.

ونقصد من سردنا لهذا الكلام الإشارة إلى أن عمر ﷺ أدرك بفراسته أن السيف سيخرج في هذه الأمة يوم يجور الخليفة، وسيقوم في وجهه ذلك المؤمن الذي باع نفسه ابتغاء مرضاة الله وينكر عليه، ولكن القوم لا يتعظون بإنكاره ولا يبالون له حتى يقوم القتال بين الجانبين، مع أن أكثر المعارك لا تخلو من اتباع الهوى من الجانبين.

(٢) وعن أبي بكر الصديق ﷺ أن النبي ﷺ قال: من اغبرت قدماه في سبيل الله حرم الله

---

(١) الترمذي (٧٥١) وحسنه، والنسائي في الكبرى، وابن حبان كما في الموارد ض ٢٣٣ والـــحميدي ٧٥/٢ وأبويعلى رقم ٥٥٧٠، والسيوطي في الدر ٢٣١/١.

(٢) إشارة إلى الآية رقم ٢٠٧ من سورة البقرة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ... ﴾.

(٣) الطبراني وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو متروك كما في المجمع ٦٤/٦ وأبونعيم في الحلية ١٥٢/١ وابن عساكر أيضاً كما في الدر ٢٤٠/١.

(٤) عبد بن حميد كما في الدر ٢٤١/١.

(٥) سورة البقرة: ٢٠٤– ٢٠٧.

عليه النار[١].

(٣) وعن عثمان سمعت رسول الله ﷺ يقول "حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها"[٢].

(٤) وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله تعالى بالعذاب[٣].

(٥) وعن عمر بن الخطاب: إن الله لا يستحي من الحق؛ لا تأتوا النساء في أدبارهن[٤].

(٦) وعن زيد بن أسلم قال: بلغني أنه جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب فقالت: إن زوجها لا يصيبها، فأرسل إليه فسأله فقال: كبرت وذهبت قوّتي، فقال عمر: في كم تصيبها، قال: في كل طهر مرة. فقال عمر: اذهبي فإن فيه ما يكفي المرأة[٥].

(٧) وعن الحسن قال: سأل عمر ابنته حفصة: كم تصبر المرأة عن الرجل؟ فقالت: ستة أشهر. فقال: لا جرم لا أجمّر رجلا أكثر من ستة أشهر[٦]، [٧].

(٨) وعن عمر قال: والله إني لأكره نفسي في الجماع رجاء أن يخرج مني نسمة تسبّح[٨].

---

(١) البزار وفيه كوثر بن حكيم، وهو متروك كما في المجمع ٢٨٦/٥ وعزاه المتقي في الكنز ٣٢٠/٤ إلى ابن عساكر أيضاً. وله شواهد عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) الحاكم ٨١/٢ وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. وأحمد ٦١/١، ٦٥ وابن ماجه (٢٧٦٦) وعزاه السيوطي في الجامع ١٤٦/١ إلى الطبراني والحاكم والبيهقي في الشعب فقط وحسنه. قلت: وفي إسناده مصعب بن ثابت لين الحديث كما في التقريب ص ٤٩٤.

(٣) الطبراني في الأوسط عن شيخه علي بن سعيد الرازي، قال الدارقطني: ليس بذاك. وقال الذهبي: روى عنه الناس. كما في المجمع ٢٨٤/٥ قلت: وثقه مسلمة. وقال الدارقطني: ليس بثقة وحدث بأحاديث لم يتابع عليها كما في اللسان ٢٣١/٤.

(٤) وكيع في مصنفه والبزار مرفوعا عن عمر بهذا اللفظ كما في الدر ٢٦٤/١، وعزاه الهيثمي في المجمع ٢٩٨/٤ لأبي يعلى والطبراني أيضاً وقال: رجال أبي يعلى رجال الصحيح خلا يعلى بن يمان وهو ثقة. والنسائي عن عمر موقوفاً بلفظ: استحيوا من الله فإن الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٦٤/١: هذا الموقوف أصح.

(٥) عبد الرزاق ١٥٠/٧ ورجاله ثقات والمتقي في الكنز ٥٧٥/١٦ أيضاً.

(٦) أي لا أؤخره في ميادين الجهاد عن أهله أكثر من ستة أشهر!

(٧) البيهقي ٢٩/٩ من طريق مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن عمر. قالت حفصة: ستة أو أربعة أشهر. فقال عمر رضي الله عنه: لا أحبس الجيش أكثر من هذا. وعبد الرزاق ١٥٠/٧ عن معمر قال: بلغني عن عمر وفيه؛ قالت حفصة: ستة أشهر. وعبد الرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني من أصدق عن عمر. وفيه: فأشارت (حفصة) ثلاثة أشهر وإلا فأربعة فكتب عمر ألا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر.

(٨) الكنز ٤٨٧/١٦ وعزاه إلى البيهقي.

(١٥) نـــزلت الآية تصدق ما في التوراة

(٩) وعن أشعث بن أسلم البصري قال: بينا عمر يصلي ويهوديان خلفه، قال أحدهما لصاحبه: أ هو هو؟ قالا: إنا نجده في كتابنا قرنا من حديد يعطى ما يعطى حزقيل الذي أحيا الموتى بإذن الله. فقال عمر: ما نجد في كتاب الله حزقيل، ولا أحيا الموتى بإذن الله إلا عيسى. قالا: إنا نجد في كتاب الله ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[(١)]. فقال عمر : بلى. قالا: أما إحياء الموتى فنحدثك أن بني إسرائيل وقع عليهم الوباء، فخرج منهم قوم حتى أن كانوا على رأس ميل أماتهم الله فبنوا عليهم حائطا حتى إذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل، فقام عليهم فقال ما شاء الله فبعثهم الله، فأنـــزل الله في ذلك ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾...الآية[(٢)]، [(٣)].

(١٦) عناية عمر الفاروق بتفسير القرآن الكريم

(١٠) وعن ابن عمر[(٤)] أن عمر بن الخطاب خرج ذات يوم إلى الناس فقال: أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن وأعدلها وأخوفها وأرجاها؟ فسكت القوم، فقال ابن مسعود: على الخبير سقطت، ســمعت رسول الله ﷺ يقول: أعظم آية في القـــرآن ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ...﴾[(٥)] وأعدل آية في القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ...﴾[(٦)] إلى آخرها، وأخـــوف آيـــة في القرآن ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[(٧)]، وأرجـــا آيـــة في القرآن ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ...﴾[(٨)].

(١٧) الشيخان أبوبكر وعمر العروة الوثقى

(١١) وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فإنهما حبل الله الممدود، فمن تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها[(٩)].

---

(١) سورة النساء: ١٦٤.
(٢) سورة البقرة: ٢٤٣.
(٣) ابن جرير ٥٨٦/٢ ورجاله ثقات والسيوطي في الدر ٣١١/١ أيضاً.
(٤) ابن مردويه والشيرازي في الألقاب، والهروي في فضائله كما في الدر ٣٢٣/١، وابن كثير في تفسيره ٣٠٧/١، والطبراني أيضاً. قال في المجمع ٣٢٣/٦: رجاله رجال الصحيح، لكنه قال في ١٢٦/٧: رجاله رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف.
(٥) سورة البقرة: ٢٥٥.
(٦) سورة النحل: ٩٠.
(٧) سورة الزلزلة: ٧- ٨.
(٨) سورة الزمر: ٥٣.
(٩) ابن عساكر كما في الدر ٣٣٠/١، والطبراني. وقال الهيثمي في المجمع ٥٣/٩: فيه من لم أعرفهم

(١٨) عناية عمر وعبد الله بن عباس بتفسير الآية

(١٢) عن ابن عباس قال قال عمر يوما لأصحاب النبي ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ...﴾[١]؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر رضي الله عنه فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: ضُربت مثل العمل. قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق الأعمال[٢].

(١٣) وعن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب: قرأت الليلة آية أسهرتني ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ...﴾ فقرأها كلها، ما عني بها؟ فقال بعض القوم: الله أعلم. فقال: إني أعلم أن الله أعلم ولكن إنما سألت إن كان عند أحد منكم علم فيها وسمع فيها شيئا أن يخبر بما سمع. فسكتوا فرآني وأنا أهمس، قال: قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك. قلت: عني بها العمل. قال: وما عني بها العمل؟ قلت: شيء ألقي في روعي فقلته. فتركني وأقبل هو يفسرها؛ صدقت يا ابن أخي عني بها العمل، ابن آدم أفقر ما يكون إلى جنة إذا كبرت سنه وكثر عياله وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم القيامة، صدقت يا ابن أخي[٣].

(١٤) أخرج الدارقطني[٤] عن عمر بن الخطاب قال: إنما سن رسول الله ﷺ الزكاة في هذه الأربعة: الحنطة والشعير والزبيب والتمر.

(١٩) مسابقة الشيخين في الإنفاق في سبيل الله

(١٥) وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ على أعواد المنبر يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإنها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان[٥].

(١٦) وأخرج أبوداود والترمذي[٦] عن عمر قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي فقلت: اليوم أسبق أبابكر إن سبقته يوما، فجئت بنصف مالي. فقال

وذكره المتقي في الكنـــز ٥٦٠/١١. وهذه إشارة إلى الآية رقم ٢٥٦ من سورة البقرة.

(١) سورة البقرة: ٢٦٦.

(٢) البخاري (٤٥٣٨) تفسير قوله ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ...﴾.

(٣) عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٣٤٠/١.

(٤) السنن ٩٦/٢ وفي إسناده محمد بن عبيد الله بن الحكم العزرمي وهو متروك. والبيهقي ١٢٥/٤ موقوفاً بإسناد آخر. وله شاهد عن معاذ رضي الله عنه.

(٥) أبويعلى رقم ٨٠، والبزار وقال الهيثمي: فيه محمد بن إسماعيل الوساوسي وهو ضعيف جداً.

(٦) أبوداود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥). وقال: حسن صحيح. والحاكم ٤١٤/١ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله. وأتى أبوبكر بكل ما عنده، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. فقلت: لا أسابقك إلى شيء أبدا.

(٢٠) نـزول الآية في أبي بكر وعمر

(١٧) وعن الشعبي قال: نـزلت هذه الآية ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١] في أبي بكر وعمر، جاء عمر بنصف ماله يحمله إلى رسول الله ﷺ على رؤوس الناس، وجاء أبوبكر بماله أجمع يكاد أن يخفيه من نفسه. فقال رسول الله ﷺ: ما تركت لأهلك؟ قال: عدة الله وعدة رسوله. فقال عمر لأبي بكر: ما استبقنا إلى باب خير قط إلا سبقتنا إليه[٢].

(٢١) تعفف أبي بكر وابن عمر عن المسألة

(١٨) وأخرج أحمد[٣] عن ابن أبي مليكة قال: ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه، فقالوا له: أفلا أمرتنا نتـناولكه. فقال: إن حبي ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئا.

(١٩) وأخرج أحمد وأبويعلى[٤] عن أبي سعيد الخدري قال قال عمر: يا رسول الله لقد سمعت فلانا ما هو كذلك، لقد أعطيته ما بين عشرة إلى مائة فما يقول ذلك. قال: أما والله إن أحدكم ليخرج بمسألة من عندي يتأبَّطها نارا. قال عمر: يا رسول الله لم تعطيها إياهم؟ قال: فما أصنع؟ يأبون إلا مسألتي ويأبى الله لي البخل.

(٢٠) وأخرج البخاري ومسلم[٥] عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء

---

(١) سورة البقرة: ٢٧١.

(٢) ابن أبي حاتم وابن مردويه والأصبهاني في الترغيب وابن عساكر كما في الدر ٣٥٧/١. قلت: في إسناد ابن أبي حاتم الحسن بن زياد مؤذن مسجد بني محارب شيخ كما في الجرح والتعديل وبقية رجاله ثقات. وقال ابن كثير ٣٢٣/١: هذا الحديث روي من وجه آخر عن عمر رضي الله عنه وإنما أوردناه ههنا لقول الشعبي: إن الآية نـزلت في ذلك.

(٣) أحمد ١١/١، وابن أبي مليكة لم يدرك أبابكر، وعبد الله بن المؤمل فيه كلام، وقد وثق كما في المجمع ٩٢/٣ وذكره المنذري في الترغيب ٥٧٩/١ أيضاً.

(٤) أحـمد وابنه عبد الله في زوائد المسند ٤/٣، ١٦. وأبويعلى رقم ١٣٢٢ وأبونعيم في أخبار أصبهان ١٦٩/٢، ١٧٠، وقال الهيثمي في المجمع ٩٤/٣: رواه أحمد وأبويعلى والبزار بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٥) البخاري (١٤٧٣) كتاب الزكاة باب من أعطاه الله شيئاً من غير مسألة ولا إشراف نفس. ومسلم (٢٤٠٥) كتاب الزكاة باب جواز الأخذ بغير سؤال ولا تطلع. والسيوطي في الدر ٣٦٢/١، ومنه أخذه الإمام المؤلف.

فأقول: أعطه من هو أفقر إليه مني. فقال: خذه إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموّله، إن شئت كله وإن شئت تصدق به وما لا فلا تتبعه نفسك. قال سالم ابن عبد الله: فلأجل ذلك كان عبد الله لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه.

(٢٢) كان الخلفاء رحماء بالمؤمنين.

(٢١) وعن ابن إسحاق قال: لما قبض أبوبكر واستخلف عمر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس إن بعض الطمع فقر وإن بعض اليأس غنى وإنكم تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون، واعلموا أن بعض الشح[١] شعبة من النفاق، فأنفقوا خيرا لأنفسكم، فأين أصحاب هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢]، [٣].

(٢٢) وعن عمر قال: من آخر ما أنـزل الله آية الربا، وإن رسول الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها لنا، فدعوا الربا والرِّيبة[٤]، [٥].

(٢٣) وعن أبي بكر الصديق ﵁ قال قال رسول الله ﷺ: من أحب أن يسمع الله دعوته ويفرج كربته في الدنيا والآخرة فلينظر معسرا وليدع له، ومن سرّه أن يظله الله من فور جهنم[٦] يوم القيامة ويجعله في ظله فلا يكونن على المؤمنين غليظا وليكن بهم رحيما[٧].

(٢٤) وعن عثمان بن عفان سمعت رسول الله ﷺ يقول: أظل الله عبدا في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله أنظر معسرا أو ترك لغارم[٨].

آيات سورة آل عمران

(٢٣) كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمة.

قال الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾

---

(١) الشح: أن ترى القليل سرفا وما أنفقت تلفا وهو اسم للبخل والحرص.
(٢) سورة البقرة: ٢٧٤.
(٣) ابن المنذر عن ابن إسحاق كما في الدر ٣٦٣/١.
(٤) إشارة إلى آيات الربا في آخر سورة البقرة.
(٥) ابن جرير ١١٤/٣، ورجاله ثقات، وابن مردويه كما في الدر ٣٦٥/١.
(٦) فور جهنم، أي: حرارتها وغليانها وغضبها.
(٧) أبوالشيخ الثواب وأبونعيم في الحلية ١٣٠/٥ والبيهقي في الشعب والطستي في الترغيب وابن لال في مكارم الأخلاق، كما في الدر ٣٦٩/١.
(٨) عبدالله في زوائد المسند ٧٣/١، وفي إسناده عباس بن الفضل الأنصاري ونسب إلى الكذب كما في المجمع ١٣٣/٤ وذكره السيوطي في الدر ٣٦٩/١.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[1].

بينت هذه الآيات حقيقة الخلافة الخاصة وحقيقة الفتنة التي ستظهر بعدها، وقد بين الله سبحانه وتعالى رضاه عن الحالة الأولى وسخطه على الحالة الثانية؛

أولا جاء الأمر بالتقوى والثبات فيه، ثم أمرنا بأن نعتصم بحبل الله جميعا، ونهينا عن التفرق والتشتت، ثم أشارت الآيات بأن القصد الاجتماع في الأمرين يعني عدم الابتعاد عن كتاب الله عز وجل في فهم الشرائع الإلهية، أي لا يتبع كل هواه؛ فهذا على مذهب وذاك على مذهب.

وقد أشارت الآية ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ إلى هذا المعنى إجمالا، في حين أن الآية ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ﴾ فصلت الكلام فيه. وإذا حدث تشويش في أذهانهم في فهم هذه المعاني يجب أن يزيلوا الخلاف بعد البحث والمدارسة، حتى يتصفوا بالإجماع والوحدة.

ومن سنة الله عز وجل أن الإجماع لن يستقر والخلاف لن يزول إلا إذا تحاكموا إلى خليفة راشد عالم منهم، يعترف ويقر الجميع بفضله.

كذلك يجب على الجميع أن يتفقوا في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل وينسوا أحقادهم القديمة التي أفسدت ما بينهم في الجاهلية، وإلى هذا المعنى أشارت الآية ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ...﴾، ثم بينت أن الغاية من هذا الاجتماع، على ما جرت عليه سنة الله عز وجل، أن تقوم طائفة منهم بالتفقه في دين الله والجهاد وإقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتبعهم الآخرون في أوامرهم. وهذا من الواجبات الكفائية لهذا الدين. وسنة الله ألا تقام لهذا الدين قائمة وأن لا يفلحوا في أمرهم إلا إذا سلموا مقاليد أمورهم إلى أحدهم ممن يقر الجميع بفضله.

ثم يشدد الله عز وجل النهي عن التفرق والتشتت لئلا يؤول أمر هذه الأمة إلى ما انتهى إليه أهل الكتاب حيث تفرقوا من بعد ما تبين لهم الحق وجاءهم البينات وفرضت عليهم التكاليف والواجبات حتى آل إليهم الأمر يوم القيامة أن ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢ - ١٠٩.

ثم تبين الآيات فضل هذه الطائفة القائمة بأمر الله من هذه الأمة على نظيراتها اللاتي قمن بمثل هذه الواجبات من الأمم السابقة، وتشير إلى سبب تأخر اليهود والنصارى عن هذا المقام في قوله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...﴾ الآية.

وخلاصة القول أن الخلافة الخاصة هي أن يجتمع قول المسلمين في كلا المعنيين فيتفقوا في الديانة والمذهب وينسوا الأحقاد التي جاءت نتيجة طغيان الشهوات البهيمية في النفس فامتلأت بها صدورهم، وبذلك يصيروا خير القرون كما قال النبي ﷺ: "خير القرون قرني"[1]. وتظهر الفتنة يوم يختلف الناس في المذهب وتتراكم الأحقاد في القلوب والصدور فتتشتت الوحدة إلى جماعات وفرق فترفع السيوف على الأعناق وتصوب الرماح إلى الصدور.

وقد بسطنا الكلام وذكرنا بعض الأحاديث التي وردت عن الرسول ﷺ في هذه المعاني فيما سبق، ونعود الآن لنقول مرة أخرى إن هذه الآية تثبت أن جماعة غظيمة من أصحاب الرسول ﷺ كانوا هم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وثبت بالتواتر أن هذه الجماعة قد اختارت لنفسها قائدا يقيم فيهم دين الله عز وجل، ثم دعوا إلى الخير بقيادته، وهذا معنى الخلافة.

وإذا كانوا قد اتفقوا على باطل، واختاروا من لا يستحق الرئاسة فلن يكونوا خير أمة أخرجت للناس. وإذا اختارت طائفة منهم من لا يستحق الخلافة وسكتت الطائفة الثانية ولم يغيروا المنكر ولم يقاوموه تزول صفة الخيرية من كلتا الطائفتين. **سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ!**

(٢٤) فضائل أصحاب بدر وفي مقدمتهم الخلفاء

قال الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآيات، ويرى أكثرهم بأن الآية ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾ والآية ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ...﴾ قد نزلتا في غزوة بدر الصغرى، والخلفاء كلهم كانوا ممن اشتركوا فيها، إذا ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تشملهم كذلك، وناهيك به شرفا.

---

(١) راجع ص ١٧٩- ١٨٠، ٢٣٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٢- ١٧٥.

(٢٥) عظم فضائل المهاجرين الأولين ومنهم الخلفاء

قال الله ﷻ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[١].

تذكر هذه الآيات فضل المهاجرين الأولين، فإن نهايتها ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم ... فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ ...﴾ تدل على أنها نـزلت في المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأوذوا لله وفي الله كثيرا -مع أنه لم يذكر في بدايتها شيء يدل عليهم- وهم قد وهبوا أنفسهم لله عز وجل وجاهدوا في الله حق جهاده، فمنهم من قتل ومنهم من شملته عناية الله عز وجل فبقي ينتظر، كما قال ﷻ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾[٢] واتصفوا بالإخلاص والتضرع إلى الله عز وجل، وإذا كان قد صدر منهم خطايا فلعل الله يغفرها لهم كما غفر لأهل بدر "لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"[٣] وسيئول أمرهم إلى الجنة وما أعظمها من بشارة!

(١) وعن عمر بن الخطاب قال: من قرأ البقرة والنساء وآل عمران كتب عند الله من الحكماء[٤].

(٢٦) تأديب عمر المتكلف في القرآن الكريم[٥]

(٢) وأخرج الدارمي[٦] عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل. فقال له: من أنت؟ قال:

---

(١) سورة آل عمران: ١٩٠- ١٩٥.

(٢) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٣) راجع ص ٥٦.

(٤) سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب كما في الدر ٢/١.

(٥) هذه الروايات تفسر قوله تعالى ﴿... فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ...﴾ الآية رقم ٧ من سورة آل عمران.

(٦) ٥٤/١، والمقدسي في الحجة كما في الدر ٧/٢.

أنا عبد الله صبيغ. فقال: وأنا عبد الله عمر. فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضرب به حتى دمى رأسه. فقال: يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي.

(٣) وعن أبي عثمان النهدي أن عمر كتب إلى أهل البصرة: ألا تجالسوا صبيغا. قال: فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا[١].

(٤) وعن محمد بن سيرين قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري بأن لا يجالس صبيغا وأن يحرم عطاءه ورزقه[٢].

(٥) قال الشافعي: حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام[٣].

(٦) وأخرج الدارمي[٤] عن عمر بن الخطاب قال: إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله.

(٧) وعن أبي هريرة قال: كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل يسأل عن القرآن مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فقام عمر فأخذ بمجامع ثوبه حتى قاده إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أبا الحسن أما تسمع ما يقول هذا؟ قال: وما يقول؟ قال: جاء يسألني عن القرآن أ مخلوق هو أو غير مخلوق؟ فقال علي: هذه كلمة وستكون لها ثمرة ولو وليت من الأمر ما وليت ضربت عنقه[٥].

(٢٧) عناية عمر بتفسير الآية

(٨) عن قتادة في هذه الآية ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾[٦] ذكر لنا أن عمر بن الخطاب كان يقول: اللهم زينت لنا الدنيا وأنبأتنا أن ما بعدها خير منها فاجعل حظنا في الذي هو خير وأبقى[٧].

(٩) وعن عمر قال: لو ترك الناس الحج لقاتلتهم عليه كما نقاتلهم على الصلاة

---

(١) نصر المقدسي في الحجة وابن عساكر كما في الدر ٧/٢.
(٢) ابن عساكر كما في الدر ٧/٢.
(٣) الهروي في ذم الهوى كما في الدر ٨/٧.
(٤) راجع ص ٣٠٤.
(٥) نصر المقدسي في الحجة كما في الدر ٨/٢.
(٦) سورة آل عمران: ١٥.
(٧) عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ١١/٢.

والزكاة[١].

(٢٨) عناية عثمان بتفسير القرآن الكريم

(١٠) وعن عثمان[٢] أنه قرأ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ -ويستغيثون[٣] على ما أصابهم- وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٤].

لا يعني هذا الحديث أن عثمان كان يرى هذه الكلمة من الآية لأنه ثبت بالتواتر أنها لم ترد في المصاحف العثمانية، وإنما يعني أن هذا المعنى يستخرج ويستنبط منها، كما يقف المفسر عند قوله ﷻ ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ فيقول: "واسأل -أهل- القرية".

وتوحي هذه العبارة بأن واجب الخليفة ليس الدعوة الظاهرة باللسان فقط بل يجب عليه أن يتضرع إلى الله بالابتهال والدعاء ليرفع المصائب والبلاء عن الأمة؛ إذ من متممات الخلافة الراشدة أن يرفع البلاء عن الأمة بدعاء الخليفة المتضرع إلى الله عز وجل.

(٢٩) كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمة.

(١١) وعن عمر قال: لو شاء الله لقال أنتم، فقلنا كلنا، ولكن قال: كنتم في خاصة أصحاب محمد ﷺ ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس[٥].

(١٢) وعن عمر في قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[٦] قال: تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا[٧].

(١٣) وعن قتادة قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب تلا هذه الآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ..﴾ ثم قال: أيها الناس من سره أن يكون من الأمة التي أخرجت للناس فليؤد شرط الله فيها[٨].

(١٤) وعن عياض الأشعري قال: شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء؛ أبوعبيدة ويزيد بن أبي سفيان وابن حسنة وخالد بن الوليد وعياض، وليس عياض هذا، قال وقال عمر ﷺ: إذا

---

(١) سعيد بن منصور كما في الدر ٥٦/٢.
(٢) عبد بن حميد وابن جرير ٣٨/٤، وابن أبي داود في المصاحف وابن الأنباري كما في الدر ٦٢/٢.
(٣) وفي المراجع: يستعينون.
(٤) سورة آل عمران: ١٠٤.
(٥) ابن جرير ٤٣/٤، وابن أبي حاتم عن السدي قال: قال عمر. كما في الدر ٦٣/٢ وهذا منقطع.
(٦) سورة آل عمران: ١١٠.
(٧) ابن جرير ٤٣/٤، وابن أبي حاتم عن السدي عمن حدثه عن عمر كما في الدر ٦٣/٢.
(٨) في المراجع: منها. والأثر رواه ابن جرير ٤/ ٤٢.

كان قتال فعليكم أبوعبيدة. فكتبنا إليه أنه قد جاش إلينا الموت واستمددناه، فكتب إلينا أنه قد جاءني كتابكم وتستمدوني وإني أدلكم على من هو أعز نصرا وأجفر جندا[١]؛ الله عز وجل، فاستنصروه فإن محمدا ﷺ قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم. فإذا جاءكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني، فقاتلناهم فهزمناهم أربع فراسخ[٢].

(١٥) أخرج أبوداود والترمذي[٣] عن أبي بكر الصديق ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: مـــا أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة.

(٣٠) نـــزلت الآية موافقة لعمر رضي الله عنه.

(٣١) وعناية أبي بكر بتطبيقها

ومن موافقات عمر ﷺ قوله تعالى ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ...**﴾[٤]،

(١٦) كما روي عن كليب قال: خطبنا عمر فكان يقرأ على المنبر آل عمران ثم قال: تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد فصعدت الجبل فسمعت يهوديا يقول: قتل مـــحمد، فقلت: لا أسمع أحدا يقول قتل محمد ﷺ إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا فيه رسول الله ﷺ والناس يتراجعون إليه، فنـــزلت هذه الآية ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ...**﴾[٥].

(١٧) أخرج البخاري[٦] عن أبي سلمة عن ابن عباس أن أبابكر خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، وقال أبوبكر: أما بعد، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي، قال الله تعالى ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ...** إلى قوله **... ٱلشَّـٰكِرِينَ**﴾، قال: فوالله لكأنهم لم يعلموا أن الله أنـــزل هذه الآية حتى تلاها أبوبكر، فتلاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها.

(١٨) وروي عن أبي هريرة وعروة وغيرهما نحو ذلك، وقال إبراهيم قال أبوبكر: لو منعوني عقالا أعطوا رسول الله ﷺ لجاهدتهم، ثم تلا ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ**

---

(١) أقوى جنداً.

(٢) أحمد ٤٩/١، وابن حبان كما في الموارد ص ٤١٩، والسيوطي في الدر ٦٨/٢.

(٣) أبوداود (١٥١٤) والترمذي (٣٥٥٩)، وأبوبكر المروزي في مسند أبي بكر ص ١٥٥، ١٥٦ وأبويعلى رقم ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، وابن جرير ٩٨/٤. وقال الترمذي: غريب، إنما نعرفه من حديث أبي نصيرة، وليس إسناده بالقوي. قلت: لأن أبا رجاء مولى أبي بكر مجهول كما في التقريب ص ٥٨٦.

(٤) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٥) ابن المنذر كما في الدر ٨٠/٢.

(٦) (٤٤٥٤) كتاب المغازي باب مرض النبي ووفاته صلى الله عليه وسلم.

ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ...﴾[١].

(٣٢) أبوبكر أمير الشاكرين.

(١٩) وعن علي بن أبي طالب في قوله ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ قال: الثابتين على دينهم أبابكر وأصحابه، فكان علي يقول: أبوبكر أمير الشاكرين[٢].

(٣٣) نـــزول الآية في الشيخين رضي الله عنهما

(٢٠) روي عن ابن عباس ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[٣] أبوبكر وعمر[٤].

(٢١) وفي رواية عن ابن عباس قال: نـــزلت هذه الآية في أبي بكر وعمر، فقال النبي ﷺ: لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما[٥].

وقد يقع تعارض في هذا المقام، لأن الآيات نـــزلت في الطائفة التي حدث منهم بعض التقصير في غزوة أحد، وأراد النبي ﷺ أن يسامحهم فيما صدر منهم ويلاطفهم ويزيل آثار الندامة من وجوههم، ومن ذلك استشارهم في أمور الحرب، ولم يصدر من الشيخين أبي بكر وعمر أي تقصير في هذه الغزوة لتنطبق عليهم هذه الآيات!

والإجابة على ذلك أن مذهب عبد الله بن عباس في ذكر الشيخين في هذا الموضع غير المذاهب الـــمشهورة في التفسير وإنما هذا من باب ما تعوده العرب بأن يذكر الشيء بالشيء. فلا تنس هذه النكتة لأنها سترفع كثيرا من مشكلات التفسير.

(٢٢) وعن ابن عمرو قال: كتب أبوبكر الصديق إلى عمرو أن رسول الله ﷺ كان يشاور في الحرب فعليك به[٦].

---

(١) أما حديث أبـــي هريرة فرواه ابن المنذر، وأما حديث عروة فرواه البيهقي في الدلائل ٧/٢١٧، كما في الدر ٢/٨١.

(٢) ابن جرير ٤/١١١، وفي إسناده سيف بن عمرو ضعيف كما في التقريب ص ٢١٨.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٤) الحاكم ٣/٧٠ والبيهقي في السنن ١٠/١٠٩ وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٥) السيوطي في الدر ١/٩٠ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نـــزلت هذه الآية في أبـــي بكر وعمر. وأما طرفه الآخر: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما، فراجع ص ٢١٦ من حديث عبد الرحمن بن غنم.

(٦) الطبراني بسند جيد، قاله السيوطي في الدر ٢/٩٠. وقال الهيثمي في المجمع ٥/٣١٩: رجاله قد وثقوا.

(٢٣) وعن الضحاك قال: كان عمر بن الخطاب يشاور حتى المرأة[١].

(٣٤) عفا الله عن عثمان.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾[٢].

(٢٤) أخرج البخاري[٣] من حديث ابن عمر، أما فراره من أحد فأنا أشهد أن الله قد عفى عنه.

(٢٥) وعن الحسن في قصة بدر الصغرى: فقام النبي ﷺ وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وناس من أصحاب النبي ﷺ فتبعوهم ... الحديث[٤].

(٢٦) وقالت عائشة في قصة حمراء الأسد: فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبوبكر والزبير[٥].

(٣٥) نـــزول ست آيات تصديقا لأبي بكر رضي الله عنه

ومن موافقات أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قوله تعالى ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ... ﴾[٦].

روي ذلك من طرق متعددة منها ما يدل على موافقته ومنها ما يدل على تصديق مقاله.

(٢٧) روي عن عكرمة أن النبي ﷺ بعث أبابكر إلى فنحاص اليهودي يستمده وكتب إليه وقال لأبي بكر: لا تفت[٧] علي بشيء حتى ترجع إلي. فلما قرأ فنحاص الكتاب قال: قد احتاج ربكم. قال أبوبكر: فهممت أن أقره بالسيف، ثم ذكرت قول النبي ﷺ: لا تفت علي بشيء، فنــزلت ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ...﴾الآية. وقوله ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ

---

(١) ليس هذا عن الضحاك بل عن سفيان. قال السيوطي في الدر ٢/٩٠: أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم عن الضحاك قال: ما أمر الله نبيه بالمشورة إلا لما علم فيها من الفضل والبركة، قال سفيان: وبلغني أنــها نصف العقل وكان عمر بن الــخطاب يشاور حتى المرأة. وقد روى البيهقي ١٠/١١٣ من طريق سيرين قال: إن كان عمر رضي الله عنه ليستشير في الأمر حتى إن كان ليستشير المرأة الخ.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٥.

(٣) (٣٦٩٩) مناقب عثمان رضي الله عنه.

(٤) ابن أبي حاتم كما في الدر ٢/١٠١، ١٠٢.

(٥) البخاري (٤٠٧٧) كتاب المغازي باب ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.

(٦) سورة آل عمران: ١٨١.

(٧) وفي الدر: لا تفتت.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ ...﴾[(١)] وما بين ذلك في يهود بني قينقاع[(٢)].

وفي رواية فغضب أبوبكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده لو لا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد انظر ما صنع صاحبك بي؟ فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله قال قولا عظيما يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، فضربت وجهه. فجحد فنحاص فقال: ما قلت ذلك: فأنـزل فيما قال فنحاص تصديقا لأبي بكر ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ...﴾ الآية. ونـزل فيما بلغه في ذلك من الغضب ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗا ...﴾ الآية[(٣)].

(٢٨) وعن السدي في قوله ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾: قالها فنحاص اليهودي من بني مرثد، لقيه أبوبكر فكلمه فقال له: يا فنحاص اتق الله وآمن وصدّق وأقرض لله قرضا حسنا. فقال فنحاص: يا أبابكر تزعم أن ربنا فقير يستقرضنا أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغني، إن كان ما تقول حقا فإن الله إذا لفقير. فأنـزل الله تعالى هذا. فقال أبوبكر: فلو لا هدنة كانت بين النبي ﷺ وبين بني مرثد لقتلته[(٤)].

(٢٩) وعن مجاهد قال: صك أبوبكر رجلا منهم الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء، لم يستقرضنا وهو غني. وهم يهود[(٥)].

(٣٠) أخرج الترمذي[(٦)] عن عثمان بن عفان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: موقف ساعة في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل. ولفظ ابن ماجه[(٧)]: من رابط في سبيل الله كانت كألف ليلة صيامها وقيامها[(٨)].

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٦.

(٢) ابن جرير وابن المنذر كما في الدر ٢/١٠٦.

(٣) ابن جرير ٤/١٩٤ وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن إسحاق كما في الدر ٢/١٠٥، وفي إسناده محمد ابن أبي محمد مجهول كما في التقريب ص ٤٦٩.

(٤) ابن جرير ٤/١٩٥ ورجاله موثقون.

(٥) ابن جرير ٤/١٩٥ وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٢/١٠٦.

(٦) (١٦٦٧) عن عثمان بلفظ: "رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم في ما سواه من المنازل"، وروى ابن حبان كما في الإحسان ٧/٦١ والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ: موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود. ذكره المتقي في الكنز ٤/٢٩٤ والألباني في سلسلة الصحيحة رقم ١٠٦٨. والله أعلم.

(٧) راجع ص ٣٨٤.

(٨) إشارة إلى تفسير الآية رقم ٢٠٠ من سورة آل عمران ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ...﴾.

آيات سورة النساء

(٣٦) الخلفاء الأربعة على رأس قائمة المؤمنين السابقين المقربين.

سبق أن بينا أن العبادات التي تقرب العباد إلى الحق ﷻ على قسمين: **قسم** يخلص الإنسان من سجن الشهوات والميول البشرية ويرفعه إلى الملكوت الأعلى وهذا القسم قد أمر به جميع الأديان والملل السماوية، مثل التوكل واليقين والصبر والصلاة والصوم والصدقة وذكر الباري جل مجده.

أما **القسم الثاني**؛ فتلك العبادات التي تختص بزمن دون زمن وهي من عناية الله عز وجل لأمم خاصة وبها تتقرب بعض الأمم إلى حظيرة القدس دون الآخرين، كالهجرة والجهاد والحج. فمثلا قررت إرادة الله عز وجل لشريعتنا كبت الملل الضالة من المشركين والیهود والنصارى والمجوس، وقد صور شأهم في الملكوت الأعلى قوله تعالى ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ...**﴾[1] الآية.

في مثل هذه الحالة كانت هناك طائفة من البشر، تفانوا في طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ومصاحبته وتفانوا في إكمال الداعية الإلـــهية فظفروا بعناية خاصة من الله لهم –مثل تفاني جبريل في جلال الله و قهره في وقت الصيحة على قوم ثمود– فتعرضوا للنفحات الإلهية، فشابهوا أهل الملكوت الأعلى والمقربين، وفتح هذا أمامهم بابا من التقرب إلى الحق ﷻ، لو أهم قضوا مائة عام في الرياضات والطاعات البدنية والذاتية لما ظفروا بعشره، في حين أن هذه الإرادة الربانية لم تتشرف بها أمم أخرى و لم تعرض لهم مثل هذه النفحة. فلم تكن الهجرة والجهاد من الأعمال المقربة لهم، وقد بين القرآن الكريم والسنة المطهرة هذين النوعين من الفضائل وقد أشارا إلى النوع الثاني باهتمام أكثر بل جعلاه مناط التفاضل في المراتب.

فإذا لم يتصف الرجل بالفضيلتين كلتيهما لا يحق له أن يتقلد رئاسة المسلمين ويتقدم على سائر البشر.

وقد بين الحق ﷻ كلتا الفضيلتين في سورة النساء وأثنى الرسول ﷺ على صحابته الكرام لاتصافهم بالصفتين معا حتى ينير الدرب لأمته ويبين لهم ما يراد منهم ويظهر فضلهم على سائر الناس من غير أدنى شك أو ريب.

قال الله ﷻ ﴿**وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۞ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ**

(١) سورة البقرة: ٢٥١ وسورة الحج: ٤٠.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[١].

بين القرآن الكريم فيما سبق أنه لا يستقيم إيمان من نطق بكلمة التوحيد حتى يسلم أمره طائعا لحكم الله ورسوله في وقت المشاجرة التي هي حالة طغيان النفس الحيواني على الإنسان. ثم يبين أن هؤلاء المطيعين سيكونون في الآخرة مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. وهاتان الآيتان تشبهان الآيات الأخرى التي هي ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٢]. وكذلك ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٣].

يظهر فضل هذه الجماعة من الأبرار في حشرهم مع هذه الفرق الأربع وعدّهم منهم. وهذه الطوائف الأربع هم على رأس قائمة الناجين وهم الطبقة العليا من طبقات الأمة وقد عبر عنهم في مواضع أخرى بالمقربين والسابقين.

مع أن هذه الآية الكريمة قد وضحت -ما نريده- وضوحا لا يبقى معه أدنى التباس، بين الرسول ﷺ في الأحاديث المشهورة التي تقطع بها الأعمال والاعتقادات؛ أن أبابكر صديق وعمر وعثمان وعليا ﷺ شهداء، وبذلك ثبتت رئاستهم المعنوية على سائر الطبقات و لم يبق أي لبس في الأمة الإسلامية لهذا المعنى.

(٣٧) الصحابة يتفاضلون.

قال الله ﷻ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٤].

يبين الحق ﷻ في هاتين الآيتين أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا على رتبة واحدة، بل يتفاضلون ويفوق بعضهم بعضا في المراتب، ومناط هذا التفاضل هو الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس. فالذين يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم هم على رأس قائمة الأمة وفي أعلى طبقاها ولهم الفضل على غيرهم. كذلك ثبت من الأحاديث المشهورة التي يجب العمل بها، بعد ما تبينت صحتها، أن كل هؤلاء الأفاضل قد اشتركوا في جميع مشاهد الخير ووقفوا بجانب الرسول ﷺ إلا من غاب منهم لعذر طارئ، وقد فاق بعضهم في خوض المعارك.

---

(١) سورة النساء: ٦٩- ٧٠.
(٢) سورة المطففين: ٢٠- ٢١.
(٣) سورة المطففين: ٢٧- ٢٨.
(٤) سورة النساء: ٩٥- ٩٦.

وفاق آخرون في كثرة الإنفاق، وجمع منهم بذلوا المال والنفس على وجه الكمال.

(٣٨) عظم أجر المؤمنين المهاجرين في الدنيا والآخرة

قال الله ﷻ ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١].

فرض الله عز وجل على المؤمنين في الآيات الأولى من هذا البحث الهجرة من بلاد الكفر، وبين عقاب تاركيها واستثنى منهم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا. ثم شرع يبين مكانة الهجرة وفضلها في الدنيا والآخرة وأنه قد أعد لمن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت في الطريق، مثوبة كبيرة وأجرا عظيما.

يستنبط من هذه الآية عظم فضل المهاجرين ومكانتهم، والله تعالى أعلم.

(٣٩) حسن سيرة عمر الفاروق رضي الله عنه

(١) وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم[٢] إن استغنيت استعففت وإن احتجت أخذت منه بالمعروف فإذا أيسرت قضيت[٣]، [٤].

(٢) وعن ابن مسعود قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا سلك بنا طريقا فاتبعناه وجدناه سهلا، وإنه سئل عن امرأة وأبوين فقال: للمرأة الربع وللأم ثلث ما بقي وما بقي فللأب[٥].

(٣) وعن ابن عباس أنه دخل على عثمان فقال: إن الأخوين لا يردان الأم عن الثلث، قال الله ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾[٦] وإن الأخوين ليسا بلسان قومك إخوة، فقال عثمان: لا استطيع أن أرد ما كان قبلي ومضى في الأمصار وتوارث به الناس.

وأجاب زيد بن ثابت بجواب آخر، قالوا: يا أبا سعيد إن الله يقول ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ

---

(١) سورة النساء: ١٠٠.

(٢) إشارة إلى قول الله عز وجل ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

(٣) أي إذا صرت غنياً أديت.

(٤) ابن جرير ٢٥٩/٤ وابن سعد ٢٧٦/٣ وعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا والنحاس في ناسخه وابن المنذر والبيهقي كما في الدر ٢٢١/٢.

(٥) الحاكم ٣٣٥/٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والبيهقي ٢٢٨/٦ وسعيد بن منصور كما في الدر ١٢٥/٢.

(٦) سورة النساء: ١١.

﴿إِخْوَةٌ﴾، وأنت تحجبها بأخوين، قال: إن العرب تسمي الأخوين إخوة[1].

(٤٠) حكم الخليفة الراشد حجة قائمة في الدين.

قلت: هذا لا يعد خلافا، فسيدنا عثمان رضي الله عنه نظر إلى القاعدة التي ترى أن حكم الخليفة الراشد إذا تبعه الناس وصار سبيل المسلمين أصبح حجة قائمة في الدين، بينما زيد بن ثابت نقل ذلك المعنى الذي استنبطه الصحابة وقت المشاورة والبحث.

(٤١) عناية الخلفاء وأتباعهم بتطبيق أحكام الميراث

(٤) وعن ابن شهاب قال: قضى عمر بن الخطاب أن ميراث الإخوة من الأم للذكر مثل الأنثى ولا أرى عمر بن الخطاب قضى بذلك إلا أن يكون قد علمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذه الآية ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾[2]، [3].

(٥) وعن عمر وعلي وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم في أم وزوج وإخوة لأب وأم وإخوة لأم، أن الإخوة من الأب والأم شركاء الإخوة من الأم في ثلثهم، وذلك أنهم قالوا هم بنو أم كلهم ولم يزدهم الأب إلا قربا فهم شركاء في الثلث[4].

(٦) وكتب عمر إلى أبي موسى: إذا لهوتم فالهوا بالرمي وإذا تحدثتم فتحدثوا بالفرائض[5].

(٧) وعن عمر قال: تعلموا الفرائض واللحن والسنة كما تعلمون القرآن[6].

(٨) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرض أمتي

---

(١) ابن جرير ٤/٢٧٨ والحاكم ٤/٣٣٥ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. والبيهقي ٦/٢٢٧ وذكره السيوطي في الدر ٢/١٢٦. قلت: في إسناده شعبة مولى ابن عباس صدوق سيئ الحفظ كما في التقريب ص ٢٢٥ وقال ابن حبان: روى عن ابن عباس ما لا أصل له. راجع التهذيب ٤/٣٤٧.

(٢) سورة النساء: ١٢.

(٣) ابن أبي حاتم كما في الدر ٢/١٢٦، وهو مرسل.

(٤) الحاكم ٤/٣٣٧ وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى صدوق سيئ الحفظ جداً كما في التقريب ص ٤٥٨.

(٥) الحاكم ٤/٣٣٣ وقال: هذا وإن كان موقوفاً فإنه صحيح الإسناد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، ووافقه الذهبي: قلت: في إسناده أبوهلال الراسبي صدوق فيه لين كما في التقريب ص ٤٤٧ وقتادة مدلس وقد عنعن، ومع ذلك رواه البيهقي ٦/٢٠٩ من طريق وكيع عن أبي هلال عن قتادة قال: كتب عمر، بغير واسطة سعيد بن المسيب، وسعيد لم يسمع من عمر. فالحديث منقطع.

(٦) البيهقي ٦/٢٠٩، وسعيد بن منصور ١/٤٣ والدارمي ٢/٣٤٢ ورجاله ثقات.

زيد بن ثابت[١].

قلت: يحتوي هذا الحديث معجزة كبيرة وإشارة إلى اتباع أصل من أصول المسائل (باتخاذ قول زيد بن ثابت رضي الله عنه) ويترك الخلاف الذي ظهر من ابن عباس رضي الله عنه وغيره.

(٩) فعن الزهري قال: لو لا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض لرأيت أنها ستذهب من الناس[٢].

(١٠) وعن عمر أنه كان يقول: عجبا للعمة تورث ولا ترث[٣].

(١١) وعن قبيصة بن ذويب قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر فقالت: إن لي حقا، ابن ابن أو ابن ابنة لي مات. قال: ما علمت لك في كتاب الله حقا ولا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيئا وسأسأل. فشهد المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس. قال: من سمع ذلك معك؟، فشهد محمد بن مسلمة، فأعطاها أبوبكر السدس[٤].

(١٢) وعن زيد بن ثابت أنّ عمر لما استشارهم في ميراث الجد والإخوة، قال زيد: كان رأيي أن الإخوة أولى بالميراث، وكان عمر يرى يومئذ أن الجد أولى من الإخوة، فحاورته[٥] وضربت له مثلا وضرب علي وابن عباس له مثلا يومئذ السبيل[٦] يضربانه ويصرفانه على نحو تصريف زيد[٧].

قلت: نقل بعد ذلك عن عمر الفاروق وعلي المرتضى رضي الله عنهما كلمات تدل على أنهما تراجعا عن هذا الرأي، وليس في المسألة قول أثبت من قول سيدنا الصديق رضي الله عنه حيث أنـــزله أبا فيما أخرجه البخاري[٨].

(١٣) وعن ابن عباس قال: أول من أعال الفرائض عمر، تدافعت عليه وركب بعضها بعضا، قال: ما أدري كيف أصنع بكم والله ما أدري أيكم قدم الله ولا أيكم أخر؟ وما أجد في هذا المال شيئا أحسن من أن أقسمه عليكم بالحصص. ثم قال ابن عباس: وأيم الله لو قدم من قدم

---

(١) راجع ص ٦٣، ١٨٢، ٢٠٣ من حديث أنس وابن عمر.
(٢) البيهقي ٢١٠/٦.
(٣) البيهقي ٢١٣/٦ من طريق أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عمر، وأبوبكر لم يسمع من عمر رضي الله عنه.
(٤) الترمذي (٢١٠٠) وأبوداود (٢٨٩٤) وابن ماجه (٢٧٢٤).
(٥) كلمته.
(٦) السيل.
(٧) الحاكم ٣٣٩/٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي أيضاً في الدر ١٢٧/٢.
(٨) البخاري معلقاً في الفرائض باب ميراث الجد مع الأب والإخوة والدارمي ٣٥٢/٢ بسند على شرط مسلم عن أبي سعيد الخدري أن أبابكر الصديق جعل الجد أبا. راجع الفتح ١٩/١٢.

الله وأخر من أخر الله ما عالت فريضة. فقيل له: وأيها قدم الله؟ قال: كل فريضة لم يهبطها الله عن فريضة إلا إلى فريضة فهذا ما قدم الله، وكل فريضة إذا زالت عن فرضها لم يكن لها إلا ما بقي فتلك التي أخر الله، فالذي قدم كالزوجين والأم والذي أخر كالأخوات والبنات. فإذا اجتمع من قدم الله وأخر بدئ بمن قدم فأعطى حقه كاملا، فإن بقي شيء كان لهن وإن لم يبق شيء فلا شيء لهن[١].

(١٤) وذكر عند عمر الثلث في الوصية فقال: الثلث وسط لا بخس ولا شطط[٢].

(٤٢) كان عمر وقافا عند آيات القرآن الكريم.

(١٥) وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال قال عمر بن الخطاب: لا تغالوا في مهور النساء. فقالت امرأة: ليس لك ذلك يا عمر إن الله يقول ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾[٣] ﴿من ذهب﴾، قال: وكذلك في قراءة ابن مسعود، فقال عمر: إن امرأة خاصمت عمر فخصمته[٤].

(١٦) وعن بكر بن عبد الله المزني قال: قال عمر خرجت وأنا أريد أنهاكم عن كثرة الصداق، فعرضت لي آية من كتاب الله ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾[٥]، [٦].

(٤٣) عناية الخلفاء بتفسير الآية[٧]

(١٧) وروي أن رجلا تزوج امرأة ولم يدخل بها، ثم رأى أمها فأعجبته، فاستفتى ابن مسعود فأمره أن يفارقها ثم يتزوج أمها، ففعل وولدت له أولادا. ثم أتى ابن مسعود المدينة فسأل عمر وفي لفظ فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: لا يصلح، فلما رجع إلى الكوفة قال للرجل: إنها عليك حرام، ففارقها[٨].

(١٨) وسئل عمر عن جاريتين أختين توطأ إحداهما بعد الأخرى فقال عمر: ما أحب

---

(١) الحاكم ٤/٣٤٠ والبيهقي ٦/٢٥٣ وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. قلت: بل هو حسن فإن فيه ابن إسحاق ولم يحتج به مسلم.

(٢) البيهقي ٦/٢٦٩ وابن أبي شيبة ١١/٢٠٠ وعبد الرزاق ٩/٦٧ ورجاله ثقات.

(٣) سورة النساء: ٢٠.

(٤) عبد الرزاق ٦/١٨٠ والبيهقي ٧/ ٢٣٢ عن الشعبي عن عمر، وابن المنذر كما في الدر ٢/١٣٣ وهو منقطع مع ضعف إسناده فإن فيه قيس بن الربيع وهو سيئ الحفظ، راجع الإرواء ٦/٣٤٧.

(٥) سورة النساء: ٢٠.

(٦) سعيد بن منصور ١/١٩٥، والبيهقي ٧/٢٣٣ وقال البيهقي: هذا مرسل جيد.

(٧) إشارة إلى الآية رقم ٢٣ من سورة النساء ﴿... وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ...﴾.

(٨) عبدالرزاق ٦/٢٧٣، وسعيد بن منصور ١/٢٦٩ وابن أبي شيبة ٤/١٧٢ والبيهقي ٧/١٥٩ وابن المنذر كما في الدر ٢/١٣٥ ورجاله ثقات.

أن أجيزهما جميعا ونهاه[١].

(١٩) وأخرج مالك والشافعي[٢] عن قبيصة بن ذويب أن رجلا سأل عثمان بن عفان عن الأختين في ملك اليمين هل يجمع بينهما، فقال أحلتهما آية وحرمتهما آية[٣] وما كنت لأصنع ذلك، فخرج من عنده فلقي رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - أراه علي بن أبي طالب - فسأله عن ذلك، فقال: لو كان لي من الأمر شيء ثم وجدت أحدا فعل ذلك لجعلته نكالا.

(٢٠) وروي هذا الشك عن علي أيضا عن طريق أبي صالح عن علي قال في الأختين المملوكتين: أحلتهما آية وحرمتهما آية ولا آمر ولا أنهى ولا أحل ولا أحرم ولا أفعل أنا ولا أهل بيتي[٤].

(٤٤) نهي عمر الفاروق عن نكاح المتعة

(٢١) وعن عمر أنه خطب فقال: ما بال رجال ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا أوتى بأحد نكحها إلا رجمته[٥].

(٢٢) سئل ابن عمر عن المتعة فقال: حرام. فقيل له: ابن عباس يفتي بها. قال: فهلا ترمزم بها[٦] في زمان عمر[٧].

---

(١) ابن أبي شيبة ١٦٧/٤ ومالك في الموطأ ١٤٨/٣ والشافعي في مسنده ١٧/٢، والبيهقي ١٦٤/٧ وعبد الرزاق وعبد بن حميد كما في الدر ١٣٢/٢ لكن بلفظ: سئل عن المرأة وابنتها من ملك اليمين هل توطأ إحداهما بعد الأخرى؟ فقال عمر ... الخ. ورجاله ثقات.

(٢) مالك في الموطأ ١٤٨/٣ والشافعي ١٦/٢ والبيهقي ١٦٣/٧ وعبد الرزاق وابن أبي شيبة ١٦٩/٤ وابن أبي حاتم وعبد بن حميد كما في الدر المنثور ١٣٦/٢.

(٣) يقصد قوله تعالى ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ...﴾ الآية وقوله تعالى ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ ...﴾ الآية.

(٤) ابن أبي شيبة ١٦٩/٤ والبيهقي ١٦٤/٧ ورجاله ثقات.

(٥) البيهقي ٢٠٦/٧ وفي إسناده منصور بن دينار ضعفه ابن معين، وقال النسائي: ليس بالقوي. وأبوزرعة: صالح. وقال أبوحاتم والعجلي: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات كما في اللسان ٩٥/٦ وفيه أبوخالد الأموي أيضا ولم أعرفه، وقال البيهقي: فهذا إن صح يبين أن عمر رضي الله عنه إنما نهى عن نكاح المتعة لأنه علم نهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه.

(٦) أي: تكلم بحلتها في زمانه. والمتعة: هي الزواج لمدة معينة. ورد في مجمع البحار أنها حرمت يوم خيبر ثم أحلت في الفتح، في يوم أوطاس ثم حرمت بعد ثلاثة أيام للأبد. ولم يخالف إجماع الأمة في ذلك إلا الروافض.

(٧) ابن أبي شيبة ٢٩٣/٦ ورجاله ثقات.

(٤٥) مسروق يحذر فتـــنة الاختلاف على الخلافة.

(٢٣) وعن عاصم بن بهدلة أن مسروقا أتى صفين فقام بين الصفين. فقال: يأيها الناس، أنصتوا! أرأيتم لو أن مناديا ناداكم من السماء فرأيتموه وسمعتم كلامه فقال: إن الله ينهاكم عما أنتم فيه أ كنتم منـــتهين؟! قالوا: سبحان الله.

قال: فوالله نـــزل بذلك جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم وما ذاك بأبين عندي منه، إن الله تعالى قال ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[١]، ثم رجع إلى الكوفة[٢].

(٤٦) نـــزلت الآية في أبي بكر وابنه عبد الرحمن رضي الله عنهما.

(٢٤) وعن داود بن الحصين قال: كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر أبي بكر فقرأت عليها ﴿**والذين عاقدت أيــمانكم**﴾، فقالت: لا، ولكن ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[٣] إنها نـــزلت في أبي بكر وابنه عبدالرحمن حين أبى أن يسلم فحلف أبوبكر لا يورثه، فلما أسلم أمره الله أن يورثه نصيبه[٤].

(٤٧) عناية الخلفاء بتفسير الآية[٥]

(٢٥) وعن عمر قال: ما استفاد رجل بعد الإيمان بالله من امرأة حسنة الخلق ودود ولود، وما استفاد رجل بعد الكفر بالله شرا من امرأة سيئة الخلق حديدة اللسان[٦].

(٢٦) وعن عمر بن الخطاب قال: النساء ثلاث؛ امرأة عفيفة مسلمة هينة لينة ودود ولود، تعين أهلها على الدهر ولا تعين الدهر على أهلها، قليل ما تجدها. وامرأة لم تزد على أن تلد الولد، والثالثة غُـــلٌّ قَمِلٌ[٧] يجعلها الله في عنق من يشاء وإذا أراد أن ينـــزعه نزعه[٨].

---

(١) سورة النساء: ٢٩.
(٢) ابن سعد وسعيد بن منصور وابن المنذر كما في الدر المنثور ٢/١٤٥.
(٣) سورة النساء: ٣٣.
(٤) أبوداود (٢٩٢٣) وابن أبي حاتم كما في الدر ٢/١٥٠ وسكت عنه المنذري وأبوداود، وفي إسناده ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعن.
(٥) إشارة إلى تفسير قوله تعالى ﴿... فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ ...﴾ الآية رقم ٣٤ من سورة النساء.
(٦) ابن أبي شيبة ٣/٣٠٨، والبيهقي ٧/٨٢ ورجاله ثقات.
(٧) يضرب بها المثل لامرأة سيئة الأخلاق، مهرها غال، لا يستطيع الزوج التخلص بسبب مهرها، فكأنها غل في عنقه.
(٨) ابن أبي شيبة ٦/٣٠٩ وعزاه السيوطي في الدر ٢/١٥٣ إلى البيهقي أيضاً.

(٢٧) وعن ابن عباس بُعثت أنا ومعاوية حكمين فقيل لنا: إذا رأيتما أن تجمعا جمعتما وإن رأيتما أن تفرقا فرقتما، والذي بعثهما عثمان[١].

(٢٨) وعن أبي بكر الصديق قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يدخل الجنة سيئ الملكة[٢].

(٢٩) وقال عمر: إن القبلة من اللمس فتوضؤا منها[٣]، [٤].

(٣٠) وقال عثمان: اللمس باليد[٥].

(٣١) وعن عمر قال: الجبت الساحر والطاغوت الشيطان[٦]، [٧].

(٤٨) عناية عمر بتفسير الآية

(٣٢) قرئ عند عمر ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[٨]، فقال معاذ: عندي تفسيرها؛ تبدل في ساعة مائة مرة. فقال عمر: هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم[٩]. وفي رواية أُبي مكان معاذ.

(٣٣) قال عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يرفع من الناس الأمانة وآخر ما يبقى الصلاة، ورب مصل لا خير فيه[١٠].

---

(١) ابن جرير ٧٤/٥ وعبدالرزاق ٥١٢/٦ وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ١٥٦/٢.

(٢) الترمذي (١٩٤٦) وحسنه، وأحمد ١٢٧/١ وابن ماجه (٣٦٩١).

(٣) الحاكم ١٣٥/١ والبيهقي ١٢٤/١ وفي إسناده محمد بن عبد الله بن عمرو الأموي مقبول كما في التقريب ص ٤٥٥ وخالفه مالك عن الزهري عن سالم عن ابن عمر، والبيهقي والشافعي وعبد الرزاق. وقال ابن عبد البر: هذا عندهم خطأ وإنما هو عن ابن عمر كما في الجوهر النقي، والله أعلم.

(٤) هذا فيما يخص تفسير الآية ٤٣ من سورة النساء.

(٥) ابن أبي شيبة كما في الدر ١٦٧/٢، ولم أجده في مظانه ووقع في الدر عن أبي عثمان، والله أعلم.

(٦) ابن جرير ١٣١/٥ والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ورستة في الإيمان كما في الدر ١٧٢/٢ ورجال إسناد ابن جرير موثقون.

(٧) إشارة إلى الآية رقم ٥١ من سورة النساء.

(٨) سورة النساء: ٥٦.

(٩) الطبراني في الأوسط وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف كما في الدر ١٧٤/٢. قال الهيثمي في المجمع ٦/٧: فيه نافع مولى يوسف السلمي وهو متروك.

(١٠) البيهقي كما في الدر ١٧٥/٢ وأبونعيم في الحلية ١٧٤/٢ والطبراني في المعجم الصغير ١٨٣/١ وفي إسناده حكيم بن نافع وثقه ابن معين وضعفه أبوزرعة وبقية رجاله ثقات كما في المجمع ٣٢١/٧ وله شاهد عن زيد بن ثابت، راجع الكنز ٦١/٣. وهذه إشارة إلى تفسير قوله تعالى ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ ...﴾ الآية رقم ٥٨ من سورة النساء.

(٤٩) وجوب السمع والطاعة للخلفاء

(٣٤) وعن عكرمة في قوله تعالى ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، قال: أبوبكر وعمر[1].

وعن الكلبي ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ قال: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود[2].

(٣٥) وعن عكرمة أنه سئل عن أمهات الأولاد فقال: هن أحرار، قيل: بأي شيء تقول؟ قال: بالقرآن. قالوا: بماذا من القرآن؟ قال: قول الله ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[3]، وكان عمر من أولي الأمر. قال: أُعتقتْ وإن كان سقطا[4].

(٣٦) عن عمران بن الحصين قال: كان عمر إذا استعمل رجلا كتب في عهده اسمعوا له وأطيعوا ما عدل فيكم[5].

(٣٧) وعن عمر قال: اسمع وأطع وإن أمر عليك عبد حبشي مجدّع، إن ضربك[6] فاصبر وإن حرمك فاصبر وإن أراد أمرا ينتقص دينك فقل: دمي دون ديني[7].

(٥٠) نـــزلت الآية موافقة لعمر رضي الله عنه.

(٣٨) وأخرج الثعلبي عن ابن عباس في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[8] الآية. قال: نـــزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر، خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق إلى كعب الأشرف. ثم إنـــهما احتكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق، وقال: تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب. فقال اليهودي لعمر: قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرضِ بقضائه، فقال للمنافق: كذلك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما. فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد. ثم قال:

---

(١) ابن جرير ١٤٩/٥ وعبد بن حميد وابن عساكر وابن أبي حاتم كما في الدر ١٧٧/٢ وفي إسناده حفص بن عمر العدني ضعيف كما في التقريب ص ١١٩.

(٢) عبد بن حميد كما في الدر ١٧٧/٢ وحال الكلبي معروف.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

(٤) وفي الدر: كانت مسقطاً. ورواه سعيد بن منصور كما في الدر.

(٥) لم أجده عن عمران، بل ذكره السيوطي عن ابن سيرين وقال: أخرجه ابن أبي شيبة، وقد زاغ نظر الإمام المؤلف حين أخذ هذا الأثر عن الدر المنثور ١٧٧/٢ فإنه ذكر فيه أولا عن عمران قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا طاعة في معصية الله، ثم قال: وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن سيرين قال: كان عمر ... الخ.

(٦) ضرك.

(٧) أخرجه البيهقي ١٥٩/٨ وابن أبي شيبة ٥٤٥/١٢ كما في الدر ١٧٧/٢.

(٨) سورة النساء: ٦٠.

هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله. فنــزلت[١]. وللحديث طرق متعددة يتماسك بها؛ عن ابن لهيعة عن أبي الأسود وعن عتبة بن ضمرة عن أبيه وعن مكحول وغيرهم[٢].

(٥١) نــزول الآية موافقة لعمر رضي الله عنه

(٣٩) وأخرج مسلم[٣] في حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال: "لما اعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه دخلت المسجد فناديت بأعلى صـوتي: لـم يطلـق نساءه. ونــزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾[٤]، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر.

(٥٢) عناية عمر بتفسير الآية

(٤٠) وعن يعلي بن أمية قال: سألت عمر بن الخطاب فقلت ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[٥]، قد أمن الناس؟ فقال لي عمر: عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: "صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته"...[٦]

(٥٣) عمر يميز بين اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم وبين اجتهاد غيره.

(٤١) وعن عمرو بن دينار أن رجلا قال لعمر: احكم بيننا بما أراك الله. قال: مه، إنما هذه للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة[٧]. يعني أن اجتهاد النبي معصوم من الخطأ قطعا دون غيره.

(٤٢) وعن ابن وهب قال قال لي مالك: الحكم الذي يحكم به بين الناس على وجهين؛ فالذي حكم بالقرآن والسنة الماضية فذلك الحكم الواجب والصواب، والحكم الذي يجتهد فيه العالم نفسه فيما لم يأت فيه شيء فلعله أن يوافق، قال: وثالث المتكلف لما لا يعلم. فما أشبه

---

(١) السيوطي في الدر ٢/١٧٩.

(٢) أما طريق أبي الأسود فرواه ابن أبي حاتم وابن مردويه، قال ابن كثير: هذا أثر غريب مرسل وابن لهيعة ضعيف. وأما طريق عتبة فرواه الحافظ دحيم في تفسيره، وأما طريق مكحول فرواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول. راجع الدر المنثور ٢/١٨٠، ١٨١ وتفسير ابن كثير ١/٥٢١.

(٣) مسلم (٣٦٩١) كتاب الطلاق باب بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية.

(٤) سورة النساء: ٨٣.

(٥) سورة النساء: ١٠١.

(٦) مسلم (١٥٧٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة المسافرين وقصرها.

(٧) ابن المنذر كما في الدر ٢/٢١٩.

ذلك أن لا يوافق[١].

(٥٤) عناية أبي بكر بتفسير الآية

(٤٣) وروي من طرق متعددة عن علي قال: سمعت أبابكر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من عبد أذنب ذنبا فقام فتوضأ فأحسن وضوءه ثم قام فصلى واستغفر من ذنبه إلا كان حقا على الله أن يغفر له لأنه يقول ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢]"[٣].

(٤٤) وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب اطلع على أبي بكر وهو يمد لسانه، قال: ما تصنع يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: إن هذا الذي أوردني الموارد، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس شيء من الجسد إلا يشكو ذرب اللسان[٤] على حدته"[٥].

(٥٥) وجوب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه

(٤٥) عن مالك قال: كان عمر بن عبد العزيز يقول: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر فيما خالفها. من اقتدى بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن يخالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا[٦].

(٤٦) وعن ابن عمر أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن اختصاء البهائم ويقول: هل النماء إلا في الذكور[٧].

---

(١) ابن أبي حاتم كما في الدر ٢١٩/٢.

(٢) سورة النساء: ١١٠.

(٣) الترمذي (٣٠٣٩) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة النساء، وأبوداود (١٥٢١) أبواب الوتر باب في الاستغفار وابن ماجه (١٣٩٥) أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها باب ما جاء في أن الصلاة كفارة وأحمد ٢/١، والطيالسي ص ٢، والحميدي ٢/١، ٤ وأبوبكر المروزي في مسند أبي بكر ص ٤٢، وابن حبان ص ٦٠٨.

(٤) لسان ذرب: فاحش، سليط.

(٥) أحمد في الزهد ص ١١٢ والنسائي والبيهقي كما في الدر ٢٢١/٢ وعزاه المنذري في الترغيب ٥٣٤/٣ لمالك ٤٠٧/٤ وابن أبي الدنيا أيضا، ورجاله ثقات.

(٦) ابن أبي حاتم كما في الدر ٢٢٢/٢. وهذا تفسير الآية رقم ١١٥ من سورة النساء.

(٧) ابن أبي شيبة ٢٢٧/١٢ وعبدالرزاق ٤٥٧/٤ والبيهقي ٢٤/١٠ أيضا وفيه عاصم بن عبيدالله بن

(٥٦) عناية الشيخين بتفسير الآية

(٤٧) وقد صح من طرق متعددة عن أبي بكر الصديق أنه قال: كيف الفلاح يا رسول الله بعد هذه الآيـة ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[١]؟ فكل سوء جزينا به! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: غفر الله لك يا أبابكر أ لست تُنصب، ألست تحزن، أ لست تصيبك اللأواء[٢]؟ قال: بلى. قال: فهو ما تجزون به[٣].

(٤٨) وفي رواية عن أبي بكر الصديق قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فنـزلت هذه الآية ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبابكر ألا أقرئك آية نـزلت علي؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأقرأنيها فلا أعلم إلا أني وجدت انقصاما في ظهري حتى تمطَّأتُ لها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لك يا أبابكر؟ قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأينا لم يعمل السوء؟! إنا لمجزيون بكل سوء فعلناه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أنت وأصحابك يا أبابكر المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس لكم ذنوب، وأما الآخرون فيجمع لهم ذلك حتى يجزون يوم القيامة[٤].

(٤٩) وعن محمد بن المنتشر قال قال رجل لعمر بن الخطاب: إني أعرف أشد آية في كتاب الله. فأهوى عمر رضي الله عنه فضربه بالدرة، وقال: ما لك نقبت عنها حتى تعلمها، فانصرف حتـى إذا كان الغد قال له عمر: الآية التي ذكرت بالأمس؟ فقال ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، فما منا أحد يعمل سوءا إلا جوزي به. فقال عمر: لبثنا حين نـزلت، ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى أنـزل الله بعد ذلك ورخص وقال ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ

عاصم وهو ضعيف كما في التقريب ص ٢٤٥. وهذه إشارة إلى تفسير قوله تعالى ﴿... فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ...﴾ الآية رقم ١١٩ من سورة النساء.

(١) سورة النساء: ١٢٣.

(٢) المصائب.

(٣) أحمد ١١/١ وابن السني ص١٠٥ وأبو بكر المروزي ص ١٤٧ وأبويعلى رقم ٩٣، والحاكم ٧٤/٣، ٧٥ وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان كما في الموارد رقم ١٧٣٤، ١٧٣٥.

(٤) الترمذي (٣٠٣٩) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة النساء وأبويعلى رقم ٢١، وقال الترمذي: هذا حديث غريب وفي إسناده مقال، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وأحمد، ومولى ابن سباع مجهول. وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه، وليس له إسناد صحيح أيضاً، قلت: مولى ابن سباع مجهول كما قال الترمذي وابن معين وغيرهما وتبعه المزي والحافظ في التقريب لكنه هو عطاء بن يعقوب ثقة معروف من رجال التهذيب والتقريب. راجع للتفصيل الموضح ١٤٩/١، ١٥٠ والله أعلم.

﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١].

(٥٧) تفسير الشيخين أبي بكر وعمر للكلالة[٢]

(٥٠) وأخرج مالك ومسلم[٣] عن عمر قال: ما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة، فقال: يكفيك آية الصيف التي في آخر النساء.

(٥١) وأخرج البخاري ومسلم[٤] عن عمر قال: ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد إلينا فيهن عهدا أنتهي إليه؛ الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا.

(٥٢) وعن سعيد بن جبير أن عمر كتب في الجد والكلالة كتابا فمكث يستخير الله يقول: "اللهم إن علمت أن فيه خيرا فأمضه، حتى إذا طعن دعا بالكتاب فمحا، فلم يدر أحد ما كتب فيه، فقال: إني كتبت في الجد والكلالة كتابا وكنت أستخير الله فيه، فرأيت أن أترككم على ما كنتم عليه[٥].

(٥٣) وعن الشعبي قال: سئل أبوبكر عن الكلالة فقال: إني سأقول فيه برأي أراه، ما خلا الوالد والولد. فلما استخلف عمر قال: الكلالة ما عدا الولد، فلما طعن عمر قال: إني لأستحي الله أن أخالف أبابكر رضي الله عنه[٦].

(٥٤) وعن أبي بكر الصديق أنه قال: من مات وليس له ولد ولا والد وورثته كلالة. فشمخ[٧] منه علي ثم رجع إلى قوله[٨].

(٥٥) وعن قتادة قال: ذكر لنا أن أبابكر الصديق قال في خطبته: ألا إن الآية التي أنزلت في أول سورة النساء في شأن الفرائض، أنزلها الله في الولد والوالد، والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي

---

(١) إسحاق بن راهويه في مسنده كما في الدر ٢/٢٢٧.
(٢) في تفسير الآية ١٧٦ من سورة النساء ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ...﴾.
(٣) مالك ٣/١١٣، ومسلم (٤١٥٠) كتاب الفرائض باب ميراث الكلالة وابن جرير ٦/٤١ والبيهقي ٦/٢٢٤ وذكره السيوطي في الدر ٢/٢٤٩ ومنه أخذه الإمام المؤلف.
(٤) البخاري (٥٥٨٨) كتاب الأشربة باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب ومسلم (٥٧٦٠) كتاب التفسير باب في نزول تحريم الخمر من حديث عبد الله بن عمر عن عمر.
(٥) عبد الرزاق ١٠/٣٠١ لكن من طريق سعيد بن المسيب، وهكذا ذكر عنه السيوطي في الدر ٢/٢٥٠ ورجاله ثقات.
(٦) عبد الرزاق ١٠/٣٠٤ والدارمي ٢/٣٦٥ والبيهقي ٦/٢٢٤ وابن جرير ٦/٤٣ وابن أبي شيبة ١١/٤١٥ وسعيد بن منصور وابن المنذر كما في الدر ٢/٢٥٠.
(٧) فضج، كما في الدر.
(٨) عبد بن حميد كما في الدر ٢/٢٥٠.

الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله مما حبّره به الرحم من العصبة[1].

آيات سورة المائدة

(٥٨) منـــزلة عظيمة وفريدة لأبي بكر وأتباعه في قتال المرتدين

قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[2].

تدل هذه الآيات في الدرجة الأولى على ثبوت الولاية الخاصة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وعلى فضائله وفضائل أتباعه دلالة باهرة لا تترك عذرا لأحد بجهلها ولا تبقى حجة في الإسلام لمنكريها.

تفصيل هذا الإجمال أن الله عز وجل قد أخبر في هذه الآيات بأن فئة من الناس سوف يرتدون عن دين الإسلام، ويثيرون الفتن وسيأتي الله لمقاومتهم ومقاتلتهم بقوم آخرين يحبهم ويحبونه ويتصفون بهذه الصفات، والإتيان بهم يعني أنهم سيبعثون بتوفيق من الله عز وجل جماعات وفرادى، من بين قبائل العرب ويجتمعون تحت راية واحدة ويرفعون سيوفهم في وجه المرتدين. وقد تحققت هذه الخطة بكل صورها وتفاصيلها في خـــلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث التحقت به جحافل شتى من القبائل العربية وتجمعوا تحت رايته وقاتلوا المرتدين حتى اجتثوا الفتنة من أساسها، فخمدت نيرانها المتوقدة ورجعت الأمور إلى ما كانت وعادت المياه إلى مجاريها من الهداية والسلام. ومن ذلك اليوم إلى يومنا هذا وقد مرت أزمنة طويلة وقرون عديدة لم تحصل مواجهة المرتدين بهذه الصورة المذكورة. فكان أبوبكر الصديق رضي الله عنه وأتباعه هـــم الذين قد تقلـــدوا وسام هـــذه الفضائل العظيمة في الإسلام، وما أعظم هذه الفضائل التي لا تساويها فضيلة أخرى! فتدل هذه الآيات على أن خلافته كانت خلافة نبوة دون ريب.

(٥٩) تفرس عمر في القرآن والسنة

(١) وأخرج البخاري ومسلم[3] عن طارق بن شهاب قال قالت اليهود لعمر: إنكم

---

(١) ابن جرير ٦/٤١ والبيهقي ٦/٢٣١ وعبد بن حميد كما في الدر ٢/٢٥١ وإسناده منقطع.

(٢) سورة المائدة: ٥٤-٥٦.

(٣) البخاري (٤٥) كتاب الإيـــمان باب زيادة الإيمان ونقصانه، ومسلم (٧٥٢٦) كتاب التفسير باب

تقرأون آية في كتابكم لو نـزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: وأي آية؟ قالوا ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ...﴾[1] الآية. قال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نـزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه والساعة التي نـزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في يوم الجمعة.

(٢) وعن ميسرة قال: لما نـزلت ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص. قال: صدقت[2].

(٣) وعن علقمة بن عبد الله المزني قال: كنت في مجلس عمر بن الخطاب. فقال عمر لرجل من القوم: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول؟ قال: إن الإسلام بدأ جذعا ثم ثنيا ثم رباعيا ثم سديسا ثم بازلا[3]. قال عمر: ما بعد البزول إلا النقصان![4]

(٤) وعن عمر بن الخطاب قال: المسلم يتزوج النصرانية ولا تتزوج المسلمة النصراني[5]،[6].

(٦٠) عناية عمر وعلي وغيرهما من الصحابة بتفسير آية الوضوء

(١) أخرج مسلم[7] عن بريدة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد، فقال عمر: يا رسول الله، إنك فعلت شيئا لم تكن تفعله. قال: إني عمدا فعلته يا عمر.

(٢) وعن علي أنه قرأ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾[8]، قال: عاد إلى الغسل[9].

(٣) وعن ابن مسعود أنه قرأ ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾، بالنصب، وعن

في تفسير آيات متفرقة.

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) [والصواب عن عنترة] ابن جرير ٦/٨٠، وابن أبي شيبة كما في الدر ٢/٢٨٥، ورجاله ثقات.

(٣) أسماء لأعمار البهائم حتى تكتمل قوة ونضجا، كناية عن رحلة الإسلام من بدء الرسالة إلى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾.

(٤) راجع ص ١٥٢.

(٥) عبد الرزاق٦/٧٨، والبيهقي ٧/١٧٢ وفي إسناده يزيد بن أبي زياد وفيه كلام معروف.

(٦) إشارة إلى تفسير قولـه تعالى ﴿... وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ...﴾ الآية رقم ٥ من سورة المائدة.

(٧) (٦٤٢) كتاب الطهارة باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد.

(٨) سورة المائدة: ٦.

(٩) رواه سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٢/٣٦٢.

عروة[1] أنه كان يقرأ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾، يقول: رجع الأمر إلى الغسل[2].

(٤) وعن أبـي عبد الرحمن السلمي قال: قرأ الحسن والحسين ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ فسمع علي رضي الله عنه ذلك وكان يقضي بين الناس فقال ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ هذا من المقدم والمؤخر من الكلام[3].

(٥) وعن الأعمش قال: كانــوا يقرؤونها برؤوسكم وأرجلكم بالـــخفض وكانوا يغسلون[4].

(٦) وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غسل القدمين[5].

(٧) وعن الحكم قال: مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين بغسل القدمين[6].

(٨) وعن أنس قال: نــزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل، قلت: خالفهم ابن عباس فقال بالمسح. وكان عمله على الغسل[7].

(٩) عن ابن عباس قال: أبى الناس إلا الغسل ولا أجد في كتاب الله إلا المسح[8].

(١٠) وعن ابن عباس قال: الوضوء غسلتان ومسحتان[9].

(١١) وعن ابن عباس قال: افترض الله غسلتين ومسحتين ألا ترى أنه ذكر التيمم فجعل مكان الغسلتين مسحتين وترك المسحتين[10].

---

(١) ابن جرير ١٢٧/٦، وعزاه السيوطي في الدر إلى ابن أبي شيبة أيضاً، وفي إسناد ابن جرير سفيان بن وكيع وفيه كلام وبقية رجاله ثقات وعبدالرزاق ٢١/١ ورجاله ثقات.

(٢) سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والنحاس كمـــا في الدر، وعبد الرزاق ٢٠/١ والبيهقي ٧٠/١، والطبراني كما في المجمع ٢٣٤/١ وإسناد البيهقي حسن.

(٣) ابن جرير ١٢٧/٦ وفي إسناده علي بن يزيد الصدائي وفيه لين كما في التقريب ص ٣٧٧ وشيخه حفص بن سليمان الغافري متروك الحديث كما في التقريب ص ١١٨.

(٤) عبد بن حميد كما في الدر ٢٦٢/٢.

(٥) سعيد بن منصور كما في الدر.

(٦) ابن أبي شيبة ١٩/١ وفي إسناده أبوالجحاف داود بن أبي عوف صدوق شيعي ربما أخطأ كما في التقريب ص ١٤٨ وبقية رجاله ثقات.

(٧) ابن جرير ١٢٨/٦ وإسناده حسن.

(٨) أخرجه ابن أبي شيـــبة ٢٠/١ ومن طريقه ابن ماجه (٤٥٨) وإسناده حسن، وعزاه السيوطي في الدر إلى عبدالرزاق أيضاً. و لم أجده.

(٩) عبد الرزاق ١٩/١ وابن جرير ١٢٨/٦ ورجاله ثقات.

(١٠) عبد الرزاق ١٩/١ وعبد بن حميد كما في الدر ٢٦٢/٢ وفي إسناده قتادة مدلس ثم إنه عن جابر بن يزيد أو عكرمة، بالشك.

(٦١) منـــزلة آل أبي بكر

(١٢) وأخرج البخاري[١] عن عائشة قالت سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة فأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونـــزل فثنى رأسه في حجري راقدا وأقبل أبوبكر فلكزني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قلادة. فَبِـــيَ الموت لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يجد فنـــزلت هذه الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ...﴾[٢] الآية، فقال أسيد بن الحضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر.

(٦٢) نـــزلت الآيات في النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومنهم خلفاؤه الأربعة إذ نجاهم الله من مؤامرة اليهود

(١٣) ذكر عكرمة[٣] في حديث طويل أن رجلين من المسلمين قتلا رجلين كان بين قومهما وبين النبي صلى الله عليه وسلم مواعدة[٤] فقدم قومهما على النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون عقلهما[٥] فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على بني النضير يستعينونهم في عقلهما. فقالوا: نعم. فاجتمعت اليهود لقتل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فاعتلوا له بصنعة الطعام. فأتاه جبريل بالذي اجتمعت له اليهود من الغدر، وخرج ثم دعا عليا فقال: لا تبرح مكانك هذا فمن مر بك من أصحابي فسألك عني فقل: وَجَّه إلى المدينة فأدركوه، فجعلوا يمرون على علي فيقول لهم الذي أمره النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتى عليه آخرهم، ثم تبعهم، ففي ذلك نـــزلت ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ... إلى... وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾[٦]

(٦٣) عناية عمر بتفسير الآيات[٧]

(١٤) وعن مسروق قال: قلت لعمر بن الخطاب أرأيت الرشوة في الحكم من

---

(١) (٣٣٤) كتاب الطهارة أول كتاب التيمم، ومسلم (٨١٦) كتاب الحيض باب التيمم.

(٢) سورة المائدة: ٦.

(٣) ابن جرير ٦/١٤٥ وابن المنذر كما في الدر ٢/٢٦٦. قلت: ومع انقطاعه فيه ضعف.

(٤) صلح.

(٥) ديتهما.

(٦) سورة المائدة: ١١- ١٣.

(٧) هاتـــان الروايتان تـــخصان تفسير الآية رقم ٤٢ من سورة المائدة ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ...﴾ وما بعدها من الآيات الحكيمة.

السحت[1] هي؟ قال: لا، ولكن كفر! إنما السحت أن يكون للرجل عند السلطان جاه ومنزلة ويكون للآخر إلى السلطان حاجة فلا يقضي حاجته حتى يهدي إليه هدية[2].

(١٥) وعن عمر قال: بابان من السحت يأكلهما الناس: الرشا في الحكم ومهر الزانية[3].

(١٦) عن ليث قال: تقدم إلى عمر بن الخطاب خصمان فأقامهما ثم عادا فأقامهما ثم عادا ففصل بينهما، فقيل له في ذلك، فقال: تقدما إلي فوجدت لأحدهما ما لم أجد لصاحبه فكرهت أن أفصل بينهما على ذلك ثم عادا فوجدت بعض ذلك فكرهت ثم عادا وقد ذهب ذلك ففصلت بينهما[4].

(٦٤) حرص عمر على التزام العمل بالآية

(١٧) عن عياض أن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم[5] واحد، وكان له كاتب نصراني فرفع إليه ذلك فعجب عمر وقال: إن هذا لحفيظ! هل أنت قارئ لنا كتابا في المسجد، جاء من الشام؟ فقال: إنه لا يستطيع أن يدخل المسجد. قال عمر: أ جنب؟ قال: لا، بل نصراني. قال: فنهرني وصرف فخذي ثم قال: أخرجه. ثم قرأ ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ...﴾ الآية[6]،[7].

(٦٥) نزول الآية في أبي بكر الصديق وأتباعه

(١٨) عن قتادة قال: أنزل الله هذه الآية وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس فلما قبض الله نبيه ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد: أهل المدينة وأهل مكة وأهل الجواثا من عبد القيس. وقال الذين ارتدوا: نصلي الصلاة ولا نزكي، والله لا نُغصب أموالنا. فتكلم أبوبكر في ذلك يتجاوز عنهم وقيل أما إنهم لو قد فقهوا أدوا الزكاة. فقال: والله لا أفرق بين شيء جمعه الله، ولو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه، فبعث الله بعصاب مع أبي بكر فقاتلوا حتى قتلوا وأقروا بالماعون وهو الزكاة.

---

(١) أي من الحرام.
(٢) ابن المنذر كما في الدر ٢/٢٨٣.
(٣) عبد بن حميد وابن جرير عن ابن عمر كما في الدر ٢/٢٨٤ والله أعلم. ووكيع في أخبار القضاة ١/٥٠ عن عمر وعبد الله، وهكذا عن ابن مسعود أيضاً.
(٤) الحكيم الترمذي كما في الدر ٢/٢٨٧.
(٥) وفي الدر: أزيم.
(٦) سورة المائدة: ٥١.
(٧) ابن أبي حاتم و البيهقي في الشعب كما في الدر ٢/٢٩١.

قال قتادة: فكنا نتحدث أن هذه الآية في أبي بكر وأصحابه ﴿... فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ...﴾ إلى آخر الآية[١]،[٢].

(١٩) وعن الضحاك قال: أبوبكر وأصحابه، لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام جاهدهم أبوبكر بأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام[٣].

(٢٠) عن الحسن في قوله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال: هم الذين قاتلوا أهل الردة من العرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر وأصحابه[٤].

(٢١) عن القاسم بن مخيمرة قال: أتيت عمر فرحب بي ثم تلا ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، ثم ضرب على منكبي وقال: أحلف بالله أنهم لمنكم أهل اليمن، ثلاثا[٥].

(٢٢) عن أبي موسى الأشعري قال: تليت عند النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال: هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون ثم من تجيب[٦].

قلت: إن هذا الأمر قد وقع، وقتال المرتدين قد تحقق بمعاونة ومساندة من أهل اليمن[٧].

(٦٦) عناية الشيخين أبي بكر وعمر بتفسير آية الكفاره

(٢٣) عن عمر بن الخطاب قال: إني أحلف لا أعطي أقواما ثم يبدو لي أن أعطيهم

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.

(٢) ابن جرير ٢٨٣/٦ والبيهقي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبوالشيخ كما في الدر ٢٩٥/٢ ورجاله ثقات.

(٣) ابن جرير ٢٨٣/٦ وابن أبي حاتم كما في الدر ٢٩٢/٢. وفي إسناده جويبر ضعيف جداً كما في التقريب ص ٨٤.

(٤) ابن جرير ٢٨٢/٦ وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبوالشيخ وخيثمة الاطرابلسي في فضائل الصحابة والبيهقي في الدلائل ٣٦٢/٦ وفي الاعتقاد ص ١٧٤ من طرق عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر ٢٩٢/٢ أيضاً.

(٥) البخاري في التاريخ الكبير ٤ ق ١٦١/١ وذكره السيوطي في الدر ٢٩٢/٢ هكذا: عن القاسم بن مخيمرة، لكن وقع في التاريخ: القاسم بن ينخسرة، وفي الجرح والتعديل: تنخسرة. والله أعلم.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ عن أبي موسى. نعم روى البيهقي في الدلائل ٣٥٢/٥ وأبوالشيخ وابن مردويه والحاكم في جمعه لحديث شعبة وابن جرير وغيرهم كما في الدر ٢٩٢/٢ بلفظ: تلوت عند النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ فقال لي: هم قومك يا أبا موسى أهل اليمن. وأما بهذا اللفظ؛ فرواه ابن أبي حاتم والحاكم في الكنى وأبوالشيخ والطبراني في الأوسط وابن مردويه بسند حسن كما في الدر، والمجمع ١٦/٧.

(٧) وقد قال البيهقي في الدلائل ٣٦٢/٦: هذا لا يخالف ما روينا في ذلك -في أهل اليمن- فمن بقي من مهاجري اليمن كان من جملة أصحاب أبي بكر حين قاتلوا أهل الردة فوجد بحمد الله ونعمته تصديق الخبر في جميع ذلك. وبالله التوفيق.

فأطعم عشرة مساكين صاعا من شعير أو صاعا من تمر أو نصف صاع من قمح[١].

(٢٤) وعن عائشة كان أبوبكر إذا حلف لم يحنث حتى نـزلت آية الكفارة[٢]، وكان بعد ذلك يقول: لا أحلف على يمين، فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وقبلت رخصة الله[٣].

(٦٧) نـزول الآيات موافقة لعمر رضي الله عنه

(٦٨) كان عمر أول من فرض حد شارب الخمر ٨٠ جلدة

(٢٥) وأخرج الترمذي[٤] عن عمر بن الخطاب أنه قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنـزلت التي في البقرة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ...﴾[٥] الآية. فدعي عمر فقرئت عليه ثم قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنـزلت التي في النساء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ...﴾[٦]، فدعي عمر فقرئت عليه، ثم قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء فنـزلت التي في المائدة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٧] فدعي عمر فقرئت عليه فقال: انتهينا انتهينا.

(٢٦) وأخرج النسائي[٨] عن عبد الرحمن بن الحارث قال: سمعت عثمان رضي الله عنه يقول: اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث. إنه كان رجل ممن خلا قبلكم يتعبد فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر. فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع علي أو تشرب الخمر كأسا أو تقتل هذا الغلام. قال: فاسقيني من

---

(١) ابن جرير ١٨/٧ وابن أبي شيبة ٩/١/٤ وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبوالشيخ كما في الدر ٣١٢/٢ من طرق عن عمر ورجاله ثقات.

(٢) تشير الروايتان إلى الآية رقم ٨٩ من سورة المائدة.

(٣) البخاري (٦٦٢١) أول كتاب الأيمان والنذور باب قول الله ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ ...﴾ الآية.

(٤) (٣٠٤٩) وأبوداؤد (٣٦٧٠) والنسائي (٥٥٤٢)، والبيهقي ٢٨٥/٨ وابن جرير ٣٣/٧ وأحمد ٥٣/١ وصححه الترمذي وعلي بن المديني كما في التحفة.

(٥) سورة البقرة: ٢١٩.

(٦) سورة النساء: ٤٣.

(٧) سورة المائدة: ٩١.

(٨) (٥٦٦٩)، والبيهقي ٢٨٧/٨ وقال ابن كثير في التفسير ٩٧/٢: إسناده صحيح وابن أبي الدنيا في كتابه ذم المسكر مرفوعاً والموقوف أصح. وابن حبان ٣٦٧/٧ مرفوعاً أيضاً.

هذا الخمر فسقته كأسا، قال: زيدوني، فلم يزل حتى وقع عليها وقتل النفس. فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يُخرِج أحدهما صاحبه.

(٢٧) عن ابن عباس أن الشراب كانوا يضربون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأيدي والنعال والعصي حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبوبكر: لو فرضنا لهم حدا، فتوخى نحو ما كانوا يضربون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكان أبوبكر جلدهم أربعين حتى توفي ثم كان عمر من بعده فجلدهم كذلك أربعين حتى أتي برجل من المهاجرين الأولين وقد شرب فأمر به أن يجلد. فقال: لم تجلدني؟ بيني وبينك كتاب الله. قال: وفي أي كتاب الله تجد أن لا أجلدك؟ فقال: إن الله يقول في كتابه ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾[1] فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وأحسنوا؛ شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والخندق والمشاهد. فقال عمر: ألا تردون عليه؟ فقال ابن عباس: هؤلاء الآيات نـزلت عذرا للماضين وحجة على الباقين. عذرا للماضين لأنهم لقوا الله قبل أن تحرم عليهم الخمر وحجة على الباقين لأن الله يقول ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾[2]... الآية حتى بلغ الآية الأخرى ... ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾ فإن الله قد نهى أن يشرب الخمر. فقال عمر: فماذا ترون؟ فقال علي بن أبي طالب: نرى أنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانون جلدة، فأمر عمر فجلد ثمانين[3].

(٦٩) عناية الخلفاء بتفسير آية جزاء الصيد

(١) وعن الحكم في آية جزاء الصيد أن عمر كتب أن يحكم عليه في الخطأ والعمد[4].

(٢) عن ميمون بن مهران أن أعرابيا أتى أبابكر قال: قتلت صيدا وأنا محرم فما ترى علي من الجزاء؟ فقال أبوبكر لأبي بن كعب وهو جالس عنده: ما ترى فيها؟ فقال الأعرابي: أتيتك وأنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك، فإذا أنت تسأل غيرك؟! قال أبوبكر:

---

(١) سورة المائدة: ٩٣.

(٢) سورة المائدة: ٩٠.

(٣) الحاكم ٤/٣٧٥ والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف ٥/١١٨ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. قلت: بل في إسناده يحيى بن فليح قال ابن حزم: مجهول. وقال مرة: ليس بالقوي كما في اللسان ٦/٢٧٣. ورواه مالك في الموطأ عن ثور معضلاً. راجع إرواء الغليل ٨/٤٧.

(٤) ابن أبي شيبة ٤/٢٥ وابن جرير وابن أبي حاتم كما في الدر ٢/٣٢٧ وفي إسناده جابر الجعفي وفيه كلام معروف.

وما تنكر، يقول الله ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[(١)] فشاورت صاحبي حتى إذا اتفق على شيء أمرناك به[(٢)].

(٣) عن بكر بن عبد الله المزني قال: كان رجلان محرمين فحاش أحدهما ظبيا فقتله الآخر، فأتيا عمر وعنده عبد الرحمن بن عوف فقال له عمر: وما ترى؟ قال: شاة. قال: وأنا أرى ذلك، اذهبا فأهديا شاة. فلما مضيا قال أحدهما لصاحبه: ما أدرى أمير المؤمنين ما يقول حتى يسأل صاحبه. فسمعها عمر فردهما وأقبل على القائل ضربا بالدرة، قال: تقتلون الصيد وأنتم حرم وتغمصون الفتيا[(٣)]، إن الله تعالى يقول ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ثم قال: إن الله لم يرض لعمر وحده فاستعنت بصاحبي هذا[(٤)].

(٤) عن ابن عباس قال: خطب أبوبكر الناس وقال ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾[(٥)] قال: وطعامه ما قذف به[(٦)].

(٥) وعن أنس عن أبي بكر الصديق في الآية قال: صيده ما حَويت عليه وطعامه ما لفظ إليك[(٧)].

(٦) عن أبي هريرة قال: قدمت البحرين فسألني أهل البحرين عما يقذف البحر من السمك فقلت لهم: كلوا. فلما رجعت سألت عمر بن الخطاب عن ذلك فقال: بم أفتيتهم؟ قلت: أفتيتهم أن يأكلوا. قال: لو أفتيتهم بغير ذلك لعلوتك بالدرة، ثم قال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ فصيده ما صيد منه، "وطعامه" ما قذف[(٨)].

(٧) وعن الحارث بن نوفل قال: حج عثمان بن عفان فأتي بلحم صيد صاده حلال فأكل منه عثمان و لم يأكل علي، فقال عثمان: والله ما صدنا ولا أمرنا ولا أشرنا. فقال علي ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[(٩)].

قلت: يطلق الصيد على مصدر صاد يصيد حينا وعلى الحيوان الذي صيد حينا آخر.

---

(١) سورة المائدة: ٩٥.
(٢) عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر ٣٢٩/٢.
(٣) أي تحتقرون وتستهينون وتطعنون حكم الشريعة وفتواها.
(٤) عبد بن حميد وابن جرير ٤٨/٧ كما في الدر ٣٢٩/٢ ورجاله ثقات.
(٥) سورة المائدة: ٩٦.
(٦) عبد بن حميد وابن جرير ٤٨/٧ ورجاله ثقات لكنه منقطع.
(٧) أبوالشيخ من طريق قتادة عن أنس، كما في الدر ٣٣١/٢.
(٨) البيهقي ٢٥٤/٩ وابن جرير ٦٥/٧ ورجاله ثقات وابن أبي شيبة ٣٥٨/١/٤ أيضاً.
(٩) ابن جرير ٧٠/٧ وابن أبي شيبة ٣٦٠/١/٤ وابن أبي حاتم وأبوالشيخ كما في الدر ٣٣٢/٢ وفي إسناده يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف لكن تابعه عبد الرحمن بن يزيد عند ابن أبي شيبة.

(٨) عن الحسن أن عمر بن الخطاب لم يكن يرى بأسا بلحم الصيد للمحرم إذا صيد بغيره وكرهه علي بن أبي طالب[١].

(٧٠) عناية أبي بكر بشرح أسلوب القرآن

(٩) عن الحسن أن أبابكر الصديق حين حضرته الوفاة قال: ألم تر أن الله ذكر آية الرجاء عند آية الشدة وآية الشدة عند آية الرجاء، ليكون المؤمن راغبا راهبا لا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقي بيده إلى التهلكة[٢].

(٧١) نـــزول الآية موافقة لعمر رضي الله عنه

(١٠) وعن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمار وجهه حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال: أين آبائي؟ قال: في النار. فقام آخر، فقال: من أبي؟ قال: أبوك فلان. فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما، إنا يا رسول الله حديث عهد بالجاهلية والشرك والله أعلم من آباؤنا. فسكن غضبه ونـــزلت هذه الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ ...﴾[٣]، [٤].

(٧٢) تفرس الشيخين أبي بكر وعمر في تفسير القرآن الكريم

(١١) عن قيس قال قام أبوبكر فحمد الله وأثنى عليه وقال: يأيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[٥] وإنكم تضعونها على غير موضعها وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا منكرا ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب[٦].

(١٢) عن أبي ذر قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: بأبي أنت وأمي يا رسول الله

---

(١) ابن أبي شيـــبة ٣٥٨/١/٤ وليس عنده: "وكرهه علي بن أبي طالب"، وابن جرير ٧١/٧ بتمامه. ورجاله ثقات لكنه منقطع.

(٢) أبوالشيخ كما في الدر ٣٣٤/٢.

(٣) سورة المائدة: ١٠١.

(٤) ابن جرير ٨١/٧ والفريابي وابن مردويه كما في الدر ٣٣٥/٢ وقال ابن كثير في التفسير ١٠٥/٢: إسناده جيد.

(٥) سورة المائدة: ١٠٥.

(٦) راجع ص ٣٢٧.

قمت الليلة بآية من القرآن ومعك قرآن، لو فعل هذا بعضنا وجدنا عليه[١]، قال: دعوت لأمتي. قال: فماذا أجبت؟ قال: أجبت بالذي لو اطلع كثيـــر منهم لتركوا الصلاة. قال: أفلا أبشر الناس؟ قال عمر: يا رسول الله إنك إن تبعث إلى الناس بهذا اتكلوا عن العبادة، فناداه أن ارجع. فرجع وتلا الآية التي يـتلوها ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٢]، [٣].

آيات سورة الأنعام

(٧٣) نـــزلت الآية في المؤمنين السابقين الأولين المستضعفين

قال الله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤].

(٧٤) مناقب المؤمنين المهاجرين الأولين وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة

وقال سبحانه ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٢٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣) وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ (١٢٤) فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٥].

يبين الحق سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة مناقب ثلاث فرق من المهاجرين الأولين. أما **الفريق الأول**؛ فهم علماء الصحابة وأذكياؤهم الذين ما أن بلغهم نبوة المصطفى

---

(١) أي غضبنا عليه.

(٢) سورة المائدة: ١١٨.

(٣) أحمد ٥/١٧٠ والبيهقي ٣/١٣، ١٤ والنسائي في الكبرى وابن ماجه (١٣٥٠) وابن أبي شيـبة وابن مردويه مختصراً ومطولاً كما في الدر ٢/٣٤٩ وإسناده حسن.

(٤) سورة الأنعام: ٥٢.

(٥) سورة الأنعام: ١٢٢- ١٢٧.

عليه الصلاة والسلام تحركوا نحو الإيمان به بما كان يغشى صدورهم من القرائن الدالة على نبوته وبما كانوا قد جبلوا عليه فطرة من كره الأصنام والشعور بالتوحيد والابتعاد عن المحرمات الناقصة للفطرة السليمة من الزنا والخمر وبما كانوا قد رأوا في المنام من إشارات ربانية دلتهم على الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان على رأس القائمة سيدنا أبوبكر الصديق، وكان من ركبه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. فهؤلاء لم يكونوا بحاجة إلى رؤية معجزات باهرة ولا تكرار الدعوة ولا مناقشات طويلة. فالله سبحانه وتعالى قارن بين هؤلاء الأبرار، ولا سيما الذي كان على رأس قائمة الإيمان، وبين الأشرار من الكفار الفجار الذين كانوا على طرف نقيض من المؤمنين وضرب بهم المثل في النور والظلمات وطلعة النهار الجلي وظلمة الليل الداكن البهيم، فقال تعالى ﴿**فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ**﴾.

أما **الفريق الثاني**؛ فهم الذين غالوا في الكفر وقد عادوا النبي صلى الله عليه وسلم حينا من الدهر، فقد كانوا في موت معنوي يوم أن بعث، وظلوا غارقين في دياجير الكفر وظلماته، إلا أن رحمة الله شملتهم وأخذت بأيديهم ونفثت فيهم الحياة المعنوية فأصبحوا من أشراف المؤمنين منهم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب، بل كان عمر على رأس القائمة. وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هؤلاء وإلى قائدهم وقارن بينهم وبين من بقوا مصرين على كفرهم وضلالتهم مثل أبي جهل ومن هلك معه.

أما **الفريق الثالث**؛ فهم المسلمون الضعفاء من عبيد قريش ومواليهم ممن كان يترفع رؤساؤهم عن مصاحبتهم ومجالستهم وقد نـــزلت فيهم ﴿**وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم...**﴾.

وهنا يجدر بالذكر أن أسلوب التعريض الذي اشتملت عليه هذه الآيات الكريمة لا يفيد ولا يعين المراد منه إلا إذا دلت قرائن حالية أو قولية عديدة على ذلك الشخص الواحد المراد منه دون غيره. وفي مثل هذه الصورة فقط يمكننا أن نصل من العام أو المطلق إلى مراده الخاص. فمن القرائن التي توجد فيها:

القرينة الأولى: هي أن سورة الأنعام -بإجماع المفسرين- نـــزلت جملة واحدة بمكة في الفترة التي أسلم فيها سيدنا عمر رضي الله عنه، وكان سيدنا أبوبكر رضي الله عنه أسلم قبلها بزمن بعيد. ومن هنا لفظ ﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا**﴾ و﴿**فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ**﴾ لا يشمل المتأخرين من المهاجرين ولا الأنصار ولا من اتبعوهم بإحسان، بل المراد منها تلك الفئة القليلة التي ما كانت تتجاوز خمسين أو ستين مسلما ممن أسلموا في تلك الآونة التي نـــزلت فيها هذه الآيات.

والقرينة الثانية: ﴿**مَن كَانَ مَيْتًا**﴾ تدل على أنه كان قد مضى على بعثة الرسول صلى

الله عليه وسلم زمن طويل وهذا الشخص المشار إليه لم يؤمن بالرسالة وقد آمن بعد ذلك وصلح إيمانه، فكان له شأن في الدفاع عن الإسلام والثبات والصبر كما كان له قبل ذلك شأن في الكفر يرشحه بأن نعده في أكابر مجرميها، وتتجلى فيه بوجه خاص قدرة الله عز وجل التي ذكرت في قوله ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ...﴾ الآية حيث يؤمن ذلك الشخص من قرارة نفسه ومن غير تكرار الدعوة لـــه، ومن غير مناقشة أو مخاصمة ولا يعتري قلبه من غبار شبهات ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ وغيرها. فيدرك من تلقاء نفسه سر شرائع السماء، كما يجحد بما أوتي من فهم سليم جميع من أشركهم بالله سبحانه وتعالى وينبذهم جملة واحدة.

والقرينة الثالثة: يقول الله عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ أي إنه هاد ومهتد وسينتفع المسلمون به. وفي هذا الفريق -كما لا يخفى على أحد- نجد الكلام منحصراً في شخص سيدنا عمر رضي الله عنه.

والقرينة الرابعة: وقد قورنت هذه الشخصية المشار إليها مع أكابر المجرمين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي جهل حين قتل: مات اليوم فرعون هذه الأمة[١]. وكان سبق أن دعا: "اللهم أيدني بأحب هذين الرجلين إليك، عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام"[٢].

وقد أجيبت دعوته في عمر بن الخطاب. فبالنظر إلى مجموع هذه القرائن ينصرف الذهن من غير تردد إلى الشيخين أبي بكر وعمر فقط.

ثم يجب أن نعرف أن الله سبحانه وتعالى قد وصف أحدهم بشرح الصدر للإسلام وهذا يعني "الصديقية"، ووصف الثاني بالحياة المعنوية وبالنور الذي يؤثر في الناس وبحقيقة الخلافة الخاصة وحقيقة "المحدثية"[٣]، ثم نرى وعده إياهم دار السلام وتثبيتهم على الصراط المستقيم، ويقول إنه وليهم، وما أعظم هذا الشرف!

وهذه من صفات الخلافة الخاصة.

ثم يمدح الفريق الثالث أنهم ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾، ثم يزكي إخلاصهم لله عز وجل ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ ويعدهم مغفرة من عنده، وإنه لفضيلة وشرف أعلى من هذه الفضائل كلها!

---

(١) أحمد ٤٠٣/١، ٤٤٤ عن ابن مسعود ورجاله ثقات.

(٢) راجع ص ١٨٤ و ١٨٧ بمعناه.

(٣) وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قد كان في الأمم محدّثون، فإن يكن في أمتي فعمر بن الخطاب". راجع ص ٥٩. والمحدث بفتح الدال وتشديدها الرجل الصادق الظن والملهم.

(١) عن عمر بن الخطاب قال: الأنعام من نواجب القرآن[١]. قلت: في الدر المنثور[٢]: الأنعام من نجايب القرآن أو نواجبه، أي أفاضل سوره، جمع نجيبة، والنواجب هي عتاقه.

(٢) وعن قيس قال: دخل عثمان بن عفان على عبد الله بن مسعود فقال: كيف تجدك؟ قال: مردودا إلى مولاي الحق. قال: طبت[٣].

(٣) وأخرج الترمذي[٤] عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾[٥]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد".

قلت: يعني قوله تعالى ﴿يُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قتال المسلمين بعضهم بعضا، وهذا ما وقع بعد ذلك بخمس وثلاثين عاما، وقد رفع ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي ثبت في حديث متواتر[٦] منه وبقي ﴿يُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ على حاله. أما عن قوله ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ...﴾الآية، فقد أخرج مسلم[٧] عن سعد ابن أبي وقاص قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: اطرد هؤلاء لا يجترءون علينا. قال: كنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست اسميهما، فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ...﴾[٨] الآية.

(٧٥) عناية الشيخين أبي بكر وعمر بتفسير الآية

(٥) عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟

(١) الدارمي ٢/٤٥٣ وأبوعبيد في فضائله ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة وأبوالشيخ كما في الدر ٣/٣.
(٢) ٣/ ٣.
(٣) ابن أبي حاتم كما في الدر ٣/١٦.
(٤) (٣٠٦٦) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنعام وحسنه وأحمد ١/١٧١ ونعيم بن حماد في الفتن وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر ٣/١٧.
(٥) سورة الأنعام: ٦٥.
(٦) روي بمعناه عن سعد وابن عباس وعبد الله بن عمرو وأنس وحذيفة وأبي هريرة وخباب بن الأرت وخالد الخزاعي وغيرهم. راجع الدر المنثور ٣/١٧، ١٨، ١٩ وابن كثير ٢/١٤٠.
(٧) (٦٢٤٠) كتاب فضائل الصحابة باب في فضل سعد بن أبي وقاص. راجع الدر ٣/١٣.
(٨) سورة الأنعام: ٥٢.

﴿إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[1]، قال: ما تقولون؟ قالوا: لم يظلموا. قال: حملتم الأمر على الشدة، بظلم؛ (أي) بشرك، ألم تسمع إلى قول الله ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]، [3].

(٦) وعن عمر بن الخطاب ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، قال: بشرك[4].

(٧٦) حرص عمر الفاروق على ربط سببه بالرسول صلى الله عليه وسلم

(٧) عن عكرمة قال: "لما تزوج عمر أم كلثوم بنت علي اجتمع له أصحابه فبرّكوا له ودعوا له، فقال: "تزوجتها ومالي حاجة إلى النساء ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي"، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب[5].

(٧٧) نـزلت الآية في عمر وأبي جهل بن هشام.

(٨) عن ابن عباس في قوله ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾، قال: كان كافرا ضالا فهديناه وجعلنا له نوراً، هو القرآن، ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾، في الكفر والضلالة[6].

(٩) وعن زيد بن أسلم في قوله ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ قال: نـزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام كانا ميتين في ضلالتهما فأحيا الله عمر بالإسلام وأعزه وأقر أبا جهل في ضلالته وموته. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فقال: "اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر ابن الخطاب"[7]. وعن الحسن مثله.

---

(١) سورة الأنعام: ٨٢.
(٢) سورة لقمان: ١٣.
(٣) الفريابي وابن أبي شيبة والحكيم الترمذي في النوادر وابن جرير ٢٥٦/٧ وابن المنذر وأبوالشيخ وابن مردويه كما في الدر ٢٧/٢.
(٤) أبوالشيخ كما في الدر.
(٥) عبدالرزاق وعبد بن حميد كما في الدر ٣٣/٣ وروى الحاكم ١٤٢/٣ والبيهقي والضياء والبزار والطبراني من طريق آخر عن عمر بدون القصة.
(٦) ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبوالشيخ كما في الدر ٤٣/٣.
(٧) ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبوالشيخ أيضاً كما في الدر.

(١٠) عن الضحاك في قوله ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾. قال: عمر بن الخطاب، ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، قال: أبوجهل بن هشام[١].

(١١) وعن أبي سنان ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قال: نزلت في عمر بن الخطاب.

يرى جمهور المفسرين في هذه الآية تعريضاً لعمر بن الخطاب ولأبي جهل[٢].

(١٢) فعن ابن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير القلوب فاصطفاه لنفسه فانبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيئ[٣].

(١٣) عن أبي الصلت الثقفي أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[٤] بنصب الراء، وقرأها بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حرجا، بالخفض، فقال عمر: ابغوني رجلا من كنانة واجعلوه راعيا، فأتوا به، فقال له عمر: يا فتى ما الحَرَجة فيكم، قال: الحرجة فينا الشجرة التي تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء، فقال عمر: كذلك قلب المنافق، لا يصل إليه شيء من الخير[٥].

(٧٨) عناية أبي بكر وعلي بنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم على تبليغ دعوته
(٧٩) وبشارة بفتح بلاد فارس في المستقبل القريب

(١٤) وعن علي بن أبي طالب قال: لما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج إلى منى وأنا معه وأبوبكر، وكان أبوبكر رجلا نسابة فوقف على منازلهم ومضاربهم بمنى فسلم عليهم وردوا السلام. وكان في القوم مفروق بن عمرو وهاني بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك. وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق قد غلب عليهم بيانا ولسانا، فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: إلى ما تدعونا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس. وقام أبوبكر يظله بثوبه، فقال النبي صلى

---

(١) ابن جرير ٢٢/٨ وابن أبي حاتم كما في الدر ٤٣/٣.
(٢) أبوالشيخ كما في الدر.
(٣) راجع ص ٥٢.
(٤) سورة الأنعام: ١٢٥.
(٥) ابن جرير ٢٨/٨ وعبد بن حميد وابن المنذر وأبوالشيخ كما في الدر ٤٥/٢ وفي إسناد ابن جرير عبدالله بن عمار مجهول كما في التقريب ص ٢٧٨ والميزان ٤٦٤/٢.

الله عليه وسلم: أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله ولا تؤذوني وتضربوني وتمنعوني حتى أؤدي عن الله الذي أمرني به، فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله وأعانت الباطل على الحق والله هو الغني الحميد.

قال له: وإلى ما تدعوني أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... إلى قوله تعالى ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، [2].

قال له مفروق: إلى ما تدعوني أيضاً يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ولو كان من كلامهم لعرفناه. فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ...﴾ الآية، فقال له مفروق: دعوت والله يا قريشي في مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك. وقال هاني بن قبيصة: قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش وأعجبني ما تكلمت به.

ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لن تلبثوا إلا يسيرا حتى يمنحكم الله بلادهم وأولادهم - يعني أرض فارس وأنهار كسرى - ويُعرسكم بناتهم، تسبحون الله وتقدسونه، قال له النعمان بن شريك: اللهم وأنى ذلك لك يا أخا قريش؟ فتلا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[3] الآية، ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قابضا على يد أبي بكر.

(٨٠) عناية عمر بتدبر آيات القرآن الكريم

(١٤) عن ابن عباس قال خطبنا عمر فقال: أيها الناس سيكون قوم من هذه الأمة يكذّبون بالرجم ويكذّبون بالدجال ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا[4].

---

(١) سورة الأنعام: ١٥١، ١٥٣.

(٢) هكذا ذكره السيوطي مختصراً في الدر ٥٤/٢ وعزاه إلى البيهقي وأبي نعيم، وهو عند البيهقي في الدلائل ٤٢٣/٢ وأبونعيم أيضاً في الدلائل ص ٩٧، ٩٨ وإسناده حسن.

(٣) سورة الأحزاب: ٤٥- ٤٦.

(٤) سعيد بن منصور والبيهقي كما في الدر ٦٠/٣. وهذا تفسير الآية رقم ١٥٧ من سورة الأنعام ﴿... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ...﴾.

آيات سورة الأعراف

(٨١) تعريضات بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخلفائه وأمته

قال الله تعالى ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

تذكر هـذه الآيات مناجاة سيدنا موسى عليه السلام حيث طرق باب الرحمن داعيا ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[٢] أي إلهنا قدر لنا، وثبت لنا في ملكوت قضائك ومحكم قدرك كل حسنة ويسر لأمتي بكل المعاني المثالية للحسن في الدنيا والآخرة. فكان الجواب من الله عز وجل بأن اليهود لن يكونوا على حال واحد ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فمنهم من يمسه عقاب الله في الدنيا ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ...﴾[٣] الآية، ومنهم من تشمله رحمة الله عز وجل كما قال سبحانه ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[٤].

وقال تعالى ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...﴾ أي سأكتب حسنة الدنيا والآخرة؛ فتشير إلى أن هذا حاصل في المستقبل لأناس يتصفون بالتقوى وأداء الزكاة ويؤمنون بآيات الله عز وجل. من هنا يفهم أنه سوف تأتي أمة يتصفون بهذه الصفات والله عز وجل سيمن عليهم بكلتا الحسنتين؛ حسنة الدنيا التي هي الفتح والنصر والسعة في الرزق وقيادة العالم ورئاسته حيث يكون سائر الناس ذميين تحت سيطرتهم وقوتهم أو يدفعون الجزية والخراج لهم أو يكونون أسراء وعبيدا عندهم، وحسنة الآخرة التي هي المغفرة والنجاة ورفع الدرجات.

ثم يبين الله عز وجل أن هذه الأمة الموعودة هم الذين يتبعون الرسول الأمي، وقد تحقق لهم وعد الله عز وجل إياهم، حيث قدر الله لهم حسنة الدنيا والآخرة، ورقمه في ملكوت قضائه وقدره.

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧.
(٢) سورة المائدة: ١٥٦.
(٣) سورة بني إسرائيل: ٤.
(٤) سورة المائدة: ٢٠.

فالذين آمنوا بـــهذا النبي الأمي وناصروه ووقفوا وشدّوا معه واتبعوا النور الذي جاء به -أي القرآن الكريم- لهم السعادة والنجاة. أما أوصاف هذا النبي الأمي فهي التي وردت في التوراة والإنجيل - فاليهود يعرفونها من خلال توراتهم والنصارى يجدونها في إنجيلهم- أما سائر الأمم فقد تمت عليهم الحجة بما ظهر من المعجزات والبراهين القاطعة على يد سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام مما أظهر نبوتهما وأفاق ذكرهما في العالمين. وبما أن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم قد ورد في الكتب السماوية وقد أخبر به الأنبياء السابقون فقد تمت الحجة على سائر البشر، ولا يبقى لهم بعد ذلك عذر عند الله إذا لم يعترفوا به و لم يؤمنوا برسالته.

فمن صفاته التي ورد ذكرها عندهم أنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، أي يرفع عنهم تلك الشرائع والأحكام الشاقة التي كتبت على الأمم السابقة، ويدعوهم إلى الحنيفية السهلة السمحة. والنبوة التي هذه صفاتها تعد رحمة كاملة ورأفة شاملة من الله عز وجل.

فقد صرح الحق سبحانه وتعالى في هذه الآيات البينات بأن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم المفلحون وكذلك يعرف من فحوى المعنى أنه قد أثبت لهم حسنة الدنيا والآخرة، ولا ريب أن الخلفاء الكرام قد آمنوا بالإسلام وناصروه وعزروه، سواء في حياته أو بعد وفاته، فقد تم لهم هذا الوصف الذي لا يتصور وصف ولا فضل فوقه. وهذا هو المراد.

(٨٢) عناية عمر وعثمان بتفسير الآيات

(١) وعن عمر بن الخطاب قال: أعطيت ناقة في سبيل الله فأردت أن أشتري من نسلها فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: دعها تأتي يوم القيامة هي وأولادها جميعا في ميزانك[(١)].

(٢) عن الحسن قال: رأيت عثمان على المنبر قال: يأيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده ما عمل أحد عملا قط سرا إلا ألبسه الله رداء علانية إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ثم تلا هذه الآية وقرأ ﴿ورياشا﴾ و لم يقل ﴿وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[(٢)]. قال السمت الحسن[(٣)].

(١) الطبراني في الأوسط كما في الدر ٧١/٣. وقال الهيثمي في المجمع ١٠٩/٤: فيه مؤمل بن إسماعيل وثقه ابن معين وغيره وضعفه البخاري. قلت: لم يضعفه البخاري بل ضعف مؤمل بن سعيد وقد انتقل نظر المزي إلى ترجمة ابن سعيد من مؤمل بن إسماعيل. راجع تعليق الأستاذ أحمد شاكر على المسند للإمام أحمد رقم: ٢١٧٣.

(٢) سورة الأعراف: ٢٦.

(٣) ابن جرير ١٤٩/٨ وابن أبي حاتم كما في الدر ٧٦/٣ وفي إسناد ابن جرير سليمان بن أرقم وهو ضعيف كما في التقريب ص ٢٠٣.

(٨٣) عناية عمر بتفسير الآية[1]

(٣) عن الحسن قال: دخل عمر على ابنه عبد الله وإذا عندهم لحم، فقال ما هذا اللحم؟! قال: اشتهيته، قال: وكلما اشتهيت شيئاً أكلته؟ كفى بالمرء إسرافا أن يأكل كلما اشتهى![2].

(٤) وعن عمر بن الخطاب قال: إياكم والبطنة في الطعام والشراب فإنها مفسدة للجسد ومورثة للسقم مكسلة عن الصلوات، وعليكم بالقصد فيهما فإنه أصلح للجسد وأبعد من السرف وإن الله ليبغض الحبر السمين وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه[3].

(٨٤) رضا عمر بقدر الله تعالى

(٥) وعن ابن المسيب قال: لما طعن عمر قال كعب: لو دعا الله عمر لأخر في أجله. فقيل له: أليس قد قال الله ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾[4]، فقال كعب: وقد قال الله ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾[5]، فإن الله يؤخر ما يشاء وينقص. فإذا جاء أجله ﴿لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾[6].

(٦) عن ابن أبي مليكة قال: لما طعن عمر رضي الله عنه جاء كعب فجعل يبكي بالباب ويقول: والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره، فدخل ابن عباس فقال: يا أمير المؤمنين، هذا كعب يقول كذا وكذا، قال: إذن والله لا أسأله[7].

(٧) عن سالم بن عبد الله وأبان بن عثمان وزيد بن حسن أن عثمان بن عفان أتي برجل قد فجر بغلام من قريش فقال عثمان: أحصن؟ قالوا: قد تزوج بامرأة و لم يدخل بها بعد، فقال علي لعثمان: لو دخل بها لحل عليه الرجم. فأما إذا لم يدخل بأهله فاجلده الحد. فقال أبوأيوب: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الذي ذكر أبوالحسن. فأمر به عثمان فجلد مائة[8].

---

(١) إشارة إلى الآية رقم ٣١ من سورة الأعراف ﴿... وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ...﴾.
(٢) أحمد في الزهد ص ١٢٣ كما في الدر ٣/٨٠ والحسن لم يسمع من عمر رضي الله عنه.
(٣) أبونعيم كما في الدر ٣/٨٠ والكنز ١٥/٤٣٣.
(٤) سورة الأعراف: ٣٤.
(٥) سورة فاطر: ١١.
(٦) عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر كما في الدر ٣/٨١.
(٧) ابن سعد ٢/٣٦١ كما في الدر ٣/٨٢ ورجاله ثقات إلا أنه منقطع.
(٨) الطبراني وفيه جابر الجعفي وقد صرح بالسماع وفيه من لم أعرفه. قاله الهيثمي في المجمع ٦/٢٧. وهذه إشارة إلى تفسير الآية رقم ٨١ من سورة الأعراف ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ ...﴾.

(٨٥) منـــزلة عثمان بن عفان عند الله تعالى

(٨) عن أبي بكر الصديق قال قال موسى عليه السلام: يا رب ما لمن عزّى الثكلى؟ قال: أظله بظلي يوم لا ظل إلا ظلي[١].

(٩) عن خالد الربعي[٢] قال: قرأت في كتاب الله المنـــزل أن عثمان يأتي رافعا يديه إلى الله يقول: يا رب قتلني عبادك المؤمنون[٣].

(٨٦) عناية عمر بتفسير الآية

(١٠) عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ...﴾[٤] فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها. قال: إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون. فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال: إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة. وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار[٥].

(١١) عن عمر بن الـــخطاب أنه خطب بالـــجابية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له. فقال له قس بين يديه كلمة بالفارسية. فقال عمر لمترجم له ما يقول؟ قال: يزعم أن الله لا يضل أحداً، فقال عمر: كذبت يا عدو الله، بل الله خلقك وهو أضلك وهو يدخلك النار إن شاء الله تعالى، ولولا أن بيننا عقدا لضربت عنقك، فتفرق الناس وما يختلفون في القدر[٦].

---

(١) ابن شاهين في الترغيب كما في الدر ١١٧/٣.

(٢) عبدالله في زوائد الزهد ص ١٢٨ كما في الدر ١٢٥/٣، وخالد بن باب الربعي متروك الحديث، قاله أبوزرعة. وقال ابن معين: ضعيف. وذكره ابن حبان في الثقات كما في اللسان ٣٧٤/٢.

(٣) لعل المؤلف الإمام أورد هاتين الروايتين لتفسير الآية رقم ١٥٧ من سورة الأعراف ﴿...فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ...﴾.

(٤) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٥) مالك ٤/ ٢٢٤، ٢٢٥ وأحمد ٤٤/١ وأبوداود (٤٧٠٣) كتاب السنـــة باب في القـــدر والترمذي (٣٠٧٥) أبواب تفسير القرآن باب ومن تفسير سورة الأعراف، وحسنه. وابن جرير ١١٣/٩ وابن حبان ص ٤٤٧ والـــحاكم ٣٢٤/٢ وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٦) ابن أبي حاتم وأبوالشيخ كما في الدر ١٥٠/٢. وسيأتي أتم في ص ١٠٨٦- ١٠٨٧.

(٨٧) كان عمر وقافا عند كتاب الله.

(١٢) وأخرج البخاري[1] عن ابن عباس قال قدم عيينة بن حصن بن بدر فنزل على ابن أخيه الحر بن القيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاوريه كهولا كانوا أو شبانا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي هل لك وجه عند الأمير فتستأذن لي؟ فاستأذن لعيينة، فأذن له عمر. فلما دخل قال: يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2] وإن هذا من الجاهلين! والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل.

آيات سورة الأنفال

(٨٨) التحذير من فتن الاختلاف على الخلافة

قال الله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3].

قد اختلف المفسرون في تعيين هذه الفتنة وفحواها. فرأى بعضهم أن هذه الفتنة هي فئة من المسلمين يرتكبون المعاصي والآخرين يسكتون عليهم ولا ينهوهم عنها، وحينئذ يشملهم جميعا عذاب الله عز وجل. فالعصاة يعاقبون بعصيانهم والآخرون يؤاخذون على تركهم النهي عن المنكر. وفيه نظر، إذ كل يؤاخذ على ظلمه سواءً كان فعلا أو سكوتاً على المنكر. بينما تصرح الآية أنها ستصيب الذين لم يظلموا أيضا فلا يصح هذا المعنى. والمعنى الصحيح أن هذه الفتنة هي فتنة الخلافة، وهي الفتنة التي تموج كموج البحر، وينقلب فيها المسلمون جنودا مجندة، كل يرفع سلاحه في وجه أخيه طالبا الخلافة والملك، فتفنى النفوس وتنهب الأموال وتكسر شوكة الإسلام وينتصر الكفار الذين ينتهزون مثل هذه الفرص ليستغلوها لنيل مآربهم الدنيئة، فتندلع النيران وتنتشر انتشارها في الهشيم فتحرق الرطب واليابس من المسلمين، سواء كان من أهل البوادي أو الحضر وسواءً كان دخل غمار الفتنة أو زهد فيها، وسواءً كان من المشهورين أو المغمورين، وربنا عز وجل يخوفنا من مثل هذه الفتن ثم يذكرنا ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى

---

(١) (٤٦٤٢) تفسير سورة الأعراف.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٣) سورة الأنفال: ٢٥- ٢٦.

ٱلۡأَرۡضِ ...﴾ أي فقد كنتم تحت سطوة الكفار وسيطرهم، في غاية البؤس والفقر إلى أن منّ الله عليكم وحوّل حالكم إلى أحسن حال وأيّدكم ونصركم ووسع لكم في الرزق. فمن مقتضى شكر الله على هذه النعم أن لا ترتكبوا ما يعيد الكرّة عليكم فينقلب عليكم الكفار ويضايقوكم في الحياة والأرزاق.

(٨٩) عظم منازل المهاجرين الأولين والأنصار

قال الله تعالى ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ**﴾[(١)].

يبين المولى عز وجل في هذه الآيات منقبة المهاجرين الأولين في الدنيا ومكانتهم في الآخرة، ويوضح أن المهاجرين الأولين والأنصار إخوة أكفاء ويجب أن ينصر بعضهم بعضا. فإذا نـزلت كارثة أو مصيبة على أحدهم وجب على الآخر نصره، وهذه الحقوق لا تجب تجاه المسلمين الذين لم يهاجروا إلا إذا دارت رحى الحرب بينهم وبين الكفار المحاربين فيجب حينئذ نصرهم وإن كانت الأسباب المؤدية إليها أسبابا دنيوية مادية. ففي مثل هذه الأحوال يجب نصرهم، لأن الكفر ملة واحدة يساند بعضها بعضا. فإذا لم ينصر المسلمون إخوانهم سوف ينتصر عليهم الكفار لا محالة، فيرتدون عن دين الله. وهذا معنى قوله ﴿**إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ**﴾. ثم يبين الله عز وجل فضيلة المهاجرين الأولين والأنصار ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ** ... ﴾ الآية. وأي منقبة وفضيلة تفوق هذه الرتبة؟!

ثم يضم إلى هؤلاء السابقين، المهاجرين الذين تأخروا في هجرتهم ويشبههم بهؤلاء الأبرار.

﴿**وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ** ... ﴾ الآية. هنا جمع بين النصرة وقرابة الرحم وهذا لا يتنافى مع

---

(١) سورة الأنفال: ٧٢- ٧٥.

الآيات السابقة ولا نسخ هنا، وهذا أحسن التأويلات عندي غفر الله لي وعفا عني[1].

(٩٠) عظم مناقب المؤمنين المشتركين في غزوة بدر

(٩١) نـــزول الملائكة بقيادة جبريل وميكائيل لإمدادهم

(١) عن عمر بن الخطاب قال: "لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح إيمان أبي بكر"[2]. فقد شوهدت يوم بدر موافقات عظيمة وفراسات صادقة من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما.

(٢) ذكر موسى بن عقبة قصة بدر مفصلاً، فذكر من فراستهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أشيروا علينا في أمرنا ومسيرنا. فقال أبوبكر: أنا أعلم الناس بمسافة الأرض، أخبرنا عدي أن العير كانت تعادي كذا وكذا. فكأنا وإياهم فرسى رهان إلى بدر. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشيروا علي، فقال عمر بن الخطاب: إنها قريش وعزها والله ما ذلّت منذ عزّت ولا آمنت منذ كفرت، والله لتقاتلنّك فتأهب لذلك أهبة وأعدد له عدّة. وذكر من فراسة أبي بكر الصديق فقال: لما طلع المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها تـــحارب وتكذب رسولك، اللهم إني أسألك ما وعدتني، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مـــمسك بعضد أبي بكر يقول: اللهم إني أسألك ما وعدتني، فقال أبوبكر: أبشر فوالذي نفسي بيده لينجزن الله ما وعدك. فاستنصر المسلمون واستغاثوه، فاستجاب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمسلمين، ثم ذكر أنه ثج المسلمون إلى الله يسألونه النصر حين رأوا القتال قد نشب ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إلى الله يسأله النصر ويقول: اللهم إن ظهـــروا على هـــذه العصابة ظهر الشرك ولـــم يقم لك دين. وأبوبكر يقول:

---

(١) آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في بداية الهجرة النبوية، وكانت هذه المؤاخاة تعني ما تعنيه أخوة النسب في الميراث. فكان الأنصاري والمهاجر يتوارثان، استنبط ذلك المفسرون من ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ فأشكلت عليهم هذه الآية مع قوله تعالى ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ...﴾ إذ عدوا الأولوية في الميراث. فقالوا: بأن هذه الآية نسخت الآية السابقة. لكن المؤلف لا يرى أية صلة بين هذه الآيات وقضية الورثة أو الميراث، ويقول بأن الآيات تتحدث عن النصرة والموالاة وليس الميراث! فلا تطرح قضية الناسخ والمنسوخ هنا وإنما تبحث في مظآنها. فقد ذكرت في مطلع الآيات أن المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض أي في النصرة والتعاون وأولوا الأرحام هنا تعني مطلق القرابة ولا تقتصر على ذوي الأرحام في علم الفرائض.

(٢) لم أجده عن عمر بن الخطاب، رواه ابن عدي ١٥١٨/٤ من حديث عبد الله بن عمر، ومن طريقه ذكره الذهبي في الميزان ٤٥٥/٢. وفي إسناده عبد الله بن عبدالعزيز بن أبي رواد. قال أبوحاتم وغيره: أحاديثه منكرة. وقال ابن الجنيد: لا يساوي شيئاً يحدث بأحاديث كذب. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يعتبر حديثه إذا روى عن غير أبيه كما في اللسان ٣١٠/٣ قلت: وقد رواه عن أبيه.

يا رسول الله والذي نفسي بيده لينصرنك الله وليبيضن وجهك. فأنـزل الله من الملائكة جندا في أكناف العدو. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أنـزل الله نصره ونـزلت الملائكة، أبشر يا أبابكر، فإني قد رأيت جبريل معتجرا يقود فرسا بين السماء والأرض، فلما هبط إلى الأرض جلس عليها فتغيب علي[١] ساعة ثم رأيت على شفتيه غباراً[٢].

(٣) وعن علي قال: نـزل جبريل في ألف عن الملائكة عن ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها أبوبكر ونـزل ميكائيل عن ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الميسرة[٣].

(٩٢) عناية عمر بتفسير الآية

(٤) وعن عمر بن الخطاب في قوله تعالى ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾[٤] قال: لا تغرنكم هذه الآية[٥] فإنما كانت يوم بدر وأنا فئة لكل مسلم[٦].

(٩٣) عناية عمر بتفسير الآيات

(٥) أخرج مسلم وأبوداود والترمذي[٧] عن عبد الله بن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل نبي الله القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف لربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه فأتاه أبوبكر فأخذ رداءه، وألقا على منكبيه ثم التزمه من ورائه، قال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنـزل الله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٨].
فلما كان يومئذ والتقوا هزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلا، وأسر منهم سبعون رجلا.

---

(١) فتغيب عني.
(٢) البيهقي في الدلائل ٣/١٠٣، ١١٤ مطولا. والسيوطي في الدر ٣/١٦٤، ١٦٥، ١٦٦.
(٣) ابن جرير ٩/١٩٢ وفي إسناده عبد العزيز بن عمران متروك كما في التقريب ص ٣٢٨.
(٤) سورة الأنفال: ١٦. وتمام الآية ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.
(٥) أي لا تطعنوا بهذه الآية فيمن هرب عن معركة أحد. وكان عثمان بن عفان منهم. وهذا رد على الروافض الذين رفعوا هذه الآية يحاولون أن يخدشوا سمعة عثمان ويطعنوا في مقامه.
(٦) ابن جرير ٩/٢٠٣ وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم كما في الدر ٣/١٧٣ ورجاله ثقات.
(٧) مسلم (٤٥٨٨) كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وأبوداود (٢٦٩٠) كتاب الجهاد باب في فداء الأسير بالمال طرفا منه والترمذي (٣٠٨١) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنفال. راجع الدر ٣/١٦٩، ١٧٠ ومنه أخذه الإمام المؤلف.
(٨) سورة الأنفال: ٩.

واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر وعمر وعليا، فقال أبوبكر: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، إني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم ليكونوا لنا عضدا! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: والله ما أرى ما رأى أبوبكر، ولكني أرى أن تمكنني من فلان -قريب عمر- فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان -أخيه- فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا مودة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم.

فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبوبكر ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر قاعدان يبكيان. فقلت: يا رسول الله، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكآء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. قال النبي صلى الله عليه وسلم: أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذ الفداء، ثم قال: عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة -لشجرة قريبة- وأنــزل الله ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ** ... إلى قوله ... **لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[1] (من الفداء)، ثم أحل لهم الغنائم[2]. فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنــزل الله ﴿**أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ...**﴾[3] بأخذكم الفداء.

قال ابن عباس رضي الله عنه: بينما رجل من المسلمين يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه بضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: صدقت، وذلك من مدد السماء الثالثة. فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين.

---

(١) سورة الأنفال: ٦٧- ٦٨.

(٢) أي بقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. الأنفال: ٦٧، ٦٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٥.

(٩٤) يحذر الله المؤمنين فتنة الاختلاف والتفرق.

(٦) وعن عمر بن الخطاب أنه سمع غلاما يدعو: اللهم إنك تحول بين المرء وقلبه[(١)] فحل بيني وبين الخطايا فلا أعمل بسوء منها، فقال: رحمك الله ودعا له بخير[(٢)].

(٧) عن مطرف قال: قلنا للزبير يا أبا عبد الله ضيعتم الخليفة حتى قتل ثم جئتم تطلبون بدمه، قال الزبير: إنا قرأنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾[(٣)] ولم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت فينا حيث وقعت[(٤)].

(٨) وعن قتادة في الآية قال: علم والله ذو الألباب من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية أنه ستكون فتن[(٥)].

(٩) وعن الحسن في الآية: نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير[(٦)].

(١٠) وعن الضحاك نزلت في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خاصة. وعن السدى[(٧)] أخبرت أهم أصحاب الجمل[(٨)].

(١١) وعن رفاعة بن رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه: اجمع لي قومك فجمعهم، فلما حضروا باب النبي صلى الله عليه وسلم، دخل عمر رضي الله عنه عليه فقال: قد جمعت الآن قومي، فسمع ذلك الأنصار فقالوا: قد نزل في قريش الوحي فجاء المستمع والناظر ما يقال لهم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقام بين أظهرهم فقال: هل فيكم من غيركم؟ قالوا: نعم فينا حليفنا وابن أختنا وموالينا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: حليفنا منا وابن أختنا منا وموالينا منا. أنتم تسمعون إن أوليائي منكم إلا المتقون[(٩)]، فإن كنتم أولئك فذاك

---

(١) إشارة إلى الآية رقم ٢٤ من سورة الأنفال ﴿...وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ...﴾.

(٢) أحمد في الزهد ص ١١٤ وابن المنذر كما في الدر ١٧٧/٣ وفي إسناده أبوبلج صدوق ربما أخطأ وبقية رجاله ثقات.

(٣) سورة الأنفال: ٢٥.

(٤) أحمد ١٦٥/١ والبزار وابن المنذر وابن مردويه وابن عساكر كما في الدر ١٧٧/٣. وقال الهيثمي في المجمع ٢٧/٧: رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.

(٥) عبد بن حميد وأبوالشيخ كما في الدر ١٧٧/٣.

(٦) ابن جرير ٢١٨/٩ وابن المنذر كما في الدر وفي إسناد ابن جرير حسن بن أبي جعفر ضعيف الحديث كما في التقريب ص ١٠٣.

(٧) ابن جرير ٢١٨/٩ وأبوالشيخ كما في الدر وفي إسناده أسباط بن نصر صدوق كثير الخطأ يغرب كما في التقريب ص ٣٣.

(٨) عبد بن حميد. كما في الدر.

(٩) كان يلمح من أحاديث الأنصار فيما بينهم، أنهم كانوا يظنون بأن الفضل يبقى دوما لقريش لما لهم

وإلا فانظروا ليأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالأثقال فيعرض عنكم[(١)].

(٩٥) اهتمام الخلفاء بدفع الخمس

(١٢) وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: سألت علياً فقلت: يا أمير المؤمنين أخبرني كيف كان صنيع أبي بكر وعمر في الخمس نصيبكم؟ فقال: أما أبوبكر رحمه الله فلم تكن في ولايته أخماس، وأما عمر فلم يزل يدفعه إلي في كل خمس حتى كان خمس السوس وجنديسابور، فقال وأنا عنده: هذا نصيبكم أهل البيت من الخمس وقد أحل ببعض المسلمين واشتدت حاجتهم. فقلت: نعم. فوثب العباس بن عبد المطلب فقال: لا تفرض في الذي لنا، فقلت: أ لسنا أحق من أرفق المسلمين وشفّع أمير المؤمنين؟! فقبضه، فوالله ما قضانا. ولا قدرت عليه في ولاية عثمان، ثم أنشأ علي يحدث فقال: إن الله حرم الصدقة على رسوله فعوضه سهماً من الخمس عوضا مما حرم، وحرمها على أهل بيته خاصة دون أمته فضرب لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهما عوضا مما حرم، ورغب لكم عن غسالة الأيدي. لأن لكم في خمس الخمس ما يغنيكم أو يكفيكم[(٢)].

(١٣) وعن علي قال: ولاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمس الخمس فوضعته مواضعه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما[(٣)].

(١٤) وعن قتادة[(٤)] أن أبابكر أوصى بالخمس وقال: أرضى بما رضي الله لنفسه، ثم تلا ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[(٥)].

من القرابة والنسب بالنبي صلى الله عليه وسلم. فبهذه الحركة الحكيمة صحح النبي صلى الله عليه وسلم زعم القوم كما رسخ في الأذهان أن الفضل والعزة يؤولان إلى التقوى لا غير! وقد ذكر المؤلف هذه الرواية هنا – فيما أرى – لأمرين: أولهما؛ بيان فضل عمر وعظيم منقبته، إذ كان من المقربين إلى النبي صلى الله عليه وسلم يدخل عليه دائماً. ثانيهما: يريد أن يثبت أن هذه الرواية تشهد جليا لما ذهب إليه من أن كلمة "أولياء" – التي سبق أن أفضنا الكلام فيها عند الآيات ٧٢- ٧٥ من سورة الأنفال – لا تعني الورثة.

(١) البخاري في الأدب المفرد (٧٥) والطبراني والحاكم ٤/٧٣ وصححه ووافقه الذهبي كما في الدر ٣/١٨٣ وأحمد ٤/٣٤٠ والبزار أيضاً. قال الهيثمي في المجمع ١٠/٢٦: ورجال أحمد والبزار وإسناد الطبراني ثقات. وهذه إشارة إلى تفسير الآية رقم ٣٤ من سورة الأنفال ﴿...وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ...﴾.

(٢) ابن المنذر كما في الدر ٣/١٨٦.

(٣) الحاكم ٢/١٢٨ وصححه ووافقه الذهبي كما في الدر ٣/١٨٧.

(٤) عبد الرزاق كما في الدر ٣/١٨٧.

(٥) سورة الأنفال: ٤١.

(٩٦) بشارة المؤمنين بنصرهم وهزيمة عدوهم

(١٥) وعن حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ورجع إلى العريش فدخل أبوبكر وقد خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال: أبشر يا أبابكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع[١].

(١٦) وعن أبي هريرة قال: أنزل الله على نبيه بمكة ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[٢]. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أي جمع ذلك؟ — قبل بدر – فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتا بالسيف يقول ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[٣].

(١٧) وعن حرام بن معاوية قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب أن لا يجاورنكم خنزير ولا يرفع فيكم صلب ولا تأكلوا على مائدة يشرب عليها الخمر وأدبوا الخيل وامشوا بين الغرضين[٤]، [٥].

آيات سورة التوبة

(٩٧) منقبة المؤمنين المهاجرين والمجاهدين في سبيل الله

قال الله تعالى ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٦].

سبب نزول هذه الآيات أن كفار مكة فاخروا المسلمين وخصوصا علي بن أبي طالب أنهم أفضل من المسلمين، وذلك لأنهم يعمرون مساجد الله عز وجل ويسقون الحجيج ويضيفونهم.

---

(١) ابن إسحاق وابن المنذر كما في الدر ١٨٨/٣ وفيه أشياخ لم يسمهم.

(٢) سورة القمر: ٤٥.

(٣) الطبراني في الأوسط كما في الدر ١٩٠/٢ وفي إسناده عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف كما في المجمع ٧٨/٦.

(٤) أي: امشوا — لا ترملوا – بين الركن اليماني والحجر الأسود فإنه أيسر للإستلام عند الزحام.

(٥) عبد الرزاق ٢٤٨/٩ والبيهقي في الشعب كما في الدر ١٩٢/٣ والمتقي في الكنز ٤٦٧/٤ وإسناده حسن.

(٦) سورة التوبة: ١٩– ٢٢.

فرد المهاجرون بأن الفضل لهم وذلك لأنهم آمنوا بالله ورسوله والدار الآخرة وقد هاجروا وجاهدوا في الله. فنـــزلت هذه الآية لتقطع الأمر ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[1]: أي إن عمارة بيت الله الحرام تعتبر عملاً من الأعمال الصالحة ويشترط في قبولها الإيمان بالله واليوم الآخر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإخلاص لله والتقوى.

وبما أن الكفار لم يتصفوا بهذه الصفات فأحبط الله أعمالهم، فكأن لم تكن! فليس لهم من جراء طاعاتهم هذه أجر ولا فخر. فكيف يصلون مرتبة المهاجرين أو يفوقونـــهم في الفضل؟! وحتى لو تصورنا أن هذه الأعمال كانت طريقا للعلو والارتقاء فلم يكن يصح لنا أن نقيسها بالهجرة والجهاد ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾. ثم يسجل الله سبحانه وتعالى مؤكدا بأن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ...﴾ هم أعلى مرتبة وأشرف مكانة وأرفع درجة عنده ممن يقوم بعمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج وسائر الأعمال، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي بيده الأجر العظيم يرزقه من يشاء من عباده على ما يشاء من العمل. فقد أظهرت هذه الآية منقبة المهاجرين والمجاهدين وأن لهذه الأعمال الفضل والأولوية على سائر الأعمال الصالحة، وقد بينت في كل صراحة ووضوح مآل هذه الجماعة ومثواها، وهذا هو المراد.

(٩٨) عظم منـــزلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال الله تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

يوبّخ الله عز وجل المسلمين في هذه الآية، ويقول لهم إنكم إن تهاونتم في نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم فلن تضروه شيئاً وإنما تضرّون أنفسكم، فهو منصور من قبل ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية.

---

(١) سورة التوبة: ١٧– ١٨.

(٢) سورة التوبة: ٤٠.

وقد أجمعت الأخبار المتواترة والأمة وحتى أهل الأهواء أن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار لم يكن إلا أبوبكر الصديق رضي الله عنه. وهذه منقبة واضحة كبيرة له وإقرار بحاله وصفته، وكذلك إشارة واضحة إلى قبول الله تعالى منه هذا العمل، فلو لم يكن هذا العمل في أعلى درجات القبول وأعزها لم يشرفه الله سبحانه وتعالى ولم يعظمه هذا التعظيم وهذا التبجيل، وهذا هو المراد.

(٩٩) بيان فضائل المؤمنين وحسن مآلهم في الآخرة

قال الله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١].

يصور الحق سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمات مكانة المؤمنين ومرتبتهم ومأوى المنافقين ومخزاهم. فمن أعمال المنافقين أنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويبخلون في أداء حقوق الناس المالية عليهم، ومآلهم أنهم سيخلدون في النار مع الكافرين ويلعنهم الله ولهم عذاب سرمدي أليم، ومن ثم يشبههم الله بالكافرين السابقين ويحذر الناس من أن يقعوا في هذا المأزق المخيف. ويصف المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتعاونون على البر والتقوى ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله فسوف يفي الله لهم بما وعدهم؛ فيدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ولهم مساكن طيبة في روضات النعيم وأفضل من كل ذلك رضوان من الله أكبر. هذه كلها للمؤمنين الصادقين. وبناء على الأخبار الثابتة المتواترة التي يستحيل تواطؤ أصحابها على الكذب لا يشك أحد أن الخلفاء يتصفون بهذه الصفات الكريمة وأن هذه البشارة الربانية العظيمة تشملهم كذلك، وهذا هو المراد.

(١٠٠) بشارة المؤمنين السابقين الأولين بالجنة بدرجات رفيعة

قال الله تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢].

يبين الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة حسن مآل أصحاب الرسول صلى الله

---

(١) سورة التوبة: ٧٢.

(٢) سورة التوبة: ١٠٠.

عليه وسلم وطيب حالهم ويقول إن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين ساندوه قبل بدر وقبل تغيير القبلة من بيت المقدس إلى مكة -والحادثتان متقاربتان زمنيا- والذين اتبعوهم بإحسان وهاجروا ونصروا الرسول صلى الله عليه وسلم فقد رضي الله عنهم وهم رضوا عنه، وقد أعد لهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وهذا هو الفوز العظيم. ففي هذه الآية ثناء جميل لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وإخبار بأن الله قد رضي عنهم وهم سيرضون عنه، وناهيك به من فضيلة!

(١٠١) عظم فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المشتركين في غزوة تبوك

قال الله تعالى ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

نـــزلت هذه الآية في غزوة تبوك حيث غطت رحمته سبحانه وتعالى وشمل لطفه وإحسانه الذي زاد على ما كان، النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة عند ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم من شدة الموقف وهول المقام، مع أن فريقا منهم كانوا أقل صبرا وثباتا إلا أن رحمة الله سبحانه وتعالى شملتهم جميعا، فإنه بهم رؤوف رحيم.

ففيها بيان للمناقب والفضائل الخاصة لمن شهد تبوكا من عدة وجوه:

أولاً: أن الله عز وجل قرن ذكرهم بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في سياق واحد.

ثانياً: نص صريح على أنه سبحانه وتعالى قد غفر لهم وتاب عليهم.

ثالثاً: أن الفضل شملهم كلهم؛ الصابرين الثابتين ومن كانوا دونهم. والله أعلم بالصواب.

(١٠٢) عظم أجور المؤمنين المشتركين في غزوة تبوك وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة

قال الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) سورة التوبة: ١١٧.

(٢) سورة التوبة: ١٢٠، ١٢١.

يلوم الحق سبحانه وتعالى هؤلاء الذين تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر، فما كان يليق بهم هذا الانتكاس والتخلي. لأنه لا يصيب الذين خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا من قتلهم أو نهب أموالهم أو نكايتهم أو أسرهم أو غيره إلا كتب لهم به عمل صالح، إن الله لا يضيع أجر المحسنين.

وكذلك لا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم به في ميزان حسناتهم عمل صالح وسوف يجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون.

فالآيتان بينتا عظم مناقب من خرجوا لتبوك وفضلهم وكذلك منقبة من خرج في سبيل الله عموما. ومن العيان للجميع أن الخلفاء الراشدين قد شهدوا هذه الواقعة وسائر مشاهد الخير. فشملهم هذا الجزاء وهذه المثوبة كذلك من باب أولى، وهذا هو المراد.

(١) أخرج الترمذي[١] عن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان "ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما و لم تكتبوا سطر ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ووضعتموها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيها بقصتها فظننت أنها منها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا. فمن أجل ذلك قرنت بينهما و لم أكتب بينهما سطر ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ووضعتهما في السبع الطوال.

(٢) وعن عثمان بن عفان قال: كانت الأنفال وبراءة تدعيان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم القرينتين فلذلك جعلتهما في السبع الطوال[٢].

(٣) وعن أبي عطية الهمداني قال: كتب عمر بن الخطاب "تعلموا سورة براءة وعلّموا نساءكم سورة النور"[٣].

(٤) عن الشعبي أن أباذر والزبير بن العوام سمع أحدهما من النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) (٣٠٨٦) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة، وحسنه، وأبوداود (٧٨٦) أبواب الصلاة باب من جهر بها وأحمد ٥٧/١، ٦٩ وابن أبي داود في المصاحف ص ١٧ والحاكم ٣٣٠/٢ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه النحاس في ناسخه كما في الدر ٢٠٨/٣.

(٣) أخرجه أبوعبيد وسعيد بن منصور وأبوالشيخ والبيهقي في الشعب كما في الدر ٢٠٨/٣.

أنه يقرأها وهو على المنبر يوم الجمعة فقال لصاحبه: متى أنـزلت هذه الآية؟ فلما قضى صلاته قال له عمر بن الخطاب: لا جمعة لك، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: صدق عمر[١].

(١٠٣) أمّر الرسول صلى الله عليه وسلم أبابكر الصديق على الحج.

(٥) وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبابكر على الحج ثم أرسل عليا ببراءة على إثره. ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم العام المقبل ثم رجع فتوفي. فولي أبوبكر فاستعمل عمر على الحج ثم حج أبوبكر عام قابل ثم مات. ثم ولي عمر بن الخطاب فاستعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج ثم كان يحج بعد ذلك هو حتى مات. ثم ولي عثمان فاستعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج ثم كان هو يحج حتى قتل[٢].

(٦) أخرج الدارمي والنسائي[٣] عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبابكر على الحج، ثم أرسل عليا ببراءة فقرأ على الناس في مواقف الحج حتى ختمها.

(٧) وعن عروة[٤] قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر أميرا على الناس سنة تسع وكتب سنن الحج وبعث معه علي بن أبي طالب بآيات من براءة فأمره أن يؤذن بمكة وبمنى وبعرفة وبالمشاعر كلها بأنه برئت ذمة الله وذمة رسوله من كل مشرك حج بعد العام أو طاف بالبيت عريانا، وأجّل من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد أربعة أشهر وسار على راحلته والناس كلهم يقرأ عليهم القرآن ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ وقرأ عليهم ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[٥] الآية.

وهنا أخطأ بعض الرواة حين زعموا أن أبابكر الصديق أرجع إلى المدينة، بل كان أبوبكر أميراً للحج بلا منازع، وسلمت سورة براءة إلى يد أبي بكر الصديق أوّلا ثم نـزل جبريل وأمر أن ترسل بيد سيدنا المرتضى رضي الله عنه.

(٨) كما أخرج الترمذي[٦] عن أنس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم ببراءة مع أبي

---

(١) ابن أبي شيبة ١٢٥/٢ كما في الدر ٢٠٨/٣ ورجاله ثقات إلا أنه منقطع.
(٢) ابن مردويه كما في الدر ٢٠٩/٣.
(٣) الدارمي ٦٦/٢ والنسائي (٢٩٩٦) وابن خزيمة، وإسناده حسن.
(٤) البيهقي في الدلائل ٢٩٨/٥ وهو مع انقطاعه ضعيف لأن فيه عبد الله بن لهيعة وهو صدوق خلط بعد احتراق كتبه كما في التقريب ص ٢٨٤.
(٥) سورة الأعراف : ٣١.
(٦) (٣٠٩٠) وحسنه، وأحـمد ١٥١/١ وابن أبي شيبة ٨٥/١٢ وأبوالشيخ وابن مردويه كما في الدر ٢٠٩/٣.

بكر ثم دعاه فقال: لا ينبغي لأحد أن يُبلغ هذا إلا رجل من أهلي، فدعا عليا وأعطاه إياها.

(٩) وعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبابكر ببراءة إلى أهل مكة ثم بعث عليا على إثره فأخذها منه، وقال: أبوبكر وجد في نفسه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبابكر لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني[1].

(١٠) أخرج البخاري ومسلم[2] عن أبي هريرة قال: بعثني أبوبكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة. فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر ببراءة أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

(١١) وأخرج الترمذي[3] وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبابكر وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات ثم أتبعه عليا وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات فانطلقا فحجا فقام علي في أيام التشريق فنادى ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[4]، ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[5]، ولا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا مؤمن. فكان علي ينادي. فإذا عيي قام أبوبكر[6] فنادى بها.

(١٢) عن الحسن أنه سئل عن يوم الحج الأكبر فقال: ذاك عام حج فيه أبوبكر استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج بالناس، واجتمع فيه المسلمون والمشركون فلذلك سمي الحج الأكبر، ووافق عيد اليهود والنصارى[7].

(١٣) وعن عمر بن الخطاب قال: الحج الأكبر يوم عرفة[8].

---

(١) ابن مردويه كما في الدر ٢٠٩/٣.

(٢) البخاري (٣٦٩) كتاب الصلاة باب ما يستر من العورة، ومسلم (٣٢٨٧) كتاب الحج باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

(٣) (٣٠٩١) وحسنه، والبيهقي في الدلائل ٢٩٦/٥ والحاكم ٥٢/٣ وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر ٢١٠/٣.

(٤) سورة التوبة: ٣.

(٥) سورة التوبة: ٢.

(٦) كذا رواه الترمذي، لكن وقع عند الحاكم والبيهقي: قام أبوهريرة، ورواه أحمد ٢٩٩/٢ عن أبي هريرة كنت مع علي حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ببراءة، وفيه: كنت أنادي حتى صحل صوتي. والله أعلم.

(٧) أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٢١١/٣.

(٨) ابن جرير ٦٨/١٠ وابن أبي شيبة ٤٦٢/١/٤ وابن سعد وابن أبي حاتم وأبوالشيخ كما في الدر ٢١٢/٣ ورجاله موثقون.

(١٠٤) أمر عمر أن لا يقرئ الناس إلا عالم بالعربية.

(١٤) عن ابن أبي مليكة قال: قدم أعرابي في زمان عمر بن الخطاب فقال: من يقرئني مما أنـــزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأقرأه رجل براءة. فقال ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولِــهُۥ﴾ بالجر فقال الأعرابي: لقد برئ الله من رسوله، فإن يكن الله برئ من رسوله، فأنا أبرأ منه. فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه، فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني؟ فأقرأني هذه السورة براءة فقال: إن الله بريء من المشركين ورسوله. وقال الأعرابي: وأنا والله أبرء مما برئ الله منه، فأمر عمر بن الخطاب أن لا يقرئ الناس إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحو[(١)].

(١٥) وعن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة[(٢)].

(١٦) وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال: والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه"[(٣)].

(١٧) وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لئن بقيت لقابل لأخرجن المشركين من جزيرة العرب. فلما ولي عمر أخرجهم[(٤)].

(١٨) عن جعفر عن أبيه أن عمر بن الخطاب استشار الناس في المجوس فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سنوا بهم سنة أهل الكتاب[(٥)].

(١٠٥) عناية الشيخين أبي بكر وعمر بتفسير الآية

(١٩) عن سعيد بن أبي سعيد أن رجلا باع دارا له على عهد عمر فقال له عمر: أخذت ثمنها، احفر تحت فراش امرأتك. فقال: يا أمير المؤمنين أو ليس بكنـــز، قال: ليس

---

(١) أبوبكر محمد بن القاسم الأنباري في كتاب الوقف والابتداء، وابن عساكر كما في الدر ٢١٢/٣.

(٢) ابن أبي شيبة ٣١٠/١ وفي إسناده الوليد بن أبي الوليد لين الحديث كما في التقريب ص٥٤٣.

(٣) البخاري (٦٦٣٢) كتاب الأيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: وأيم الله.

(٤) ابن أبي شيبة ٣٤٥/١٢ كما في الدر ٢٢٧/٣ وعبدالرزاق ٥٤/٦ وفي إسناده أبوالزبير وهو مدلس.

(٥) مالك ١٣٩/٢ وأبويعلى رقم ٨٥٩، وابن أبي شيبة ٢٤٣/١٢ وعبدالرزاق ٩٦/٦ والشافعي في المسند ١٣٠/٢ وأبوعبيد في الأموال وابن الـــمنذر والدارقطني في الغرائب كما في الدر ٢٢٩/٣ والفتح ٢٦١/٦. وهذا منقطع مختصر من حديث طويل ورجاله ثقات.

بكنــز ما أدي زكاته[١].

(٢٠) عن ابن عباس قال: لما نــزلت هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾[٢] كبر ذلك على المسلمين قالوا: ما يصنع أحد منا لولده ما لا يبقى بعده، فقال عمر: أنا أفرج عنكم. فانطلق عمر واتبعه ثوبان فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله، قد كبر على أصحابك هذه الآية. فقال: إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وإنما فرض المواريث من مال يبقى بعدكم، فكبر عمر. ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ألا أخبرك بخير ما يكنــز المرء؛ المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته[٣].

(٢١) وعن بريدة قال: لما نــزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ...﴾ الآية، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: نــزل اليوم في الكنــز ما نــزل، فقال أبوبكر: يا رسول الله ماذا نكنــز اليوم؟ قال: لسانا ذاكــرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعين أحدكم على إيمانه[٤].

(١٠٦) منقبة كبرى لأبي بكر الصديق لدوره في هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

(٢٢) وأخرج البخاري ومسلم[٥] عن البراء بن عازب قال: اشترى أبوبكر من عازب رحلا بثلاثة عشر درهما فقال لعازب: مر البراء فليحمله إلى منــزلي. فقال: لا حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه؟ فقال أبوبكر: خرجنا فأدلجنا فأحيينا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة وضربت ببصري هل أرى ظلا فآوي إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية ظلها فسويته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروة وقلت: اضطجع يا رسول الله، فاضطجع. ثم خرجت أنظر هل أرى أحدا من الطلب؟ فإذا أنا براعي غنم فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال لرجل من قريش فسماه فعرفته. فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: وهل أنت حالب لي؟ قال: نعم، قال: فأمرته فاعتقل شاة منها ثم

---

(١) ابن أبي شيبة ٣/١٩٠ وأبوالشيخ كما في الدر ٣/٢٣٢. ورجاله ثقات.

(٢) سورة التوبة: ٣٤.

(٣) أبوداود (١٦٦٤) والحاكم ٢/٣٣٣ وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي ٢/٨٣ وأبويعلى (٢٤٩٤) وابن أبي شيــبة في مسنده وابن أبي حاتــم وابن مردويه كما في تفسير ابن كثير ٢/٣٥١ والدر المنثور ٣/٢٣٢.

(٤) الدارقطني في الأفراد وابن مردويه كما في الدر.

(٥) البخاري (٣٦٥٢) كتاب الــمناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ومسلم (٧٥٢١، ٧٥٢٢) كتاب الزهد باب حديث الهجرة.

أمرته فنفض ضرعها فحلب كثبة، ثم صببت الماء على القدح حتى برد أسفله ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت. ثم قلت: ألم يأن للرحيل؟ فارتحلنا والقوم يطلبونا فلم يدركنا منهم إلا سراقة بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة، قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا! فقال: لا تحزن إن الله معنا، حتى إذا دنا فكان بيننا وبينه فرس له، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت، قال: لم تبكي؟ قال: قلت أما والله لا أبكي على نفسي ولكن أبكي عليك. فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم اكفناه بما شئت. فساخت فرسه إلى بطنها في أرض صلد وثب عنها فقال: يا محمد، إن هذا عملك، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهما، فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا حاجة لي به، فانطلق فرجع إلى أصحابه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى قدمنا المدينة. فتلقاه الناس فخرجوا في الطريق وعلى الأحاجير[1] واشتد الخدم والصبيان في الطريق: الله أكبر، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنـــزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لإكرامهم بذلك فلما أصبح غدا حيث أمر.

(١٠٧) ليلة من أبي بكر ويوم خير من عُمرِ عمر!
(١٠٨) ومناقب عديدة لأبي بكر في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وخدمته
(١٠٩) نـــزلت الآية في أبي بكر.

(٢٣) وعن ضبة بن محصن قال: قلت لعمر بن الخطاب أنت خير من أبي بكر، فبكى وقال: والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عُمر عمر! هل لك أن أحدثك عن ليلته ويومه؟ قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: أما ليلته فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هاربا من أهل مكة خرج ليلا فتبعه أبوبكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا أبابكر من فعلك؟! قال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يـــمينك ومرة عن يسارك؛ لا آمن عليك. قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه. فلما رآها أبوبكر رضي الله عنه إنها قد حفيت حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى أتى به فم الغار فأنـــزله ثم قال له: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نـــزل بي قبلك. فدخل فلم ير شيئا، فحمله فأدخله وكان في الغار فرق فيه حيات

(١) جمع أحجار

وأفاعي، فخشي أبوبكر أن يخرج منهن شيء فيؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقمه قدمه. فجعلن يضربنه وتلسعه الحيات والأفـاعي وجعلت دموعـه تنحدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: يأبابكر، لا تحزن إن الله معنا، فأنـزل الله سكينته، طمأنينة لأبي بكر، فهذه ليلته. وأما يومه؛ فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب فقال بعضهم: نصلي ولا نـزكي. وقال بعضهم: لا نصلي ولا نـزكي فأتيته ولا آلوه نصحا، فقلت: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تألف الناس وارفق بهم، فقال: جبار في الجاهلية خوار في الإسلام! فيماذا أتألفهم بشعر مفتعل أو بشعر مفترى؟ قبض النبي صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا مما كانوا يعطون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه، قال: فقاتلنا معه فكان والله رشيد الأمر، فهذا يومه[١].

(٢٤) وعن علي بن أبي طالب[٢] قال: إن الله ذم الناس كلهم ومدح أبابكر فقال ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا**﴾[٣].

(٢٥) وعن أبي بكر قال: ما دخلني إشفاق من الشيء ولا دخلني في الدين وحشة إلى أحد بعد ليلة الغار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى إشفاقي عليه وعلى الدين قال لي: هون عليك فإن الله قد قضى لهذا الأمر بالنصر والتمام[٤].

(٢٦) وعن أنس بن مالك قال لما كانت ليلة الغار قال أبوبكر: يا رسول الله دعني فلأدخل قبلك فإن كانت حية أو شيء كانت بي قبلك. قال: ادخل، فدخل أبوبكر فجعل يلمس بيديه فكلما رأى جحرا قال لثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، وبقي جحر فوضع عليه عقبه وقال: ادخل، فلما أصبح قال له النبي صلى الله عليه وسلم فأين ثوبك يأبابكر؟ فأخبره بالذي صنع فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال: اللهم اجعل أبابكر معي في درجتي يوم القيامة، فأوحى الله إليه أن الله استجاب لك[٥].

(٢٧) وعن جندب بن سفيان قال: لما انطلق أبوبكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار قال له أبوبكر رضي الله عنه: لا تدخل يا رسول الله حتى أدخل استبريه فدخل أبوبكر

---

(١) البيهقي في الدلائل ٢/٤٧٧ وابن عساكر كما في الدر ٣/٢٤١.

(٢) خيـثمة بن سليمان الاطرابلسي في فضائل الصحابـة وابن عساكر كما في الدر ٣/٢٤١، وهكذا قال الشعبي أيضاً راجع الدر ٣/٢٤٣.

(٣) سورة التوبة: ٤٠.

(٤) ابن عساكر كما في الدر ٣/٢٤٢.

(٥) ابن مردويه كما في الدر.

الغار فأصاب يده شيء فجعل يمسح الدم عن إصبعه وهو يقول:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت[(١)]

(٢٨) عن عمرو بن الحارث عن أبيه أن أبابكر الصديق قال: أيكم يقرأ سورة التوبة؟ قال رجل: أنا، قال: اقرأ، فلما بلغ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾، بكى وقال: والله أنا صاحبه[(٢)].

(٢٩) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبوبكر أخي وصاحبي في الغار فاعرفوا ذلك له، فلو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا. سدوا كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر[(٣)].

(٣٠) وعن عبد الله بن الزبير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو اتخذت خليلاً غير ربي لاتخذت أبابكر خليلا ولكن أخي وصاحبي في الغار[(٤)].

(٣١) وأخرج البخاري عن أنس قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهو مردف أبابكر وهو شيخ يعرف والنبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف[(٥)] فكانوا يقولون: يا أبابكر من هذا الغلام بين يديك؟ قال: هذا يهديني إلى السبيل. قال: فلما دنا من المدينة نـــزل في الـــحرة وبعث إلى الأنصار فجاءوا. قال فشهدته يوم دخل المدينة فما رأيت يوما كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه، وشهدته يوم مات فما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه صلى الله عليه وسلم[(٦)].

(٣٢) وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ...﴾ قال: على أبي بكر لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم تزل السكينة معه[(٧)].

(٣٣) وعن حبيب بن أبي ثابت ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾، قال: على أبي بكر فأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كانت عليه سكينته[(٨)].

---

(١) ابن مردويه كما في الدر ٢٤٢/٣ والبيهقي في الدلائل ٤٨٠/٢ أيضاً.

(٢) ابن أبي حاتم كما في الدر ٢٤٣/٣.

(٣) ابن مردويه كما في الدر. والبخاري طرفه الآخر من حديث أبي سعيد الخدري، راجع ص ٢٠٥.

(٤) ابن مردويه كما في الدر.

(٥) كان النبي صلى الله عليه وسلم لجماله وحسنه ونضارته يرى أصغر عمرا من أبي بكر في حين أنه كان يكبره بعامين ونصف عام.

(٦) (٣٩١١) كتاب المناقب باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة.

(٧) البيهقي في الدلائل ٤٨٢/٢ وابن أبي حاتم وأبوالشيخ وابن مردويـــه كما في الدر ٢٤٥/٢ وفي إسناد البيهقي علي بن المجاهد قال الحافظ في التقريب ص ٣٧٥: متروك.

(٨) الخطيب في تاريخه كما في الدر ٢٤٥/٣.

(١١٠) نـــزول آيات موافقة لعمر رضي الله عنه

ومن موافقات عمر رضي الله عنه الآية ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾(١).

(٣٤) أخرج البخاري والنسائي(٢) عن أبي سعيد الخدري قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يقسم قسما إذ جاءه ذو الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله. فقال له: ويلك من يعدل إذ لم أعدل؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعه فإن له أصحابا، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يـــمرق السهم من الرمية، فينظر في قذذه فلا يوجـــد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى يديه. أو قال: ثديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فترة من الناس، قال فنـــزلت فيهم ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ... ﴾ الآية.

قال أبوسعيد رضي الله عنه: أشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن عليا حين قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١١١) حرص عمر علي تطبيق أحكام القرآن الكريم

(٣٥) عن عمر بن الـــخطاب أنه مر برجل من أهل الكتاب مطروح على باب يقول: فقد استكدوني وأخذوا مني الجزية حتى كف بصري فليس أحد يعود علي بشيء. فقال عمر: ما أنصفنا إذا، ثم قال: هذا من الذين قال الله ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ... ﴾(٣) ثم أمر له برزق يجرى عليه(٤)،(٥).

(٣٦) وعن عمر في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ قال: هم زمناء أهل الكتاب(٦).

(٣٧) عن الشعبي قال: ليست اليوم يعني قوله ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ إنما كان رجال

---

(١) سورة التوبة: ٥٨.

(٢) البخاري (٣٦١٠) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (٢٤٣٣) كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه، والنسائي في الكبرى كما في التحفة ٤٩٣/٣.

(٣) سورة التوبة : ٦٠.

(٤) إكمال الرواية؛ أنه أمر عامله أن يرفع الجزية عن مثل هؤلاء ويقرر لهم رزقا يصرف عليهم.

(٥) سعيد بن منصور وابن أبي حاتم كما في الدر ٢٥١/٢.

(٦) ابن أبي شيبة ١٧٨/٣ وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وقال ابن كثير في تفسيره ٣٦٤/٢: غريب جدا وفيه أبوبكر العبسي وهو في حكم المجهول.

يتألفهم النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام، فلما أن كان أبوبكر قطع الرشى في الإسلام[١].

(٣٨) وعن عبيدة السلماني قال: جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر فقالا: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا أرض سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نحرثها ونـــزرعها ولعل الله أن ينفع بها. فأقطعها إياهما وكتب لهما بذلك كتابا وأشهد لهما. فانطلقا إلى عمر ليشهداه على ما فيه فلما قرئ على عمر ما في الكتاب تناوله من أيديهما فتفل فيه فمحاه، فتذامروا وقالوا له مقالة سيئة. فقال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفهما والإسلام يومئذ قليل وإن الله قد أعز الإسلام فاذهبا فاجهدا جهدكما لا أرعى الله عليكما أن رعيتما[٢].

(١١٢) عناية أبي بكر بتفسير الآية

(٣٩) عن يزيد بن هارون قال: خطب أبوبكر الصديق فقال في خطبته: يؤتى بعبد قد أنعم الله عليه وبسط له في رزقه وأصح بدنه وقد كفر نعمة ربه فوهن بين يدي الله تعالى. فيقال له: ماذا عملت ليومك هذا؟ وما قدمت لنفسك؟ فلا يجده قدم خيرا فيبكي حتى تنفد الدموع، ثم يعيّر ويخزى ما ضيع من طاعة الله فينتحب حتى تسقط حدقاته على وجنتيه وكل واحد منهما فرسخ في فرسخ، ثم يعيّر ويـــخزى حتى يقول: يا رب ابعثنـــي إلى النار وأرحني من مقامي هذا، وذلك قوله ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣]،[٤].

(١١٣) نـــزلت الآية موافقة لعمر رضي الله عنه.

ومن موافقات عمر رضي الله عنه،

(٤٠) عن شريح بن عبيد أن رجلا قال لأبي الدرداء: يا معشر القراء، ما بالكم أجبن منا وأبخل إذا سئلتم وأعظم لقما إذا أكلتم؟! فأعرض عنه أبوالدرداء ولم يردّ عليه شيئا. فأخبر بذلك عمر بن الخطاب. فانطلق عمر إلى الرجل الذي قال ذلك. فقال بثوبه وخنقه وقاده إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال الرجل: إنما كنا نخوض ونلعب. فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه

---

(١) البخاري في تاريخه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبوالشيخ كما في الدر ٢٥٢/٢ وابن أبي شيبة ٣/ ٢٢٣ أيضاً وفي إسناده جابر الجعفي وهو ضعيف. راجع نصب الراية ٣٩٤/٢.

(٢) ابن أبي حاتم كما في الدر. والبيهقي أيضاً ٢٠/٧ ورجاله ثقات.

(٣) سورة التوبة : ٦٣.

(٤) أبوالشيخ كما في الدر ٢٥٣/٣.

وسلم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾[(١)]،[(٢)].

(١١٤) نـــزلت الآيتان موافقتين لعمر رضي الله عنه.

ومن موافقات عمر ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ . . . ﴾[(٣)] الآية.

(٤١) أخرج البخاري[(٤)] عن ابن عباس قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: لما توفي عبد الله بن أُبـــي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام عليه، فلما وقف قلت: أ على عدو الله عبد الله بن أبي القائل كذا وكذا -أعدد أيامه-؟! ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت قال: يا عمر، أخر عني. إني خيرت قد قيل لي ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ...﴾ فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها. ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه. فعجبت لي ولجرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم -والله ورسوله أعلم- فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نـــزلت هاتان الآيتان ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[(٥)] فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق بعد حتى قبضه الله عز وجل.

(٤٢) أخرج البخاري ومسلم[(٦)] عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول أتى ابنه عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه، فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه فقام عمر بن الخطاب فأخذ ثوبه، فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ قال: إن ربي خيرني وقال ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ...﴾ وسأزيد على السبعين. وقال: إنه منافق! فصلى عليه، فأنـــزل الله ﴿تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ فترك الصلاة عليهم.

(١١٥) الصحابة كلهم مغفور لهم.

(٤٣) وعن حبيب بن الشهيد عن عمرو بن عامر الأنصاري أن عمر بن الـــخطاب قرأ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ -والأنصارُ الذين- ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ فرفع

---

(١) سورة التوبة: ٦٥.
(٢) أبونعيم في الحلية كما في الدر ١/٢٥٤.
(٣) سورة التوبة: ٨٠.
(٤) البخاري (٤٦٧١) تفسير سورة التوبة.
(٥) سورة التوبة: ٨٤.
(٦) البخاري (٤٦٧٠) باب تفسير سورة التوبة ومسلم (٧٠٢٧) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب صفة المنافقين وأحكامهم.

الأنصار و لم يلحق الواو في الذين، فقال له زيد بن ثابت: "والذين". فقال عمر: "الذين". فقال زيد: أمير المؤمنين أعلم، فقال: ايتوني بأبي بن كعب فأتاه فسأله عن ذلك، فقال أبي: "والذين" فقال: فنعم إذا، فتابع أبيا[١].

(٤٤) عن أبي صخر حميد بن زياد قال: قلت لمحمد بن كعب القرظي أخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أريد الفتن. فقال: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم، قلت له: وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه؟ قال: ألا تقرأ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ...﴾[٢] الآية. أوجب لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشرط فيهم، قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان. يقول: يقتدوا بهم في أعمالهم الحسنة و لم يقتدوا بهم في غير ذلك، قال أبوصخرة: فوالله لكأني لم أقرأها قبل ذلك وما عرفت تفسيرها حتى قرأها عليّ محمد بن كعب[٣].

(١١٦) الخلفاء الأربعة من المؤمنين الصادقين.

(٤٥) وعن ابن عمر في قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٤] مع محمد وأصحابه[٥]. وقال سعيد بن جبير: مع أبي بكر وعمر[٦]. وقال الضحاك: أمروا أن يكونوا مع أبي بكر وعمر وأصحابهما[٧]. وقال ابن عباس: مع علي بن أبي طالب[٨]. وقال أبوجعفر: مع علي بن أبي طالب[٩]. وعن سفيان قال: ليس في تفسير القرآن اختلاف إنما هو كلام جامع يراد به هذا وهذا[١٠].

---

(١) ابن جرير ١١/٨ وأبوعبيد وسنيد وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر ٢/٢٦٩.
(٢) سورة التوبة: ١٠٠.
(٣) أبوالشيخ وابن عساكر كما في الدر ٢/٢٧١.
(٤) سورة التوبة: ١١٩.
(٥) ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر ٢/٢٨٩.
(٦) ابن جرير ١١/٦٣ كما في الدر.
(٧) ابن جرير ١١/٦٣ وابن أبي حاتم وأبوالشيخ وابن عساكر كما في الدر.
(٨) ابن مردويه كما في الدر ٣/٢٩٠.
(٩) ابن عساكر كما في الدر.
(١٠) سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في الرؤية عن سفيان كما في الدر: ٤/ ٣١٠.

(١١٧) عناية عمر وعثمان بجمع القرآن الكريم

(٤٦) وعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال: من كان تلقى في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأتنا به وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد به شاهدان فقتل وهو يجمع ذلك إليه. فقام عثمان بن عفان فقال: من كان عنده شيء من كتاب الله فليأتنا به. وكان لا يقبل من ذلك حتى يشهد به شاهدان. فجاء خزيمة بن ثابت فقال: إني رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما. فقالوا: ما هما؟ قال: تلقيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ...﴾ إلى آخر الآيتين[١]. فقال عثمان: وأنا أشهد أنهما من عند الله فأين ترى أن نجعلهما؟ قال: اختم بهما آخر ما نزل من القرآن فختمت بهما براءة[٢].

آيات سورة يونس

(١١٨) منقبة أولياء الرحمن الذين في مقدمتهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣].

تنص هذه الآيات على مناقب أولياء الرحمن وهي:

أولاً: بيان لحالهم ومآلهم في الآخرة؛ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ولا يوجلون ولا يخافون شيئا ولن يصيبهم مكروه ولا مصيبة في دار القرار بجوار الحق ذي الجلال.

ثانياً: بيان للولاية ودلالاتها الضمنية التي لا تتحقق إلا في الذين آمنوا وكانوا يتقون، فتتحقق الولاية في الذين وصفوا بالإيمان الحقيقي في سورة الأنفال ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ...﴾[٤] والتقوى ديدهم.

ثالثاً: من مستلزمات الولاية الحق أنه لهم البشرى التي تزف إليهم إما على لسان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهذا من أعظم البشارات أو عن طريق رؤيا صادقة وفراسة صادقة وهذا دونه. هذه جملة من المعاني التي نستنبطها منها في أول وهلة. . .

---

(١) سورة التوبة: ١٢٨- ١٢٩.
(٢) ابن أبي داود في المصاحف كما في الدر ٣/٢٩٦.
(٣) سورة يونس: ٦٢- ٦٤.
(٤) سورة الأنفال: ٢.

يبقى أن ندرك من الذين اتصفوا بهذه الأوصاف الجليلة في زمن المصطفى عليه الصلاة والسلام؟ فهذا يتطلب منا شيئا من التريث والتدقيق.

الولي يرد على معنين، الأول: الصداقة والمحبة، أي أن الولي يرد بمعنى المحب والمحبوب. الثاني: أداء العمل أي أن الولي هو الذي ينجز أمرا. وكذلك يرد بمعنى الأمر المفعول: مُنْجَز مثل لفظ: "حارّ" حيث ورد بمعنى الفاعل والمفعول.

فإذا كان المراد المعنى الأول؛ فيفهم من الآية أن الله عز وجل قد قال في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومن تبعه بأنهم يحبهم ويحبونه. وإذا أريد المعنى الثاني؛ فالحق سبحانه وتعالى قد قال فيهم ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[١]. وكذلك قد ثبت في أحاديث متواترة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد وصف هؤلاء الأبرار بالصديق والشهيد، وشهد بصدق إيمانهم وتقواهم، كما أنه صلى الله عليه وسلم بشرهم بالجنة، بل بأعلى درجاتها، وهذا هو المراد.

(١) عن الأحنف قال صليت خلف عمر الغداة فقرأ بـــ"يونس" و"هود" وغيرهما[٢].

(١١٩) عناية عمر بتفسير الآية

(٢) وعن قتادة في قوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[٣] قال ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية فقال: صدق ربنا ما جعلنا خلائف في الأرض إلا لينظر إلى أعمالنا. فأروا الله خير أعمالكم بالليل والنهار والسر والعلانية[٤].

(١٢٠) عناية عمر بتفسير الآية

(٣) عن ابن عمر أن تميما الداري سأل عمر بن الخطاب عن ركوب البحر فأمر بتقصير الصلاة، قال: يقول الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[٥]، [٦].

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٦.

(٢) ابن أبي شيبة ٣٥٣/٢ ورجاله ثقات.

(٣) سورة يونس: ١٤.

(٤) ابن جرير ٩٤/١١ وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبوالشيخ كما في الدر ٣٠٢/٣ رجاله ثقات لكنه منقطع.

(٥) سورة يونس: ٢٢.

(٦) البيهقي في السنن ١٥٤/٣ وفي إسناده يحيى بن نصر بن حاجب، قال أبوزرعة: ليس بشيء. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به كما في الميزان ٤١٢/٤، وذكره ابن حبان في الثقات وقال العقيلي: منكر الحديث كما في اللسان ٢٧٨/٦.

(١٢١) يعرض القرآن الكريم بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٤) وعن عمر بن الخطاب[١] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من عباد الله ناسا يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب لا يفزعون إذا فزع الناس ولا يحزنون إذا حزنوا، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿**أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[٢].

آيات سورة هود

(١٢٢) منــزلة المؤمنين المخلصين ومصير الكافرين المعاندين

قال الله تعالى ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[٣].

في مطلع الكلام أغلظ الجبار على الكافرين وهددهم بالعقاب الأليم بقوله ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ...**﴾[٤] الآية، وبشر الغفار بعد ذلك المؤمنين بحسن مآلهم وطيب حالهم مشيرا إلى الفرق الجلي بين ظلمات الكفر الداكنة وإشراقة الإيمان، كالفرق بين الليل والنهار والبعد بين المشرق والمغرب، وهذه سنة قرآنية متبعة نشاهدها في غالب السور عند بيان الدرجات المتباينة والمراتب المختلفة، فالشيء يعرف بضده.

وعندما جاء دور المؤمنين الصادقين قال الحق سبحانه وتعالى ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ...**﴾ وقد اختلفت آراء المفسرين في معنى كلمة ﴿**بَيِّنَةٍ**﴾، ولكن الشيء المتفق عليه الذي لا غبار عليه ولا اختلاف فيه هو أن ما قاله بعض المحققين منهم بأن أصول الشرائع التي بها يحاسب الذين عاشوا قبل البعثة هي شهادة القلب مع أدنى الاعتماد على العقل.

فكان يجب على الناس أن يدركوا بطلان عبادة الأصنام وقبح شرب الخمر وكراهة الزنا بأدنى تعمق وأقل تفكير، وقد أدرك بعضهم بفراسة العقل والرؤيا مجيء الرسول في زمنهم وقد اطمئنت نفوسهم على هذه الأخلاق السامية وآمنت عقولهم لنداء الفطرة السليمة، فسرعان ما

---

(١) أبوداود (٣٥٢٧) وابن جرير ١٣٢/١١ وأبونعيم في الحلية ٥/١ وهناد وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر ٣١٠/٣ وأبوزرعة بن عمرو لم يدرك عمر رضي الله عنه، قاله المزي في التحفة ١١٧/٨.

(٢) سورة يونس: ٦٢.

(٣) سورة هود: ١٧.

(٤) سورة هود: ١٥.

استجابوا له. فهذا العلم الاجمالي الذي وجدوه في صدورهم يعتبر بينة وآية ربانية أرشدهم إلى الحق، ولم يمض إلا زمن يسير ونــزل القرآن يشهد على هذا العلم الاجمالي ويفصله ويوضح تلك الشبهات تفصيل العيان والمشاهد.

إذا كان القرآن هو الشاهد والبينة الراسخة من قبل الحق سبحانه وتعالى لتبيان الحق من الباطل على وجه الكمال، وقبله كتاب موسى عليه السلام كان مرشدا للسالكين من أهل الدين، ورحمة من الله للعالمين يؤدي الدور نفسه ويشهد لتلك المعاني والمفاهيم الصادقة، وقد اتصفت مجموعة من الصحابة بالحنيفية السمحة واتباع الفطرة السليمة قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، منهم أبوبكر الصديق وأبوذر الغفاري رضي الله عنهما وغيرهما... وكان الصديق رضي الله عنه أكملهم إيمانا وأوقفهم عند نداء الفطرة ومن هنا تشرف بالإيمان برسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام من غير طلب معجزات أو براهين لما كان يجده في صدره، فإذا هو يقف على رأس القائمة التي تشير إليها هذه الآية المباركة، بل يرى البعض أن الآية تعريض وإشارة من الحق سبحانه وتعالى له، والله أعلم.

(١) فقد أخرج الترمذي[١] عن ابن عباس قال قال أبوبكر: يا رسول الله قد شبت؟ قال: شيبتني هود والواقعة والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت.

(٢) وعن أبي سعيد الخدري قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أسرع إليك الشيب؟ قال: شيبتني هود وأخواتها ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾، و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾و﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[٢].

(١٢٣) عناية عمر بتفسير الآيات

(٣) عن عمر بن الخطاب قال: لما استقرت السفينة على الجودي لبث ما شاء الله ثم إنه أذن له، فهبط على الجبل فدعا[٣] الغراب فقال: إئتني بخبر الأرض، فانحدر الغراب على الأرض وفيها الغرقى من قوم نوح فأبطأ عليه، فلعنه. ودعا الحمامة فوقع على كف نوح فقال: اهبط فلتأتني بخبر الأرض، فلم يلبث إلا قليلاً حتى جاء بنفض[٤] وريشة في منقاره فقال: اهبط فقد أثبتت الأرض، قال نوح عليه السلام: بارك الله فيك وفي بيت يؤويك وحببك إلى الناس لولا أن

---

(١) (٣٢٩٧) وحسنه، والحاكم ٢/٣٤٣. وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي وذكره الألباني في سلسلة الصحيحة رقم ٩٥٥.

(٢) البيهقي في الدلائل ١/٣٥١ كما في الدر.

(٣) أي سيدنا نوح عليه السلام.

(٤) نفض بفتحتين: ما تساقط من الورق والثمر حول الشجرة.

يغلبك الناس على نفسك لدعوت الله أن يجعل رأسك من ذهب[(١)].

(١٢٤) عناية أبي بكر بتطبيق أحكام القرآن الكريم

(٤) وعن محمد بن المنكدر ويزيد بن خصيفة وصفوان بن سليم أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصديق أنه قد وجد رجلا في بعض نواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة وقامت عليه بذلك البينة. فاستشار أبوبكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي ابن أبي طالب: إن هذا ذنب لم يعص الله به أمة من الأمم إلا أمة واحدة فصنع الله بها ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار، فاجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أن يحرقوه بالنار، فكتب أبوبكر إلى خالد أن أحرقه بالنار. ثم حرقهم ابن الزبير في إمارته ثم حرقهم هشام بن عبدالملك[(٢)].

(١٢٥) عناية عمر بتفسير الآية

(٥) عن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[(٣)] قلت: يا رسول الله، فعلى ما نعمل على شيء قد فرغ منه أو على شيء لم يفرغ منه؟ قال: على شيء قد فرغ منه جرت به الأقلام يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له[(٤)].

(٦) عن أبي بكر الصديق قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: سلوا الله العافية فإنه لم يعط أحد أفضل من معافاة بعد اليقين وإياك والريبة فإنه لم يؤت أحد أشد من ريبة بعد كفر[(٥)].

(١٢٦) نزول آية في أبي اليسر

(٧) عن أبي اليسر[(٦)] أتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت: إن في البيت تمرا أطيب منه فدخلت معي البيت، فأهويت فقبلتها. فأتيت أبابكر فذكرت ذلك له. قال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً. فلم أصبر فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فقال: أخلفت

---

(١) ابن مردويه كما في الدر ٣/٣٣٥.
(٢) البيهقي في السنن ٨/٢٣٢ أيضاً، والزيلعي في نصب الراية ٣/٣٤٢ وهذا منقطع، لم يسمع محمد بن المنكدر وغيره من خالد بن الوليد. وقال الحافظ في الدراية ص ٢٤٨: هو ضعيف جدا.
(٣) سورة هود: ١٠٥.
(٤) الترمذي (٣١١١) وحسنه.
(٥) ابن مردويه كما في الدر ٣/٣٥١ وأصله ثابت من طرق عن أبي بكر رضي الله عنه.
(٦) هو كعب بن عمرو الأنصاري. شهد بيعة العقبة وبدرا.

غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟ حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلا تلك الساعة، حتى ظن أنه من أهل النار وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً حتى أوحى الله إليه ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ . . إلى قوله. . . لِلذَّٰكِرِينَ﴾[1]. قال أبواليسر فأتيته فقرأها علي. فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهذا خاصة أم للناس كافة؟ قال: بل للناس كافة[2].

(٨) وعن سليمان التيمي قال: ضرب رجل على كفل امرأة ثم أتى أبابكر وعمر رضي الله عنهما فسألهما عن كفارة ذلك، فقال كل منهما: لا أدري، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال: لا أدري، حتى أنــزل الله ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾ الآية[3].

(١٢٧) عناية عثمان بتفسير الآية

(٩) عن عثمان قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ثم قال: من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينه وبين صلاة الصبح، ثم صلى العصر غفر له ما كان بينه وبين صلاة الظهر، ثم صلى المغرب غفر له ما كان بينه وبين صلاة العصر. ثم صلى العشاء غفر له ما كان بينه وبين صلاة المغرب ثم لعله يبيت ليتمرغ ليلته ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يذهبن السيئات. قالوا: هذه الحسنات فما الباقيات يا عثمان؟ قال: هي؛ لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله[4].

(١٠) وأخرج مالك[5] عن عثمان بن عفان قال: لأحدثكم حديثا لولا أنه في كتاب الله ما حدثتكموه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من امرء يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي الصلاة إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها. قال مالك أراه يريد هذه الآية ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[6].

---

(١) سورة هود: ١١٤. والآية ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾.

(٢) الترمذي (٣١١٢) وقال: حسن صحيح. وابن جرير ١٣٧/١٢ والبزار وابن مردويه كما في الدر ٣٥٢/٣.

(٣) ابن جرير ١٣٧/١٢ ورجاله ثقات إلا أنه منقطع.

(٤) ابن جرير ١٣٧/١٢ ورجاله ثقات إلا أنه منقطع.

(٥) الموطأ ٦٦/١ وابن حبان أيضاً كما في الدر ٣٥٤/٣ بل ومسلم (٥٤٠) كتاب الطهارة باب فضل الوضوء والصلاة عقبه والبخاري (١٦٠) باب الوضوء ثلاثا ثلاثا معلقا.

(٦) سورة هود: ١١٤

آيات سورة يوسف

(١٢٨) تعريض القرآن الكريم بأوصاف خلافة النبوة

قال الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[١].

طلب سيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام من الملك أن يوليه بيت المال وبين له أنه قادر على إدارته لـما يتمتع به من الصفات التي تؤهله له بقوله ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾. من هنا يتبين لنا أنه لا يتصرف في بيت المال إلا من تحققت فيه صفة "الحفيظ" لحفظ المال من الضياع ومن كيد الخائنين وصفة "العليم" ليعرف من أين يجب أن يملأ بيت المال وأين يصرفه. وبما أن التصرف في بيت المال يعد من وظائف الخليفة ومسئولياته فلا تتحقق الولاية الخاصة الراشدة إلا إذا تحققت هاتان الصفتان "الحفيظ والعليم" في الخليفة، وتعد هذه من لوازم الخلافة الخاصة كما بينا سابقا.

(١٢٩) تعليمات عمر بقراءة القرآن الكريم والاستغناء عن غيره من الكتب

(١) عن خالد بن عرفطة قال: كنت جالسا عند عمر إذا أتي برجل من عبد القيس فقال له عمر: أنت فلان العبدي. قال: نعم، فضربه بقناة معه، فقال الرجل: مالي يا أمير المؤمنين؟ قال: إجلس، فجلس فقرأ عليه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ . . . إلى . . . لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[٢]. فقرأها عليه ثلاثا وضربه ثلاثا، فقال له الرجل: مالي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال؟ قال: مرني بأمرك أتبعه. قال: انطلق فامحه بالحميم والصوف ثم لا تقرأه ولا تقرئه أحدا من الناس. فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنهكنك عقوبة، ثم قال له: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقت أنا فانتسخت كتابا من أهل الكتاب ثـم جئت به في أديم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا في يدك يا عمر؟ قلت: يا رسول الله كتابا نسخته لنـزداد به علماً إلى علمنا. فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم! السلاح! السلاح! فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: يأيها الناس إني أعطيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختصر لي اختصارا. ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوّكوا ولا يغرنكم المتهوكون، قال عمر: فقمت، وقلت: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبك

---

(١) سورة يوسف: ٥٤، ٥٥.
(٢) سورة يوسف: ١، ٣.

رسولا، ثم نـــزل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم[١].

(٢) وعن إبراهيم النخعي قال: كان بالكوفة رجل يطلب كتب دانيال، وذلك الضرب، فجاء فيه كتاب من عمر بن الخطاب أن يرفع إليه. فلما قدم على عمر علاه بالدرة ثم جعل يقرأ عليه ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ...(حتى بلغ)... ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ قال فعرفت ما يريد فقلت: يا أمير المؤمنين دعني فوالله لا أدع عندي شيئا من تلك الكتب إلا حرّقته. قال: فتركه[٢].

(١٣٠) عناية عمر الفاروق بتعليم القرآن الكريم

(٣) عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: سمع عمر رجلا يقرأ هذا الـــحرف ﴿ليسجنّه حتى حين﴾ فقال لـــه عمر: من أقرأك هذا؟ قال: ابن مسعود. فقال عمر ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[٣]، ثم كتب إلى ابن مسعود:

سلام عليك، أما بعد؛ فإن الله أنـــزل القرآن فجعله قرآنا عربيا مبينا وأنـــزله بلغة هذا الحي من قريش. فإذا أتاك كتابي هذا فأقرئ الناس بلغـــة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل[٤].

(٤) عن عمر أنه استأذن عليه رجل فقال: استأذنوا لابن الأخيار. فقال عمر: ائذنوا له، فلما دخل قال: من أنت؟ قال: فلان بن فلان بن فلان، فعد رجالا من أشراف الجاهلية. فقال عمر: أنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؟! قال: لا، قال: ذاك ابن الأخيار وأنت ابن الأشرار، إنما تعد علي خبال[٥] أهل النار[٦].

(١٣١) حرص عمر الفاروق على مراقبة عمّاله

(٥) عن أبي هريرة قال: استعملني عمر على البحرين ثم نـــزعني وغرمني اثني عشر ألفا ثم دعاني بعد إلى العمل، فأبيت، فقال: لم وقد سأل يوسف العمل وكان خيرا منك؟ فقلت: إن يوسف نبي بن نبي بن نبي وأنا ابن أميمة، وأنا أخاف أن أقول بغير حلم وأن أفتي بغير علم وأن

---

(١) أبويعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم ونصر المقدسي في الحجة والضياء في المختارة كما في الدر ٣/٤. والألباني في الإرواء ٣٥/٦ عن المختارة، وراجع المجمع ١٨٢/١.

(٢) عبد الرزاق ١١٦/٦ وابن الضريس كما في الدر ٣/٤.

(٣) سورة يوسف: ٣٥.

(٤) ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء والخطيب في تاريخه. كما في الدر ١٨/٤.

(٥) صديد أهل النار.

(٦) الحاكم ٣٤٧/٢ كما في الدر ١٩/٤ وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

يضرب ظهري ويشتم عرضي ويؤخذ مالي[١].

(١٣٢) خشوع عمر في قراءة القرآن الكريم

(٦) عن عبد الله بن شداد قال: سمعت نشيج عمر بن الخطاب وإني لفي آخر الصفوف في صلاة الصبح وهو يقرأ ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٢]،[٣].

(٧) وعن علقمة بن وقاص قال: صليت خلف عمر بن الخطاب فقرأ سورة يوسف فلما أتى على ذكر يوسف نشج حتى سمعت نشيجه وأنا في مؤخر الصفوف[٤]

آيات سورة الرعد

(١٣٣) بشارة بإنجاز بعض مواعيد الله على يد خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[٥].

تصرح الآية الأولى بأنه لا مانع من أن نريك يا محمد، بعض الذي نعدهم من الفتوحات الكبيرة وغلبة الإسلام على الأعداء أو نقبض روحك قبل إنجازها. في كلتا الحالتين لا يختلف الأمر، إذ ليس عليك إلا البلاغ وإيصال الرسالة وعلينا الحساب والعقاب. ثم تسجل الآية الثانية صورة من الفتوحات الإسلامية المتحققة التي شاهدوها بأم أعينهم. أو لم يروا أنا أتينا أرض المشركين ونقصناها من أطرافها؟ فظهر الإسلام في المدينة وفي قبائل أسلم وغفار وجهينة ومزينة وغيرها وذهب ريح المشركين وضعفت قوتهم وشوكتهم وانكسر ظهرهم. فهذا هو الإسلام يتقوّى يوما بعد يوم، وما هذه إلا إرهاصات ومقدمات لتلك الوعود والبشائر.

تشير هاتان الآيتان إشارة جلية واضحة بأن هذه الفتوحات الشاملة والوعود الإلهية سوف يتحقق جزء منها في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما القسط الآخر منها فينجز بعد رحيله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، على يد خلفائه وهذا من لوازم الخلافة الخاصة

---

(١) ابن أبي حاتم والحاكم ٣٤٧/٢ كما في الدر ٢٤/٤ وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٢) سورة يوسف: ٨٦.

(٣) عبد الرزاق ١١٤/٢ وابن سعد وابن أبي شيبة ٣٥٥/١ وسعيد بن منصور والبيهقي في الشعب كما في الدر ٣٢/٤.

(٤) عبد الرزاق ١١١/٢ والبيهقي. كما في الدر. قلت: ورواه ابن أبي شيبة ٨/١٤ أيضاً ورجاله ثقات.

(٥) سورة الرعد: ٤٠- ٤١.

وعلاماتها التي تدل على ثبوت خلافتهم. والله أعلم.

(١٣٤) يعرّض القرآن للصحابة بذكر صفات المؤمنين المخلصين وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة.

قال الله تعالى ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾(١).

يذكر الحق سبحانه وتعالى في هذه الآيات تباين مراتب السعداء والأشقياء من عباده كما جرت سنته في جميع القرآن الكريم حيث يقارن مآل الكفار بدرجات المؤمنين. فالفئة الأولى استجابت لربها وآمنت به أصدق إيمان، فلها جميع الـخيرات وأفضل النعم التي صورتـها كلمة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وللفئة الثانية التي أنكرت الرسالة ولم تستجب لها أعظم العقوبات وأنكى الدركات ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا. . .﴾ الخ.

ثم تضع الآيات البصمة على فرق جوهري آخر، حيث الفئة الأولى اتخذت طريق العلم ومعرفة كتاب الحق سبحانه وتعالى المنـزل على رسوله الأمين سمة لها، والفئة الأخرى الهالكة تتخبط تخبط العميان. والعلم المشار إليه هنا علم يقرن بالصلاح والتقوى والتناصح والتأدب وذلك لا يمكن أن يتحقق من غير الجهد في العمل والسعي إليه، وقد بينت الآيات الكريمات بعض أهم مراتب العمل؛ في الوفاء بعهد الله تعالى ورسوله المصطفى، وصلة الأرحام والجيران، وغيرهم مما أمر الله بصلتهم، ومن أعظم الصلات حسن صلة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وتقوى الله عز وجل، والإيمان بالآخرة، والصبر على المكاره، والطاعات، وتحمل المصائب والمشاق إيمانا واحتسابا له وابتغاء لوجهه الكريم، وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيله والحلم ودرء

(١) سورة الرعد: ١٨- ٢٥.

السيئة بالحسنة. . . فمن بلغ هذا المبلغ ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ . . . ﴾.

ثم تأتي الإشارة إلى الفئة الشقية وأفعالها الشنيعة من نقض العهد الرباني والميثاق الإلهي وقطع الأرحام وعقوق الآباء والأمهات، وأشد وأنكى من كله عقوق الرسول صلى الله عليه وسلم المبعوث إليهم من قبل الحق سبحانه وتعالى ليخرجهم من الظلمات إلى النور، والذي ربط الله طاعته بطاعته، وكذلك الفساد في الأرض. ثم إشارة إلى مصير هؤلاء الأشقياء بأن ﴿لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ. . . ﴾.

ففي عدّ هذه الصفات المخصوصة من صفات السعداء تعريض لجملة من المهاجرين السابقين الذين ذاع صيتهم في الإتصاف بها مثل سيدنا أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان وأمثالهم ممن آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقاموا على الإيمان وقاتلوا تحت لوائه لتكون كلمة الله هي العليا، وثبتوا على الحق حتى آخر حياتهم، وقد واصلوا الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بأحسن صورة وأكمل هيئة. وهذا ما قرره لسان النبوة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في قوله:" أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبوبكر"[1]. وقد كانوا نماذج في التقوى والصبر على أذى المشركين وفي كثرة الطاعات والصلاة والإنفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقراء الصحابة، والحلم في مواجهة جهل الكفار والمشركين، وتشهد بذلك تلك الأخبار والروايات الكثيرة التي امتلأت بها كتب علمائنا الأفاضل، وهذا هو المراد.

(١) عن كنانة العدوي قال: دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ فقال: ملك على يمينك على حسناتك وهو أمير على الذي على الشمال. إذا عملت حسنة كتبت عشرا. فإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين: أكتب؟ قال: لعله يستغفر الله ويتوب! فإذا قال ثلاثاً، قال: نعم اكتبه، أراحنا الله منه، فبئس القرين! ما أقل مراقبته لله وأقل استحياؤه منه! يقول الله ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2] وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[3] وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت لله رفعك وإذا تجبرت على الله قصمك، وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحيَّة في فيك وملكان على عينيك. فهؤلاء عشرة أملاك على كل بني آدم، ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار. فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي وإبليس

---

(١) راجع ص ٢٠٥.

(٢) سورة ق: ١٨.

(٣) سورة الرعد: ١١.

بالنهار وولده بالليل[(١)].

(١٣٥) أنواع الشرك الخفي

(٢) عن ابن جريج في قوله ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ﴾[(٢)] قال: أخبرني ليث بن أبي سليمان عن أبي محمد عن حذيفة بن اليمان عن أبي بكر إما حضر ذلك حذيفة من النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وإما حدثه إياه أبوبكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل. قال أبوبكر: يا رسول الله، وهل الشرك إلا ما عبد من دون الله أو ما دعي مع الله؟ قال: ثكلتك أمك، الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، ألا أخبرك بقول يُذهب صغارَه وكبارَه؟! — أو قال: صغيره وكبيره - قال: بلى. قال: تقول كل يوم ثلاث مرات: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم، والشرك أن تقول: أعطاني الله وفلان، والند أن تقول: لولا فلان قتلني فلان[(٣)].

(٣) وعن معقل بن يسار قال: انطلقت مع أبي بكر الصديق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبابكر للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، فقال أبوبكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلها آخر؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا فعلته ذهب عنك قليله وكثيره؟ قال قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم[(٤)].

(١٣٦) عناية عمر بتفسير الآية

(٤) عن مجاهد قال: قرأ عمر على المنبر ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾[(٥)] فقال: أيها الناس هل تدرون ما جنات عدن؟ قصر في الجنة له عشرة آلاف باب، على كل باب خمسة وعشرون ألفا من الحور العين لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد[(٦)]. وروي نحو ذلك عن عبد الله بن عمر[(٧)]

---

(١) ابن جرير ١١٥/١٣ وقال ابن كثير ٥٠٤/٢: غريب جداً. قلت: وفي إسناده إبراهيم بن عبد السلام ابن صالح القشيري و لم أجد ترجمته.

(٢) سورة الرعد: ١٦.

(٣) ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٥٤/٤ وفي إسناده ليث بن أبي سليم وفيه كلام معروف.

(٤) البخاري في الأدب المفرد (٧١٦) وأبويعلى كما في تفسير ابن كثير ٤٩٥/٢. وفي إسناده أيضا ليث وهو مضطرب الحديث وقد اضطرب في هذا الحديث. راجع للتفصيل العلل المتناهية لابن الجوزي ٢٣٩/٢، ٢٤٠.

(٥) سورة الرعد: ٢٣.

(٦) ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٥٧/٤ قلت: و لم أجده في ابن جرير تحت هذه الآية، والله أعلم.

(٧) ابن جرير ١٤٢/١٣، لكن فيه عن ابن عمرو وهكذا النقل عند ابن كثير ٥١٠/٢ وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٥٧/٤ ورجاله ثقات.

ورفعه، وعن أبي مسعود[١] والحسن والضحاك وكعب الأحبار موقوفا عليهم[٢].
وهذا شاهد صدق على ما ألمحنا إليه من التعريض والله أعلم.

(١٣٧) بشارة أبي بكر بالجنة

قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾[٣].

(٥) عن ابن عمر قال: ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم طوبى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبابكر هل بلغك ماطوبى؟ قال: الله ورسوله أعلم، فقال: طوبى شجرة في الجنة لا يعلم طولها إلا الله فيسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفاً، ورقها الحلل يقع عليها الطير كأمثال البخت. قال أبوبكر: إن ذلك الطير ناعم، فقال: أنعم منه من أكله وأنت منهم يا أبابكر إن شاء الله[٤]

(١٣٨) عمر يفسر الآية في خطبته.

(٦) عن عمر بن الخطاب أنه قال وهو يطوف بالبيت: اللهم إن كنت كتبت عليّ شقوة أو ذنباً فامحه فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة[٥] [٦].

(٧) وعن السائب بن ملحان من أهل الشام وكان قد أدرك الصحابة قال: لما دخل عمر رضي الله عنه الشام حمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا خطيبا كقيامي فيكم فأمر بتقوى الله وصلة الرحم وصلاح ذات البين، وقال: عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة وإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد. لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ومن ساءته سيئته وسرته حسنته فهو أمارة المسلم المؤمن. وأمارة المنافق الذي لا تسوءه سيئته ولا تسره حسنته، إن عمل خيراً لم يرج من الله في ذلك ثوابا وإن عمل شرا لم يخف من الله في ذلك الشر عقوبة. وأجملوا في

---

(١) والصواب ابن مسعود.
(٢) أما حديث ابن مسعود فلم أجده بنحوه بل روي عن الحسن عند سعيد بن منصور وابن المنذر، وأما حديث الضحاك فرواه ابن جرير ١٣/١٤٢ وأبوالشيخ، وأما حديث كعب فرواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٤/٥٧ والله أعلم.
(٣) سورة الرعد: ٢٩.
(٤) ابن مردويه كما في الدر ٤/٦٢، والحلل: جمع حلة بالضم بمعنى برد يماني، والبخت: جمع بختي أي: الإبل.
(٥) ابن جرير ١٣/١٦٧، ١٦٨، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٤/٦٦ وإسناده حسن.
(٦) تشير الروايتان إلى تفسير الآية ٣٩ من سورة الرعد ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

طلب الدنيا فإن الله قد تكفل بأرزاقكم وكل سيتم له عمله الذي كان عاملاً، استعينوا الله على أعمالكم فإنه يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، صلى الله على نبينا محمد وآله وعليه السلام ورحمة الله، السلام عليكم[١].

(١٣٩) رواية الزهري في إسلام عمر رضي الله عنه

(٨) عن الزهري قال كان عمر بن الخطاب شديدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق يوما حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسمعه وهو يقرأ ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ**﴾ حتى بلغ ﴿**ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾[٢] وسمعه وهو يقرأ ﴿**وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا**﴾ إلى قوله ﴿**عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ**﴾[٣] فانتظره حتى سلّم فأسرع في إثره فأسلم[٤].

آيات سورة إبراهيم

(١٤٠) تعريض للمؤمنين المهاجرين الأولين بالتمكين في الدنيا والثبات في الآخرة

قال الله تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ**﴾[٥].

قارن الحق سبحانه وتعالى في هذه الآيات بين ظلمات الكفر الداكنة ونور الإيمان بأساليب متنوعة؛ منها تشبيهه لكلمة الحق ودين الإسلام الذي أنزله الله سبحانه من فوق سبع سماوات وأيده بالمعجزات الباهرات وكتب له القبول والشيوع في الأرض، فشمل معظم أنحاء الأرض وأطرافها، بشجرة مثمرة أرسيت دعائمها في الأرض وتعالت أغصانها وارتفعت حتى بلغت عنان السماء وهي تؤتي أكلها كل حين بإذنه. وأما الكلمة السيئة الهالكة من الشرك

---

(١) ابن مردويه والبيهقي في الشعب كما في الدر ٤/٦٦.
(٢) سورة العنكبوت: ٤٨- ٤٩.
(٣) سورة الرعد: ٤٣.
(٤) عبد الرزاق وابن المنذر كما في الدر ٤/٦٩ وهو مرسل.
(٥) سورة إبراهيم: ٢٤- ٢٩.

والضلال أو من الديانات المنحرفة التي بدلت دين الله كفراً كاليهودية والنصرانية أو العقائد الضالة كالمجوسية التي ما أنـزل الله بها من سلطان و لم يؤيدها وحي الرحمان، وما هي إلا ثمرة خرافات زرعت وترعرعت في أذهان بعض البشر وأوهامهم، وقد دمر الله بنيانهم ببعث الرسل ونشر نور الإيمان، فشبهت هذه الكلمة النتنة بشجرة خبيثة غير مثمرة قد تآكلت جذورها وتلاشت قواها فاجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

ثم يبين الله عز وجل عاقبة الذين آمنوا بالله وغشيت كلمة التوحيد خلجات صدورهم فشمروا عن ساعد الجد في التفاني لهذا الدين فانتشرت الدعوة بجهودهم حتى بلغت كل وبر وحضر، فلهم الثبات في الحياة الدنيا بالنصر والتأييد والتمكين من الأعداء والثبات في الآخرة بالنجاة من النيران ودخول جنان الخلد ورفع الدرجات. ومآل قادة الكفر ورؤوس الضلال الذين أضاعوا حياتهم في الدعوة إلى باطلهم عذاب جهنم وبئس البوار، لما أحدثوه من الضلال والهلاك لقومهم.

فهذه إشارات مجملة جاءت تصور ما كان عليه المهاجرون الأولون من الاستقامة على القول الثابت في الدنيا، فانتشرت كلمة التوحيد بجهودهم فأصبحوا من طلائع أهل النجاة والسعادة في الآخرة، وفي الجانب الآخر ما أصاب قادة مشركي قريش من العقاب والنكال والدمار. فهذا المجمل قد فصل وظهر وجه الحق فيه وتبين فضل هؤلاء القوم ووضحت مناقبهم وضوح الشمس في رابعة النهار، وهذا هو القصد.

يبقى أن نشير إلى ما ورد في الحديث الصحيح في تفسير هذه الآية بأن المراد من التثبيت هو التوفيق الرباني الذي ينـزل على المؤمن في قبره فيعينه على مواجهة المنكر والنكير في الرد على أسئلتهما، ولا تعارض بين هذا وبين ما سبق أن أشرنا إليه، بل هذه صورة من صور التثبيت المختلفة، ولعلها من أهمها، وذلك مثل تفسيرهم لقوله تعالى ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾[١] بالرمي، في حين أن الركوب ورمي السهام وضرب السنام و. . . كلها تدخل في إعداد القوة، لكنهم ذكروا جزءاً من كل، من باب التخصيص ومزيد الاهتمام.

(١) وعن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قلب العباد ظهرا وبطنا، فكان خير عباده العرب وقلب العرب ظهرا وبطنا فكان خير العرب قريشا، وهي الشجرة المباركة التي قال الله في كتابه ﴿... **مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً**﴾ يعني القرآن، ﴿**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ**﴾ يعني بها قريشا، ﴿**أَصْلُهَا ثَابِتٌ**﴾ يقول أصلها كبير، ﴿**وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ**﴾ يقول الشرف الذي شرفهم الله بالإسلام الذي هداهم الله له وجعلهم من أهله"[٢].

---

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

(٢) ابن مردويه كما في الدر ٤/٧٧.

(٢) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أنت يا عمر إذا انتهي بك إلى الأرض فحفر لك ثلاثة أذرع وشبر في ذراع وشبر ثم أتاك منكر ونكير أسودان يجران أشعارهما كأن أصواهما الرعد القاصف وكأن أعينهما البرق الخاطف يحفران الأرض بأنيابهما، فأجلساك فزعا فتلتلاك وتوهّلاك[1]؟ قال: يا رسول الله وأنا يومئذ على ما أنا عليه، قال: نعم، قال: أكفيكهما بإذن الله يا رسول الله[2].

وروي نحو ذلك من حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر الحديث[3].

(٣) وعن عثمان بن عفان قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة عند قبره وصاحبه يدفن، فقال: استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل[4].

(١٤١) عناية عمر بتفسير الآية

(٤) عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾[5] قال: هما الأفجران من قريش؛ بنو المغيرة وبنو أمية. فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين[6].

(٥) وعن ابن عباس أنه قال لعمر: يا أمير المؤمنين هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ قال: هما الأفجران من قريش أخوالي وأعمامك. فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر وأما أعمامك فأملى الله لهم إلى حين[7].

(١٤٢) عناية عمر بتفسير الآية

(٦) عن عمر بن الخطاب أنه قال: اللهم اغفر لي ظلمي وكفري، قال قائل: يا أمير

---

(١) تلتله: أي حرّكه وتوهّله أي خوّفه.

(٢) البيهقي كتاب عذاب القبر كما في الدر ٨٢/٤.

(٣) أما حديث عبد الله بن عمرو فرواه أحمد ١٧٢/٢ وابن أبي الدنيا والطبراني والآجري في الشريعة وابن عدي ٨٥٥/٢، وقال الهيثمي في المجمع ٤٧/٣: رجال أحمد رجال الصحيح. وأما حديث أبي هريرة فرواه ابن أبي الدنيا كما في الدر ٨٢/٤.

(٤) أبوداود (٣٢٢١) كتاب الجنائز باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف، والحاكم ٣٧٠/١ والبيهقي ٥٦/٤ وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٥) سورة إبراهيم: ٢٨.

(٦) أخرجه البخاري في تاريخه وابن جرير ٢١٩/١٣ وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر ٨٤/٤ وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

(٧) ابن مردويه كما في الدر، وابن جرير ٢١٩/١٣ أيضا وإسناده حسن.

المؤمنين، هذا الظلم فما بال الكفر؟ قال ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾[١]، [٢].

آيات سورة الحجر

(١٤٣) تحقق وعد الله بحفظ القرآن الكريم وجمعه على يد الخلفاء الثلاثة.

قال الله تعالى ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[٣].

فقد وعدنا الله تبارك وتعالى أن يحفظ القرآن الكريم من كل تحريف وتبديل ونسيان. وهذا يعني أنه سبحانه وتعالى سوف يسخر أسبابا خارجية تسعى لحفظ القرآن وخدمته. وكان الخلفاء الثلاثة من هذه الأسباب المسخرة لخدمته حيث بذلوا جهدا كبيرا في جمعه وحفظه من الضياع وقد وقفوا مدة خلافتهم كلها لخدمة القرآن وجمعه وفصل ما أشكل على الناس من الروايات والقراءات حتى حفظ في أكمل وجه وأتمه بين دفتين. وقد شهدت الأخبار المتواترة على أن الناس أجمعوا عليه وشهدوا له بالقبول، واتفقت الأمة عليه ورضيت به. فمن هنا يتبين لنا أن وعد الله بحفظ كتابه قد تحقق على يد هؤلاء الأبرار، ويعد هذا من علامات خلافتهم الراشدة.

(١٤٤) نـــزول الآية في أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم

(١) عن الـــحسن البصري قال قـــال علي بن أبي طالب: فينا والله أهل بدر نـــزلت ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾[٤]، [٥].

(٢) وعن كثير النوآء قال: قلت لأبي جعفر إن فلانا حدثني عن علي بن الحسين أن هذه الآية نـــزلت في أبي بكر وعمر وعلي ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ قال: والله إنها لفيهم أنـــزلت وفيمن تنـــزل إلا فيهم؟ قلت: وأي غل هو؟ قال: غل الجاهلية؛ إن بني تميم وبني عدي وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا، فأخذت أبابكر الخاصرة فجعل علي يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر، فنـــزلت هذه الآية[٦].

(٣) وروي من طرق كثيرة عن علي أنه قال لابن طلحة: إن أرجو أن أكون أنا وأبوك

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٤.

(٢) ابن أبي حاتم كما في الدر ٨٩/٤.

(٣) سورة الحجر: ٩.

(٤) سورة الحجر: ٤٧

(٥) ابن جرير ٣٦/١٤ وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر ١٠١/٤. رجاله ثقات إلا أنه منقطع. لأن الحسن لم يسمع من علي رضي الله عنه. والله أعلم.

(٦) ابن أبي حاتم وابن عساكر كما في الدر ١٠١/٤. وكان سيدنا أبوبكر رضي الله عنه من بني تميم وسيدنا علي رضي الله عنه من بني هاشم.

من الذين قال الله ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾. فقال رجل من همدان: الله أعدل من ذلك، فصاح علي عليه صيحة تداعى لها القصر وقال: فمن إذا إن لم نكن نحن أولئك؟[1].

(٤) وعن علي قال: إني لأرجو أن أكون وعثمان والزبير وطلحة ممن قال الله ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[2].

(١٤٥) عناية عمر بتفسير الآية

(٥) وعن عمر بن الخطاب في قوله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾[3] قال: السبع الطوال[4]. وروي ذلك أيضا عن ابن عمر وابن عباس ومجاهد وسفيان وغيرهم[5]، وتوجيهه في قول الضحاك: المثاني؛ القرآن يذكر الله القصة الواحدة مراراً[6].

آيات سورة النحل

(١٤٦) تعريض ظاهر للمؤمنين الأولين باستقامتهم على الإيمان

قال الله تعالى ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ

---

(١) قال السيوطي في الدر ١٠١/٤: أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير ٣٧/١٤ وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم ٣٥٣/٢ من طرق عن علي. . . وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٢) سعيد بن منصور وابن مردويه كما في الدر.

(٣) سورة الحجر: ٨٧.

(٤) لم أجده عن عمر، بل ثبت عنه بلفظ السبع المثاني فاتحة الكتاب. وابن جرير ٥٤/١٤.

(٥) أما حديث ابن عمر فرواه ابن جرير ٥٢/١٤، وأما حديث ابن عباس فرواه الحاكم ٣٥٥/٢ والبيهقي وابن جرير ٥٢/١٤، وأما حديث مجاهد فرواه آدم بن إياس وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي. وأما حديث سفيان فرواه ابن أبي حاتم كما في الدر ١٠٥/٤.

(٦) ابن جرير ٥٧/١٤ وقال: وأولى الأقوال في ذلك قول من قال: عني بالسبع المثاني السبع اللواتي هن آيات أم الكتاب لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١).

تقارن هذه الآيات الكريمة درجات المؤمنين بدركات الكافرين كما تبين الفواصل الشاسعة بين الكفر والإيمان، فتصف تلك الفئة الظالمة التي زعمت بأن القرآن أساطير الأولين، فإنها سوف تحمل وزر هذه الفرية وسوف تلقى ما لقيه الذين كفروا من قبل؛ فأتى الله بنيانهم في الدنيا من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. وسوف تُسمعهم الملائكة الذين وكلوا على قبض أرواحهم أشد صور العذاب التي تنتظرهم وتتلهب لهم، ثم يوم القيامة يخزيهم الله فيدخلون أبواب جهنم خالدين فيها. ثم تثني على الفئة الناجية التي أقرت بكلام الله وشهدت بأن الله أنـــزل خيراً، فاختار الله لهم "الحسنة" في هذه الدار فنصرهم على من عاداهم وكتب لهم الغلبة والتمكين والعز في الدنيا. وشرفهم "بالحسنة" في العقبى فأدخلهم جنات عدن يدخلونـــها تجري من تحتها الأنهار، لهم فيها ما يشاءون. وقبل ذلك تبشرهم ملائكة الرحمة -الموكلون بحملهم إلى الرفيق الأعلى- بالسلام وأن ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون.

وتدبر أن هذه السورة مكية وقد نـــزلت والمعركة الفاصلة بين كفار قريش والمهاجرين الأولين حامية الوطيس، وقد وقع ذلك الانفصام المضيء وارتقت الفئة المؤمنة من درن الشرك إلى علو التوحيد واستقامت عليه، فنـــزولها في تلك الآونة التي تجلت استقامة الفئة المؤمنة في أبهى صورها ليس إلا تعريضا ظاهرا لهؤلاء الأبرار الذين كانوا يواجهون قوى الكفر والطغيان.

(١٤٧) بشارة المهاجرين الأولين بالتمكين في الدنيا والجنة في الآخرة

قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٢).

يبشر الحق سبحانه وتعالى المؤمنين الذين هاجروا في سبيل الله من بعد ما ظلموا ليـــبوءهم في الدنيا حسنة ويكتب لهم التمكين من أعدائهم وسوف يجدون في الأرض مراغما

---

(١) سورة النحل: ٢٢- ٣٢.
(٢) سورة النحل: ٤١- ٤٢.

كثيرا وسعة، ويرزقهم غنائم كثيرة والسلوان، ولو علموا أن أجر الآخرة أكبر لانشرحت صدورهم للهجرة وتقدموا إليها في سعادة وسرور. فالآية نص صريح على أن هؤلاء المهاجرين الأولين سوف يرزقهم الله الحسنة في الدنيا، وقد شاهدنا نـزول الحسنة عليهم، فيجب أن نؤمن أن الجزء الثاني من الآية أي نـزول الحسنة عليهم في دار الرضوان، سوف يتحقق لامحالة! وهذا ما أشار إليه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في حديث مستفيض وقد سمى هؤلاء المهاجرين وهو الصادق المصدوق فيما قال، وهو المبين بكلام الملك المتعال.

(١) عن عمر بن الخطاب رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله: "من تواضع لي هكذا -وأشار بباطن كفه إلى الأرض وأدناها من الأرض- رفعته هكذا -وأشار بباطن كفه إلى السماء ورفعها نحو السماء"[١].

(٢) وعن عمر أنه قال على المنبر: يأيها الناس تواضعوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من تواضع لله رفعه الله، وقال: انتعش رفعك الله، فهو في نفسه صغير وفي أعين الناس عظيم، ومن تكبر وضعه الله وقال: اخسأ خفضك الله، فهو في أعين الناس صغير وفي نفسه كبير حتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنـزير[٢].

(٣) عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول: خذ بارك الله لك، هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة أفضل، ثـم قرأ هـذه الآية ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٣]، [٤].

(١٤٨) عناية عمر بتفسير الآيتين

(٤) عن عمر أنه سألهم عن هذه الآية ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾[٥] فقالوا: ما نرى إلا عند تنقص ما يرده من الآيات. فقال عمر: ما أرى إلا أنه على ما تنتقصون من معاصي الله.

---

(١) قال في المجمع ٨٢/٨: رواه أحمد ٤٤/١ والبزار ورجالهما رجال الصحيح. قلت: وورواه أبويعلى حديث رقم ١٨٢ ورجاله أيضا رجال الصحيح، وفيه: وأمال يزيد بن هارون بكفه إلى الأرض، وأشار يزيد ببطن كفه إلى السماء. وعزاه السيوطي في الدر ١١٤/٤ إلى البيهقي فقط. ولعل الإمام المؤلف أخذه منه.

(٢) الخطيب ١١٠/٢ والبيهقي كما في الدر ١١٤/٤. وقال الخطيب: هو غريب من حديث الثوري. تفرد به سعيد بن سلام عنه. قلت: سعيد بن سلام ضعيف. بل قال أحمد: كذاب وكذبه ابن نمير، وقال البخاري: يذكر بوضع الحديث كما في الميزان ١٤١/٢.

(٣) سورة النحل: ٤١.

(٤) ابن جرير ١٠٧/١٤ وابن المنذر كما في الدر ١١٨/٤ وفي إسناده رجل لم يسم.

(٥) سورة النحل: ٤٧.

فخرج رجل ممن كان عند عمر فلقي أعرابيا فقال: يا فلان ما فعل ربك؟ قال: قد تخيفته، يعني: انتقصته. فرجع إلى عمر فأخبره، فقال: قد رأيته ذلك[١].

أقول: هذا التفسير يعد من ملازمات الكلمة، والتخوف يقصد به أن يرى المعاقب علامات ودلائل على ما ينتظره من العذاب قبل وقوعه فيسطو عليه الوجل والخوف، وهذا لأن العاصي قد عصى الله عز وجل بعد ما بلغه ما بلغه من الوعيد الشديد حالة العصيان فكان من العدل أن يعاقب بالتخوف قبل نـــزول العذاب والعقاب عليه.

(٥) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أربع قبل الظهر بعد الزوال يحسب بمثلهن من صلاة السحر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وليس من شيء إلا وهو يسبح الله تلك الساعة ثم قرأ ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ ...﴾[٢] الآية كلها[٣].

(١٤٩) نـــزول الآية في عثمان رضي الله عنه

(٦) عن ابن عباس قال: نـــزلت هذه الآية ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾[٤] في رجلين؛ عثمان بن عفان ومولى له كافر وهو أسيد بن أبي العيص كان يكره الإسلام وكان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المئونة وكان الأخِر ينهاه عن الصدقة والمعروف فنـــزلت فيهما[٥].

(١٥٠) عناية حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بتفسير الآية

(٧) عن سليم بن عمر قال صحبت حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي خارجة من مكة إلى المدينة فأُخبرت أن عثمان قد قتل، فرجعت وقالت: ارجعوا بي فوالذي نفسي بيده إنها للقرية التي قال الله ﴿قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ ... ﴾ إلى آخر الآية[٦] [٧].

---

(١) ابن جرير ١١٣/٤ وفي إسناده رجل لم يسم.

(٢) سورة النحل: ٤٨.

(٣) الترمذي (٣١٢٨) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة النحل، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن عاصم. والبيهقي في الشعب وفي سنده يحيى البكاء وهو ضعيف كما في التحفة. وعزاه السيوطي في الدر ١٢٠/٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ أيضا.

(٤) سورة النحل: ٧٦.

(٥) ابن جرير ١٥١/١٤ وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر كما في الدر ١٢٥/٤ ورجال ابن جرير ثقات.

(٦) سورة النحل: ١١٢.

(٧) ابن جرير ١٨٦/١٤ وابن أبي حاتم كما في الدر ١٣٣/٤ ورجاله موثقون.

(١٥١) عناية أبي بصيرة وعبد الله بن مسعود بتفسير الآية

(٨) عن أبي بصيرة قال: قرأت هذه الآية في سورة النحل ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ. . . ﴾[١] إلى آخر الآية، فلم أزل أخاف الفتيا إلى يومي هذا[٢].

(٩) عن ابن مسعود قال عسى رجل أن يقول: إن الله أمر بكذا ونهى عن كذا، فيقول الله عز وجل: كذبت، أو يقول: إن الله حرم كذا وأحل كذا، فيقول الله له: كذبت[٣].

آيات سورة الإسراء

(١٥٢) يعلم القرآن المؤمنين السابقين الأولين آداب الدعوة.

قال الله تعالى ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ۝٥٣ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾[٤].

كان المؤمنون السابقون الأولون يلعنون الكفار ويطعنون في عقولهم وعجز آلهتهم، وكان المشركون يثورون عليهم ويردون الصاع صاعين، فتثور نـزاعات وفتن مما كان يسبب حجر عثرة في سبيل الدعوة، فأنـزل الله هاتين الآيتين فيما أنـزل، وأمر المؤمنين أن ﴿يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ لهم وأليق بحسن شيمهم وكرم أخلاقهم وأقرب إلى معاني الحلم وإلى رزانة أحلامهم وأجدر لمصلحة الدعوة فـ ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ﴾ وينفخ في نار الغضب ليثير الفتن من تحت الرماد، فقد كان الشيطان ﴿لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾.

﴿وَقُل﴾ وأحسن ما يقوله العبد هو أن ربكم أعلم بأخباركم وأعمالكم ﴿إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡ﴾، ولم نرسلك -يأيها الرسول- وكيلاً عليهم.

والجدير بالذكر أن سورة بني إسرائيل من أقدم ما نـزل في مكّة. فالمراد من ﴿عبادي﴾ ليس إلا السابقون الأولون من المهاجرين الذين ذاع صيتهم في مواجهة المشركين ومجادلة غلاة الكفرة والمجرمين. ولا يخفى على من أوتي فهما سليما ما في إضافة كلمة ﴿عباد﴾ إلى الضمير الراجع إلى الحق سبحانه وتعالى من تشريف وتعظيم لهؤلاء الأبرار، وهذا هو المراد.

---

(١) سورة النحل: ١١٦

(٢) ابن أبي حاتم كما في الدر.

(٣) الطبراني كما في الدر ٤/١٣٤.

(٤) سورة الإسراء: ٥٣- ٥٤.

(١٥٣) سمى الله أبابكر الصديق.
(١٥٤) فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم
(١٥٥) مناقب الخلفاء الأربعة

(١) أخرج أبويعلى وابن عساكر[١] عن أم هانئ قالت: دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم بغلس وأنا على فراش، فقال: شعرت إني نمت الليلة في المسجد الحرام فأتاني جبريل، فذهب بي إلى باب المسجد، فإذا دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل مضطرب الأذنين فركبته، فكان يضع حافره مد بصره. إذا أخذ بي في هبوط طالت يداه وقصرت رجلاه، وإذا أخذ بي في صعود طالت رجلاه وقصرت يداه وجبريل لا يفوتني حتى انتهينا إلى بيت المقدس، فأوثقته بالحلقة التي كانت الأنبياء توثق بها. فنشر لي رهط من الأنبياء منهم إبراهيم وموسى وعيسى فصليت بهم وكلمتهم وأُتيت بإنائين؛ أحمر وأبيض، فشربت الأبيض وقال لي جبريل:

شربت اللبن وتركت الخمر. لو شربت الخمر لارتدت أمتك.

ثم ركبته فأتيت المسجد الحرام فصليت به الغداة. فتعلقت بردائه وقلت[٢]: أنشدك الله يا ابن عم، أن تحدث بهذا قريشاً فيكذبك من صدّقك. فضرب بيده على ردآئه فانتزعه من يدي فارتفع عن بطنه فنظرت إلى عُكنة فوق إزاره كأنها طي القراطيس وإذا نور ساطع عند فؤاده كاد يختطف بصري فخررت ساجدة. فلما رفعت رأسي إذا هو قد خرج. فقلت لجاريتي: ويحك! اتبعيه فانظري ماذا يقول وماذا يقال له؟ فلما رجعت أخبرتني أنه انتهى إلى نفر من قريش فيهم المطعم بن عدي وعمرو بن هشام والوليد بن المغيرة، فقال: إني صليت الليلة العشاء في هذا المسجد وصليت به الغداة وأتيت فيما بين ذلك بيت المقدس فنشر لي رهط من الأنبياء فيهم إبراهيم وموسى وعيسى فصليت بهم وكلمتهم. فقال عمرو بن هشام كالمستهزئ: صفهم لي. فقال: "أما عيسى ففوق الربعة ودون الطويل عريض الصدر ظاهر الدم جعد الشعر تعلوه صُهبة كأنه عروة بن مسعود الثقفي، وأما موسى فضخم آدم طوال كأنه من رجال شنوءة كثير الشعر غائر العينين متراكبة الأسنان مقلّصة الشفة خارج اللثة عابس، وأما إبراهيم فوالله لأشبه الناس بي خلقا وخلقا. فضجوا وعظموا ذاك، فقال المطعم: كل أمرك قبل اليوم كان أَمما غير قولك اليوم، أنا أشهد أنك كاذب. نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهراً

---

(١) أبويعلى في المعجم حديث رقم ١٠ وفي المسند الكبير كما في المطالب ٢٠١/٤ وذكره الذهبي في السيرة النبوية ص ١٥٦ والسيوطي في الخصائص ٤٤١/١ والدر ١٤٨/٤ والحافظ في الإصابة مختصرا ١٩٧/٨. وفي إسناده شيخ أبي يعلى محمد بن إسماعيل الوساوسي وهو ضعيف وأبوصالح باذام أيضا ضعيف مدلّس كما في التقريب ص ٥٧.

(٢) قلت: أي أم هانئ قالت.

تزعم أنك أتيته في ليلة! واللات والعزى لا أصدقك!

فقال أبوبكر: يا مطعم، بئس ما قلت لابن أخيك! جبهته وكذبته. أنا أشهد أنه صادق، فقالوا: يا محمد، صف لنا بيت المقدس. قال: دخلته ليلاً وخرجت منه ليلاً، فأتاه جبريل فصوره في جناحه فجعل يقول: باب من كذا في موضع كذا، وباب منه كذا في موضع كذا، وأبوبكر يقول: صدقت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: ياأبابكر إن الله قد سماك الصديق. قالوا: يا محمد أخبرنا عن عيرنا. فقال: أتيت على عيــر بني فلان بالروحا قد أضلّوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها، فانتهيت إلى رحالهم ليس بها منهم أحد وإذا قدح ماء فشربت منه. ثم انتهيت إلى عير بني فلان فنفرت مني الإبل وبرك منها جمل أحــمر عليه جوالق مخطط ببياض لا أدري أكسر البعير أم لا؟ ثم انتهيت إلى عيــر بني فلان في التنعيم يقدمها جمل أورق وها هي هذه تطلع عليكم من الثنية.

فقال الوليد بن المغيرة: ساحر! فانطلقوا فنظروا فوجدوا كما قال فرموه بالسحر وقالوا: صدق الوليد! فأنــزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[1].

(٢) وفي رواية أخرى قال رسول الله ﷺ لجبريل: إن قومي لا يصدّقوني. قال: يصدّقك أبوبكر وهو الصدّيق[2].

(٣) وعن عمر قال: لما أُسري برسول الله صلى الله عليه وسلم رأى مالكا خازن النار، فإذا رجل عابس يُعرف الغضب في وجهه[3].

(٤) وعن عبيد بن آدم أن عمر بن الخطاب كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس، فقال لكعب: أين ترى أن أصلي؟ قال: خلف الصخرة. قال: لا! ولكن أُصلي حيث صلى رسول الله ﷺ فتقدم إلى القبلة فصلى[4].

(٥) وعن علي قال قال رسول الله ﷺ: ليلة أسري بي رأيت على العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله أبوبكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين[5].

(٦) وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: رأيت ليلة أسري بي في العرش فِرندة[6] خضراء

---

(١) سورة الإسراء: ٦٠.

(٢) ابن سعد ٢١٥/١ وابن عساكر كما في الدر ١٤٩/٤ في حديث طويل.

(٣) ابن مردويه كما في الدر ١٥١/٤.

(٤) أحمد ٣٨/١ بلفظ قال كعب: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر رضي الله عنه: ضاهيت اليهوديــة، لا ولكن أصلي الخ. وذكره السيوطي في الدر ١٥١/٤ ولعل الإمام المؤلف أخذه منه.

(٥) ابن عساكر كما في الدر ١٥٤/٤.

(٦) لؤلؤة.

فيها مكتوب بنور أبيض: لا إله إلا الله محمد رسول الله أبوبكر الصديق عمر الفاروق[١].

(٧) وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي[٢].

(٨) وعن أبي هريرة قال: لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسري به فكان بذي طوى قال: يا جبريل إن قومي لا يصدقوني، قال: يصدقك أبوبكر وهو الصديق[٣].

(٩) وأخرج الحاكم[٤] عن عائشة قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أوقال ذلك؟ قالوا: نعم!، قال: لئن قال ذلك لقد صدق. قالوا: فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبوبكر الصديق.

(١٠) وعن زيد بن أسلم قال: كان للعباس بن عبد المطلب دار إلى جنب مسجد المدينة فقال له عمر: بعنيها. وأراد أن يزيدها في المسجد فأبى العباس أن يبيعها إياه. فقال عمر: فهبها لي، فأبى، فقال عمر: فوسعها أنت في المسجد، فأبى. فقال عمر: لابد من إحداهن، فأبى عليه، قال: فخذ بيني وبينك رجلاً، فأخذ أبي بن كعب فاختصما إليه. فقال أبي لعمر: ما أرى أن تخرجه من داره حتى ترضيه، فقال له عمر: أ رأيت قضاءك هذا في كتاب الله وجدتَه أم سنةٌ من رسول الله ﷺ؟ قال أبي: بل سنة من رسول الله ﷺ. فقال عمر: وما ذاك؟ فقال: إني سمعت

---

(١) الدارقطني في الأفراد ومن طريقه الخطيب ٢٠٤/١١ وابن عساكر كما في الدر ١٥٤/٤ وقال الدارقطني: تفرد به ابن فضيل عن ابن جريج، لا أعلم حدث به غير هذين: قلت: روى عن ابن فضيل السري بن عاصم قال ابن عدي: يسرق الحديث، وكذبه ابن خراش.

(٢) ابن عدي وابن عساكر كما في الدر ١٥٣/٤. قلت: ذكره الذهبي في الميزان ٥٣٠/١ في ترجمة الحسين بن إبراهيم البابي من طريق ابن عدي وقال: حسين لا يدرى من هو؟ فلعله من وضعه. وقال ابن عدي: باطل والحسين مجهول. كما في اللسان ٢٦٨/٢، ٢٦٩. ولكن لم أجد ترجمة الحسين في الكامل المطبوع لابن عدي. والله أعلم.

(٣) أخرجه ابن سعد والطبراني في الأوسط وسعيد بن منصور وابن مردويه كما في الدر ١٥٥/٤ وأبويعلى أيضا في المسند حديث رقم ٦٥٧٦. وقال الهيثمي في المجمع ٤١/٩ بعد عزوه إلى أبي يعلى والطبراني: فيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف. بل قال الحافظ في التقريب ص ٢٥٦: متروك ونسبه ابن حبان إلى الوضع. ورواه ابن سعد ١٧٠/٣ من حديث أبي وهب مولى أبي هريرة. وفي إسناده أبومعشر نجيح المدني وهو ضعيف.

(٤) ٧٦/٣ وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الدلائل ٣٦١/٢ وابن مردويه كما في الدر ١٥٥/٤.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس جعل كلّما بنى حائطا أصبح منهدما فأوحى الله إليه أن لا تبن في حق رجل حتى ترضيه. فتركه عمر، فوسعها العباس بعد ذلك في المسجد[١].

(١١) وروي نحو من ذلك عن سعيد بن المسيب وابن عباس وسالم أبي النضر وعن كعب[٢] قال: أوحى الله إلى داود؛ ابن لي بيت المقدس فعارضه بيتاً له فأوحى الله إليه: يا داود، أمرتك أن تبني بيتا لي فعارضته بيتا لك. ليس لك أن تبنيه. قال: يا رب: ففي عقبي، قال: عقبك. فلما وُلّي سليمان أوحى الله إليه أن ابن بيت المقدس فبناه، فلما دخله خر ساجداً شكرا لله، قال: يا رب من دخله من خائف فآمنه أو من داع فاستجب له أو مستغفر فاغفر له، فأوحى الله إليه أني قد خصصت لآل داود الدعاء. فذبح أربعة آلاف بقرة وسبعة آلاف شاة وصنع طعاما ودعا بني إسرائيل إليه[٣].

(١٢) وفي رواية رافع بن عمير؛ ثم أخذ في بناء المسجد فلما تم السور سقط ثلاثا فشكى ذلك إلى الله، فأوحى الله إليه: إنك لا تصلح أن تبني لي بيتاً. قال: ولم يا رب؟ قال: لما جرى على يديك من الدماء. قال: يا رب، أو لم يكن ذلك في هواك ومحبتك؟ قال: بلى، ولكنهم عبادي وأنا أرحمهم. فشق ذلك عليه، فأوحى الله إليه: لا تحزن فإني سأقضي بناءه على يدي ابنك سليمان. فلما مات داود أخذ سليمان في بنائه، فلما تم قرب القرابين وذبح الذبائح وجمع بني إسرائيل فأوحى الله إليه: قد أرى سرورك ببنيان بيتي فسلني أعطك. قال: أسألك ثلاث خصال؛ حكما يصادف حكمك، وملكا لا ينبغي لأحد من بعدي، ومن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[٤].

قال رسول الله ﷺ: أما الاثنين فقد أعطيهما، وأنا أرجو أن يكون قد أعطي الثالثة.

(١٣) وأخرج الترمذي[٥] عن عمر بن الخطاب أنه لبس ثوباً جديداً فقال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عوزتي وأتجمل به في حياتي، ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من لبس ثوبا جديداً، فقال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي، ثم عمد إلى الثوب الذي خلق فتصدق به كان في كنف الله وفي حفظ الله وفي ستر الله حيا وميتا، قالها ثلاثاً.

---

(١) عبد الرزاق كما في الدر ٤/١٦٠.

(٢) الواسطي كما في الدر ٤/١٦١.

(٣) أما حديث سعيد بن المسيب فرواه عبد الرزاق. وأما حديث ابن عباس وسالم فرواه ابن سعد كما في الدر ٤/١٥٩، ١٦٠.

(٤) ابن حبان في المجروحين والطبراني وابن مردويه والواسطي كما في الدر ٤/١٦٠.

(٥) (٣٥٦٠) وابن ماجه (٣٥٥٧) والحاكم ٤/١٩٣ وابن أبي شيبة ٨/٤٥٣ و ١٠/٤٠١ والطبراني في الدعاء، وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(١٥٦) عناية عمر بتفسير الآية

(١٤) عن عطاء بن السائب قال: أخبرني غير واحد أن قاضياً من قضاة الشام أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين رأيت رؤيا أفظعتني، قال: وما رأيت؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين. قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ... ﴾[١] فانطلق، فوالله لا تعمل لي عملاً أبداً[٢].

(١٥) قال عطاء فبلغني أنه قتل مع معاوية يوم صفين.

(١٥٧) نزول الآية في عثمان رضي الله عنه

(١٦) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إنه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان – يعني عثمان – قلت لعلي: اعتزل، فلو كنت في جحر طُلبت حتى تستخرج، فعصاني وأيم الله ليتأمّرنَّ عليكم معاوية وذلك أن الله يقول ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾[٣][٤].

(١٥٨) عناية الشيخين أبي بكر وعمر بتفسير الآية

(١٧) وعن عمر قال: لا تلطموا وجوه الدواب فإن كل شيء يسبح بحمده[٥].

(١٨) وعن ميمون بن مهران قال: أتى أبوبكر الصديق بغراب وافر الجناحين[٦] فجعل ينشر[٧] جناحه ويقول: ما صيد من صيد ولا عضدت[٨] من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح[٩].

---

(١) سورة الإسراء: ١٢

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١١/٧٤ وفي إسناده رجال لم يسمهم.

(٣) سورة الإسراء: ٣٣.

(٤) الطبراني وابن عساكر كما في الدر ٤/١٨١ وابن كثير في تفسيره ٣/٣٩. وقال الهيثمي في المجمع ٧/٢٣٦: فيه من لم أعرفهم.

(٥) أبوالشيخ كما في الدر ٤/١٨٣.

(٦) مربوط الجناحين.

(٧) يفتح جناحه.

(٨) قطعت.

(٩) ابن أبي شيبة ١٣/٢٦٢ وأحمد في الزهد ص ١١٠ وأبوالشيخ كما في الدر ٤/١٨٤. إسناده حسن إلا أن ميمون لم يسمع من أبي بكر رضي الله عنه.

(١٩) وروي نحوه عن الزهري قال أتى أبوبكر الصديق بغراب. . الحديث[١].

(١٥٩) أبوبكر يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢٠) عن ابن عباس قال: لما نـزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ...﴾[٢] جاءت امرأة أبي لهب، فقال أبوبكر: يا رسول الله لو تنحيت عنها فإنها امرأة بذيّة. قال: سيحال بيني وبينها. فلم تره، فقالت: يا أبابكر هجانا صاحبك. قال: والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله. فقالت: إنك لمصدّق. فاندفعت راجعة فقال أبوبكر: يا رسول الله ما رأتك؟ قال: كان بيني وبينها ملك يسترني بجناحه حتى ذهبت[٣].

وروي نحو ذلك عن أسماء بنت أبي بكر الصديق عن أبي بكر الصديق[٤].

(١٦٠) نـزول الآية في بني أمية

(٢١) وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة. وأنـزل الله في ذلك ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾[٥] يعني الحكم وولده[٦]. وروي قريب من ذلك عن سهل بن سعد ويعلى بن مرة والحسين بن علي وسعيد بن المسيب وعائشة[٧].

---

(١) إسحاق بن راهويه في مسنده كما في الدر ١٨٤/٤ هو مرسل أيضا.

(٢) المسد: ١.

(٣) ابن أبي شيبة ٤٩٨/١١ والدارقطني في الأفراد، وأبونعيم في الدلائل ص ٦١ كما في الدر ١٨٦/٤. قلت: وأبويعلى رقم ٢٣٥٤، ٢٥ والبزار وقال البزار: لا نعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد كما في تفسير ابن كثير ٥٦٥/٤ وقال الهيثمي في المجمع ١٤٤/٧: فيه عطاء بن السائب وقد اختلط. وأما حديث ابن أبي شيبة فهو عن سعيد مرسلا.

(٤) أبويعلى رقم ٤٩، وابن أبي حاتم وصححه ابن مردويه وأبونعيم والبيهقي في الدلائل ١٩٥/٢ كما في الدر ١٨٦/٤. والحميدي ١٠٣/١ ومن طريقه البيهقي والحاكم٣٦١/٢. وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٥) سورة الإسراء: ٦٠.

(٦) ابن أبي حاتم كما في الدر ١٩١/٤، وقال ابن القيم في المنار ص ١١٧: كل حديث في ذم عمرو بن العاص وفي ذم بني أمية فهو كذب.

(٧) حديث سهل بن سعد رواه ابن جرير ١١٢/١٥، وقال ابن كثير في التفسير ٤٩/٣: هذا حديث ضعيف جدا فإن محمد بن الحسن بن زبالة متروك وشيخه أيضا ضعيف بالكلية. وأما حديث يعلى ابن مرة فرواه ابن أبي حاتم، وأما حديث الحسين فرواه ابن مردويه، وأما حديث سعيد فرواه البيهقي في الدلائل ٥٠٩/٦ وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر. وهو مع إرساله ضعيف لضعف ابن جدعان. وأما حديث عائشة فرواه ابن مردويه كما في الدر ١٩١/٤.

(١٦١) تفسير عمر للآية

(٢٢) عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ في قوله ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ...﴾[١] قال: لزوال الشمس[٢].

(١٦٢) عظم منـــزلة سلطان الله

(٢٣) عن قتادة في قوله ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ...﴾[٣] الآية. أخرجه الله من مكة مخرج صدق وأدخله المدينة مدخل صدق. قال: وعلم نبي الله ﷺ أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله وحدوده وفرائضه ولإقامة كتاب الله، فإن السلطان عزة من الله جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض وأكل شديدهم ضعيفهم[٤].

(٢٤) وعن عمر بن الخطاب قال: والله لما نزع الله بالسلطان أعظم مما ينـــزع بالقرآن[٥].

(١٦٣) عناية الشيخين أبي بكر وعمر بتلاوة القرآن الكريم

(٢٥) عن محمد بن سيرين قال: نبئت أن أبابكر كان إذا قرأ خفض وكان عمر إذا قرأ جهر، فقيل لأبي بكر: لم تصنع هذا؟ قال: أُناجي ربي وقد عرف حاجتي، وقيل لعمر: لم تصنع هذا؟ قال: أطـــرد الشيطان وأوقـــظ الوسنان[٦]. فلما نـــزلت ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا...﴾[٧] قيل لأبي بكر: إرفع شيئا، وقيل لعمر: اخفض شيئاً. وروي مثله عن الربيع بن أنس[٨].

آيات سورة الكهف

(١٦٤) مدح المؤمنين الأولين المستضعفين

قال الله تعالى ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

---

(١) سورة الإسراء: ٧٨.
(٢) ابن مردويه كما في الدر ١٩٥/٤.
(٣) سورة الإسراء: ٨٠.
(٤) الحاكم ٣/٣ ومن طريقه البيهقي في الدلائل ٥١٧/٢ كما في الدر ١٩٨/٤ وفي إسناده حسين بن محمد المروزي مجهول كما في التقريب ص ١١٤.
(٥) الخطيب كما في الدر ١٩٩/٤. وفيه "لما يزع" مكان "لما نـــزع" و "مما يزع" مكان "مما نـــزع".
(٦) ابن جرير ١٨٦/١٥ وسعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في الشعب كما في الدر ٢٠٧/٤.
(٧) سورة الإسراء: ١١٠.
(٨) ابن أبي حاتم كما في الدر.

وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾(١).

رغم أن النبي ﷺ كان ذا خلق عظيم وكان خلقه القرآن، جاءت هذه الآيات لترشده إلى منهج الزهد، ليكون نبراسا لأمته تهتدي في ضوئه. وتحتوي هذه المنهجية الربّانية على أمور عديدة:

فأولا: واظب على تلاوة كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار.

ثانيا: ﴿ٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾، وحاصله؛ أن ترافق -أيها النبي ﷺ- تلك الفئة الناجية من المؤمنين الذين وقفوا أنفسهم على طاعة الله عز وجل، ولا تفارقهم أبدا ولا تجالس المترفين وعبيد الدنيا إلا بقدر ما تقتضيه الدعوة، ولا تغتر بما أوتوا من نعيم الدنيا وزينتها. فلا يأخذن ذلك في عينيك مكاناً.

ثالثا: بعد هذه الرحلة التربوية يشير الحق سبحانه وتعالى إلى عذاب من ركن إلى الدنيا وانتكس، وثواب فقراء المؤمنين الذين آثروا الآخرة يرجون رحمة ربهم، قائلاً ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا﴾(٢)، وبعد ذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾(٣).

رابعا: تحكي الآيات قصة ذلكم الكافر المترف ومثال المؤمن الفقير: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ...﴾(٤).

خامسا: يشبه نعيم الدنيا وزخرفها بنبات الأرض الذي سرعان ما ينقلب هشيما تذروه الرياح، وهذا مآل المال والبنين وزينة الدنيا، ولن يبقى مع الإنسان إلا الباقيات الصالحات من ذكر الله تعالى والطاعات والعبادات التي ترافق الإنسان في آخرته، فهي خير عند ربك ثوابا وخير أملاً.

هذه السورة مكية، فإذن من وصفهم الله تعالى بدوام الذكر، ليلاً ونهاراً، ووعدهم النعيم المقيم وجنان الخلد؟ وأمر رسوله بدوام مجالستهم؟ ما هم إلا المهاجرون الأولون الذين كانت

---

(١) سورة الكهف: ٢٨- ٢٩.
(٢) سورة الكهف : ٢٩.
(٣) سورة الكهف: ٣٠.
(٤) سورة الكهف: ٣٢.

كثرة الذكر من سماتهم البارزة، فمنهم من كانوا فقراء من البداية ومنهم من أنفق أمواله على فقراء المسلمين ابتغاء وجه الله تعالى حتى انتهت أمواله فأصبح في عداد الفقراء، وهذا من أعظم المدح وأحسن الثناء وأجمل الشرف لهم. وهو مرادنا هنا.

(١) عن زيد بن وهب أن عمر قرأ في الفجر بالكهف، وعن صفية بنت أبي عبيد[١] نحو ذلك[٢].

(٢) وعن عثمان بن عفان أنه سئل: ما الباقيات الصالحات؟ قال: هن؛ لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله[٣].

(٣) وعن عمر بن الخطاب أنه سمع رجلا ينادي: يا ذا القرنين، فقال له عمر: ها أنتم قد سميتم بأسماء الأنبياء؟! فما بالكم وأسماء الملائكة[٤].

(٤) وروي عن خالد بن معدان مرسلا عن النبي ﷺ أنه سئل عن ذي القرنين فقال: ملك يمسح الأرض من تحتها بالأسباب[٥].

(٥) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ: من قرأ في ليلة ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ...﴾[٦] الآية، كان له نور من عدن أبين[٧] إلى مكة حشوه الملائكة[٨].

آيات سورة مريم

(١٦٥) بشارة المؤمنين المتقين الأولين بالجنة

قال الله تعالى ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّـٰتِ

---

(١) ابن سعد كما في الدر.

(٢) ابن أبي شيبة ١/٣٥٣ كما في الدر ٤/٢١٠ ورجاله ثقات.

(٣) أحمد ١/٧١ وابن جرير ١٥/٢٥٤ وابن المنذر كما في الدر ٤/٢٢٥. وهذه إشارة إلى الآية رقم ٤٦ من سورة الكهف ﴿... وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ...﴾.

(٤) ابن عبد الحكم وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد وأبوالشيخ كما في الدر ٤/٢٤١. وهذه إشارة إلى الآية رقم ٨٣ من سورة الكهف ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ...﴾.

(٥) ابن عبدالحكم في فتوح مصر وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة كما في الدر ٤/٢٤١.

(٦) سورة الكهف : ١١٠.

(٧) اسم مدينة باليمن. أبين (على وزن أبيض) اسم رجل من حمير، عدن بها أي: أقام بها.

(٨) ابن راهويه والبزار وابن مردويه والحاكم ٢/٣٧١ وقال: صحيح الإسناد لكن قال الذهبي: أبوقرة فيه جهالة و لم يضعف. والشيرازي في الألقاب كما في الدر ٤/٢٥٨.

عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[1].

تصور هذه الآيات مكانة الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم وعظيم أجرهم عند الله سبحانه وتعالى، فهم الذين أنعم عليهم، وكانوا إذا تليت عليهم آياته يخرون سجدا وبكيا، إلا أنه خلفهم من بعدهم خلف أضاعوا حقوق الصلاة و لم يؤدوها كما يجب بل اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا. إلا من تاب منهم ورجع عن معاصيه وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً. فما هي تلك الجنان؟

هي جنات الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب وإن وعده قريب وآت، وسوف يسمعون فيها السلام والتحيات ولا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً، هذه هي الجنة التي نورثها عبادنا المتقين.

الحاصل أنه بعدما انتهى عصر الأنبياء والرسل خلفهم من أممهم جماعات تركوا سيرهم وأهملوا أحكام شريعتهم فضلوا وأضلوا. وهذه إشارة إلى اليهود والنصارى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وحرفوا وغيروا واكتفوا بظواهر اليهودية والنصرانية وزعموا أهم على سنن الأنبياء وسوف يحشرون معهم. وليس الأمر كما يظنون فسترى هذه الفئة ما أعده الله لهم من العقاب الأليم والعذاب الشديد.

ثم تتضمن إشارة إلى المؤمنين الأولين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يتصفون بهذه الصفات النبيلة فهم سوف يجزون أحسن ما يعملون. فنـــزلت سورة مريم لإرشادهم ولتثبيتهم على دين الإسلام، ولم تنـــزل لملء الفراغ أو الأوهام!

إذاً هذه الصفات الكريمة ليست إلا صفاتهم، وهم الذين ظفروا بهذه الوعود الجميلة وتشرفوا بهذه المكانة العالية عند الواحد الديان. وهذا هو المراد.

(١٦٦) كانت السوابق الإسلامية مدار التفاضل عند الصحابة.

قال الله تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟

---

(١) سورة مريم: ٥٨- ٦٣.

هُدًى ۗ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾[١].

تذكر هذه الآيات شبهة من شبهات الكافرين، وهي محل ريبة لدى الجهلة في كل زمان ومكان. فهم عند سماعهم للآيات البينات، بناء على قصر رؤيتهم وسذاجة عقولهم يستهزؤون بالمؤمنين الفقراء ويقولون: أي الفريقين منا خير مقاماً وأحسن نديا؟ وذلك ناتج من عقولهم القاصرة التي ترى الفضل بالجاه والمقام والأحساب والأنساب وكثرة الأعوان والأنصار، فيزعمون أن حسنات الدنيا والثواب الأخروي من حقوقهم الثابتة التي لا يشاركهم فيها أحد!

فالآيات الكريمة تستخف بعقولهم وتسفه رأيهم وتحكي لهم حكاية الماضين حيث كانوا أكثر منهم متاعا وقوة إلا أن الهلاك دمّر بنياهم وشتت شملهم.

ثم تشير إلى السنة الإلهية التي تمد الضالين مدا حتى يخوضوا غمار المعاصي والضلالة إلى أن يأتيهم العذاب الذي كانوا يوعدون بغتة ويعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا. أما الذين اهتدوا واتبعوا سبيل المؤمنين فيزيدهم الله هداية ورشادا، ﴿وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ فتبين أن ملاك الأمر عند الله ليس في تفاضل الأحساب والأنساب ولا في كثرة الأنصار والأعوان بل إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

مما لا شك فيه أن نبذ التفاضل بالأنساب والأحساب واعتباره بالسوابق الإسلامية كان أساس تفاضل الصحابة فيما بينهم.

(١٦٧) عناية الشيخين أبي بكر وعمر بتفسير الآية

(١) عن الشعبي قال: كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسلي أتتني من قبلك فزعمت أن فيكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير تخرج مثل آذان الحمير ثم تشقق عن مثل اللؤلؤ الأبيض ثم تصير مثل الزمرد الأخضر ثم تصير مثل الياقوت الأحمر ثم تينع وتنضج فتكون كأطيب فالوذج أكل ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة، فكتب إليه عمر: إن رسلك قد صدقتك، هذه الشجرة عندنا هي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست[٢] بعيسى[٣].

(٢) وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ مريم فسجد[٤] ثم قال: هذا السجود فأين البكاء؟![٥]

---

(١) سورة مريم: ٧٣- ٧٦.

(٢) حملت. يقصد النخلة التي ورد ذكرها في الآية رقم ٢٥ من سورة مريم ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ...﴾.

(٣) ابن عساكر كما في الدر ٤/٢٦٩.

(٤) أي كما ذكر في قوله تعالى ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ الآية رقم ٥٨ من سورة مريم.

(٥) ابن جرير ١٦/٩٨ وابن أبي الدنيا في البكاء وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب كما في الدر ٤/٢٧٧.

(٣) وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: اغتسلت أنا وآخر، فرآنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأحدنا ينظر إلى صاحبه فقال: إني أخشى أن تكونا من الخلف الذين قال الله ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾[(١)(٢)].

(٤) عن أبي بكر الصديق قال قال رسول الله ﷺ: من قال في دبر الصلاة بعدما سلم هؤلاء الكلمات كتبه ملك في رق فختم بخاتم ثم رفعه إلى يوم القيامة فإذا بعث الله العبد من قبره جاءه الملك ومعه الكتاب ينادي أين أهل العهود حتى يدفع إليهم، والكلمات أن يقول: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم إنـي أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك فلا تكلني إلى نفسي. فإنك إن تكلني إلى نفسي تقرّبني من الشر وتباعدني من الخير وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل رحمتك عهدا لي عندك تؤديه إلي يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد[(٣)].

آيات سورة طه

(١٦٨) أدرك الشيخان شرف وزارة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرًا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[(٤)].

لما أرسل الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام إلى فرعون، سأله موسى زادا لا يمكن حمل الرسالة وأداء مسؤوليتها من غير اقتنائه ولنستمع إلى تفصيله.

من الأسئلة سؤال يتعلق بشخصية موسى نفسه، ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ...﴾ وهـذه من مستلزمات حمل الرسالة، لأنه إن لم يوهب شرح الصدر لا يقدر على الرد السليم والجواب المسكت، وإذا لم يتيسر له الأمر من عند الله عز وجل و لم تسانده القوة الربانية الغيبية لا يستطيع أن يواجه أعداء الله من ملوك الأرض وسلاطينها ويغلبهم، وإذا لم يؤت حسن البيان وبلاغة اللسان فلن يقدر على تبليغ رسالته بأحسن وجه وأكمل صورة.

وفي طلب آخر يسأل موسى ربه وزيرا يعينه على حمل أعباء الرسالة ومشقة الطريق وقد

وإسناد ابن جرير منقطع لأن إبراهيم لم يسمع من عمر.

(١) سورة مريم: ٥٩.

(٢) البيهقي في الشعب كما في الدر ٤/٢٧٧.

(٣) الحكيم الترمذي كما في الدر ٤/٢٨٦.

(٤) سورة طه: ٢٥- ٣٥.

سماه وزيراً، و﴿رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓ﴾[(١)]، وقد وضع له صفات ثلاثة.

الصفة الأولى: أن يكون ﴿مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي﴾ وهذا تصوير للحال وليس شرطا عاما في الوزير، فإنه لم يكن -في واقع الأمر- هناك من يقدر على القيام بهذا الواجب إلا هارون، وما أدل على نقض القرابة في مثل هذا الأمر وعدم اعتبارها من اختيار موسى يوشع خليفة له! والخلافة أولى وأفضل من الوزارة، وإنما تقتضي الوزارة رجلا قويا حليما ذا عزيمة صادقة، وصاحب كلمة في الناس، والخلافة تتطلب أكثر من هذا كأن يشترك الخليفة في الجد الأعلى مع النبي لئلا يحقره الناس بطعنهم في نسبه، ولهذا لم يرسل الله عز وجل في بني إسرائيل رسولاً إلا منهم، سواء من أبناء موسى أو غيره، وقد قرر المصطفى عليه الصلاة والسلام هذا الأمر في خلفائه من بعده بقوله "الأئمة في قريش" على غرار سنة الله عز وجل في أنبياء بني إسرائيل.

والصفة الثانية: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ وهي من مسئوليات الوزارة ووظائفها بأن يقوم بمستلزمات الرسالة، كمخاصمة الأعداء وإعداد الجيوش وتجهيزها للجهاد في سبيل الله وفتح البلاد وجمع القرآن، وهذا المعنى قد صورته عبارة ﴿رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓ﴾[(٢)] في مقام آخر.

والصفة الثالثة: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا﴾، ومن فوائد اتخاذ الوزير تقسيم أعباء المسئولية على الاثنين، حتى يقدر كل منهما على أداء ما كتب له من الذكر والتسبيح من أنواع العبادة.

بعد ما اتضحت لنا حقيقة الوزارة نعرف أن الشيخين قد أدركا شرف وزارة خير البرية صلى الله عليه وسلم وذلك ما نقرأه كذلك من خلال أحاديثه التي منها: "أما وزيراي من أهل الأرض فأبوبكر وعمر"[(٣)]. وفي حديث آخر "الحمد لله الذي أيدني بهما"[(٤)] وقد ثبت تحقق معاني الوزارة فيهما بأحاديث متواترة، وناهيك بها شرفا.

(١٦٩) **كيف أسلم عمر بن الخطاب** رضي الله عنه؟

(١) عن أنس قال: خرج عمر متقلدا بالسيف فلقيه رجل من بني زهرة فقال له: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمدا. قال: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة؟ فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك؟ قال: أفلا أدلك على العجب، إن أختك وختنك قد

---

(١) سورة القصص: ٣٤.
(٢) سورة القصص: ٣٤.
(٣) راجع ص ٦٤.
(٤) راجع ص ٢١٧.

صبوا وتركا دينك. فمشى عمر ذامرا[١] حتى أتاهما وعندهما خباب، فلما سمع خباب بحس عمر توارى في البيت، فدخل عليهما، فقال: ما هذه الهنيمة التي سمعتها عندكم؟ — وكانوا يقرأون "طه"— فقالوا: ما عدا حديثا تحدثنا به، قال: فلعلكما قد صبوتما؟ فقال له ختنه: يا عمر، إن كان الحق في غير دينك، فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديدا، فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمّى وجهها، فقال عمر: اعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه، فقالت أختـه: إنك رجس وإنه لا يمسه إلا المطهرون، فقم فتوضأ. فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ ﴿طه﴾ حتى انتهى إلى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[٢]، فقال عمر: دلوني على محمد. فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس؛ "اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام". فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم[٣].

(١٧٠) عناية عمر بتفسير الآية

(٢) وعن ابن عباس أنه قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين مم يذكر الرجل ومم ينسى؟ فقال: إن على القلب طخاءة كطخاءة[٤] القمر فإذا تغشت القلب نسي ابن آدم ما كان يذكر، فإذا انجلت ذكر ما نسي[٥].

آيات سورة الأنبياء

(١٧١) بشارة بفتوح الأمصار على يد الخلفاء في المستقبل

قال الله تعالى ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[٦].

---

(١) غضبان متهددا، ثائرا.

(٢) سورة طه: ١٤.

(٣) ابن سعد ٣/٢٦٧ وأبويعلى في الكبير والحاكم والبيهقي في الدلائل ٢/٢١٥ كما في الدر ٤/٢٩٣ وذكره الهيثمي في المجمع ٩/٦٢ والحافظ في المطالب ٤/١٩٣. وقال الذهبي: هي منكرة جدا كما في الميزان ٣/٣٧٥.

(٤) الطخاءة: الظلمة والمراد هنا ما يغشى القمر من غيم يغطي نوره.

(٥) الحكيم الترمذي كما في الدر ٤/٣٠٩. وهذه إشارة إلى تفسير الآية رقم ١٢٦ من سورة طه ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾.

(٦) سورة الأنبياء: ١٠٥.

يرى بعض المفسرين أن المراد في هذه الآية هي أرض الجنة، لكن لم ترد في الكتاب ولا في السنة النبوية كلمة "الأرض" ويراد بها أرض الجنة، وإنما الصحيح أن الأراضي التي وردت في كل النصوص أريد بها تلك الأراضي المعتدلة الصالحة للنشأة والزراعة لأناس مستقيمي الأخلاق والأعمال أو أرض الشام فحسب، وذلك لأنها كانت مهبط أنبياء بني إسرائيل ومأواهم وقد وقعت أيامهم وأحداثهم عليها، وهذا مثل كلمة "المال" التي يريد منها التاجر أمواله ويقصد بها الراعي أغنامه ويعني بها الزارع زراعته، وتؤيد نصوص عديدة ما قلناه.

(١) فعن ابن عباس في قصة بخت نصر قال: إنه رأى رؤيا قد أفظعته فأصبح قد نسيها قال: عليَّ السحرةَ والكهنةَ. قال: أخبروني عن رؤيا رأيتها الليلة، والله لتخبرني بها أو لأقتلنكم. قالوا: ما هي؟ قال: قد نسيتها. قالوا: ما عندنا من هذا علم إلا أن ترسل إلى أبناء الأنبياء. فأرسل إلى أبناء الأنبياء، قال: أخبروني عن رؤيا رأيتها قالوا: وما هي؟ قال: نسيتها، قالوا: غيب ولا يعلم الغيب إلّا الله. قال: والله لتخبرنّي بها أو لأضربَنَّ أعناقكم، قالوا: فدعنا حتى نتوضأ ونصلي وندعو الله، قال: فافعلوا، فانطلقوا فأحسنوا الوضوء وأتوا صعيدا طيبا فدعوا الله فأخبروا بها، ثم رجعوا فقالوا: رأيت كأن رأسك من ذهب وصدرك من فخار ووسطك من نحاس ورجليك من حديد، قال: نعم، أخبروني بعبارتها أو لأقتلنكم. قالوا: فدعنا ندعو ربنا، قال: إذهبوا. فدعوا ربهم فاستجاب لهم. فرجعوا إليه، قالوا: رأيت كأن رأسك من ذهب؛ ملكك هذا يذهب عند رأس الحول من هذه الليلة، قال: ثم مه؟ قالوا: ثم يكون بعدك ملك يفخر على الناس، ثم يكون ملك يُخشى على الناس شدته ثم يكون ملك لا يُقلّه شيء إنما هو مثل الحديد، أي الإسلام[1].

ففي هذه الحالة نرى أن هذه البشارة تصدق على الشيخين اللذين تحقق فتح الشام بسياستهما ووقعت تلك البلاد تحت إدارتهما، وهما متصفان بالصلاح المذكور في ﴿عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، وإنجاز وعد الأنبياء على يد الخليفة دلالة واضحة وخصلة جلية من خصال الخليفة الخاص.

(١٧٢) أبوبكر الصديق أرشد الأمة عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) عن ابن عمر قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبوبكر في ناحية المدينة فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فوضع فاه على جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله ويبكي ويقول: بأبي وأمي طبت حيا وطبت ميتا.

(١) ابن أبي حاتم كما في الدر ٤/١٦٣، ١٦٤.

فلما خرج مر بعمر بن الخطاب وهو يقول: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين وحتى يخزي الله المنافقين. قال: وكانوا قد استبشروا بموت النبي صلى الله عليه وسلم فرفعوا رؤوسهم، فقال: أيها الرجل، إربع على نفسك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات. ألم تسمع الله يقول ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]، وقال ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾[2]، وقال: ثم أتى المنبر فصعده فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يأيها الناس إن كان محمد صلى الله عليه وسلم إلهكم الذي تعبدون فإن محمدا قد مات، وإن كان إلهكم الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت، ثم تلا ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ...﴾[3] حتى ختم الآية ثم نــزل وقد استبشر المسلمون بذلك واشتد فرحهم وأخذت المنافقين الكآبة. قال عبد الله بن عمر: فوالذي نفسي بيده لكأنما كانت على وجوههم أغطية فكشفت[4].

(١٧٣) نــزول الآية في عثمان وأصحابه

(٣) عن محمد بن حاطب قال: سئل علي عن هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾[5] الآية. قال: هو عثمان وأصحابه[6].

آيات سورة الحج

(١٧٤) بشارة بتمكين الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده

قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝٣٨ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[7].

---

(١) سورة الزمر: ٣٠.
(٢) سورة الأنبياء: ٣٤.
(٣) سورة آل عمران: ١٤٤
(٤) ابن أبي شيبة ١٤/٥٥٢ ورجاله ثقات.
(٥) سورة الأنبياء: ١٠١
(٦) ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير ١٧/٩٦ كما في الدر ٤/٣٣٩.
(٧) سورة الحج: ٣٨- ٤١.

هذه الآيات من أوضح الأدلة على خلافة الخلفاء لأن الله قد مكنهم في الأرض، وهذا ما تشهد به الأعداء قبل الأصدقاء ولا يختلف فيه اثنان، وكانوا بلاشك من المهاجرين وقد تحقق منهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أجمل هيئة وأفضل وجه. وهذا معنى الخلافة الخاصة وقد فصلنا الكلام في تفسيرها في الباب الثالث، فراجعها هناك[١].

(١٧٥) بشارة المؤمنين المهاجرين الأولين بفوزهم في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[٢].

في هذه الآيات إشارة إلى الفريقين اللذين انفصلا بعدما جاءهم الإنذار الرباني، وهذه الآيات مكية، إذاً فالمراد بالفريق الأول -أي المؤمنين- هم السلف الصالح من المهاجرين الأولين الذين تسابقوا للإيمان، فتدبر.

(١٧٦) بشارة المؤمنين المهاجرين الأولين بالفوز في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٣].

المعنى أن الكفار والمشركين قد آذوا المهاجرين الأولين إيذاء شديدا، فإذا انتقم المهاجرون منهم فذلك عين العدل والقسط ولا غبار عليه، وإذا اجتمع الكفار مرة أخرى وتكالبوا عليهم فسوف ينصر الله عباده المهاجرين، فالآية صورة أخرى من نفس المعنى الوارد في الآية السابقة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ ...﴾[٤] وتأتي بعد ذلك آيات تشهد بعظيم قدرة الله عز وجل وسيطرته على الآفاق والأنفس مشيرة إلى تلك القوة التي وعد المهاجرين أن ينصرهم بها!

فهذه الآيات تنص مرة أخرى على بشارة المهاجرين بجنان الخلد في الآخرة وبنصر الله في

---

(١) راجع ص ٨٠-٨٤.
(٢) سورة الحج: ٤٩- ٥١.
(٣) سورة الحج: ٥٦- ٦٠.
(٤) سورة الحج: ٣٩.

هذه الدنيا، وهذا هو المراد.

(١) وعن عمر أنه كان يسجد سجدتين في الحج وقال: إن هذه السورة فضلت على سائر القرآن بسجدتين[١].

(٢) عن أبي بكر الصديق قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا صلى الصبح: مرحبا بالنهار الجديد والكاتب والشهيد أكتبا بسم الله الرحمن الرحيم، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الدين كما وُصف والكتاب كما أُنزل وأشهد ﴿أَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[٢]،[٣].

(٣) عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة[٤].

(٤) عن ابن عمر أن عمر نهى أن تغلق أبواب دور مكة فإن الناس كانوا ينزلون منها حيث وجدوا حتى كانوا يضربون فساطيطهم في الدور[٥].

(٥) وعن عمر بن الخطاب أن رجلا قال له عند المروة: يا أمير المؤمنين أقطعني مكانا لي ولعقبي، فأعرض عنه عمر وقال: هو حرم الله ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾[٦]،[٧].

(٦) وعن عمر بن الخطاب قال: إحتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم[٨].

(١٧٧) تكريم عمر لشاب أحسن الجواب

(٧) عن عبيد بن عمير قال: لقي عمر بن الخطاب ركبا يريدون البيت فقال: من أنتم؟ فأجابه أحدثهم سنا فقال: عباد الله المسلمون. قال: من أين جئتم؟ قال: من الفج العميق، قال: أين تريدون؟ قال: البيت العتيق، فقال عمر: تأولها لعمر والله[٩]، فقال عمر: من أميركم؟ فأشار

---

(١) سعيد بن منصور وابن أبي شيبة ٢/١١ والإسماعيلي وابن مردويه والبيهقي ٢/٣١٧ كما في الدر ٤/٣٤٢ وقال البيهقي: صحيح.
(٢) سورة الحج: ٧.
(٣) الخطيب وابن عساكر كما في الدر ٤/٣٤٦.
(٤) البخاري (٥٨٣٤) كتاب اللباس باب لبس الحرير ومسلم (٥٤٠٩) كتاب اللباس باب تحريم لبس الحرير وغير ذلك للرجال.
(٥) عبد بن حميد كما في الدر ٤/٣٥١.
(٦) سورة الحج: ٢٥. العاكف أي المقيم والباد: المسافر من الأعراب وغيرهم.
(٧) ابن سعد كما في الدر أيضا.
(٨) سعيد بن منصور والبخاري في تاريخه وابن المنذر كما في الدر ٤/٣٥٢.
(٩) أي تأول الآيتين ٢٧ و ٢٩ من سورة الحج.

إلى شيخ منهم، فقال عمر: بل أنت أميرهم، لأحدثهم سنا الذي أجابه[١].

(١٧٨) اتباع عمر للأسوة الحسنة

(٨) وعن ابن عباس قال: رأيت عمر بن الخطاب قبَّل الحجر وسجد عليه ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا[٢].

(١٧٩) وعد الله بنصر رسوله وأصحابه

(٩) عن محمد بن سيرين قال: أشرف عليهم عثمان من القصر فقال: ائتوني برجل تالي كتاب الله، فأتوه بصعصعة بن صوحان فتكلم بكلام، فقال ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٣]. فقال له عثمان: كذبت، ليست لك ولا لأصحابك ولكنها لي ولأصحابي[٤].

(١٠) عن ابن عباس ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم﴾[٥] أي من مكة إلى المدينة ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه[٦].

(١١) وعن عثمان بن عفان قال: فينا نـزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾ بعدما أخرجنا من ديارنا بغير حق ثم مكنا في الأرض فأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر فهي لي ولأصحابي[٧].

(١٢) وعن ثابت بن عرفجة الحضرمي قال: حدثني سبعة وعشرون من أصحاب علي وعبد الله منهم لاحق بن الأقمر والعيزار بن جرول وعطية القرظي أن عليا قال: إنما أنـزلت هذه الآية في أصحاب محمد ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ...﴾، قال: لو لا دفع الله بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعين لهدمت صوامع[٨].

---

(١) عبد الرزاق كما في الدر ٤/٣٥٦.
(٢) الحاكم ١/٤٥٥ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
(٣) سورة الحج: ٣٩.
(٤) ابن أبي شيـبة ١٤/ ٥٩٤، ١٥/ ٢٠٣ ورجاله ثقات.
(٥) سورة الحج: ٤٠.
(٦) ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور ٤/ ٣٦٤.
(٧) عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في الدر.
(٨) ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر.

(١٨٠) اختار الله رسوله صلى الله عليه وسلم واختار أصحابه وخلفاءه.

(١٣) عن ابن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة فجعل يقول: أين فلان؟ أين فلان؟ فلم يزل يتفقدهم وينصت إليهم حتى اجتمعوا عنده. فقال: إني محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم: إن الله اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا هذه الآية ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[١] خلقا يدخلهم الجنة وإني مصطف منكم من أُحب أن أصطفيه ومؤاخ بينكم كما آخى الله بين الملائكة، قم يأبابكر، فقام فجثى بين يديه، فقال: إن لك عندي يدا، إن الله يجزيك بها فلو كنت متخذا خليلا لاتخذتك خليلا وأنت مني بمنــزلة قميصي من جسدي وحرك قميصه بيده. ثم قال: ادن يا عمر، فدنا فقال: قد كنت شديد الشغب علينا أبا حفص فدعوت الله أن يعز الدين بك أو بأبي جهل. ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما إليّ فأنت معي في الجنة ثالث ثلاثة من هذه الأمة.

ثم تنحى وآخا بينه وبين أبي بكر ثم دعا عثمان بن عفان فقال: ادن يا عثمان، ادن يا عثمان، فلم يزل يدنو منه حتى ألصق ركبته بركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نظر إليه ثم نظر إلى السماء فقال: سبحان الله العظيم، ثلاث مرار، ثم نظر إلى عثمان فإذا إزاره محلولة فزرّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم قال: إجمع عطفى ردائك على نحرك فإن لك شأنا في أهل السماء، أنت ممن يرد علي الحوض وأدواجه تشخب دما[٢]، فأقول لك: من فعل هذا بك؟ فتقول: فلان وفلان وذلك كلام جبريل وذلك إذ هُتف من السماء: ألا إن عثمان أمير على كل خاذل. ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ثم قال: ادن يا أمين الله والأمين في السماء يسلط الله على مالك بالحق، أما إن لك عندي دعوة وقد أخرتها، قال: خرها لي يا رسول الله، قال: حملتني يا عبد الرحمن أمانة أكثر الله مالك، وجعل يحرك يده ثم تنحى وآخى بينه وبين عثمان. ثم دخل طلحة والزبير فقال: ادنوا مني، فدنوا منه، فقال: أنتما حواري كحواري عيسى بن مريم ثم آخى بينهما. ثم دعا سعد بن أبي وقاص وعمار بن ياسر فقال: يا عمار تقتلك الفئة الباغية! ثم آخى بينهما. ثم دعا أباالدرداء وسلمان الفارسي فقال: يا سلمان، أنت منا أهل البيت وقد أتاك الله العلم الأول والعلم الآخر والكتاب الأول والكتاب الآخر، ثم قال: ألا أرشدك يا أبا الدرداء؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: إن تَنقدهم ينقدوك وإن تتركهم لا يتركوك، وإن تهرب منهم يدركوك، فأقرضهم عرضك ليوم فقرك، فآخى بينهما. ثم نظر في وجوه أصحابه فقال: أبشروا وقروا عينا فأنتم أول من يرد علي الحوض وأنتم في أعلى الغرف، ثم نظر إلى عبد الله بن عمر

---

(١) سورة الحج: ٧٥.

(٢) أدواج جمع دَوَج –بالحركة–؛ وهي ما أحاط العنق من العروق يقطعها الذابح. وتشخب أي تسيل.

فقال: الحمد لله الذي يهدي من الضلالة. فقال علي: يا رسول الله ذهب روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت ما فعلت بأصحابك غيري. فإن كان من سخط علي فلك العتبى والكرامة. فقال: والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي فأنت عندي بمنزلة هارون من موسى ووارثي. فقال: يا رسول الله ما أرث منك؟ قال: ما أورثت الأنبياء. قال: وما أورثت الأنبياء قبلك؟ قال: كتاب الله وسنة نبيهم، وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة بنتي وأنت أخي ورفيقي، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[١]، الأخلاء في الله ينظر بعضهم إلى بعض[٢].

(١٨١) عناية عمر بتفسير الآية

(١٤) عن عبد الرحمن بن عوف قال قال لي عمر: أ لسنا كنا نقرأ فيما نقرأ ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[٣]، في آخر الزمان كما جاهدتم في أوله، قلت: بلى، فمتى هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: إذا كانت بنو أمية الأمراء وبنو المغيرة الوزراء[٤].

(١٥) وعن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال: قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٥] ثم قال: ادعوا لي رجلا من بني مدلج. قال: ما الحرج فيكم؟ قال: الضيق[٦].

آيات سورة المؤمنون

(١٨٢) تعريض للمهاجرين الأولين باتصافهم بصفات الإيمان الجليلة

قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ

---

(١) سورة الحجر: ٤٧.

(٢) الطبراني ٥/ ٢١٥، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٢١٣، ٢١٤. والبخاري في التاريخ الكبير ٣/ ٣٨٦ والصغير ١/ ٢٥ وأبونعيم في المعرفة رقم ٣٠٢٠ والبزار كما في الكشف ٣/ ٢١٥ وعبدالله في زوائد الفضائل ٢/ ٦٣٨ وقال الشيخ الألباني: منكر جدا بل موضوع ظاهر الوضع، راجع الضعيفة رقم ١٣٦٨، ٢٦٥٧، ٤٩٣٥.

(٣) سورة الحج: ٧٨.

(٤) ابن مردويه كما في الدر ٤/٣٧١.

(٥) سورة الحج: ٧٨.

(٦) البيهقي في السنن كما في الدر ٤/٣٧٢.

هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[1].

وقال تعالى ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾[2].

سورة "المؤمنون" مكية وقد وصفت المؤمنين بصفات جليلة كانت هي السمات البارزة للمهاجرين الأولين وقد أبرزتها السورة ووصفتهم بالصلاح ووعدتهم جنات النعيم، فهم يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون.

وهذا تعريض صريح بمناقب تلك الفئة المختارة التي كان الخلفاء منها، وهذا هو المراد.

(١) أخرج الترمذي[3] عن عمر بن الخطاب قال: كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل، فأنزل عليه يوما فمكثنا ساعة فسرّي عنه، فاستقبل القبلة فرفع يديه فقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا. ثم قال: لقد أُنزلت عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ...﴾ حتى ختم العشر.

(٢) عن أبي بكر الصديق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعوذوا بالله من خشوع النفاق. قالوا يا رسول الله، وما خشوع النفاق؟ قال: خشوع البدن ونفاق القلب[4].

(٣) وعن مجاهد عن عبد الله بن الزبير أنه كان يقوم في الصلاة كأنه عود، وكان أبوبكر يفعل ذلك، وقال مجاهد: هو الخشوع في الصلاة[5].

---

(١) سورة المؤمنون: ١- ١١.

(٢) سورة المؤمنون: ٥٥- ٦١.

(٣) الترمذي (٣١٧٣) وأحمد ٣٤/١ والنسائي في الكبرى والحاكم ٣٩٢/٢، ٥٣٥ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي: سئل عبدالرزاق عن شيخه ذا (يونس بن سليم) فقال: أظنه لا شيء. والعقيلي في ترجمته ٤٦٠/٤ وعبدالرزاق وعبد بن حميد والضياء في المختارة كما في الدر ٢/٥ وقال النسائي: هذا حديث منكر كما في الميزان ٤٨١/٤ وقال الحافظ في التقريب ص ٥٦٩: يونس بن سليم مجهول. وقد ذكره ابن حبان في الثقات ومال أحمد شاكر في تعليق المسند ٢٥٥/١ إلى تصحيحه.

(٤) الحكيم الترمذي والبيهقي في الشعب كما في الدر ٣/٥.

(٥) أحمد في الزهد وابن أبي شيبة وابن سعد كما في الدر. قلت: هو عند ابن أبي شيبة ٣٨٨/١٣ والبيهقي ٢٨٠/٢ وأبو نعيم في الحلية ٣٣٥/١ عن مجاهد قال: كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه وتد. وذكره بعضهم بتمامه.

(٤) وعن أسماء بنت أبي بكر عن أم رومان والدة عائشة، قالت: رآني أبوبكر الصديق أتميل في صلاتي فزجرني زجرة كدت أنصرف من صلاتي، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا قام أحدكم في الصلاة فليسكن أطرافه لا يتميل تميل اليهود، فإن سكون الأطراف في الصلاة من تمام الصلاة[١].

(٥) عن قتادة قال: تسرَّت امرأة غلاما لها فذُكرت لعمر فسألها ما حملك على هذا؟ فقالت: كنت أرى أنه يحل لي ما يحل للرجل من ملك اليمين. فاستشار عمر فيها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: تأوَّلتْ كتاب الله على غير تأويله، فقال عمر: لا جرم والله لا أُحلّكِ لحر بعده أبدا. كأنه عاقبها بذلك، ودرأ الحد عنها وأمر العبد أن لا يقربها[٢].

(١٨٣) نـزلت خاتمة الآية موافقة لعمر رضي الله عنه.

(٦) وعن صالح أبي الخليل قال: لما نـزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ... إلى قوله ... ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾[٣]، قال عمر: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾. قال: والذي نفسي بيده إنها ختمت بالذي تكلمت به يا عمر[٤].

(١٨٤) عناية الشيخين أبي بكر وعمر بتفسير الآيات

(٧) وعن الحسن أن عمر بن الخطاب أُتي بفروة كسرى بن هرمز فوضعت بين يديه وفي القوم سراقة بن مالك، فأخذهما فجعلهما في يديه فبلغتا منكبيه، فقال: الحمد لله، سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج، ثم قال: اللهم إني قد علمت أن رسولك قد كان حريصا على أن يصيب مالا ينفقه في سبيلك وعلى عبادك فزويت عنه ذلك، اللهم إني أعوذ بك أن يكون هذا مكراً منك بعمر ثم تلا ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[٥]، [٦].

(٨) وعن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل سبب

---

(١) الحكيم الترمذي كما في الدر ٣/٥.
(٢) عبدالرزاق كما في الدر ٥/٥.
(٣) سورة المؤمنون: ١٢- ١٤.
(٤) ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٦/٥ وله شاهد من حديث أنس عند ابن أبي حاتم والطيالسي وغيرهما من حديث ابن عباس أيضا.
(٥) سورة المؤمنون: ٥٥، ٥٦.
(٦) عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي كما في الدر ١١/٥، والحسن لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي"[١]، [٢].

(٩) وعن أبي بكر الصديق أنه قال: يا رسول الله علّمني دعاء أدعو به في صلواتي، قال قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم[٣].

آيات سورة النور

(١٨٥) **نـــزلت ١٦ آية في أم المؤمنين عائشة وأبيها أبي بكر الصديق** رضي الله عنهما.

قال الله تعالى في قصة براءة عائشة رضي الله عنها ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٤].

في كلمة ﴿**أولوا الفضل والسعة**﴾ تعريض ظاهر للصديق الأكبر رضي الله عنه وهذا ما يقره السياق والسباق وسبب نـــزول الآية، وكما يظهر فإنه يقصد بالفضل؛ الفضل في الدين، حتى لا يكون تكرار في المعنى، وهي خاص للمحسنين. فإذا أزعج إنسان أخاه الذي دائما يحسن إليه وينفق عليه وله يد وفضل عليه وأهانه، فله أن يقطع عنه إحسانه، وسوف لا يدخل بذلك في الـــمحذور بالاتفاق، فالمراد بالنهي هنا إشارة إلى مكانة المحسن وعظيم منـــزلته في الإحسان! و﴿مُبَرَّءُونَ﴾ تحتوي في طياتها تبرئة النبي صلى الله عليه وسلم وسيدنا أبي بكر وسيدتنا عائشة وصفوان بن معطل رضي الله عنهم أجمعين، فأما تبرئتها لعائشة وصفوان فهذا ظاهر لا خفاء فيه، وأما النبي صلى الله عليه وسلم وأبوبكر فمن جهة أنه لو صحت الفرية، كان العار والطعن

---

(١) الحاكم ١٤٢/٣ والبزار والطبراني والبيهقي ٦٤/٧ والضياء في المختارة كما في الدر ١٥/٥. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. لكن قال الذهبي: منقطع. وقال الهيثمي في المجمع ٢٧٢/٤ بعد عزوه للطبراني: رجاله رجال الصحيح. ورواه ابن السكن في صحيحه أيضا، راجع التلخيص ١٤٣/٣.

(٢) إشارة إلى تفسير الآية ١٠١ من سورة المؤمنون ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**﴾.

(٣) البخاري (٦٣٢٦) كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة ومسلم (٦٨٦٩) كتاب الذكر والدعاء باب الدعوات والتعوذ. وهذه إشارة إلى تفسير الآية ١١٨ من سورة المؤمنون ﴿**وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ** ...﴾.

(٤) سورة النور: ٢٢-٢٦.

يلاحقان -العياذ بالله- المصطفى عليه الصلاة والسلام لوحدة الفراش مع أم المؤمنين كما يلاحقان أبابكر من جهة الأبوة.

(١٨٦) بشارة بخلافة الخلفاء الراشدين

قال الله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[١].

هـذه الآية نص صريح على إثبات خلافة الخلفاء الراشدين، والتأويلات البعيدة التي ذكرها أهل الأهواء لا ترفعهم من وحل الافتراء ومن وادي العصيان كما بسطنا الكلام فيه في الباب الثالث[٢].

(١) عن حارثة بن مضرب قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب أن تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور[٣].

(٢) عن عمر عن النبـي صلى الله عليه وسلم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾[٤]. قال: توبتهم إكذابهم أنفسهم فإن كذّبوا أنفسهم قبلت شهادتهم[٥].

(٣) عن سعيد بن المسيب قال شهدت عمر بن الخطاب حين جلد قذفة المغيرة بن شعبة منهم أبوبكرة ونافع وشهل ثم دعا أبابكرة فقال: إن تكذب نفسك نجز شهادتك، فأبى أن يكذب نفسه ولـم يكن عمر يجيز شهادهما حتى هلكا، فذلك قوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾، وتوبتهم إكذابهم أنفسهم[٦].

(٤) وعن عمر بن الخطاب قال: لا يجتمع المتلاعنان أبداً[٧].

(١٨٧) قصة براءة عائشة رضي الله عنها

(٥) عن عائشة قالت: أنـزل الله عذري وكادت الأمة تهلك في سبـي، فلما سرّي

---

(١) سورة النور: ٥٥.
(٢) راجع ص ٧٦- ٨٠.
(٣) أبو عبيد في فضائله كما في الدر ١٨/٥.
(٤) سورة النور: ٥.
(٥) لم أجده عن عمر بل رواه ابن مردويه عن ابن عمر كما في الدر ٢٠/٥ والله أعلم.
(٦) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر ٢١/٥.
(٧) عبد الرزاق ١١٢/٧ كما في الدر ٢٤/٥ وابن أبي شيبة ٣٥١/٤ أيضا. وراجع ص ١٠٤١.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرج الملك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي: إذهب إلى ابنتك فأخبرها أن الله قد أنـــزل عذرها من السماء. قالت: فأتاني أبي وهو يعدو يكاد أن يعثر فقال: أبشري يا بُنيّة، بأبي وأمي فإن الله قد أنـــزل عذرك. قلت: بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك الذي أرسلك. ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناول ذراعي فقلت بيده هكذا، فأخذ أبوبكر النعل ليعلوني به، فمنعته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أقسمت لا تفعل[١].

(٦) وعن عائشة لما نـــزل عذرها قبل أبوبكر رأسها فقالت: ألا عذرتني؟ قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت مالا أعلم؟[٢].

(١٨٨) قصة مسطح الذي كان يتيما في حجر أبي بكر رضي الله عنه

(٧) عن قتادة في قوله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ الآية. قال: نـــزلت هذه الآية في رجل من قريش يقال له مسطح. كان بينه وبين أبي بكر قرابة وكان يتيماً في حجره وكان فيمن أذاع على عائشة ما أذاع، فلما أنـــزل الله براءهّا وعذرها تألّى أبوبكر لا يرزؤه خيراً[٣]، وأنـــزل الله هذه الآية، فذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا أبابكر فتلاها عليه فقال: أما تحب أن يغفر الله لك؟ قال: بلى. قال: فاعف عنه وتجاوز، فقال أبوبكر: لا جرم والله لا أمنعه معروفا كنت أُوَلّيه قبل اليوم[٤]. وقد روي ذلك عن جماعة منهم عائشة وابن عمر وابن عباس والحسن ومحمد بن سيرين وغيرهم[٥].

(١٨٩) عناية الشيخين أبي بكر وعمر بتفسير الآيات

(٨) عن أبي بكر الصديق قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، قال تعالى ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٦]،[٧].

(٩) وعن قتادة قال ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال: ما رأيت كرجل لم يلتمس الغناء

---

(١) الطبراني وابن مردويه كما في الدر ٣١/٥.
(٢) البزار بسند صحيح كما في الدر ٣١/٥ وقال الهيثمي في المجمع ٢٤٠/٩: رجاله رجال الصحيح.
(٣) تألّى: حلف. لا يرزؤه: لا يصيبه.
(٤) عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٣٤/٥.
(٥) راجع لتخريج أحاديثهم الدر ٢٩/٥، ٣٤، ٣٥.
(٦) سورة النور: ٣٢.
(٧) ابن أبي حاتم كما في الدر ٤٥/٥ وابن كثير ٢٨٦/٣.

في الباءة وقد وعد الله فيها ما وعد، فقال ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[١]،[٢].

(١٠) عن عمر بن الخطاب قال: ابتغوا الغناء في الباءة – وفي لفظ اطلبوا الفضل في الباءة – وتلا ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٣].

(١١) عن أنس بن مالك قال: سألني سيرين المكاتبة فأبيت عليه، فأتى عمر بن الخطاب فأقبل علي بالدرة وقال كاتبه وتلا ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[٤] فكاتبته[٥].

(١٢) عن عمر أنه كاتب عبدا له يكنى أباأمية فجاء بنجمه حين حلّ قال: يا أباأمية اذهب فاستعن به في مكاتبتك. قال: يا أمير المؤمنين لو تركته حتى يكون من آخر نجم قال: أخاف أن لا أدرك ذلك. ثم قرأ ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[٦]،[٧].

(١٣) عن السدي قال: كان لعبد الله بن أبي جارية تدعى معاذة فكان إذا نـزل ضيف أرسلها إليه ليواقعها إرادة الثواب منه والكرامة له، فأقبلت الجارية إلى أبي بكر فشكت ذلك إليه، فذكره أبوبكر للنبي صلى الله عليه وسلم فأمره بقبضها، فصاح عبد الله بن أبي: من يعذرنا من محمد يغلبنا على مماليكنا فنــزلت الآية، يعني ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾[٨]،[٩].

(١٤) أخرج الترمذي[١٠] عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إيتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة[١١].

(١٥) عن شريك بن نملة قال: ضفت عمر بن الخطاب ليلة فأطعمني كسورا من رأس بعير بارد وأطعمنا زيتا وقال: هذا الزيت المبارك الذي قال الله لنبيه.

---

(١) سورة النور: ٣٢.
(٢) عبد الرزاق ١٧٣/٦ وعبد بن حميد كما في الدر أيضا، وقتادة لم يسمع من عمر.
(٣) عبدالرزاق ١٧١/٦ وابن أبي شيبة من طريق الحسن، والحسن لم يسمع من عمر، راجع الدر أيضاً.
(٤) سورة النور: ٣٣.
(٥) عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير ١٢٦/١٨ كما في الدر ٤٥/٥ ورجاله ثقات.
(٦) سورة النور: ٣٣.
(٧) عبد الرزاق وابن أبي حاتم والبيهقي كما في الدر ٤٦/٥.
(٨) سورة النور: ٣٣.
(٩) ابن أبي حاتم كما في الدر ٤٦/٥ وله شواهد، راجع الدر.
(١٠) (١٨٥١) وقال: لا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق عن معمر وكان عبدالرزاق يضطرب في رواية الحديث، فربما ذكر فيه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وربما رواه على الشك فقال: أحسبه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وربما قال عن زيد بن أسلم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا، وابن ماجه (٣٣١٩). وذكره ابن أبي حاتم في العلل ١٦/٢ لكن قال المنذري في الترغيب ١٣٧/٣: ورواه الحاكم ١٢٢/٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين وهو كما قال وذكره الألباني في سلسلة الصحيحة رقم ٣٧٩ وله شواهد.
(١١) إشارة إلى الآية رقم ٣٥ من سورة النور ﴿... مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ...﴾.

(١٩٠) زال الأمن من الأمة يوم قتل عثمان بن عفان وبدأت الفتن.

(١٦) عن أبي العالية قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة نحواً من عشرين سنة يدعـون إلى الله وحده وعبادتـه وحده لا شريك له سرا، وهم خـائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة فقدموا المدينة. فأمرهم الله بالقتال وكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح فغبروا بذلك ما شاء الله. ثم إن رجلاً من أصحابه قال: يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تغيروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل في الملأ العظيم محتبياً ليست فيهم حديدة، فأنـزل الله ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا...**﴾[١] إلى آخر الآية، فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا السلاح ثم إن الله قبض نبيه فكانوا كذلك آمنين في زمان أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا وكفروا النعمة فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفع عنهم واتخذوا الحجر والشرط وغيَّروا فَغيّر ما هم[٢].

آيات سورة الفرقان

(١٩١) بشارة المؤمنين السابقين من المهاجرين الأولين بدرجات عظيمة

قال الله تعالى ﴿**وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾**

---

(١) سورة النور: ٥٥.

(٢) عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر ٥/٥٥.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾[1].

جرت سنة الله عز وجل في كتابه الحكيم على المقارنة بين الضالين الهالكين وبين جماعة الفائزين من المؤمنين الصالحين. فيذكر أوصاف هؤلاء وديدهم ليعقبها بالإشارة إلى مناقب المؤمنين وشيمهم، فيعد هؤلاء العذاب الأليم ويعد أولئك النعيم المقيم، ولا تتطرق الآيات إلى صفات مزعومة وموهومة بل تشير إلى ما اشتهر به القوم من الصفات والسمات، فلا تذكر من شبهات الكفار إلا ما نطقوا به في مجالسهم وصرحوا به ولا تشير إلى سؤالات مقدرة أو احتمالات بعيدة كما يصنع بعض الفقهاء في أبواب الفقه مثل النكاح والطلاق وغيرهما. . . حيث يتصورون صورا واحتمالات يمكن أن تقع!...

بعدما أدركت هذه القاعدة القرآنية الثابتة، اعلم أن الله عز وجل قد عد شبهات الكفار وجهالاتهم في سورة الفرقان وبينها أشد التبيان وذكر العقاب الأليم الذي ينتظرهم. ثم ذكر صفات عباد الرحمن التي اشتهرت بها تلك الفئة التي عاصرت الآيات ولا يزيد عليها، حتى تكون الآيات في دلالتها العامة تعريضا للحاضرين من ﴿عِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ...﴾ الآية، وهذه الصفات هي الوقار والحلم في خطاب الجاهلين، والمواظبة على قيام الليل، والخشية من عذاب الآخرة والاستعاذة منها إلى رحمة الله عز وجل، والاقتصاد في صرف الأموال، وتوحيد العبادة وتجنب القتل والزنا والبعد عن مجالس الظلم والاحتراز منها، والوقوف الخاشع بين يدي الله والخضوع والاستسلام التام عند جبروت الواحد الديان والسؤال الذليل في أن يهبهم الله من أزواجهم وذرياتهم قرة أعين وأن يختارهم للمتقين إماما، فلهؤلاء تلك الغرفة في جنة الخلد، والغرفة هي أعلى موضع فيها. ولم يوجد عند نـزولها غير المؤمنين السابقين من المهاجرين الأولين. فكفاهم شرفا وفضيلة!

(١٩٢) عناية عمر بتصحيح قراءة القرآن الكريم

(١) أخرج مالك والشيخان[2] عن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: اقرأنيها رسول الله

---

(١) سورة الفرقان: ٦٣- ٧٦.

(٢) البخاري (٤٩٩٢) كتاب فضائل القرآن باب أُنـزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم (١٨٩٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب بيان أن القرآن أنـزل على سبعة أحرف، والموطأ ١٣٣/٢ كتاب القرآن باب ما جاء في القرآن.

صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنـــزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر. فقرأت القراءة التي أقرأني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنـــزلت. إن هذا القرآن أنـــزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر.

(١٩٣) عناية عمر بتفسير الآيات

(٢) عن عبد الله بن المغيرة قال: سئل عمر بن الخطاب عن نسب وصهر. فقال: ما أراكم إلا وقد عرفتم النسب فأما الصهر؛ فالأختان[(١)] والصحابة[(٢)].

(٣) عن الحسن أن عمر أطال صلاة الضحى فقيل له: صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه؟! فقال: إنه بقي علي من وردي شيء فأحببت أن أتمه. أو قال: أقضيه، وتلا هذه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً...﴾ الآية[(٣)(٤)].

(٤) وعن عمر أنه رأى غلاما يتبختر في مشيته فقال له: إن التبخترية مشية تكره إلا في سبيل الله، وقد مدح الله أقواما فقال ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[(٥)] فاقصد في مشيتك[(٦)].

آيات سورة الشعراء

(١٩٤) بشارة المؤمنين الأولين السابقين بالفوز في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ

---

(١) الأختان: جمع ختن، وهو عند علماء اللغة يطلق على كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ. لكن العامّـــة يطلقونه على زوج الإبنة. وهذه إشارة إلى تفسير الآيـــة رقم ٥٤ من ســـورة الفرقان ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا...﴾.

(٢) عبد بن حميد كما في الدر ٧٤/٥.

(٣) سورة الفرقان: ٦٢.

(٤) الطيالسي وابن أبي حاتم كما في الدر ٧٥/٥ وابن كثير ٣٢٤/٣ ولـــم أجده في مسند الطيالسي، والله أعلم.

(٥) سورة الفرقان: ٦٣.

(٦) الآمدي في شرح ديوان الأعشى كما في الدر ٧٦/٥.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

فقد أورد الله عز وجل في سورة الشعراء قصص سبعة من الأنبياء ثم أثبت نـــزول القرآن على قلب رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليه السلام وذكر من أدلة ثبوته أن علماء بني إسرائيل يعرفونه بما يجدونه في كتبهم التي يقرؤونها. وأضاف إلى ذلك حكمة نـــزول القرآن بلغة عربية على رجل عربي لا بلغة أعجمية على رجل أعجمي ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ...﴾[2] ثم أشار إلى ما يكمن في قلوب أهل الشقاء والنفاق من الجحد والإنكار، ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ...﴾[3] ثم ذكر دليلين على أن القرآن ليس إلا كلام رب البشر لا كلام الشياطين وأوهامهم؛

الأول: أن الشياطين لا يقدرون على الصعود إلى الملأ الأعلى حيث تعقد الأحكام الإلهية لمصالح البشر.

الثاني: جرت سنة الله عز وجل ألا تنـــزل الشياطين إلا على النفوس الخبيثة الدنيئة. لأنه يشترط المناسبة بين المفيد والمستفيد، وبما أن نفسه صلى الله عليه وسلم من تلك النفوس العالية الربانية القدسية وفي قمة الصفاء وعصمة الأعمال وطهارة الإخلاص فلا تعتريها أبداً شائبة من الدنس، كما أنه ليس من باب الشعر، فإن الإفراط في المدح والهجاء والغزل و...، هي سمات الشعراء، ولا صلة بين هذه الصفات وإصلاح الأخلاق والأعمال وهداية خلق الله صوب الطريق المستقيم في حين أن جميع مسائل الدين لها صلة بإصلاح الأخلاق والأعمال. كما لا يخفى.

وفي خلال هذا التقرير نجد الوقوف على ﴿فَلَا تَدْعُ...﴾[4] أي التوحيد الخالص للواحد الديان والاستمرار في العبادة، وإنذار العشيرة الأقربين، وخفض الجناح والتواضع مع الذين آمنوا بدعوتك واتبعوا سبيلك، وإذا لم تخضع لدعوتك تلك الفئة وعصوك فتوكل على الله العزيز الرحيم ولا تنـــزعج من إنكارهم إياك ولا تهتم بعصيانهم أوامرك ولا تلق لهم بالاً.

ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخفض الجناح والتواضع للذين آمنوا معه واتبعوا سبيله. وكما لا يخفى على أحد أن هذه السورة مكية والذين قد اتبعوه آنذاك ما هم إلا المهاجرون الأولون من المؤمنين السابقين وناهيك بها شرفا وفضلا!

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٤-٢٢٠.
(٢) سورة الشعراء: ١٩٨.
(٣) سورة الشعراء: ٢٠٠.
(٤) سورة الشعراء: ٢١٣.

(١٩٥) تعريض لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة بالنصر والغلبة

(١) عن ابن عباس ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ...﴾[١]. قال: أبوبكر وعمر وعلي وعبد الله بن رواحة[٢].

(٢) وروي من طرق متعددة أن حسان بن ثابت لما استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في هجاء قريش قال: اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم[٣].

(٣) عن عائشة قالت: كتب أبي في وصيته سطرين: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوصى أبوبكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر ويتقي الفاجر ويصدق الكاذب أني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذلك ظني به ورجائي فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٤]، [٥].

آية سورة النمل

(١٩٦) منقبة عظيمة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله لنشر دينه

قال الله تعالى ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٦].

يُرجع الله سبحانه في سورة النمل سبب إهلاكه قوم ثمود وقوم لوط إلى كفرهم وطغيانهم، ثم يأمرنا بأن نحمده ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إهلاكه الأشقياء والكفار ونصرته للأنبياء وحفظه ورعايته لعباده الذين اصطفاهم واختارهم من بين سائر البشر وقد كان اختياره لعباده على درجات؛ فأعلى المراتب وأرفع الدرجات هي مرتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على سائر البشر ثم درجة الذين فضلهم الله من بين المؤمنين لإعلاء كلمة الله عز وجل ونصرة الأنبياء وهم المؤمنون السابقون. وفي المعنى العام كان اختيار الله لهذه الأمة كلها ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾[٧] الآية، فإن ظاهر الآية يدل على أن الله عز وجل اصطفى هذه الأمة في مقابل أولئك الأشقياء الذين سعوا إلى إعلاء كلمة الكفر والطغيان، لتجاهد لإعلاء

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢٧.
(٢) ابن مردويه وابن عساكر كما في الدر ٥/٩٩.
(٣) ابن سعد راجع الدر ٥/١٠٠، ١٠١.
(٤) سورة الشعراء: ٢٢٧.
(٥) ابن أبي حاتم كما في الدر ٥/١٠١.
(٦) سورة النمل: ٥٩.
(٧) سورة فاطر: ٣٢.

كلمة الحق سبحانه. لهذا تجد أكثر المفسرين فسروا الآية في أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ومن هنا كانت منقبة المؤمنين السابقين من المهاجرين الأولين.

(١) فعن ابن عباس في قوله ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾(١)، قال: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاهم الله لنبيه(٢).

(٢) عن سفيان الثوري في قوله ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ قال: نزلت في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة(٣).

آيات سورة القصص

(١٩٧) عناية عمر بتفسير الآيات

(١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن موسى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾(٤)، فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البير، وكانت لا يطيق رفعها إلا عشرة رجال، فإذا هو بامرأتين قال: ما خطبكما؟ فحدثتاه، فأتى الحجر فرفعه وحده ثم استسقى فلم يستق إلا ذنوبا واحدا حتى رويت الغنم فرجعت المرأتان إلى أبيهما، فحدثتاه(٥).

و﴿تَوَلَّىٰٓ﴾ موسى ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(٦) قال ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾(٧) واضعة ثوبها على وجهها ليست بسلفع من النساء خرّاجة ولاّجة ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فقام معها موسى، فقال لها: امشي خلفي وانعتي لي الطريق فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك، فلما انتهى إلى أبيها قص عليه قصته. ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾(٨) قال: بنية، ما علمك بأمانته وقوته؟ قالت: أما قوته فرفعه الحجر ولا يطيقه إلا عشرة رجال، وأما أمانته فقال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك. فزاده ذلك رغبة فيه فـ ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ

---

(١) سورة النمل: ٥٩.
(٢) راجع ص ١٣٥- ١٣٦.
(٣) ابن جرير ٢٠/٢ وعبد بن حميد كما في الدر ١١٣/٥.
(٤) سورة القصص: ٢٣.
(٥) الحاكم ٤٠٧/٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وابن أبي شيبة ٥٣٠/١١ وعبد بن حميد وابن المنذر والفريابي وابن أبي حاتم كما في الدر ١٢٤/٥.
(٦) سورة القصص: ٢٤.
(٧) سورة القصص: ٢٥.
(٨) سورة القصص: ٢٦.

إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ...﴾، إلى قوله ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. أي؛ في حسن الصحبة والوفاء بما قلت. ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ قال: نعم. قال ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾[1] فزوجه وأقام معه يكفيه ويعمل له في رعاية غنمه وما يحتاج إليه، وزوجه "صفورة" وأختها "شرفا" وهما اللتان كانتا تذودان.

(٢) وعن عمر بن الخطاب في قوله ﴿تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ قال: جاءت مستترة بكم درعها على وجهها[2].

آيات سورة العنكبوت

(١٩٨) بشارة المؤمنين الأولين من المهاجرين بأجر عظيم

قال الله تعالى ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[3].

تحمل هذه الآيات في طياها أمراً بالهجرة من دار الكفر التي أبى أهلها أن يفسحوا المجال للمؤمنين ويتركوهم يعبدون رهم على أحسن وجه، فأنـزلوا عليهم العقاب الأليم والويلات الجسيمة. فإن أرض الله واسعة. وتحمل كذلك بشرى الجنة وغرفها التي تجري من تحتها الأنهار والخلود فيها لمن صبر على مشاق الهجرة وصعوبة الجهاد والتضحية وتوكل على الله عز وجل، وكذلك حث وتحريض للمؤمنين بالهجرة في سبيل الله وعدم الركون بين ظهراني المشركين المعاندين حرصاً على الراحة أو اعتماداً على سبل المعيشة والرزق، فإن الدواب لا تعرف التجارة ولا الزراعة ولا جمع المال وتكنيزه، مع ذلك يرزقها الله. ثم أقول: فقد ثبت بأخبار متواترة لا ريب فيها ولا يعتريها شك ولا شبهة أن جماعة المؤمنين من السابقين الأولين هاجروا وصبروا على مشاق الهجرة وصعوبة الجهاد وتركوا حياهم وجميع سبل المعيشة الميسرة لهم في مكة ابتغاء رضوان الله وعملوا الصالحات، فبشرهم الله بالغرف التي هي أعلى درجات الجنة وأرفعها. وهذا هو المراد.

---

(١) سورة القصص: ٢٧- ٢٨.

(٢) ابن جرير ٢٠/٦٠ وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم كما في الدر ٥/١٢٥ ورجاله ثقات.

(٣) سورة العنكبوت: ٥٦- ٦٠.

(١٩٩) نـزلت الآيات في المؤمنين الأولين المهاجرين الذين أوذوا وابتلوا ابتلاء شديدا.

(١) وعن الشعبي في قوله ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ ...﴾[١] الآية. قال: أنـزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لما نـزلت آية الهجرة: أنه لا يقبل منكم إقرار ولا إسلام حتى تهاجروا. قال: فخرجوا عامدين إلى المدينة فاتبعهم المشركون فردوهم، فنـزلت فيهم هذه الآية. فكتبوا إليهم أنه قد أنـزل فيكم آية كذا وكذا، فقالوا: نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه، فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنـزل الله فيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٢][٣].

(٢) وعن ابن مسعود قال: أول من أظهر إسلامه سبعة؛ رسول الله وأبوبكر وسمية أم عمار وعمار وصهيب وبلال والمقداد. فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب وأما أبوبكر فمنعه الله بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم أحد إلا قد داناهم على ما أرادوا إلا بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد، أحد[٤].

(٢٠٠) منقبة كبرى لعثمان بن عفان في هجرته بأهله إلى الحبشة

(٣) عن أنس قال: أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صحبهما الله! إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط[٥].

(٤) عن أسماء بنت أبي بكر قالت: هاجر عثمان إلى الحبشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه لأول من هاجر بعد إبراهيم ولوط[٦].

---

(١) سورة العنكبوت: ١-٢.

(٢) سورة النحل: ١١٠.

(٣) ابن جرير ١٢٩/٢٠ وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ١٤١/٥ وفي إسناده مطر الوراق صدوق كثير الخطأ.

(٤) ابن ماجه (١٥٠) كتاب السنة فضل سلمان وأبي ذر والمقداد، وابن مردويه كما في الدر ١٤١/٥ وإسناده حسن إن شاء الله.

(٥) الطبراني في الكبير ٩٠/١ وقال الهيثمي في المجمع ٨١/٩: فيه الحسن بن زياد البرجمي و لم أعرفه وبقية رجاله ثقات. وابن أبي عاصم في السنة ٥٩٦/٢ أيضا من طريقه. وعزاه السيوطي في الدر ١٤٤/٥ لأبي يعلى وابن مردويه.

(٦) ابن مندة وابن عساكر كما في الدر ١٤٤/٥.

(٥) وعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كان بين عثمان وبين رقية وبين لوط من مهاجر[١].

(٦) عن ابن عباس قال: أول من هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان كما هاجر لوط إلى إبراهيم[٢].

(٧) عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دخلت أنا وأبوبكر الغار فاجتمعت العنكبوت فنسجت بالباب، فلا تقتلوهن"[٣].

(٨) عن أبي قلابة أن عمر بن الخطاب مر برجل يقرأ كتابا فاستمعه ساعة فاستحسنه فقال للرجل: أ تكتب لي من هذا الكتاب؟ قال: نعم، فاشترى أديما فهيأه ثم جاء به إليه فنسخ له في ظهره وبطنه ثم أتى به النبي صلى الله عليه وسلم: فجعل يقرأه عليه وجعل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلون، فضرب رجل من الأنصار بيده الكتاب وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، ألا ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اليوم وأنت تقرأ عليه هذا الكتاب؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك: إنما بعثت فاتحا وخاتما وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه واختصر لي الحديث اختصارا فلا يهلكنّكم المتهوّكون"[٤]، [٥].

آيات سورة الروم

(٢٠١) بشارة بفتح بلاد الروم بأيدي الخلفاء في المستقبل

قال الله تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٦]. اختلف القراء في قراءة هذه الآية؛ بين من قرأ غَلبت بصيغة المعلوم وسيُغلبون بصيغة المجهول ومن قرأ غُلبت مبنيا على المجهول وسيَغلبون مبنيا على المعلوم. في الوجه الأول بشارة للمسلمين بفتح الروم وهذا لم يحدث في زمن المصطفى عليه الصلاة والسلام بل وقع في زمن الشيخين رضي الله عنهما، ويعتبر تحقق الوعود

---

(١) ابن عساكر والطبراني والحاكم في الكنى كما في الدر والكنـز ٥٨٨/١١ وفيه عثمان بن خالد العثماني وهو متروك كما في المجمع ٨١/٩.

(٢) ابن عساكر كما في الدر.

(٣) الخطيب ١٠١/١٠ كما في الدر، وهذا عن طريق أبي صادق عن علي وأبو صادق صدوق وحديثه عن علي مرسل كما في التقريب ص ٥٩٣.

(٤) المتهوك: المتحير.

(٥) عبد الرزاق ١١١/١١ والبيهقي كما في الدر ١٤٨/٥.

(٦) سورة الروم: ١ — ٥.

الإلهية على يد الخليفة من خواص الخلافة الخاصة.

(١) فقد أخرج الترمذي والحاكم[(١)] وصححه عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ قال: غَلبت وغُلبت، قال: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أصحاب كتاب. فذكروه لأبي بكر فذكره أبوبكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أنهم سيَغلبون"، فذكره أبوبكر لهم فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلا فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا... فجعل بينهم أجلاً خمس سنين فلم يظهروا، فذكر ذلك أبوبكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ألاّ جعلتَه أُراه، قال: دون العشرة، فظهرت الروم بعد ذلك. فذلك قوله ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ فغُلبت ثم غلبت بعد لقول الله ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾.

(٢) قال سفيان: سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر. ولهذا الحديث طرق متعددة مستفيضة عن ابن مسعود والبراء بن عازب ونيار بن مكرم الأسلمي ورواه أيضاً مرسلا الزهري وقتادة وعكرمة[(٢)].

(٢٠٢) عناية عمر وعلي بتفسير الآية

(٣) عن ابن عباس قال قال عمر: أما "الحمد" فقد عرفناه؛ فقد يحمد الخلائق بعضهم بعضا، وأما "لا إله إلا الله" فقد عرفناها؛ فقد عبدت الآلهة من دون الله، وأما "الله أكبر" فقد يكبر المصلي، وأما "سبحان الله" فما هو؟ فقال: رجل من القوم، الله أعلم. فقال عمر: قد شقي عمر إن لم يكن يعلم أن الله أعلم! فقال علي: يا أمير المؤمنين اسم ممنوع أن ينتحله أحد من

---

(١) الترمذي (٣١٩٣) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة الروم، وقال: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة، والحاكم ٢/٤١٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي وأحمد ١/٢٧٦ وابن جرير ٢١/١٦ والنسائي في الكبرى كما في التحفة ٤/١٦٠.

(٢) أما حديث ابن مسعود فرواه ابن جرير ٢١/٢٠، وأما حديث البراء فرواه أبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر، وأما حديث نيار بن مكرم فرواه الترمذي (٣١٩٤) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة الروم وقال: حسن صحيح غريب، والدارقطني في الأفراد والطبراني وأبو نعيم في الدلائل والبيهقي في الشعب. وأما حديث الزهري فرواه ابن عبد الحكم في فتوح مصر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر، وأما حديث قتادة فرواه ابن جرير ٢١/١٩ وابن أبي حاتم والبيهقي، وأما حديث عكرمة فرواه ابن جرير ٢١/١٧. راجع الدر المنثور ٥/١٥٠، ١٥١، ١٥٢.

الخلائق وإليه مفزع الخلق وأَحَبَّ أن يقال له، فقال: هو كذاك[١]،[٢].

(٤) أخرج مسلم[٣] عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جَيَّفوا ثم أتاهم فقام يناديهم فقال: يا أمية بن خلف، يا أباجهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ سمع صوته عمر فجاء فقال: يا رسول الله تناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون؟ يقول الله ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٤]! فقال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يطيقون أن يجيبوا. وروي مثله عن ابن عمر[٥].

آيات سورة لقمان

(٢٠٣) بشارة المؤمنين الثابتين بالفلاح وإنذار الكافرين المستكبرين بعذاب أليم

قال الله تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٦].

يبين الله عز وجل في هذه السورة تباين مراتب السعداء والأشقياء، ولابد أن تكون الفئتان موجودتين وقت نـــزولها وهي مكية. هذه السورة المكية تصف قوما بالإحسان، وتعدّ صفاتهم البارزة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان الثابت باليوم الآخر، فكان القرآن الكريم هداية ورحمة لهم، فلهؤلاء بشرى السعادة والفلاح وجنان الخلد عند مليك مقتدر، والفئة الثانية هم الذين يشترون لهو الحديث ويستهزءون بآيات الواحد الديّان، ويستكبرون عن قبول القرآن ويستعلون عليه!

فالظاهر أن هذه الآيات وسام فخر وشرف كبير للمؤمنين السابقين من المهاجرين الأولين الذين نـــزلت سورة لقمان لتصفهم لنا قمما ونماذج في مخاصمة الكفار ومجادلتهم. هذا،

---

(١) إشارة إلى تفسير الآيتين رقم ١٧ و ١٨ من سورة الروم ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ...، وَلَهُ ٱلْحَمْدُ...﴾.

(٢) ابن ماجه في التفسير وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر ١٥٤/٥.

(٣) (٧٢٢٣) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وإثبات عذاب القبر.

(٤) سورة الروم: ٥٢.

(٥) البخاري (٣٩٨) كتاب المغازي باب قتل أبي جهل، ومسلم (٢١٥٤) كتاب الجنائز باب أن الميت لا يعذب ببكاء أهله عليه.

(٦) سورة لقمان: ١ – ٧.

وناهيك به من الفضائل!

آيات سورة الم السجدة

(٢٠٤) تعريض باختيار بعض الصحابة لقيادة الأمة في المستقبل

قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[١].

قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ...﴾ المعنى الأول من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو التوراة، والمعنى الثاني هو القرآن العظيم على طريق الاستخدام[٢]، في فن البديع، ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وجعلنا من بني إسرائيل أئمة يهدون الناس إلى الحق بتوفيق منا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون.

فقد ذكر الحق سبحانه وتعالى في مطلع الكلام حكاية المؤمنين الكاملين ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟...﴾[٣] ثم أورد الفرق الجلي بين مآل هذه الجماعة وعاقبة الفئة المقابلة لهم؛ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[٤] ثم شبّهَ النبيَ صلى الله عليه وسلم وحكاية أمره بموسى وقصته؛ فقد سبق أن آتينا موسى التوراة وجعلناها سببا لهداية بني إسرائيل فلا غرابة أن نعطيك القرآن ونجعله سببا لهداية أمتك. وقد رفعنا جماعة من بني إسرائيل لما كانوا يتمتعون به من الصبر والثبات والشدة والبطش في الجهاد ومخاصمة الكفار والعزيمة الصادقة وقوة اليقين وجعلناهم أئمة، فلا استغراب في أن نختار من المؤمنين الصادقين من أمتك أئمة ونجري على يد هداية أقوام ...

مع ملاحظة السياق والسباق تظهر لنا من الآية تلك الإشارة الخفية إلى أن الله سوف يصطفي عددا من المؤمنين أئمة لهذه الأمة. كما قيل:

الصيد وإنما فقط عيون الصقر الخبيره بالصـيد هـي الـتي تراه لتصيده

---

(١) سورة السجدة: ٢٣- ٢٤.

(٢) الاستخدام في الصنعة البلاغية يعني؛ أن تدل الكلمة على معنيين؛ يفهم المعنى الأوّل من لفظ الكلمة والمعنى الثاني من الضمير الراجع إليه، أو يعود إلى الكلمة ضميران؛ كل ضمير يرجع إلى معنى من هذين المعنيين.

(٣) سورة السجدة: ١٥.

(٤) سورة السجدة: ١٨.

آيات سورة الأحزاب

(٢٠٥) بشارة المؤمنين المشتركين في غزوة الأحزاب بالتمكين في الدنيا والفوز في الآخرة

قال الله تعالى ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١].

نزلت هذه الآيات في غزوة الأحزاب ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ ...﴾ فقد أبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بما سيجدونه خلال الأيام القادمة من شدة وبطش يعقبه نصرة وفتح، ﴿تِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[٢]، ولما رأى المؤمنون الأحزاب أيقنوا أن جزءاً من كلام النبوة قد تحقق وبدأوا ينتظرون الجزء الثاني بفارق الصبر وكامل اليقين، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾، أي أثبتوا صدق إيمانهم بثباتهم لما اشتد وطيس المعركة؛ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾، فقد كان المؤمنون قد عاهدوا الله بالثبات والجهاد لإعلاء كلمته وقد أثبتوا حسن إيفائهم بالوعود؛ فمنهم من أدّى الواجب وشرب كأس الشهادة مقدما روحه وجسمه لإعلاء كلمة الله، وفريق آخر لم يزالوا يجاهدون لإعلاء كلمته ويسعون للحصول على الغاية المرجوة، وتستمر القافلة حتى بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، حيث بقوا على العهد؛ يحملون راية الجهاد والدعوة.

تصور الآيات المناقب العظيمة للمؤمنين الذين اشتركوا في غزوة الأحزاب وبذلوا الغالي والنفيس واستقاموا فيها ولا ريب أن الخلفاء كانوا منهم، بل وفي مقدمتهم كما أنها تشير إشارة ذكية بأنّ الأمر لّما ينته بعد، وهناك أمور أخرى ستظهر بعد حين على يد بعض الرجال من أولئك.

(١) فقد أخرج البخاري ومسلم[٣] عن ابن عباس أن عمر قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يأيها الناس لا تخدعن عن آية الرجم فإنها أنـزلت في كتاب الله وقرأناها وإنها ذهبت في قرآن كثير ذهب[٤] مع محمد صلى الله عليه وسلم. وآية ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد

---

(١) سورة الأحزاب: ٢٢- ٢٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٠.

(٣) البخاري (٦٨٣٠) كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة باب رجم الحبلى في الزنى إذا أحصنت، مطوّلا، ومسلم (٤٤١٨) كتاب الحدود باب حد الزنا.

(٤) أي نسخت قراءتها، فهي منسوخة التلاوة وإن كان الحكم باقياً.

رجم، وأن أبابكر قد رجم ورجمت بعدهما، وإنه سيجيء قوم من هذه الأمة يُكذّبون بالرجم[١]. وروي ذلك عن عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم[٢].

(٢٠٦) بشارة المؤمنين بفتح مدائن كسرى وأرض الروم واليمن في المستقبل

(٢) عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب فخرجت لنا من الخندق صخرة بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا. فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ المعول من سلمان، فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابتي المدينة حتى لكأنّ مصباحا في جوف ليل مظلم. فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر المسلمون. ثم ضربها الثانية فصدعها وبرق منها برقة، أضاء ما بين لابتيها فكبر وكبر المسلمون. ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيها فكبر وكبر المسلمون. فسألناه فقال: أضاء لي في الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب. فأخبرني جبريل أنّ أمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثانية القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أنّ أمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، فأبشروا بالنصر. فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صادق بأن وعدنا النصرَ بعد الحصر. فطلعت الأعراب فقال المسلمون ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾، وقال المنافقون: ألا تعجبون يحدّثكم ويعدكم ويمنّيكم الباطل إنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وإنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا وأُنـزل القرآن ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[٣][٤].

(٣) وعن البراء بن عازب نحوه[٥].

---

(١) وقد صدق عمر، فإنّه جاء من بعده أقوام من الخوارج أنكروا الرجم بحجة أن القرآن الكريم لم يذكره. وكذلك اليوم هناك بعض الجهلة من المسلمين يتفوهون بمثل هذا الكلام.

(٢) أما حديث عبد الرحمن بن عوف فرواه أحمد ٢٩/١ والنسائي، وأما حديث سعيد فرواه ابن سعد عن مالك ١٤٤/٤، وأما حديث زيد بن أسلم فرواه ابن الضريس، راجع الدر المنثور ١٨٠/٥.

(٣) سورة الأحزاب: ١٢.

(٤) أبو نعيم والبيهقي في الدلائل ٤١٨/٣ وابن سعد وابن جرير ١٣٣/٢١ وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر ١٨٥/٥، ١٨٦ وإسناده ضعيف جدا. فإن كثير بن عبد الله متروك وقال ابن حبان: له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة كما في الميزان ٤٠٧/٣ ولم أجده في الدلائل لأبي نعيم. والله تعالى أعلم.

(٥) ابن أبي شيبة ٤٢١/١٤ كما في الدر، قلت: ورواه أبو نعيم في الدلائل ص ١٨٠ والبيهقي أيضا في

(٢٠٧) حرص عمر على اتباع الأسوة الحسنة

(٤) عن قتادة قال: هم عمر بن الخطاب أن ينهى عن الحـبَـرَةِ من صَاغِ البول فقال له رجل: اليس قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها[١]؟ قال عمر: بلى، قال الرجل: ألم يقل الله ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؟![٢][٣]

(٥) وعن ابن عباس أن عمر أكب على الركن فقال: إنـي لأعلم أنك حجر ولو لم أر حبّي صلى الله عليه وسلم قبّلك واستلمك ما استلمتك ولا قبّلتك، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٤].

(٦) وعن يعلى بن أمية قال: طفت مع عمر فلما كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر أخذت بيده ليستلم فقال: ما طفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: بلى، قال: فهل رأيته يستلمه، قلت: لا، قال: فأبعد عنك فإن لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة[٥].

(٢٠٨) أبوبكر عتيق الله من النار وبشارة طلحة بالشهادة.

(٧) عن عيسى بن طلحة قال: دخلت على أم المؤمنين عائشة، وعائشة بنت طلحة وهي تقول لأمها أسماء: أنا خير منك وأبي خير من أبيك، فجعلت أسماء تشتمها وتقول: أنت خير مني؟ فقالت عائشة: ألا أقضي بينكما؟ قالت: بلى، قالت: فإن أبابكر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: أنت عتيق الله من النار، قالت: فمن يومئذ سمي عتيقاً، ثم دخل طلحة فقال: أنت يا طلحة ممن قضى نحبه[٦].

(٢٠٩) أم المؤمنين عائشة تختار الله ورسوله!

(٨) عن جابر قال: أقبل أبوبكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ببابه جلوس والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له.

الدلائل ٤٢١/٣ والنسائي في الكبرى كما في التحفة ٦٥/٢ وفي إسناده ميمون أبو عبد الله مولى عبدالرحمن بن سمرة ضعيف كما في التقريب ص ٥١٨.

(١) أي أراد أن ينهى عن لبس الرداء المزركش اليمني الذي كان يصنع في بولان.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

(٣) عبد الرزاق كما في الدر ١٩٠/٥.

(٤) أحمد ٢١/١ كما في الدر ١٩٠/٥ وإسناده حسن، وقد روي من طرق عن عمر رضي الله عنه.

(٥) أحمد ٣٧/١ وأبو يعلى رقم ١٧٧، ٢١٢، ورجاله رجال الصحيح كما في المجمع ٢٤٠/٣ والدر ١٩٠/٥.

(٦) الحاكم ٣٧٦/٣ وصححه، ووافقه الذهبي وذكره السيوطي في الدر ١٩٢/٥.

ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه وهو ساكت. فقال عمر: لأكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك؛ فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها؛ فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدى ناجذه وقال: هن حولي سألن النفقة. فقام أبوبكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده؟ فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نساؤه: والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده، وأنـزل الله الخيار. فبدأ بعائشة فقال: إني ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك، قالت: ما هو، فتلا عليها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ...﴾[1] الآية، قالت عائشة: أفيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله ورسوله، وأسألك ألا تذكر إلى امرأة من نسائك ما اخترت. فقال: إن الله لم يبعثني متعنتا ولكن بعثني معلما مبشرا، لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها[2].

(٩) عن عمر قال: استعينوا على النساء بالعري، إن إحداهن إذا كثرت ثيابها وحسنت زينتها أعجبها الخروج[3].

(٢١٠) فضل ذكر الله سبحانه وتعالى

(١٠) عن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا سأله فقال: أي المجاهدين أعظم أجراً؟ قال: أكثرهم لله ذكراً. قال: فأي الصائمين أعظم أجراً؟ قال: أكثرهم لله ذكراً. ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أكثرهم لله ذكراً. فقال أبوبكر لعمر: يا أباحفص ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل[4].

(٢١١) نـزلت الآية موافقة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(١١) عن مجاهد قال: لما نـزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[5] قال أبوبكر: يا رسول الله ما أنـزل الله عليك

---

(١) سورة الأحزاب: ٢٨.

(٢) مسلم (٣٦٩٠) كتاب الطلاق باب بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقا إلا بنيّة. راجع الدر ١٩٤/٥.

(٣) ابن أبي شيـبة ٤/ ٤٢٠ كما في الدر ١٩٧/٥.

(٤) أحمد ٤٣٨/٣ والطبراني وفي إسناده زبان بن فائد وهو ضعيف وقد وثق وكذلك ابن لهيعة، وبقيةرجال أحمد ثقات كما في المجمع ٧٤/١٠. وهذه إشارة إلى تفسير الآية رقم ٣٥ من سورة الأحزاب ﴿...وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ...﴾.

(٥) سورة الأحزاب: ٥٦.

خيراً إلا أشركنا فيه، فنـــزلت ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾[١]، [٢].

(٢١٢) فضل المؤمنات المهاجرات على من لم يهاجرن

(١٢) أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه[٣] عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فعذرني، فأنـــزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾[٤] قالت: فلم أكن أحل له لأني لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء.

(١٣) وعـــن أبي صالـــح مولى أم هانئ قال: خـــطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم هانئ بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله إني موتمة وبني صغار فلما أدرك بنوها عرضت نفسها عليه، فقال: أما الآن فلا، إن الله أنـــزل علي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾[٥] ولم تكن من المهاجرات[٦].

(٢١٣) أنـــزل الله آية الحجاب موافقة لرأي عمر.

(١٤) عن أنس قال، قال عمر بن الخطاب يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنـــزل الله آية الحجاب[٧].

(١٥) عن ابن عباس قال: دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فأطال الجلوس فقام النبي صلى الله عليه وسلم مرارا كي يتبعه ويقوم، فلم يفعل، فدخل عمر فرأى الرجل وعرف الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمقعده فقال: لعلك آذيت النبي صلى الله عليه وسلم؟ ففطن الرجل فقام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد قمت مرارا كي يتبعني فلم يفعل، فقال عمـــر: لو اتخذت حجابا فإن نساءك لسن كسائـــر النساء وهو أطهر لقلوبهن فأنـــزل الله

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٣.

(٢) عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٢٠٦/٥.

(٣) (٣٢١٤) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة الأحزاب وحسنـــه وابن جرير ٢١/٢٢ والـــحاكم ٤٢٠/٤ وصححه والبيهقي ٥٤/٧.

(٤) سورة الأحزاب: ٥٠.

(٥) سورة الأحزاب: ٥٠

(٦) ابن سعد ١٥٣/٨ كما في الدر أيضا.

(٧) البخاري (٤٧٩٠) تفسير سورة الأحزاب.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ...﴾[1] الآية، فأرسل إلى عمر فأخبره بذلك[2].

(١٦) وعن عائشة قالت: كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم في قعب، فمر عمر فدعاه فأكل فأصاب إصبعه إصبعي فقال عمر: أوّه! لو أُطاع فيكنّ ما رأتكن عين، فنـزلت آية الحجاب[3].

(١٧) وعن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح، وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة ليلةً العشاء، وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة. حرصا على أن ينـزل الحجاب فأنـزل الله الحجاب، قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ...﴾ الآية[4].

(١٨) وعن ابن مسعود قال: فُضِّل الناسَ عمر بن الخطاب بأربع: بذكره الأسارى يوم بدر، أمر بقتلهم فأنـزل الله ﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ...﴾[5] الآية، وبذكره الحجاب أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجبن فقالت له زينب: وإنك لتغار علينا يا ابن الخطاب والوحي ينـزل في بيوتنا؟ فأنزل الله ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[6]، وبدعوة النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم أيد الإسلام بعمر، وبرأيه في أبي بكر كان أول الناس بايعه[7].

(٢١٤) فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[8]

(١٩) عن أبي بكر الصديق قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فسلم. فرد النبي صلى الله عليه وسلم وأطلق وجهه وأجلسه إلى جنبه فلما قضى الرجل حاجته نهض، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبابكر هذا الرجل يرفع له كل يوم كعمل أهل الأرض، قلت: و لم ذاك؟ قال: إنه كلما أصبح صلى عليّ عشر مرات كصلاة الخلق أجمع، قلت: وما ذاك؟ قال:

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٣.
(٢) ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه كما في الدر ٢١٣/٥.
(٣) النسائي في الكبرى وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند صحيح كما في الدر ٢١٣/٥.
(٤) ابن جرير ٣٩/٢٢ كما في الدر ٢١٤/٥ والبخاري (١٤٦) كتاب الوضوء باب خروج النساء إلى البراز.
(٥) سورة الأنفال: ٦٨.
(٦) سورة الأحزاب: ٥٣.
(٧) ابن مردويـه كما في الدر أيضا، وأحمد ٤٩٦/١ والبزار والطبراني وفيه أبو نهشل و لم أعرفه، قاله الهيثمي في المجمع ٦٧/٩ وفيه المسعودي وهو مختلط.
(٨) إشارة إلى تفسير الآية رقم ٥٦ من سورة الأحزاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ...﴾.

يقول: اللهم صل على محمد النبي عدد من صلى عليه من خلقك، وصل على محمد النبي كما ينبغي لنا أن نصلي عليه، وصل على محمد النبي كما أمرتنا أن نصلي عليه[١].

(٢٠) وعن أبي بكر الصديق قال: "الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من مهج الأنفس، أو قال: من ضرب السيف في سبيل الله"[٢].

(٢١٥) عناية عمر بتفسير الآية

(٢١) وعن قتادة في الآية قال: إياكم وأذى المؤمنين فإن الله يحوطه ويغضب له[٣].

(٢٢) وقد زعموا أن عمر بن الخطاب قرأها ذات يوم فافزعه ذلك حتى ذهب إلى أبي بن كعب فدخل عليه فقال: يا أباالمنذر إني قرأت آية من كتاب الله فوقعت مني كل موقع ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ...﴾[٤] والله إني لأعاقبهم وأضربهم، فقال له: إنك لست منهم، إنما أنت مؤدب، إنما أنت معلم.

(٢٣) وعن الشعبي أن عمر بن الخطاب قال: إني لأبغض فلانا. فقيل للرجل ما شأن عمر يبغضك؟ فلما كثر القوم في الدار جاء فقال: يا عمر أفتقت في الإسلام فتقا؟ قال: لا، قال: فجنيت جناية؟ قال: لا، قال: أحدثت حدثا؟ قال: لا، قال: فعلام تبغضني وقال الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾؟ فقد آذيتني فلا غفرها الله لك! فقال عمر: صدق والله ما فتق فتقا ولا ولا، فاغفرها لي، فلم يزل به حتى غفر له[٥].

(٢٤) عن أبي قلابة قال: كان عمر بن الخطاب لا يدع في خلافته أمة تتقنع ويقول: إنما القناع للحرائر لكي لا يؤذين[٦].

---

(١) الدارقطني في الأفراد وابن النجار في تاريخه كما في الدر ٢١٦/٥ وقال الدارقطني: غريب من حديث أبي بكر تفرد به سليمان بن الربيع النهدي عن كادح بن روحة، قال الذهبي: سليمان أحد المتروكين، وكادح، قال الأزدي وغيره: كذاب. وقال المتقي: قد أدخلت هذا في الموضوعات. راجع الكنز ٢٦٦/٢.

(٢) الخطيب في تاريخه والأصبهاني كما في الدر ٢١٩/٥ والكنز ٢٦٧/٢ وعزاه السخاوي للنميري وابن بشكوال كما في القول البديع ص ١٢٠.

(٣) عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٢٢٠/٥.

(٤) سورة الأحزاب: ٥٨.

(٥) ابن المنذر كما في الدر ٢٢٠/٥.

(٦) ابن أبي شيبة كما في الدر ٢٢١/٥.

(٢٥) وعن أنس رأى عمر جارية متقنعة فضربها بدرته وقال: ألقى القناع لا تشبهين للحرائر[١].

آيات سورة سبأ

(٢١٦) مبدأ التفاضل في الإسلام أن الأكرم عند الله هو الأتقى.

قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[٢].

تضع هذه الآيات البصمة على شبهة من شبهات الكفار وهي تلك المعضلة التي لم يسلم منها أكثر أصحاب المال والدنيا في كل طبقة وتجدهم يرددونها دوماً أي قصر النظر في الأموال والأولاد وإرجاع الفضل إليهما والزعم بأن النجاة في الآخرة مرهونة بامتلاكهما!

فتأتي الآيات لدحضها وتصحيح المسار قائلة ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ... ﴾ الآيات.

أقول: فقد وضع الإسلام أساساً متيناً وقاعدة نورانية، وبها ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، حيث أرجع جميع الفضل إلى الإيمان والأعمال الصالحة وأن الأكرم عند الله هو الأتقى ولم يترك للمال والأولاد والجاه والحسب والنسب مجالا للتفاضل والتعالي.

(٢١٧) عناية عمر بتفسير الآيات

(١) عن إبراهيم التيمي قال قال رجل عند عمر: اللهم اجعلني من القليل، فقال عمر: ما هـذا الدعاء الذي تدعوه؟ قال: إني سمعت الله يقول ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[٣] فأنا أدعو الله أن يجعلني من ذلك القليل. فقال عمر: كل الناس أعلم من عمر![٤]

(٢) وعن مسعر قال: سمع عمر رجلا يقول: اللهم اجعلني من القليل. فقال: يا عبدالله

(١) ابن أبي شيبة وعبد بن حميد كما في الدر.
(٢) سورة سبأ: ٣٤ - ٣٨.
(٣) سورة سبأ: ١٣.
(٤) ابن أبي شيبة ٣٢٢/١٠ وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٢٢٩/٥.

ما هذا؟! قال: سمعت الله يقول ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[1] و﴿قَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ وذكر آية أخرى، فقال عمر: كل أحد أفقه من عمر.

آيات سورة فاطر

(٢١٨) كان الخلفاء من المؤمنين السابقين الأولين.

قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾[2].

بيّن الحق سبحانه وتعالى في مطلع الحديث منقبة الذين يتلون كلامه آناء الليل وأطراف النهار ويقيمون الصلاة وينفقون أموالهم سرا وعلانية وقد أعد لهم أجراً عظيماً، ثم يشير إلى صدق القرآن وعلى أنه كتاب منـزل من عند الله عز وجل كالكتب السابقة، بل يشمل تعاليمها، ويتبع ذلك بـ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا ... ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾، ثم تليها تلك الهبة الإلهية والأجر العظيم الذي ينتظر هذه الأمة ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ... ﴾[3]، وأما الذين وقفوا على الطريق وسدوا السبيل على أولياء الله واختاروا الطرف الثاني فيصدق عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ... ﴾[4] الآية.

فهذه الآيات، وآيات أخرى، تقسم الأمة المسلمة إلى ثلاثة أصناف؛ الصّديقين والصالحين وهم الطبقة الأعلى وقد يسمون المقربين، يليها؛ الطبقة الأوسط أي المقتصدون، وهم أصحاب اليمين والأبرار، أما أدناهم؛ فهم الظالمون لأنفسهم الذين آمنوا بالله إلا أن أمواج المعاصي تجرفهم حينا بعد حين ويتداركون الأمر بالتوبة والندامة.

وقد سبق أن بينا أن الخلافة الخاصة لا تـتحقق إلا فيمن كان من السابقين المقربين فيما يخص نفسه، وأما فيما يتعلق بطبقات المؤمنين فكان من السابقين الأولين باعتبار السوابق الإسلامية. فتدبر!

(٢١٩) نـزلت الآية في عمر وأبي جهل بن هشام.

(١) عن الضحاك عن ابن عباس قال: نـزلت هذه الآية ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا...﴾[5] حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب

---

(١) سورة هود: ٤٠.
(٢) سورة فاطر: ٣٢.
(٣) سورة فاطر: ٣٣.
(٤) سورة فاطر: ٣٦.
(٥) سورة فاطر: ٨.

أو بأبي جهل بن هشام" فهدى الله عمر وأضل أباجهل، ففيهما أنـــزلت[١].

(٢٢٠) من حكم عمر رضي الله عنه

(٢) عن سعيد بن المسيب قال: وضع عمر بن الخطاب للناس ثماني عشرة كلمة حِكَمٌ كلها؛

١- ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه[٢].

٢- وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يغلبك.

٣- ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا.

٤- ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومنّ من أساء به الظن.

٥- ومن كتم سره كانت الخيرة في يده.

٦- وعليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء عدة في البلاء.

٧- وعليك بالصدق وإن قتلك.

٨- ولا تعرّض فيما لا يعني.

٩- ولا تسأل عما لم يكن فإن فيما كان شغلا عما لم يكن.

١٠- ولا تطلبنّ حاجتك إلى من لا يحب نجاحها لك.

١١- ولا تهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله.

١٢- ولا تصحب الفجّار لتعلم من فجورهم.

١٣- واعتزل عدوك.

١٤- واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله.

١٥- وتَخشّع عند القبور.

١٦- وذلّ عند الطاعة.

١٧- واستعصم عند المعصية.

١٨- واستشر في أمرك الذين يخشون الله فإن الله تعالى يقول ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾[٣]، [٤].

---

(١) ابن جرير كما في الدر ٥/٢٤٥ ولم أجده في ابن جرير تحت هذه الآية، ومع ذلك ذكره الإمام المؤلف عن الضحاك عن ابن عباس وهو في الدر عن الضحاك، والله أعلم.

(٢) أي أفضل عقاب لمن عصى الله فيك أن تطيع الله فيه.

(٣) سورة فاطر: ٢٨.

(٤) الخطيب في المتفق والمفترق كما في الدر ٥/٢٥٠.

(٢٢١) الصحابة كلهم مغفور لهم.

(٣) عن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له. وقرأ عمر ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ... ﴾ الآية[١].

(٤) وعن عثمان بن عفان أنه أُفْـزِع بهذه الآية، ثم قال: ألا إنَّ سابقنا أهل جهادنا، ألا وإن مقتصدنا أهل حضرنا وظالمنا أهل بدونا[٢].

(٥) وعن صهيب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في المهاجرين: "هم السابقون الشافعون المُدلُّون على ربهم، والذي نفس محمد بيده إنهم ليأتون يوم القيامة وعلى عواتقهم السلاح فيقرعون باب الجنة فيقول لهم الخزنة: من أنتم؟ فيقولون: نحن المهاجرون. فيقول لهم الخزنة: هل حوسبتم؟ فيجثون على ركبهم ويرفعون أيديهم إلى السماء فيقولون: أي رب أ بهذه نحاسب قد خرجنا وتركنا الأهل والمال والولد، فيمثل الله لهم أجنحة من ذهب مخوصة بالزبرجد والياقوت فيطيرون حتى يدخلون الجنة فذلك قوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ... إلى قوله ... وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[٣]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فهم بمنازلهم في الجنة أعرف بمنازلهم في الدنيا"[٤].

آيات سورة يس

(٢٢٢) عظم منـزلة أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه

قـال الله تعالـى ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٥].

تشير هذه الآيات إلى وجود أناس من غير الأنبياء قد شهدت قلوبهم لكلمة الحق وصدقتها، فبدأوا يتبعون سبيل المرسلين في دعوة الناس إلى كلمة الحق المبين، فلهم في الآخرة أجر عظيم يقع تلو مرتبة أجر المرسلين. وتعد هذه من صفات الخلافة الخاصة، فأمعن النظر.

---

(١) العقيلي ٤٤٣/٣ وابن لال وابن مردويه والبيهقي في البعث كما في الدر ٢٥١/٥، ٢٥٢ ورمز لتحسينه السيوطي في الجامع ٢٩/٢ وأعلّه العقيلي بالفضل بن عميرة وقال: لا يتابع على حديثه، ورواه عنه عمرو بن الحصين، وعمرو ضعفوه، قاله الذهبي في الميزان ٣٥٥/٣. وراجع الفيض ٧٩/٤ وقد روي موقوفا كما في الدر.

(٢) سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر.

(٣) سورة فاطر: ٣٤- ٣٥.

(٤) الحاكم ٣٩٩/٣ وقال: غريب الإسناد والمتن. وقال الذهبي: بل كذب وإسناده مظلم، وأبو نعيم في الحلية ١٥٦/١ وابن مردويه كما في الدر ٢٥٣/٥.

(٥) سورة يس: ٢٠- ٢١.

(١) عن أبي بكر الصديق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سورة يس تدعى في التوراة المعمَّة تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا والآخرة وتدفع عنه أهاويل الآخرة، وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة، من قرأها عدلت عشرين حجة ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله ومن كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور وألف يقين وألف بركة وألف رحمة ونزعت عنه كل غل وداء[1].

(٢) وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة فقرأ عندهما يس غفر الله تعالى له بعدد كل حرف منها[2].

(٢٢٣) فضيلة عظيمة لعروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه

(٣) عن عروة قال: قدم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم استأذن ليرجع إلى قومه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم قاتلوك، قال: لو وجدوني نائما ما أيقظوني. فرجع إليهم فدعاهم إلى الإسلام فعصوه وأسمعوه من الأذى. فلما طلع الفجر قام على غرفة فأذن بالصلاة وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتله: مثل عروة مثل صاحب يس دعا قومه إلى الله فقتلوه[3].

(٢٢٤) وما علمناه الشعر!

(٤) عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت:

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا. . .

فقال أبوبكر: يا رسول الله إنما قال الشاعر: كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا.

فأعاده كالأول، فقال أبوبكر: أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما علمك

---

(١) لم أجده عن أبي بكر بل رواه سعيد بن منصور والبيهقي عن حسان بن عطية كما في الدر ٢٥٦/٥ والله أعلم.

(٢) ابن النجار في تاريخه كما في الدر ٢٥٧/٥ وابن عدي ١٨٠١/٥ ورمز السيوطي في الجامع ١٧١/٢ لضعفه. وأبو نعيم في أخبار أصبهان ٣٤٤/٢. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وتعقبه السيوطي في اللآلئ ٤٤٠/٢ وقال: له شاهد. لكن رده الأستاذ الألباني في سلسلة الضعيفة رقم ٥٠، ٦٦/١ وقال: موضوع.

(٣) الحاكم ٦١٥/٣ والبيهقي في الدلائل ٢٩٩/٥، ٣٠٠ وفي إسناده ابن لهيعة ومع ذلك فإنه مرسل. والبيهقي من طريق موسى بن عقبة لكنه منقطع أيضا.

الشعر وما ينبغي لك[١].

(٥) وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن مرداس: أرأيت قولك: أصبح نَهبي ونـــهب العُبيد . . . بين الأقرع وعيـــينة

فقال أبوبكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما أنت بشاعر ولا راوية وما ينبغي لك إنما قال: بين عيـــينة والأقرع[٢]، [٣].

آيات سورة الصافات

(٢٢٥) بشارة ربانية لرسله وأتباعهم المؤمنين الراسخين بالنصر والغلبة

قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[٤].

أصح ما ورد في تفسير كلمة ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ في هذه الآية هو أن المرسلين هم الأنبياء الذين بعثهم الله بالسيف، وقد أمروا أن يخاصموا الكفار ويجاهدوهم في سبيل إعلاء كلمة الله - لا تلك الفئة الذين أرسلهم الله بالبراهين والحجج لإبلاغ دعوة الحق وإتمام الحجة من غير السماح لهم برفع السلاح- والفئة الأولى المجاهدة هم المنصورون في الدنيا والآخرة.

والمراد من ﴿جُندَنَا﴾ أتباع الرسل الذين شرح الله صدورهم للإيمان ونفث في روعهم نصرة الرسول والكفاح لإعلاء كلمة الله. فهم يجاهدون في الله حق جهاده في ركب الرسول أو بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى وهم الغالبون دوما على من جالدهم وقاتلهم.

بعد هذه البشارة الربانية رأينا فئة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا قد امتلأت صدورهم محبة وإيمانا وقد خاضوا معارك في سبيل إعلاء كلمة الله باذلين الغالي والنفيس وقد انتصروا على القريب والبعيد من الأعداء، فمن هنا يتبين لكل من له أدنى عقل أنهم قد تشرفوا بوصف ﴿جُندَنَا﴾ وما أعظم الشرف! وهذا هو المراد.

(٢٢٦) عناية عمر بتفسير الآية

(١) عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب في قوله ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟

---

(١) ابن سعد ٣٨٢/١ وابن أبي حاتم والمرزباني في معجم الشعراء كما في الدر ٣٦٨/٥ وفي إسناده علي ابن زيد بن جدعان وهو ضعيف، ومع ضعفه فإنه مرسل.

(٢) ابن سعد ٢٧٢/٤ كما في الدر، وفيه الواقدي، وله عنده إسناد آخر ورجاله ثقات.

(٣) تشيـــر هاتان الروايتان إلى تفسير الآية رقم ٦٩ من سورة يس ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ...﴾.

(٤) سورة الصافات: ١٧١-١٧٣.

﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾[1] قال: أمثالهم الذين هم مثلهم؛ يجيء أصحاب الرياء مع أصحاب الرياء وأصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر أزواج في الجنة وأزواج في النار[2].

آيات سورة ص

(٢٢٧) منقبة للمؤمنين المهاجرين الأولين

قال الله تعالى ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3].

يشير ظاهر الآيات إلى فئة آمنوا وقت نـزولها، أو أن هذه الجماعة المؤمنة تدخل في عموم اللفظ من غير تخصيصها، كما قرروا في أن سبب النـزول يؤكد العموم في القرآن، وهذه تعد منقبة كبيرة للمهاجرين الأولين.

(١) عن السائب بن يزيد قال: صليت خلف عمر الفجر فقرأ بنا سورة صٓ فسجد فيها، فلما قضى الصلاة قال له رجل: يا أمير المؤمنين ومن عزائم السجود هذه؟ فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها[4].

(٢) عن أبي مريم قال: لما قدم عمر الشام أتى محراب داود فصلى فيه فقرأ سورة صٓ فلما انتهى إلى السجدة سجد[5].

(٢٢٨) عناية عمر بشرح فرق الخليفة من الملك

(٣) عن عمر بن الخطاب أنه سأل طلحة والزبير وكعبا وسلمان: ما الخليفة من الملك[6]، فقال طلحة والزبير: ما ندري. فقال سلمان: الخليفة الذي يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ويقضي بكتاب الله. فقال كعب: ما كنت أحسب أن في المجلس أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري[7].

---

(١) سورة الصافات: ٢٢.
(٢) الحاكم ٢/٤٣٠ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وابن أبي شيبة وابن جرير ٢٣/٤٦ وعبد الرزاق وابن منيع وعبد بن حميد وآخرون كما في الدر ٥/٢٧٢، ٢٧٣.
(٣) سورة صٓ: ٢٨، ٢٩.
(٤) ابن مردويه كما في الدر ٥/٣٠٥.
(٥) ابن أبي شيبة كما في الدر و لم أجده في باب من قال في صٓ سجدة وسجد فيها. والله أعلم.
(٦) أي ما الفرق بينهما.
(٧) الثعلبي كما في الدر ٥/٣٠٦.

(٤) وعن سلمان أن عمر قال له: أنا ملك أم خليفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جبيت[١] من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة، فاستعبر[٢] عمر[٣].

(٥) وعن سليمان بن أبي العوجاء قال قال عمر بن الخطاب: والله ما أدري أ خليفة أنا أم ملك؟ قال قائل: يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقاً، قال: ما هو؟ قال: الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا. فسكت عمر[٤].

(٦) وعن معاوية أنه كان يقول إذا جلس على المنبر: يأيها الناس إن الخلافة ليست بجمع المال ولا بتفريقه ولكن الخلافة العمل بالحق والحكم بالعدل وأخذ الناس بأمر الله[٥].

(٢٢٩) عناية عمر بتفسير الآية

قال الله تعالى ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾[٦].

(٧) وأخرج البخاري[٧] عن عمر قال: نهينا عن التكلف.

آيات سورة الزمر

(٢٣٠) عظم فضائل المؤمنين السابقين المهاجرين في سبيل الله

قال الله تعالى ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٨].

إذا تأمل أحد سياق هذه الآية ودقق النظر فيها سوف يجد أن في ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ و﴿أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ إشارة بالهجرة وحث عليها، وفيها وعود وبشائر للمهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وصبروا على مشاق الهجرة فلهم أجرهم بغير حساب، وكذلك في إضافتهم إلى ضمير الحق سبحانه وتعالى ﴿عبادي﴾ شرف وتعظيم لهم لا يبارى، فما أعظم فضلهم وأرفع مقامهم!

---

(١) جمعت الخراج.
(٢) بكى.
(٣) ابن سعد ٣٠٦/٣ عن الواقدي وفيه كلام معروف.
(٤) ابن سعد أيضا عن الواقدي.
(٥) الثعلبي كما في الدر.
(٦) سورة ص: ٨٦.
(٧) الاعتصام (٧٢٩٣) باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لا يعنيه.
(٨) سورة الزمر: ١٠.

(٢٣١) المتصفون بكمال الإيمان والتقوى من الصحابة

(١) عن ابن عمر أنه تلا هذه الآية ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ... ﴾[١] الآية قال: ذلك عثمان بن عفان، وفي لفظ نـــزلت في عثمان بن عفان[٢].

(٢) وعن ابن عباس في قوله ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ قال: نـــزلت في عمار بن ياسر[٣]. وفي رواية في ابن مسعود وعمار بن ياسر وسالم مولى أبي حذيفة[٤].

(٣) عن مجاهد في قوله ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾[٥]، قال: أرضي واسعة فتهاجروا واعتزلوا الأوثان[٦].

(٢٣٢) بدأت الخصومة والفتن يوم قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٤) عن ابن عمر قال: عشنا برهة من دهرنا وما نرى هذه الآية نـــزلت فينا ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[٧] فقلت: لم نختصم؟ أما نحن فلا نعبد إلا الله وأما ديننا فالإسلام وأما كتابنا فالقرآن لا نغيره أبداً ولا نحرف الكتاب، وأما قبلتنا فالكعبة وأما حرامنا أو حرمنا فواحد وأما نبينا فمحمد، فكيف نختصمُ حتى كفح بعضنا وجه بعض بالسيف، فعرفت أنها نـــزلت فينا[٨].

(٥) عن إبراهيم النخعي قال: أنـــزلت هذه الآية ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قالوا: وما خصومتنا ونحن إخوان، فلما قتل عثمان بن عفان قالوا: هذه خصومة ما بيننا[٩].

(٦) وعن أبي سعيد الخدري قال: لما نـــزلت ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ كنا نقول: ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة؟ فلما كان

---

(١) سورة الزمر: ٩.
(٢) أبو نعيم في الحلية ٥٦/١ وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر وفي إسناده يحيى البكاء وهو ضعيف.
(٣) ابن سعد ٢٥٠/٣ وفيه محمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب.
(٤) جويبر كما في الدر ٣٢٣/٥.
(٥) سورة الزمر: ١٠.
(٦) ابن جرير ٢٠٣/٢٣ وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر.
(٧) سورة الزمر: ٣٠- ٣١.
(٨) الحاكم ٣٥/١، ٥٧٢/٤ وصححـــه، وأبو نعيم في الفتن وابن مردويه وروى نحوه عبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه كما في الدر ٣٢٧/٥ وقال الهيثمي بعد عزوه للطبراني: رجاله ثقات كما في المجمع ١٠٠/٧.
(٩) ابن جرير ٢/٢٤ وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن عساكر، كما في الدر.

يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم هو هذا![1]

(٢٣٣) تعريض جلي لأبي بكر بعظم منـــزلته

(٧) عن علي بن أبي طالب قال ﴿ٱلَّذِى جَآءَ بالــحق﴾؛ مــحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[٢] أبوبكر. قال ابن عساكر: هكذا الرواية "بالحق"[٣]، [٤].

(٨) وعــن أبي هريرة ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ قال: مــحمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾، قال: أبوبكر[٥].

(٢٣٤) عناية علي بشرح فرق الرؤيا الصادقة من الرؤيا الكاذبة

(٩) عن سليم بن عامر أن عمر بن الخطاب قال: للعجب من رؤيا الرجل إنه يبيت فيرى الشيء لم يخطر له على بال فتكون رؤياه كالأخذ باليد، ويرى الرجل الرؤيا فلا يكون رؤياه شيئاً، فقال علي بن أبي طالب: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين: إن الله يقول ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٦] فالله يتوفى الأنفس كلها فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة وما أريت إذا أرسلت إلى أجسادها تلقتها الشياطين في الهوى فكذبتها وأخبرتها بالأباطيل فكذبت فيها، فعجب عمر من قوله[٧].

(٢٣٥) نــزول الآية في هشام بن العاص بن وائل

(١٠) عن عمر بن الخطاب قال: اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص بن وائل أن نهاجر إلى المدينة فخرجت أنا وعياش وفُتن هشام فافتتن. فقدم على عياش أخواه أبوجهل والحارث بن هشام فقالا: إنّ أمك قد نذرت أن لا يظلها ظل ولا يمس رأسها غسل حتى تراك، فقلت: والله إن يريداك إلا أن يفتناك عن دينك وأخرجاك به، وفتنوه فافتتن، قال

---

(١) سعيد بن منصور كما في الدر ٣٢٧/٥.

(٢) سورة الزمر: ٣٣.

(٣) أي مكان " الصدق" في الآية ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

(٤) ابن جرير ٣/٢٤ والماوردي في معرفة الصحابة، وابن عساكر كما في الدر ٣٢٨/٥ وفي إسناد ابن جرير عمر بن إبراهيم بن خالد الكردي كذاب، قاله الدارقطني كما في الميزان ١٨٠/٣.

(٥) ابن مردويه كما في الدر.

(٦) سورة الزمر: ٤٢.

(٧) ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر ٣٢٩/٥.

فنزلت ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[١] قال: فكتب بها إلى هشام فقدم[٢].

(٢٣٦) عظم منزلة الخلفاء الثلاثة[٣]

(١١) وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة فقال: إني رأيت في غداتي هذه كأني أتيت بالمقاليد والموازين، فأما المقاليد هي المفاتيح وأما الموازين فموازينكم هذه التي تزنون بها. وجيء بالموازين فوضعت فيما بين السماء والأرض ثم وضعت في كفة وجيء بالأمة فوضعت في الكفة الأخرى فرجحت بهم. ثم جيء بأبي بكر فوضع في كفة والأمة في كفة فوزنهم. ثم جيء بعمر فوضع في كفة والأمة في كفة فوزنهم ثم جيء بعثمان فوضع في كفةِ والأمة في كفة فوزنهم ثم رفعت الميزان[٤].

(٢٣٧) عناية عثمان بشرح مقاليد السماوات والأرض

(١٢) عن ابن عباس أن عثمان بن عفان جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: أخبرني عن مقاليد السماوات والأرض فقال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير. من قالها إذا أصبح عشر مرات وإذا أمسى أعطاه الله ست خصال. أما أولاهن؛ فيحرس من إبليس وجنوده، وأما الثانية؛ فيعطى قنطارا في الجنة، وأما الثالثة؛ فيزوج من الحور العين، وأما الرابعة؛ فيغفر له ذنوبه، وأما الخامسة؛ فيكون مع إبراهيم في قبته، وأما السادسة؛ فيحضره اثنا عشر ملكا عند موته يبشرونه بالحق ويزفونه من قبره إلى الموقف فإن أصابه شيء من أهاويل يوم القيامة قالوا: لا تخف إنك من الآمنين، ثم يحاسبه الله حسابا يسيرا ثم يؤمر به إلى الجنة يزفونه إلى الجنة من موقفه كما يزف العروس حتى يدخلونه الجنّة بإذن الله والناس في شدة الحساب[٥].

(١٣) وعن أبي هريرة قال: سئل عثمان بن عفان عن مقاليد السماوات والأرض، فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، مقاليد

---

(١) سورة الزمر: ٥٣.
(٢) البيهقي ٩/ ١٤ وابن مردويه كما في الدر ٥/٣٣١.
(٣) تشير هذه الروايات إلى تفسير الآية ٦٣ من سورة الزمر ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾.
(٤) السيوطي في الدر ٥/٣٣٣.
(٥) ابن مردويه كما في الدر ٥/٣٣٤.

السماوات والأرض، ولا حول ولا قوة إلا بالله، من كنوز العرش[1].

(١٤) وعن ابن عمر أن عثمان سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير مقاليد السماوات والأرض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما سألني عنها أحد، تفسيرها؛ لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده. أستغفر الله لا حول ولا قوة إلا بالله الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير[2].

(٢٣٨) يبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر بالجنة.

(١٥) أخرج البخاري ومسلم[3] عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة. وللجنة أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، فقال أبوبكر: يا رسول الله فهل يدعى أحد منها كلها؟ قال: نعم وأرجو أن تكون منهم.

آيات سورة المؤمن

(٢٣٩) تعريض للمؤمنين السابقين المهاجرين بذكر صفاقم البارزة

قد ذكر الحق سبحانه وتعالى في هذه السورة قصة مؤمن آل فرعون الذي اصطفاه الله داعية يدافع عن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ويقف بجواره يسانده في حمل ثقل الدعوة وأداء مسئولياتها، وقد شرح الله صدره بالإيمان ووهبه عزيمة صادقة في إعلاء كلمة الله وإلزام الحجة البالغة ليكون أسوة للصديقين والمحدّثين من هذه الأمة، وليعرف الخبير بأحوال الرسالة بأن الله يصطفي لكل رسول فئة يساندونه ويقفون بجواره وقد أشربوا في قلوبهم حرص إعلاء كلمة الله وأن هذه الجماعة هم أفضل تلك الأمة وخيرة أهلها وينطبق عليهم ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ

---

(١) الحارث بن أبي أسامة وابن مردويه كما في الدر.

(٢) أبو يعلى في الكبير وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٢٠، ٢١ وعزاه السيوطي في الدر ٣٣٤/٥ ليوسف القاضي في سننه وأبي الحسن القطان في المطولات وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه أيضا، وذكره الهيثمي في المجمع ١١٥/١٠ والحافظ في المطالب ٣٦٤/٣ والمنذري في الترغيب ٤٥٩/٢ وقال الهيثمي: فيه الأغلب بن تميم وهو ضعيف.

(٣) البخاري (١٨٩٧) كتاب الصوم باب الريان للصائمين، ومسلم (٢٣٧١) كتاب الزكاة باب فضل من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع البر.

﴿كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[١] وكذلك ما ذكر بعد هذه الحكاية ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ...﴾[٢].

وبهذا يتبين لنا أن جماعة من المؤمنين السابقين من المهاجرين الأولين قد اتصفوا بهذه الصفات وامتلأت قلوبهم بالإيمان وحقق الله على يدهم انتصارات للإسلام، فلا شك أن هذه الإشارات تشملهم وتصدق فيهم هذه البشارات. وهذا هو المراد.

(٢٤٠) عناية عمر بإصلاح الشباب المسلمين

(١) عن يزيد بن الأصم أن رجلا كان ذا بأس وكان يُـعدّ[٣] إلى عمر لبأسه وكان من أهل الشام وأن عمر فقده، فسأل عنه فقيل له: تتابع في هذا الشراب، فدعا عمر كاتبه فقال: أكتب؛ من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليكم، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، ثم دعا وأمر من عنده فدعوا له أن يقبل الله عليه بقلبه وأن يتوب عليه. فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها ويقول ﴿غَافِرِ الذَّنبِ﴾ قد وعدني الله أن يغفر لي، ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ قد حذرني الله عقابه، ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ والطول الخير الكثير ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فلم يزل يرددها على نفسه حتى بكى، ثم نـزع[٤] فأحسن النـزع فبلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه[٥].

(٢) وعن قتادة قال: كان شاب بالمدينة صاحب عبادة وكان عمر محبا له. فانطلق إلى مصر ففسد فجعل لا يمتنع من شر. فقدم على عمر بعض أهله فسأله عن الشاب فقال: لا تسألني عنه، قال: لـم؟ قال: إنه فسد وخلع. فكتب إليه عمر: من عمر إلى فلان: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٦]. فجعل يقرأها على نفسه فأقبل بخير[٧].

---

(١) سورة المؤمن: ٧.
(٢) سورة المؤمن: ٥١.
(٣) أي يرسل العدة.
(٤) تاب.
(٥) عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٥/٣٤٥.
(٦) سورة المؤمن: ١-٣.
(٧) عبد بن حميد كما في الدر.

(٢٤١) عناية عمر بتفسير الآيات

(٣) عن أبي إسحاق السبيعي قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين إني قتلت فهل لي من توبة؟ فقرأ عليه ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾(١) وقال: اعمل ولا تيأس(٢).

(٤) عن قتادة في قوله ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾(٣) قال: إن عمر بن الخطاب قال: يا كعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب في الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل(٤).

(٢٤٢) أبوبكر يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية فيه.

(٥) وأخرج البخاري(٥) عن عروة قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبوبكر فأخذ بمنكبيه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ...﴾(٦).

(٦) وعن عمرو بن العاص قال: ما تُنوول من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء كان أشد من أن طاف بالبيت ضحى فلَقُوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه وقالوا: أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا؟ قال: أنا ذاك. فقام أبوبكر فالتزمه من ورائه ثم قال ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾،(٧) رافعا صوته بذلك وعيناه تسيحان(٨) حتى أرسلوه(٩).

(٧) وعن أنس بن مالك قال: قد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشي عليه

---

(١) سورة المؤمن: ١-٣.
(٢) ابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر.
(٣) سورة المؤمن: ٨
(٤) عبد الرزاق وعبد بن حميد كما في الدر ٣٤٧/٥.
(٥) (٤٨١٥) تفسير سورة المؤمن.
(٦) سورة المؤمن: ٢٨.
(٧) تجريان دمعا.
(٨) سورة المؤمن: ٢٨.
(٩) البيهقي في الدلائل ٢٧٧/٢ وعزاه السيوطي لابن أبي شيبة والحكيم الترمذي وابن مردويه كما في الدر ٣٥٠/٥.

فقام أبوبكر فجعل ينادي: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، قالوا: من هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قحافة. وأخرج الحكيم الترمذي[١] وابن مردويه عن أسماء بنت أبي بكر نحوه[٢].

(٨) وعن علي أنه قال: أيها الناس أخبروني بأشجع الناس، قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبوبكر، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه قريش فهذا يُجَبّبه وهذا يُتَلتله وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدا؟ قال: فوالله ما دنا منا أحد إلا أبوبكر يضرب هذا ويُجبّي هذا ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم! ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى ابتلّت لحيته ثم قال: أنشدكم بالله أ مؤمن آل فرعون خير أم أبوبكر؟ فسكت القوم، فقال: ألا تجيبوني، فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه![٣]

(٢٤٣) سيخرج الدجال من المشرق.

(٩) عن أبي بكر الصديق قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدجال يخرج في أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأنّ وجوههم المجانّ المطرقة[٤]،[٥].

آيات سورة فصلت

(٢٤٤) بشارة المؤمنين المخلصين الثابتين بالفوز في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٦].

---

(١) هكذا ذكره السيوطي في الدر.

(٢) ابن مردويه كما في الدر.

(٣) البزار وأبو نعيم في فضائل الصحابة كما في الدر ٣٥٠/٥ وقال الهيثمي في المجمع ٤١٧/٩ بعد عزوه للبزار: رجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن أبي الحارث وهو ثقة.

(٤) الترمذي (٣٧٢٢) أبواب المناقب باب حديث الطير الذي دعا النبي صلى الله عليه وسلم الخ وابن ماجه (٤٠٧٢) أبواب الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسي ابن مريم... وأحمد ٤/١، ٧، وابن أبي شيبة ١٤٥/١٥ والمروزي في مسند أبي بكر ص ١٠٠ وأبويعلى رقم حديث ٣١، ٣٢، والحاكم ٥٢٧/٤ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: حسن غريب.

(٥) لعل المؤلف الإمام أورد هذه الرواية في تفسير الآية رقم ٧٧ من سورة المؤمن ﴿... فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ...﴾.

(٦) سورة فصلت: ٣٠-٣٣.

بيّن الحق سبحانه وتعالى في هذه الآيات الشريفة أجر الذين أقروا بتوحيد الله عز وجل وقالوا: ربنا الله، ثم استقاموا عليه، ثم بين فضل الذين يدعون إلى الله ويعملون الصالحات وأنهم أحسن المؤمنين إيمانا لوحدة سيرهم وسرائرهم وأنهم منقادون للواحد الديان. وهذه قاعدة عامة في كتاب الله عز وجل. فإذا كان هناك شخص ذو دراية بالغة وفهم رشيد من بين الدعاة وقد ثبت أخباره بالطرق المتواترة فلا شك أنه يدخل في تلك الفئة الجليلة، بل يقف على رأس قائمتهم وتشهد تلك الأحاديث والروايات المستفيضة والمشهورة بمناقبه ويدخل كذلك فيمن قال الله فيهم ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ. . . ﴾[1].

(٢٤٥) عناية عمر بتفسير الآيات

(١) عن عمر بن الخطاب في قوله ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ ... ﴾[2] الآية، قال: أقبلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما يمنعكم من الإسلام فتسوّروا العرب؟ فقالوا: يا محمد ما نفقه ما تقول ولا نسمعه وإن على قلوبنا لغلفا، وأخذ أبوجهل ثوباً فيما بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾! فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: أدعوكم إلى خصلتين أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله. فلما سمعوا شهادة أن لا إله إلا الله ولوا على أدبارهم نفورا وقالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[3]، وقال بعضهم لبعض ﴿ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ...﴾[4]، وهبط جبـريل فقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام، أليس يزعم هؤلاء أن على قلوبـهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقر؟ أفليس يسمعون قولك؟ كيف ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾[5]، لو كان كما زعموا لم ينفروا ولكنهم كاذبون يسمعون ولا ينتفعون به كراهية له. فلما كان من الغد أقبل منهم سبعون رجلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، اعرض علينا الإسلام، فلما عرض عليهم الإسلام أسلموا من آخرهم، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: الحمد لله بالأمس تزعمون أن على قلوبكم غلفا وقلوبكم في أكنة مما ندعوكم إليه وفي

---

(١) سورة هود: ١٧.
(٢) سورة فصلت: ٥.
(٣) سورة صٓ: ٥.
(٤) سورة صٓ: ٦، ٨.
(٥) سورة الإسراء: ٤٦.

آذانكم وقرا، أصبحتم اليوم مسلمين، فقالوا: يا رسول الله كذبنا بالأمس لو كان كذلك ما اهتدينا أبدا ولكن الله الصادق والعباد الكاذبون عليه وهو الغني ونحن الفقراء إليه(١).

(٢٤٦) عناية أبي بكر وعمر بتفسير الآية

(٢) عن أبي بكر الصديق في قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾(٢) قال: الاستقامة ألا يشركوا بالله شيئاً(٣).

(٣) وعن أبي بكر الصديق أنه قال: ما تقولون في هاتين الآيتين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾(٤) فقالوا ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ ثم عملوا بها و ﴿ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على أمره فلم يذنبوا، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ لم يذنبوا. قال: لقد حملتموها على أمر شديد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ يقول: بشرك، و﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ فلم يرجعوا إلى عبادة الأوثان(٥).

(٤) وعن عمر بن الخطاب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قال: استقاموا بطاعته و لم يروغوا روغان الثعلب(٦).

(٥) عن عمر بن الخطاب قال: لو أطقت(٧) الأذان مع الخلافة لأذّنت(٨).

(٦) عن عمر بن الخطاب قال: إن هذا القرآن كلام الله فضعوه على مواضعه ولا تبتغوا فيه هواكم(٩).

---

(١) أبو سهل السري بن سهل الجنديسابوري كما في الدر ٥/٣٦٠ وفي إسناده نافع بن الأزرق من رؤوس الخوارج ذكره الجوزجاني في الضعفاء كما في الميزان واللسان ٦/١١٤ وروى عنه عبد القدوس ولعله ابن حبيب الكلام وقد أجمعوا على تركه كما في الميزان واللسان ٤/٤٥، ٤٦.

(٢) سورة فصلت: ٣٠.

(٣) ابن جرير ٢٤/١١٤، ١١٥ وعزاه السيوطي في الدر ٥/٣٦٣ لعبدالرزاق وسعيد بن منصور ومسدد وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضا. وعبدالله بن المبارك في الزهد ص ١١٠ وفي إسناده سعيد بن نمران ووقع عند ابن جرير والسيوطي ابن عمران ذكره ابن حبان في الثقات ٤/٢٨٩، وقال الحافظ في اللسان ٣/٤٦: مجهول، وبقية رجاله ثقات.

(٤) سورة الأنعام: ٨٢.

(٥) ابن جرير ٢٤/١١٥ والحاكم ٢/٤٤٠ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وأبونعيم في الحلية ١/٣٠ والحكيم الترمذي وابن راهويه وعبد بن حميد وابن مردويه كما في الدر ٥/٣٦٣.

(٦) أحمد في الزهد ص ١١٥ وابن المبارك ص ١١٠ وسعيد بن منصور وعبد بن حكيم والحكيم الترمذي وابن المنذر كما في الدر رجاله ثقات لكنه مرسل لأن الزهري لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

(٧) لو استطعت أن أجمع بين الأذان وأعباء الخلافة لفعلت.

(٨) ابن أبي شيبة ١/٢٢٥ كما في الدر ٥/٣٦٥ ورجاله ثقات.

(٩) أحمد في الزهد كما في الدر ٥/٣٦٦.

(٢٤٧) عظم منـــزلة أهل بدر

(٧) عن ابن عباس في قولـــه ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾[١] قال: أبوجهل بن هشام، ﴿أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أبوبكر الصديق[٢].

(٨) عن بشير بن تميم قال نـــزلت هذه الآية في أبي جهل وعمار بن ياسر ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾: أبوجهل، ﴿أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ عمار[٣]. وعن عكرمة مثله[٤].

(٩) عن ابن عباس في قولـــه ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ قال: هذا لأهل بدر خاصة[٥]. وعن إبراهيم النخعي قال: ذكر أن السماء فرجت يوم بدر فقيل ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾[٦]، [٧].

آيات سورة الشورى

(٢٤٨) تعريض لحال الصحابة وخصوصا الخلفاء الراشدين الأربعة بذكر صفاهم الجليلة

قال الله تعالى ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٨].

في هذه الآيات تعريض لحال الصحابة الكرام ولاسيما الخلفاء ذوي الإحترام وهذه من أدق المفاهيم القرآنية. قبل الخوض فيها نستحضر إلى الأفهام أن التعريض يحصل إذا كانت الآية نصا عاما تشمل صفات عامة إلا أن أشخاصا قد اشتهروا بين الخلائق بصفة خاصة من الصفات المشار إليها في الآية، حيث يلتفت السامع وينصرف ذهنه إليهم عند سماعه لها.

اعلم بأن وصف ﴿ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يعد من أخص صفات المهاجرين

---

(١) سورة فصلت: ٤٠.
(٢) ابن مردويه كما في الدر.
(٣) عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن عساكر كما في الدر.
(٤) ابن عساكر كما في الدر.
(٥) ابن مردويه كما في الدر.
(٦) سورة فصلت: ٤٠.
(٧) عبد بن حميد كما في الدر ٥/٣٦٦.
(٨) سورة الشورى: ٣٦- ٤٣.

الأولين، لأنهم آثروا الإيمان بالله على عشائرهم وقبائلهم وعلى حسبهم ونسبهم وانضموا إلى غربة الإسلام يوم لم تكن له سطوة ولا شوكة، ثم بمجرد الإشارة الربانية إلى الهجرة اعتمدوا على وعود الله وتوكلوا عليه فخاضوا غمار المهالك في طريق الهجرة وتركوا وراءهم أموالهم وأهاليهم مرضاة لله.

ووصف ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ أبرز وصف للصالحين المهتدين من الأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، لأن التهذيب يعني غلبة العقل على القوة البهيمية وانتصاره عليها حتى تطمئن وتسكن ولا تتجاوز حدها، و﴿يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ إشارة إلى خضوع القوى الحيوانية وخنوعها لإدارة العقل السليم، و﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ يرمز إلى ذلك.

ولفظ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ تعريض بأبي يكر الصديق رضي الله عنه الذي رحب بدعوة الحق عند ظهورها واستجاب لنداء الفطرة من غير جدال ولا نقاش، فقد كان يتمتع بقوة التصديق وكمال اليقين حتى صعد المدارج العليا في الطاعة إلى أن استحق اختيار النبي صلى الله عليه وسلم إياه لإمامة الصلاة في حياته صلى الله عليه وسلم.

﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ تعريض بسيدنا عمر بن الخطاب الذي اعتمد في تسييس الحكم على الشورى، فما كان يقدم على شيء إلا بعد استشارة كبار الصحابة. من هنا نجد أن معظم ما أجمع العلماء عليه في الشرع راجع إلى ما أجمع عليه الصحابة في عصر عمر وبتدبير منه. ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ كناية إلى ذي النورين عثمان بن عفان الذي سطع نجم شهرته في الإنفاق في سبيل الله في صدر الإسلام، وقد رفعه سخاؤه هذا إلى هذه البشارات العظيمة وحمله إلى تلك الدرجات العالية في جنان الخلد عند المليك المقتدر.

و﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾ تصوير بسيدنا علي المرتضى الذي توالت الفتن في زمنه وقد وقف تلك الوقفة القوية المشهودة في وجه البغاة. فهو متفرد في هذا المجال.

و﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ ... إلى ... فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ إشارة إلى تجويز الثأر والانتقام، ثم بيان تفضيل العفو والاصلاح عليه، أي تلك الصفة التي تقلدها سيدنا الحسن المجتبى، تلك الصفة التي طالما رددها الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يشير إلى مناقب حفيده قائلاً فيه: "ولدي هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"[1]، مشيراً إلى ضرورة الصلح ونبذ التفرقة والبشرى بنهاية الفتنة ووقوفها على الوحدة، تلك التي تجلت في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

---

(١) البخاري (٢٧٠٤) كتاب الصلح باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي: ابني هذا سيد الخ.

و﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ﴾، تلميح بشباب بني أمية الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم: "هلاك أمتي على أيدي غلمة من قريش".

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ إشارة إلى تلك الفئة من العلماء الأفاضل الذين قادهم الإمام علي ابن الحسين الملقب بزين العباد رضي الله عنه وعن آبائه الكرام الذين تداركوا الأمر ونهوا عن سل السيوف في وجه الخليفة آنذاك، مع كراهتهم لتصرفاته وأعماله خشية الفتنة وإراقة الدماء البريئة. والله أعلم بدقائق كتابه.

(٢٤٩) منزلة أبي بكر في الصلاح والتقوى

(١) عن أبي هريرة أن رجلا شتم أبابكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتعجب ويتبسم فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام، فلحقه أبوبكر فقال: يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت، قال: إنه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان. ثم قال: يا أبابكر، ثلاث هن حق؛ ما من عبد ظُلم بمظلمة فيغضُّ عنها لله إلا أعزه الله بها نصرة، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسئلة يريد بها كثرة إلا زاده الله به قلة[١].

(٢) عن قيلان بن أنس قال: ابتاع أبوبكر جارية أعجمية من رجل قد كان أصابها فحملت له، فأراد أبوبكر أن يطأها فأبت عليه وأخبرت أنها حامل. فرفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنها حفظت فحفظ الله لها، إن أحدكم إذا شجع ذلك المشجع فليس بالخيار على الله، فردها إلى صاحبها الذي باعها[٢].

آيات سورة الزخرف

(٢٥٠) بشارة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بخلافة النبوة بعده

قال الله تعالى ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ

---

(١) أحمد ٤٣٦/٢ متصلا من طريق ابن عجلان عن سعيد عن أبي هريرة، وأبوداود (٤٨٩٦) أبواب الأدب باب في الانتصار، والبخاري في التاريخ الكبير ١ ق ١٠٢/٢ متصلا ومرسلا وقال البخاري: والمرسل أصح. وقال المنذري: في إسناده -أي المتصل- ابن عجلان وفيه مقال وذكر البخاري المرسل وذكر المسند بعده وقال: والأول أصح كما في العون والترغيب ٤٤٦/٣.

(٢) [قيلان عن أنس] أخرجه عبد الرزاق كما في الدر ١٢/٦.

﴿لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[1]. أي يا رسول الله لا ضير إذا رفعناك من الدنيا إلى الرفيق الأعلى قبل أن ننجز وعدنا إياك بالفتح، فإنا منتقمون من الكفار بفئاتهم المتباينة. وإذا أردنا أن نريك ما نعدهم فإنه لم يبق لذلك الأمر وقت طويل وإنا عليهم مقتدرون. فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم، وإن إرسال الوحي إليك شرف وعزة لك ولقومك وسوف تسألون، أو أن المعنى أن القرآن نصيحة لك ولقومك. . . الخ.

فهذا في الظاهر ترديد بين أمرين؛ إما أن يرفع الله تعالى نبيه إلى الرفيق الأعلى قبل إنجاز وعده. وسوف يتصدى للانتقام من الكفار بنفسه وإما أن يبقيه ليريه كيف ينجز وعده. ففي كلا الأمرين -يأيها الرسول- لا تدع الريب يغزو قلبك ويشوش خاطرك لأنك على الحق المبين والصراط المستقيم، وما تنذر به قومك صدق، وما تعدهم واقع لا محالة، إذ لا ريب في علم الله وقدرته.

فتوضح الآيات أن بعض مواعيد الله سوف تنجز في حياته صلى الله عليه وسلم وقسط منها سينجز بعد ارتحاله. وقد ثبت في الأحاديث المتواترة التي لا شك فيها، أنه صلى الله عليه وسلم كان يعد ويبشر أصحابه بفتح بلاد فارس والروم منذ بداية دعوته حتى آخر لحظات حياته، وكان يقول بملء فيه "بأن الله عز وجل سينصر دينه على أهل المدر والوبر[2] بذل ذليل أو عز عزيز. وبما أن هذا الوعد لم يتحقق في حياته صلى الله عليه وسلم لزم أن يتحقق على يد بعض نوابه من بعده تصديقا لرسالته، وهذا يعدّ من صفات الخلافة الخاصة لا محالة. ويرى بعض المفسرين بأن جماعة من قريش يتشرفون بهذه المكانة الظاهرة والباطنة ويرتقون إلى منصب خلافته صلى الله عليه وسلم في قيادة العالم وتقلد هذه المنقبة الجليلة لإعلاء كلمة الله تعالى في الدنيا.

(٢٥١) نـــزول الآية في أبي بكر وطلحة بن عبيد الله

(١) عن محمد بن عثمان المخزومي أن قريشا قالت: قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلا يأخذه، فقيضوا لأبي بكر طلحة بن عبيد الله. فأتاه وهو في القوم فقال أبوبكر: إلى ما تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى. قال أبوبكر: وما اللات؟ قال: ربنا، قال: والعزى؟ قال: بنات الله. فقال أبوبكر: فمن أمهن؟ فسكت طلحة فلم يجبه، فقال طلحة لأصحابه: أجيبوا الرجل. فسكت القوم. فقال طلحة: قم يا أبابكر، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فأنــزل الله ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا...﴾[3] الآية[4].

---

(١) سورة الزخرف: ٤١- ٤٤.
(٢) أهل المدن والبوادي.
(٣) سورة الزخرف: ٣٦.
(٤) ابن أبي حاتم كما في الدر ١٧/٦.

(٢) عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي قال: قرأ علي بن أبي طالب هذه الآية ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ قال: قد ذهب نبيه عليه السلام وبقيت نقمته في عدوه[(١)].

(٢٥٢) منـــزلة قريش عند الله

(٣) عن مجاهد في قوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ قال: يقال مـــمن هذا الرجل؟ فيقال: من العرب، فيقال: من أي العرب؟ فيقال: من قريش. فيقـــال: من أي قريش: فيقال: من بني هاشم[(٢)].

(٤) وعن علي وابن عباس قالا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل بمكة ويعدهم الظهور، فإذا قالوا: لمن الملك بعدك؟ أمسك فلم يجبهم بشيء لأنه لم يؤمر في ذلك بشيء حتى نـــزلت ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ فكان بعد إذا سئل قال: لقريش، فلا يجيبونه حتى قبلته الأنصار على ذلك[(٣)].

(٥) وعن عدي بن حاتم قال: كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألا إن الله علم ما في قلبي من حبي لقومي فشرفني فيهم، فقال ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[(٤)] فجعل الذكر والشرف لقومي في كتابه ثم قال ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٥)] يعني قومي، فالحمد لله الذي جعل الصديق من قومي والشهيد من قومي والأئمة من قومي، إن الله قلب العباد ظهرا وبطنا فكان خير العرب قريشا وهي الشجرة المباركة التي قال الله في كتابه ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[(٦)] يعني قريشا ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يقول أصلها بحرم ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يقول: الشرف الذي شرفهم الله بالإسلام الذي هداهم له وجعلهم أهله ثم أنـــزل فيهم سورة من كتاب الله بمكة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ إلى آخرها[(٧)].

(٦) قال عدي بن حاتم: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده قريش بخير

---

(١) ابن مردويه كما في الدر ١٨/٦.

(٢) ابن جرير ٧٦/٢٥ والشافعي وعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي كما في الدر ١٨/٦.

(٣) ابن عدي ١٢٧٢/٣ وابن مردويه كما في الدر.

(٤) سورة الزخرف: ٤٤.

(٥) سورة الشعراء: ٢١٤، ٢١٥.

(٦) سورة إبراهيم: ٢٤.

(٧) الطبراني وابن مردويه كما في الدر ١٨/٦. وقال الهيثمي في المجمع ٢٤/١٠ بعد عزوه للطبراني: رواه الطبراني وفيه حسين السلولي و لم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

قط إلا سره حتى يستبين ذلك السرور للناس كلهم في وجهه وكان كثيرا ما يتلو هذه الآية ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾.

(٧) وعن القاسم بن محمد عن أبي بكر أو عن عمه عن جده أبي بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ينـزل الله إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل شيء إلا رجل مشرك أو في قلبه شحناء"[١].

آيات سورة الأحقاف

(٢٥٣) قضاء عمر وعثمان وعلي في امرأة ولدت لستة أشهر

(١) عن قتادة عن أبي حرب بن أبي الأسود الدُّؤَلي قال: رفع إلى عمر امرأة ولدت لستة أشهر فسأل عنها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال علي: لا رجم عليها ألا ترى أنه يقول ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا﴾[٢] وقال ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾[٣] وكان الحمل هاهنا ستة أشهر، فتركها عمر. قال: ثم بلغنا أنها ولدت آخر لستة أشهر[٤].

(٢) وعن نافع بن جبير أن ابن عباس أخبره قال: إني لصاحب المرأة التي أتي بها عمر، وضعت لستة أشهر فأنكر الناس ذلك، فقلت لعمر: كيف تظلم؟ قال: كيف؟ قلت: اقرأ ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا﴾ و﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ﴾. قلت: كم الحول؟ قال: سنة. قلت: كم السنة؟ قال: اثنا عشر شهرا. قلت: فأربعة وعشرون شهرا حولان كاملان ويؤخر الله من الحمل ما شاء ويقدم. قال: فاستراح عمر إلى قولي[٥].

(٣) وعن أبي عبيدة مولى عبد الرحمن بن عوف قال: رفعت امرأة إلى عثمان ولدت لستة أشهر فقال عثمان: قد رفعت إلي امرأة ما أراها إلا جاءت بشر. فقال ابن عباس: إذا أكملت الرضاعة كان الحمل ستة أشهر وقرأ ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا﴾ فدرأ

(١) ابن عدي ١٩٤٦/٥ وابن أبي عاصم في السنة ٢٢٢/١ والبزار كما في المجمع ٦٥/٨ والذهبي في الميزان ٦٥٩/٢ والمنذري في الترغيب ٤٥٩/٣ وابن الجوزي في العلل المتناهية ٦٦/٢، ٦٧ وعزاه السيوطي في الدر ٢٧/٦ للبيهقي فقط، وفي إسناده عبد الملك بن عبد الملك والمصعب بن أبي ذئب لا يعرفان كما في الجرح والتعديل ٤ ق ٣٠٦/١، ٣٠٧ بل قال البخاري في الأول في حديثه نظر يعني هذا الحديث كما في الميزان. وقال ابن عدي: هو منكر بهذا الإسناد.

(٢) سورة الأحقاف: ١٥.

(٣) سورة لقمان: ١٤.

(٤) عبدالرزاق ٣٥٠/٧ وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٤٠/٦ والبيهقي ٤٤٢/٧ أيضا، وفي إسناده اضطراب فرواه قتادة مرة عن أبي حرب بن الأسود عن أبيه عن عمر، ومرة عن داود بن القصاف عن أبي حرب عن عمر بغير واسطة أبيه. والله أعلم.

(٥) عبد الرزاق ٣٥٢/٧ وابن المنذر كما في الدر.

عثمان عنها[١].

(٤) وعن ابن عباس أنه كان يقول: إذا ولدت المرأة لتسعة أشهر كفاها من الرضاع أحد وعشرون شهرا وإذا ولدت لسبعة أشهر كفاها من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرا وإذا وضعت لستة أشهر فحولين كاملين لأن الله يقول ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[٢].

(٢٥٤) منقبة عظيمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه نــزلت فيه آيات عديدة.

(٥) عن ابن عباس قال: أنــزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ... ﴾[٣]، فاستجاب الله له فأسلم والداه جميعا وإخوانه وولده كلهم. ونــزلت فيه ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾[٤] إلى آخر السورة[٥].

(٢٥٥) وصية أبي بكر الصديق لعمر الفاروق رضي الله عنهما

(٦) عن مجاهد قال: دعا أبوبكر عمر رضي الله عنهما فقال له: إني موصيك بوصية أن تحفظها. إن لله في الليل حقا لا يقبله بالنهار وحقا بالنهار لا يقبله بالليل. إنه ليس لأحد نافلة حتى يؤدي الفريضة. إنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقل ذلك، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل. وخفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة لاتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يــخف. ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم فيقول القائل: أين يبلغ عملك من عمل هؤلاء؟ وذلك أن الله تعالى تجاوز عن أسوأ أعمالهم، وأن الله تعالى ذكر أهل النار بأسوء أعمالهم حتى يقول القائل: أنا خير عملا من هؤلاء، وذلك بأن الله رد عليهم أحسن أعمالهم، ألم تر أن الله أنــزل آية الشدة عند آية الرجاء وآية الرجاء عند آية الشدة ليكون المؤمن راغبا راهبا لئلا يلقي بيده إلى التهلكة ولا يتمنى على الله أمنية يتمنى فيها غير الحق[٦].

---

(١) عبد الرزاق ٣٥١/٧ وعبد بن حميد كما في الدر.
(٢) سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر ٤٠/٦.
(٣) سورة الأحقاف: ١٥.
(٤) سورة الليل: ٥.
(٥) ابن مردويه كما في الدر ٤١/٦.
(٦) ابن جرير ١٨/٢٦ وهو مع إرساله ضعيف لأن فيه ليثا وفيه كلام معروف.

(٢٥٦) زهد عمر في لذات الدنيا

(٧) عن ابن عمر أن عمر رأى في يد جابر بن عبد الله درهما فقال: ما هذا الدرهم؟ فقال: أريد أشتري لأهلي به لحما قَرِموا إليه[١]، فقال: أكلما اشتهيتم شيئا اشتريتموه؟ أين تذهب عنكم هـذه الآية ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[٢]،[٣].

(٨) وعن سالم بن عبد الله بن عمر أن عمر كان يقول: ما نعني بلذات العيش أن نأمر بصغار المِعْزَى فَتُسْمَط ونأمر بلُباب الحنطة فيخبز لنا ونأمر بالزبيب فينبذ لنا في الأَسْعَان حتى إذا صار مثل عين اليعقوب أكلنا هذا وشربنا هذا ولكنا نريد أن نستبقي طيباتنا لأنا سمعنا الله يقول ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ الآية[٤].

(٩) وعن قتادة ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ قال: تعلمون أن أقواما يشترون حسناتهم في الدنيا استيفاء رجل طيباته إن استطاع، ولا حول ولا قوة إلا بالله... قال: وذكر لنا أن عمر بن الخطاب كان يقول: لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وألينكم لباسا ولكني أستبقي طيباتي[٥].

(١٠) وذكر لنا أن عمر بن الخطاب لما قدم الشام صنع له طعام لم ير قبله مثله، قال: هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ فقال خالد بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر فقال: لئن كان حظنا من هذا الحطام وذهبوا بالجنة لقد بانوا بونًا بعيداً!

(١١) عن جابر بن عبد الله قال: رآني عمر وأنا مُعلّق لحما، فقال: يا جابر ما هذا؟ قلت: لحم اشتريته بدرهم لنسوة عندي قرمن إليه، فقال: أما يشتهي أحدكم شيئا إلا صنعه. أما يجد أحدكم أن يطوي بطنه لجاره وابن عمه؟ أين تذهب هذه الآية ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ قال: فما أنفلَتّ منه حتى كدت أن لا أنفلت[٦].

(١٢) عن حميد بن هلال قال: كان حفص يكثر غشيان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وكان إذا قرب طعامه إتقاه فقال له عمر: ما لك ولطعامنا؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن أهلي

---

(١) اشتهوا وتمنوا.
(٢) سورة الأحقاف: ٢٠.
(٣) الحاكم ٢/٤٥٥ وسعيد بن منصور والبيهقي في الشعب وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٦/٤٢ وفي إسناده القاسم بن عبد الله بن عمر العمري قال أحمد: كان يكذب ويضع الحديث كما في الميزان ٣/٣٧١.
(٤) أبو نعيم في الحلية ١/٤٩ ورجاله موثقون.
(٥) ابن جرير ٢٦/٢١ وعبد بن حميد كما في الدر ٦/٤٢ ورجاله ثقات.
(٦) الموطأ ٤/ ٣١٧ وإسناده منقطع، وأحمد في الزهد ص ١٢٣، ١٢٤ وفيه رجل لم يسم.

يصنعون لي طعاما هو ألين من طعامك فأختار طعامهم على طعامك. فقال: ثكلتك أمك أما ترى أني لو شئت أمرت بشاة فتية سمينة فألقي عنها شعرها ثم أمرت بدقيق فينخل في خرقة فجعل خبزا مرققا، وأمرت بصاع من زبيب فجعل سُعن حتى يكون كدم الغزال. فقال حفص: إني أراك تعرف لين الطعام. فقال عمر: ثكلتك أمك والذي نفسي بيده لولا كراهية أن ينقص من حسناتي يوم القيامة لأَشْرَكْــتُكُم في لين طعامكم[١].

(١٣) وعن الحسن قال: قدم وفد أهل البصرة على عمر مع أبي موسى فكان له كل يوم خبز يُلَتّ فربما وافقناها مأدومة بلبن وربما وافقنا القدائد اليابسة قد دقت ثم أغلي بها وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل. قال وقال لنا عمر: إني والله لقد أرى تقذيركم وكراهيتكم طعامي! أما والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأدقكم عيشا. أما والله ما أجهل عن كراكر وأسنمة وعن صلي وصناب وسلاتي ولكن وجدت الله عيّر قوما بأمر فعلوه فقال ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[٢].

آيات سورة محمد

(٢٥٧) الخلافة الراشدة وسيلة الإصلاح والنجاة.

أنــزل الله عز وجل سورة القتال[٣] ليميز المؤمنين الصادقين من الكفار والمنافقين، فيفرق بين السعداء وبين الجناحين من الأشقياء، ويبين تباين منازلهم وتباعد مراتبهم في الأقوال والأفعال والمآل بأساليب متنوعة. وكذلك يضع البصمة على مكامن الخلافة الخاصة والصفات المنافية لها ويشير إلى وجود هذين الفريقين -المؤمنين والمنافقين- في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. وإن كانت الآيات تخاطب المؤمنين والمنافقين إلى يوم القيامة إلا أنها لا تخلو من التعريض بالموجودين حال نــزولها مثل قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ...﴾[٤] وقوله ﴿...وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[٥] فإنها تدل على وجود الطائفتين آنذاك. وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[٦]؛ لأننا لــمّا شاهدنا النصر والمقدام والثبات في قوم غلب

---

(١) ابن سعد وابن حميد كما في الدر.

(٢) ابن المبارك في الزهد ص ٢٠٤ وأحمد في الزهد وابن سعد ٣/ ٢٧٩، وأبو نعيم في الحلية ١/٤٩ وعبد بن حميد كما في الدر ٦/٤٣ وهو في زوائد الزهد لابن أحمد ص ١١٤ والحلية مختصرا.

(٣) أي سورة محمد.

(٤) سورة محمد: ١.

(٥) سورة محمد: ٢.

(٦) سورة محمد: ٧.

الظن أن ﴿تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ قد تحقق فيهم، وأجر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾[1] الآية، قد أُعدّ لهم، ولأنه ورد في مقابل ﴿قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾[2] و﴿زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾، في مقابل ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ ...﴾[3]. فعلم بالضرورة أن مرادها هم المهاجرون والأنصار، و﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾[4] هي أجرهم، وكذلك تشير إلى أن أعداء الخلافة الراشدة هم المنافقون والفاسقون، ولهم ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ...﴾[5]، ومن قاعدة المفهوم المخالف ندرك بأن الخلافة الراشدة تقتضي الإصلاح في الأرض وصلة الأرحام ووضع كل شيء في مكانه وهذا هو المراد.

(١) عن أبي بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عليكم بـــ لا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما، فإن إبليس قال: أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بـــ لا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء وهم يحسبون أنهم مهتدون[6].

(٢) وعن يحيى بن طلحة بن عبيد الله قال: رأى عمر طلحة حزينا فقال له: مالك؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا نفّس الله عنه كربته وأشرق لونه وأتى ما يسره. وما منعني أن أسأله عنها إلا القدرة عليه حتى مات. فقال عمر إني أعلمها قال: لا تعلم كلمة هي أعظم من كلمة أمر بها عمه؛ لا إله إلا الله. قال: فهي والله[7].

(٣) وعن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة[8].

---

(١) سورة محمد: ١٢.
(٢) سورة محمد: ١٣.
(٣) سورة محمد: ١٤.
(٤) سورة محمد: ١٥.
(٥) سورة محمد: ٢٢.
(٦) أبو يعلى في المسند رقم ١٣١، والمعجم رقم ٢٩١، وابن أبي عاصم في السنة ٩/١ وذكره الهيثمي في المجمع ٢٥٧/١٠ والحافظ في المطالب ١٩٧/٣ وفي إسناده عثمان بن مطر وشيخه ضعيفان كما في تفسير ابن كثير ٤٠٧/١ بل فيه عبد الغفور أيضا، قال البخاري: تركوه. وقال ابن حبان: يضع الحديث كما في الميزان ٦٤١/٢.
(٧) أبو يعلى رقم ٦٥١، وقال الهيثمي في المجمع ٣٢٥/٢: رجاله رجال الصحيح. قلت: يحيى بن طلحة لم يسمع من عمر كما في التهذيب ٢٣٣/١١. ورواه أحمد ١٦١/١ بإسناده عن يحيى بن طلحة عن أبيه وابن حبان ص ٣ عن يحيى عن أمه، فالحديث متصل. وله إسناد آخر عند أبي يعلى حديث رقم ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، وعـــزاه السيوطي في الدر ٦/٦ للبيهقي في الأسماء ١٦٩/١، ١٧٠.
(٨) مسلم (١٣٦) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا.

(٤) وعن بريدة قال: كنت جالسا عند عمر إذ سمع صائحا فقال: يا يرفا، انظر ما هذا الصوت؟ فنظر ثم جاء فقال: جارية من قريش تباع أمها، فقال عمر: ادع المهاجرين والأنصار فلم يمكث إلا ساعة حتى امتلأت الدار والحجرة فحمد الله وأثنى عليه، قال: أما بعد، فهل تعلمونه كان فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم القطيعة، قالوا: لا، قال: فإنها قد أصبحت فيكم فاشية ثم قرأ ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾[١] ثم قال: وأي قطيعة أقطع من ابتياع أم امرءٍ فيكم وقد أوسع الله لكم. قالوا: فاصنع ما بدا لك، فكتب في الآفاق أن لا يبتاع أم حر فإنها قطيعة رحم وإنّه لا يحلُّ[٢].

(٢٥٨) يكرم عمر الشباب الذكي في تفسير الآيات.

(٥) عن عروة قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[٣] فقال شاب من أهل اليمن: بل عليها أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرّجها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدقت. فمازال الشابُّ في نفس عمر حتى وُلّي[٤] فاستعمله[٥].

(٦) وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ فقال شاب عند النبي صلى الله عليه وسلم: بلى والله عليها أقفالها حتى يكون الله هو الذي يفكها. فلما ولّي عمر سأل عن ذلك الشاب ليستعمله، فقيل: قد مات[٦].

من سورة الفتح

(٢٥٩) ذكر فضائل أهل الحديـــبية

فقد أورد الحق سبحانه وتعالى في سورة الفتح دلائل واضحة وبراهين جلية في فضل أهل الحديبية وقد كان الخلفاء منهم، فمنها:

(١) قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ ... ﴾[٧] الآيتين.

---

(١) سورة محمد: ٢٢.
(٢) الحاكم ٢/١٥٨ وصححه ووافقه الذهبي، وابن المنذر كما في الدر ٦/٦٤.
(٣) سورة محمد: ٢٤.
(٤) أي بالخلافة.
(٥) ابن جرير ٢٦/٥٨ وابن راهويه وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر ٦/٦٦ ورجاله ثقات.
(٦) الدارقطني في الأفراد وابن مردويه كما في الدر.
(٧) سورة الفتح: ٤– ٥.

و(٢) قوله﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ...﴾[١] الآية.

(٢٦٠) عظم منـــزلة الخلفاء الثلاثة

و(٣) ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٍ شَدِيدٍ﴾[٢] الآية.

فدلت هذه الآيات على أنه سيوجد داع للجهاد في المستقبل وأن طاعته ستوجب الأجر الكبير والمثوبة العظيمة وأن عصيانه سيسبب العذاب الأليم والعقاب الشديد. وهذا هو معنى الخلافة الخاصة، ولم تتحقق هذه العلامة إلا في الخلفاء الثلاثة، أعظم الله لهم الأجور! وهذا المبحث قد طرقناه بالتفصيل في الباب الثالث[٣].

(٢٦١) بشارة بفتوحات عظيمة على يد الخلفاء في المستقبل

(٢٦٢) مناقب عديدة لكل من الخلفاء الأربعة

و(٤) منها قوله تعالى ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[٤]. وهذه الصفات الجليلة من لوازم الخلافة الخاصة لا محالة.

و(٥) منها قوله تعالى ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ ... ﴾[٥] الآية.

وإذا طابقنا أحوال المثل وصفاته على صفات الممثل له سيتضح لنا خواطر جليلة وسنهتدي إلى معان عظيمة كانت هي من سمات الخلفاء رضي الله عنهم.

(١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فسألته عن شيء ثلاث مرات، فلم يردّ علي. فقلت لنفسي: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، نـــزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فلم يرد عليك، فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينـــزل في القرآن. فما نشبت[٦] أن سمعت صارخا يصرخ بي. فرجعت وأنا أظن أنه نـــزل فيّ شيء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد أنـــزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٧].

---

(١) سورة الفتح: ١٠.
(٢) سورة الفتح: ١٦.
(٣) راجع ص ١١٠- ١١٤.
(٤) سورة الفتح: ٢٩.
(٥) سورة الفتح: ٢٩.
(٦) ما لبثت إلا قليلاً.
(٧) البخاري (٤٨٣٣) تفسير سورة الفتح.

(٢٦٣) بيعة النبي صلى الله عليه وسلم وبيعة خلفائه

(٢) وعن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن جده قال: كانت بيعة النبي صلى الله عليه وسلم حين أنـزل عليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ...﴾[١] الآية. فكانت بيعة النبي صلى الله عليه وسلم التي بايع عليها الناس البيعة لله والطاعة للحق، وكانت بيعة أبي بكر "بايعوني ما أطعت الله فإذا عصيته فلا طاعة لي" وكانت بيعة عمر بن الخطاب البيعة لله والطاعة للحق، وكانت بيعة عثمان البيعة لله والطاعة للحق[٢].

(٢٦٤) نـزلت الآية في خلافة عمر رضي الله عنه.

(٣) قوله ﴿أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال الحسن: هم فارس والروم[٣].

(٤) وعن مجاهد في الآية قال: أعراب فارس وأكراد العجم[٤].

(٥) وعن ابن جريج في قوله ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ...﴾ قال: إن عمر بن الخطاب دعا أعراب المدينة جهينة ومزينة الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى خروجه إلى مكة، دعاهم عمر بن الخطاب إلى قتال فارس. قال ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ إذا دعاكم عمر تكن توبة لتخلّفكم عن النبي صلى الله عليه وسلم و﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ إذا عاكم عمر ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ إذ دعاكم النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٥]،[٦].

(٦) وعن ابن عباس ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال: فارس والروم[٧].

(٢٦٥) قصة بيعة الحديبية

(٧) وعن سلمة بن الأكوع قال: بينا نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس البيعة نـزل روح القدس، فثرنا[٨] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الفتح: ١٠.
(٢) ابن مردويه كما في الدر ٦/٧٢.
(٣) ابن جرير ٢٦/٨٢ وسعيد بن منصور وابن المنذر كما في الدر ٦/٧٣ ورجاله ثقات.
(٤) ابن المنذر والطبراني في الكبير كما في الدر. وقال الهيثمي في المجمع ٧/١٠٧ بعد عزوه للطبراني: فيه محمد بن جابر السحيمي وهو ضعيف يكتب حديثه وبقية رجاله ثقات.
(٥) سورة الفتح: ١٦.
(٦) ابن المنذر كما في الدر ٦/٧٣.
(٧) البغوي في المعالم ٤/ ١٩٨. وابن مردويه كما في الدر.
(٨) وثبنا: ذهـبنا إليه بسرعة.

وهو تحت شجرة فبايعناه فذلك قول الله تعالى ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[١]، فبايع لعثمان إحدى يديه على الأخرى. فقال الناس: هنيئا لابن عفان يطوف بالبيت ونحن ههنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف[٢].

(٨) وعن نافع قال: بلغ عمر بن الخطاب أن ناسا يأتون الشجرة التي بويع تحتها، فأمر بها فقطعت[٣].

(٩) وعن جابر بن عبد الله قال: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنتم خير أهل الأرض[٤].

(١٠) عن عروة قال: لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم الحديبية فزعت قريش لنزوله عليهم فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إليهم، فقال: يا رسول الله إني لا آمن وليس بمكة أحد من بني كعب يغضب لي إن أوذيت، فأرسل عثمان بن عفان. فإن عشيرته بها وإنه يبلغ لك ما أردت. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فأرسله إلى قريش وقال: أخبرهم أنا لم نأت لقتال وإنما جئنا عُمّارا، وادعهم إلى الإسلام. وأمره أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين، ونساء مؤمنات فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم أن الله وشيكا أن يُظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالإيمان. فانطلق عثمان إلى قريش فأخبرهم فارتهنه المشركون ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بالبيعة فاخرجوا على اسم الله فبايعوه. فثار المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة، فبايعوه على أن لا يفروا أبداً. فرعَّبهم الله فأرسلوا من كانوا ارتهنوا من المسلمين ودعوا إلى الموادعة والصلح[٥].

(١١) وعن جابر قال: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة وقال: بايعنا على أن لا نفر و لم نبايعه على الموت[٦].

(١٢) وعن أنس قال: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان

---

(١) سورة الفتح: ١٨.

(٢) ابن جرير ٨٦/٢٦ وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر ٧٣/٢٦ والطبراني وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف كما في المجمع ٨٤/٩.

(٣) ابن أبي شيبة كما في الدر ٧٣/٦.

(٤) راجع ص ٢٠٨.

(٥) البيهقي في الدلائل ١٣٣/٤ وفي إسناده ابن لهيعة وفيه كلام.

(٦) مسلم (٤٨٠٧) كتاب الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال.

ابن عفان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة، فبايع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب بإحدى يديه على الأخرى. فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم[١].

(١٣) عن جابر[٢] ومسلم[٣] عن أم مبشر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة.

(١٤) وعن أبي أمامة الباهلي قال: لما نزلت ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[٤] قلت: يا رسول الله! أنا ممن بايعك تحت الشجرة. قال: يا أبا أمامة أنت مني وأنا منك[٥].

(٢٦٦) بشارات لرسول الله وأصحابه بفتوحات عديدة ومغانم كثيرة في المستقبل

(١٥) وعن عكرمة ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٦] قال: خيبر حيث رجعوا من صلح الحديبية[٧].

(١٦) وعن مجاهد ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾[٨] قال: المغانم الكثيرة التي وعدوا ما يأخذون حتى اليوم، فعجل لكم هذه، قال: عجلت لهم خيبر[٩].

(١٧) وعن ابن عباس ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾[١٠] يعني الفتح[١١].

(١٨) وعن ابن عباس ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾[١٢] يعني خيبر و﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ يعني أهل مكة أن يستحلوا حرم الله أو يُستحل بكم

---

(١) البيهقي كما في الدر ٧٤/٦.
(٢) والصواب أحمد عن جابر. راجع ص ٥٥.
(٣) راجع ص ٥٥.
(٤) سورة الفتح: ١٨.
(٥) ابن مردويه وابن عساكر كما في الدر ٧٤/٦، ٧٥.
(٦) سورة الفتح: ١٨.
(٧) عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر.
(٨) سورة الفتح: ٢٠.
(٩) ابن جرير ٨٩/٢٦ ورجاله ثقات.
(١٠) سورة الفتح: ٢٠.
(١١) ابن جرير وابن مردويه كما في الدر ٧٥/٦ لكن لم أجده في ابن جرير بهذا اللفظ، بل فيه: فعجل لكم هذه قال: الصلح. والله أعلم.
(١٢) سورة الفتح: ٢٠.

وأنتم حُرُم، ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، قال: سنة لمن بعدكم[(١)].

(١٩) وعن مروان والمسور بن مخرمة قالا: انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة فأعطاه الله فيها خيبر ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾؛ خيبر، فقدم النبي صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجيع، واد بين غطفان وخيبر، فتخوف أن يُمدَّهم غطفان فبات به حتى أصبح فغدا عليهم[(٢)].

(٢٠) وعن قتادة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾، قال: هي خيبر، وكف أيدي الناس عنكم. قال: عن بيضتهم وعن عيالهم بالمدينة حين ساروا من المدينة إلى خيبر[(٣)].

(٢١) وعن عطية ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ قال: فتح خيبر[(٤)]. وعن ابن جريج في قوله ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾، قال: اجتمع الحليفان أسد وغطفان، عليهم عيينة بن حصن معه مالك بن عوف بن النضر أبوالنضر وأهل خيبر على بير معونة، فألقى الله في قلوبهم الرعب فانهزموا ولم يلقوا النبي صلى الله عليه وسلم. وفي قوله ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[(٥)]، أسد وغطفان، ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ...﴾ حتى ﴿... وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[(٦)] يقول ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾[(٧)] أن لا يقاتل أحد نبيه إلا أخذه الله فقتله أو رعبه فانهزم، ولم يسمع به عدوّ إلا انهزموا واستسلموا[(٨)].

(٢٢) وعن ابن عباس رضي الله عنه ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾[(٩)] قال: هذه الفتوح التي تفتح إلى اليوم[(١٠)].

(٢٣) وعن أبي الأسود الديلمي أن الزبير بن العوام لما قدم البصرة دخل بيت المال فإذا هو بصفراء وبيضاء فقال: يقول الله ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ .... وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾[(١١)] فقال: هذا لنا[(١)].

---

(١) ابن مردويه كما في الدر.
(٢) ابن مردويه والبيهقي في الدلائل ٤/١٩٧ كما في الدر ٦/٧٥ وإسناده حسن.
(٣) ابن جرير ٢٦/٩٠ وعبد بن حميد كما في الدر، وفي ابن جرير "بيوهم" مكان "بيضتهم".
(٤) عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر.
(٥) سورة الفتح: ٢٢.
(٦) سورة الفتح: ٢٣.
(٧) سورة الأحزاب: ٣٨.
(٨) ابن المنذر كما في الدر.
(٩) سورة الفتح: ٢١.
(١٠) عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل كما في الدر.
(١١) سورة الفتح: ٢٠- ٢١.

(٢٤) عن علي وابن عباس قالا في قوله تعالى ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ فتوح من لدن خيبر تلوها وتغنمون ما فيها، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ من ذلك خيبر، ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ﴾ قريش ﴿عَنكُمْ﴾ بالصلح يوم الحديبية ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ شاهدة على ما بعدها، دليلا على إنجازها ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾، على علم وقتها، أفْتاها عليكم[٢] فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ قضى الله بها أنها لكم[٣].

(٢٥) وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ قال: فارس والروم. وعن عطية[٤] ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ قال: فتح فارس[٥].

(٢٦) وعن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين: اتّهموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا. فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: ففيم نعطى الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً، فرجع متغيظاً فلم يصبر حتى جاء أبابكر، فقال: يا أبابكر ألسنا على الحق وهم أهل الباطل؟ قال: بلى، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: ففيم نعطى الدنيّة في ديننا؟ قال: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً، فنـزلت سورة الفتح. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر فأقرأه إياها، قال: يا رسول الله أفتح هو؟ قال: نعم[٦].

(٢٧) عن أبي إدريس عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ لو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾. فبلغ ذلك عمر فاشتد عليه فبعث إليه فدخل. فدعا ناسا من أصحابه فيهم زيد بن ثابت، فقال: من يقرأ فيكم سورة الفتح؟ فقرأ زيد على قراءتنا اليوم، فغلظ له عمر فقال أبي: أتكلم؟ قال: تكلم. فقال: لقد علمت أني كنت أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ويقرئني وأنت بالباب. فإن أحببت أن أقرئ الناس على ما أقرأني أقرأت، وإلا لم أُقرئ حرفا ما حييت. قال: بل أقرِء الناس[٧].

---

(١) ابن أبي شيبة كما في الدر.
(٢) أعطاها لكم.
(٣) ابن عساكر كما في الدر.
(٤) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر.
(٥) سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي كما في الدر.
(٦) البخاري (٤٨٤٤) تفسير سورةالفتح، ومسلم (٤٦٣٣) كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية.
(٧) الحاكم ٢/٢٢٥ وقال: على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي والنسائي في الكبرى كما في الدر ٦/٧٩.

(٢٨) وعن حمران أن عثمان قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حُرِّم عليه النار". فقال عمر بن الخطاب: أنا أحدثكم ما هي؟ كلمة الإخلاص التي ألزمها الله محمداً وأصحابه[١] وهي كلمة التقوى ألاَصَ عليها نبي الله عمه أباطالب عند الموت شهادة أن لا إله إلا الله[٢].

(٢٦٧) نعت النبي ﷺ ونعت خلفائه وأصحابه مكتوب في التوراة والإنجيل والقرآن.

(٢٩) وعن عائشة قالت: لما مات سعد بن معاذ حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وعمر. فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[٣]. قيل: فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع؟ فقالت: كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وَجَدَ[٤] فإنما هو آخذ بلحيته[٥].

(٣٠) وعن ابن عباس ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾، يعني نعتهم مكتوب في التوراة والإنجيل قبل أن يخلق الله السماوات والأرض[٦].

(٣١) وعن عمار مولى بني هاشم قال: سألت أباهريرة عن القدر[٧]، قال: اكتف منه بآخر سورة الفتح ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[٨] إلى آخرها، يعني أن الله نعتهم قبل أن يخلقهم[٩].

(٣٢) عن ابن عباس في قوله ﴿كَزَرۡعٍ﴾ قال: أصل الزرع عبد المطلب ﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بأبي بكر ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ بعمر ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ بعثمان ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ بعلي[١٠].

(٣٣) وعن ابن عباس ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أبوبكر و﴿أَشِدَّآءُ عَلَى

---

(١) في قوله تعالى ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَا﴾ سورة الفتح: ٢٦.

(٢) أحمد ٦٣/١ وقال الهيثمي في المجمع ١٥/١: لعمر حديث رواه ابن ماجه بغير هذا السياق ورجاله ثقات. وعزاه المتقي في الكنز ٢٩٣/١، ٢٩٤ لأبي يعلى وهو في الكبير.

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

(٤) حزن.

(٥) ابن سعد ٤٢٣/٣ وابن أبي شيبة ٣٩٤/٣ كما في الدر ٨٢/٦ وإسناده صحيح.

(٦) ابن جرير ١١٢/٢٦ وابن مردويه وابن المنذر كما في الدر ٦٣/٦ ورجاله ثقات.

(٧) أي عن قدر الصحابة ومنزلتهم.

(٨) سورة الفتح: ٢٩.

(٩) أبو نعيم في الحلية وابن المنذر وأبو عبيد كما في الدر ٨٣/٦.

(١٠) ابن مردويه والخطيب وابن عساكر كما في الدر ٨٣/٢.

﴿ٱلْكُفَّارِ﴾ عمـر ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ علي ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ طلحة والزبير ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبوعبيدة بن الجراح ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بأبي بكر ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ بعمر ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ بعثمان ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ بعلي ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[١] جميع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم[٢].

آيات سورة الحجرات

(٢٦٨) نـزلت آيات في الشيخين رضي الله عنهما.

وقد ذكر الحق سبحانه وتعالى في سورة الحجرات دلائل باهرة على فضل الخلفاء رضي الله عنهم، منها قوله تعالى:

(١) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

وقد أكدت الروايات المستفيضة أن الشيخين (أبابكر وعمر) كانا سبب نـزولها ومصداقها.

(٢) وكذلك قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ ...﴾[٤] الآية، مقابل قول الأعراب ﴿آمنّا﴾.

(١) عن عبدالله بن الزبير قال: قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبوبكر: أمّـر القعـقاع بن معبد. وقال عمر: بل أمّـر الأقرع بن حابس. فقال أبوبكر: ما أردت إلا خلافي. فقال عمر: ما أردت خلافك. فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فأنـزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٥] حتى انقضت الآية[٦].

(٢) عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا؛ أبوبكر وعمر، رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس وأشار

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.
(٢) ابن مردويـه والقلطي وأحـمد بن محمد الزهري في فضائل الخلفاء الأربعة والشيرازي في الألقاب كما في الدر.
(٣) سورة الحجرات: ٣
(٤) سورة الحجرات: ١٥.
(٥) سورة الحجرات: ١.
(٦) البخاري (٤٨٤٧) تفسير سورة الحجرات.

الآخر برجل. فقال أبوبكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك. فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنــزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ...﴾ الآية[١].

(٣) قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمِع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه.

(٤) عن أبي بكرالصديق قال: لما نــزلت هذه الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾. قلت: يا رسول الله والله لا أكلمك إلا كأخي السرار[٢].

(٥) عن أبي هريرة قال: لما نــزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾، قال أبوبكر: والذي أنــزل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله[٣].

(٢٦٩) منقبة ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه

(٦) عن عطاء الخراساني قال: قدمت المدينة فلقيت رجلاً من الأنصار قلت: حدّثني حديث ثابت بن قيس بن شماس قال: قم معي، فانطلقت معه حتى دخلنا على امرأة. فقال الرجل: هذه ابنة ثابت بن قيس بن شماس. فسلها عما بدا لك. فقلت: حدثيني، قالت: سمعت أبي يقول: لما أنــزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية، دخل بيته وأغلق عليه بابه وطفق يبكي. فافتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما شأن ثابت؟ فقالوا: يا رسول الله ما ندري ما شأنه، غير أنه أغلق باب بيته فهو يبكي فيه. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فسأله: ما شأنك؟ قال: يا رسول الله، أنــزل الله عليك هذه الآية، وأنا شديد الصوت فأخاف أن أكون قد حبط عملي. فقال: لست منهم، بل تعيش بخير، وتموت بخير. قالت: ثم أنــزل الله على نبيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٤] فأغلق عليه بابه وطفق يبكي فيه، فافتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ما شأن ثابت؟ قالوا: يا رسول الله، والله ما ندري ما شأنه غير أنه أغلق عليه باب بيته وطفق يبكي فيه. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فقال: ما شأنك؟ فقال: يا رسول الله أنــزل الله عليك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ والله إني لأحب الجمال وأحب أن أسود قومي. قال:

---

(١) البخاري (٤٨٤٥) تفسير سورة الحجرات.

(٢) ابن عدي ٨٣٠/٢ والحاكم ٧٤/٣ والبزار كما في المجمع ١٠٨/٧ وقال الهيثمي: فيه حصين بن عمر الأحمسي وهو متروك وقد وثقه العجلي. وقال الحاكم: صحيح الإسناد لكن قال الذهبي: حصين واه. وعزاه السيوطي لابن مردويه أيضا في الدر المنثور ٨٤/٦.

(٣) الــحاكم ٤٦٢/٢ وقال: على شرط مسلم ووافقه الذهبي وعبد بن حميد والبيهقي في الشعب كما في الدر.

(٤) سورة لقمان: ١٨.

لست منهم، بل تعيش حميداً وتقتل شهيداً ويدخلك الله الجنة بسلام. قالت: فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب فلما التقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكشفوا. فقال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم حفر كل واحد منهم لنفسه حفرة وحمل عليهم القوم فثبتا حتى قتلا. وكانت على ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها. فبينا رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت بن قيس في منامه فقال: إني أوصيك بوصية إياك أن تقول هذا حلم فتضيعه. إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنـــزله في أقصى العسكر، وعند خبائه فرس يَستَنُّ في طِوَله، وقد كفا على الدرع برمةً، وجعل فوق البرمة رحلا. فأت خالد بن الوليد فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها. وإذا قدمت إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن عليّ من الدين كذا وكذا ولي من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق وفلان. فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه. فأتى الرجل خالد بن الوليد فأخبره، فبعث إلى الدرع فنظر إلى خباء في أقصى العسكر فإذا عنده فرس يستن في طوله. فنظر في الخباء فإذا ليس فيه أحد فدخلوا فرفعوا الرحل فإذا تحته برمة ثم رفعوا البرمة فإذا الدرع تحتها. فأتوا به خالد بن الوليد، فلما قدموا المدينة حدث الرجل أبابكر برؤياه فأجاز وصيته بعد موته. فلم نعلم أحداً من المسلمين جوز وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس بن شماس(١).

(٢٧٠) عناية عمر بتفسير الآية

(٧) عن مجاهد قال كُتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها؟ فكتب عمر: إن الذين يشتهون ولا يعملون بها ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾(٢)(٣).

(٢٧١) أمثلة رائعة من سيرة الشيخين أبي بكر وعمر

(٨) وعن عمر بن الخطاب قال: من تعرّض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن، ومن كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك

---

(١) الحاكم ٣/٢٣٥ والطبراني والبغوي وابن المنذر وابن مردويه والخطيب في المتفق والمفترق كما في الدر ٣/٨٥ وقال الهيثمي في المجمع ٩/٣٢١ بعد عزوه للطبراني: وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها وبقية رجاله رجال الصحيح. والظاهر أن بنت ثابت بن قيس صحابية فإنها قالت سمعت أبي. والله أعلم.

(٢) سورة الحجرات: ٣.

(٣) أحمد في الزهد كما في الدر ٦/٨٦.

منه ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً، وأكثر في اكتساب الإخوان فإنهم جنة عند الرخاء وعدة عند البلاء، وآخ الإخوان على قدر التقوى وشاور في أمرك الذين يخافون الله[١].

(٩) عن عبد الرحمن بن عوف أنه حرس مع عمر بن الخطاب ليلة بالمدينة فبينما يمشون بدا لهم سراج في بيت فانطلقوا يؤمُّونه فلما دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط. فقال عمر وأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف: أ تدري بيت من هذا؟ قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب. قال عمر: فما ترى؟ قال: أرى أنْ قد أتينا ما نهى الله عنه. قال الله ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾[٢] فقد تجسسنا، فانصرف عمر عنهم وتركهم[٣].

(١٠) وعن الشعبي أن عمر بن الخطاب فقد رجلاً من أصحابه. فقال لابن عوف: انطلق إلى منـــزل فلان فانظر، فأتيا منـــزله فوجدا بابه مفتوحا وهو جالس وامرأته تصب له في إناء، فتُناوله إياه. فقال عمر لابن عوف: هذا الذي شغله عنا. فقال ابن عوف لعمر: وما يدريك ما في الإناء؟ فقال عمر: أ تخاف أن يكون هذا التجسس؟ قال: بل هو التجسس. قال: وما التوبة من هذا؟ قال: لا تعلمه بما اطلعت عليه من أمره ولا تظنن في نفسك إلا خيراً، ثم انصرفا[٤].

(١١) وعن الحسن قال: أتى عمر بن الخطاب رجل، فقال: إن فلانا لا يصحو. فدخل عليه عمر فقال: إني لأجد ريح شراب يا فلان أنت بهذا؟[٥] فقال الرجل: يا ابن الخطاب وأنت بهذا؟ ألم ينهك الله أن تجسس![٦] فعرفها عمر فانطلق وتركه[٧].

(١٢) وعن ثور الكندي أن عمر بن الخطاب كان يعسُّ بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسوَّر عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر، فقال: يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته؟ فقال: وأنت يا أمير المؤمنين لا تعجل علي إن أكن عصيت الله واحدة، فقد عصيت الله في ثلاث. قال ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾[٨] فقد تجسست، وقال ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[٩] وقد تسورت علي ودخلت علي بغير إذن وقال الله تعالى ﴿لَا تَدْخُلُوا۟

---

(١) الزبير بن بكار في الموفقيات كما في الدر ٩٢/٦.
(٢) سورة الحجرات: ١٢.
(٣) عبدالرزاق وعبد بن حميد والخرائطي في مكارم الأخلاق كما في الدر ٩٣/٦.
(٤) سعيد بن منصور وابن المنذر كما في الدر ٩٣/٦.
(٥) أي هل أنت ابتليت بهذا الحرام؟
(٦) أي؛ وهل ابتليت أنت بهذا الممنوع. ألم ينهك الله عن التجسس؟
(٧) سعيد بن منصور وابن المنذر كما في الدر.
(٨) سورة الحجرات: ١٢.
(٩) سورة البقرة: ١٨٩.

﴿بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[١]. قال عمر: فهل عندكم من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم، فعفا عنه وخرج وتركه[٢].

(١٣) عن أنس قال: كانت العرب تخدم بعضها بعضا في الأسفار، وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمهما، فناما فاستيقظا ولم يهيئ لهما طعاماً. فقالا: إن هذا لنُوَم. فأيقظاه، فقالا: إيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له: إن أبابكر وعمر يقرآنك السلام ويستأذنانك. فقال: إنهما ايتدما، فجاءا فقالا: يا رسول الله بأي شيء ايتدمنا؟ قال: بلحم أخيكما، والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين ثناياكما. فقالا: استغفر لنا يا رسول الله. قال: مراه فليستغفر لكما[٣].

(١٤) وعن يحيى بن أبي كثير أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان في سفر ومعه أبوبكر وعمر فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه لحما، قال: أو ليس قد ظللتم من اللحم شباعا؟ قالوا: من أين؟ فوالله مالنا باللحم عهد منذ أيام. فقال: من لحم صاحبكم الذي ذكرتم. قالوا: يا نبي الله إنما قلنا: والله إنه لضعيف ما يعيننا على شيء. قال: وذلك فلا تقولوا، فرجع إليهم الرجل فأخبرهم بالذي قال. فجاء أبوبكر فقال: يا نبي الله طأ على صماخي واستغفر لي، ففعل. وجاء عمر فقال: يا نبي الله طأ على صماخي واستغفر لي، ففعل[٤].

آيات سورة ق

(٢٧٢) عناية أبي بكر بتفسير الآية

(١) عن عائشة قالت: لما حضرت أبابكر الوفاة قلت:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال أبوبكر: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ الحق بالموت، ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[٥] قدم الحق وأخر الموت[٦].

(٢) عن عبد الله بن البهي مولى الزبير بن العوام قال: لما حضر أبوبكر رضي الله عنه تمثلت عائشة بهذا البيت:

أعاذل ما يغني الحذار عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق به الصدر

---

(١) سورة النور: ٢٧.
(٢) الخرائطي في مكارم الأخلاق كما في الدر.
(٣) الضياء في المختارة كما في الدر ٦/٩٥.
(٤) الحكيم الترمذي في النوادر كما في الدر.
(٥) في الآية ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ق : ١٩.
(٦) أبو عبيد في فضائله وابن المنذر كما في الدر ٦/١٠٥.

فقال أبوبكر: ليس كذلك يا بنية، ولكن قولي ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[1][2].

(٢٧٣) عناية عثمان بتفسير الآية

(٣) عن عثمان بن عفان أنه قرأ من سورة ق ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[3] قال سائق يسوقها إلى أمر الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت[4].

(٢٧٤) عناية عمر بتفسير الآية

(٤) عن عمر بن الخطاب في قوله ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾[5] قال: ركعتان بعد المغرب و﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[6] قال: ركعتان قبل الفجر[7].

(٢٧٥) سيحشر الشيخان أبوبكر وعمر يوم القيامة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٥) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبوبكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة. وتلا ابن عمر ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ...﴾[8] الآية[9].

---

(١) سورة ق: ١٩.

(٢) أحمد في الزهد ص ١٠٩ وإسناده حسن وله إسناد آخر عند ابن جرير ٢٦/١٦٠. ذكره السيوطي في الدر ٦/١٠٥.

(٣) سورة ق: ٢١.

(٤) ابن جرير ٢٦/١٦٠ وعبدالرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم في الكنى وابن مردويه والبيهقي في البعث وابن عساكر كما في الدر ٦/١٠٥.

(٥) سورة ق: ٤٠.

(٦) سورة الطور: ٤٩.

(٧) ابن المنذر ومحمد بن نصر في الصلاة كما في الدر ٦/١١٠.

(٨) سورة ق: ٤٤.

(٩) الحاكم ٢/٤٦٥ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي وقال: عبدالله ضعيف. وابن عدي ٥/١٨٧٠ والترمذي (٣٦٩٢) أبواب المناقب باب أنا أول من تنشق عنه الأرض... الخ وقال: حسن غريب. ورمز السيوطي في الجامع ١/١٠٦ لتحسينه، لكن في إسناده عبدالله ضعيف كما قال الذهبي وشيخه عاصم بن عمر العمري أيضاً ضعيف كما في التقريب ص ٢٤٥.

آيات سورة الذاريات

(٢٧٦) تأديب عمر المتكلف في القرآن الكريم

(١) عن سعيد بن المسيب قال: جاء صبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب فقال: أخبرني عن ﴿ٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾[١]. قال: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن ﴿ٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ قال: هي السحاب، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن ﴿ٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾. قال: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن ﴿ٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ قال: هن الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته. ثم أمر به فضُرب مائة وجعل في بيت. فلما برأ دعاه فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب إلى أبي موسى الأشعري؛ امنع الناس من مـــجالسته. فلم يزالوا كذلك حتى أتى أباموسى فحلف له بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً. فكتب في ذلك إلى عمر فكتب عمر: ما إخاله إلا قد صدق، فخلى بينه وبين مجالسة الناس[٢].

(٢) وعن الحسن قال: سأل صبيغ التميمي عمر بن الخطاب عن ﴿ٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ وعن ﴿ٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾[٣] وعن ﴿ٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾[٤] فقال عمر: اكشف رأسك، فإذا له ضفيرتان، فقال: والله لو وجدتك محلوقاً لضربت عنقك: فكتب إلى أبي موسى الأشعري حتى أن لا يكلمه مسلم ولا يجالسه[٥].

آيات سورة الطور

(٢٧٧) شدة خوف عمر من عذاب الله

(١) عن الحسن أن عمر بن الخطاب قرأ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾[٦] فربا لها ربوة عيد[٧] لها عشرين يوما[٨].

---

(١) سورة الذاريات: ١.

(٢) قال: جاء مبيغ: أخرجه البزار والدارقطني في الأفراد وابن مردويه وابن عساكر كما في الدر ١١١/٦ وقال الهيثمي في المجمع ١١٣/٧ بعد عزوه للبزار: فيه أبوبكر بن أبي سبرة وهو متروك وذكره المتقي في الكنـــز ٥١١/٢.

(٣) سورة المرسلات: ١.

(٤) النازعات: ١.

(٥) الفريابي كما في الدر وابن الأنباري في المصاحف عن ابن سيرين كما في الكنـــز ٥١١/٢.

(٦) سورة الطور: ٧.

(٧) أي زفر زفرة وسقط مريضاً يعوده الناس.

(٨) أبو عبيد في فضائله كما في الدر ١١٨/٦.

(٢) وعن مالك بن مغول قال: قرأ عمر ﴿وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾[١] قال: قسمٌ إلى قوله ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ فبكى ثم بكى حتى عيد من وجعه ذلك[٢].

آيات سورة النجم

(٢٧٨) تحذير عمر من الرأي على الدين

(١) عن عمر بن الخطاب قال: إحذروا هذا الرأي على الدين. فإنما كان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبا لأن الله كان يريه. وإنما هو منا تكلف وظن و﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[٣][٤].

(٢) عن سبرة قال صلى بنا عمر بن الخطاب الفجر فقرأ في الركعة الأولى بسورة يوسف ثم قرأ في الثانية ﴿ٱلنَّجْمِ﴾ فسجد[٥] ثم قام فقرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ ثم ركع[٦].

من سورة القمر

(٢٧٩) عناية عمر بتأويل آيات في غزوة بدر

(١) عن أبي هريرة قال: أنزل الله على نبيه بمكة قبل يوم بدر ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[٧] قال عمر بن الخطاب قلت: يا رسول الله أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتا بالسيف وهو يقول ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فكان ليوم بدر، فأنزل الله فيهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾[٨] الآية. وأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾[٩] الآية. ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسعتهم الرمية[١٠] وملأت أعينهم وأفواههم حتى إن الرجل

---

(١) سورة الطور: ١ – ٣.
(٢) أحمد في الزهد كما في الدر ١١٨/٦.
(٣) سورة النجم: ٢٨.
(٤) ابن أبي حاتم كما في الدر ١٢٧/٦.
(٥) أي؛ سجدة التلاوة.
(٦) سعيد بن منصور كما في الدر ١٣٢/٦ لكنه عندي وهم والصواب عن حصين بن سبرة، وسيأتي الصواب في مناقب عمر رضي الله عنه في بيان مذهبه.
(٧) سورة القمر: ٤٥.
(٨) سورة المؤمنون: ٦٤.
(٩) سورة إبراهيم: ٢٨.
(١٠) أخذ صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصى ورماهم بها ثم قال: "شاهت الوجوه"، فوسعتهم جميعاً،

ليقتل وهو يقذي عينيه وفاه، فأنـزل الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[(١)(٢)].

(٢) وعن عكرمة قال: لما نـزلت ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ قال عمر: جعلت أقول أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع وهو يقول ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فعرفت تأويلها يومئذ[(٣)].

آيات سورة الرحمن

(٢٨٠) نـزلت الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(١) عن ابن شوذب في قوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[(٤)] قال: نـزلت في أبي بكر الصديق[(٥)].

(٢) وعن عطاء أن أبابكر الصديق ذكر ذات يوم وفكّر في القيامة والموازين والجنة والنار وصفوف الملائكة وطي السماوات ونسف الجبال وتكوير الشمس وانتثار الكواكب فقال: وددت أني كنت خَضرا من هذه الـخُضَر تأتي علي بهيمة فتأكلني وأني لم أخلق. فنـزلت هذه الآية ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[(٦)].

(٢٨١) يشهد عمر لشاب خاف مقام ربه أن له جنتين.

(٣) عن الحسن قال: كان شاب على عهد عمر بن الخطاب ملازم المسجد والعبادة فعشقته جارية فأتته في خلوة فكلمته. فحدث نفسه بذلك فشهق شهقة فغشي عليه، فجاء عم له فحمله إلى بيته، فلمّا أفاق قال: يا عم، انطلق إلى عمر فأقرئه مني السلام. وقل له: ما جزاء من خاف مقام ربه؟ فانطلق عمه فأخبر عمر وقد شهق الفتى شهقة أخرى، فمات منها. فوقف عليه عمر فقال: لك جنتان، لك جنتان[(٧)].

فما من المشركين أحد إلا أصاب عينه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة.

(١) سورة الأنفال: ١٧.

(٢) ابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه كما في الدر ١٣٦/٦، ١٣٧.

(٣) ابن جرير ١٠٨/٢٧ وعبدالرزاق وابن أبي شيبة وابن راهويه وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر، ورجاله ثقات.

(٤) سورة الرحمن: ٤٦.

(٥) ابن أبي حاتم كما في الدر ١٤٥/٦.

(٦) ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة كما في الدر ١٤٦/٦.

(٧) البيهقي في الشعب كمافي الدر ١٤٧/١.

(٢٨٢) عناية عمر بتفسير الآية

(٤) عن عمر بن الخطاب قال: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد أ في الجنة فاكهة؟ قال: نعم، فيها ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[١]. قالوا: فيأكلون كما يأكلون في الدنيا. قال: نعم وأضعافه، قالوا: فيقضون الحوائج قال: لا ولكنهم يَعْرقون ويَرشَحُون ويذهب الله ما في بطونهم من أذى[٢].

آيات سورة الواقعة

(٢٨٣) ذكر مراتب المؤمنين السابقين والمقربين ومنهم الخلفاء الأربعة

قسم الحق سبحانه وتعالى في هذه السورة المكلفين إلى ثلاثة أصناف: السابقين المقربين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

ثم صنف أصحاب الشمال إلى مجموعتين اثنتين: كفار وفساق. ثم ذكر مآل القسم الأول وتفصيل أمره وأوقف الأمر على الفساق. وجعل مقام السابقين المقربين في أعلى المراتب وبين أنهم ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾[٣] ثم ذكر شأن أصحاب اليمين وجعلهم أقل قدرا من المقربين وبين أن منهم ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾[٤].

وينبغي أن يكون خليفة الرسول عليه الصلاة والسلام من الطبقة العليا في الأمة، وإن كان أصحاب هذه الطبقة يتفاضلون في مراتبهم كذلك.

(١) عن ابن عباس قال: ألظّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالواقعة والحاقة وعم يتساءلون، والنازعات، وإذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، فاستطار فيه القتير[٥]، فقال له أبوبكر: قد أسرع فيك القتير، قال: شيبتني هود وصواحباها هذه[٦].

(٢٨٤) نــزلت الآية موافقة لعمر رضي الله عنه.

(٢) وعن جابر بن عبد الله قال لما نــزلت ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ ذكر فيها ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ

---

(١) سورة الرحمن: ٦٨.
(٢) عبد بن حميد والحارث بن أسامة وابن مردويه كما في الدر ١٥٠/٦.
(٣) سورة الواقعة: ١٣، ١٤.
(٤) سورة الواقعة: ٣٩، ٤٠.
(٥) أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من قراءة هذه السور فظهر فيه الشيب.
(٦) ابن عساكر كما في الدر ١٥٣/٦.

﴿ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ قال عمر: يا رسول الله ثلة من الأولين وقليل منا. فأمسك آخر السورة سنة ثم نــزل ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمر تعال فاسمع ما قد أنــزل الله؛ ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ ألا وإن من آدم إلي ثلة ومني ثلة، ولن نستكمل ثلتنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل ممن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له(١).

(٢٨٥) بشارة أبي بكر بالجنة

(٣) عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله طير الجنة فقال أبوبكر: إنها لناعمة. قال: ومن يأكل أنعم منها وإني لأرجو أن تأكل منها(٢).

(٤) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى في شجر الجنة، فقال أبوبكر: يا رسول الله إن هذه الطير لناعمة فقال: آكلها أنعم منها وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل(٣).

(٥) وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في الجنة طيرا أمثال البخاتي. قال أبوبكر: إنها لناعمة يا رسول الله. قال: أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها(٤).

(٦) عن عمر بن الخطاب من طرق متعددة قال: احضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون(٥).

آيات سورة الحديد

(٢٨٦) فضل من أنفق وقاتل قبل الفتح على من أنفق وقاتل بعده

يقول الله تعالى ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ

---

(١) ابن مردويه وابن عساكر كما في الدر ١٥٤/٦.

(٢) ابن مردويه كما في الدر ١٥٥/٦.

(٣) الترمذي (٢٥٤٢) أبواب صفة الـجنة باب ما جاء في صفة طير الـجنة، وحسنه، وأحمد ٢٢١/٣ وإسناده جيد، وهذا لفظ أحمد، ولفظ الترمذي: فيه طير أعناقها كأعناق الجزر. وقال الهيثمي في المجمع ٤١٤/١٠ بعد عزوه لأحمد: رجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة.

(٤) البيهقي في البعث كما في الدر، وله شاهد من حديث عصمة بن مالك عند ابن عدي ٢٠٤١/٥ وفي إسناده الفضل بن مختار وأحاديثة منكرة قاله أبوحاتم كما في اللسان ٤٤٩/٤.

(٥) ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين كما في الدر ١٦٤/٦.

﴿وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[(١)]. فيما يظهر من الآية فإن الفتح المراد هو فتح مكة. إذاً الآية نص صريح يفضل الذين أنفقوا قبل الفتح وجاهدوا وقاتلوا على من أنفق وقاتل بعده. من هنا فإن الخلافة الخاصة أو الخلافة الكاملة لا يرتقي إليها إلا من ارتقى على سائر الأصناف من الناس وعلى أوصاف عامة البشر، فلا يكون الخليفة إلا ممن آمن وأنفق وقاتل قبل الفتح.

(٢٨٧) كيف أسلم عمر رضي الله عنه؟

(١) عن عمر قال: كنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبينا أنا في يوم حار بالهاجرة في بعض طريق مكة إذ لقيني رجل فقال: عجبا لك يا ابن الخطاب، إنك تزعم وإنك قد دخل عليك الأمر في بيتك. قلت: وما ذاك؟ قال: أختك قد أسلمت. فرجعت مغضبا حتى قرعت الباب. فقيل: من هذا؟ قلت: عمر، فتبادروا فاختفوا مني وقد كانوا يقرءون صحيفة في أيديهم تركوها أو نسوها، فدخلت حتى جلست على السرير فنظرت إلى الصحيفة فقلت ما هذه؟ ناولنيها. قالت: إنك لست من أهلها إنك لا تغتسل من الجنابة ولا تَطهَّر وهذا كتاب لا يمسه إلا المطهرون، فمازلت بها حتى ناولتنيها.

ففتحتها فإذا فيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فلما قرأت ﴿الرحمن﴾ ذُعرت فألقيت الصحيفة من يدي ثم رجعت إلى نفسي، فأخذتها فإذا فيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ كلما مررت باسم من أسماء الله ذُعرت ثم رجعت إلى نفسي حتى بلغت ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾[(٢)] فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فخرج القوم مستبشرين فكبروا[(٣)].

(٢) عن مجاهد في قوله ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ﴾ يقول: من أسلم وقاتل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾ يعني أسلموا. يقول: ليس من هاجر كمن لم يهاجر ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[(٤)]، [(٥)].

(٣) وعن قتادة في قوله ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ﴾ الآية. قال: كان

---

(١) سورة الحديد: ١٠.

(٢) سورة الحديد: ٧.

(٣) أبونعيم في الحلية ٤١/١ مختصراً والبيهقي في الدلائل ٢١٦/٢ والبزار وابن عساكر وابن مردويه كما في الدر ١٧٠/٦. وقال الهيثمي في المجمع ٦٤/٩ بعد عزوه للبزار: فيه أسامة بن زيد بن أسلم وهو ضعيف.

(٤) سورة الحديد: ١٠.

(٥) سعيد بن منصور وابن المنذر وعبد بن حميد كما في الدر ١٧٢/٦.

قتالان أحدهما أفضل من الآخر وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى وكانت النفقة والقتال قبل الفتح فتح مكة أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك، وكلا وعد الله الحسنى، قال: الجنة[١].

(٤) وعن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأتيكم قوم من ههنا وأشار إلى اليمن تحقرون أعمالكم عند أعمالهم، قالوا: فنحن خير أم هم؟ قال: بل أنتم. لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه، وفصلت هذه الآية بيننا وبين الناس ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟﴾[٢].

(٥) وعن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى إذا كان بعسفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم. قلنا: يا رسول الله: أ قريش؟ قال: لا ولكن هم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوبا. فقلنا: أ هم خير منا يا رسول الله؟ قال: لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه. ألا إن هذا فصل ما بيننا وبين الناس؛ ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ الآية[٣].

(٢٨٨) تفضيل القدماء من الصحابة على من بعدهم

وقد استفاضت الأخبار في تفضيل القدماء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على من بعدهم.

(٦) فعن أنس قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام. فقال خالد لعبد الرحمن بن عوف: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبا ما بلغتم أعمالهم[٤].

(٧) وعن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنحن خير أم من بعدنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أنفق أحدهم أحدا ذهبا ما بلغ مد

---

(١) عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر.

(٢) سعيد بن منصور كما في الدر.

(٣) ابن جرير ٢٢١/٢٧ وأبو نعيم في الدلائل وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر ١٧٢/٦ ورجاله ثقات.

(٤) أحمد ٢٦٦/٣ وقال الهيثمي في المجمع ١٥/١٠: رجاله رجال الصحيح.

أحدكم ولا نصيفه[١].

(٨) وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه[٢].

(٩) وعن ابن عمر قال: لا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره[٣].

(٢٨٩) تحذير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتور

(١٠) عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٤] إلا أربع سنين[٥].

(١١) وعن ابن مسعود قال: لما نزلت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، أقبل بعضنا على بعض: أي شيء أحدثنا، أي شيء صنعنا؟[٦]

(١٢) عن ابن عباس قال: إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن، فقال ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ...﴾ الآية[٧].

(١٣) عن الأعمش قال: لما قدم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فأصابوا من لين العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا فنزلت ﴿أَلَمْ يَأْنِ ...﴾ الآية[٨].

(٢٩٠) عظم فضل المهاجرين في سبيل الله، ومؤمنو الأمة شهداء وصديقون

(١٤) عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من فر بدينه من الأرض

---

(١) أحمد ٦/٦ وقال الهيثمي في المجمع ١٠/١٦: فيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) راجع ص ١٢٤.

(٣) ابن أبي شيبة ١٢/١٧٨ وابن ماجه (١٦٢) كتاب السنة، فضل أهل بدر، وإسناده حسن.

(٤) سورة الحديد: ١٦ .

(٥) مسلم (٧٥٥٠) كتاب التفسير باب في قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ والحاكم ٢/٤٧٩.

(٦) لم أجده عن ابن مسعود ولعل بصر الإمام المؤلف زاغ حين راجع الدر المنثور إذ فيه عن ابن عباس وعزاه لأبي يعلى وابن مردويه، راجع الدر ٦/١٧٥ والله أعلم.

(٧) ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر.

(٨) عبدالله بن المبارك في الزهد ص ٨٩ وعبدالرزاق وابن المنذر كما في الدر ورجاله ثقات.

إلى أرض مخافة الفتنة على نفسه ودينه كُتب عند الله صدّيقا. فإذا مات قبضه الله شهيدا، وتلا هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[١] ثم قال: هذه فيهم، ثم قال: والفرارون بدينهم من أرض إلى أرض يوم القيامة مع عيسى بن مريم في درجته في الجنة[٢].

(١٥) وعن البراء بن عازب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مؤمنو أمتي شهداء، ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٣].

(١٦) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن الرجل ليموت على فراشه وهو شهيد ثم تلا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٤].

(١٧) وعن أبي هريرة قال: إنما الشهيد الذي لو مات على فراشه دخل الجنة، يعني الذي يموت على فراشه ولا ذنب له[٥].

(١٨) وعن مجاهد قال: كل مؤمن صديق وشهيد، ثم تلا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٦].

(١٩) وعن عمرو بن ميمون قال كل مؤمن صديق وشهيد ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٧].

(٢٠) وعن ابن عباس ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ قال: هذه مفصولة ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[٨].

(٢١) وعن الضحاك في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ قال: هذه مفصولة؛ سماهم صديقين ثم قال ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[٩].

---

(١) سورة الحديد: ١٩.
(٢) ابن مردويه كما في الدر ١٧٦/٦.
(٣) ابن جرير ٢٣١/٢٧ كما في الدر وفي إسناده إسماعيل بن يحي والظاهر أنه ابن عبيدالله بن طلحة وكان يضع الحديث كما في اللسان ٤٤٢/١ والله أعلم.
(٤) ابن المنذر كما في الدر.
(٥) ابن أبي حاتم كما في الدر.
(٦) عبدالرزاق وعبد بن حميد كما في الدر ١٧٦/٦ وابن جرير ٢٣١/٢٧.
(٧) عبد بن حميد كما في الدر.
(٨) لم أجده في الدر وأخرجه ابن جرير ٢٣٠/٢٧، ينظر إسناده.
(٩) ابن جرير ٢٣١/٢٧ وإسناده منقطع.

(٢٩١) نظام أقدار الله تعالى

(٢٢) عن الحسن في الآية ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ ... ﴾[(١)] قال: إنه ليُقضى بالسيئة في السماء وهو كل يوم في شأن، ثم يضرب لها أجلا فيحبسها إلى أجلها، فإذا جاء أجلها أرسلها فليس له مردّ. ويقدِّر أنه كائن في يوم كذا، من شهر كذا، من سنة كذا، في بلد كذا، من مصيبة في القحط أو الرزق أو المصيبة في الخاصة والعامة حتى إن الرجل يأخذ العصا يتعصى بها وقد كان لها كارها ثم يعتادها حتى ما يستطيع تركها[(٢)].

آيات سورة المجادلة

(٢٩٢) تكريم عمر خولة بنت ثعلبة التي نــزلت فيها الآية

(١) عن أبي يزيد قال لقي امرأةً عمرُ بن الخطاب يقال لها خولة وهو يسير مع الناس، فاستوقفته. فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه ووضع يده على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت. فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبستَ رجال قريش على هذه العجوز؟ قال: ويحك وتدري من هذه؟ قال: لا، قال: امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، فهذه خولة بنت ثعلبة. والله لو لم تنصرف حتى إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها[(٣)].

(٢) عن ثمامة بنت جرير قالت: بينما عمر بن الخطاب يسير على حماره لقيته امرأة فقالت: قف يا عمر، فوقف فأغلظت له القول. فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ما رأيت كاليوم! فقال: وما يمنعني أن أستمع إليها وهي التي استمع الله لها وأنــزل فيها ما أنــزل ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[(٤)]،[(٥)].

(٢٩٣) عناية النبي صلى الله عليه وسلم بتكريم أهل بدر

(٣) عن مقاتل بن حبان قال: أنــزلت هذه الآية يوم جمعة ورسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة الحديد: ٢٢.
(٢) ابن المنذر كما في الدر ١٧٦/٦.
(٣) ابن أبي حاتــم والبيهقي في الأسماء ١٦٢/٢ ورجاله ثقات إلا أنه منقطع لم يثبت سماع أبي يزيد المدني من عمر ذكره السيوطي في الدر ١٧٩/٦ وابن كثير ٣١٨/٤ وقد روي هذا من طرق عن عمر بن الخطاب، راجع الإصابة ٦٩/٨.
(٤) سورة المجادلة: ١.
(٥) البخاري في تاريخه وابن مردويه كما في الدر.

وسلم يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار. فجاء ناس من أهل بدر وقد سبق إلى المجالس غيرهم، فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته. فرد النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلموا على القوم بعد ذلك، فردوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم. فشق ذلك عليه. فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان، وأنت يا فلان. فلم يزل يقيمهم بعدد النفر الذين هم قيام من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، فنـــزلت هذه الآية ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ...**﴾ الآية(١)،(٢).

(٢٩٤) **نــزلت الآية في أبي بكر وأبي عبيدة بن الجراح** رضي الله عنهما.

(٤) عن عبد الله بن شوذب قال: جعل ولد أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر وجعل أبوعبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قَصَدَه أبوعبيدة فقتله فنـــزلت ﴿**لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ...**﴾(٣)(٤).

(٥) عن ابن جريج قال: حدثت أن أباقحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه أبوبكر صكة فسقط، فذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، قال: أ فعلت يا أبابكر؟ فقال: والله لو كان السيف قريبا مني لضربته فنـــزلت ﴿**لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا ...**﴾ الآية(٥)،(٦)

آيات سورة الحشر

(٢٩٥) عناية عمر بقسم الفيء على جميع المسلمين

قال الله تعالى في سورة الحشر ﴿**مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ...**﴾(٧).

يبين الحق سبحانه وتعالى أن الفيء أي ما أخذ من الأعداء من غير غزو ولا قتال ولا

---

(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) ابن أبي حاتم كما في الدر ١٨٤/٦ وابن كثير ٣٢٤/٤.

(٣) سورة المجادلة: ٢٢.

(٤) الحاكم ٢٦٥/٣ وأبو نعيم في الحلية ١٠١/١ وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي ٢٧/٩ وابن عساكر كما في الدر ١٨٦/٦ ورجاله موثقون إلا أنه منقطع؛ فإن ابن شوذب من الطبقة السابعة.

(٥) سورة المجادلة: ٢٢.

(٦) ابن المنذر كما في الدر.

(٧) سورة الحشر: ٧.

إيجاف خيل ولا ركاب، حق لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

ثم يقول ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾، أي أن هذا الفيء يشمل فقراء المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان ممن اتصفوا بالنصح ورجاء الخير وصالح الدعوات لمن سبقهم.

وبما أن الفيء قرر لجماعة غير محصورة فلا يمكن أن يكون ملك يمين لأحد دون سواه، وإنما يحصل كل منهم على قدر حاجته منه. ومن هنا تؤخذ القاعدة بأنه لا يمكن أن يكون الخليفة إلا من يجيد التصرف في بيت مال المسلمين على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهجه المبارك نيابة عنه.

وليست الخلافة من الفيء حتى يتصرف بها تصرف الميراث أو تناقش في باب الميراث، ولا أنه صلى الله عليه وسلم قادر على أن يهب هذا المقام لأحد من أقاربه. وهذا هو المراد.

(١) عن عمر بن الخطاب قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ممّا لم يوجف المسلمون عليه من خيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله[1].

(٢) عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قرأ عمر بن الخطاب ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ...﴾ حتى بلغ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2] ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ...﴾[3] الآية. ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ...﴾ حتى بلغ ﴿...لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ...﴾[4] إلى آخر الآية ثم قال: هذه للمهاجرين، ثم تلا ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ...﴾[5] إلى آخر الآية، فقال: هذه للأنصار. ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ...﴾[6] إلى آخر الآية. ثم قال: استوعبَت هذه المسلمين عامة وليس أحد إلا له في هذا المال حق إلا ما تملكون من رقيقكم ثم قال: لئن عشت ليأتين الراعيَ وهو بسرو حمير نصيبه منها لم يعرق جبينُه[7].

(٣) وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: اجتمعوا لهذا المال

---

(١) البخاري (٤٨٨٥) كتاب التفسير تفسير سورة الحشر، ومسلم (٤٥٧٥) كتاب الجهاد والسير باب حكم الفيء.

(٢) سورة التوبة: ٦٠.

(٣) سورة الأنفال: ٤١.

(٤) سورة الحشر: ٧، ٨.

(٥) سورة الحشر: ٩.

(٦) سورة الحشر: ١٠.

(٧) ابن جرير ٢٨/٣٧ والبيهقي ٦/٢٩٦، ٢٩٧. وأبوعبيد في الأموال ص ١٥ وابن زنجويه في الأموال وعبد بن حميد وأبوداود في ناسخه وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر ٦/١٩٣ ورجاله ثقات.

فانظروا لمن ترونه، ثم قال لهم: إني أمرتكم أن تجتمعوا لهذا المال فتنظروا لمن ترونه وإني قرأت آيات من كتاب الله فكفتني. سمعت الله يقول ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ إلى قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ والله ما هو لهؤلاء وحدهم، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ والله ما هو لهؤلاء وحدهم، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾ إلى قوله ﴿رَّحِيمٌ﴾ والله ما أحد من المسلمين إلا له حق في هذا المال أُعطي منه أو منع منه حتى راعي بعدن[1].

(٤) عن سعيد بن المسيب قال: قسم عمر ذات يوم قسما من المال فجعلوا يثنون عليه، فقال: ما أحمقكم لو كان لي ما أعطيتكم منه درهماً[2].

(٥) عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يوشك أن يملأ الله أيديكم من العجم ثم يجعلهم أُسدا لا يفرون فيقتلون مقاتلتكم ويأكلون فيئكم[3].

(٦) عن السائب بن يزيد قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: والذي لا إله إلا هو -ثلاثاً- ما من الناس أحد إلا له في هذا المال حق أُعطيه أو منعه، وما أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك وما أنا فيه إلا كأحدهم ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالرجل وبلاءه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناءه في الإسلام والرجل وحاجته. والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو بمكانه[4].

(٧) وعن الحسن قال: كتب عمر إلى حذيفة أن أعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم. فكتب إليه: إنا قد فعلنا وبقي شيء كثير، فكتب إليه عمر: إنه فيئهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو لعمر ولا لآل عمر. اقسمه بينهم[5].

(٢٩٦) فضل المهاجرين والأنصار والذين جاءوا من بعدهم
(٢٩٧) أمر المسلمون بحب الصحابة والاستغفار لهم.

(٨) عن قتادة في قوله ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ إلى آخر

---

(١) ابن أبي شيبة ٣٥١/١٢ والبيهقي ٣٥١/٦ وعبد بن حميد وابن مردويه كما في الدر ١٩٤/٦ ورجاله ثقات.

(٢) البيهقي ٣٥٦/٦ وعبد بن حميد كما في الدر. وإسناده حسن.

(٣) أحمد ١١/٥، ٢١ والحاكم ٥١٢/٤ كما في الدر وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع ٣١٠/٧: رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٤) ابن سعد ٢٩٩/٣ كما في الدر المنثور. وفيه الواقدي وهو ضعيف.

(٥) ابن سعد ٢٩٩/٣ ومع إرساله ضعيف لضعف الواقدي.

الآية. قال: هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الإسلام على ما كانت فيه من شدة حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفرة في الشتاء ماله دثار غيرها[١].

(٩) وعن قتادة في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾[٢] إلى آخر الآية، قال: هم هذا الحي من الأنصار أسلموا في ديارهم وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وأحسن الله الثناء عليهم في ذلك. وهاتان الطائفتان الأوليان من هذه الأمة أخذتا بفضلهما وأثبت الله حظهما في هذا الفيء، ثم ذكر الطائفة الثالثة فقال ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ...﴾[٣] إلى آخر الآية. قال: إنما أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمروا بسبهم.

(١٠) عن الحسن قال: فضل الله المهاجرين على الأنصار فلم يجدوا في صدورهم حاجة. قال: الحسد[٤].

(١١) عن عمر أنه قال: أوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم[٥].

(١٢) عن سعد بن أبي وقاص قال: الناس على ثلاث منازل، قد مضت منزلتان وبقيت منزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ...﴾[٦] الآية. ثم قال: هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة وقد مضت، ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٧] الآية. ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة وقد مضت، ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾[٨]. فقد مضت هاتان المنزلتان وبقيت هذه المنزلة فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة[٩].

---

(١) عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور ٦/١٩٤.
(٢) سورة الحشر: ٩.
(٣) سورة الحشر: ١٠.
(٤) عبدالرزاق وابن أبي شيبة و عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٦/١٩٥.
(٥) البخاري (٤٨٨٨) كتاب التفسير في تفسير سورة الحشر.
(٦) سورة الحشر: ٨.
(٧) سورة الحشر: ٩.
(٨) سورة الحشر: ١٠.
(٩) الحاكم ٢/٤٨٤ وابن مردويه كما في الدر ٦/١٩٨ وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(١٣) عن الضحاك ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ...﴾ الآية. قال: أمروا بالاستغفار لهم وقد عُلم ما أحدثوا[١].

(١٤) عن عائشة قال: أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم ثم قرأت هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[٢].

(١٥) عن ابن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه ﴿للفقراء المهاجرين﴾ الآية ثم قال: هؤلاء المهاجرون أ فمنهم أنت؟ قال: لا، ثم قرأ عليه ﴿والذين تبوؤ الدار والإيمان﴾ الآية، قال: هؤلاء الأنصار، أ فمنهم أنت؟ قال: لا، ثم قرأ عليه ﴿والذين جاءو من بعدهم﴾ الآية، قال: أ فمن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو. قال: لا، ليس من هؤلاء من سب هؤلاء[٣].

(١٦) ومن وجه آخر عن ابن عمر أنه بلغه أن رجلا نال من عثمان، فدعاه فأقعده بين يديه فقرأ عليه ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ الآية. قال: مِن هؤلاء أنت؟ قال: لا. ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ الآيــة، ثم قال: مِن هؤلاء أنت؟ قال: لا. ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ الآية. قال: أ مِن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو أن أكون منهم. قال: لا والله ما يكون منهم من تناولهم وكان في قلبه الغل عليهم[٤].

(٢٩٨) خطبة أبي بكر في شرح الآية

(١٧) عن نعيم بن محمد الرحبي قال: كان في خطبة أبي بكر الصديق: واعلموا أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن ينقضي الأجل وأنتم على حـــذر فافعلوا. ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، وأن أقواما جعلوا أعمالهم لغيرهم، فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم. فقال ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[٥]. أين من كنتم تعرفون من إخوانكم قد انتهت عنهم أعمالهم ووردوا على ما قدّموا؟ أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصّنوها بالـــحوائط وقد صاروا تحت الصخر والآكام؟ هذا كتاب الله لا تَفنى عجائبه ولا يُطفى نوره، استضيئوا منه ليوم الظلمة وانتصحوا

---

(١) عبد بن حميد كما في الدر المنثور.
(٢) عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه كما في الدر.
(٣) ابن مردويه كما في الدر.
(٤) ابن مردويه أيضاً.
(٥) سورة الحشر: ١٩.

كتابه وتبيانه. فإن الله قد أثنى على قوم فقال ﴿كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(١). لا خير في قول لا يُبتغى به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله ولا خير فيمن يغلب غضبه حلمه، ولا خير في رجل يخاف في الله لومة لائم(٢).

آيات سورة الممتحنة

(٢٩٩) نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة.

(٣٠٠) اطلع الله على أهل بدر وغفر لهم.

(١) عن علي قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة بها كتاب فخذوه منها فأتوني به. فخرجنا حتى أتينا الروضة. فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب؟ قالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتُخرجن الكتاب أو لتُلقين الثياب! فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا حاطب؟ قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرءا ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة. فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أصطنع عليهم يدا يحمون بها قرابتي. وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق. فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه. فقال: إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. وأنزلت فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾(٣)،(٤).

(٢) عن عمر بن الخطاب قال: كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين بكتاب فجيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا حاطب ما دعاك إلى ما صنعت؟ قال: يا رسول الله كان أهلي فيهم فخشيت أن يصرموا عليهم فقلت أكتب كتابا لا يضر الله ولا رسوله. فقلت: أضرب عنقه يا رسول الله فقد كفر؟ فقال: وما يدريك يا ابن الخطاب أن يكون الله اطلع على

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٠.
(٢) عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٦/٢٠١.
(٣) سورة الممتحنة: ١.
(٤) البخاري (٤٨٩٠) كتاب التفسير في تفسير سورة الممتحنة، ومسلم (٦٤٠١) الفضائل باب من فضائل حاطب بن أبي بلتعة.

أهل هذه العصابة من أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[١].

(٣٠١) نـــزلت الآية في أبي سفيان بن حرب وهو أول من قاتل أهل الردة في اليمن.

(٣) عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أباسفيان بن حرب على بعض اليمن. فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل فلقي ذا الخمار مرتدا فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين. قال ابن شهاب وهو فيمن أنـــزل الله فيه ﴿**عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً**﴾[٢]،[٣].

(٤) وعن أبي هريرة قال: أول من قاتل أهل الردة على إقامـــة دين الله أبوسفيان بن حرب، وفيه نـــزلت هذه الآية ﴿**عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً**﴾[٤].

(٥) عن ابن عبـــاس في قوله ﴿**عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً**﴾ قال: نـــزلت في تزويج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيـــبة (وهي بنت أبي سفيان)[٥].

(٣٠٢) نـــزلت الآية في زوجة عمر رضي الله عنه.

(٦) عن ابن عباس قال: أسلم عمر بن الخطاب وتأخرت امرأته في المشركين فأنـــزل الله ﴿**وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ**﴾[٦]،[٧].

(٣٠٣) عمر يبايع النساء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٧) عن مقاتل قال: أنـــزلت هذه الآية[٨] يوم الفتح، فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال على الصفا وعمر يبايع النساء تحتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٩].

(٨) وعن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية عن جدته أم عطية قالت: لما قدم رسول الله

---

(١) الحاكم ٤/٧٧ وقال: على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وأبو يعلى وابن مردويه والضياء في المختارة كما في الدر ٦/٢٠٣. وقال الهيثمي في المجمع ٩/٣٠٤: رواه أبويعلى في الكبير، والبزار والطبراني في الأوسط باختصار ورجالهم رجال الصحيح.

(٢) سورة الممتحنة: ٧.

(٣) ابن أبي حاتم كما في الدر ٦/٢٠٥.

(٤) ابن مردويه كما في الدر.

(٥) البيهقي في الدلائل ٣/٤٥٩ وابن عدي ٦/٢١٢٩ وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر ٦/٢٠٥ وفي إسناده محمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب كما في التقريب ص ٤٤٦.

(٦) سورة الممتحنة: ١٠.

(٧) أحمد بن منيع من طريق الكلبي كما في الدر ٦/٢٠٨ والكلبي متهم بالكذب كما مر آنفاً.

(٨) أي قوله تعالى ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ ...**﴾ الآية. الممتحنة: ١٢.

(٩) ابن أبي حاتم كما في الدر ٦/٢٠٩.

صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الأنصار في بيت فأرسل إليهن عمر بن الخطاب. فقام على الباب فسلم فقال: أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكن تبايعن على "أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ..."[١].

قلنا: نعم. فمد يده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت. قال إسماعيل: فسألت جدتي عن قوله ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾، قالت: نهانا عن النياحة[٢].

(٩) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب فقال: قل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً. وكانت هند متنكرة في النساء فقال لعمر: قل لهن ولا تسرقن. قالت هند: والله إني لأصيب من أبي سفيان الهنة، فقال: ولا تزنين، فقالت: وهل تزني الحرة؟ فقال: ولا تقتلن أولادكن، قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر. قال ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾[٣]، قال: منعهن أن ينحن، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور ويدعون بالويل والثبور[٤].

آيات سورة الصف

(٣٠٤) بشارة بغلبة الإسلام على جميع الأديان على يد خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم في المستقبل

يقول الحق سبحانه وتعالى في سورة الصف ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[٥].

فيها إشارة إلى تغلب دين الله على جميع الأديان بمشيئته عز وجل وبما أن هذا المعنى لا

---

(١) على ما ورد في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا...﴾ الآية. سورة الممتحنة: ١٢.

(٢) ابن جرير ٢٨/٨٠ وأحمد ٦/٤٠٨ أتم منه ورجاله موثقون، وعزاه السيوطي في الدر ٦/٢٠٦ لأبي داود وابن سعد وأبي يعلى وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي في الشعب أيضا. قلت: هو عند أبي داود ١/٤٤٣ بعضه، بل هو عندالبخاري (٤٨٩٢) كتاب التفسير تفسير سورة الممتحنة؛ راجع التحفة ١٢/٥٠٣، ٥٠٩ وليس هذا موضع البسط.

(٣) سورة الممتحنة: ١٢.

(٤) ابن جرير ٢٨/٧٨ وابن مردويه كما في الدر ٦/٢١٠. ينظر إسناده.

(٥) سورة الصف: ١٤.

يتحقق كاملا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، إذاً سوف يكون هناك تضحيات ومجاهدات وفتوحات بعد زمن النبوة كما كان مع عيسى عليه السلام حيث لم تنتصر دعوته في زمنه وانتشرت على يد حوارييه من بعده كما تحقق النصر على الأعداء على يدهم. والله أعلم.

(١) وعن قتادة في قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ قال: قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلا فبايعوه عند العقبة فنصروه وآووه حتى أظهر الله دينه ولم يُسمَّ حي من السماء قط باسم[١] ولم يكن لهم ذلك غيرهم. وذكر لنا أن بعضهم قال: هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعونه على محاربة العرب كلها ولتُسلموا. وذكر لنا أن رجلا قال: يا نبي الله، اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما منعتم أنفسكم وأبناءكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فمالنا يا نبي الله؟ قال: لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة. ففعلوا وفعل الله. قال[٢]: والحواريون كلهم من قريش: أبوبكر وعمر وعلي وحمزة وجعفر وأبوعبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعثمان بن عفان وطِلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام[٣].

(٢) عن ابن عباس ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ محمداً صلى الله عليه وسلم وأمته على عدوهم فأصبحوا اليوم ظاهرين[٤].

آيات سورة الجمعة

(٣٠٥) تعليم آداب الجمعة التي كان الخلفاء قدوتهم فيها أيضا.

(١) عن السائب بن يزيد قال: كان النداء الذي ذكر الله في القرآن يوم الجمعة[٥] في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعامة خلافة عثمان أن ينادي المنادي إذا جلس الإمام على المنبر. فلما تباعدت المساكن وكثر الناس أحدث النداء الأول فلم يَعبِ الناس ذلك عليه، وقد عابوا عليه حين أتم الصلاة بمنى[٦]. قال فكنا في زمان عمر نصلي فإذا خرج عمر

---

(١) هذا على وجه التغليب وإلا فقد ذكر اسم زيد بن حارثة من الأحياء في الكتاب؛ ﴿... فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ...﴾ سورة الأحزاب: ٣٧.

(٢) أي قتادة.

(٣) عبد بن حميد وعبدالرزاق وابن المنذر كما في الدر ٦/٢١٤.

(٤) ابن أبي حاتم كما في الدر.

(٥) أي قوله تعالى ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ...﴾ سورة الجمعة: ٩.

(٦) قيل: إنه كان يرى قصر الصلاة وإتمامها في السفر؛ يؤول قوله تعالى ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ...﴾ النساء: ١٠١، وقيل أنه نوى الإقامة في منى وقيل غير ذلك.

وجلس على المنبر قطعنا الصلاة وتحدثنا، وربما أقبل عمر على بعض من يليه فسألهم عن سوقهم ودراهمهم والمؤذن يؤذن. فإذا سكت المؤذن قام عمر فتكلم و لم نتكلم حتى يفرغ من خطبته[١].

(٢) عن خرشة بن الحر قال: رأى معي عمر بن الخطاب لوحا مكتوبا فيه ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢] فقال: من أملى عليكم هذا؟ قلت: أبي بن كعب. قال: إن أبيا أقرأنا للمنسوخ، اقرأها: فامضوا إلى ذكر الله[٣].

(٣) عن الحسن أنه سئل عن قوله تعالى ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: ما هي بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع[٤].

(٤) عن جابر بن عبد الله قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قائما إذ قدمت عير المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق فيهم إلا اثني عشر رجلاً أنا فيهم وأبوبكر وعمر. فأنزل الله ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا...﴾[٥] إلى آخر السورة[٦].

(٥) وعن الحسن: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذ قدمت عير المدينة فانفضوا إليها وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق معه إلا رهط منهم أبوبكر وعمر، فنزلت هذه الآية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى معي أحد منكم لسال بكم الوادي ناراً[٧].

(٦) عن طاوس قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما وأبوبكر وعمر وعثمان وإن أول من جلس على المنبر معاوية بن أبي سفيان[٨].

(٧) عن الشعبي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة

---

(١) عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر ٦/٢١٧ بل وأخرجه الجماعة إلا مسلم دون قوله: فلم يعب الناس ذلك عليه الخ راجع نصب الراية ٢/٢٠٥.

(٢) سورة الجمعة: ٩.

(٣) أبو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف كما في الدر ٦/٢١٩.

(٤) سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٦/٢١٩.

(٥) سورة الجمعة: ١١.

(٦) البخاري (٩٣٦) كتاب الجمعة باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة، ومسلم (٢٠٠٠) كتاب الجمعة باب في قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ...﴾.

(٧) عبد بن حميد كما في الدر ٦/٢٢١.

(٨) ابن أبي شيبة ٢/١١٢ كما في الدر ٦/٢٢٢ وفي إسناده ليث بن أبي سليم صدوق اختلط أخيراً و لم يتميز حديثه فترك كما في التقريب ص ٤٣٢.

استقبل الناس بوجهه فقال: السلام عليكم، ويحمد الله ويثني ويقرأ سورة ثم يجلس ثم يقوم فيخطب ثم ينـــزل، فكان أبوبكر وعمر يفعلانه[(١)].

آيات سورة المنافــقون

(٣٠٦) نــزلت ثماني آيات تصدق زيد بن أرقم وتكذب المنافقين.

(١) في قصة زيد بن أرقم؛ فبينا أنا أسير وقد خفضت رأسي من الهمّ إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك أذني وضحك في وجهي. ثم إن أبابكر لحقني فقال: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: ما قال لي شيئاً إلا أنه عرق أذني وضحك في وجهي. فقال: أبشر. فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ حتى بلغ ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[(٢)]، [(٣)].

(٢) عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق فكسع رجل من الـــمهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال الـــمهاجر: يا للمهاجرين! وقال الأنصاري: يا للأنصار! فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما بال دعوى الـــجاهلية؟ قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوها فإنها منتنة! فسمع ذلك عبد الله بن أبي فقال: أوقد فعلوها؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم. فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعه، لا يتحدث الناس

---

(١) ابن أبي شيبة ٢/١١٤ وفي إسناده مجالد بن سعيد ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره كما في التقريب ص ٤٨٢.

(٢) سورة المنافقون: ١-٨.

(٣) الترمذي (٣٣١٣) أبواب التفسير باب ومن سورة الـــمنافــقين، وقال: حسن صحيح، والبخاري (٤٩٠٠) كتاب التفسير تفسيـــر سورة المنافقين بلفظ قال: سمعت عبد الله بن أبيّ يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، فلئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، فذكر ذلك عمي للنبي صلى الله عليه وسلم، فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم، فحدّثته، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني وصدّقه، فأصابني شيء لم يصبني قط مثله، فجلست في البيت، فقال عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك؟ فأنـــزل الله ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ فبعث إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها، ثم قال: إن الله قد صدّقك. له طرق كثيرة عن زيد، وفي بعضها أن ذلك في غزوة تبوك، وأنّ نـــزول السورة ليلاً، ومسلم (٧٠٢٤) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب صفات المنافقين وأحكامهم...الخ.

أن محمداً يقتل أصحابه[١].

(٣) زاد الترمذي[٢]: فقال له ابنه عبد الله: لا تنقلب حتى تُقرَّ أنك الذليل ورسول الله العزيز، ففعل.

آيات سورة الطلاق

(٣٠٧) نــزلت الآية في عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(١) عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق عمر فذكر ذلك له فقال: مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم يطلقها إن بدا له، فأنــزل الله عند ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ ...﴾ في قبل عدهن[٣]، قال أبوالزبير: هكذا سمعت ابن عمر يقرأها[٤]. وفي رواية عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: ليراجعها ثم يمسكها ثم تحيض فتطهر. فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها. فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء. وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ...﴾ في قبل عدهن[٥].

(٣٠٨) يرزق الله عباده من حيث لا يحتسبون.[٦]

(٢) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: اجتمع أبوبكر وعمر وأبوعبيدة بن الجراح رضي الله عنهم فتماروا في شيء. فقال لهم علي: انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه

---

(١) البخاري (٤٩٠٥) كتاب التفسير في تفسير سورة المنافقين.

(٢) الترمذي (٣٣١٥) أبواب التفسير باب ومن سورة المنافقين.

(٣) قراءة مفسرة لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ...﴾ الطلاق: ١. فقد أخرج البخاري (٤٩٠٨) كتاب التفسير سورة الطلاق، ومسلم (٣٦٥٧) كتاب الطلاق باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها الخ، عن ابن عمر: "أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: ليراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض وتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها، فتلك العدّة التي أمر الله أن يطلق لها النساء".

(٤) ابن مردويه كما في الدر ٢٢٩/٦.

(٥) البخاري (٥٢٥١) في أوائل كتاب الطلاق، ومسلم (٣٦٥٢) كتاب الطلاق باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها الخ.

(٦) إشارة إلى تفسير الآيتين رقم ٢ و ٣ من سورة الطلاق ﴿... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ...﴾.

وسلم فلما وقفوا عليه قالوا: يا رسول الله جئنا نسألك عن شيء. فقال: إن شئتم فاسألوا وإن شئتم خبرتكم بما جئتم له. فقال لهم: جئتم تسألوني عن الرزق من أين يأتي وكيف يأتي؟ أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يعلم[1].

(٣) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا[2].

(٣٠٩) عناية عمر بتفسير الآية

(٤) وعن قتادة قال: كان عمر يقول: لو وضعت ذا بطنها وهو موضوع على سريره من قبل أن يقبر لحلّت[3]،[4].

(٥) عن سعيد بن المسيب قال: قضى عمر في المرأة التي يطلقها زوجها تطليقة ثم تحيض حيضة أو حيضتين ثم ترفعها حيضتها لا يدرى ما الذي رفعها له أنها تَرَبَّصُ بنفسها ما بينها وبين تسعة أشهر. فإن استبان حمل فهي حامل. وإن مرّت تسعة أشهر ولا حمل بها اعتدت ثلاثة أشهر بعد ذلك ثم حلت[5].

(٦) وعن سعيد بن المسيب أن عمر استشار علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت، قال زيد: رأيت ان كانت نسياً، قال علي: فآخر الأجلين. قال عمر: لو وضعت ذا بطنها وزوجها على نعشه لم يدخل حفرته لكانت قد حلت[6].

(٣١٠) أبوعبيدة يتأول الآية.

(٧) عن أبي سنان قال: سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة، فقيل له: إنه يلبس الغليظ من الثياب ويأكل أخشن الطعام. فبعث إليه بألف دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع بها إذا هو

---

(١) الحاكم في تاريخه، أتم منه، وقال: غريب المتن والإسناد، وابن النجار عن أبي هريرة كما في الكنـز ٢٤١/١٦ و لم أجده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده، والله أعلم.

(٢) الترمذي (٢٣٤٤) أبواب الزهد باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه وابن ماجه (٤١٦٤) أبواب الزهد باب التوكل واليقين، والحاكم ٣١٨/١ وابن حبان كما في الموارد ص ٦٣٢ وأحمد ٣٠/١، ٥٢ وأبو يعلى رقم ٢٤٢، وأبونعيم في الحلية ٦٩/١٠ وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والألباني في سلسلة الصحيحة رقم ٣١٠.

(٣) أي: إذا وضعت المرأة حملها والزوج ميّت على السرير لم يقبر بعد، فلا عدة عليها.

(٤) عبد بن حميد كما في الدر ٢٣٥/٦. ذا بطنها: ما في بطنها.

(٥) عبد بن حميد كما في الدر.

(٦) ابن أبي شيبة ٤/ ٢٩٧.

أخذها؟ فما لبث أن لبس ألين الثياب وأكل أطيب الطعام، فجاء الرسول فأخبره. فقال: رحمه الله، تأول هذه الآية ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[1]،[2].

آيات سورة التحريم

(٣١١) نزلت خمس آيات في مارية القبطية وعائشة وحفصة أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) عن ابن عباس قال: قلت لعمر بن الخطاب: من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ قال: عائشة وحفصة. وكان ذلك الحديث في شأن مارية أم إبراهيم القبطية أصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في يومها فوجدت[3] حفصة، فقالت: يا نبي الله، لقد جئت إلي شيئاً ما جئته إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي. قال: ألا ترضين أن أُحرّمها فلا أقربها. قالت: بلى. فحرَّمها. وقال: لا تذكري ذلك لأحد، فذكرته لعائشة. فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ...﴾[4] الآيات كلها، فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وأصاب جاريته[5].

(٣١٢) تعريض بخلافة أبي بكر وعمر في الآية

(٢) عن ابن عباس في قوله ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ...﴾[6] قال: دخلت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة. فإن أباك يلي الأمر بعد أبي بكر إذا أنا مت. فذهبت حفصة فأخبرت عائشة[7].

(٣) وعن عائشة في قوله ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ...﴾ قال: أسر إليها أنّ أبابكر خليفتي من بعدي[8].

(٤) وعن علي وابن عباس قالا: والله إن إمارة أبي بكر وعمر لفي الكتاب ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ...﴾ قال لحفصة: أبوك وأبوعائشة واليا الناس بعدي، فإياك

---

(١) سورة الطلاق: ٧.
(٢) ابن جرير ١٤٩/٢٨ ورجاله ثقات.
(٣) غضبت.
(٤) سورة التحريم: ١.
(٥) ابن جرير ١٥٨/٢٨ وابن المنذر وفي إسناده ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه.
(٦) سورة التحريم: ٣.
(٧) الطبراني وابن مردويه كما في الدر ٢٤١/٦.
(٨) ابن عدي وابن عساكر كما في الدر.

أن تخبري أحداً[١].

(٥) وعن ميمون بن مهران في قوله ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ قال: أسر إليها أن أبابكر خليفتي من بعدي[٢].

(٦) وعن حبيب بن أبي ثابت ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ...﴾ قال: أخبر عائشة أن أباها الخليفة من بعده وأن أباحفصة الخليفة من بعد أبيها[٣].

(٧) وعن الضحاك في قوله ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ...﴾ قال: أسر إلى حفصة بنت عمر أن الخليفة من بعده أبوبكر ومن بعد أبي بكر عمر[٤].

(٨) وعن مجاهد في قوله ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾[٥] قال: الذي عرف أمر مارية. وأعرض قوله: إن أباك وأباها يليان الناس بعدي مخافة أن يفشو[٦].

(٣١٣) نزول آيتين موافقتين لقول عمر رضي الله عنه

(٩) أخرج مسلم[٧] عن عبدالله بن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب. فقلت: لأعلمنَّ ذلك اليوم، فدخلت على عائشة فقلت: يا بنت أبي بكر قد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: مالي ولك يا ابن الخطاب؟ فدخلت على حفصة فقلت لها: يا حفصة، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك، لولا أنا لطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبكت أشد البكاء فقلت لها: أين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: هو في خزانته في المشربة. فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً على أُسكُفة المشربة مدليا رجليه على نقير من خشب وهو جذع يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينحدر. فناديته: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلي، فلم يقل شيئاً.

---

(١) ابن عدي ١٢٧٢/٣ وأبو نعيم في فضائل الصحابة والعشاري في فضائل الصديق ص ٦ وابن مردويه وابن عساكر من طرق، كما في الدر. لكن في سنده سيف بن عمرو الضبي ضعيف كما في التقريب ص ٢١٨.

(٢) ابن عساكر كما في الدر.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ابن المنذر كما في الدر.

(٥) سورة التحريم: ٣.

(٦) ابن أبي حاتم كما في الدر.

(٧) مسلم (٣٦٩١) باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن الخ.

قلت: فإني أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظن أني جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقها لأضربن عنقها، فرفعت صوتي، فأومأ إلي بيده أن ارقه. فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير، فجلست فإذا عليه إزار وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه. ونظرت في خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها من قرظ في ناحية الغرفة وإذا أفيق معلق، فابتدرت عيناي فقال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ قلت: يا نبي الله، ومالي لا أبكي؟ وهذه الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته وهذه خزانتك؟ قال: يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ قلت: بلى. ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب. فقلت: يا رسول الله، ما يشق عليك من شأن النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبوبكر والمؤمنون معك. وقلما تكلمت، وأحمد الله، إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقوله، ونـزلت هذه الآية ﴿**وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ**﴾[1]. وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله أ طلقتهن؟ قال: لا. قلت: يا رسول الله، إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصا ويقولون: طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، أفأنـزل أخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال: نعم إن شئت. ثم لم أزل أحدثه حتى تحسّر الغضب عن وجهه وحتى كَشَر وضحك وكان من أحسن الناس ثغرا. فنـزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونـزلت أتشبَّث بالجذع ونـزل نبي الله صلى الله عليه وسلم كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده. فقلت له: يا رسول الله، إنما كنت في الغرفة تسعا وعشرين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الشهر قد يكون تسعا وعشرين. فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه! قال ونـزلت هذه الآية ﴿**وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ**﴾[2]. فكنت أنا استنبطت الأمر وأنـزل الله آية التخيير.

---

(١) سورة التحريم: ٤ – ٥.

(٢) سورة النساء: ٨٣.

(٣١٤) إشارة جلية إلى أبي بكر وعمر

(١٠) عن ابن عباس قال: كان أُبي يقرؤها ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أبوبكر وعمر﴾[١].

(١١) وعن عبدالله بن بريدة عن أبيه في قوله ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال: أبوبكر وعمر[٢].

(١٢) وعن عكرمة وميمون بن مهران مثله[٣].

(١٣) وعن الحسن البصري في قوله ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال: عمر بن الخطاب[٤].

(١٤) عن مقاتل بن سليمان في قوله ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال: أبوبكر وعمر وعلي[٥].

(١٥) عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال: صالح المؤمنين أبوبكر وعمر[٦].

(١٦) وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: من صالح المؤمنين أبوبكر وعمر[٧].

(١٧) وعن ابن عمر وابن عباس في قوله ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قالا: نـزلت في أبي بكر وعمر[٨].

(١٨) وعن سعيد بن جبير في قوله ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال: نـزلت في عمر بن الخطاب خاصة[٩].

(١٩) وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال: أبوبكر وعمر[١٠].

(٣١٥) عناية عمر بشرح التوبة النصوح

(٢٠) وعن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب سئل عن التوبة النصوح[١١]، قال: أن يتوب الرجل من العمل السيئ ثم لا يعود إليه أبداً[١٢].

---

(١) ابن عساكر من طريق الكلبي كما في الدر ٢٤٣/٦ والكلبي متهم بالكذب.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في فضائل الصحابة كما في الدر. وقال الهيثمي في المجمع ١٢٧/٧ بعد عزوه للطبراني: فيه عبدالرحيم بن زيد العمي وهو متروك.
(٨) الطبراني في الأوسط وابن مردويه كما في الدر.
(٩) سعيد بن منصور وابن سعد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر كما في الدر.
(١٠) راجع ص ٢١٧.
(١١) في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا ...﴾ التحريم: ٨.
(١٢) الحاكم ٤٩٥/٢ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وابن جرير ١٦٧/٢٨ وابن أبي شيبة.

من سورة الملك

(٣١٦) عناية عمر بشرح حقيقة التوكل

(١) عن معاوية بن مرة قال: مر عمر بن الخطاب بقوم فقال: من أنتم؟ قالوا: المتوكلون. قال: أنتم المتأكّلون، إنما المتوكل رجل ألقى حبَّه في بطن الأرض وتوكل على ربه[١].

من سورة القلم

(٣١٧) الفرق بين الخلافة وبين الملك

(١) عن أبي عثمان النهدي قال قال مروان بن الحكم لما بايع الناس ليزيد: سنة أبي بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: إنها ليست بسنة أبي بكر وعمر ولكنها سنة هرقل. فقال مروان: هذا الذي أنزلت فيه ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ...﴾[٢] الآية. فسمعت ذلك عائشة فقالت: إنها لم تنزل في عبد الرحمن ولكن نزل في أبيك ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾[٣][٤].

من سورة الحاقة

(٣١٨) كيف وقع الإسلام في قلب عمر؟

(١) عن عمر بن الخطاب قال: خرجت أتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم. فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه، فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن، فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، فقرأ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾[٥] قلت: كاهن قال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٦] إلى آخر السورة. فوقع الإسلام في قلبي كل موقع[٧].

وابن المنذر وابن أبي حاتم وعبدالرزاق وعبد بن حميد وهناد وابن منيع والفريابي كما في الدر ٦/٢٤٥ والحافظ ابن حجر في المطالب ٣/٣٩٠ وقال: صحيح موقوف.

(١) الحكيم الترمذي كما في الدر ٦/٢٤٩.

(٢) سورة الأحقاف: ١٧.

(٣) سورة القلم: ١٠- ١١.

(٤) ابن مردويه كما في الدر ٦/٢٥١.

(٥) سورة الحاقة: ٤٠- ٤١.

(٦) سورة الحاقة: ٤٢- ٤٣.

(٧) أحمد ١/١٧ ورجاله ثقات.

(٣١٩) عمر يفسر الآية.

(٢) عن عمر أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنه أيسر لحسابكم وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتجهزوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[(١)]،[(٢)].

من سورة الجن

(٣٢٠) عناية عمر بشرح الآية

(١) عن السدي قال قال عمر ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[(٣)] قال: حيثما كان الماء كان المال، وحيثما كان المال كانت الفتنة[(٤)].

من سورة المزمل

(٣٢١) منــزلة التماس فضل الله عند عمر رضي الله عنه

عن عمر بن الخطاب قال: ما من حال يأتيني عليه الموت بعد الجهاد في سبيل الله أحب إلي من أن يأتيني وأنا بين شعبتي رحل ألتمس من فضل الله ثم تلا هذه الآية ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[(٥)]،[(٦)].

من سورة الدهر

(٣٢٢) عمر يفسر الآية.

(١) عن عمر بن الخطاب أنه سمع رجلا يقرأ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[(٧)] فقال عمر: ليتها تمت[(٨)].

---

(١) سورة الحاقة: ١٨.

(٢) ابن المبارك في الزهد ص ١٠٣ وأحـــمد أيضاً في الزهد ص ١٢٠ وأبو نعيم في الحلية ١/٥٢ والترمذي (٢٦٥٩) أبواب صفة القيامة باب حديث: الكيس من دان نفسه الخ، وابن الجوزي في مناقب عمر ص ٧٦ والألباني في سلسلة الضعيفة ٣/٣٤٦ وقال: إسناده جيد إلا أنه منقطع.

(٣) سورة الجن: ١٦،١٧.

(٤) ووقع في الدر ٦/٢٧٤ عن السري: أخرجه ابن جرير وعبد بن حميد. قلت: وهو عنــد ابن جرير ٢٩/١١٥ عن التيمي والله أعلم. وإسناده منقطع.

(٥) سورة المزمل: ٢٠.

(٦) سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٦/٢٨٠.

(٧) سورة الدهر: ١.

(٨) عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد ص ٧٩ وأبو عبيد في فضائلــه وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٦/٢٩٧.

(٢) وعن عمر بن الـــخطاب أنه تلا هذه الآية ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ قال: إي وعزّتك يا رب، فجعلته سميعاً بصيراً وحياً وميتاً[١].

(٣٢٣) نـــزول ١٩ آية تثني على سبعة من الصحابة المهاجرين

(٣) عن مجاهد قال: لما صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالأسارى عن بدر أنفق سبعة من المهاجرين على أسارى مشركي بدر منهم أبوبكر وعمر وعلي وعبد الرحمن وسعد وأبوعبيدة بن الجراح. فقالت الأنصار: قتلناهم في الله وفي رسوله وتقوتونهم بالنفقة؟ فأنـــزل الله فيهم تسع عشرة آية ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا .... ﴾ إلى قوله ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾[٢]،[٣].

(٣٢٤) نـــزلت الآية تعلم عمر رضي الله عنه.

(٤) عن عكرمة قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي صلى الله عليه وسلم وهو راقد على حصير من جريد أثر في جنبه فبكى عمر. فقال: ما يبكيك؟ قال: ذكرت كسرى وملكه وقيصر وملكه وصاحب الحبشة وملكه، وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير من جريد. فقال: أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة، فأنـــزل الله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[٤][٥].

من سورة عبس

(٣٢٥) ينهى الشيخان عن التكلف في كتاب الله.

(١) عن إبراهيم التيمي قال: قرأ أبوبكر الصديق ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[٦] فقال: ما الأب؟ فقيل: كذا وكذا، فقال أبوبكر: إن هذا لهو التكلف[٧].

(٢) وفي رواية عن إبراهيم التيمي قال: سئل أبوبكر الصديق عن الأبّ ما هو؟ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟[٨]

---

(١) عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر.
(٢) سورة الدهر: ٥-١٨.
(٣) ابن عساكر كما في الدر ٢٦٨/٦.
(٤) سورة الدهر: ٢٠.
(٥) عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ٣٠١/٦.
(٦) سورة عبس: ٣١.
(٧) فتح الباري ٢٧١/١٣.
(٨) المصدر السابق، وقال ابن حجر: هذا منقطع بين ابراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه.

(٣) وعن أنس قال: قرأ عمر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم قال: مه، نهينا عن التكلف[(١)].

(٤) عن أنس أن عمر قرأ على المنبر ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا ...﴾ إلى قوله ﴿وَأَبّٗا﴾ قال: كل هذا قد عرفناه، فما الأب؟ ثم رفض عصا كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التكلف. فما عليك أن لا تدري ما الأب؟ اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكِلُوه إلى ربه[(٢)].

من سورة التكوير

(٣٢٦) عناية عمر بتفسير الآيات

(١) عن عمر بن الخطاب في قوله ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ﴾[(٣)] قال جاء قيس بن عاصم التميمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أعتق عن كل واحدة رقبة. قال: إني صاحب إبل قال: فأهد عن كل واحدة بدنة[(٤)].

(٢) عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب في قوله ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾[(٥)] قال: هو الرجل يزوَّج نظيره من أهل الجنة، والرجل يزوج نظيره من أهل النار يوم القيامة، ثم قرأ ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ...﴾[(٦)]، [(٧)].

(٣٢٧) عناية عمر بشرح الآيات

(٣) وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما نزلت ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾[(٨)] قال عمر:

---

(١) ابن جرير ٣٠/٥٩ وقال ابن كثير ٤/٤٧٣: هو إسناد صحيح.

(٢) الحاكم ٢/٥١٤ وقال: على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي. وعزاه السيوطي لسعيد بن منصور وابن سعد وغيرهما أيضاً كما في الدر ٦/٣١٧.

(٣) سورة التكوير: ٨.

(٤) البزار والحاكم في الكنى والبيهقي ٨/١٦ كما في الدر ٦/٣٢٠. وقال الهيثمي في المجمع ٧/١٣٤: رواه البزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح غير حسين بن مهدي الأيلي وهو ثقة، وعبدالرزاق أيضاً كما في تفسير ابن كثير ٤/٤٧٧.

(٥) سورة التكوير: ٧.

(٦) سورة الصافات: ٢٢.

(٧) الحاكم ٢/٥١٦ وصححه، وابن جرير ٣٠/٦٩ وابن أبي شيبة ١٣/ ٢٧٩ وعبدالرزاق وسعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث وأبو نعيم في الحلية كما في الدر ٦/٣١٩ وابن كثير ٤/٤٧٦.

(٨) سورة التكوير: ١.

لما بلغ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾[١] قال: هذا آخر الحديث[٢].

(٤) عن أبي العديس قال: كنا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ فطعن عمر بمخفرة معه في عمامة الرجل فألقاه عن رأسه، فقال عمر: أحروري؟[٣] والذي نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجدتك محلوقا لأنحيت القمّل عن رأسك[٤]،[٥].

من سورة الانفطار

(٣٢٨) عناية عمر بشرح الآية

(١) عن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾[٦] فقال: أغره والله جهله[٧].

من سورة الأعلى

(٣٢٩) شدة فرح الأنصار بقدوم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة

(١) عن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرآننا القرآن الكريم. ثم جاء عمار وبلال وسعد. ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولايد والصبيان يقولون: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء. فما جاء حتى قرأت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ في سور مثلها[٨].

من سورة الغاشية

(٣٣٠) عناية عمر بتدبر الآيات

(١) عن أبي عمران الجوني قال: مر عمر بن الخطاب براهب فوقف، ونودي الراهب

---

(١) سورة التكوير: ١٤.
(٢) عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر ٦/٣٢٠.
(٣) نسبة إلى حروراء من ضواحي الكوفة، كانت موطن الخوارج.
(٤) لقتلتك.
(٥) الحاكم أبو أحمد في الكنى كما في الدر ٦/٣٢١ ووقع في الدر العدبس والصواب أبوالعدبس.
(٦) سورة الانفطار: ٦.
(٧) سعيد بن منصور وابن أبي حاتم كما في الدر ٦/ ٣٢٣.
(٨) البخاري (٤٩٤١) كتاب التفسير، تفسير سورة الأعلى.

فقيل له: هذا أمير المؤمنين. فاطلع فإذا إنسان مسه من الضر والاجتهاد وترك الدنيا. فلما رآه عمر بكى. فقيل له: إنه نصراني. فقال عمر: قد علمت ولكن رحمته ذكرت قول الله ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾[(١)] فرحمت نصبه واجتهاده وهو في النار[(٢)].

من سورة الفجر

(٣٣١) تنطبق الآيات على أبي بكر رضي الله عنه.

(١) عن سعيد بن جبير قال: قُرئت عند النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[(٣)]. فقال أبوبكر: إن هذا لحسن. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إن الملك سيقولها لك عند الموت[(٤)].

(٢) عن سليم بن عامر قال: سمعت أبابكر الصديق يقول: قرئت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[(٥)] فقال: ما أحسن هذا يا رسول الله! فقال: يأبابكر أما إن الملك سيقولها لك عند الموت[(٦)].

(٣٣٢) نــزلت الآيات في عثمان رضي الله عنه.

(٣) عن الضحاك عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من يشتري بئر رومة نستعذب بها غفر الله له، فاشتراها عثمان بن عفان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هل لك أن تجعلها سقاية للناس. قال: نعم. فأنــزل الله في عثمان ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآية[(٧)].

---

(١) سورة الغاشية: ٣، ٤.

(٢) الحاكم ٢/٢٢٢ وعبدالرزاق وابن المنذر كما في الدر ٦/٣٤٢ وقال الحاكم: هذه حكاية في وقتها فإن أبا عمران لم يدرك زمان عمر. وعزاه المتقي ٢/٥٥٠ للبيهقي في الشعب.

(٣) سعيد بن منصور وابن أبي حاتم كما في الدر ٦/٣٢٣.

(٤) ابن جرير ٣٠/١٩١ وأبو نعيم في الحلية ٤/٢٨٤ وعبد بن حميد وابن مردويه وابن أبي حاتم كما في الدر ٦/٣٥٠ وفي إسناده أشعث بن سعيد متروك كما في التقريب ص ٤٨ وقد سقط واسطته من ابن جرير لكن قال ابن كثير ٤/٥١١: هذا مرسل حسن، والله أعلم.

(٥) سورة الفجر: ٢٧- ٢٨.

(٦) الحكيم الترمذي في النوادر كما في الدر. ووقع في الدر: سليم بن أبي عامر رضي الله عنه، والصواب ما في الإزالة، راجع التهذيب ٤/١٦٧.

(٧) ابن أبي حاتم كما في الدر، وابن كثير ٤/٥١٠.

من سورة الليل

(٣٣٣) نـــزلت الآيات في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(١) عن ابن مسعود قال: إن أبابكر الصديق رضي الله تعالى عنه اشترى بلالا من أمية بن خلف وأبي بن خلف ببردة وعشر أواق فأعتقه لله. فأنـــزل الله ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ سعي أبي بكر وأمية وأبي، إلى قوله ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ قال: لا إله إلا الله، إلى قوله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾[١] قال: النار[٢].

(٢) عن عروة أن أبابكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله بلالا وعامر بن فهيرة والنهدية وابنتها وزنّيرة وأم عبس وأمة بني المؤمل، وفيه نـــزلت ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾ إلى آخر السورة[٣].

(٣) عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال أبوقحافة لأبي بكر[٤]: أراك تعتق رقابا ضعافا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك. فقال: يا أبت إنما أريد وجه الله. فنـــزلت هذه الآية فيه ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾[٥].

(٤) عن سعيد بن المسيب قال نـــزلت ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾ في أبي بكر أعتق ناسا لم يلتمس منهم جزاء ولا شكورا ستة أو سبعة منهم بلال وعامر بن فهيرة[٦].

(٥) عن ابن عباس في قوله ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾ قال: هو أبوبكر الصديق[٧].

من سورة اقرأ

(٣٣٤) أسلم عمر بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له.

(١) عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب. وقد ضرب أخته أول الليل وهي تقرأ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ حتى ظن أنه قتلها ثم قام من السحر فسمع صوتها تقرأ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾. فقال: والله ما هو بشعر ولا همهمة! فذهب حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد بلالا على الباب فدفع

---

(١) سورة الليل: ١- ١٠.
(٢) ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر كما في الدر ٣٥٨/٦.
(٣) ابن أبي حاتم كما في الدر ٣٥٩/٦ والطبراني، ورجاله إلى عروة رجال الصحيح، كما في المجمع ٥٠/٩.
(٤) الحاكم ٥٢٥/٢ وقال: على شرط مسلم.
(٥) سورة الليل: ٥- ٢١.
(٦) ابن جرير ٢٢٨/٣٠ ورجاله ثقات.
(٧) ابن مردويه كما في الدر ٣٥٩/٦ وقد قال ابن الجوزي: أجمعوا أنها نزلت في أبي بكر، وللسيوطي في ذلك رسالة "الحبل الوثيق في نصرة الصديق" المطبوعة في فتاواه الحاوي.

الباب، فقال بلال: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب. فقال: حتى أستأذن لك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال بلال: يا رسول الله، عمر بالباب! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن يرد الله بعمر خيرا أدخله في الدين. فقال لبلال: افتح. وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضبعيه فهزَّه فقال: ما الذي تريد وما الذي جئت له؟ فقال له عمر: اعرض علي الذي تدعو إليه. قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني محمد عبده ورسوله. فأسلم عمر مكانه وقال: اخرُج[1]،[2].

من سورة القدر

(٣٣٥) عناية عمر بالبحث عن ليلة القدر

(١) عن عكرمة عن ابن عباس قال: دعا عمر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر، فاجتمعوا أنها في العشر الأواخر. فقلت لعمر رضي الله عنه: إني لأعلم وإني لأظن أي ليلة هي؟ قال: وأي ليلة هي؟ قال: هي سابعة تمضي أو سابعة تبقى من العشر الأواخر. قال عمر رضي الله عنه: ومن أين علمت؟ قلت: خلق الله سبع سموات وسبع أرضين وسبع أيام وإن الدهر يدور في سبع وخلق الإنسان من سبع ويأكل من سبع ويسجد على سبعة أعضاء والطواف بالبيت سبع والجمار سبع لأشياء ذكرها. فقال عمر رضي الله عنه: لقد فطنت لأمر ما فطنا لـه. وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله: ويأكل من سبع قال: هو قـول الله ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ...﴾[3]، [4].

(٣٣٦) عناية عمر وعلي بقيام الليل في شهر رمضان

(٢) وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا والله حرّضت عمر على القيام في شهر رمضان. قيل: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: أخبرته أن في السماء السابعة حظيرة يقال لها حظيرة القدس، فيها ملائكة يقال لهم الروح -وفي لفظ الروحانيون- فإذا كان ليلة القدر استأذنوا ربهم في النـزول إلى الدنيا فيأذن لهم فلا يمرُّون بمسجد يصلى فيه ولا يستقبلون أحداً في

---

(١) أي للصلاة والدعوة علناً.

(٢) الطبراني كما في الدر ٣٦٩/٦. قال الهيثمي في المجمع ٦٢/٩: فيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهومتروك، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وبقية رجاله ثقات.

(٣) سورة عبس: ٢٧ — ٣١.

(٤) عبدالرزاق ٢٤٦/٤ وابن راهويه ومحمد بن نصر والطبراني والبيهقي ٣١٣/٤ كما في الدر ٣٧٤/٦ ورجاله ثقات.

طريق إلا دعوا له فأصابه منهم بركة. فقال له عمر: يا أباالحسن فنحرض الناس على الصلاة حتى تصيبهم البركة! فأمر الناس بالقيام[١].

(٣٣٧) عناية عمر بتنقيح آيات القرآن الكريم

(٣) عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى عمر رضي الله تعالى عنه يسأله، فجعل عمر ينظر إلى رأسه مرة وإلى رجليه أخرى هل يرى عليه من البؤس. ثم قال له عمر: كم مالك؟ قال: أربعون من الإبل. قال ابن عباس قلت: صدق الله ورسوله، لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب. فقال عمر رضي الله تعالى عنه: ما هذا؟ فقلت: هكذا أقرأني أبي. قال: فمر بنا إليه، فجاء إلى أبي فقال: ما يقول هذا؟ قال أبي: هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: أفأثبتها في المصحف؟ قال: نعم[٢].

(٤) وعن ابن عباس قال قلت: يا أمير المؤمنين إن أبيا يزعم أنك تركت من كتاب الله آية لم تكتبها. قال: والله لأسألن أبيا فإن أنكر لتُكذبنَّ، فلما صلى صلاة الغداة غدا على أبي فأذن له وطرح له وسادة وقال: يزعم هذا أنك تزعم أني تركت آية من كتاب الله لم أكتبها؟ فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لو أن لابن آدم واديين من مال لابتغى إليهما واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب. قال: فأكتبها؟ قال: لا أنهاك. قال: فكأن أبيا شك أقول من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قرآن منـــزل[٣].

من سورة الزلزلة

(٣٣٨) بكاء أبي بكر لنـــزولها

(١) عن أنس قال: بيـــنما أبوبكر الصديق يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ نـــزلت عليه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٤]. فرفع أبوبكر رضي الله عنه يده وقال: يا رسول الله إني لراء ما عملت من مثقال ذرة من شر؟ فقال: يا أبابكر، ما ترى في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر، ويُدَّخر لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة[٥].

---

(١) البيهقي كما في الدر ٦/٣٧٦.
(٢) أحمد ٥/١١٧ ورجاله ثقات.
(٣) ابن الضريس كما في الدر ٦/٣٧٨.
(٤) سورة الزلزال: ٧، ٨.
(٥) ابن جرير ٣٠/٢٦٨ وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم في تاريخه وابن مردويه

(٢) وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أنـزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وأبوبكر الصديق رضي الله عنه قاعد فبكى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا أبابكر؟ قال: تبكيني هذه السورة. فقال: لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم(١).

(٣) وعن أبي أيوب الأنصاري قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر يأكلان إذ نـزلت عليه هذه السورة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عن الطعام ثم قال: من عمل منكم خيرا فجزاءه في الآخرة ومن عمل منكم شرا يره في الدنيا مصيبات وأمراض ومن يكن فيه مثقال ذرة خيرا دخل الجنة(٢).

(٤) وعن أبي إدريس الخولاني نحواً من ذلك(٣).

(٥) وعن جعفر بن برقان قال: بلغنا أن عمر بن الخطاب أتاه مسكين وفي يده عنقود من عنب، فناوله منه حبة ثم قال: فيه مثاقيل ذر كثير(٤).

من سورة التكاثر

(٣٣٩) سورة التكاثر تعدل ألف آية.

(١) عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ في ليلة ألف آية لقي الله وهو ضاحك في وجهه. قيل: يا رسول الله ومن يقوى على ألف آية؟ فقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ إلى آخرها. ثم قال: والذي نفسي بيده إنها لتعدل ألف آية(٥).

والبيهقي في الشعب كما في الدر ٣٨٠/٦ وفي إسناده الهيثم بن ربيع ضعيف كما في التقريب ص ٥٣٧، وقال الحافظ في التهذيب ٩٨/١١: روى له ابن جرير حديثـا آخر رواه عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس وبين أنه أخطأ فيه، والصواب أيوب عن أبي قلابة عن أبي إدريس مرسلاً والحديث المذكور في الأوسط للطبراني والشعب للبيهقي انتهى. وقال الهيثمي في المجمع ١٤٢/٧: رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه موسى بن سهل والظاهر أنه الوشاء وهو ضعيف.

(١) ابن أبي الدنيا في كتاب البكاء وابن جرير ٢٧٠/٣٠ والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب كما في الدر ٣٨٠/٦، ٣٨١ وقال الهيثمي في المجمع ١٤١/٧: رواه الطبراني وفيه حيي بن عبدالله المعافري وثقه ابن معين وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ في التقريب ص ١٣٢: صدوق يهم.

(٢) ابن مردويه كما في الدر ٣٨١/٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) عبد بن حميد كما في الدر ٣٨٢/٦.

(٥) لم أجده عن عمر رضي الله عنه، وذكر السيوطي نحوه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وعزاه

(٣٤٠) عناية علي بتفسير الآية

(٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن قوله ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[1] قال: من أكل خبز البر وشرب ماء الفرات مبرَّدا وكان له منـــزل يسكنه فذاك من النعيم الذي يسأل عنه[2].

(٣٤١) جابر بن عبدالله يضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبابكر وعمر.

(٣) وعن جابر بن عبد الله قال: جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وعمر رضي الله عنهما فأطعمناهم رطبا وسقيناهم ماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا من النعيم الذي تسألون عنه[3].

(٣٤٢) أنصاري يضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبابكر وعمر.

(٤) وعن أبي هريرة قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا: الجوع يا رسول الله. قال: والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما فقوموا، فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته. فلما رأته المرأة قالت: مرحبا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أين فلان؟ قالت: انطلق يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه. فقال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني. فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر. فقال: كلوا من هذا. وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياك والحلوب. فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا. فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة[4].

(٣٤٣) مالك بن التيهان الأنصاري يضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبابكر وعمر.

(٥) عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم

للحاكم والبيهقي في الشعب. راجع الدر ٣٨٦/٦.

(١) سورة التكاثر: ٨.

(٢) عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر ٣٨٨/٦.

(٣) أحمد ٣٣٨/٣، ٣٥١، ٣٩١ وابن جرير ٢٨٦/٣٠ وابن المنذر والنسائي وابن مردويه والبيهقي في الشعب كما في الدر ٣٨٨/٦ وإسناده حسن.

(٤) مسلم (٥٣١٣) كتاب الأشربة باب جواز استـــتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك الخ.

خرج يوما عند الظهيرة فوجد أبابكر في المسجد جالساً. فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله. ثم إن عمر بن الخطاب جاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن الخطاب ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: أخرجني الذي أخرجكما. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل بكما من قوة فتنطلقان إلى هذا النخل فتصيبان من طعام وشراب. فقلنا: نعم يا رسول الله، فانطلقنا حتى أتينا منـــزل مالك بن التيهان أبي الهيثم الأنصاري(١).

(٣٤٤) الواقفي يضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبابكر وعمر.

(٦) وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعنا عمر إلى رجل يقال له الواقفي فذبح لنا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إياك وذات الدر. فأكلنا ثريدا ولحما وشربنا ماء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا من النعيم الذي تُسئلون عنه(٢).

(٧) عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كل شيء سوى ظل بيت وجلف الخبز وثوب يواري عورته والماء، فما فضل عن هذا، فليس لابن آدم فيهن حق(٣).

(٣٤٥) عناية عمر بشرح الآية

(٨) عن عكرمة قال: مر عمر بن الخطاب برجل مبتلى؛ أجذم أعمى أصم أبكم. فقال لـــمن معه: هل ترون في هذا من نعم الله شيئاً؟ قالوا: لا. قال: بلى، ألا ترونه يبول فلا يعتصر

---

(١) البزار وابن الـــمنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل كما في الدر ٣٨٩/٦، وقال الهيثمي في المجمع ٣١٦/١٠، ٣١٧: رواه البزار وأبو يعلى باختصار والطبراني كذلك، وفي أسانيدهم كلها عبد الله بن عيسى أبو خلف وهو ضعيف، وهو عند البيهقي في الدلائل ٣٦٢/١ أيضا من طريق عبد الله بن عيسى.

(٢) أبو يعلى أتم منه حديث رقم ٧٣، وابن ماجه (٣١٨١) أبواب الأضاحي باب النهي عن ذبح ذوات الدر مختصرا، وذكره الحافظ في المطالب ١٦٢/٣ والهيثمي في المجمع ٣١٩/١٠ وقال: رواه الطبراني وأبو يعلى وفيه يحيى بن عبيد الله قد ضعفه الجمهور ووثق وبقية رجاله ثقات. والـــمروزي في مسند أبي بكر ص ٩٤، ٩٥ وعزاه السيوطي في الدر ٣٨٩/٦ لأبي يعلى وابن مردويه فقط.

(٣) أحمد في الزهد ص ٢١ وفي المسند ٦٢/١ والطيالسي رقم ٨٣، وأبو نعيم في الحلية ٦١/١ والترمذي (٢٣٤١) والحاكم ٣١٢/٤ وصححه ووافقه الذهبي لكن في إسناده حريث بن السائب وهو مختلف فيه، وقال أحمد: روى حديثا منكرا عن الحسن عن حمران عن عثمان، يعني هذا الحديث وذكر أن قتادة خالفه فقال: عن الحسن عن حمران عن رجل من أهل الكتاب، فثبت أن الحديث من الإسرائيليات أخطأ الحريث هذا في رفعه. راجع سلسلة الضعيفة رقم ١٠٦٣.

ولا يلتوي يخرج بوله سهلا؟ فهذه نعمة من الله تعالى[١].

من سورة قريش

(٣٤٦) تأكيد منـــزلة قريش وذكر فضائلهم

(١) عن قتادة بن النعمان أنه وقع بقريش فكأنه نال منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا قتادة، لا تسبن قريشا فإنه لعلك أن ترى منهم رجالا تزدري عملك مع أعمالهم وفعلك مع أفعالهم وتغبطهم إذا رأيتهم، لولا أن تطغى قريش لأخبرتهم بالذي لهم عند الله[٢].

(٢) وعن معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الناس تبع لقريش في هذا الأمر خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والله لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله. قال[٣]: وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: خير نسوة ركبن الإبل صالح قريش أرعاه على زوج في ذات يده، أحناه[٤] على ولده في صغر[٥].

(٣) وعن أنس قال: كنا في بيت رجل من الأنصار فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف فأخذ بعضادتي الباب، فقال: الأئمة من قريش ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك ما ان استُحكموا عدلوا، وان استرحموا رحموا، وإذا عاهدوا وفوا. فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منهم صرف ولا عدل[٦].

(٤) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن للقرشي مثلَي قوة الرجل من غير قريش. قيل للزهري: ما عنى بذلك؟ قال: نبل الرأي[٧].

---

(١) عبد بن حميد كما في الدر ٦/٣٩١.

(٢) أحمد ٦/٣٨٦ وقال الهيثمي في المجمع ١٠/٢٣: رواه أحمد مرسلا ومسندا وأحال لفظ المسند على المرسل، والبزار كذلك والطبراني مسندا ورجال البزار في المسند رجال الصحيح ورجال أحمد في المرسل والمسند رجال الصحيح غير جعفر بن عبد الله بن أسلم في مسند أحمد وهو ثقة وفي بعض رجال الطبراني خلاف، وعزاه السيوطي في الدر ٦/٣٩٨ لأحمد فقط.

(٣) أي؛ معاوية.

(٤) أرعاه: أحفظه، أحناه: أعطفه.

(٥) ابن أبي شيبة ١٢/١٦٩ كما في الدر وأحمد ٤/١٠١ أيضا من حديث زيد بن أبي عتاب عن معاوية ورجاله ثقات، والبخاري (٣٥٠٠) كتاب المناقب باب مناقب قريش من حديث محمد بن جبير عن معاوية "إن هذا الأمر في قريش" وأما طرفه الثاني فرواه أحمد وعلقه البخاري. الفتح ٩/٥١٢.

(٦) أحمد ٣/١٢٩، ١٨٣ وابن أبي شيبة ١٢/١٧٠ والنسائي كما في الدر ٦/٣٩٩ وقال الهيثمي في المجمع ٥/١٩٢: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط والبزار إلا أنه قال: الملك في قريش ورجال أحمد ثقات. قلت: ورواه البخاري في تاريخه ١ ق٢/١١٣ والدولابي ١/١٠٦ أيضا وفي إسناده اضطراب وفي بكير الجزري ضعف، راجع التهذيب ٧/٣٩٧، ٣٩٨.

(٧) أحمد ٤/٨١، ٨٣ وابن أبي شيبة ١٢/١٦٨ كما في الدر ٦/٣٩٩ وقال الهيثمي في المجمع ١٠/٢٦:

(٥) وعن سهل بن أبي حثمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعلموا من قريش ولا تعلموها وقدموا قريشا ولا تؤخروها. فإن للقرشي قوة الرجلين من غير قريش[١].

(٦) وعن أبي جعفر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تَقدموا قريشا فتضلوا ولا تَأخَّروا عنها فتضلوا، خيار قريش خيار الناس وشرار قريش شرار الناس. والذي نفس محمد بيده لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله[٢].

(٧) وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الناس تبع لقريش في الخير والشر إلى يوم القيامة[٣].

(٨) وعن إسماعيل بن عبد الله بن رفاعة عن جده قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فقال: هل فيكم من غيركم؟ قالوا: لا، إلا ابن أختنا ومولانا وحليفنا. فقال: ابن أختكم منكم ومولاكم منكم. إن قريشا أهل صدق وأمانة فمن بغى لهم العواثر كبّه الله على وجهه[٤].

(٩) وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الناس تبع لقريش في هذا الأمر خيارهم تبع لخيارهم وشرارهم تبع لشرارهم[٥].

(١٠) وعن أبي موسى قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب فيه نفر من قريش فقال: إن هذا الأمر في قريش[٦].

(١١) وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش: إن هذا الأمر فيكم وأنتم ولاته[٧].

(١٢) وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان، وحرك إصبعيه[٨].

(١٣) وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الملك في قريش والقضاء في الأنصار والأذان في الحبشة[٩].

رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح.

(١) ابن أبي شيبة ١٢/١٦٩ كما في الدر.

(٢) ابن أبي شيبة ١٢/١٦٧.

(٣) راجع ص ٤٠- ٤١.

(٤) ابن أبي شيبة ١٢/١٦٧.

(٥) راجع ص ٤٠- ٤١.

(٦) ابن أبي شيبة ١٢/١٦٧.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) راجع ص ١٨٠- ١٨١.

(٩) ابن أبي شيبة كما في الدر.

(١٤) عن سعد قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من يرد هوان قريش يهنه الله[١].

(١٥) وعن عبيد بن عمير قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش فقال: اللهم كما أذقت أولهم عذابا فأذق آخرهم نوالا[٢].

(١٦) عن سعد بن أبي وقاص أن رجلا قُتل، فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أبعده الله إنه كان يبغض قريشاً[٣].

من سورة الكوثر

(٣٤٧) بشارة النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بنهر الكوثر

(١) عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله ما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة أعطانيه ربي أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وطوله ما بين المشرق والمغرب، لا يشرب منه أحد فيظمأ ولا يتوضأ منه أحد فيتشعث أبدا. لا يشرب منه من أخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي[٤].

من سورة النصر

(٣٤٨) عناية عمر بتفسير السورة

(١) عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال له عبد الرحمن بن عوف: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم. فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني. فقال: ما تقولون في قوله ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ حتى ختم السورة فقال بعضهم: أمرنا الله أن نحمده ونستغفره إذا جاء نصر الله وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، وبعضهم لم يقل شيئاً. فقال لي: يا ابن عباس، أ كذلك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله ﴿إِذَا

---

(١) راجع ص ١٧٤.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٧٢/١٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الترمذي (٢٥٤٢) أبواب صفة الجنة باب ما جاء في صفة طير الجنة، وحسنه، وأحمد ٣٢٠/٣ وابن جرير ٣٢٤/٣ والحاكم ٥٣٧/٢ وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر ٤٠٢/٦ بلفظ: أن رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة أعطانيه ربي لهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر، قال عمر: يا رسول الله إنها لناعمة، قال: آكلها أنعم منها يا عمر. وأخرج ابن مردويه عن أنس قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قد أعطيت الكوثر! قلت يا رسول الله ما الكوثر قال نهر في الجنة طوله مابين المشرق والمغرب لا يشرب منه أحد الخ. كما في الدر، فهذا يدل على أن بصر المؤلف أو الناسخ زاغ حين نقله عن الدر المنثور، وأدخل حديثا في حديث.

جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فتح مكة فذاك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[١].

(٣٤٩) أبوبكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده.

(٢) وعن ابن عباس قال: لما نــزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ جاء العباس إلى علي رضي الله تعالى عنه فقال: انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان هذا الأمر لنا من بعده لم تشاحنا فيه قريش، وإن كان لغيرنا سألناه الوصاة بنا. قال: لا. قال العباس: فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا فذكرت ذلك له، فقال: إن الله جعل أبابكر خليفتي على دين الله ووحيه وهو مستوص فاسمعوا له وأطيعوا تهتدوا وتفلحوا واقتدوا به ترشدوا. وقال ابن عباس: فما وافق أبابكر على رأيه ولا آزره على أمره ولا أعانه على شأنه إذ خالفه أصحابه في ارتداد العرب إلا العباس، قال: فوالله ما عدل رأيهما وحزمهما رأي أهل الأرض أجمعين[٢].

من سورة الإخلاص

(٣٥٠) عناية عمر بشرح السورة

(١) عن عمر[٣] بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قرأ ﴿ٱللَّهُ -الواحد- ٱلصَّمَدُ﴾[٤].

---

(١) البخاري (٤٩٧٠) تفسير سورة النصر.

(٢) ابن مردويه وأبو نعيم في فضائل الصحابة والخطيب في تالي التلخيص كما في الدر ٦/٤٠٧.

(٣) الحافظ ابن حجر في الفتح ٩/٦٠.

(٤) أي مكان ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ في سورة الإخلاص.

نظرة شاملة

على الموضوعات التي ذكرتها آيات القرآن الكريم التي أوردها المؤلف الإمام في هذا الباب السادس، تصريحا أو تعريضا، وهي تشمل منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومناقب خلفائه وفضائل أمته وبشاراتهم بالنصر والتمكين في الدنيا والفوز بدرجات رفيعة في الآخرة، وذلك في ضوء الأحاديث والآثار الواردة في تفسيرها[1].

(١) هذا الفهرس أعده المترجم محمد بشير غفر الله له.

الخلافة

سائر الصحابة

الباب السابع

الأدلة العقلية على خلافة الخلفاء

ملاحظة

لا يثبت وجود أشخاص بأعيانهم أو صفاتهم بمجرد العقل وإنما يثبت بنقل متواتر أو مشهور أو خبر الواحد الصحيح. فمن هنا نعني بالأدلة العقلية أن تكون إحدى مقدماتها عقلية والأخرى متواترة أو مشهورة.

والمقدمة العقلية قد تكون على حالتين: الحالة الأولى، هي التي تعتمد على العقل فقط من دون استدلال بالنصوص الثابتة، إلا أن الأدلة الشرعية تصدقها ليعتد بها.

والحالة الثانية: استنباط واستقراء عقلي من الأدلة الشرعية، أو أن وجود عكس تلك الحالة يستحيل حسب قواعد الشرع، كأن يصدر من رسول الله ﷺ شيء لا يليق بمقامه ولا يجوز أن يصدر منه، وما شابه ذلك. لذا نقسم هذا الباب إلى فصلين، كما يلي:

الفصل الأول: تنقيح معنى الخلافة الخاصة

الفصل الثاني: الأدلة العقلية على خلافة الخلفاء الثلاثة

الفصل الأول

تنقيح معنى الخلافة الخاصة

لفظ الخلافة حقيقة شرعية وقد ذهب الناس في فهمها وإدراكها مذاهب وآراء شتى، كل يضع لها معنى، وبناء عليه يستنبط معاني الخليفة وصفاته. مثلاً فريق يعرّفون خلافة النبي عليه الصلاة والسلام بالإمامة فيشترطون في الخليفة صفات الهاشمية والفاطمية والعصمة وما شابه ذلك، ولا يثبت عاقل هذه الصفات لأي من الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم.

في حين أننا نستنبط من مفهوم الخلافة مفاهيم الحكم وسياسة الأمور ونشترط في الخلافة الخاصة سوابق الهجرة والتضحية والفداء في صدر الإسلام، ولا أحد يقدر أن ينسب هذه المعاني الجليلة إلى أحد من الأئمة -الاثني عشر- ما عدا سيدنا علي رضي الله عنه.

إذن الخلاف بين الفريقين نشأ من عدم وجود رؤية واضحة سليمة لمعنى الخلافة، وأن اختلافهم في فهم المصطلح ستر الحق وأخفاه.

تعني الخلافة في اللغة أن يخلف إنسان إنسانا آخر ويجلس مجلسه ويقوم مقامه، ويتولى القيام بمهامه نيابة عنه. وفي الشرع يُراد منها **تولي الملك للقيام بشؤون دين الرسول صلى الله عليه وسلم نيابة عنه**. فمن لم يكن ملكا و لم تنفذ أوامره ليس خليفة مهما كان له من علو شأن، كأن يكون أفضل الأمة ومعصوما وفاطميا وواجب الطاعة. كذلك إذا تولى المُلك كافر لا يعرف للشرع مكانة ووضع السيف على الرقاب يجلب الخراج وينهب المال ولا يقيم الدين بالجهاد ولا الحدود ولا العدل والقسط، لا يعتبر خليفة، مثل أكثر الحكام المتغلبين في عصرنا وفيمن قبلنا.

الخلافة عند الإمامية غير الإمامة.

هنا تجدر الإشارة إلى أن كلام الإمامية في هذا الباب نـزاع لفظي بل ثرثرة كلامية وإثارة للمراء والجدل فحسب، وليس حتى نـزاعا لفظيا لأن معنى الخلافة عندهم غير معنى الإمامة. وأمّا عند أهل السنة والجماعة فالكلمتان مترادفتان. وهم يعرّفون الخلافة بأنها الملوكية على غير معصية الله، فينفذ حكم الملك أو الخليفة شرعا سواء كان الخليفة أفضل الأمة أو لا، في حين أن الفريق الآخر (أي الإمامية) يراه أفضل الأمة ويفرض على الأمة طاعته نصا من الله عز وجل سواء كان ملكا أو لم يكن!

الحديث عن الإمامة على هذا النهج لم تتفوه به أي فرقة من الفرق الإسلامية، ولا ورد في الكتاب ولا السنة، ولا استنبط منهما، و لم يتفق عليه ذرية علي رضي الله عنه في أي عصر من العصور، بل يستحيل أن يكون معناها في الشرع على هذا النمط الغريب ومع ذلك لم يسمع به و لم يعرفه أحد! ولعل هذا يشبه قول رجل يزعم أن سيلا عارما جرف السوق اليوم فغرق بضعة آلاف من الناس، ولا يعرف هذا الخبر غيره ولا أثر لسحاب ولا مطر! ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[١].

وإن صدقنا مثل هذا القول فما نحن إلا من السوفسطائيين[٢]!

تؤمن الإمامية بإمامة زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق رضوان الله تعالى عليهم في حين أنهم لم يكونوا حكاما ولا ملوكا!

أجل! يرون الخلافة تحت قاعدة الإمامة؛ أي في حالـة وجود الإمام الـخلافة حق له ولا يجوز أن ينازعه فيها أحد؛ وبمعنى آخر أن هذه المسألة تعد من مستلزمات واجب الطاعة المطلقة. وإذا قلد الإمام المعصوم والمفترض الطاعة أحدا من البشر مسئولية السلطة ومنصب

---

(١) سورة النور: ١٦.

(٢) السوفسطائيون فرقة من الفلاسفة يؤمنون بأن الكون وما فيه من الموجودات هي كلها وهمية الوجود لا أساس لها وأن لا قاعدة لخيرية العمل أو عكسها ولا أساس للمثوبة والجزاء. (المترجم).

الحكم فحكمه صحيح لا محالة، ويعد هو حينذاك إماماً والحاكم خليفته كما صنع نبي الله شمويل عليه السلام إذ اختار طالوت خليفة له فكان هو نبيا مرسلا من عند الله وكان طالوت ملكا. وفي مثل هذه الحالة إذا خولف الإمام في أدنى مسألة كالنكاح أو ما شابهه يعد ذلك عصيانا. إذن اختيار الخليفة أو الحاكم لا يؤثر في الأمر ولا يغير من الواقع شيئاً.

من هنا يتضح أن رفع علم الخلاف في مسألة الخلافة ضدنا وراية المعارضة من الجانبين وإحداث المشاجرات في الأمر لا معنى ولا جدوى لها! فتأمل هذه النكتة حق التأمل.

بعد إيضاح هذه النكتة نعود إلى أصل الكلام.

الخلافة الراشدة

وعند تقييدنا الخلافة بالراشدة نعني بها **النيابة عن النبي ﷺ في كل ما كان يقوم به، بوصفه نبيا مرسلا؛ من إقامة دين الله والجهاد في سبيل دحض أعداء الله لإعلاء كلمته سبحانه وتعالى وإقامة الحدود وإحياء علوم الدين وإقامة أركان الإسلام والقيام بالعدل والقسط والفتاوى وغيرها على صفة يقدر عليها وليس هو فيها بعاص ولا مذنب**. وتقابلها الخلافة الجابرة. والخليفة الجابر هو الذي يخالف الشرع في كثير من أموره ولا يؤدّي الواجبات الملقاة على عاتقه بل يعطل كثيراً منها إلى أن يعد عاصيا في خلافته، كأن يقيم الحدود ولا يحيي علوم الدين أو يقيم الحدود على غير ما أمر به الشرع كأن يحرق بالنار مكان الرجم، ويرجم مكان القصاص.

هناك صفات ومستلزمات للخلافة الراشدة، ولا يمكن تصورها من غير وجودها وهي العقل والبلوغ والذكورة وصحة السمع والبصر والحرية والعلم والعدل والشجاعة والكفاءة وحسن الرأي في السلم والحرب وغيرها من الصفات اللازمة.

يحكم العقل بداهة أن مثل هذه الصفات لا مناص من وجوبها في المتصف بالخلافة الراشدة. وقد أضافت إليها السنة المطهرة صفة القرشية، حتى يتم التشبه بحكم الله عز وجل في بني إسرائيل إذ ما كان يصطفي أنبياءهم إلا من بني إسرائيل سواء كانوا من ذرية لاوي أو يهودا أو غيرهما. كذلك اشترط النبي ﷺ أن يكون الخليفة من قريش سواء كان من بني هاشم أو غيرهم، وفي اشتراط قرشيته حكمة لا يتسع هذا المجال لتفصيلها.

وهنا يطرح **سؤال** خلاصته إذا قلدنا مهام الخلافة صبيا أو امرأة أو جاهلا أو غير مجرب وغير مؤهل بعد موت أبيه واستخلفناه على المسلمين، وعيّـــنا برفقته علماء صادقين يعلّمون

وينشرون علوم الدين ويتولون أمور القضاء والافتاء، وعيّــنا أميرا حاذقا يتولّى شؤون الغزو وأمور الجيش فيقدر على قصم ظهور الأعداء، ونصبنا حكيما عالما بأمر الزكاة وجمعها وأخذ الخراج ونصب العمال وإجراء بيت المال على مستحقيه، فسوف تنتظم أمور الملك وشؤون الدولة من غير توفر الصفات المذكورة أعلاه في الخليفة، فما حاجة الخليفة إليها؟

نجيب بالنقض أولاً فنقول: إذا أزلنا هذا الصبي أو المرأة أو الجاهل من مكانه، وقد اتفق العلماء والأمراء والوزراء على التفاهم وعدم الخلاف في شؤون الملك وعاهدوا أن لا يعارض بعضهم بعضا ولا يتناحروا ولا يتشاجروا، فما حاجتنا إلى هذا الخليفة إذ تنتظم شؤون الملك من غير وجوده؟

ونجيب بالحل ثانياً: يستحيل جمع أشتات الأمور بهذه الطريقة من غير تنظيم قاعدة صلبة ثابتة تقدر بهيبتها وسطوتها على تجميع هذه الأشتات لئلا تــتناثر في الهواء، فإن فقدانها لجدير بأن يندلع بينهم أدنى بوادر الغضب وسرعان ما تذوب هذه العهود والتحالفات. وقد قال الحكماء سابقاً إن ما يجمع الناس على وتيرة واحدة وجوه متعددة من الخوف والوجل والرغبة والمكانة والحاجة واتفاق الطبائع ووحدة الصفات الكسبــية والعادات والعقول والظروف الاجتماعية. أما التحالف الذي يأتي نتيجة صفة أو صفتين يبقى دائما على حافة الزوال والسقوط ولا يمكن وضع الخطط الحربية والمشاريع الضخمة بناء عليه.

وتعد هذه من أجدر مباحث سياسة الدول. فإن هذه الأمور لا تبنى على الاحتمالات العقلية بل تبنى -في غالب الأمر- على قاعدة أو أسس ثابتة قوية ترفع المفاسد وتقيم المصالح. إذن يــجب أن نعرف أن وجود هذا الصبــي الناقص، أو المرأة، يتساوى مع عدم وجوده. ولأن من لا يدرك ما المصالح؟ وما القانون والقاعدة التي تسوق إلى تلك المصالح؟ أنى له أن يقضي ويرشد إلى طرق الوصول إليها وإلى تمييز المفسدة من المصلحة ليأمر بالثانية وينهى عن الأولى!

والاعتماد والاتكال على أصحاب المهارات في كل فن من الفنون والوقوف موقف المتفرج والمقلد لا يستقيم مع حكمة القيادة ولا ينبغي لها، وما أكثر ما أصاب العالم من الاتكال على هذا المنهج! إلا إذا اضطرتك الضرورات إلى اتباع حاذق في فن من الفنون، فتلك الضرورات تبيح المحذورات.

على العموم، لا شك إن تمثلت هذه الصفات في الخليفة فقد شابه النبي ﷺ في بعض صفاته في قيادة الملك وفي الأفعال والتصرفات، وإن زدنا على أوصاف الخلافة الراشدة وصف "الخاصة" كذلك، ونقول الخلافة الراشدة الخاصة، فيرجع هذا إلى مدى مشابهة ذلك الخليفة نبينا

عليه الصلاة والسلام، زيادة على ما اشترطناه من الصفات في الخلافة الراشدة وسنخوض في تفصيلها.

مغزى الكلام **أن الخليفة لن يكون النبي بعينه حتى ينـــزل عليه الوحي أو تفرض طاعته على الأمة مثله**؛ وإنما يجب أن يتصف بأقرب الصفات النبوية من الصفات المتجلية في أمته وأن يكون ظلاً له، نعني التشبه به في أوصاف يتصف بها النبي باعتباره نبياً. مثلا كان عليه الصلاة والسلام من أجمل الناس، والأنبياء في الجمال على درجات متفاوتة، إذن ليس الجمال من صفاته عليه الصلاة والسلام باعتباره نبياً. وكان هاشميا وسائر الأنبياء من ذرية بني إسرائيل، إذن ليست الـــهاشمية من صفاته النبوية. لكن يشمل قولنا "باعتباره نبيا" الـــجهاد مثلاً، مع أن أكثر الأنبياء لم يؤمروا بالجهاد، غير أننا نعرف أن الجهاد لا يؤمر به إلا عن طريق الوحي. فنبوته هي التي أمرته بالجهاد.

كما يشترط التشبه بجميع أوصاف الرسول عليه الصلاة والسلام أو بأكثرها. فالمسلمون كلهم يشبهون نبيهم في بعض الصفات، ولو في أدنى درجاتها كأداء الصلوات الخمس وتلاوة القرآن وما شابهها بل من أفاضل الأمة والسلف الصالح من كانوا أشبه الخلق به كما قال حذيفة[1] في عبد الله بن مسعود[2]، ولا شك أن الخلافة صفة واحدة من تلك الصفات لا غير.

الخلافة الخاصة هي الخلافة المطلقة لأنها تشمل كل ما كان يقوم به النبي ﷺ باعتباره نبيا ولا يبلغ هذه المرتبة من التشبه إلا من كان من الطبقة العليا من الأمة لا من الطبقة السفلى أو الوسطى.

ويبلغ المرء هذه الرتبة –الطبقة العليا – من وجهين اثنين:

الوجه الأول: من حيث مشابهة النبي في العبادات والمقامات السنية والأخلاق الحميدة.

الوجه الثاني: من حيث السوابق الإسلامية مثل الهجرة والجهاد.

ولا يمكنه بلوغها إلا إذا سخر لها قوتين من قواه الشخصية أي القوة العاقلة والقوة العاملة -جبلة وكسبا- إلى ما يناسب صفات النبي عليه الصلاة والسلام ووظائفه. ويجب أن ترى عليه ثمرات تلك القوى جملة أو فرادى. ولا يبلغ هذا الشأو إلا إذا ألهم قلبه داعية إلهية لإنجاز مواعيد الله سبحانه وتعالى، وشملته دعوات نبوية وغشيت قلبه رحمات إلهية، وقد تشرف

---

(١) قال في جواب عبد الرحمن بن زيد: لا أعرف أحداً أشبه بالرسول صلى الله عليه وسلم من عبد الله ابن مسعود.

(٢) البخاري (٣٧٦٢) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عبدالله بن مسعود ولفظه: " عن عبدالرحمن قال سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ حتى نأخذ عنه، قال: ما أعلم أحداً أقرب سمتاً وهدياً و دلا بالنبي ﷺ من ابن أم عبد".

بصحبته عليه الصلاة والسلام فتجلت آثار تلك البركات والرحمات الإلهية في أفعاله وتصرفاته. ولا يمكنه بلوغها إلا إذا كان واسطة بين النبي وبين أمته في تبليغ بعض رسالته.

ولا تتضح حقيقة الخلافة الخاصة إلا إذا اتضحت حقيقة التشريع ثم حقيقة النبوة وماهيتها لأن الخلافة الخاصة نموذج النبوة وشبيهها. إذن يجب هنا إيضاح سبع نكات للوصول إلى البغية والمراد.

النكتة الأولى

حقيقة التشريع

التشريع إكمال تقدير الله سبحانه وتعالى وتخطيطه.

قد حدد الله عز وجل لكل مخلوق من مخلوقاته حده وحدوده وخلق كل شيء على شاكلة وصورة خاصة تناسبه، فوضع فيه طبائع وأخلاقا تخصه دون غيره من المخلوقات وركّب فيه انفعالات جبلّية تظهر عند الحاجة والظروف الطارئة عليه. وهذه حكاية جد طويلة. لكن الإنسان الذي هو من أفضل أنواع هذه المخلوقات قد خصص بعقل وذكاء فارتقى إلى المعارج العليا بما وهبه الله تعالى وبما فضله على كثير من الكائنات.

وقد ركبت فيه قوتان اثنتان: قوة ملكية وقوة حيوانية. إذا أثار الإنسان قواه الملكية واتبع كل ما هو من شأن الملائكة سرعان ما يندمج في عدادهم ويصبح وكأنه ملك من الملائكة، وكذلك إذا اتبع الشهوات وكل ما هو من صفات الحيوانات والبهائم ينقلب بهيمة ويعد منها.

أما الحالة الثالثة التي تقتضيها الطبيعة الإنسانية هي الاندماج والاعتدال بين الأمرين حيث يأخذ من الصفات الحيوانية ما لا يتعارض مع الصفات الملكية، ومن الصفات الملكية ما لا يزاحم الصفات الحيوانية وبذلك يعقد عقد صلح بين النوعين من الصفات. وهذا ما تقتضيه الصورة الإنسانية من الاعتدال والاتفاق إذا ما انتهكت سترها الذنوب والمعاصي. و ﴿**فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا**﴾[1] إشارة إلى حقيقة الاعتدال هذه.

لدوام هذه الهيئة الاعتدالية ينبغي وجود ملكات وأحوال وأفعال. فإن لها أصولا تزيدها ديمومة وقوّة كما أن لها ما ينقصها ويقلل من شأنها، وللمنقصات كفارات!

هذه الحكاية تشبه حكاية الطبيب الذي يرى للحالة الاعتدالية التي يسميها الصحة عوامل وأسبابا تفسدها وتقلل من شأنها وأخرى تحتفظ بها، فيأمر بهذه وينهى عن تلك.

لما خلق الله الخلق في الأزل جعل لكل خلق حكمة وأسراراً، وكان من حكمته سبحانه وتعالى أن جعل حد الاعتدال هو الفطرة التي تقاس بها الدرجات الكاملة والملكات الحسنة

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

والدركات والمنقصات، بل هي -الفطرة- تتحاكم في أمرها. وهي تسمى "شريعة البشر". وقد أوجبت أشياء -الواجبات- وحرّضت على نظائرها -المندوبات- وسكتت عن بعضها -المباحات- في حين كرّهت أمورا -المكروهات- وحذّرت أخرى -المحرمات- وهذه كلها لا سبيل للبشر إليها إلا من خلال الإلهامات الجليلة والوحي السديد المنـزل على أعدل البشر وأقوم خلق الله عز وجل الذي حمل إلينا شريعة الواحد الديان، تلك التي لا يعتريها تبديل ولا تغيير لكنها قد تقيد بالمكان والزمان، كما أن الطبيب يحدد بيانه الطبي من بين عدة احتمالات؛ نظرا لعمر المريض وبلده ومراعاة المناخ. فهذا ما يسمى بالشرعة والمنهاج كما قال تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.[1]

النكتة الثانية **معنى بعث الرسل**

لا تظن أن بعثة الرسول من الحق جل وعلا تعني إنـزاله من الأعلى إلى الأسفل أو إرساله من المشرق إلى المغرب أو من بلد إلى آخر لكنها تعني:

(أ) أن الإرادة الإلهية اقتضت أن يُدرك جمهور خلقه من البشر أن صلاح أمرهم يكمن في اتباع شريعته سبحانه وتعالى فيسعوا جاهدين إلى تعلمها لتملأ عقولهم وقلوبهم ولتنتشر بينهم وتندمج في حياتهم وتمتلك نواصي أمورهم فترشدهم نحو الخير وتبعدهم عن الشرور،

(ب) أو كان الظلم والشرك بأنواعه سمة من سمات البشر كلهم أو بعضهم، إلى حد يستحيل إزالته من غير أن يأتي نبي مؤيد من قبل الحق سبحانه وتعالى ليهديهم سبيل الرشاد والصلاح،

(ج) أو يبلغ العتو والعناد والكفر بقوم من أقوام البشر مبلغا يستحقون العقاب والهلاك ولم يكن من مشيئته سبحانه أن ينـزل عليهم صيحة من السماء أو أن يهلكهم بإمطار حجارة بل جرت مشيئته أن يرسل إليهم رسولا ذا شوكة ومنعة ليكون حجة عليهم، وليكون هو وجبريل عليه السلام في حالة عنادهم وتجبّرهم وكفرهم واسطة لعن وعذاب على القوم الكافرين!

لا يرتقي إلى هذا الشأو ولا يستحقه كل واحد من البشر بل يختار له الحق سبحانه وتعالى أعدل أفراد الإنس وأشبههم بالملأ الأعلى، كما أن جميع الأزمان ليست صالحة لبزوغ فجر الرسالة بل تختار مشيئة الله عز وجل زمانا مناسبا فيصطنع لنفسه ولدعوته من بين أفراد البشر من يقدر على حمل أمانته ورسالته. ولما يحين أوان البعثة يخاطب مختاره ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ

(١) سورة المائدة: ٤٨.

﴿لِنَفْسِي﴾[١]، ثم يملأ جوفه من تلك الشريعة ويسخر قواه العقلية والقلبية لدعوته ولطاعته سبحانه وتعالى، وكما يختار له حواريين من أمته ويجعله منارا للتعليم والإرشاد ويوفق أتباعه للتعلم والاسترشاد منه ليقوموا بتبليغ الشريعة ونشرها بين الخلق كلهم، كأن يشعل سراج في بيت ويعكس نوره في مرايا نصبت حواليه على جدران فيتحقق معنى الإرشاد والاسترشاد من خلال كمال النبوة في النبي وفي أمته؛ ﴿أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢]، وكذلك تقوم تلك الشريعة التي اختيرت في الأزل، فبذلك تتحقق كلتا الحقيقتين معا وفي مكان واحد. كما يكون لكتاب الطب وجود خطي وآخر لفظي وثالث ذهني. فحروفه ترشد إلى أصوات تمثل صورا ذهنية وتخيلات عقلية، وهي تفصيل لمسائل الطب وحل لمعضلاتها ومشاكلها، وقد كان كتابة هذا الكتاب طريقا لنشر قواعد الطب بين الناس. وبهذا الأسلوب نفسه تنتشر بين الأنام تلك الشريعة المختارة في الأزل من خلال التعليم والتعلم والإرشاد. وهذا معنى إرسال الرسل وإنـــزال الكتب، فتدبر!

هكذا يتجلى هذا الوجود في ذلك الموجود، اندماج الروح في الجسد. وللنبي صور يتمثل بها، فحينا يظهر على شاكلة **الملوك والخلفاء**، وحينا تراه في لباس **العالم والخبير** وأحيانا في **صورة العابد والزاهد**، ولكل صورة أسباب يقتضيها الحظ والقوة والسطوة ولها وظائف وشئون خاصة بها كما أن لها آثارا ونتائج، مثل الجسد مادته العناصر الأربعة[٣]، ونفسه الناطقة هي روحه المدبرة، وسببه النطفة والطعام.

فقد زعم السذج أن نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام هي ملوكية بـــحتة ولــم يدركوا روح الفتح في ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٤] فانغرقوا في الشقاء الأبدي وتاهوا، فإن أفضل الشرائع التي أنـــزلت على أفضل البشر كانت مزيج عدة صور؛ فقد كانت صورة من الخلافة اندمجت في صورة العالم المعلم التي تلاقت مع صورة الزاهد المرشد.

النكتة الثالثة للخلافة ظاهر وباطن.

للخلافة جانبان اثنان؛ ظاهرها الملك والحكم لإقامة دين الله، وباطنها مشابهة النبي عليه الصلاة والسلام في صفاته النبوية.

وقد اتضح من خلال أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام وأفعاله بأن النبوة إرادة إلهية

---

(١) سورة طه: ٤١.
(٢) آل عمران: ١١٠.
(٣) الهواء والماء والتراب والنّار.
(٤) سورة الفتح: ١- ٢.

لإصلاح العالم وإقامة شرع الله وكبت المفسدين ودحض الكافرين. وتعني الخلافة بهذا المعنى إرادة إلهية تكمل مسيرة النبوة بتسجيل أقوال النبي وأفعاله وإشاعة نور الحق بين الأنام وتغليب دينه بوضع فرد من أفراد الأمة في المنصب الذي كان يشغله النبي صلى الله عليه وسلم ليمثل محورا إلى سائر الأمة لنشر هتاف التوحيد وإعلاء دين الله وشرع نبيه عليه الصلاة والسلام. ولا ينبغي أن يوضع في هذا المقام إلا من كان ذا صلة بقواه العاقلة والعاملة بالنبي المرسل كأن يكون محدَّثا أو ذا فراسة توافق الوحي أو صاحب كرامات ومقامات توحي بكمال نفسه وقواه العاملة.

ويجب أن تكون صورة الخليفة نسخة أخرى من صورة النبي، فإن كان النبي سلطانا يجب أن يكون الخليفة كذلك، وإن كان عالما وزاهدا يجب أن يكون الخليفة كذلك عالما وزاهدا. إلا أن خصوص تلك الصورة هي غير عين النبوة في حين أن خصوص الصورة جزء من الخلافة لا محالة، بل بهذه الصورة والمعاني السابقة يتحقق لقب الخلافة. كما أن "الفصل" من عوارض "الجنس" وداخل في "النوع"، وكما أن "الخاصة" من عوارض "ماهية النوع" ومن الصفات الذاتية للصنف ودوران الحكم مع كل علة تكون مظنة للمصلحة يقتضي صلته بعموم المصلحة، والحكمة تقتضيها لعلاقتها بعموم المصلحة وخصوص تلك العلة هو مقتضى الشريعة التي ترتبط بخصوص المظنّات.

ولا شك أن النبي لما ملئ صدره بالأنفاس القدسية والرحمات الإلهية وبُعث إلى الخلق وحيدا أُختير له أعوان وأنصار ليعينوه على حمل أعباء الأمانة في حياته، وليكونوا خيط وصل بينه وبين أمته من بعده.

ولما اختار المولى عز وجل في الأزل نبيه ومصطفاه وقلّده مقاليد الرسالة إختار له من أمته جماعة وصفهم بالخلافة من بعده ليكونوا واسطة تأثير النبي في أمته لما لهم من الأفعال والأعمال والمقامات الجبلّية.

فهذا المعنى قد كتب لهم في الأزل ونقش على صحيفة قلوبهم وقد أُجري لهم على أرض الواقع من بعد النبي وما أحسن ما قيل في هذا المعنى:

هذا الألم قد أختير لك من الأزل وسيبقى لك إلى الأبد
وأنـــى يقدر الـــمرء على أداء شكر هذا الحكم الأبدي

نسمي من تحققت فيه الخلافة الظاهرة والباطنة بالخليفة الخاص، والخلافة الخاصة مرتبة من مراتب الولاية، وهي أشبه مراتب الولاية بالنبوة.

وعلماء الأمـــة الذين اختارهم الحكمة الإلهية لنشر دعوة الرسول ﷺ وتـــجديد أمر دينه، وإقامة شرعه لهم مراتب عديدة تدخل في إطار الخلافة الخاصة جملة، وهذه هي حقيقة

الخلافة الخاصة.

بعدما وضحنا ونقحنا معنى الخلافة الخاصة، ووقفنا على ماهيتها يجب أن نستقري أحوال الخلفاء وأقوالهم ونرتقي في قصصهم إلى روح تلك الحكايات لنصل إلى المعنى المشترك بينهم. وهنا يجب أن نتتبع الآيات الكريمات والأحاديث النبوية وآثار السلف الصالح لتعيننا على تنقيح معنى الخلافة وإثبات لوازمها في الأشخاص المعينين.

النكتة الرابعة

الأوصاف التي يجب أن يتصف بها خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

كل ما سبقت الإشارة إليه من الصفات والبراهين تدور في فلك خلافة النبوة بشكل عام، والآن نقف على معالم خليفة نبينا ﷺ لنتعرف على الصفات الخاصة التي ينبغي أن تتجلى فيه غير تلك الصفات العامة.

اعلم أن نبينا محمدا ﷺ هو أفضل الأنبياء، وشريعته أفضل الشرائع، والكتاب المنزل عليه أفضل الكتب السماوية. وقد كان الأنبياء يبعثون في صور مختلفة، فكان منهم الملوك مثل سيدنا داود وسليمان عليهما السلام، ومنهم الأحبار والعلماء كسيدنا زكريا عليه السلام ومنهم الزهاد كسيدنا يونس ويحيى عليهما السلام وقد وهبهم الله عز وجل العزة والغلبة وأكرمهم بالمكانة اللائقة في كل هذه الصور، وكانت هذه الغلبة والطاعة والإنقياد لهم كالجسد للإنسان حيث تمثل العناية الإلهية الروح فيها، وكما أن الجسد وكر وبيت للروح كانت النبوة بيتا ووكرا للعزة والجاه، وانقياد القوم للنبي والعناية الإلهية والنصر الغيبي المتمثل في ﴿**فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾[1] هي الروح للنبوة وكأن حقيقة النبوة تتحرك من وراء الستار كما تظهر جهة حركة الهواء من خلال الأعلام القماشية التي تصمم على شاكلة الأسود والأسماك.

كلنا أسود ولكن أسد العلم في مهب الرياح دوما في حركة ونشاط

وقد بزغت شمس نبوة أفضل الأنبياء تحمل في طياتها (١) الملوكية (٢) والعلم (٣) والزهد.

(١) بناء الأمة والدولة

(١) فقد ظهرت النبوة في مطلعها تجمعا للمسلمين حول قائدهم ﷺ.

---

(١) سورة الفتح: ١- ٢.

(٢) ثم ازدادت في مكة وضوحا أكثر حتى أخذت صورة الإقبال إليه ومن ثم رئيسا لمدينة من المدن أو قرية من القرى.

(٣) ثم الأمر بالهجرة وقد هاجر المسلمون من كل جانب وتهيأوا للجهاد، فازداد معنى الرئاسة وإقامة الجيوش والحكم وضوحا.

(٤) إلى أن فتحت مكة وهرع وفود العرب من كل حدب وصوب إلى جنابه. فنزل قوله تعالى ﴿**إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ...**﴾[1]، وركب معه أربعون ألف جندي، وفي رواية سبعون ألف في غزوة تبوك وتجمع في محضره في حجة الوداع أكثر من مائة وخمسة وعشرين ألفا.

(٥) وخضع لسطوته اليمن وتهامة ونجد وأجزاء من بلاد الشام وكانوا يبعثون إليه الزكاة والجزية، وكان عماله يتقلدون القيادة في كل مكان حتى تحقق فيه معنى "سلطان بلد من البلاد"! وترعرع أمره ترعرع جسد الطفل إذ ينمو من كل جانب وتزداد قواه الناطقة كمالاً، فيكتمل كمالا يناسب بركات النبوة وفيوض الرسالة.

فما بقي بعد **المرحلة الأخيرة** من الصعود والرقي التي تحققت يوم أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، إلا تلك المرحلة التي نسميها **بمرحلة "الذي القرنينية"** التي تجعل ملوك الأرض يخضعون لأمره ويتحركون تحت لوائه وهذا ما كان يُصطلح عليه في عرف الملوك السابقين بـ"ملك الملوك". وقد بشره الله عز وجل بها مرات عديدة، وقد أشار إليها مرارا، وبينها قبل أن يسرع إلى استجابة دعوة الحق سبحانه وتعالى في ﴿**يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ...**﴾[2]، فما كان من المولى عز وجل إلا أن حقق وعده على يد خلفاء نبيّه، ففتح عليهم بلاد الفرس والروم وكنوزها وزاد مثوبة هذا كله على حسنات حبيبه. وبذلك تمت النعمة واكتملت وتحققت جميع معاني النبوة التي ضمنها قوله تعالى ﴿**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ**﴾[3] والحمد لله رب العالمين.

(٢) نشأة العلم

وأما صورة العلم فقد ظهرت فيه إذ ولد في برهة من الزمن كان قد اندثرت فيها رسوم الأنبياء السابقين ودياناتهم، وكان قومه العرب يعبدون الأصنام ويركعون للأوثان ولا علم لهم بمبدأ ولا معاد كما لا تمييز لهم بين حلال أو حرام، وكان الظلم والفساد شيمتهم. فبعثه الله عز

---

(١) سورة النصر: ١- ٢.

(٢) سورة الفجر: ٢٧- ٢٨.

(٣) سورة الفتح: ٢٨، سورة الصف: ٩.

وجل إليهم بعد ما زوده بأفضل الكتب السماوية وزينه بأنواع الأحكام وأنطقه الحكمة المهداة في ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1]، واختار من بني قومه جماعة يحفظون علمه ويسترشدون لرشده. فقد وفق هؤلآء الأميون من العرب لحفظ كتاب الله عز وجل وقراءته وتعلم أحاديث نبيهم صلى الله عليه وسلم وحكمه وأحكامه. فأصبح هؤلآء الأجلاف من أهل البادية الجهلاء أحبار الأمة وعلماءها.

وقد وعد الحق سبحانه حفظ كتابه فاختار من أمة الرسول ﷺ طائفة من كل فرقة وفي كل عصر يتفقهون أمر دينه؛

(١) فجمع وُفقوا لحفظ كتابه وحسن قراءته وتعليمه للناس،
(٢) وفئة جبلوا على التفسير تعلما وتعليما،
(٣) وآخرون تفقهوا السنة وأصبحوا من رواتها،
(٤) وغيرهم اشتغلوا بالفتوى وتقلدوا منصب القضاء،
(٥) كما عين الخلف من كل عصر لاتباع السلف.

وإذا كان المرء يملك قلبا نابضا بالحياة فسيدرك أن ماء الحياة جرى من عين في فؤاد صاحب الرسالة ثم انفجر في جداول وأنهار يهرع نحو الشرق والغرب، والمسلمون في كل مكان يلتمسون من تلك الأنهار والجداول علم دينهم، ويتمثل هذا المعنى خير تمثيل يوم الحشر في كوثره الذي ماءه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأوانيه كعدد نجوم السماء[2].

لم يكن قد تجلى أي من هذه المعاني قبل بعثة الرسول ﷺ و لم يكن للعرب بها عهد. فبعد بعثته انفجر مياه فؤاده العذبة حتى شملت الآفاق كلها وتمثلت في التعليم والتعلم والحفظ الموعود به من السماء، ولا يمكن تفسيرها ضمن القياسات العقلية بل هي ثوابت ثبتت برأي العين لا مجال لإنكارها.

مدارج تقدم العلوم

وتقدم العلم كذلك على درجات ومراحل.

فكانت **المرحلة الأولى** يوم أن كانت الرسالة في صباها بمكة فكانت حبات المطر السماوي ترقم على ساحة قلب المصطفى المبارك ﷺ معاني توحيد العبادات وعلم المعاد وقصص

(١) سورة النجم: ٣- ٤.
(٢) أبو يعلى (٤٠٨٥) من حديث أنس رضي الله عنه وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف وقد روي من طريق آخر عن أنس. راجع البداية والنهاية ٥،٤/٢ وله شواهد.

الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبدأت **المرحلة الثانية** بعدما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فتوسعت آفاق العلم في سماء الحياة الجديدة وبدأت الأحكام والحِكم المفصلة تتوالى، فنـزلت أحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج والواجبات والمنهيات وأحكام النكاح والبيع والشراء والآداب الاجتماعية الراقية ومبادئ الحضارة وأساليب سياسة المدن وإدارة البلاد بكمال وشمول.

بعد هاتين المرحلتين بقيت **المرحلة الأخيرة** من التقدم العلمي وكانت على قسمين:

(١) **قسم** كان من الممكن أن يتحقق في زمن صاحب الرسالة بشيء من العسر إلا أن المشيئة الربانية قدرت تأخيره ليتم على يد الخلفاء تحقيقاً لمواصلة التطور فيهم، **مثاله** جمع القرآن من الألواح والجريد والجلود وصدور الرجال بين دفتين لينتشر في الآفاق بهذه الهيئة نفسها، وبذلك فتح باب حفظه لكافة المسلمين.

(٢) **والقسم الآخر** هو ما لم يكن من الإمكان حدوثه في زمن النبي عليه الصلاة والسلام بل كان يجب أن يتحقق على يد خلفائه من بعد ارتحاله إلى الرفيق الأعلى مثل البحث عن أحكامه التي لم تنتشر بين الأنام. فقام الخلفاء بهذا الواجب حيث أخرجوا تلك الأحكام من صدور رجال كانوا يحفظونها إلى الخلق كافة، وكذلك بيان الحكم الفاصل من النصوص التي تحتمل أكثر من وجه، فقد أثبت الخلفاء الوجه المراد منها. وأما فيما لم يرد فيه نص ثابت من الشارع فجمع الخلفاء أهل الحل والعقد ووقفوا على إجماع لاجتهاداتهم كما أنهم وضعوا قواعد وضوابط في رواية الحديث واحتاطوا في أمره. فهذا القسم الأخير من التقدم العلمي تحقق على يد الخلفاء رضوان الله عليهم أجمعين. ولم يكن ليستفاد من الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة. فإن كل ما يستفاد منه بلا واسطة يعدّ من السنة أو الكتاب. ولهذا كان لابد له من خليفة يقوم بجمع القرآن وتعليمه واستنباط الشرائع والأحكام منه.

وقد عد من أفضل أنواع العلم بعد كتاب الله وسنة نبيه تلك الإجماعيات للخلفاء التي كانت ثمرة اجتهاد فقهاء الصحابة فنفذت أحكامها في الأمة وقد اجتمعت عليها. فلم يكن هذا النوع مما يمكن القيام به في زمن الرسول ﷺ.

(٣) العناية بالتزكية والإحسان

والآن تدبر حال الرسول صلى الله عليه وسلم وصفته زاهدا وعابدا وهاديا مرشدا للأمة المسلمة. فهي تشمل مراتب الإحسان والقيام بالواجبات والطاعات بأنواعها العديدة؛ منها تمهيد قواعد الإحسان بالمواظبة على الصلاة والذكر، ثم العناية بحفظ اللسان، والإرشاد إلى مقامات

وأصول سنية، وكذلك تربية الوصول إلى تلك المقامات والأحوال بتأثير الصحبة. وإليها تشير الآية الكريمة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾[1]. وقد أرشد أفاضل الأمة في كل العصور- بعدما تحقق فيهم معاني الإحسان والكمال في تطهير نفوسهم — الناس إلى هذه المقامات والأحوال وبينوا لهم آثارها، وتأثيراتها، فبعد الإفادة منها إلتـئم شمل الأمر. وكان هذا سرا من الأسرار الإلهية المكنونة في نبوته ﷺ. وقد كان الخلفاء على رأس تلك القائمة من الأفاضل إذ أرشدوا العالم إلى تلك المعاني قولاً وعملاً.

ويتم تعليم مسائل الإحسان قولاً وفعلا على مراحل عديدة فتنقسم مرتبته الأخيرة إلى قسمين؛

(١) **قسم** كان من الـممكن أن يأخذه الناس من شخص الرسول عليه الصلاة والسلام بلا واسطة بشيء من المشقة والعسر، فاختارت العناية الإلهية هؤلاء الخلفاء للقيام بهذا الواجب من بعده ليدرك الناس بغيتهم في يسر. مرادنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان متصفا بجميع الكمالات من العصمة، والوحي والإحسان وكان يصدر منه أفعال من جهة الإحسان وأخرى من حيث العصمة، فكان أصحابه قد يتحيرون إذ لا يدركون إن كان عمل ما ناتجا من الإحسان أو العصمة والنبوة التي باب التطلع إليها مسدود ولا مجال للآمال إليها. فإذا كان من ثمار الإحسان فسوف يشمر المحسنون إليه عن ساعد الجد ويقتدون به ويسكبون عرق الجبين في تعلمه. وهكذا كانت الشبهة القائمة تعرقل طريق الوثوب إلى الكمال في كثير من الأعمال، ولكن لما تعلم الخلفاء تلك المعالي والطرق من النبي ﷺ ورأى الناس تلك الصفات قد تجلت فيهم أدركوا أنها مرتبة إحسانه عليه الصلاة والسلام ويجب على المحسنين أن يتبعوها ويسترشدوا بها. فالمعجزة خاصة بالأنبياء والكرامة عامة للأولياء، والوحي خاص بالأنبياء بينما المحدثية عامة، والكشف كدليل قطعي خاص بالأنبياء وكشف المبشرات والفراسات عام.

(٢) **والقسم الثاني** أمور لا يمكن إدراكها إلا من خلال الوسطاء أو الرموز والإشارات دون الأفعال والأحوال مثل حب الرسول ﷺ الذي يسمى الفناء في الرسول أو الأويسية في الإنقياد والـخضوع للشرائع والورع عند الشبهات، وقياسا على ذلك لا مغنى لـحب الرسول أو الأويسية عند النبي عليه الصلاة والسلام فلا تستقيم هذه الأمور من غير وساطة الخلفاء، وبهذا يثبت احتياج جميع أفراد الأمة إليهم.

خلاصة القول أنه لا يمكن أن يتشبه الخليفة بالنبي عليه الصلاة والسلام في صورة النبوة:

(١) سورة البقرة: ١٢٩، سورة آل عمران: ١٦٤، سورة الجمعة: ٢.

(١) من غير اتصافه بالملوكية على شاكلة ذي القرنين في الحكم على إمبراطوريتي العصر: فارس والروم وتوابعهما.

(٢) كما لا يتم التشبه به من غير جمع القرآن وبث الهمم العالية لنشره وتعليمه وتعلمه وحمل الناس على تلاوته.

(٣) ومن غير وضع الإجماعيات في كل باب من أبواب الفقه.

(٤) ومن غير تعليم جملة صالحة من مسائل الإحسان.

النكتة الخامسة

بيان التشبه بنبينا في الاستعدادات والملكات التي هي مصدر أفعاله وأحواله

هنا أمران أساسيان في فهم ضروريات هذا الباب، بل هما من ركائز أكثر المباحث الكلامية.

الأمر الأول: يعتبر أهل الحق خلق الأشياء من إرادة الله عز وجل وباختياره ولا يلتفتون إلى الإيجاب والإنجاب ويرون وقف بعض الأشياء على البعض الآخر جريا على العادة. فجرت سنة الله عز وجل على أن يأتي عقيب الشيء الفلاني مخلوق من صفاته كذا وكذا.

هنا انـــزلقت طائفة فركّبوا الأسباب بالمسببات فحسب، أو علقوا المسببات بالأسباب فقط، وطرحوا شبهة حدوث الأشياء بإرادة الفاعل المختار لا بالإيجاب ولا الإنجاب، ورفضوا الاستدلال بالأسباب الخاصة للمسببات الخاصة وكذلك العكس. وهذه الشبهة ما هي إلا سفسطة محض لأن جميع مصالح الدنيا والآخرة موقوفة على استدلال بالأسباب والمسببات والعكس؛ فلماذا يرمون البذور في الأرض؟ ولماذا يسقونها؟ لماذا يتناولون الدواء؟ ولماذا يجاهدون الأعداء؟ لماذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يراعي الأسباب الخاصة لإدراك مسبباتها الخاصة في الحروب وفي جميع أموره؟

فإذا رفعنا هذا الاستدلال لا يبقى للعقل واجب يؤديه، ولاستوى العاقل والسفيه، ولما أُعتبر تحري الخلفاء في شؤون الدولة وإصابتهم فيها فضلا لهم، إذ لم يكلفوا بذلك، ﴿**سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**﴾[1].

الحق أن وقوف المسببات على الأسباب واقع، والخلق من غير الواسطة لمجرد إرادة الفاعل المختار كذلك حق، ومن يقدر على الجمع بين الأمرين في مخيلته والتوفيق بينهما له أن يخوض في هذا الباب وإلا فليؤمن بالأمرين وليتجنب الخوض في تفصيلهما.

---

(١) سورة النور: ١٦.

الأمر الثاني: يعرف في بادئ ذي بدء أن القائلين بالاختيار لا يقطعون بالأدلة التي تثبت من خلال الأسباب والمسببات لإمكان خرق العادة عندهم، وكذلك لا يقطع القائلون بالإيجاب بأكثر تلك الأدلة لأنه يصعب اليقين في عالم الكون والفساد أن هذه الأشياء هي أسباب فحسب كما يصعب الجزم بوجود المانع وانتفاء الشروط على كثرتها وشيوعها، مع ذلك يحصل الاعتقاد الجازم في بعض الأمور بل يحصل اليقين في بعض المواد. وهذا يشبه كلامنا في أنه مع كثرة أخطاء الإحساس يحصل اليقين في بعض الأمور من خلال الإحساس، وكذلك مع أنه لا تتيقن أكثر العيون بسلامة المواد والصور نرى اليقين في بعض أمورها، هكذا يحتمل قيام المجاز والاشتراك والتخصيص العام وأمثالها في كلام المخبر الصادق ويتيقن بمضمون خطاب الشارع، وليس إنكار هذه المعاني إلا مكابرة. ولعل السر في حدوث ذلك يكمن في أن خدشا خفيا أو ريبا ضئيلا قد يعتري النفس في بعض الأحيان ويخدش اليقين بذلك الشك أو الريب من حيث يدري أو لا يدري.

بعدما اتضح هذان الأمران نعود إلى أصل الموضوع.

إن الأفعال المتسقة المتقاربة والمتماثلة لا تظهر من النفوس الناطقة إلا إذا تمتعت بملكة راسخة تناسب تلك الأفعال والأحوال. وهذا يشبه ما ذهب إليه المتكلمون بأن إتقان خلق هذا الكون ليدل دلالة واضحة على أن خالقه عالم ومريد وحكيم وقادر. إذن خليفة نبينا محمد ﷺ الذي هو مصدر لتلك الأفعال الثلاثة الخاصة بنبوته (الملوكية والعلم والزهد) يجب أن يكون قد وُضع في نفسه الناطقة كمال هاتين القوتين؛ القوة العاقلة والقوة العاملة، ويملك براعة ومكانة في الجمع بينها في نفسه بحيث تؤهله لخلافته.

الوحي ثمرة من ثمار النضج والكمال في القوة العاقلة عند النبي يقابله في الخليفة المحدثية والصديقية والفراسة الصادقة التي تؤدي إلى تحقيق ظنونه؛ فلا يظن بشيء إلا كان كما قال، ورأيه يوافق الوحي الإلهي في كثير من المواقع. والعصمة من المعاصي والآثام ثمرة من ثمار القوة العاملة في النبي، يقابلها في الخليفة الصيت الحسن والصلاح والعفة والابتعاد عن المعاصي إلى درجة أن يشهد له النبي ﷺ أن الشيطان يفر من ظل فلان[1].

تعتبر المعجزة والأفعال الغريبة والواقعات العجيبة مثل المعراج من ثمار الامتزاج بين القوتين السابقتين وتقابلها عند الخليفة المقامات والأحوال العالية والكرامات الخارقة واستجابة الدعوات وتأثير المواعظ في أفئدة الناس.

تحقيق هذه الصفات الثلاثة في الخليفة يؤهله لمشابهة النبي في ثلاثة مواقع:

---

(١) قد ورد في فضل عمر بن الخطاب وتقدم في المسانيد في مسند سعد بن أبي وقاص بلفظ: والذي نفسي بيده مالقيك الشيطان قط سالكاً فجا إلا سلك فجا غير فجك. راجع ص ٦٠.

الأول: يكون مرشدا للخلائق بعد النبي.

الثاني: تستجيب نفسه للداعية الإلهية بناء على اليقين التام وليس على التقليد، فإذا تجلى في نفسه هذا المعنى ظهرت عجائب البركات في أفعاله.

الثالث: يملك قدرة فائقة في استخراج الأحكام والحِكم من شريعة النبي ﷺ إلى أن يصبح الصلة بينه وبين النبي كصلة المخرِّج بالمجتهد.

هنا يجدر الوقوف على نكتة أخرى وهي أن الشرائع قد أخبرت بأن المعجزة تثبت دعوى نبوة الشخص وتلزم حجة الله على الخلائق.

وقد اضطربت عقول العقلانيين في هذه النكتة، فأفضلهم أنـزل عليها حكم قياس الغائب على الشاهد، فكما أن رئيس القبيلة قد يرجو من الملك أن يخالف عادته ويتكلم في حقه ليدرك الناس مكانته لدى الملك فكذلك الشأن بين النبي وبين الله تبارك وتعالى، والآخرون عارضوا الفكرة بأدلة وبراهين لم يفصلوا فيها القول.

والحق أن المكلفين لا يدركون صدق نبوة النبي إلا من خلال استجابة العلوم الفطرية التي وضعها المولى عز وجل في صدور الناس، وبشهادة القلب تتم الحجة مهما جحدوا وأنكروا ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[(١)].

والمعجزة الخارقة وبركات صحبة النبي ترفع الغطاء عن هذا الكلام الصادق الذي ليس مجرد تقليد أو اقتباسا من العلماء السابقين وليس من بنات أفكار مدعي الرسالة ولا مما تعلمه من فلان أو علان بل هو وحي ينـزل من فوق سبع سماوات، وإن وافق معظمه ما أنـزل على الأنبياء السابقين، وبهذا ينجلي الأمر ويرتفع الستار ويفور اليقين من كل جانب ويزهق الباطل بمجيء الحق، وهذا مما وضع وركب في جبلّة الإنسان وفطرته.

نعود الآن إلى أصل الكلام.

بعد ما اتضحت لنا هذه النكتة، نشير إلى أنه ينبغي للخليفة أن يتحلى بمثل هذه البركات ليدرك الجميع فضل الله ومنّه عليهم بأنه استخلف عليهم هذا الشخص ووكله شؤونهم ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾[(٢)].

ولا تجري الأفعال التي لها صلة بالملك على أفضل وجوه الإتقان إلا إذا اتصف الخليفة بعدة صفات، منها:

---

(١) سورة النمل: ١٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٨.

١- إدراك مقام ومكانة الأشخاص ومواهبهم ليفوّض كل أمر إلى أهله، لئلا يقع خلل في أمور الملك بتوكيل الأمور إلى غير أهلها.

٢- الفراسة والمعية

حيث يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

لأن كثيرا ما تتعارض الأمور وتتشابك خيوطها، فإذا حدث تأخر أو تعجل وقع خلل وخطب عظيم يصعب تفاديه.

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا
إذا كنت ذا رأي فكن ذا رَويَّة فإن فساد الرأي أن تتعجلا

ولا ينجي من هذه الورطة إلا الفراسة والمعية، ومن عاشر الملوك ورافقهم أو قرأ أحوالهم وتصفح تاريخهم لا يخفى عليه هذا المعنى.

٣- الطالع السعيد والحظ المظفر لا الحظ المنكوس الذي إذا طرأ عليه أمر "غاصت أرجله الأربعة في الطين كالحمار"، وقد صور الشاعر فردوسي على لسان "دستان" حكاية الاقتراع لتعيين الملك بعد قتل "نوذر".

لا يليق التاج والسرير الملكي لكل همل وليجب أن يختار لها ذو يقظة بطل
ممن غشته رحمة الرب الأجل ليبث فوه حكمة في كل جدل

والعلم بالحظوظ مستور وراء حجب الغيب لا يكشفه إلا إخبار الصادق المصدوق. وكان المجوس الجهلة يعتمدون فيه على سير النجوم والكواكب ولكن الشريعة نهتنا عن تلك الأوهام والخرافات، فلا مجال لإدراكها إلا ما يقدمه الشارع من الإشارات والتلميحات.

٤- وأن يتصف بالشجاعة التي هي مرتبة بين التهور والجبن.

٥- وأن يعرف بالحلم الذي هو مقام بين الإقدام والإنتكاس.

٦- وأن يكون حليما لا لاهيا ولا غافلا.

٧- وأن يكون عدلا يستطيع أن يمسك بعنان نفسه في كل حال ويجعل لكل مقام مقالا، ويطول الكلام في طرق هذه المباحث.

أما الصفات والأفعال الناشئة من العلم والزهد، لا يمكن أن تصدر إلا ممن أوتي بصيرة نافذة في علوم القرآن وحذق السنة، فيدرك مصالح الأمور بعلمه الغفير وحلمه الجم فهو بالنسبة إلى النبي كالمخرِّج للمجتهد؛ تفنن في الفقه، وقلبه يفور حكمة وعلما. ومن لم يرزق هذه المواهب أنى له القيادة؟ وكما قيل: فاقد الشيء لا يعطيه.

السحابة الجدباء التي لا ماء لها أنى لها سقية العطشى

بجانب هذا كله يلتمس القوم منه رقة ولينا ويتمنون أن يفقههم علم الكتاب والسنة ويسد الأبواب أمام المحرفين والمنحرفين.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الوسطية والإعتدال في كل الأمور أمر محمود، فكما أن الشارع قد أمرنا بالاقتصاد في العمل فكذلك الشأن في العلم، إذ يجب على المتصف بالعلم والزهد في الملة المحمدية على صاحبها الصلوات والتسليمات أن لا يخوض فيما تركه الشارع مجملا ولا يتكلف فيما لم يأمر به الشارع. فإن الشقشقة والمراء والإنكماش في ما لا طائل وراءه قد يخرج المرء من الحكمة النبوية، كما قيل:

كل من رمى السهم من البعيد إلى الأبعد فقد صار حظه في الصيد السمين أبعد[١]

فالأفعال التي تتعلق بإرشاد الأمة ووعظها لا تصدر إلا ممن اتصف بالوسطية التي هي ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾[٢] وممن له كرامات خارقة ومقامات عالية.

وهنا إشارة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي أن القصد والاعتدال في العمل يعنى التوسط بين البهيمية والملكية والاندماج بينهما فلا هو انسلاخ من البهيمية ولا تعطيل للملكية بل المراد التوسط بينهما على سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولا يذهب بك التغافل مبلغه ولا تسقط في شقشقة الكلام ولا تبتعد عن الصراط المستقيم ولا تغتر فإن وحدة الوجود والتنـزلات الخمسة والخروج إلى الفلسفة في تقرير لّميات الأشياء كلها خروج عن التوسط وابتعاد منه.

لا تعـثرن في اتـهامنا بوحـدة الكـون

فإن في الطريق آيات تهتف للصديق المكنون

بركات من الله سبحانه وتعالى

بعد ما تبين لك هذا الموضوع، أدرك موضوعا آخر أكثر غموضا منه يتعلق به تهذيب النفوس والنجاة الأخروية بل سعادة الدارين. وهو على قسمين؛ قسم يتعلق باستعدادات النفوس وقد سبق شرحه وبسط الكلام فيه.

وقسم آخر يتعلق بالبركات النازلة من عند الله سبحانه وتعالى بناء على السوابق الإسلامية وأعمال العبيد ومقاماتهم "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها".

---

(١) أي كل من يملك القوة الهائلة لرمي السهام من البعيد قد يجتاز سهمه جسم الصيد، فيتمكن الصيد من الهروب.

(٢) سورة الروم: ٣٠.

ويظهر هذا النوع في كل الأمم على صورة خاصة بهم، وقد ظهر القسط الأكبر منه في أمتنا على صورة إعانة الرسول ﷺ زمان غربة الدين[1] إذ بُعث إلى العالم وحيدا فريدا تسانده رحمة الله عز وجل، فكل من وقف معه وسانده شملته البركات الإلهية، ومن تأخر في اللحاق به تأخر في مراتب القرب إليه. ولهذا نرى في قواعد الشرع أن من سبق في الهجرة ارتقى على مراتب عليا، ومن سبق غيره في الجهاد نال السعادة قبلهم كما قال تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا...﴾[2].

وقال تبارك وتعالى ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

والسر في هذا أن مراد الحق جل وعلا هو إعلاء كلمته في العالم. إذن مرافقة مراده سبحانه ساعة أفضل من عبادة مائة سنة. فالسابقون الأولون الذين تشرفوا بالإيمان في مكة قبل الهجرة يقفون على رأس العالمين بما لهم من الأجر والمثوبة، والذين حضروا غزوات بدر وأحد والحديبية فقد سبقوا غيرهم.

ولما آتت جهود النبي ﷺ ثمارها كما أرادها الله عز وجل أصبح هؤلاء القوم سادة العالمين. فمن هذا الباب يجب أن يكون خليفته الخاص من المهاجرين الأولين وممن شهدوا غزوات بدر وأحد والحديبية. هذا سر لا يدركه من يرى ظاهر الأمور ويتغافل عن مغزاها أو يتجاهلها، لكنه عندما يقف على آيات الكتاب وروايات السنة يقبلها على رغمه. فمن هنا إذا كان هذا الخليفة الذي يشبه النبي في الخصال المذكورة، تولى أمر الأمة ومسك بزمام أمور العالم سوف يسانده لطف الحق سبحانه وتعالى ويعينه على أموره كلها.

من الحكم الجليلة أن يجعل الحق سبحانه وتعالى
عبداً من عبيده يتولّى أمور الناس كلهم

ليست النبوة أو خلافة النبوة لتهذيب نفوس هذه الجماعة فحسب، وإنما هي بركة ورحمة إلهية عامة للعالم كله. وجدت لتهذيب نفوس هؤلاء أولا ثم تنبعث منهم لإصلاح العالمين، وهي من باب التكوين وليست من باب التشريع المطلق. فهي كالهواء المعتدل الذي يعالج مرضى العالم أو كالمطر الغزير الذي يزيل القحط عن كل من أصيبوا بالجفاف والسنة.

---

(١) يشير إليه الحديث: بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء. راجع ص٣٤١.
(٢) سورة الحديد: ١٠.
(٣) سورة النساء: ٩٥- ٩٦.

النكتة السادسة **كيف يعرف الخليفة الخاص من بين الناس؟**

معرفة من يستطيع القيام بمهام الخلافة الخاصة ومن هو جدير بها، أمر جد عسير كما يصعب معرفة النبي الحق من بين من يدعون النبوة زورا وبطلانا وإن كان "يسيرا على من يسره الله عليه" فعلى الدرجة نفسها تصعب معرفة من يمكنه أن يكون خليفة خاصا للنبي.

ويمكن الخروج من هذا المأزق وهذه الحيرة بطريقتين، كما أن النبي لا يعرف إلا من وجهين؛ وجه سابق على إعلان نبوته ووجه يلحق نبوته. أما **الوجه السابق**؛ فأن يكون الأنبياء السابقون قد بشروا بقدومـــه وأن هذه البشارة قد أذيعت في قومه ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[1] ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[2]. وهذا سر عجيب من أسرار التكوين حيث إذا أراد أن يبعث نبيا ذا شوكة وقوة في آخر الأزمان يشير إليه على ألسن الأنبياء السابقين وتؤيده بعد ذلك أحلام الناس ومناماتهم وإنذارات الكهنة وغيرها من الأخبار في مصاف تلك الأنباء الواردة من الأنبياء السابقين.

أما **الوجه اللاحق**؛ فيتجلى في أن تكون شريعة النبي الموعود مصدقة للشرائع السابقة، وأن تقوم المعجزات الباهرة على يد هذا النبي، وأن تكون شريعته محجة بيضاء سمحة سهلة لئلا يهلك من هلك إلا على بيّنة من ربه.

وكذلك الحيرة في خلافة الخلفاء، والنجاة منها على وجهين؛

أحدهما **سابق** وهو إخبار النبي عنه بأساليب مختلفة مثل بشارته بالجنة، ووصفه بالصديقية والشهادة والصلاح، أو الإشارة الواضحة إلى أهليته للخلافة قولا وعملا. ولما يصل الأمر إلى هنا تتم حجة الله بخلافته على خلقه ويكلف الناس بطاعته. وبعد وفاة النبي يُلهم طائفة منهم أن يعقدوا لواء الخلافة له ويبسط الـــحق سبحانه سلطانه على العالم بـــمدد من وراء حجب الغيب ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ...﴾[3].

أما **الوجه اللاحق**؛ فهو أن تظهر معاني الخلافة الخاصة فيه وتشرق آيات خلافته وعلامات إمارته مثل فلق الصبح، وتنتشر بين الأنام بالطرق المتواترة. مثاله مثال ذلك الرجل الذي يزعم الطب وقد خفيت مهارته على الناس، ثم يبدأ الخلق يراجعونه. فإذا به يدرك مرض كل مريض ويرشده إلى مرضه وأسبابه وعوارضه ثم يرشده إلى الدواء المناسب وهو في كل ذلك مصيب محق وأدويته تؤثر وتزيل الأمراض وبسببه تنجو الخلائق من أمراض مهلكة، فتتضح مهارته وحذاقته في الطب للعيان وضوح الشمس في رابعة النهار.

---

(١) سورة الصف: ٦.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٧.

(٣) سورة الأنفال: ٤٢.

والآن ركز فكرك في معاني الخلافة التي بيناها واقرأ المجلد الأول من كتابنا هذا لتدرك دلائل الخلافة الخاصة من خلال ما بينه الشارع عليه الصلاة والسلام، ثم اقرأ المجلد الثاني وتأمل دلائل الفصل الثاني لهذا الباب. ولهذه الأسباب وجب أن يكون الخليفة الخاص مبشرا بالجنة ومشهودا بالمقامات العالية، ويعامله النبي معاملة الأمير لمن يُعدّه ويؤهله للإمارة بعده.

النكتة السابعة

فروع الخلافة الخاصة ولواحقها

النوع الأول– ما سردنا فيه الكلام هو درجة من مراتب الولاية، بل أشبه مراتبها بالنبوة، وبعدها درجات عديدة يرفع الله الخواص من عباده إليها. وبما أنها لا تتعلق بعوام الناس فلا نخوض في تفاصيلها والشريعة المطهرة كذلك لم تهتم بإثباتها كثيرا. فإذا حصرنا هذا النوع من الخلافة في أناس معينين فلا تخطئ ولا تنكر ولاية آخرين، وكذلك إذا ذكرنا فضيلة أحد فمرادنا ذكر منقبته في هذه الجزئية وليس أفضليته في سائر المناقب والمراتب. وأسرار الله في خلقه كثيرة لكننا نخوض هنا فقط فيما تتعلق به الشرائع الإلهية.

النوع الثاني– ما بيناه صورة كاملة من أوصاف الخلافة، وكما أن أفراد كل صفة مشتركة يختلفون في مقدار اتصافهم بها كذلك لا يلزم أن يكون جميع الخلفاء على درجة واحدة من الخواص المذكورة. فيمكن أن يفوق أحدهم الآخر في منقبة من المناقب، ويكون صاحبه أولى وأقدم منه في صفة أخرى مع اشتراكهم جميعاً في هذه الصفات كلها. كما أن الأنبياء يشتركون في الاتصاف بالنبوة وأصول لوازم النبوة ويختلفون في درجة تمتعهم ببعض الصفات الأخرى، كذلك الخلفاء منهم من تشرف بكثرة السوابق الإسلامية، ومنهم من له يد وباع في شئون قيادة الملك وإمارة الدولة، لكن كلهم يشتركون في أصول الخلافة الخاصة. ولهذا ركز سيدنا عمر الفاروق كلامه للمرشحين للخلافة في الأوصاف الجبلية التي تتعلق بسياسة الملك.

النوع الثالث– إذا اشتركت جماعة من المؤمنين الخلص ممن كمل إيمانهم في أصول الخلافة الخاصة ولوازمها وكانوا على درجة واحدة فيها فيقدّم لها من يفوق الآخرين في صفات الملوكية، وليس من يفوقهم في صفات العلم والزهد، وذلك لوجوه:

الوجه الأول: أن الملك بما يملكه من الشوكة والسطوة يقدر على جمع العلماء والزهاد في أماكن مناسبة ليستفيد الخلائق من علمهم وزهدهم وهو بما يملك من الصفات الجبلية والكسبية يستطيع تسخير مواهبهم لمصالح الدولة في أحسن وجه، فالسالك لا يجهل طرق الوصول إلى الغاية، على عكس الأحبار والزهاد إذ لا يقدرون على تغيير الملوك وأعوانهم.

الوجه الثاني: إذا تأملنا في الأوصاف الظاهرة التي هي سمات نبوة نبينا ﷺ نرى خلافته

وحكمه أظهر من علمه وزهده. فمراعاة الجزء الظاهر والأقوى أحق وأولى.

الوجه الثالث: ثبت أن النبي ﷺ في كثير من الأحيان كان يراعي ملكة سياسة الجيش وهواية الحكم على سائر المناقب كتوليته عتاب بن أسيد على مكة في حضرة المهاجرين والأنصار!

بعد هذه النكات السبعة يجب أن ندرك بأن مفهوم الخلافة الخاصة على النهج الذي سردناه علم شريف وضعه نور التوفيق في عقل العبد الضعيف يستعظمه من يعرفه وينكره من لا يعرفه ﴿**ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾[1].

---

(١) سورة يوسف: ٣٨.

الفصل الثاني

الدلائل العقلية على خلافة الخلفاء

هذه الدلائل مأخوذة من استقراء أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله أو من المقدمات المسلمة لدى المسلمين التي يستلزم نقضها محالا شرعيا من خلف وعد الله عز وجل أو قدح في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم أو جواز اجتماع الأمة على ضلالة. وينحصر هذا المبحث في مقدمتين:

المقدمة الأولى نثبت فيها بالأدلة العقلية أن النبي ﷺ استخلف على أمته خليفة من بعده وأوجب عليهم طاعته في كل ما يتعلق بالخلافة.

المقدمة الثانية نثبت بالأدلة العقلية كذلك إن كان النبي ﷺ قد استخلف على أمته خليفته من بعده فهو أبوبكر الصديق لا محالة ومن بعده عمر الفاروق ومن بعده عثمان ذوالنورين رضي الله عنهم.

المقدمة الأولى

الأدلة العقلية على أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف على أمته خليفة من بعده وأوجب عليهم طاعته

وآن الأوان لنبدأ المقدمة الأولى، لكن قبل أن نخوض في تفصيلها هنا نكتة مهمة ينبغي الإشارة إليها، إذ يتوقف عليها ترتيب الأدلة وتقريبها إلى فهم المسائل.

نكتة

لا نعني بقولنا بوجوب الاستخلاف أن النبي ﷺ جمع أصحابه كلهم قبيل ارتحاله إلى الرفيق الأعلى وأمرهم ببيعة هذا الخليفة، أو صدر منه عمل يُفهم الاستخلاف كأن يجلسه على العرش ويظله بالمظلة الملكية مثلاً، إنما نعني الإيجاب الشرعي كسائر الأحكام الشرعية من الوضوء والغسل والصلاة والزكاة وسائر العبادات والمناكحات والمبايعات والأقضية والجراحات حيث كلف الأمة بها في حياته بذكر نص قرآني أو الإشارة إليه مرة وذكر نص حديثي أو الإشارة إليه تارة أخرى أو بتشريع إجماع أو قياس صحيح جلي مرة ثالثة. وكذلك يجب أن يكلف بتولية الخليفة الخاص بما سبق أن أشرنا إليه من أساليب التكاليف. ومع فهم هذه النكتة سيزول شغب عظيم.

تسعى طائفة من أهل السنة إلى القول بمنصوصية الخلافة فيوردون عدة أحاديث لتثبت

أن خلافة الخلفاء أمر منصوص ولا مجال لمناقشته، في حين يرى أكثر المتكلمين والمحدثين أنه لم تثبت الخلافة لأحد ويروون في ذلك روايات قليلة. فإذا قرأنا هذه النصوص الأخيرة بإمعان ونظرنا فيها نظرة إنصاف ومحايدة نرى أنها يجب أن تحمل على نفي الهيئة الخاصة المعهودة لولاية العهد. بينما تدل تلك الأحاديث على الخلافة دلالة كسائر الأدلة الشرعية على ثبوت أحكامها ووجوبها.

كما قال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن إبراهيم عن القاسم بن محمد أن رسول الله ﷺ قال - حين سمع تكبير عمر رضي الله تعالى عنه في الصلاة - أين أبوبكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون. فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته لم يشك المسلمون أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبابكر ولكنه قال عند وفاته: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير مني. فعرف الناس أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحدا، فكان عمر رضي الله عنه غير متهم على أبي بكر رضي الله عنهما[1].

ولا نعني بالنص الجلي أن تنزل آية صريحة في هذا الباب أو يثبت حديث صريح بالتواتر وإنما يمكن أن تشترك آيات وأحاديث عديدة -جملة واحدة- في الإخبار عن القدر المشترك من الاستخلاف حيث يرد اسم الخلفاء في بعضها بشكل رموز وإيهامات مع التصريح بالخلافة كما قال عز من قائل ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ...﴾[2] الآية، أو يذكر أسماء الخلفاء بأعيانهم ويصرح بها ويكني بالخلافة كما قال النبي ﷺ: "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر"[3]، أو يرمز بالأمرين كليهما كما قال عز من قائل ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾[4] الآية. وفي بعض لوازم الخلافة يشار إلى هؤلاء الأحبة صراحة بينما يشار إليهم في مواطن أخرى بالإيماء والإشارة ويكتفى باقتضاء ذلك المعنى. فإذا اجتمعت هذه الأدلة كلها أصبحت قطعية تقوم بها الحجة وبهذا يندثر وينمحي كثير من الفتن والمراء والخلافات.

ترى طائفة أن خلافة هؤلاء الكرام منصوصة ثابتة لكن بنص خفي، ويرى جمع آخر ثبوتها بنص جلي. وإذا وضعنا الأمرين في ميزان القسط والعدل نرى أننا إن أخذنا بدليل واحد أو استدللنا بنص واحد لا يكون جلياً، أما ما وصل إلينا من الشارع فهو قاطع جلي.

ويعرف علماء الفقه والاستنباط أن جل الأحكام القطعية المسلمة بين المسلمين مثل

---

(١) سيرة ابن هشام ٦٥٢/٢ وإسناده منقطع.

(٢) سورة النور: ٥٥.

(٣) راجع ص ٦٣.

(٤) سورة الحج: ٤١.

الجمعة والعيدين ليست لها نصوص جلية إلاّ بهذه الطريقة!

بعدما تبينت لنا هذه النكتة نعود الآن إلى أصل الكلام.

الدليل الأول

إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأحداث المستقبل الجليلة

من خلال استقرائنا للأحاديث الواردة في باب الفتن ندرك بأن النبي ﷺ قد أشار إلى أكثر الأحداث الجليلة وأشار إلى كل حادثة بكلمات تفهم رضى الله عز وجل أو سخطه عليها. فإذا علمنا هذه المقدمة بالحدس القوي ندرك يقينا بأنه قد استخلف -لا محالة- خليفته الأول والثاني والثالث المتقاربين جدا والذين فعلا ثارت فتن وأحداث عند استخلافهم. وبالتالي كادت تعرقل أمورا جليلة كفتح بلاد فارس والروم. فلا يعقل أن يترك أهم المهمات، ويشغل نفسه بالأمور الجانبية وبالجزئيات ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾. وإذا كان جواد القلم يقطع شرفا أو شرفين بقفزة واحدة في هذا المبحث فما الذي يجبرنا على الأخذ بعنانه؟

اعلم أسعدك الله تعالى أن الرسول ﷺ كان خاتم النبيين ولا نبي بعده. فاقتضت حكمة الله عز وجل أن تجرى على لسانه الحقائق التي ستكون من بعده إلى يوم الدين، ليبين رضى الله تعالى عن بعض تلك الوقائع وسخطه على أخرى لتتم النعمة وتقوم الحجة على الخلائق. فقد أظهر الله عز وجل عليه جميع تلك الحقائق رأي العين وأوحى له رضاه أو سخطه عليها، وقد أبلغ الرسول ﷺ أمته كل ذلك حسب المواقف، واحدا واحدا، مجاراة للحكمة في تبيينها بالاستيعاب إجمالاً وتفصيلا.

فإن خفي علينا اليوم شيء منها فيرجع سببه إلى نسيان الرواة أو عجزهم عن تصوير الوصف الكامل بصورة خاصة. أما الإشارة الإجمالية إلى ذلك فقد وردت في حديث حذيفة حيث قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه. قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه. متفق عليه[1].

وأما البيان التفصيلي، فقد ورد ذكر **خلافة أبي بكر** في أحاديث عديدة بعضها مناماته.

(١) منها قوله لامرأة: إن لم تجديني فأتي أبابكر[2]. وهذا دليل واضح على خلافة

---

(١) البخاري (٦٦٠٤) كتاب القدر باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ ومسلم (٧٢٦٣) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة.

(٢) راجع ص ٩٤.

أبي بكر الصديق لأنه بينه وقرره عن وحي أوحي إليه من غير كراهية وانزجار!

وإن ناقشنا أصوليّ هذا الاستدلال قلنا[١]: يروي البيهقي[٢] عن الحسن أن عمر أتي بسواري كسرى فألبسهما سراقة بن مالك فبلغا منكبيه فقال: الحمد لله سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك أعرابي من بني مدلج. قال الشافعي: إنما ألبسهما سراقة لأن النبي ﷺ قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه: "كأني بك قد لبست سواري كسرى ومنطقته وتاجه".

ولا يخفى أن هذه الأسورة كانت من الذهب وقد حرم لبسه على الرجال، والشافعي وهو يعتبر رأس الأصوليين ورئيسهم لم يمتنع ولم ينكر الإخبار عنه بل رآه خصوصا من عموم. وقد روى البخاري[٣] عن جابر ﷺ إذ كان يقول لزوجه: أخري عنا أنماطك. واستدل بهذا الخبر على إخبار الرسول ﷺ بوجوُد الأنماط، وسكت على ذلك ولم ينكره. فهذا الأصولي مع جهله لمذهب شيخه لم يعرف استدلال الصحابة كذلك والله أعلم.

(٢) ذكرنا هذا الكلام من باب نافلة القول فحسب وإلا فـ"اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر"[٤] نص صريح على وجوب الاقتداء بالشيخين، وأمثال هذه الروايات كثيرة جداً.

(٣) ثم أخبر بأنه **سيقع الخلاف** عند نصب الخليفة و"يأبى الله والمسلمون إلا أبابكر"[٥].

(٤) وذكر **قصة الردة** التي أشارت إليها الآية ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ** ... ﴾[٦] وأظهر رضاه التام على هذا القتال.

(٥) ثم ذكر **قتال فارس والروم** في الحديث الذي رواه الشيخان: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله"[٧].

(٦) وأخبر **بجمع القرآن** في المصاحف يوم أن تلا الآية ﴿**إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ**

---

(١) يدور نقاش الأصولي في أنه كيف يمكن الاستدلال بهذه الرواية في أمر الخلافة في حين لم ترد فيها كراهية لبس الذهب للرجال؟ وقد ورد فيها بأن سراقة سيلبس من الذهب. يمكن الإجابة على هذه الشبهة مختصرة من أن الشافعي عدّ لبس أسورة الذهب في هذا المقام من خصوص كلام النبوّة، فهذا خاص من عام ولا يصح استدلال الأصولي به.

(٢) البيهقي في الدلائل ٣٢٥/٦، رجاله ثقات إلا أنه مرسل لأن الحسن لم يسمع من عمر. وابن عبدالبر في الإستيعاب ٥٨١/٢ والحافظ في الإصابة ٦٩/٣.

(٣) (٣٦٣١) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام.

(٤) راجع ص ٦٣

(٥) راجع ص ٩٧، ١٩٩.

(٦) سورة المائدة: ٥٤.

(٧) راجع ص ٢٣٤.

﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾[١].

وأخبر **بخلافة عمر الفاروق** في أحاديث كثيرة، منها:

(٧) حديث نـزع الذنوب وتسليم الواحد إلى الآخر[٢].

(٨) وأمر بالاقتداء به في حديث "اقتدوا"[٣].

(٩) وأخبر **بخلافة عثمان** والفتنة التي ستقع في آخر أيامه[٤].

(١٠) وأخبر بأنه سوف يطالب بنـزع قميص الخلافة وهو يومئذ على الحق وأعداؤه هم الظلمة والفسقة، ونهاه عن نـزع القميص[٥].

(١١) وأخبر **بمشاجرات تقع بين علي المرتضى ﷺ وبين قريش**

(١٢) وأخبر **بقتال علي** ﷺ للمارقين والبغاة والظالمين[٦].

(١٣) وأخبر بأن الكلاب ستنبح على **إحدى أمهات المؤمنين** في المكان الفلاني وهي ستقع في بلاء وفتنة وستنجو في نهاية المطاف[٧].

(١٤) وأن **عمار بن ياسر** ستقتله فئة باغية[٨] وأن الذي هو على الحق المبين سيقضي على جماعة المارقين وآيتهم "رجل مثدون"[٩].

(١٥) وأخبر **بمقتل سيدنا علي** ووصف قاتله بأنه "أشقى الناس"[١٠].

(١٦) وقال **لمعاوية**: "إن ملكت فأحسن"[١١].

(١٧) وقال: "كيف بك لو قد قمصك الله قميصا"[١٢] يعني الخلافة، قالت أم حبيبة:

---

(١) سورة القيامة: ١٧.

(٢) راجع ص ٨٩، ١٨٢.

(٣) راجع ص ٦٣.

(٤) راجع ص ١٨٩- ١٩٠.

(٥) راجع ص ١٥٨.

(٦) ابن حبان في المجروحين ١٦٤/١ والحاكم ١٣٩/٣ وأبو يعلى رقم ٥١٥ وإسناده ضعيف وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢٤٥/١. بل قال شيخ الإسلام في المنهاج ١٥٦/٣: إنه حديث موضوع.

(٧) راجع ص ٣٥٨.

(٨) الترمذي (٣٨٠٠) وقال: وفي الباب عن أم سلمة وعبد الله بن عمرو وأبي السنير وحذيفة.

(٩) البخاري ومسلم وغيرهما من حديث علي بن أبي طالب وغيره. راجع للتفصيل البداية ٢٨٩/٧، ٣٠٥.

(١٠) الحاكم ١١٣/٣ وقال على شرط البخاري. لكن في إسناده عبدالله بن صالح كاتب الليث صدوق كثير الغلط كما في التقريب ص٢٧١ والطبراني. قال الهيثمي في المجمع ١٣٧/٩: إسناده حسن. وفي الباب عن جابر بن سمرة وعمار بن ياسر وصهيب رضي الله عنهم راجع المجمع. . وراجع ص ٣٥٩.

(١١) راجع ص ٣٤٥- ٣٤٦.

(١٢) الطبراني في الأوسط وقال الهيثمي في المجمع ٣٥٦/٩: فيه السري بن عاصم وهو ضعيف. والسيوطي في الخصائص ٤٢٣/٢ ايضاً.

"أو إنّ الله مُقمِّص أخي؟ قال: نعم ولكن فيه هنات وهنات وهنات. وهذه عبارة عن انعقاد خلافته بالسيف وليس بالبيعة ولا يكون سيرته كسيرة الشيخين وستكون خلافته بعد بغي على إمام قائم ولهذا كرر لفظ "هنات" ثلاث مرات.

(١٨) وكذلك قال لمعاوية "إن وليت أمرا فاتق الله واعدل"[١] إشارة منه إلى **إمارة الشام وخلافتها**.

(١٩) فعن الحسن بن علي قال سمعت عليا يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك معاوية عزاه في الخصائص للديلمي[٢]. وقال: لن يُغلبَ معاويةُ أبداً[٣].

(٢٠) وأخبر **بمصالحة الإمام الحسن**ؓ بقوله "ولدي هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"[٤].

(٢١) وأخبر **بمقتل الحسين بن علي** وقال: "أراني جبريل تربة تلك البقعة من الأرض"[٥].

(٢٢) وقد ورد في حديث سيدنا علي في باب عاشوراء؛ "وسيتوب الله على قوم آخرين"[٦].

(٢٣) وأخبر **بوقعة الحرة** وأمر أهل المدينة بالكف عن القتال وقد قال: "كيف بك أباذر إذا كان بالمدينة قتل تغمر الدماء ..." الخ[٧].

(٢٤) وأخبر **بخروج عبد الله بن الزبير** وتجده في مسانيد كل من سيدنا الفاروق وذي النورين والمرتضى[٨] وقد بينوه بلفظ يوحي إلي أن خروجه سبب سفك الدماء وهتك حرمة الحرم و لم يحقق مصلحة البتة، إشارة منه إلى عدم الرضى والسخط.

(٢٥) وأخبر **بخروج بني مروان** قائلاً: "رأيت في النوم بني الحكم ينزون على منبري كما تنزو القردة"[٩] وهذه إشارة إلى الكراهية والسخط. وعن الحسن بن علي قال: إن

---

(١) أحمد ١٠١/٤ والبيهقي في الدلائل ٤٤٦/٦ وهو مرسل ووصله أبويعلى (٧٣٤٢)، والطبراني في الأوسط والكبير، ورجال أحمد و أبي يعلى رجال الصحيح كما في المجمع ٣٥٦/٩.

(٢) راجع ص ٣٤٥.

(٣) ابن عساكر كما في الخصائص ٤٢٤/٢، ٤٢٥.

(٤) راجع ص ٣٤٤.

(٥) راجع ص ٣٦٠.

(٦) الديلمي كما في الكنز ٣٢٠/١٢.

(٧) راجع ص ٣٦١.

(٨) ذكر أحاديثهم البيهقي في الدلائل ٤٨٦/٦، ٤٨٧. وراجع الخصائص الكبرى ٤٣٣/٢، ٤٧٢، ٤٧٣.

(٩) راجع ص ٣٦٣.

رسول الله ﷺ رأى ملك بني أمية فساءه ذلك فأنــزل الله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾[(١)] يملكها بنو أمية. قال بعضهم: فحسبنا مدة ملك بني أمية فإذا هي ألف شهر لا يزيد ولا ينقص[(٢)].

(٢٦) وقد وردت بشارته **لبني العباس بالخلافة** في آثار عديدة[(٣)]. وقد اشتهر في التواريخ أن علي بن عبد الله بن عباس كان يجهر بهذه الرواية على الملأ مما أغاظ ملوك بني أمية فآذوه وأهانوه.

كما جاء في حديث ابن عباس عن أمه لما ولد عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذهبي بأبي الخلفاء. فأخبر بذلك العباسُ فأتاه فذكر له، فقال: هو ما أخبرت. هذا أبوالخلفاء حتى يكون منهم من يصلي بعيسى عليه السلام. عزاه في الخصائص لأبي نعيم[(٤)].

(٢٧) وأخبر **بــخروج أبي مسلم الخراساني** قال: تــخرج رايات سود من خراسان لا يردها شيء حتى تُنصب بإيليا[(٥)].

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: منا السفاح[(٦)] والمنصور والمهدي[(٧)]. وأخرج الزبير ابن بكار عن علي بن أبي طالب أنه أوصى حين ضربه ابن ملجم فقال في وصيته: إن رسول الله ﷺ أخبرني بما يكون من اختلاف بعده وأمرني بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين وأخبرني بهذا الذي أصابني وأخبرني أنه يملك معاوية وابنه يزيد ثم يصير إلى بني مروان يتوارثونها، وأن هذا الأمر صائر إلى بني أمية ثم إلى بني العباس وأراني التربة التي يقتل بها الحسين. ذكر ذلك في الخصائص.[(٨)]

---

(١) سورة القدر: ١- ٣.

(٢) راجع ص ٣٦٣- ٣٦٤.

(٣) راجع ص ٣٦٥- ٣٦٩.

(٤) ٤٣٠/٢. وهو عند أبي نعيم في الدلائل ص ٢٠١ والخطيب في تاريخه ٦٣/١ بنحوه، وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢٩١/١ وقال: لا يصح، في إسناده حنظلة قال يحيى بن سعيد: كان قد اختلط. وقال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال أحمد: منكر الحديث يحدث بأعاجيب. قلت: زعم ابن الجوزي أنه حنظلة السدوسي، لكنه حنظلة بن أبي سفيان كما في الطبراني الكبير ٢٩٠/١٠ وقال الهيثمي في المجمع ٢٧٥/١٠، ٢٧٦: إسناده حسن. قلت: بل فيه أحمد بن راشد الهلالي وهو مجهول، وقال الذهبي في الميزان ٩٧/١ والمغني ٣٩/١: خبر باطل.

(٥) راجع ص ٣٦٦.

(٦) أبو العبّاس السفّاح كان أول الخلفاء العباسيين.

(٧) البيهقي في الدلائل ٥١٤/٦ وأبو نعيم والخطيب ٦٢/١، ٦٣ وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢٩٠/١ وقال: لايصح. وضعفه ابن كثير أيضاً ٢٤٦/٦ وروي عنه مرفوعا وموقوفا. وصحح إسناده السيوطي في الخصائص ٤٣٢/٢ وقال ابن كثير: هذا الإسناد على شرط أهل السنن و لم يخرجوه.

(٨) ٤٣٣/٢.

(٢٨) وأخبر عليه الصلاة والسلام **بالخارجين على ملوك الإسلام**، قال حذيفة: والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته. رواه أبوداود[١].

(٢٩) وأخبر **بحكم الأتراك** كما روي عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: "اتركوا الترك ما تركوكم". وقال: "أول من يسلب أمتي وما خولهم الله بنو قنطورا"[٢]. عزاه في الخصائص[٣] إلى الطبراني وأبي نعيم.

(٣٠) كما أنه أخبر **بقصة هولاكو خان ومقتل المستعصم**. فعن أبي بكرة قال قال رسول الله ﷺ: "إن أرضا تسمى بالبصرة أو البصيرة ينـزلها ناس من المسلمين عندهم نهر يقال له دجلة يكون لهم عليها جسر ويكثر أهلها فإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطورا عراض الوجوه صغار الأعين حتى نـزلوا شاطئ النهر فتفرق الناس عند ذلك ثلاث فرق؛ فرقة تلحق بأصلها فكفروا، وفرقة تأخذ على أنفسها فكفروا، وفرقة تقاتلهم قتالا شديداً فيفتح الله على بقيتهم". عزاه في الخصائص[٤] إلى أبي نعيم، والمراد بالبصرة بغداد لأن بغداد أرض ذات بصرة أي حجارة رخوة والمراد بالفتح الظفر في تلك المقتلة فقط.

وعن بريدة سمعت النبي ﷺ يقول: إن أمتي يسوقها قوم عراض الوجوه صغار الأعين كأن وجوههم الجحف، ثلاث مرات حتى يلحقوهم بجزيرة العرب، أما الأولى؛ فينجو من هرب منهم، وأما الثانية؛ فينجو بعض ويهلك بعض، وأما الثالثة؛ فيصطلحون من بقي منهم. قالوا يا رسول الله من هم؟ قال: الترك، والذي نفسي بيده ليربطن خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين. عزاه في الخصائص لأحمد والبزار والحاكم[٥].

يفهم من ظاهر العبارة أن المراد من المرة الأولى هي فتنة السلاجقة حيث غلبوا الخليفة العباسي فلم يبق له في بلاد ما وراء النهر وخوارزم وخراسان إلا اسم. والمراد من المرة الثانية هي الفتنة الجنكيزية إذ قتلوا الخليفة العباسي فهرب بعض العباسيين إلى مصر ونادوا بالخلافة هناك

---

(١) (٤٢٤٣) كتاب الفتن والملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها.

(٢) أي: الترك.

(٣) ٤٣٤/٢ وقال الهيثمي في المجمع ٣٠٤/٥: رواه الطبراني في الأوسط وفيه مروان بن سالم وهو متروك. وقال ٣١٢/٧: رواه الطبراني في الكبير رقم ١٠٣٨٩، ٢٢٣/١٠ والأوسط وفيه عثمان بن يحيى القرقساني و لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) ٤٣٤/٢ و لم أجده في الدلائل لأبي نعيم والبيهقي، والله أعلم.

(٥) الخصائص ٤٣٥/٢ وأحمد ٣٤٨/٥ وقال الهيثمي في المجمع ٣١١/٧: رواه أبوداود (٤٣٠٥) باختصار وأحمد والبزار باختصار ورجاله رجال الصحيح. والحاكم ٤٧٤/٤ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

ومازالت خلافتهم قائمة في بلاد العرب. ويراد من المرة الثالثة الغلبة العثمانية على البلاد العربية والسيطرة التيمورية على بلاد فارس حتى لم تبق لقريش قائمة وحصل انقلاب شامل.

فعن معاوية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليظهرن الترك على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم. عزاه إلى أبي يعلى[١].

(٣١) ثم أخبر **بخلافة المهدي وخروج الدجال ونـــزول سيدنا عيسى** عليه الصلاة والسلام وفتنة يأجوج ومأجوج إلى آخر ما ذكر وشرحه يطول.

(٣٢) وكما أنه ﷺ أخبر **بأحوال الملوك والخلفاء**، كذلك أخبر **بتفرق الأمة** وبين أسباب شتاتها وقال إن الخوارج سيكونون منشأ وأصلاً في بعض الخلافات وهذا ما حدث. ولما شتت سيدنا علي الـــمرتضى رضي الله عنه الخوارج ودحضهم برز مذهبهم في ثلاث فئات: (١) المعتزلة و(٢) أصحاب الرأي و(٣) غلاة المتصوفة.

(٣٣) وقال: إنهم سوف يقعون في **سيدنا علي** بين جاحد لحقه ومفرط فيه، ومن وراء هذا الخلاف تنشأ مذاهب باطلة. وهذا ما حدث إذ نشأت من تحت أجنحتها الإمامية والزيدية والإسماعيلية وعم شغبهم وأثرت فتنتهم في مفاهيم جميع فئات الناس إلا ما شاء الله.

(٣٤) وأخبر **بأئمة أهل السنة** إذ قال "يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدوا عالما أعلم من عالم المدينة" قال سفيان: نرى هذا العالم **مالك بن أنس**. رواه الحاكم[٢] وصححه.

وعن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا قريشا فإن عالمها يملأ الأرض علما"[٣]، قال الإمام أحمد وغيره: هذا العالم هو **الشافعي**، لأنه لم ينتشر في طباق الأرض من علم عالم قريشي من الصحابة وغيرهم ما انتشر من الشافعي. معزو إلى البيهقي في كتاب المعرفة.

(٣٥) وأخبر **بالعلماء العظام** الذين سيظهرون في بلاد فارس[٤] وقد **كان كبار المحدثين** أمثال **البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجه والدارمي**

---

(١) حديث رقم ٧٣٣٨، وذكره الـــحافظ في المطالب ٣٣٧/٤ والهيثمي في المجمع ٣١١/٧، ٣١٢، وقال: فيه من لم أعرفهم.

(٢) ٩١/١ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والترمذي (٢٦٨٠) وقال: حسن صحيح. وابن حبان كمافي الإحسان ٢٠/٦ والموارد ص ٥٧٤ والنسائي في الكبرى كما في التحفة ٤٤٥/٩.

(٣) الطيالسي رقم ٣٠٩ ص ٤٠ ومن طريقه أبو نعيم في الحلية ٢٩٥/٦، ٦٥/٩ والـــخطيب في التاريخ ٦٠/٢ والعقيلي ٢٨٩/٤ والبيهقي في المعرفة ومناقب الشافعي ٢٦/١ وفي إسناده النضر بن حميد وهو منكر الحديث ولايتابع عليه إلا من طريق يقاربه، قاله العقيلي. وراجع الميزان ٢٥٦/٤ واللسان ١٥٩/٦. والخصائص ٤٩٣/٢.

(٤) أحمد ٤٦٩/٢، ٤٧٠، ٤٧٢ وأبو نعيم في الحلية ٦٤/٦ بلفظ: لوكان العلم بالثريا لتناوله ناس من أبنـــاء فارس" وفي إسناده شهر وثقه أحمد وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح كما في المجمع ٦٤/١٠ وهو في الصحيح غير قوله " العلم".

والدارقطني والحاكم والبيهقي وغيرهم كلهم ظهروا في بلاد الفرس، ومن الفقهاء **أبو الطيب والشيخ أبوحامد والشيخ أبو إسحاق الشيرازي و الجويني وإمام الحرمين والإمام الغزالي** وغيرهم كانوا من الفرس، حتى الإمام **أبو حنيفة وأصحابه** من ماوراء النهر وخراسان كانوا من أهل فارس ويدخلون في هذه البشارة لا محالة.

(٣٦) وأخبر **بظهور مجدد** على رأس كل مائة عام(١). وقد حدث ذلك إذ ظهر مجدد على رأس كل مائة أحيا الدين من جديد.

وقد كان على رأس المائة الأولى **عمر بن عبدالعزيز** إذ أسقط جور الملوك وظلمهم وأقام العدل وأعم الخير.

وعلى رأس المائة الثانية كان **الشافعي** إذ أسس الأصول وبلور الفقه.

وعلى المائة الثالثة؛ كان **أبو الحسن الأشعري** إذ وضع أحكاما وقواعد لأهل السنة وناظر المبتدعة.

وعلى رأس المائة الرابعة كان **الحاكم والبيهقي** وغيرهما إذ وضعوا أحكام علم الحديث **وأبو حامد** وغيره وضعوا التفريعات الفقهية.

وفي المائة الخامسة؛ أحدث **الغزالي** منهجا لمزج الفقه والزهد والفلسفة، وأثار الحقائق من خلال إثارة المناظرة بين الفنون المختلفة.

وفي المائة السادسة كان **الرازي** يشيع علم الكلام **والنووي** يضع أحكام علم الفقه، وهكذا إلى يومنا هذا يظهر على رأس المائة من يجدد أمر الدين.

وخلاصة القول أن الفقيه الأريب المتفطن يلتمس من فحوى الأحاديث وإيماءاتها وإشاراتها رِضى الله سبحانه وتعالى عن بعض الوقائع وسخطه على بعض، ولا يمر على هذه الأحاديث مروره على الحكايات والقصص.

وأنا أستغرب ممن اطلع على استدلال سيدنا عمر ﷺ من الحديث "كيف بك إذ تعدو قَلوصُك"(٢) على مشروعية إجلاء اليهود من جزيرة العرب وأن إقرارهم على أرض خيبر لم يكن على وجه التأبيد، ثم يقف ويرتاب في صحة التمسك بالأخبار المستقبلية أو بمشروعية الأخذ ببشاشته وإظهار استحسانه ﷺ عند ذكر بعض الوقائع! فإنه العجب العجاب عند أولى الألباب.

عن ابن عمر قال قام عمر خطيبا فقال: إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أموالهم وقال: نقركم ما أقركم الله وقد رأيت إجلاءهم. فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد

---

(١) أبوداود (٤٢٩١) وابن عدي ١٢٣/١ والحاكم ٥٢٢/٤ ورجاله ثقات. واتفق الحفاظ على تصحيحه وقد أطال الكلام فيه المحدث الديانوي في العون.

(٢) راجع الحديث الآتي.

بني أبي الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا محمد وعاملنا على الأموال، فقال عمر: أظننتَ أني نسيت قول رسول الله ﷺ "كيف بك إذا أُخرجتَ من خيبر وتعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة". فقال: هذه كانت هُـزَيلة من أبي القاسم. فقـال: كذبت يا عدو الله، فأجلاهم عمر وأعطاهـم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وإبلا وعروضا من أقتاب وحبال وغير ذلك. رواه البخاري[1].

الدليل الثاني

وصف الرسول صلى الله عليه وسلم كلا من أصحابه بصفة خاصة به.

من اطلع على كتب فضائل الصحابة وقرأ أصول شمائلهم وتتبع فن معرفة الصحابة وحذقه يدرك أن الرسول ﷺ قد ألمح إلى مناقب كل من أصحابه الذين عاشرهم لتكون هذه الكلمة مرآة يجعلها الصحابي نصب عينه في رحلة حياته كلها، وهذه القصص في وصف الصحابة لا تكاد تحصى أو تعد.

فإن كان النبي ﷺ أصدر هذه الكلمات والأحكام في مناقب أصحابه بين حين وحين، فماذا يمنعه أن يكون قد قال في مناقب كبار أصحابه ممن كانوا وزراءه ومستشاريه في حياته وتحملوا أعباء الخلافة من بعده ما قال؟ ولا تخرج خلافة هؤلاء الصحابة من أمرين؛ إما خير أو شر. فإن كان خيرا فهو أفضل من جميع الخيرات إذ "من سن سنة حسنة في الإسلام كان له أجرها وأجر من عمل بها[2]" فلهم أجر مثل أجور جميع المجاهدين وجميع من اهتدوا إلى سواء السبيل بدعوتهم، وإن شرا فهو أخبث الشرور إذ دحضوا دين الرسول ﷺ وخوفوا الإمام المعصوم! ففي كل الأحوال أ يُعقل أن يكون النبي ﷺ قد بين الجزئيات المتعلقة بأصحابه من بعده ولم يبين هذه الأمور العظيمة؟ ولم يصفها بالخير أو الشر؟ فإن كان خيرا يقتضي لطف الله سبحانه وتعالى ورأفة المصطفى عليه الصلاة والسلام بأمته أن يخبر الناس بهذا الخير ليعرفوه ويهتموا به ويتبعوا أثره. وإن كان شرا فيقتضي لطف الله تعالى بعباده ورأفة المصطفى بأمته أن يحذرها خطورتها ليقفوا على المحجة البيضاء ولتتم الحجة على الخلق، وإن كان من النوع الثاني فكان يجب أن يوضّح أمر الخلافة ويصرّح بأن فلانا وفلانا لا يحق لهم الخلافة وإنما الخلافة لفلان.

خلاصة القول أننا نهتدي من خلال تتبع السيرة إلى أنه ﷺ في باب مناقب الصحابة قد أشار إلى استخلاف الخلفاء من بعده بل نص عليهم نصا واضحا لا غموض فيه. وسنبين هذه

---

(١) (٢٧٣٠) كتاب الشروط باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك.

(٢) راجع ص ٢٤٧.

المسألة بالتفصيل.

كما يجب أن ندرك أن الرسول ﷺ فيما بينه من مناقب أصحابه لم يكن إلا ترجمانا للغيب إذ وصف كل امرىء بما كان فيه من الصفات، وفي نهاية الأمر كانت تلك الصفة هي خاصته الغالبة التي استقر عليها أمره.

(١) فقد وصف **أبي بن كعب** بسيد القراء وقال: إن الله قد أمرني أن أعلمك سورة "**لَمْ يَكُن**" فقال أبي: أو سماني الله؟ قال: نعم، فذرفت عينا أبي[١]. ولعل السر في تخصيص سورة "**لَمْ يَكُن**" يكمن في أن السورة تمدح الرسول ﷺ لتلاوته القرآن واشتغاله به ليكون حجة على أهل الكتاب ﴿**رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ**﴾[٢]. والله أعلم.

وهل تدرك مغزى تخصيص أبي بذلك؟ جاء هذا التخصيص لأنه كان من القدر الإلهي أن سلسلة عظيمة من قراء الأمة ستأخذ روايتها للقرآن من طريقه عن رسول الله ﷺ.

(٢) والحكمة في قوله في **عبد الله بن مسعود** "ما أمركم ابن أم عبد فخذوه وما أقرأكم فاقرءوه"[٣] كانت في أن جمعا غفيرا من الفقهاء والقراء سيأخذون علمهم عن رسول الله ﷺ من طريق ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) وقد قال في **خالد** "سيف من سيوف الله"[٤] لأن فتوحات عظيمة ستنجز بقيادته.

(٤) وبشارته **لسعد** "عسى أن تبقى حتى تنتفع بك أقوام ويضر بك آخرون"[٥] جاءت لأن مقدور الله قد جرى له بفتح العراق وولايته.

(٥) ووصف **أبا عبيدة** أنه "أمين هذه الأمة"[٦] لأن أمر الشام سوف يكون

---

(١) البخاري (٤٩٥٩) تفسير سورة البينة، ومسلم (٦٣٤٣) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار رضي الله عنهم.

(٢) سورة البينة: ٢- ٣.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ: وقد أخرجه الترمذي (٣٩١٢) عن حذيفة قال: ما حدثكم حذيفة فصدقوه، وما أقرأكم عبدالله فاقرؤه، وحسنه وفي إسناده شريك، والحاكم ٣١٩/٣ عن عمرو بن حريث بلفظ: رضيت لكم ما رضي لكم ابن أم عبد، وصححه، ووافقه الذهبي. وروي: تمسكوا بعهد ابن أم عبد، وروي: من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنـزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد. راجع الإستيعاب ١/ ٣٥٩ ومعرفة القراء ٣٤/١، ٣٦.

(٤) أحمد ٨/١ والطبراني عن أبي بكر الصديق. قال الهيثمي في المجمع ٣٤٨/٩: رجالهما ثقات. وله شاهد من حديث أبي عبيدة وعبدالله بن أبي أوفى وأنس وعبدالله بن جعفر وغيرهم، راجع المجمع والفتح ١٠١/٧.

(٥) البخاري (٧٦٣٣) كتاب الفرائض باب ميراث البنات.

(٦) البخاري (٣٧٤٤، ٣٧٤٥) فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح. ومسلم (٦٢٥٢) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي عبيدة من حديث أنس رضي الله عنه.

تحت إمرته.

(٦) وقد قال في **عمرو بن العاص**: "نعم المال الصالح للرجل الصالح"[١] لأن حكم مصر سيكون له.

(٧) وقد قال **لمعاوية** "إن وليت أمر الناس فأحسن إليهم"[٢] لأن الخلافة كانت ستصل إليه لا محالة.

(٨) وقد دعا **لابن عباس** "اللهم علمه الكتاب"[٣] لأن تفسير القرآن كان سينتشر على يده.

(٩) وقد دعا **لأنس** "اللهم أكثر ماله وولده"[٤] وقد استجاب الله دعاءه فكان كذلك.

(١٠) ووصف **أباذر** أنه يشبه نبي الله عيسى في زهده[٥]، لأن هذه الصفة قد اكتملت فيه.

(١١) وملأ حضن **أبي هريرة** بالعلم لما رأى في اللوح المحفوظ حظه في إكثار رواية الحديث[٦].

(١٢) وقد قال **عن الشيخين أبي بكر وعمر** "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر"[٧] لما رأى في القدر المقدور أن الخلافة لهما لا محالة!

الدليل الثالث

يستحيل أن يهمل الرسول صلى الله عليه وسلم أمر خلافته بعده.

ومن يتابع مغازي رسول الله ﷺ يدرك أنه كلما خرج لغزوة من الغزوات اختار شخصا

---

(١) أحمد ١٩٧/٤، ٢٠٢ وأبو يعلى رقم ٧٢٩٨ وعزاه الهيثمي في المجمع ٦٤/٤، ٣٥٣/٩ للطبراني أيضاً. وقال: رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح. وابن حبان كما في الموارد ص ٢٦٨ والإحسان ٨٧/٥ والحاكم ٢/٢، ٢٣٦ وقال: على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) راجع ص ٣٤٥- ٣٤٦.

(٣) البخاري (٣٧٥٦) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب ذكر ابن عباس.

(٤) مسلم (١٥٠١) كتاب الصلاة باب جواز الجماعة في النافلة الخ وفي الفضائل باب فضائل أنس بن مالك.

(٥) ابن عبدالبر ٦٤٦/٢ وقدروي بمعناه من حديث ابن مسعود وأبي الدرداء، راجع المجمع ٣٣٠/٩.

(٦) البخاري (١١٨ و ١١٩) كتاب العلم باب حفظ العلم، ومسلم (٢٤٩٢) في فضائل الصحابة باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه.

(٧) راجع ص ٦٣.

ينوب عنه على إدارة المدينة، إذ لم يكن من شأنه أن يهمل أمر المسلمين ولو لمحة بصر. فلم لا يراعى سيرته هذه عند رحلته الكبرى وغيبته العظمى من هذه الدار إلى الفردوس الأعلى؟!

فإذا تدبرت سيرته ووضعت في بالك صفات رحمته وحرصه على أمته ترى أن تركه الأمة تتخبط شذر مذر بخبط عشواء من غير هداية وإرشاد من الاستحالة بمكان!

وإذا أدركنا بأن رسالته كانت لابتغاء إصلاح العالم فنرى من التهافت والتناقض أن يترك أمرهم هملا بعد هذا السعي البليغ وهذه الرحلة التربوية الإصلاحية.

وإذا راجعت سيرته وأدركت حرصه الشديد على اختيار الحكام والقضاة لتوسيد كل أمر إلى أهله، وتشدده فيمن يقلدهم المناصب سوف ترى تركه الأمة من غير نصب خليفة يصلح لهذا المقام الخطير أمرا في غاية الاستحالة.

استقراء حالة أكثر أفراد الناس والتدقيق في أخبارهم والحكم على البقية الباقية منهم يعد من الأدلة الخطابية التي يكتفى بها في معرفة الأحكام، ونقل حكايات نصب النواب عند الخروج إلى الغزوات أوضح من أن نحتاج إلى ضرب الأمثلة له.

الدليل الرابع

لا يعقل أن يترك الرسول الحكيم صلى الله عليه وسلم أمته في تلك الظروف الحرجة بدون خليفة يرشدها!

إذا أمعنت النظر في شريعة الرسول ﷺ التي جاءت لإزالة المفاسد من العالم كله وإصلاح الكون أجمع، أيقنت أن الرسول ﷺ قد بين تلك المقربات التي ترفع بني آدم من حضيض البهيمية إلى أوج الملكية في عنان السماء، ثم أتبعها توضيح مقتضيات تلك الملكية من آداب الحياة والمكاسب والمعاملات وتدبير شؤون البيت وسياسة المدن والمنع والحذر والزجر عن كل مكروه وممنوع قد يعرقل الوصول إليها، بل أكثر من ذلك فقد بين أحسن تبيان جميع التحسينيات وما يسد ذرائع المفاسد ويمنع دواعي الاثم. وفي كل ما يبينه يوضح تفصيله من الآداب والشروط والأركان التابعة له.

فهل يعقل أن يترك هذا العالم الحكيم والشفيق الرحيم أمته في دُجَج المهالك من غير أن يضع لها برنامجا لخلاصها منها؟!

في زمن قد أثار النبي صلى الله عليه وسلم غيظ الروم ويؤلف جيشا لغزو حصونهم وسلب الأمن من أفئدتهم،

وأرسل رسالة إلى كسرى لتثير كوامن الغضب في نفسه وتشعل نار الغيرة في عقله

فلا يكاد يستطيع أن يتمالك بكل ما أوتي من جهد، ويبعث رسولا إلى النبي عليه الصلاة والسلام ليهين كرامته ...

وفي زمن ترتفع صرخات من ادعوا النبوة كذبا وزورا مثل مسيلمة الكذاب والأسود العنسي[١] في حضن جزيرة العرب والضعاف من المسلمين قد جروا وراءهم يدعون إلى الكفر وسور القرآن لا تـــزال منتشرة متفرقة بين الأنام كالعصافير الضائعة.

فهل يعقل في مثل هذه الظروف الحرجة أن يترك هذا العالم الحكيم الرؤوف والقائد الشفيق الرحيم العالَم من غير أن يضع له منهجا يقيم عليه بنيانه، وأن يستخلف على أمته خليفة يمسك بعنان الأمور حتى تستقر على منواله ومنهجه السائر؟

سؤال- إذا قلتَ إن الشرع لم يبين جميع الأحكام وترك قسطا منها ليجتهد فيها المجتهدون ويقيسوها على الأحكام المبينة، وقضية الاستخلاف من تلك الأحكام المتروكة للمجتهدين.

قلنا: لا شك أن النبي ﷺ بين ووضح كل ما حدث في زمنه ووصل إليه خبره، فإن كان خيرا بين وجه الخير ورغب فيه وإن كان شرّا حذر منه ورغب عنه. ولولا ذلك لعد تقريرا منه على المعصية! وهذا محال ومناقض لعصمته. وكذلك بين الرسول عليه الصلاة والسلام كل ما كان قريب الوجود وقريب الحصول.

أجل! إنه ما أثار الشبهات فيما كان بعيد الوقوع رحمة بالأمة، وهذه عين الحكمة. والأحكام المتروكة لقياس العلماء المجتهدين هي الأحكام البعيدة الوقوع لا القريبة الحدوث. وما نحن بصدده ويدور عليه نقاشنا هو من الحوادث القريبة الوقوع التي يشعر بحدوثها كل العقلاء إن لم يكن غدا فبعد الغد لا محالة. والفرق بين هذين النوعين من الأمور واضح وشتان ما بينهما. وكذلك ترك لقياس المجتهدين ما للعقل فيه سبيل ويمكنهم الاستقلال في تنويره ممّا ليس من الأمور التعبدية الخالصة. وتعيين خليفة لا يبدل دين الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه بل يضع الأمور في موازينها ويبين للناس شرع الله فيها، أمر من مطالب ترجمان الغيب لا مجال لتدخل العقل فيه.

الدليل الخامس

كان من مسؤوليات النبوة استخلاف خليفة راشد يصلح أمر الأمة.

كان من مقتضيات رسالة نبينا ﷺ غلبة دين الإسلام على الأديان كلها كما قال عز من

---

(١) قُتل قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بيوم على يد رجلٍ يُدعى فيروز، وقد أخبر الوحي نبي الله صلى الله عليه وسلم بذلك فأخبر أصحابه.

قائل ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1].

وكما روي عنه بالتواتر[2] أنه بشر بفتح فارس والروم في أول مبعثه بمكة وفي أول قدومه بالمدينة وعند وفاته.

فإذا لم يقرّب النبي نفسه ﷺ العباد إلى تلك الفريضة المحتومة ما كان قد أدى واجب الرسالة –حاش لله– لأن فتح بلاد فارس والروم لم يكن من الأمور الهينة التي يمكن القيام بها من غير خليفة راشد، ولا يكفي لها نصب خليفة أي خليفة ولا يقدر عليها عامة الناس الذين يشتبه فيهم المستحق وغير المستحق. والاقتراع والاستهام في اختيار الأصلح الذي يقدر على القيام بها خارج من إطار علم الأمة. ومقدمة الواجب واجبة. أضف إليه أن النبي ﷺ كان ملما بفتنة الردة من بعده بعد ما نـــزل عليه قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ...﴾[3] وقد ظهرت بوادرها في عصره مع ظهور المتــنبئين مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وكان واضحا وضوح الشمس أن هؤلاء المتــنبئين والمرتدين إن قدروا سوف يشتتون شمل الأمة ويذهبون بريحها ويستأصلون شجرة الإسلام من جذورها. ولا يقدر على دفع هذه الفتنة العمياء إلا خليفة راشد، يجب أن يكون فردا ذا مكانة عظيمة يختاره تدبير الغيب لهذا الأمر العظيم. ودفع المضرة واجب وهو من مقتضيات ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4] الذي لا يتحقق من غير إرشاد الأمة في هذه المرحلة الخطيرة وتقريبها إلى الخير وإبعادها عن الشر.

ثـــم تدبـــر قول الله تعالـــى ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾[5] تدرك بأن قتال الكفار ابتداء كان أو دفعا لا يمكن بتاتا من غير نصب الخليفة، والبتة لا يقدر كل خليفة على حمل تلك المسؤولية بل يجب تعيين واحد بعد الآخر، والتمييز بين الآحاد من الناس لهذا المنصب خارج من إطار عقل العامة، ويتطلب نبيا يتلقى الأمر من وراء

---

(١) سورة التوبة: ٣٣. وسورة الصف: ٩.

(٢) أما في أول مبعثه بــمكة فقد أخرجــه أحمد ٢٠٩/١، ٢١٠ من طريق اسماعيل بن إياس بن عفيف عن أبيه عن جده قال: كنت امرأ تاجراً فقدمت الحج، وفيه: وهو يزعم أنه نبي ولــم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمــه هذا وهذا الفتى، وهو يزعم أنه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر، الحديث. وفي إسناده إسماعيل، قال البخاري لايصح حديثه. راجع اللسان ٣٩٥/١ ولم يذكره الحافظ في التعجيل. "وأما في أول قدومه بالمدينة" فرواه الحسن كما تقدم، وقد روي من طرق أنه عليه الصلاة والسلام قال هذا حين حفر الخندق، وقد روي من حديث أبي هريرة وجابر بن سمرة وغيرهما أيضاً. راجع الكنــز ٣٦٨/١١، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦.

(٣) سورة المائدة: ٥٤.

(٤) سورة التوبة: ١٢٨.

(٥) سورة البقرة: ٢٤٦.

حجب الغيب في نصبه، وبذلك تخمد نار الفتنة التي قد يثيرها من يقيسون الأمور بظواهرها ويحاولون بث الخلافات في تعيين الخليفة، وتطفأ تلك الشعل الملتهبة التي قد يثيرها أهل الشغب في إبراز بعض المعايب العرفية والمثالب الرسمية.

وإذا كنت ملما بتاريخ الملوك تعرف لا محالة أنهم في مثل هذه الظروف الحرجة كانوا يختارون ملكا عزيز الوجود لينوب عنهم عند الحاجة، وفي سبيل اختياره كانوا يسلكون مسالك شتى؛ فمنهم من كان يجري وراء ذيول النجوم، ومنهم من كان يعتمد على الأحلام والرؤى والاستخارة، ومنهم من كان يعتمد على فراسة الحكيم الذي يعتمد على كهانته، وتفاصيل هذه القصص كثيرة لا تحصى ولا تعد. وإن لم تكن تعرف ذلك ففيما تعرفه عن قصة اقتراع زال دستان بعد قتل نوذر كفاية، إذ قال:

"لا يليق بهذا العرش كل ملك. بل يجب أن ينهض له ملك سعيد الحظ ممن يعينه الرب على شؤون ملكه، وتجري درر الحكمة في نطقه".

وفي نهاية المطاف اتفق برزد وطهماسب واختلقوا قصة ضعف السلطان كاوس عندما بلغ من العمر عتيا. وزعم كَودرز بأنه رأى في المنام أن سلطان فارس يستقيم إذا اختاروا كيخسرو ملكا لهم، وأرسل كيو إلى أقصى توران ليحضر كيخسرو.

وهنا نكتة إذا أدركتها يزول الغشاء عن كثير من المعضلات، وهي أن سنة الله جرت على أنه لما يعم البلاء يصطفي مدبر السماوات والأرضين رجلاً من خلقه يرفع البلاء عن الخلائق أو يقرب الناس إلى طريق الخلاص، ويصلح أمر العالم بتدابيره. فإرسال الرسل، وظهور المجددين على رأس كل مائة، ونصب الخلفاء الأكفاء، وغيره من الأمور المتفرعة من تطبيقات هذه السنة الإلهية.

السر الكامن في بعثته ﷺ يوم أن كان العالم غارقا في الجهالة وسلطان الكفر كان مسيطرا على العالم كما جاء في الحديث القدسي "إن الله مقت عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وإني أردت أن أبتليك بهم وأبتليهم بك"[١]. هو السر نفسه عند انتقاله من العالم الأدنى إلى الرفيق الأعلى؛ فلم يكن الدين قد ظهر كما ينبغي وقد كانت الدواعي كلها تتداعى على اختلال الدين الخالص والقضاء عليه. فجرت السنة الربانية في اختيار خليفة من بعد الخليفة إلى أن تم مراد الحق وأنجز ما وعده.

اصطفاء من يتولى أعباء النبوة خارج من إرادة البشر وعلمهم. ومن هنا كان زعم

---

(١) راجع ص ٥٣.

الحساد والجهال ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[١]، فكذلك الأمر فيمن يتولى الخلافة وتوضع مسئولياتها على كتفه ليوصل الأمة إلى شاطئ الأمان وليتم شؤون الدين، لا يكون إلا من أمر عالم الغيب الذي يعلم السر وأخفى وخارج من مقدور البشر، فلابد أن يكون قد نص النبي ﷺ على تعيينه. وإذا افترضنا أنه لم ينص على استخلافه فذلك راجع إلى ثقته بالله تعالى في تولي الأمر لأنه "يأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر"[٢].

يتصور المهتمون بالقشور وظواهر الأمور بأن تعيين الخليفة مثل نصب قائد وحاكم على أمثالهم من البشر؛ فينزلون بذلك –حسدا منهم– معنى الخلافة والمراد منها، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره. أما العلماء والمحققون فيرونه من تدبير الغيب في إصلاح العالم وإنجاز ما وعد الحق سبحانه وتعالى، ويرون هذا الاستخلاف نعمة عظيمة منه.

من الحكمة المطلقة لخالق السماوات والأرضين
أن يصطفي لاصلاح البشر عبدا من عبيده المخلصين

---

(١) سورة الزخرف: ٣١.
(٢) راجع ص ٩٧، ١٩٩.

المقدمة الثانية

إذا كان الرسول ﷺ قد نص على خليفته، فالخليفة هو أبوبكر لا محالة، ثم عمر من بعده، ثم عثمان بعد عمر.

والدليل على ذلك أنه قد ثبت بالتواتر أن أبابكر وعمر وعثمان كانوا ملوك الأرض وكان الناس يطيعوهم ويقرون لهم بالخلافة وكانوا ينادوهم باسم "خليفة رسول الله" و"أمير المؤمنين" وهذا الأمر يدركه ويقرّ به المخالفون والمؤمنون كلهم. إذن قد ثبت جزء من الخلافة التي هي القيادة لهم ونفي اسمها عن غيرهم.

مما يدور النقاس عليه بين الشيعة والسنة هل كان هؤلاء الخلفاء في منصبهم مطيعين للحق سبحانه وتعالى أو متمردين على حكمه؟ وهل الشارع قد نص على خلافة هؤلاء أم نص على خلافة غيرهم؟ أم لم ينص على خلافة أي إنسان على الاطلاق؟

نقول: إن كان الشارع قد نص على خلافتهم وهم قد تقلدوا هذا المنصب بناء على النص، فبها ونعم!

أما إذا كان النص على خلافة غيرهم وهم اغتصبوا الأمانة وسحبوا الخلافة لأنفسهم ظلما وزورا فقد عصوا الله عز وجل في تقلدها. فتحصل من ذلك قبائح خطيرة، منها:

(١) لـــزوم التدليس في كلام رب العزة جل و علا،

(٢) لـــزوم تدليس أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم،

(٣) وتكذيب الأحاديث المتواترة عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم،

(٤) ولـــزوم اجتماع الأمة على الضلال،

(٥) وضياع الأمن من الأحكام وشيوع الريبة والطعن فيها،

(٦) ومخالفة مقتضيات العقل الصريح،

(٧) وتناقض مقصود الشارع.

(١) لزوم التدليس في كلام رب العزة جل وعلا

وأما لزوم التدليس في كلام رب العزة جل وعلا، فإن فرضنا أهم كانوا عصاة وقد اغتصبوا الخلافة فيظهر بأن القرآن قد بشر المهاجرين الأولين والأنصار ومن بايع النبي ﷺ تحت الشجرة بالجنة وبرضوان الله عز وجل. وقد مدحهم وأثنى عليهم بقوله ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ

فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1] والشيخان أبوبكر وعمر منهم، فإن كانا قد اغتصبا الخلافة وكانا من الجبابرة الظالمين فهذا تدليس في كلام الله عز وجل والله منـــزه عنه. وأما غيرهما فلا يـــخرجون من أمرين؛ إما شاركوهما في الأمر أو سكتوا عن الحق ورضوا بطغيانـــهما، فإن كانوا قد أعانوهـــما على ضلالتهما فهم كذلك ظالـــمون وفاسقون. لأن الوقوف مع الظالم ومساندته ظلم كذلك، قال تعالى ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ... ﴾[2]. وإذا كانوا قد سكتوا عنهم فسكوهم إما راجع إلى الخوف والوجل أو إلى غير الخوف. فإن كان من غير الخوف فكلهم عصاة مجرمون، وإن كان سببه الخوف، فإما جميع المهاجرين والأنصار وأهل بيعة الرضوان أو أكثرهم قد شملهم الخوف والوجل أو قليل منهم هم الذين خافوا وركنوا. يثبت العقل بداهة أنه لا يمكن أن يكون جميع المهاجرين والأنصار أو أكثرهم خائفين من الشيخين فسكتوا عنهما وذلك لأنهم إن لم يكونوا راضين فما كانت خلافتهما لتنعقد، إذ لم يستخلفهما الأنصار والمهاجرون. أما إذا كان الخوف والوجل شمل فئة قليلة منهم فإن الأكثرية هم عصاة مـــجرمون لإرهابهم الأقلية، فإيراد هذه البشائر بصيغ الجمع لا يكون إلا هزلا مطلقا -حاشا لله!

وكذلك لو كان أبوبكر الصديق جابرا وغاصبا في خلافته لم تكن آيات المدح وكمال الثناء وبشرى الجنة ورضوان الله عز وجل تنـــزل فيه، ولا شك أن آيات كثيرة أشارت له بهذه الصفات. إذن خلافته عين الحق لا محالة! لأن نـــزول الآيات الساميات بالمدح والثناء لشخص ليس إلا رأسا للفساد العام، يعد من التدليس والله عز وجل منـــزه عنه.

وبشارة من ارتكب الكبائر ولم يتب إلى أن وافاه الأجل، قليلة الوقوع عند الأشاعرة وممتنعة الوقوع عند المعتزلة، ففي كل الأحوال التنويه به والإشارة إلى أمره من غير بيان حقيقة حاله تلبيس عظيم. وإذا قص الشارع قصة من قصص بني إسرائيل ولم ينكرها دل على جواز الأمر المشار إليه في القصة لأن تقريره دليل على الجواز وإلا كان تدليسا، فكيف إذا أثنى الشارع على أحد يظهر منه في آخر عمره هذه الأعمال الشنيعة والوقائع القبيحة، فمدحه وبشره بالجنة؟! ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

ومما يبطل الافتراءات وجوبا ما ذكره جمع غفير من المفسرين في سبب نـــزول كثير من الآيات أنها نـــزلت في أبي بكر الصديق وقد وصلت هذه الروايات من طرق عديدة بلغت حد التواتر وقد اتفق العلماء عليها وأيقنوا بها. وبما أن هذه الآيات نـــزلت في أبي بكر الصديق

---

(١) سورة الفتح: ١٨- ١٩.

(٢) سورة الصافات: ٢٢.

فدخوله فيها وشمولها له أمر يقيني لا مراء فيه. وتؤكدها تلك الروايات التي وصلتنا من طريق السلف وهي تنص كذلك على المعاني نفسها، زد عليها القرائن الكثيرة التي تدل على أن هذه الآيات التي نـــزلت فيه، منها:

١- قوله تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ... ﴾[١] وقد أجمع الموافق والمخالف والمعاند أن صاحبه في الغار لم يكن إلا أبابكر الصديق رضي الله عنه.

٢- والآية ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] تشير إلى أبي بكر الصديق بالاتفاق.

٣- ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ﴾[٣].

قال الواحدي قال الكلبي في رواية محمد بن الفضل نـــزلت في أبي بكر، يدل على أنه كان أول من أنفق المال على رسول الله ﷺ وأول من قاتل على الإسلام[٤]. وقال ابن مسعود: أول من أظهر إسلامه بسيفه النبي ﷺ وأبوبكر[٥]. وقد شهد له النبي ﷺ بانفاق ماله قبل الفتح في أحاديث كثيرة[٦].

٤- ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾[٧]. قال الواحدي: قال عطاء عن ابن عباس يريد أن أبابكر وعمر واليان للنبي ﷺ على من عاداه وينصرانه[٨]. وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله ﴿وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: صالح المؤمنين أبوبكر وعمر[٩].

٥- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ

---

(١) سورة التوبة: ٤٠.
(٢) سورة النور: ٢٢.
(٣) سورة الحديد: ١٠.
(٤) البغوي في تفسيره ٤/٢٩٤، محمد بن الفضل (الفضيل)
(٥) راجع ص ١٢٥.
(٦) راجع ص ١٢٥- ١٢٦.
(٧) سورة التحريم: ٤.
(٨) أبو حفص عمر بن علي الحنبلي في كتابه: تفسير اللباب في علوم الكتاب ١٥/ ٣٥٦ نحوه.
(٩) راجع ص ٥٩١.

﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[١].

قال الواحدي قال مقاتل وعطاء الكلبي عن ابن عباس: هذه الآية نـــزلت في أبي بكر الصديق[٢]. وكان حمله وفصاله هذا القدر ويدل على صحة هذا قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ إلى آخر الآية، وقد علمنا أن كثيرا من الناس ممن بلغ هذا المبلغ لم يكن منه هذا القول وهو ما ذكره الله عنه. قال ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ الآية، فدل على أنه في إنسان بعينه. وهو أبوبكر رضي الله تعالى عنه. ومعنى قوله ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قال عطاء: ثماني عشرة سنة وذلك أنه صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي ﷺ عشرون سنة في تجارته إلى الشام فكان لا يفارقه في أسفاره وحضوره فلمـــا بلغ أربعين سنة ونُـــبِّئ رسول الله ﷺ دعا ربه فقـــال ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ ألهمني ﴿أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ علي بالهداية والإيمان حتى لم أشرك بك ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ أبي قحافة عثمان ابن عمرو وأم الخير بنت صخر بن عمرو.

قال علي بن أبي طالب: نزلت هذه الآية في أبي بكر؛ أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين أبواه غيره، أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾[٣] قال ابن عباس أجابه الله تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد سببا من الخير إلا أعانه الله سبحانه واستجاب له في ذريته إذ قال ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ ولم يبق له ولد ولا والد ولا والدة إلا آمنوا بالله وحده[٤].

٦- ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ محمد ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أبوبكر وأصحابه، وهم المؤمنون الذين صدقوا محمدا ﷺ بما جاء به من الإسلام ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٥].

٧- ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[٦].

في الكشاف[٧] قيل نـــزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين تصدّق بأربعين ألف دينار؛ عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية.

٨- وقد قال تعالى ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾[٨] اتفق المفسرون على أن هذا الأتقى يراد منه أبوبكر الصديق رضي الله عنه إذ تصدّق لله أربعين ألفا، والآية مكية

(١) سورة الأحقاف: ١٥.
(٢) راجع ص ٥٤٧.
(٣) البغوي في تفسيره ٤/ ١٦٧.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) سورة الزمر: ٣٣.
(٦) سورة البقرة: ٢٧٤.
(٧) ١/٣١٩.
(٨) سورة الليل: ١٧- ١٨.

باتفاق أئمة التفسير و لم يكن أحد قد أنفق في مكة مثل ما أنفق، وعلى هذه الصورة المشار إليها. وتشير أدلة كثيرة إلى أن مراد الآية لـم يكن المرتضى إذ كان يومها صغيرا في رعاية النبي ﷺ و لم يكن يملك من المال لينفق في سبيل الله، وقد كان فضل النبي ﷺ على علي من جهة الرعاية والتربية في حين أن يده على أبي بكر كانت في إهداء الهداية له ونعمة تعليمه الإسلام وليس لذلك جزاء، كما قال الأنبياء عليهم السلام ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1]. فبعد ما ثبت لنا أن المراد من الآية هو أبوبكر الصديق يتبين لنا أن مآله إلى الخير وأنّ عاقبته محمودة لا محالة. وذلك لقوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[2]، ومن كان أتقى ومرضياً عند الله في الحال والاستقبال كان الأكرم، والأكرم كان أفضل الأمة، ومن كان أفضل الأمة كان هو الأحق والأجدر بالخلافة.

فإذا قال إنسان إن المراد من الآية هو جنس الأتقى، نقول: يشمل عموم الآية خصوص الـمنصوص عليه قطعا. وعلى تنـزيل النص على الواقع نقول: فقد كانت الخلافة في الظاهر لأبي بكر الصديق من غير خلاف لكن النقاش يدور حول تصديه للخلافة، أكان حقا أم لا؟

وتشهد القصص والروايات الواردة على أن أبابكر الصديق اتصف بهذه الصفات. إذن تثبت له البشارة الواردة. فيجب أن يكون هو في النهاية محموداً وأن تكون الخلافة له من غير أن يكون غاصبا لها أو جائرا عليها.

٩- وبـما أن آيتي الخلافة أي الآية ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[3] والآية ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾[4]، نـزلتا في واقعة واحدة فالمقيد منهما يقيد المطلق، ومجموع ما يفهم منهما هو استخلاف المهاجرين الأولين ومدح خلافتهم وأنه لو تم تمكينهم في الأرض ينضمُّ إليه الجزء الثاني الذي هو الخلافة الراشدة لا محالة. وقد فصلنا الكلام في ذلك (فيما مضى).

١٠- وكذلك قال تعالى ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[5].

قال الواحدي: أكثر المفسرين على أن هؤلاء بنو حنيفة أتباع مسيلمة. قال رافع بن

---

(١) سورة الشعراء: ١٠٩.
(٢) سورة الليل: ٢١.
(٣) سورة النور: ٥٥.
(٤) سورة الحج: ٤١.
(٥) سورة الفتح: ١٦.

خديج[1]: كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبوبكر الصديق إلى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم.

قال ابن جريج سيدعوكم عمر إلى قتال فارس، ﴿تُقَـٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ﴾ أو يكون منهم الإسلام، ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ أبابكر وعمر ﴿يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنًا﴾ يعني الجنة، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ تعرضوا عن طاعتهما، ﴿كَمَا تَوَلَّيۡتُم﴾ أعرضتم عن طاعة محمد ﷺ في المسير إلى الحديبية، ﴿يُعَذِّبۡكُمۡ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾، والآية تدل على خلافة الشيخين، فإن الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما العذاب الأليم. انتهى.

وعد الله سبحانه وتعالى أنه سيأتي في المستقبل داع يدعو الأعراب إلى جهاد الكفار وأن دعوته تقتضي الوجوب فإن قبلوا أثيبوا عليه وإن جحدوا عوقبوا وهذا من اللوازم اليقينية في الاستخلاف. وكذلك تعد الدعوة إلى الجهاد من أعظم صفات الخليفة.

فلا يـــخلو الأمر من أن يكون هذا الداعي هو النبي؟! أو أحد الخلفاء الثلاثة أو المرتضى أو بني أمية أو بني العباس.

يمتنع أن يكون النبي ﷺ هو ذلك الداعي لقوله تعالى ﴿لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا﴾[2] وقد نـــزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وغزواته بعد الحديبية محصورة معلومة. فقد خرج بعد الحديبية إلى خيبر ولم يكن بها دعوة للأعراب، وكذلك في خروجه إلى فتح مكة وحنين لم يكن قتال إلى قوم أولي بأس شديد. لأن الكلمة تدل على مغايرة هذا القوم المدعو إليه والقوم الأول –أي قريش– ومن جاورهم. والظاهر من ﴿أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ أنهم أشد قوة من قريش، ولم يتحقق هذا المعنى في غير قتال الروم والعجم. وكذلك لا يمكن أن يكون الداعي هو علي المرتضى لأن قتاله كان منحصرا في طلب الخلافة والنـــزاع عليها ولم يكن للدعوة إلى الإسلام. وقد دلت الآية ﴿تُقَـٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ﴾[3] إلى أن الدعوة موجهة إلى الكفار ليسلموا. ومما هو ثابت لا مراء فيه من التاريخ أنه لم يدع بنو أمية وبنو العباس أعراب الحجاز إلى قتال الكفار قط.

وقد كانت دعوة أبي بكر الصديق إلى قتال أهل الشام والعراق، وكذلك دعوة عمر الفاروق توجهت إلى قتال العراق والشام ومصر، ودعوة ذي النورين عثمان كانت إلى قتال أهل خراسان وأفريقية والمغرب كما هو مبسوط في كتب التاريخ. إذن فقد كانت دعوتهم واجبة الامتثال وهي من الصفات البارزة في الخليفة الصادق.

---

(١) البغوي في تفسيره ٤/١٩٢.
(٢) سورة التوبة: ٨٣.
(٣) سورة الفتح: ١٦.

ولما ثبت يقيناً أن دعوتهم كانت إلى جهاد الروم والعجم فقد وجب طاعتهم في امتثال جميع أحكامهم لأن الناطقين بكلمة التوحيد مقسمين على قولين لا ثالث لهما. ففريق يرى وجوب الانقياد لهم في جميع الأحكام والآخر يرى نفي وجوب الطاعة والانقياد لهم في جميع الأحكام، فلما بطل الثاني تعين الأول.

١١- ويقول الحق سبحانه وتعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(١)].

تدل الآية على أن جماعة المحبوبين الكاملين المرضيين سيجاهدون المرتدين. و لم يتحقق هذا المعنى في زمنه إذ لم يكن قد ظهر الأسود العنسي ليبعث الرسول ﷺ جيشا يقاتله. وكذلك لم يكن في أيام سيدنا علي إذ كان قتاله للخوارج والبغاة و لم يكن للمرتدين، وكذلك لم يبعث بنو العباس وبنو أمية جيوشا لقتال المرتدين.

والمراد من الآية كما هو واضح، جمع الجيوش لنصب راية الجهاد. فتبين أن الموصوفين بها أبوبكر الصديق وعمر الفاروق وجيوشهما، وفي العرف لا يقام الجهاد إلا عند وجود الخليفة وقيادته وإن لم يشهد المعركة بنفسه.

وإذا لم يكن أبوبكر الصديق وعمر الفاروق خليفتين لا يكون من اجتمعوا تحت رايتهما وجاهدوا بأمرهما وبايعوهما وارتضوا خلافتهما من المحبين والمحبوبين. وهذا خلاف الآية التي تدل على أنّ هذه الجماعة يتصفون بالمحبة واللطف فيمابينهم؛ فهم رحماء بينهم وأشداء على الكفار يقاتلونهم ولا يخافون في الله لومة لائم. وهذه كلها من صفات الكمال.

وكذلك يدل قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ على كمال الفضل والتناهي في الثناء. فهذه أيضا تؤكد أن الشيخين أبابكر وعمر ومن تبعهما في أيام خلافتهما قد اتصفوا بتلك الصفات الكاملة التي لا تفوقها صفة في الشريعة وقد شملهم الفضل الإلهي ومدحه، وفي هذا إشارة إلى استخلافهم الحق ودلالة واضحة على أفضليتهم.

(٢) لزوم تدليس أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم

وأما وجوب تدليس قول النبي ﷺ؛ فعند زعمهم أن خلافة الخلفاء الثلاثة –أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين– كانت ظلما وزوراً، يظهر في أنه قد تبين من أحاديث

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.

كثيرة جدا أنه قد بشرهم بالجنة. فهذه الأحاديث الكثيرة بأسانيدها المختلفة وطرقها الشتى تدل على معنى واحد وهو بشارتهم بالـــجنة، فيثبت هذا المعنى قطعا. فإذا كان هؤلاء فساقا وظالمين لا تليق بهم البشارة، وبهذا يكون كلامه تدليسا! وقد بينا بشارتهم من خلال فصول عشرة فيما مضى.

(٣) تكذيب الأحاديث المتواترة عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم

وأما تكذيب الأحاديث المتواترة عن الصادق المصدوق ﷺ فيظهر بأنه قد أشار إلى خلافتهم مرارا في أحاديث كثيرة؛ تارة نصا صريحا، ومرة تلميحا مجملا، وأخرى إيماء مفصلا، وإن كانت هذه الأحاديث أخبار آحاد لكنها أكثر من أن تعد وتحصى وكلها تدور في فلك واحد وهو صحة خلافة هؤلاء السادة في زمان خلافة كل منهم.

فمن باب تفصيل هذا الإجمال؛ (١) ذكره لرؤيا القليب إذ قال بعدها "لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر" أي باللذين يقومان من بعدي مقامي، لأن الصلة تخصّص وتعيّن الموصول ووجودهما في غير مقامه لا يخصص ولا يعين، ويجب في الصلة أن يكون المخاطبون قد عرفوا الموصول بها، فتبين أن المخاطبين قد سمعوا رؤيا القليب وأمثالها وكانوا على علم بها. ثم المراد من الاقتداء هو الاقتداء في شؤون الخلافة لأن تعليق الاقتداء بلفظ يشير إلى الخلافة إيماء باقتداء الرعية للراعي والخليفة. وفي الحديث نفسه قد وكل أمر تعليم القرآن وغيره من الأمور إلى أناس آخرين. فمعنى الاقتداء هنا غير الاقتداء في الفتوى والعلم ولا يكون إلا في الخلافة. إذن في الحديث دلالة واضحة على وجوب انقياد القوم وطاعتهم لهؤلاء في خلافتهم. وهذا معنى تشريع الاستخلاف.

(٢) وقد ذكر صلى الله عليه سلم في خطبة الوداع التي ودع فيها الأمة "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"[1]. بعد بيان الرؤى العديدة التي تدل على أن ولاة الأمر بعده هؤلاء الثلاثة كأن خطبته هذه تعني "عليكم بسنتي وسنة أبي بكر وعمر وعثمان" وهذا يوجب انقياد القوم في كل ما يتعلق بأمر الخلافة. وهو المطلوب.

(٣) وقد ذكر المصطفى عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة بأن الخلافة من بعده ستكون خلافة نبوة ورحمة يتبعها ملك عضوض. ولم يكن بعد وفاته إلا خلافة الخلفاء الأربعة، فثبت إذن أن خلافتهم كانت خلافة النبوة والرحمة.

وإن لم تكن سيرهم سيرة الأنبياء أو كانوا اغتصبوا الخلافة ظلما وزورا لم تكن خلافتهم خلافة النبوة والرحمة كما وصفها الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام.

---

(١) راجع ص ٦٧.

(٤) وقد أخبر عليه الصلاة والسلام في أحاديث مستفيضة بأن الخلافة ستكون ثلاثين عاما، وفسرها سفينة بخلافة هؤلاء الأربعة. ويؤيده العقل السليم أيضا إذ الرئاسة المطلقة ليست مدتها ثلاثين عاما. فالخلافة التي اتصف بها هؤلاء الخلفاء هي ممدوحة، والتي أسست على الجور والغصب لا تكون ممدوحة أبدا.

وقد وردت رؤيا القليب في أحاديث مستفيضة وكذلك ثبتت رؤى كثيرة متباينة من الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى التي منها:

حديث إيصال الحبل من السماء إلى الأرض، وحديث تنوّط بعضهم على بعض، وحديث شربهم الماء -حسب الترتيب- والتشويش الحاصل عند عثمان ثم اجتماع الأسباب له، وحديث ذكر الأوزان - حسب الترتيب - وغيره من الأحاديث التي تعبر كلها عن الخلافة التي ورد ذكرها صريحا في بعضها وتلميحا في بعض، وقد سكت عنها في مواطن من غير سخط بل قد أظهر رضاه التام وابتهج بها. فمن هنا تبين لنا أن خلافتهم لم تكن ظلماً وجوراً.

(٥) واستخلافه أبابكر الصديق بالإمامة في الصلاة لما اشتد عليه مرض الموت، وعدم رضاه بإقامة غيره لدليل واضح عقلا ونقلا على استخلافه. أما عقلا؛ لأن العادة جرت بأن الملك إذا أجلس إنساناً على عرشه عند موته كان ذلك إشارة إلى استخلافه إياه، وعقد اللواء له دليل على تقليده الإمارة، وإعطاؤه القلم والحبر دلالة على منصب الوزارة. فكل هذه الإشارات عند الملوك لها دلالاتها مثل الإشارة باليد أو الرأس عند قولنا: "لا، أو نعم". والإمامة في الصلاة كانت للمصطفى عليه الصلاة والسلام بل كانت أفضل أموره في دينه ودنياه وتسليمها لأبي بكر الصديق لخير دليل على تقليده منصب الخلافة.

وأما نقلاً؛ فيثبت من خلال استدلال مجموعة من الصحابة منهم عمر الفاروق وعلي المرتضى وأبوعبيدة وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم، بهذا الحديث على تثبيت الخلافة لأبي بكر ولم ينكر أحد عليهم هذا الاستدلال وكأنهم ارتضوه. واليوم إذ تلبست دلالة هذا الفعل بأناس فلم يكن في فهمها عند الصحابة أي التباس، إذ الدلالات والإشارات عادات وتقاليد قد يعتريها التغير حسب العصور.

(٦) ثم قوله عليه الصلاة والسلام للسائلة "إن لم تجديني فأتي أبابكر" نص صريح في أن الخلافة من بعده لأبي بكر، لأن التصرف في بيت المال وإيفاء وعود النبي صلى الله عليه وسلم يعد من خصائص الخليفة.

(٧) وكذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: "... لا يُبقين في المسجد خوخة إلا خوخة

أبي بكر"[١] دلالة على خلافته من بعده. ويستدل العلماء به من وجهين؛ أولا لأن الخليفة يحتاج إلى الإكثار من دخول المسجد لشدة احتياجه إلى ملازمة المسجد كي يصلي بهم ويأمرهم وينهاهم ويقضي بينهم، وكان الناس في الزمن الأول لا يقضون إلا في المسجد، وثانيا إنه إشارة إلى سد رغبات الناس في الخلافة.

(٨) وقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله في مرض موته "لقد هممت أن أدعو أباك وأخاك ...[٢]" الحديث. وهو نص صريح في أن مراده كان استخلاف أبي بكر الصديق وكان يكره أن يرغب في الخلافة غيره لكنه ترك كتابة ذلك أو أخذ البيعة عليه متوكلا في كل هذا على ما وعده الله سبحانه وتعالى.

(٩) وقد قال في جواب بني المصطلق لما سألوه عن الصدقات أن يسلموها من بعده لأبي بكر ومن بعد أبي بكر لعمر، ومن بعد عمر إلى عثمان، وسكت عمّا بعد عثمان[٣]. ويعد أخذ الصدقات من خواص الخلافة ومسؤولياتها، والأمر بإيتاء الصدقات أمر بطاعته المطلقة في أمور الخلافة.



(١٠) خطب الرسول ﷺ ثم أمر أبابكر وعمر أن يخطبا بعده حسب الترتيب[٤]؛ فيدل هذا المعنى على ترتيب خلافتهما لأن الخطبة أيضا تعد من لوازم الخلافة.

(١١) وضع الأحجار في بناء المسجد –حسب الترتيب– وقوله ﷺ إنهم هم الخلفاء"[٥] إشارة إلى خلافتهم، وأن المسلمين ملزمون بطاعتهم والانقياد لهم في شؤون الخلافة.

وعجب ممن يستدل بقوله تعالى ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾[٦] على انتقال أملاكهم إلى الكفار ولا يستدل بقوله "هم الخلفاء" على إيجاب طاعتهم والانقياد لهم في أمور الخلافة.

المسجد شعار من شعائر الإسلام ويمثل الدين، ووضع حجر أساسه كناية عن القيام بأمر الدين. وقد أوضح الحق سبحانه وتعالى هذه الصورة ليدرك النبي ﷺ حقيقة الأمر، كما أن الصحابة أدركوا وجوب الصلح من جلوس الناقة[٧]. والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) راجع ص ١٩٩، ٢٠٥.
(٢) راجع ص ٩٧، ١٩٩.
(٣) راجع ص ٩٣، ٢٠٢.
(٤) راجع ص ٢٢٥.
(٥) راجع ص ٩١، ٩٢ من حديث سفينة وعائشة رضي الله عنهما.
(٦) سورة البقرة: ٢٧٣.
(٧) ذكر ابن إسحاق: خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم حتى اذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته، فقال الناس: خلأت. فقال: ما خلأت ومالها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة الخ راجع

(١٢) وقد أورد صاحب شواهد النبوة[١] في الركن الخامس من القسم الثاني من كتابه قصة الأعرابي الذي أعطاه النبي ﷺ حمولة إبل من تـــمر وقال له: سيعطيك بعدي أبوبكر وبعد أبي بكر عمر وبعد عمر عثمان.

(١٣) وكذلك قصة ذلك الأعرابي الذي باع النبي ﷺ جمالا فقال له: إن حدث لي أمر فيدفع ثمنها أبوبكر وإن حدث لأبي بكر حادث، فسيدفع لك مالك عمر[٢].

(١٤) سأل جندب رسول الله ﷺ يوم حنين عن أعز أصحابه الذي يمكن أن يقوم مقامه؟ فقال: أبوبكر يقوم مقامي، وعمر صاحبي ينطق الصدق، وعثمان مني، وعلي أخي[٣].

(١٥) أورد شواهد النبوة في كرامات عثمان أن أباذر ذكر أن النبي عليه الصلاة والسلام أخذ حصى في يده فبدأت تسبح، ثم وضعها في يد أبي بكر وهي تسبح، ثم وضعها في يد عمر وهي تسبح، ثم وضعها في يد عثمان وهي لم تزل تسبح[٤].

(١٦) وكذلك ورد في هذا المقام أن شهيدا من شهداء اليمامة تكلم بعد موته فقال: محمد رسول الله، أبوبكر الصديق وعمر الشهيد عثمان ذو النورين[٥].

(١٧) كان للشيخين منـــزلة عظيمة ومكانة جليلة تفوق مكانة سائر الصحابة عند الله سبحانه وتعالى مما جعلهما أحق بالخلافة.

أما المقدمة الأولى (علو مقام الشيخين على غيرهم) فقد وردت فيها أحاديث مستفيضة منها حديث المرتضى وأنس وغيرهما: "هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين"[٦]، وحديث تجلي الحق سبحانه وتعالى لأبي بكر خاصة يوم القيامة[٧]، وحديث

البداية ٤/١٦٥.

(١) ألفه الشيخ نورالدين عبدالرحمن بن أحمد الجامي المتوفى ٨٩٨هـ.

(٢) الطبراني بمعناه عن عصمة، وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف كما في المجمع ٥/١٧٩.

(٣) لم أجده عن جندب، وقدروي عن جابر بمعناه قال: أبوبكر الصديق وزيري وخليفتي على أمتي من بعدي، وعمر حبيـــبي ينطق على لساني، وعثمان مني، وعلي أخي وصاحب لوائي، رواه ابن عدي ٦/٢١٠٣. وابن حبان في المجروحين ٢/٢٣٠ ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ١/٤٠٤ وقال: موضوع، وكادح بن رحمة ليس بشيء. راجع الكنـــز ١١/٦٢٨.

(٤) راجع ص ٩٢.

(٥) لم أجده في غزوة اليمامة، وقد روي عن النعمان بن بشير قال: بينما زيد بن خارجة يمشي في بعض طرق المدينة إذ خر ميتاً بين الظهر والعصر، وذكر القصة وفيها قال زيد: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وأبوبكر الصديق خليفة رسول الله، والأوسط عبدالله أمير المؤمنين رضي الله عنه، وعثمان أميرالمؤمنين رحيم بالمؤمنين، الحديث رواه الطبراني باسنادين ورجال أحدهما في الكبير ثقات، كما في المجمع ٥/١٨٠.

(٦) راجع ص ٦٠.

(٧) روي عن أنس وجابر وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم بلفظ: إن الله يتجلى للخلائق عامة

المصافحة والمعانقة للفاروق[١]، وحديث منـــزلة الشيخين فوق مكانة أهل الدرجات العلى[٢].

أما المقدمة الثانية فهى من الوضوح بمكان، لأن المراد من العبادات والطاعات وأعمال الزهد وغيرها هو التقرب إلى الله عز وجل، ولم تكن منـــزلة الأنبياء العظيمة ومكانة الأولياء الجليلة إلا لقربهم منه، وكان الشيخان أقرب الناس وأحبهم إلى قلب رسول الله ﷺ -ومن ثم أقربهم إلى الله سبحانه وتعالى- فهما أولى بالخلافة من غيرهما.

أما المقدمة الأولى فيثبتها حديث عائشة إذ قيل لها: أي أصحاب النبي ﷺ كان أحب إليه؟ قالت: أبوبكر ثم عمر[٣].

(١٨) وروي عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ سئل عن أحب الناس إليه قال: عائشة، ومن الرجال أبوها ثم عمر[٤]. وورد مثله عن أنس رضي الله عنه[٥]، والمراد من الحب هنا حب التقرب في المنـــزلة وذلك لقول عائشة: لو كان مستخلفا لاستخلف أبابكر ثم عمر[٦].

والمقدمة الثانية هى أنه ﷺ ما كان ينطق عن الهوى، إذن حبه، ولا سيما في باب الكمال، ليس عن هوى. فالأحبية هنا تدل على الأفضلية. **كان الشيخان وزيريه**[٧] وكان يشبههم بسمعه وبصره[٨]. والمعروف أن من تولى مناصب كبيرة وأدواراً سياسية خطيرة في زمنه كان أحذق وأدرى بشؤون الأمة من غيره. ومن كان أعز الناس إليه كان أحق بالخلافة.

(١٩) **وكان يعامل الشيخين معاملة المرشح للإمارة من بعده،** وهذا كله يدل على استخلافهما. فمن ذلك استشارتهما في تبليغ الرسالة[٩] وتقديمهما في جميع الأمور[١٠] والابتسام في وجوههما[١١] وأمرهما بالإمامة في قصة بني عمرو بن عوف[١٢]، ووقائع أخرى كثيرة.

ويتجلى لك خاصـــة. ذكره ابن الـــجوزي في الموضوعات ١/٣٠٤ والسيوطي في اللآلئ المصنوعة ١/٢٨٦ والشوكاني في الفوائد ص ٣٣٠ وابن عراق في تنـــزيه الشريعة ١/٣٧١. وراجع ص ٥٩.

(١) راجع ص ٢٢٤.
(٢) راجع ص ٢٠٦.
(٣) راجع ص ١٩٩.
(٤) راجع ص ٢٤٦.
(٥) راجع ص ٢٠٥.
(٦) راجع ص ٦٣.
(٧) راجع ص ٦٤.
(٨) راجع ص ٢٥٠.
(٩) راجع ص ٢١٦.
(١٠) راجع ص ٦٣.
(١١) راجع ص ٢٠٤.
(١٢) راجع ص ٢٢٩- ٢٣٠.

(٢٠) **كان أبوبكر الصديق وعمر الفاروق أصلح للخلافة** وأن خلافتهما كانت حقا، لحديث حذيفة: إن تستخلفوا أبابكر ...[١]"

(٢١) **وأنه صلى الله عليه وسلم بشر أبابكر الصديق بأنه سيكون أول من يدخل**[٢] الجنة وأنه سيكون رفيقه على الحوض[٣] وأن جميع أبواب الجنة ستناديه[٤] وأنه يجيد الخير كله بجميع ألوانه وأشكاله، وقد رافقه جبريل وميكائيل في غزوة بدر[٥]، ومن كان هذه صفاته كان أقرب الناس إلى النبي ﷺ، ومن كان أقرب الناس إليه كان أحق بالخلافة.

(٢٢) **وأنه أخبر بأن الفاروق يتمتع بصلاحيات النبوة في القوة العلمية والعملية.** أما العملية فقد كان الشيطان يهرب منه[٦]، ورؤيا القميص[٧] وما شابهها.

وأما العلمية فمنها قول النبي ﷺ "الحق ينطق على لسان عمر[٨]"، وإخباره ﷺ بأنه محدث الأمة[٩]. ورؤيا اللبن[١٠] وموافقة الوحي لرأيه[١١] وهذه الخصلة تلي الوحي وتنوب عنه. فإذا انقطعت النبوة فمن كان أشبه الناس بالأنبياء وأكثر الناس استعدادا كان أحق بالخلافة. وقد قال: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر[١٢]، فمن كان خيرا وأفضل من الجميع، واختير في آخر حياته خليفة لا تكون في مقامه شائبة.

(٢٣) وقد دعا النبي ﷺ للفاروق "عش حميدا ومت شهيداً[١٣]"، وكيف يتيسر العيش

---

(١) راجع الكنـــز ٥٦٢/١١، ٥٦٥.
(٢) راجع ص ٥٩.
(٣) راجع ص ٥٩.
(٤) راجع ص ١٩٥- ١٩٦.
(٥) لم أجده، وهذا خلاف ماذكر المؤلف في الباب السادس ص ٤٣٦ عن علي قال: نـــزل جبريل في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي صلي الله عليه وسلم وفيها أبوبكر، ونـــزل ميكائيل عن ميسرة النبي صلي الله عليه وسلم وأنا في الميسرة. ورواه أحمد وأبو يعلى والبزار بمعناه ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح كما في المجمع ٥٨/٩. والـــحاكم ٦٨/٣ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وأبونعيم في الحلية ٣٦٧/٤، ٦٣/٥، ٢٢٤/٧ وأبو طالب العشاري في فضائل أبي بكر ص ٧.
(٦) راجع ص ٦٠
(٧) راجع ص ٢٠٥- ٢٠٦.
(٨) راجع ص ٥٩.
(٩) راجع ص ٥٩
(١٠) راجع ص ١٨٣.
(١١) راجع ص ٦٠، وفي الباب عن الفضل بن عباس وأبي ذر وأبي هريرة، قاله الترمذي. وقال الإمام المؤلف في الباب الثاني ص ٦٠ روي عن ابن مسعود، و لم أجده.
(١٢) راجع ص ١٤٥.
(١٣) ابن ماجه (٣٥٥٨)كتاب اللباس باب ما يقول الرجل إذا لبس ثوبا جديدا، وابن عبد البـــر في الاستيعاب ٤٢٠/٢ عن ابن عمر أن النبي صلي الله عليه وسلم رأى على عمر قميصاً أبيض وقال:

الحميد لمن كان مغتصبا ظالما جائراً؟!

(٢٤) وقد صرح النبي ﷺ في أحاديث مستفيضة بأن "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب[١]"، فإذا كان أبوبكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين غاصبين وجائرين وجمهور الناس قد أعانوهم ووقفوا معهم في ظلمهم وطغيانهم فاستحال وصفهم بأهل الخير والحق بل يعد قرنهم من شر القرون!

(٤) لزوم اجتماع الأمة على الضلالة

أما لزوم اجتماع الأمة على الضلالة؛ فمن حيث أن الأمة أجمعت على خلافة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما وقد بايعهما الناس كلهم وأدوا واجب الطاعة لهما ووصفوهما بالخلافة والإمارة – خليفة رسول الله وأمير المؤمنين – فإن كانا كذلك، أي على ما وصفهما الناس به، فهذا هو المطلوب. وإن لم يكونا كذلك فقد كانت الأمة كلّها فاسقة وكاذبة وضالة بل وشر خلق الله إذ زعمت لهم ذلك. وهذا اللازم باطل بدليل وصف الله تعالى لهم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٢] وقول رسول الله ﷺ "لا تجتمع أمتي على الضلالة"[٣] وقوله: "خير القرون قرني[٤] ..." الحديث.

ومن حيث أن المسلمين متفقون على أن الإمام الحق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم إمّا أبوبكر الصديق وإما علي المرتضى، والحق لا يخرج من هذين القولين.

وقد ثبت أن علي بن أبي طالب لم ينازع أبابكر الصديق في الخلافة، فتبين أن الحق كان مع أبي بكر الصديق لا محالة. لأن ترك منازعة علي إياه لا يخرج من أمرين؛ إما لأنه كان على التقية وإما على غير التقية. والتقية هنا باطلة لأن عليا لم يكن يومئذ يعجز عن استرداد حقه من أبي بكر بعد الرسول ﷺ لأنه كان شجاعا باسلا، وكان بنو هاشم بلا استثناء ظهره، وكان رئيس بني عبد الشمس –أبو سفيان– وكذلك الزبير معه، وسيدتنا فاطمة رضي الله تعالى عنها مع

جديد قميصك أم غسيل؟ قال: بل غسيل، قال: إلبس جديداً وعش حميداً ومت شهيدًا ويرزقك الله قرة عين في الدنيا والآخرة. قال: وإياك يا رسول الله. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ٢/٢٢٩: هذا إسناد صحيح. والنسائي في عمل اليوم والليلة عن نوح بن حبيب عن معمر به، والإمام أحمد في مسنده من حديث عبدالله بن عمر ٢/٨٩ أيضاً.

(١) راجع ص ١٧٩- ١٨٠، ٢٣٧- ٢٣٨.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

(٣) روي هذا من حديث أبي بصرة وأبي مالك الأشعري وابن عمر وابن عباس وأنس وأبي ذر وغيرهم والحديث بمجموع طرقه صحيح. راجع ص ٢٨٠.

(٤) راجع ص ١٧٩- ١٨٠، ٢٣٧- ٢٣٨.

ما لها من المكانة العالية والقرابة بالنبي ﷺ، إذ كانت زوجه. وكان من أكبر الدواعي الاحتمال بأن تطمئن قلوب عامة الناس بعودة الخلافة إلى أقارب الحاكم الأول عادة. وأما إذا كان قد ترك المنازعة من غير تقية فقد عصى النبي ﷺ وخان الأمة، وليس العاصي والخائن أهلا للإمامة.

وزعم الشيعة أن سبعين ألفا من العرب بايعوا أبابكر وأن العرب لا يتراجعون عن بيعتهم باطل لا أساس لـــه، لأن سبعين ألفاً بايعوا الـــمرتضى في خلافته وتراجعوا عن بيعتهم. وكذلك لم تكن بيعة هذا العدد لأبي بكر في وقت واحد وإنما تمت البيعة الأولى في فئة قليلة. فمن ثم أصبح علي رضي الله عنه عاصيا لتركه المنازعة قبل البيعة الأولى وبعدها إلى أن تم أمرها.

فإن قالوا: إنه انشغل بمأتم النبي ﷺ، قلنا هو عاص كذلك لتركه المصلحة العامة وانشغاله بأمر لم تحصل فائدة من ورائه...

وبما أن الأمة قد اتفقت على أن الإمام الحق بعد الرسول ﷺ كان واحدا من هذين الرجلين الجليلين نقول: إن المرتضى لم يكن هو الإمام لأنه كثيرا ما كان يردد في أيام خلافته "خير هذه الأمة أبوبكر ثم عمر"[1]، ولا يخرج هذا الكلام من ثلاثة أوجه:

١- كان لسانه يطابق قلبه وهو الحق وبه يثبت المطلوب.

٢- كان يدرك أن الحق معه لكنه من غير ضرورة ولا تقية كان يردد مع جمع هذا الكلام، ومع جـــمع آخر يقول غير ذلك. إذن هو مدلس خائن وإمعـــة (نعوذ بالله من ذلك) ولا يكون المدلس والخائن والإمعة أهلا للإمامة.

٣- أو كان يقول ذلك من باب التقية، ولا مجال للتقية مع الخلافة.

مع هذا لو كان هناك وجه للإكراه فكان ينبغي أن يكتفي على قدر الإكراه ولا يبالغ في الثناء عليهم.

وإذا جازت التقية مع الشجاعة والشوكة والقدرة على قتال جميع أهل الأرض، نستطيع أن نقول: إنه كان يسيء الكلام في الشيخين أبي بكر وعمر مع من كانوا يعادونهما تقية. إذن تحقق الحديث "خير الأمة أبوبكر ثم عمر" وما خالفه هو تقية.

وهذا يقدح في علي إذ يمكن أن يقال إن إظهاره للإسلام وصلواته الخمس وإظهار التقوى والخوف من النار كلها كانت تقية من المسلمين! ولا نشك أن تنفر المسلمين وكرههم لترك الإسلام يكون أشد عليهم وأنكى من إنكاره للشيخين، وبهذا تزول الثقة بإسلامه فضلا عن إمامته! فالقول بالتقية يحتمل قباحات لا يتصورها أي مسلم. ومن هنا ثبت أن الأولوية في الخلافة كانت لأبي بكر الصديق ومن بعده لعمر الفاروق بناء على تلك الأدلة نفسها.

---

(١). راجع ص ١٦٢.

وحيث إن الخلافة لم تكن إلا في أبي بكر الصديق أو علي المرتضى. والمرتضى لم يكن خليفة من بعد الرسول ﷺ فهذا خير دليل على أن أبابكر الصديق كان هو الخليفة. وكذلك هذا دليل على أن عليا المرتضى لم يكن هو الخليفة المرجوّ من بعد الرسول ﷺ.

ومن جهة أخرى يتضح من خلال القاعدة العامة بأن الخلافة من بعد الرسول ﷺ تثبت إما (١) بالنص الصريح من الشارع (٢) أو بالبيعة (٣) أو بالسلطة والقدرة، ولا تخرج آراء الأمة من هذه الأقوال الثلاثة. وهي كلها مفقودة في علي المرتضى وثابتة في الصديق رضي الله عنهما. أما البيعة والسلطة فظاهرة لا حاجة إلى الحديث عنها. وأما النص، فلو كان المرتضى يملك نصا على خلافته أو كان أحد من الصحابة يحفظ فيها شيئاً لاشك أهم كانوا يظهرونه عندما رأوا أن الخلافة قد اغتصبت من المرتضى وبويع فيها لغيره، ويرغمون الجميع على طاعته، وإلا كانوا يعدون من العصاة والمجرمين. وتقضي العادة أن تظهر تلك الأخبار ولاسيما بعد موت الشيخين وقيام خلافة المرتضى وأيام وقوع المشاجرات والتناصرات الكثيرة.

ولو كان الأمر كذلك لاطلع المرتضى على النص ولأقرّه، وما كان لينكره، لكنه أنكر وجود أي نص في هذا.

(٥) ضياع الأمن من الأحكام وشيوع الريبة والطعن فيها

يظهر هذا بأن أبابكر الصديق وعمر الفاروق إن لم يكونا خليفتين وكانا قد اغتصبا الخلافة ظلما وزورا، فهما ومن تبعهما فيها، كلهم يعدون من الفساق والضالين. وإذا كان الأمر كذلك فقد زال الأمن من القرآن والسنة إذ لم يجمع القرآن إلا الشيخان أبوبكر وعمر وأعواهما، وكذلك نقل إلينا أكثر السنة على لساهما وأتباعهما. وقد سكت غيرهم عن ذلك ولم ينهوهم عن هذا المنكر، فهذا الصمت لا يمكن أن يرجع إلا إلى التقية أو غيرها؛ فإن كان صمتهم عن غير تقية فهم أفسق خلق الله. وإن كان سكوهم تقية فإهم متهمون بالتقية في كل ما وافقوا عليه. وكذلك ما خالفوهم فيه خفية مردود عليهم لقوله تعالى ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[١] وبهذا تتعارض الأمور من غير إمكان الترجيح ولا تبقى حجة لدى الأمة، وقد بقي هؤلاء مهملين من غير تبليغ.

فإذا قالت الشيعة إهم عرفوا حقيقة القرآن الكريم من تلاوة الأئمة له، نقول: لعلهم قرأوه تقية! وإذا قالوا: وصلنا من قبل حفظ الله له إذ قال سبحانه: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[٢]. نقول:

---

(١) سورة النور: ٥٥.

(٢) سورة الحجر: ٩.

إذن يمكن الاعتماد على الحفظ الإلهي فما جدوى الإمام المعصوم إذ لا تبقى لنا إليه حاجة.

وإذا **قالوا:** قد عرفنا حقيقة الأئمة وأحقيتهم من المعجزات. **نقول:** لم يثبت لهم أي معجزة لا بالتواتر ولا عن الشهرة ولا الاستفاضة، وإذا ثبت شيء من الكرامات لهم فكان من طريق أخبار الآحاد من غير ثبوت التحدي وقد نقل مثله عن الشيخين.

يجب معرفة هذه النكتـــة بشيء من التفصيل. لا تقوم حجة التكليف من غير معرفة المكلف به، ولا تثبت المعرفة من غير نص من صاحب الشرع.

وإذا حكمنا العقل في بيان تفصيل النقل فيحكم بالضرورة على أن النقل على قسمين: نوع يمكن أن نسميه في الشرع بالبرهان "عندكم فيه من الله برهان"، ويرجع اليقين المستنبط من الشرائع -لا اليقين الذي يتفوه به المتكلمون- إلى هذا النوع من النقل. ويرجع تعيين السنن والبدع إلى موافقتها أو مخالفتها له. وما ظهر من التفرقة المحرمة والاختلافات القبيحة في الأمة كان سببها اختلافهم في هذا النوع ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾[1] الآية. ويحمل على هذا النوع "من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد"[2] وهو عبارة عن نص صريح من كتاب الله أو الأحاديث المشهورة من سيدنا رسول الله ﷺ التي وصلتنا بطرق عديدة برواية رجال عن رجال في كل طبقة، وخبر الواحد الذي يكون في حكم الحديث المشهور وتبلغه القرائن إلى مرتبة اليقين. وتثبت هذه القرائن (١) بالمفهوم المخالف أو الموافق لكلام الله عز وجل، أو (٢) يحكم العقل الصريح بمضمون هذا الخبر أو تثبت قياسا على الأصول الشتى وغيرها (٣) وقد تثبت بإجماع الأمة ولاسيما إجماع الطبقة الأولى من الأمة، و(٤) القياس الجلي على هذه الأمور.

والنوع الثاني من أخبار الآحـــاد هي تلك الأخبار التي اختلف العلمـــاء في تصحيحها أو تضعيفها لما فيها من وقائع متضاربة وأخبار متعارضة، وقد سلك الناس في فهمها وتطبيقها مسالك شتى، وفيها استدلالات ضعيفة بقيت العقول تناقش قبولها أو ردها. وحكم هذه الأخبار أن نضم ما أوتينا من الفهم والاستدراك إلى ما يوافق صاحب الشريعة، ونعمل بكل ما يشرح الله صدورنا له بعد الجهد الجهيد والاجتهادات العلمية. وقد أدركنا هذا الحكم الكلي بعد استقرائنا لإجماع الأمة. والاختلاف في هذا الباب جائز وكل الآراء مصيبة، أو أحدها مصيب والآخر مخطئ معذور، بناء على اختلافهم في ذلك على قولين. ولا مجال للتفسيق والتضليل هنا إذ كل الآراء تعتمد على أدلة صحيحة واضحة، وهذه التوسعة هي رحمة مهداة من اختلاف الأمة. والأساس في التكليف الشرعي على النوع الأول ثم على القسم الرابع من النوع الأول وهو

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٢) البخاري (٢٦٩٧) كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فهو مردود، ومسلم (٤٤٩٢) كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

القياس الجلي وهو متفرع إلى أقسام ثلاثة.

الأول: من ينكر خلافة الشيخين بل خلافة المشايخ الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ويطعن فيهم بالتفسيق والتكفير -خيب الله سعيه ورد كيده في نحره- فإنّه في الواقع يريد هدم الدين وخلع دين الإسلام من رقبته، فإنّ كلام الله جمعه الشيخان أبوبكر وعمر ونشره في العالم عثمان ذو النورين. فإن كانوا قد اغتصبوا الخلافة ظلما وزورا وروّعوا ورهبوا المنصوص بالخلافة وداسوا فريضة من فرائض الله بأقدامهم، فهم ومن ساندهم وأعانهم أفسق خلق الله وأخبث الناس، فلا يمكن أن نثق برواية أي منهم. وإذا اعتمدنا على الأخبار المتواترة فنصل إلى ما نقول به كذلك لأن إثبات خلافة هؤلاء قد تحقق بالتواتر. وإذا اعتمدنا على الروايات الواردة من أشخاص معدودين ممن كانوا — بزعم هؤلاء — من منكري الخلافة فلم يثبت القرآن ولا الأحكام من هذه الفئة الضئيلة ولا حتى بطريق أخبار الآحاد. وإذا تصورنا أنه نقل منهم شيء فيكون بأضعف الطرق لا يعرفه أحد من العلماء والحذاق، وهذا المقدار الضئيل من الروايات لا يثبت النوع الأول. في حين أن الأحاديث المشهورة مروية في المشائخ الثلاثة أو أعوانهم والقائلين بخلافتهم. فلا يعتمد على أخبار أحد من هؤلاء (رواة الشيعة) وإذا حصرنا الاعتماد على الروايات المتواترة فحسب يرجع السهم إلى صدور المنكرين مرة أخرى، ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾[1].

والاجماع كلمة مجملة، إن فحصناها وفتحنا مضمونها نجد أنه لم يتحقق إلا في زمن الخلفاء الثلاثة و لم ينعقد إلا بأمرهم، إذن فلا اعتبار له كذلك.

وخلاصة القول أنه بناء على هذا لا يبقى في أيدينا شيء من شريعته ﷺ من النوع الأول. والأمة قد تترك في حيص بيص شديد تعمل بالظنون، و لم يثبت جواز العمل بالظنون في جزئيات الشريعة إلا بعد إجماع الطبقة الأولى عليه — وهذا قد رده القوم ونبذوه و لم يعتبروا به. إذن لا يكلف أحد بأحكام الشرع! لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على هذه العقيدة الباطلة.

(٦) مخالفته لمقتضيات العقل الصريح

أما مخالفته للعقل الصريح فيتضح من أن بعثته ﷺ بالشريعة الغراء نعمة عظيمة وفضل جسيم وقد أجاز الله قتال بني آدم —مع ما للقتال من خطورة وقبح في ذاته— لتثبيت دعائم هذه الشريعة، فإذا كانت الأمة —بعد هذه المجاهدات— قد ضلت بكاملها غير فئة ضئيلة جداً، فلا تعد هذه نعمة عظيمة، والقتال على أن يسلم الناس في زمنه إسلاما صوريا يرتدوا من بعده فيضيع

(١) سورة الأحزاب: ٢٥.

إسلامهم و لم ينفعهم في أخراهم غبن وخسارة عظيمة وقبح فاحش. فإن كان هؤلاء أو أكثرهم مؤمنين وعلى الحق، فلم لم ينكروا كل ذلك؟ و لم استسلموا للظلمة الجائرين؟

تعال انظر معي إلى الواقع بعين العقل والبصيرة؛ هل يعقل أن تكون كل تلك الجهود التي قام بها الرسول ﷺ والمجاهدات التي بذلها من أجل أن يدخل الناس في الإسلام من باب ويخرجوا من باب آخر؟ وكل هذه الدماء التي أريقت، وهذا الدمار الذي ساد العالم، والنساء التي سبين والذراري التي أسرت كانت من أجل أن تلفظ فئة كلمة الإسلام وتكون آخرتهم خسرانا مبيناً.

وإذا **قالت الشيعة** إن النبي ﷺ أراد من استخلافه المرتضى وأولاده الخير للمسلمين جميعاً في الدنيا والآخرة، لكنهم ظلموا أنفسهم بتخويفهم الإمام.

نقول في الجواب: يقتضي العقل الصريح أن يُعدّ ترتيب الموجودات وتسلط الحكام وأمثاله من الأمور في أولى درجات العناية إذ هي بمكانة الطعام. وإلهام علوم الحق وسنن الرشد في قلب أزكى خلق الله ومنه إلى قلوب حوارييه ومنهم إلى قلوب الناس طبقة بعد طبقة إصلاح وهو بمثابة الملح في الطعام. بما أن الشرائع تأتي على مستوى استعدادات الكائنات الخارجية، فيستحيل أن تكون من حكمة الحكيم الأعلى جل مجده - وقد اقتضى لطفه الأعلى أن بعث النبي ﷺ رحمة للعالمين- أن يجعل بعد ذلك خلافته محصورة في المرتضى وأولاده بينما قد قضى في الملكوت الأعلى أن لا ينصر علياً وأولاده إلى يوم القيامة، ولا يـــحقق خلافتهم على الوجه المراد إلى الأبد، بل ومن خرج منهم يدعو للخلافة أو يرفع السلاح لنـــزع السلطة لنفسه آل أمره إلى القتل أو الخذلان. وقد قال تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1]. فالخلفاء الذين هم خلفاء الأنبياء حقا، وأسوة المرسلين وإنهم المنصورون وهم الغالبون.

يمكن أن يأمروا بالصلاة فيرافق توفيق الله ألوفا من البشر في إقامة الصلوات فترتفع درجاتهم، ويمكن أن يجحد بعض الأشقياء المحرومين ممن لم تشملهم العناية الربانية أمرهم فيحرموا أنفسهم من تلك الدرجات كلها. ولكن يستحيل أن يأمروا بشيء لا يعمل به أحد أبداً.

ويعارض العقل الصريح من حيث أن الإمعان في سير أفعال الحق سبحانه وتعالى التي تـــجري على نسق واحد في البرية يدل على أن فيه معاني دقيقة يمكن إرجاعها إلى سنة الله في الكون وكذلك يمكن أن نقول إنها من مستلزمات العقل. وعلى هذا، ذكر المتكلمون والعلماء أن هذا التنسيق القديم وهذا النظام الحسن لدليل واضح على إثبات واجب الوجود، القادر العليم القدير.

---

(١) سورة الصافات: ١٧١- ١٧٣.

في باب النبوات جعلوا وقوع المعجزة بحسب دعوى النبي دليلا على صدق دعوى نبوته ويشبهه في باب الحسيات الثدي الحلوب التي تدل على إنجاب سابق، وتدل الأراضي الخصبة وكثرة مياه الري على الغيث والأمطار الغزيرة السابقة، وتدل النقاهة على المرض والجراحة على الجرح، وهلم جرا.

وقد كان لطف الله عز وجل وحكمته في بعثته نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام في أول الأمر أن أمال قلوب طائفة من الناس لدعوة التوحيد وإنكار شرك المشركين قبل الهجرة، وبعدها اقتضى أمرا آخر ترتب عليه، وهو الجهاد لإعلاء كلمة الله ودخول الناس في دينه أفواجا. ثم تفرع منه عمل آخر وهو إزالة دولة كسرى وحكم قيصر على يد الشيخين أبي بكر وعمر وبذلك ظهر الدين الحق على أيدي هذه الأمة المختارة على الأديان كلها.

وقد كان النبي ﷺ قبل ذلك يبشر الناس بجميع هذه الأمور ويرغبهم فيها. فهذا أسلوب خاص في ترتيب الأمور. مثاله كوضع الغرس في التراب ورعايته لتنبت له أغصان وأوراق أولاً ثم أزهار ثانيا وثمار ثالثا، وكترتيب الطفولة والفتوة والكهولة في الآدمي؛ فكل مرحلة تترتب على ما سبقها. ولو تأملنا في الخلقة من هذا النسق لأدركنا أنه اللطف الإلهي الذي يسري في جميع الشؤون وتظهر آثاره ساعة بعد أخرى. وكذلك يمكننا إدراك حقيقة خلافة الخلفاء على هذا النسق العقلي بطريقة الحدس والقياس على طريقة ترتيب الأزهار ثم الثمار. فالزارع قصد الثمار لكن اقتضى ذلك منه وضع الغرسة ثم متابعة الأزهار حتى تتحقق الثمار، وكذلك كان أمر نــزول القرآن منجما آية آية ليظهر بعد ذلك سورة سورة، ثم جمع في المصاحف، حسب ذلك النسق المعروف. وكذلك الأمر في إخراج علوم الأحكام من صدر الرسول الأمين ﷺ والتي ترعرعت وأثمرت بالقياس والاجماع، وكذلك بزوغ علم الإحسان من صدره ﷺ وانفتاحه على شكل أزهار وعلوم إحسانية في الخلفاء، كلها من نسق واحد وعلى سنة واحدة، يبشر أولها بآخرها ويدل آخرها على أولها.

ويعارض العقل الصريح من حيث أن المسلمين كلهم بايعوا الخلفاء واتفقوا على استخلافهم، ثم جاهدوا المرتدين في ركابهم وتحت لواءهم، وكذلك رفعوا راية الجهاد في وجه الفرس والروم بأمرهم. وجمع القرآن في مصحف واحد واتفقت الأمة قاطبة عليه، وزال الكفر من بلاد الشام والعراق واليمن. وأجريت الحدود وأقيمت الصلاة والصيام وأشيع القرآن وتلاوته واجتماع الأمة المسلمة. فظهرت هذه البركات واحدة بعد أخرى. وكلها لم توجد قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يوجد لها اسم أو ذكر، ثم وجدت بظهوره وشاعت في أطراف البلاد. وهذا يقر به الجميع ولا ينكره إلا المكابر! فالعقل الصريح الذي لم تفسده كدورة

التعصب يحكم بصدق هذه الخلافة وأنه لم تحصل مخالفة لأمر الرسول ﷺ حين انعقادها البتة، وأن أهداف الخلافة قد تحققت كاملة. لأن أساس اعتقاد السواد الأعظم للأمة المسلمة هو طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم عصيانه. فنبيهم صلى الله عليه وسلم مكي والقرآن الذي هو إمامهم أيضا مكي.

وحصول الخلاف في الأمة لا يخرج من أن يكون نتيجة اتباع هوى أو جهل، ويدرك العقل الصريح أنه يستحيل أن تجري الأمة على هواها بمجرد سماع خبر وفاة الرسول ﷺ ومن غير أن تثار دواعي الضغينة والغضب، أو أن يكون هناك حقد وخديعة كامنة، ولا يحفظ لنا التاريخ شيئاً من هذا القبيل . . .

كذلك يستحيل أن يجهل جمهور المسلمين النص. وإن كان السواد الأعظم من الأمة يجهل النص فلم لم يصرح صاحب الحق به؟ ولم لم يطالب بحقه؟ وأي سبب كان وراء خوفه ووجله؟! ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾.

وقد عرفنا أن أعمالهم خير وحق لموافقتهم للقرآن الكريم.

ويحكم العقل لا محالة، أن هذا كله حق وأنه هو الأفضل، إذ لا مصلحة للشرع في الطعن في هؤلاء الألوف المؤلفة من الصحابة الذين وافقوا على ما جرى عليه نهج القرآن الكريم، لمجرد أنه تصدى للأمر شخص دون شخص. وأية مصلحة وفائدة تكمن للأمة في إيجاب الخلافة لمن لا يمكن أن تكون الخلافة له؟

يلتمس أصحاب من ضاعت الخلافة من يده وأقاربه وأعوانه كل السبل لاستعادة حقه ويرمون بكل السهام التي في كنانتهم، ولا يستبعد أن يغلبهم حب الجاه والسلطان في أن يلفقوا الحقائق ويزعموا لأنفسهم ما ليس لهم وإن خالفه جمهور الأمة.

يقتضي العقل أن يُعتمد عند ذلك على الظاهر إلا إذا وجدت أدلة وبراهين قوية تمنع الأخذ بالظاهر، كأن نرى ناراً مشتعلة لكننا نمتنع عن الطبخ عليها، لمجرد احتمال أن تكون هذه جوهرة أخرى تشبه النار! ألا يعد هذا لونا من الجنون؟!

(٧) لزوم التناقض في مصلحة الشرع

أما لزوم التناقض في مصلحة الشرع فيتضح بأن الشيعة يقولون: يجب اللطف على الله عز وجل، ويقتضي لطفه سبحانه أن يكون على الأمة حارس يحفظها ويجب أن يكون هذا الحارس عالما ومعصوما ولم يكن هناك معصوم ما عدا سيدنا علي رضي الله عنه، فتجب الإمامة له. ونحن نوافقهم في المقدمة الأولى وكذلك في المقدمة الثانية بشيء من التغيير.

نحن نقول: اتصف الله عز وجل باللطف إذ قال ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾(١) وقد وعد حفظ القرآن الكريم في قوله ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(٢) ووعده واجب الوقوع لا محالة.

ونقول إن لطفه يقتضي أن يكون على الأمة حارس يحميها وأن الحراسة تكون بصور ثلاثة:

١- أن يتكفل الله عز وجل بالحفظ؛ فعلى كل فترة وفترة يلهم قلب رجل يختاره ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما يلهم قلوب الناس الحرص على طاعته والانقياد لأوامره، فقد قال الله تعالى ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ وقال الرسول ﷺ "يبعث في كل مائة في هذه الأمة من يجدد دينها"(٣).

٢- أن تكون للأمة خاصية جامعة حيث لا تجتمع بكليتها على الضلالة، كما قال رسول الله ﷺ "لا تجتمع أمتي على الضلالة"(٤).

٣- أن يختار ويبعث رجلا يقيم الدين.

يقول الشيعة "إن اللطف قد يكون بظهور إمام معصوم، وهذا أكمل أنواع اللطف، وأحيانا يكون في صورة وجوده مختفيا. وهذا كذلك لا يخلو من اللطف".

ونحن نقول: قد يجمع الله عز وجل الأنواع الثلاثة من الحفظ والحراسة وهذا أكمل أنواع اللطف، وقد حصل ذلك أيام خلافة الرحمة وخلافة النبوة. وأحيانا يكتفي بالنوعين الأولين فيحصل أصل مؤدى اللطف.

ونحن نوافقهم في المقدمة الثالثة بشيء من التغيير إذ نقول: إذا اقتضى لطف الله عز وجل تعيين شخص ما لحراسة الأمة والحفاظ عليها يجب أن يكون ممن بشروا بعلو المكانة في الآخرة واتصفوا بغزارة العلم وكثرته حتى يتحقق كمال لطف الله عز وجل، ولا تجب العصمة -على ما تثبتها الشيعة- إذ يمكن أن يكون في بداية عمره كافرا أو فاسقا قد هداه الله للإيمان فتاب وأناب إليه وقد بشره الرسول ﷺ بالجنة أو أشار أو لمح إلى حسن مأواه. وهنا يجب أن يشترط أن يكون الإمام ظاهرا ومنصورا، لأنه إن كان مختفيا يلزم طاعة شخص غائب لا يملك أمرا ولا نهيا،

---

(١) سورة الشورى: ١٩.

(٢) سورة الحجر: ٩.

(٣) أبوداود (٤٢٩١) باب ما يذكر في قرن المائة، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"، وابن عدي في مقدمة الكامل ١٢٣/١ والحاكم ٥٢٢/٤ والبيهقي في المعرفة والحسن بن سفيان في المسند كما في العون ورمز السيوطي في الجامع ٧٣/١ لصحته.

(٤) راجع ص ٢٨٠.

وإن كان ضعيفا مخذولا لا خير في تنصيبه بل يَجرُّ ذلك إلى الشر المستطير؛ فيحسن ترك نصبه إذ هو الأقرب إلى اللطف. لأن في الحالة الأولى (أي ترك منصب الإمامة) لا يؤاخذ على ترك الواجب أو فعل الحرام، وفي الصورة الثانية يحاسب على كل ذلك.

بعد هذه المقدمات نقول: يجب أن يكون إمام الحق قد وجد بعد وفاة الرسول ﷺ وقد اتفق عليه الموافق والمخالف، وأن هذا الإمام لم يكن إلا أبوبكر الصديق ومن بعده عمر الفاروق رضي الله عنهما. لأن كلا منهما قد بشر بالعلم والفلاح والصلاح وقد كانا منصورين وظاهرين على خلاف سيدنا علي رضي الله عنه إذ لم يكن مع جليل علمه وبشارته بالجنة، ظاهرا ولا منصوراً.

وهنا لابد لشرح هذه المسألة من تمهيد نكتة.

نكتـــة

اعلم أسعدك الله تعالى بأن الأشاعرة قالوا إن أحكام الله تعالى لا تعلل بالأغراض وقد سردوا الكلام فيه بأسلوب يوهم أن لا مصلحة في إرسال الرسل وإنـــزال الكتب ونسخ الشرائع السابقة وتغيير عادات الجاهلية وإنما رجحت الإرادة أحد المقدورين.

لا يمكن أخذ هذا الكلام بهذا الشكل وعلى هذه الصورة برمتها. أجل! يصح نفي الغرض الذي يكمّل ذات الواجب، إذ تعالى الله عن ذلك. والمصلحة التي تعود إلى اللطف بالعباد أي ربط بعض المسببات بالأسباب، هي واقعة.

أصل مذهب الفقهاء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم هو معرفة علل الأحكام بالاعتبارات المناسبة ومعرفة المعاني المناسبة. مثاله أنهم أوجبوا حفظ النفس والمال والعقل والعرض والملة، ولذلك فرض القصاص وحدود السرقة والشرب والقذف والارتداد. وشرعت الصلاة والصيام والزكاة والحج لتهذيب النفس وإخراجها من أسر البهيمية وانبساطها في فضاء الملكية. وهذه كلها أمور يقررها العقل. وكذلك مفاسد الذنوب الكبيرة يعترف بها العقل بصراحة. وقد صرح بهذه الأغراض والعلل وأكد عليها الإمام الغزالي رحمه الله في باب التوبة.

بعد هذا ندرك المصلحة المراد حصولها والمفسدة المراد طردها باستقراء الأحكام والتمحص وتدبر الأعمال، وقد أوردنا أكثر هذه الأمور في كتابنا "حجة الله البالغة" وقد بين القرآن الكريم والأحاديث المطهرة كثيراً من المصالح والمفاسد.

ففي باب إرسال الرسل ورد ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ

﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾[(١)]. وورد في الحديث القدسي: إن الله خلق بني آدم حنفاء وإن الشياطين إجتالتهم وإن الله مقت عربهم وعجمهم، وإني بعثتك لأبتليك بهم وأبتليهم بك. وورد في الحديث أن مثل الرسول ﷺ مثل منذر جيش. وقد اشتهرت هذه المقدمات إلى درجة يضطر السني على الالتزام بمدلول الأحاديث المشهورة على حقيقة مذهب السنة، لا قول الأشعرية ولا الماتريدية.

فما كان عليه نص الكتاب والحديث المشهور وإجماع الأمة والقياس الجلي هو السنة والقائل به هو سني سواء كان أشعريا أو ماتريديا. وفيما يظن هذا العبد الفقير إلى ربه؛ أن مراد الأشعري من إثارة هذه المسائل المتنوعة هو الرد على المذاهب الأخرى وكسر حدتها لا الجزم بأن الشريعة فيها كذا وكذا.

بعدما تبينت هذه النكتة على وجه الإجمال يجب أن نعلم أن سبب إرسال الرسل وإنـــزال الكتب والتكليف بأحكام الشرع هو اللطف الإلهي لإيصال أفراد البشر إلى الكمال النوعي الذي لا يمكن إدراكه من غير هذه الأشياء. فتلك الرحمة التي كانت سببا في خلق البشر ظهرت مرة أخرى في صورة شريعة تكمّل أفراد البشر وتوصِّلهم إلى الكمال والجمال. وهذا يشبه عمل الزارع الذي يغرس الغرسة أو يرمي البذرة ويسعى جاهدا في خدمتها فأولا يضع البذرة في الأرض لتجذب الماء والهواء والغذاء من الأطراف والجوانب، والتربية تسبب خروج الأوراق والأغصان ثانيا، ثم تسبب ظهور الأزهار والثمار ثالثا. ومن نتائج هذا الحفظ والرعاية كذلك؛ ترعرع الشجرة وظهور نقوش رائعة وأوراق وأزهار جميلة عليها ونضارة وحياة فيها. وهكذا الطعام الذي جعله مدبر السماوات والأرض سببا لنمو أجزاء الطفل يساهم مرة أخرى في ظهور جماله وحسنه وظهور حركات وسكنات خاصة به، إذن التشريع تتمة للتخطيط، وتكليف الشرع تتمة لتكوين النوع.

بعدما وضحت هذه النكتة نعود الآن إلى أصل الموضوع.

يقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[(٢)].

وقال تعالى ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[(٣)].

(١) سورة طه: ١٣٤.
(٢) سورة التوبة: ٣٣، سورة الصف: ٩.
(٣) سورة النور: ٥٥.

وقال النبي ﷺ في حديث عدي بن حاتم وأبي ذر والمقداد وغيرهم حتى صار مشهوراً "وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يدخل في كل بيت من مدر أو وبر بعز عزيز أو ذل ذليل"(١). ألفاظهم شتى والمعنى المشترك واحد. فدين الحق هو الذي مكّنه الله فاكتمل ودخل بيت كل وبر ومدر شرقا وغربا.

ولا ينكر أحد أنّ أبابكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين رضي الله عنهم فتحوا بلاد الروم وفارس وجمعوا القرآن في مصحف واحد وكان ذلك المصحف هو الذي نشر في الآفاق كلها. واختار أكثر المسلمين من الفقهاء والقراء والمفسرين والملوك اتباع السنة مذهبا لهم. بينما لم تكن الخلافة لسادة أهل البيت قط، اللهم إلا لسيدنا علي رضي الله عنه فحسب. ولا يخفى على أحد ما مر عليه في خلافته وما تحمله من المشاق والبلاء والتعب. ويعرف المذهب الشيعي نفسه خلافة سيدنا علي المرتضى بأنها أيام ابتلاء وتقية وخوف، وأن السنوات الأربع التـــي عاشها إلى أن انتقل إلى دار الخلود كانت فترة حرجة متوترة حاك فيها بنو أمية وراء الكواليس خططا ومؤامرات لاستئصال أمره وكسر شوكته، ولم تستقر الخلافة من بعده على أحد من السادات، وإنما كانوا يخرجون على الحكم ويُقتلون في بداية نشاطهم وحركتهم لجمع الرجال ونصب ألوية القتال إلى أن آذنت الدنيا بانصرامهم وانقطاعهم، وقد كان القائل بهذا المذهب مخذولاً مطرودا دائماً، كما هو مصرح في كلامهم. فبعد هذا كله، وبعيدا عن التعصب والانحياز وبعين الإنصاف والعدل نرى أن ديننا كان هو الممكّن أم دين الشيعة؟! وهل طريقتنا ومنهجنا هي المتممة أم طريقة الشيعة ومذهبهم؟!

وقد كان من مقتضى اللطف الإلهي من بعثة الرسول ﷺ إشاعة دينه، فهل تحققت هذه الغاية على أكتاف مذهب أهل السنة أم بجهود الشيعة؟!

وهل يكون اللطف الإلهي في تنصيب إمام مختف خائف لم يظهر على الخريطة ليعلن مذهبه على رؤوس الأشهاد قط، أم في نصب خليفة ظهر كالشمس في رابعة النهار وأعلن دينه بكل شجاعة وبسالة وأخضع له العالم شرقا وغربا؟!

وهل مدار هذا اللطف الجسيم هو نشر الدين وشيوعه في أقطار الأرض كلها؟ أم نصب إمام مختف مخذول كان سببا في تأثيم العالم كله؟ وإذا كان مدار هذه البشائر المتواترة صورة الإسلام دون حقيقته فلا يعد ذلك لطفا وإنما تدليسا وإرادة للشر وخداعا لبني آدم كلهم.

---

(١) أما حديث المقداد وعدي بن حاتم فراجعه في ص ١١٩، ٢٣٤- ٢٣٥، وأما حديث أبي ذر فرواه مسلم (٦٤٩٣) كتاب فضائل الصحابة باب وصية النبـــي صلي الله عليه وسلم بأهل مصر، وأحمد ١٠٣/٤ عن تميم الداري بمعنى حديث المقداد.

سؤال

إذا قلت: تثبت دعواك بما سردته من الأدلة إن عجز الخصم أن يدلي بدلوه ويأتي بأدلة تنقض دعواك. لكن الشيعة قالوا: قال الله تعالى ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾(١) وقد كان سيدنا علي المرتضى من أولى الأرحام للرسول ﷺ ولم يكن أبوبكر الصديق كذلك. وقال تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾(٢) الآية وقد صرح أئمة التفسير بأن مراد الآية هو سيدنا علي رضي الله عنه.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام يوم الغدير: "من كنت مولاه فعلي مولاه(٣). وقال ﷺ يوم أن خرج إلى تبوك: "أنت مني بمنـــزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي(٤). وقال ﷺ: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي(٥) الحديث.

هذا كله يدل على خلافة سيدنا علي رضي الله عنه، وزاد صاحب الأساس من الزيدية حديث "الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما".

الجواب

نقول: واقع الأمر يؤيد مذهبنا؛ فقد تصدى هؤلاء الأحبة لمنصب الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة وبايعهم جمهور الصحابة وأطاعوهم في أمور الخلافة وظهرت النتائج المرجوة بأيديهم ولم يرفع أحد راية المعارضة في وجوههم. ولا يخفى أن السواد الأعظم من الأمة لا يجتمع على الضلال، ولا يمكن أن يعدل عن الحق إلا من جهلٍ أو اتباع للهوى، ويستبعد وجود كلا الأمرين في السواد الأعظم. وكل ما صنعوه يصب في مجرى الخير وذلك بمقتضى الأدلة القرآنية، ويعد سكوت القوم على خلافتهم دليلا على رضاهم وتسليمهم للأمر.

ومن يخالف رأينا فهو في الواقع يُنكر ظاهر الأمر ويجحد الحقيقة ويكابرها لأن نتيجة مذهبه تجرّ إلى تفسيق الأمة أو تكفيرها جملة واحدة، ولاسيما الرعيل الأول منهم ولا شيء أقبح ولا أشنع من هذا!

ويزعمون أن خلافة المرتضى كانت منصوصا عليها ولم يرد فيها عن أحد من الصحابة

---

(١) سورة الأنفال: ٧٥.

(٢) سورة المائدة: ٥٥.

(٣) ورد من حديث زيد بن أرقم، وسعد بن أبي وقاص، وبريدة بن الحصيب، وعلي بن أبي طالب وأبي أيوب الأنصاري، والبراء بن عازب، وعبدالله بن عباس، وأنس بن مالك، وأبي سعيد، وأبي هريرة، راجع لتخريج أحاديثهم والكلام عليها سلسلة الصحيحة رقم ١٧٥٠.

(٤) راجع ص ٦١.

(٥) أحمد ٣/١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩ وابن أبي عاصم رقم ١٥٥٣، ١٥٥٥ وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وله شواهد، راجع سلسلة الصحيحة رقم ١٧٦١.

شيء وحتى سيدنا المرتضى نفسه لم يشر إلى شيء منها في خطبه ولا في رواياته ولا ادعاها أحد من أولاده. وإنما يحاول مذهبُهم إثبات الإمامة بمعنى مرتبة المعصوم المفترض الطاعة، ولا شك لو كان هذا المعنى ثابتا لأمر به فرقة من الفرق الإسلامية. لذلك نقول: إن أثر الاختراع والتصنع واضح جلي على هذا المذهب إذ لم يظهر في بداية الأمر ولم يكن له اثر ولا همس في زمن الرعيل الأول من هذه الأمة. وإنما بدأ يظهر شيئاً فشيئا على خوف ووجل شديد في لباس من التقية وكلما ابتعدت الأمة من الرعيل الأول بدأت دعائم هذه العقيدة تستقر أكثر فأكثر إلى أن أظهروا أمرهم في كتابات ومؤلفات.

فهؤلاء تتبعوا متشابهات القرآن والحديث ثم أولوها تأويلات بعيدة يأباها السياق والسباق فتبدو سخافة أدلتهم لكل من تأملها.

وهنا **نكتة** تجدر بالذكر. إذا افترضنا أن الرسول ﷺ قد قال كلمة في أول أمره تدل على خلافة علي المرتضى ثم أعقب ذلك قبيل وفاته ذكر مناقب أبي بكر الصديق ووكّل إليه إمامة الصلاة فينسخ هذا الحكم اللاحق ما سبقه من الأحكام، أو أن الكلام السابق لم يكن يعني به الخلافة، وحمله على الخلافة حمل النص على غير مراده.

وإن تنازلنا عن هذا المقام كذلك! فنقول: إن حكمة الرسول ﷺ وحنكته وعقله الرشيد أرفع من أن يسرد كلاما في مناقب سيدنا أبي بكر قبيل ارتحاله إلى الرفيق الأعلى ثم يسند إليه أمر الإمامة في أعظم شعائر الدين وهو الصلاة، وهذا يؤدي إلى الالتباس والتدليس في أحكامه السابقة -حسب زعمهم-، فلو كان الأمر كما زعموا لامتنع النبي ﷺ عن هذا الكلام لئلا يكون كلامه تدليسا ولا تلبيسا. وبما أنه لم يمتنع أدركنا أن غرضه لم يكن استخلاف المرتضى رضي الله عنه.

وهنا **نكتة ثانية** جديرة بالذكر. قد اتفق الموافق والمخالف على أنه لم يرد نص صريح يشير إلى خلافة المرتضى في القرآن ولا في السنة المشهورة وإنما هناك استنتاجات خفية من الكتاب أو الحديث المشهور وهناك تصريحات في خبر الواحد الذي ورد الخلاف فيه عن راو واحد. وهذه الإشارات الخفية تردها أقوال السواد الأعظم بالطريقة التي ذكرنا، ويمكن - بإجماع منا ومن مخالفينا - صرف وجه الكلام إلى غير ما يزعمه هؤلاء القوم. ولا يمكن أن يقف خبر الواحد - بإجماع منا ومن مخالفينا - في وجه كذا وكذا من النصوص والاستدلالات التي ذكرناها آنفاً؛

وهنا **نكتة ثالثة** أيضا. إن كثيراً من الأدلة الصريحة والبراهين الواضحة التي سردوها ليست نصوصا في الاستخلاف، وإنما هي بيان للاستحقاق ويفهم منها أن الشخص في نفسه كامل تتوفر فيه شروط الخلافة فإن اتفق الناس عليه فخلافته راشدة وهذا لا يعني الاستخلاف

بعينه، ومثل هذه الأدلة عندنا كثيرة في كل من أبي بكر الصديق وعلي المرتضى رضي الله عنهما.

سبق أن ذكرنا في المقدمة معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم للخلفاء قولا وفعلا معاملة الأمراء لمن يرشح للإمارة بعدهم. فإن تعيين شخص للإمارة في الخارج دليل على اثبات الخلافة الراشدة له. لأن الخلافة الراشدة ذو جزئين، أحدهما: الإمارة، وهو أمر محسوس يدرك بالحس المادي. والثاني: الأهلية للإمارة بما أودع الله في الشخص من الاستعدادات، وهذا تكشف عنه النصوص. وإذا لم يتيسر الإمارة لشخص ما على أرض الواقع فتنحصر هذه الأدلة في إثبات كمال الشخص في ذاته، ولا تدل على إيجاب الخلافة له، إذن لا يمكن الاستدلال بهذه الأدلة في الغرض المراد.

ينقض هذا النقاش أدلة المخالف إجمالاً، وينبه على طريقة الإجابة على إشكالاتهم ونبذها جملة واحدة.

نقض أدلة الشيعة

أما الآن فنعود إلى الجواب التفصيلي.

(١) قال الله تعالى ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ...﴾[1]

الآية، إذا دققنا النظر وأمعنا بعين الانصاف والعدل في سياقها وسباقها يتضح لنا كالشمس في رابعة النهار أن الله تعالى بين فيها فضائل المهاجرين والأنصار وبما أن جميعهم من الرعيل الأول والطبقة الأولى من الأمة، أمرهم بالتواصل معا كما يتواصل أبناء القبيلة الواحدة ويتراحمون فيعودون مريضهم ويشهدون جنازة ميتهم وغيره، وسلب هذه المكانة غيرهم **﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾**[2] إلا إذا استنصروكم على الكفار فيجب نصرهم لأن التخاذل في حقهم قد يؤدّي إلى الفتنة العظيمة التي هي غلبة الكفار على المسلمين واستيصال شأفهم وفتنتهم في دينهم.

ثم يقول تعالى **﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾** أي؛ وجوب التواصل بين المهاجرين والأنصار وهذا لا ينسخ تواصل الأرحام. فلم نقل: صلوا بين المهاجرين والأنصار واتركوا صلة الأرحام، وإنما يبقى وجوب صلة الأرحام كما هي ولا يعارضها وجوب صلة المهاجرين والأنصار، فكل منهما واجب وكل يراد. إذن يدل السياق والسباق على أن **﴿أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾** تدل على صلة الرحم لا على التوارث، ومن استنتج من الآية معنى التوارث نظر

---

(١) سورة الأنفال: ٧٥.

(٢) سورة الأنفال: ٧٢.

إليها خارجة من سياقها وسباقها وهذا لا يصح. والحق أنه لا مجال للخلاف في فهمها، وإنما الزيغ والهوى جعل الناس يحملونها على غير مرادها إذ قالوا: الآية عامة في الأمور كلها، لصحة الاستثناء ومنها الإمامة، وعلي من أولي الأرحام[1] دون أبي بكر، فهو أولى بخلافة رسول الله ﷺ. ومن دواعي العجب أن يصدر هذا الكلام ممن يزعم العقل والدراية! لأن غاية الأمر أن تكون الآية مطلقة ويسئل أ في كذا أم في كذا، كما نقول: إن زيدا أفضل من عمرو، فيطرح السؤال: أفي العلم أم في النسب أم في الشجاعة؟ وغيره. إذن إما يرد الاستثناء مطلقا مع العلامة، أو الأول مطلق والثاني مقيد، ويقيد المطلق حسب القرائن. وإما يصرح بالقيد، ولا يدل ذلك على الاستثناء لأنه إذا كان هناك استثناء مثلاً نقول: أولى إلا في كذا فهناك نقدر المستثنى منه من خـلال قرينـة المستثنى، كقولنا: قرأت إلا يوم الجمعة، معناه؛ قرأت كل يوم إلا يوم الجمعة. ولو قلت: قرأت كان إخبارا عن قراءة ما، كذلك هذا. وإذا افترضنا صحة هذا الكلام يلزم منه أنه إذا مات إمام يقسم "أولوا الأرحام" إمامته فيما بينهم كما يقسمون تركته وماله، و لم يقل بهذا أحد!

نكتـة مهمة

الفرق بين طريقة الأنبياء وطريقة الملوك

وهنا نكتة في غاية الأهمية تجب الإشارة إليها، وهي أنه كان في العالم طريقتان، إحداهما طريقة الأنبياء صلوات الله عليهم إذ لا توارث فيها. فسيدنا موسى وهارون بعثا من أولاد لاوي وسيدنا يوشع بعث من أولاد بنيامين وسيدنا داود وسليمان كانا من أولاد يهودا وهكذا.

والثانية هي طريقة الملوك، فكما يشير التاريخ وثبت في الروايات التاريخية المتواترة والمسندة: يموت الملك فيجلس مكانه أحد أولاده. وإذا كان أحد من غيرهم يطمع في الملك، فأولاد الملك يقتلونه ويطردونه إلا إذا استطاع أن يغلبهم فيخرج الملك من سيطرة أسرة الملك السابق. وخلافة النبوة لا تخرج من هاتين الطريقتين؛ فإما تلحق بالنبوة ولا توارث فيها، وإما بالملوكية فيجري فيها التوارث على سنة البشر.

إذا أُلحقت بالنبوة فيجب أن يعين خليفة ليتم وظائف النبوة، وإذا ألحقوها بالملوكية فستجري نفوسهم وطبائعهم على التوارث. وبما أننا رأينا أن الجميع قد تعاملوا على غير سنة الملوك عرفنا أهم كانوا يقصدون العمل بسنة الأنبياء السنية.

---

(١) وهنا تجدر الإشارة إلى أنه بهذا المعنى تكون الخلافة من حق سيدنا العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم –وليس سيدنا المرتضى– لأن قواعد علم الفرائض تقتضي أن يحجب العم ابن أخيه عن الميراث (الشيخ اشتياق أحمد)!

وقد أشار عبدالرحمن بن أبي بكر إلى هذه النكتة عند استخلاف معاوية ابنه إذ قال: "سنة كسرى وقيصر لا سنة أبي بكر وعمر"[١]. وإذا تنازلنا عن هذه الدرجة فنقول: إن تركهم العادة المستمرة والسنة الجارية لدليل واضح على أنهم قد وجدوا دليلاً وبرهانا أقوى منها فتركوا العادة الجارية التي كانت تميل إليها القلوب ورغبوا عنها اتباعا لهذا الدليل.

(٢) قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾[٢].

يدل سياق الآية على أنها تتحدث عن المرتدين وقتالهم. وقد اتفق المفسرون على أن هذا المعنى قد تحقق في أبي بكر الصديق، قاله قتادة والضحاك والحسن البصري[٣]. وما حدث في العالم أوضح دليل على هذا. فهل في المؤرخين من يدلنا على رجل نصب الجيوش وقاتل المرتدين في تلك الآونة الطويلة ما عدا أبي بكر رضي الله عنه؟ وكلمة "إنما" تستعمل في كلام العرب لتدل على الجملة السابقة ولتحققها ولتثبتها، فالمعنى؛ يأيها المسلمون لماذا تخافون ارتداد العرب وأحزابهم أليس الله هو حافظكم ومعينكم؟ وهو الذي يلهم أولياءه ويرشدهم ويعينهم على مسيرتهم نحو ما قدره لهم؟ وها هو رسوله الذي دعاكم إلى الجهاد يقف معكم بدعواته.

وبهذا نصل إلى أن الله عز وجل يتم أمر دينه على أيدي المؤمنين الراسخين الذين يدعون إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ويتصفون بالخشوع والخضوع ويحملون دعوة الحق وهم في مستوى حمل تلك الأمانة، إذن الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ كما يشهد السياق والسباق، نـزلت في أبي بكر، وفيها تعريض واضح به وبمن تبعه. وإذا أخذنا بعموم السياق فيشمل جميع المؤمنين الراسخين. ولهذا قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر حين قيل له: إنها نـزلت في علي. قال: هو من المؤمنين. أخرجه البغوي[٤]. وقال جابر بن عبدالله نـزلت في عبد الله بن سلام لما هجره قومه[٥]. والآن انظر إلى زيغ هؤلاء المبتدعة الذين تركوا السياق والسباق واتبعوا أهواءهم ثم بدأوا يدعون إليها. قال الزبيدي في الأساس: المعنى لقوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ علي وحده لوقوع التواتر بذلك من المفسرين وأهل التواريخ، وورد بلفظ الجمع من باب إطلاق العام على

(١) رواه الإسماعيلي كما في الفتح ٥٧٧/٨.
(٢) سورة المائدة: ٥٥.
(٣) تقدمت أقوالهم في الباب السادس. راجع ص ٤١٧.
(٤) المعالم ٤٧/٢ وابن جرير ٢٨٨/٦ وأبونعيم في الحلية ١٨٥/٣ وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدرالمنثور ٢٩٤/٢ ورجاله ثقات.
(٥) ذكره البغوي أيضاً. وقال عطية بن سعد: نـزلت في عبادة بن الصامت. انظر الدر.

الخاص ونظيره قوله تعالى ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾[١] والمعني بها ابن أبي وحده!

أما التواتر[٢] الذي يزعمه فلم يتحقق هنا، وهو ممنوع. لأن التواتر يعني اجتماع جمع غفير من الناس يستحيل تواطؤهم على الكذب، قد أدركوا شيئاً وأحسوا به ثم أخبروا به. وهنا لا يمكن أن يكون الإدراك والاحساس إلا سماعا من النبي الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم. والمعروف أنه لم يثبت أي حديث مرفوع، فضلا عن التواتر المزعوم!

وكذلك يمتنع أن يقال إنه قصد بلفظ التواتر معنى الاتفاق لما مر عن جابر والباقر. فهذا التأويل مختلف فيه ويستدعي التأمل والإمعان. فإذا كان على القاعدة أخذنا به وإن خالفها رفضناه.

ثم نقول: ما السبب الذي يضطرنا إلى حمل اللفظ العام على المعنى الخاص؟ وتخصيص لفظ الجمع لمعنى المفرد تأويل بعيد يستدعي قرينة. فأين هذه القرينة؟

وما أفهمه بعقلي المتواضع أن بعض الناس أدخلوا سيدنا عليا ضمن معاني هذا اللفظ من باب التعريض. والتعريض أمر آخر يختلف عن تخصيص العام. مع أن العام في هذا المقام باق على عمومه وتدل القرائن على دخول الفرد الواحد في هذا العام، وعلى أن سوق الكلام قد كان له كما فصلنا القول فيه في فصل التعريضات، لكن فيما يبدو أن هذا الشخص لقلة علمه لم يهتد إلى ذلك المعنى في تخصيص الفرد.

كذلك نقول إنه قد يصح التعريض هنا إذا كانت ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ حالاً لجملة ﴿يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فحسب، وتلك القصة المخترعة تكون قد تكررت مراراً من سيدنا علي المرتضى. وكلاهما ممنوعان من ثلاثة أوجه:

الأول: أن ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ وقعت حالا بعد جملتين متناسقتين ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في حيز الصلة (الذين)، ومبتنية على ضمير الجمع الذي هو فاعلهما، فالظاهر أنها وقعت حالا لكلتا الجملتين، وهنا لا يرتبط المعنى بـ"يقيمون الصلاة وهم راكعون" خلافا لقولنا "وهم خاشعون لله في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة"، أو نقول: "يقيمون الصلوات المفروضة ويؤتون الزكاة المكتوبة وهم راكعون مواظبون على النوافل".

الثاني: ﴿يُؤْتُونَ﴾ صيغة مضارعة تدل على الاستمرار والتجدد. فإذا قيدت بحال تعني أنه قد وقع إيتاء الزكاة في حالة الركوع مرات عديدة ولا يكفي حدوثها مرة واحدة. ولم يقل بذلك أحد.

---

(١) سورة المنافقون: ٧.

(٢) وقال ابن كثير في تفسيره ٢/٧١: ليس يصح منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها.

الثالث: التفسير الذي نحن أثبتناه هو الأحكم في تهذيب النفس وأوفق لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. لأن الخشوع والتواضع في الصلاة وكذلك عند إعطاء الصدقة مطلب شرعي تدل عليه آلاف الأدلة الشرعية.

كذلك حرّضت الشريعة على إقامة الفرائض والمواظبة على النوافل وجعلتها مدار الفضل والكمال في أفراد البشر، خلافا لإيتاء الزكاة وإعطاء الصدقة حالة الركوع! إذ لا تتناسب ولا تتلاءم مع المقاصد الشرعية من أي وجه، إلا إذا قلت إنها تدل على المسارعة في إيتاء الصدقة، وعندها يستحسن أن نقول: "وهم يسارعون في الصدقة"، ولا مكانة ولا شرف في تخصيص حالة الركوع وجعلها مدار المدح والثناء!

وإذا سلمنا بأن الآية نزلت في سيدنا علي رضي الله عنه، فدلالتها تقف على أن عليا كان ناصر المسلمين. والأمر كذلك، إذ أكرمه الله عز وجل ووفقه في حياة الرسول ﷺ لأمور عظيمة صدرت منه كقتاله وبسالته في بدر وأحد وقتله عمرو بن عبدود وفي غزوة الخندق وفتح حصن خيبر وغيره. فهذا دليل على نصره للمسلمين. فمن أين ثبتت له الخلافة؟

إذا **قالت** الشيعة إنه ولي بمعنى المتصرف في الأمور كولي المرأة في النكاح وولي الصبي في أموره، وضمير الخطاب هنا موجه إلى الأمة، ولا يتولى ولاية الأمة إلا إمام.

نقول: أولا بناء على النقض الإجمالي؛ إذا كانت الآية تدل على إمامته في الحال، إذن يجب أن يكون إماما في زمن الرسول ﷺ ولم يقل به أحد. وإذا قيد المعنى بتقدير "ولو بعد حين" فهذا يؤيد مذهبنا، إذ كان في وقت من الأوقات - أي زمن قيامه بالخلافة — إماماً حقا.

وثانيا بالحل، كل مكان وردت "الولاية" في القرآن أريد بها معنى النصرة، ففي سورة الأنفال ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ**...﴾(١) الآية.

وفي سورة المائدة ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ**...﴾(٢) إلى غيره، ولاسيما في هذه الآية إذ يدل السياق والسباق -بكل وضوح- على معنى النصرة لأنها في البداية تشير إلى ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ**...﴾(٣) الآية. وهذه إشارة إلى النصر ثم تقول ﴿**وَمَن**

---

(١) سورة الأنفال: ٧٢.
(٢) سورة المائدة: ٥١.
(٣) سورة المائدة: ٥٤.

﴿يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[١]. وهذه تدل بكل وضوح على النصر. والآن كن منصفا واحكم بالعدل، هل يدل هذا الدليل في نفسه على وجوب خلافة سيدنا علي؟ أو أنهم إتباعا لأهوائهم يريدون أن يثبتوا ما يشتهونه بهذه التأويلات البعيدة وغير المستساغة؟

ويقول الزيدي: قوله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢] يعني الخلافة. وأبوبكر كان ظالما لأنه كان كافرا في أول عمره حتى بعث النبي ﷺ ودعاه إلى الإسلام!

وأصل القصة أن الله عز وجل خاطب سيدنا إبراهيم عليه صلوات الله وسلامه بقوله ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣].

معنى الإمام هو الرائد سواء كان نبيا أو خليفة أو عالما متبعا، لكن المراد هنا من غير أي شك ولا ريب هو "النبي"، ومعنى الآية، أن الله عز وجل جعل إبراهيم نبيا وأرسله إلى الناس، فسأل إبراهيم ربه أن يجعل من ذريته أنبياء، فأجابه الله تعالى أن وحيي ونبوتي لا يؤتى للظالمين. وفي هذا رد شنيع في أبلغ وجوهه على مشركي العرب إذ زعموا ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٤]. وبعد ما تبين معنى الآية نقول: ليس هنا ذكر للخلافة بتاتا ولا تقترب دلالتها إلى ما نحن فيه بشيء، وإنما هي دلالة على النبوة والوحي.

وإذا سلمنا، فلفظ ظالم يطلق حقيقة على من كان ظالما وقت إيراد الكلام ولا يطلق على من كان ظالما قبله أو بعده. فإطلاق لفظ العصير على الخمر والخمر على العصير مجاز بالاتفاق. و لم يكن أبوبكر الصديق رضي الله عنه وقت نيل الخلافة ظالماً!

(٣) قوله ﷺ "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي"[٥].

أصل القصة أن النبي ﷺ كان متوجها إلى غزوة تبوك فترك عليا ينوب عنه في شئون بيته، يبدو أن عليا شعر في نفسه بشيء؛ كيف لا يصحبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى قتال الكفار ويتركه يرعى الأولاد والنساء؟! فقال النبي ﷺ: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون

---

(١) سورة المائدة: ٥٦.
(٢) سورة البقرة: ١٢٤.
(٣) سورة البقرة: ١٢٤.
(٤) سورة الزخرف: ٣١.
(٥) راجع ص ٦١.

من موسى"[١].

كما أخرج الترمذي والحاكم[٢] من حديث سعد سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي، وخلّفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله تخلّفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوّة بعدي.

حاصل القول أن سيدنا موسى عليه السلام لما ذهب إلى "الطور" وغاب عن قومه فترة من الزمن جعل هارون خليفته لينوب عنه مدة غيابه. فقد كان لهارون ثلاث خصال: (١)كان من أهل بيت سيدنا موسى عليه السلام. (٢) كان يخلفه في غيابه. (٣) وكان نبيا.

ولما جعل النبي ﷺ عليا خليفته في غزوة تبوك، فقد شابه هارون في الخصلتين الأوليين أي الـــخلافة مدة الغياب وأنه كان من أهل بيته، ولم يشاركه في الخصلة الثالثة التي هي النبوة. فلا يرتبط هذا المعنى بالخلافة الكبرى بعد وفاة الرسول ﷺ بأي وجه من الوجوه، لأن النبي ﷺ كان من عادته دائما أن يخلّف من ينوب عنه في أمر المدينة كلما خرج لغزوة من الغزوات، فمعنى الخلافة الكبرى لا يرتبط بمعنى الخلافة الصغرى فترة غيابه بشيء.

وإذا دلت هذه النيابة على أن عليا حقيق بأن تفوض إليه الأمور فهذا لا ينافي مذهبنا. أما إذا كان النبي ﷺ يقصد الخلافة الكبرى فكان يجب أن يشبهه بسيدنا يوشع الذي كان خليفة موسى بعد وفاته لا بسيدنا هارون الذي توفاه الله قبل موسى بعدة سنوات، ولم يوكل إليه النيابة إلا في فترة الغياب ونبي الله موسى حي يرزق.

لكن لاحظ تعنت الشيعة إذ قالوا في تصحيح هذا الدليل:

"هذا يدل على أن جميع الـــمنازل الثابتة لهارون من موسى ثابتة لعلي من النبي ﷺ وإلا لما صح الاستثناء، ومن المنازل الثابتة لهارون من موسى استحقاقه للقيام مقامه بعد وفاته لو عاش لأنه لو عزله كان منفّرا وذلك غير جائز على الأنبياء".

وكذلك قالوا: "إن من جملة منازل هارون من موسى أنه كان شريكا له في الرسالة ومن لوازمه استحقاق الطاعة بعد وفاة موسى لو بقي، فوجب أن يثبت ذلك لعلي إلا أنه امتنعت الشراكة في الرسالة فوجب أن يبقى مفترض الطاعة على الأمة من غير رسالة، وهذا معنى الإمامة".

نقول في الجواب: إن "منـــزلة هارون من موسى" تشبيه ولا يعتبر في التشبيه إلا الأوصاف المشهورة المذكورة على الألسن لا الأوصاف البعيدة، وهذا بمثابة من يفهم من قولنا "زيد بمنـــزلة الأسد" أنه ذو أنياب ووبر وأنه حيوان مفترس. والمشهور من خصال هارون هي

---

(١) راجع ص ٦١.

(٢) راجع ص ٦١.

تلك الخصال الثلاث التي أشرنا إليها أعلاه. ولا يفهم أي عاقل من هذا الكلام استحقاق الخلافة بعد الوفاة بأي وجه من الوجوه، ولاسيما بربطه بأن عدم استحقاق الخلافة يعني العزل، والعزل يقتضي تنفير الخلائق لا محالة.

بل نستطيع القول إنه لو بقي هارون حيا بعد موسى لم يكن خليفته بالمعنى الاصطلاحي لأن الخلافة الاصطلاحية هي لغير الأنبياء وليست للأنبياء. ونقول أيضا إن انقطاع المسئولية التي فوضت إلى أحد في غياب صاحب الأمر لا يعد عزلا وإنما هو انتهاء للعمل كما نقول لأحد من الناس: اذهب وأد الواجب الفلاني ثم ارجع. وهو يؤدي الواجب كما أمر ثم يعود. وكذلك يمكننا القول بأن استحقاق الطاعة للأنبياء يأتي نتيجة النبوة، ولما أخرجت النبوة من الأمر فبالتالي ينقضي كل ما يتعلق بشرط النبوة. ولا تثبت أكثرية الأمة العصمة والطاعة الواجبة لرتبة الإمامة بل وليست من مقتضياتها. فبناء الكلام على ذلك يُعد نوعا من الإجحاف الشديد وطمسا لمعاني الإنصاف.

(٤) قوله ﷺ يوم غدير خم[١] "من كنت مولاه فعلي مولاه".

أصل القصة أنه ﷺ بعث عليا إلى اليمن وهناك حدثت خشونة بينه وبين جنده، ولما وفد مع أصحابه إلى النبي ﷺ في حجة الوداع تقدم الجند إلى رسول الله ﷺ فشكوا عليا إليه. لكن الرسول صلى الله عليه وسلم مكث أياما ثم استفسر عليا عن الحادث. ولما ألم بحقيقة الأمر وعلم أن الجند تخشنوا، خطب الناس أثناء رجوعه من حجة الوداع وأمرهم بصلة أهل البيت وموالاتهم في نهاية خطبته، وفي بعض الروايات زجرهم من الخشونة عليه.

(١) أخرج مسلم من[٢] طريق إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم. فلمّا جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه. ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: أما بعد، ألا يأيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في

(١) خُم؛ اسم موضع بين مكّة والمدينة، على بعد ثلاثة أميال من الجحفة، به عين ماء.

(٢) (٦٢٢٥) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي رضي الله عنه ٢٧٩/١، راجع سلسلة الصحيحة ٣٥٦/٤.

أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أ ليس نساءه من أهل بيته؟ قال: نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حُرِّمَ الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم. ومن طريق محمد بن فضيل وجرير عن أبي حبان نحو حديث إسماعيل. ومن طريق سعيد بن مسروق عن يزيد بن حبان نحوه.

هذا الذي ذكرناه صحيح وقد ورد في صحيح مسلم، وزيادة القصة "أمر الناس بموالاة علي" لم تذكر هنا، وأهل الحديث قد اختلفوا في هذه الزيادة بين من يصححها ومن يراها غريبة مطلقة، وأنا – العبد الضعيف – أميل إلى أن هذه الزيادة صحيحة كذلك لكن ليست على درجة حديث مسلم.

(٢) أخرج الحاكم[1] من طريق سليمان الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غديرخم أمر بدرجات فقممن. قال: كأني قد دُعيت فأجبت. إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي. فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ فإنهما لن يتفرقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض. ثم قال: إن الله عز وجل مولاي وأنا ولي كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: من كنت وليه فهذا وليه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وذكر الحديث بطوله.

(٣) وأخرج الحاكم[2] من طريق سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الطفيل أنه سمع زيد بن أرقم يقول: نزل رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة عند سمرات خمس درجات عظام فكنس الناس ما تحت السمرات ثم راح رسول الله ﷺ عشية فصلى، ثم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول. ثم قال: أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما. وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي. ثم قال: أ تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ثلاث مرات. قالوا: نعم. فقال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه.

(٤) وأخرج الحاكم[3] عن بريدة الأسلمي قال: غزوت مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوة فقدمت على رسول الله ﷺ فذكرت عليا فتنقصته. فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير. فقال: يا بريدة، أ لست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله. فقال: من كنت

---

(١) ١٠٩/٣ وقال: صحيح على شرطهما، وسكت عنه الذهبي. وله عنده طريق آخر ١٤٨/٣، ٥٣٣، وراجع سلسلة الصحيحة ٣٣١/٤.

(٢) ١١٠/٣ وسيأتي قريباً إن شاء الله عن أبي طفيل أنه سمع زيد- عن أبي طفيل (عن ابن واثلة) أنه سمع زيدا.

(٣) ١١٠/٣ وقال: صحيح على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي.

مولاه فعلي مولاه.

(٥) وأخرج الحاكم والترمذي[١] نحوه عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم علي بن أبي طالب رضى الله عنه. فمضى علي في السرية فأصاب جارية. فأنكروا ذلك عليه فتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ إذا لقينا النبي ﷺ أخبرناه بما صنع علي. قال عمران: وكان المسلمون إذا قدموا من سفر بدأوا برسول الله ﷺ فنظروا إليه وسلموا عليه ثم ينصرفون إلى رحالهم. فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله صلي الله عليه وسلم فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله أ لم تر أن عليا صنع كذا؟ فأعرض عنه. ثم قام الثاني فقال مثل ذلك. فأعرض عنه. ثم قام الثالث فقال مثل ذلك فاعرض عنه، ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله أ لم تر أن عليا صنع كذا وكذا؟ فأقبل عليه رسول الله ﷺ والغضب في وجهه فقال: ما تريدون من علي؟ إن عليا مني وأنا منه وأنا ولي كل مؤمن.

(٦) وأخرج الحاكم[٢] عن عمرو شاش الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية قال: خرجنا مع علي إلى اليمن، فجفاني في سفره ذلك حتى وجدت في نفسي. فلما قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فدخلت المسجد ذات غداة ورسول الله ﷺ في ناس من أصحابه. فلما رآني أَبَدَني عينيه، قال يقول حدّد إلي النظر حتى إذا جلست قال: يا عمرو، أما والله لقد آذيتني. فقلت: أعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله. قال: بلى من آذى عليا فقد آذاني.

(٧) وأخرج الحاكم[٣] عن أبي سعيد الخدري: شكى الناس علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ فقام فينا خطيبا فسمعته يقول: أيها الناس لا تشكوا عليا فوالله إنه لأخيشن في ذات الله أو في سبيل الله.

(٨) وأخرج الترمذي عن[٤] البراء قال: بعث النبي ﷺ جيشين وأمّر على أحدهما علي ابن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد، وقال: إذا كان القتال فعلي. قال فأفتح علي حصنا فأخذ منه جارية. فكتب معي خالد كتابا إلى النبي يشي به. قال: فقدمت على النبي ﷺ فقرأ

(١) ١١١/٣ وقال: على شرط مسلم، والترمذي (٣٧١٢) وقال: حسن غريب والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف ١٩٣/٨. تفرد به جعفر بن سليمان وهو صدوق لكنه شيعي بل هو غال في التشيع، راجع التحفة.

(٢) ١٢٢/٣ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وأحمد والطبراني باختصار والبزار أخصر منه ورجال أحمد ثقات كما في المجمع ١٢٩/٩.

(٣) ١٣٤/٣ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وأحمد ٨٦/٣ وسكت عنه الهيثمي في المجمع ١٢٩/٩.

(٤) (٣٧٢٥) وقال: حسن غريب. وقال المباركفوري: فيه أبو إسحاق السبيعي وهو مدلس، ورواه عن البراء معنعناً وقال في التقريب: اختلط بأخرَة.

الكتاب فتغيّر لونه. ثم قال: ما ترى في رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: قلت: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، وإنما أنا رسول، فسكت.

(٩) والنبي ﷺ بالغ في علاج هذا الداء العضال واستعمل أشد التهديدات، منها قوله: من سب عليا فقد سبني. أخرجه الحاكم[١] من حديث أم سلمة.

(١٠) ومنها قوله مشيرا إلى علي: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني". أخرجه الحاكم[٢] من حديث أبي ذر.

(١١) ومنها: حب علي آية الإيمان وبغض علي آية النفاق، أخرجه البخاري[٣]. وقال: يا علي، طوبى لمن أحبك وصدق فيك. وويل لمن أبغضك وكذب فيك.

تتقارب جميع هذه الروايات في المعنى وكذلك في أوقات ورودها.

والآن بعد ما تبين هذا الحديث وسبب وروده نركز في أصل الموضوع. أما ما يخص بر أهل البيت فقد قال ﷺ: إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه. أخرجه مسلم[٤] من حديث ابن عمر.

وبما أن صلة أهل ود الأب واجبة فلا شك بأن صلة أقارب النبي ﷺ من باب أولى أوجب، ومن المعقول جدا أن يأمر بها النبي ﷺ. ويدخل العباس وأولاده وأزواج النبي ﷺ كلهم في هذا الأمر.

عن عبد المطلب بن ربيعة أن العباس دخل على رسول الله ﷺ مغضبا وأنا عنده فقال: ما أغضبك؟ قال: يا رسول الله ما لنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرّ وجهه ثم قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله، ثم قال: أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني فإنما عم الرجل صنو أبيه. أخرجه الترمذي[٥].

---

(١) ١٢١/٣ وأحمد ٣٢٦/٦ ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبدالله الجدلي وهوثقة، وأبويعلى والطبراني بمعناه، راجع المجمع ١٣٠/٩.

(٢) ١٢١/٣ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) لم أجده في البخاري في مظانه، وأخرج الحاكم ١٣٥/٣ وقال: صحيح الإسناد، وأبويعلى (١٥٩٩)، والطبراني من حديث عمار بن ياسر وفيه سعيد بن محمد الوراق وعلي بن حزور متروكان، قاله الذهبي في تلخيص المستدرك. وعزاه الهيثمي في المجمع ١٣٢/٩ للطبراني فقط وقال: فيه علي بن الحزور وهو متروك، ووقع فيه: عن أبي مريم الثقفي قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم. وقد سقط منه واسطة عمار. والله أعلم.

(٤) (٦٥١٣، ٦٥١٤، ٦٥١٥) في البر والصلة باب فضل صلة الأصدقاء.

(٥) (٣٧٥٨) وقال: حسن صحيح. وأحمد ١٦٥/٤.

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول لنسائه: إن أمركن مما يهمني من بعدي ولن يصبر عليكن إلا الصابرون الصديقون. قالت عائشة: يعني المتصدقين. ثم قالت عائشة لأبي سلمة بن عبد الرحمن: سقى الله أباك من سلسبيل الجنة. وكان ابن عوف قد تصدق على أمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعين ألفا. أخرجه الترمذي[١].

وعن أم سلمة[٢] قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه: "إن الذي يحثو عليكن بعدي هو الصادق البار. اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة". رواه أحمد.

فخلاصة ما جاء في كتاب الله وغيره أن صلة أقارب النبيﷺ وأزواجه واجبة ما بقي الإيمان بكتاب الله واجبا. فسياق هذه الكلمة قريب إلى سياق الحديث: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"[٣]، ويظهر هذا المعنى جليا من ألفاظ حديث مسلم عن زيد بن أرقم[٤] الذي هو أصح روايات هذا الحديث. وأما الغضب لعلي وتأكيد النهي عن إيذائه بعد ما تبين أنه على الحق وأن معارضيه يخشنون عليه ويسيئون إليه بغير حق، فهذا مما يقتضيه العقل.

يا ترى، ماذا ننتظر من متبع الحق غير هذه التأكيدات، وماذا نتوقع من حامل راية العدل الإلهي غير هذه الشدة في البيان. ولاسيما إن عرفت غليانه الملكوتي عندما واجه فتنة الإفك في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ووقفته يوم أن حدث شجار بين عمر وأبي بكر رضي الله عنهما "هل أنتم تاركو لي صاحبي" الحديث[٥]. وهكذا بيّن حبه لعلي بهذه الكلمات التي أوصى بها أمته: "ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"[٦].

فمن حق النبي ﷺ على أمته كما يدل عليه أسلوب هذا الحديث أن لا يَدعُوا لأنفسهم

---

(١) ٣٣٥/٤ وقال: حسن صحيح غريب وأحمد ١٠٤/٦، ١٣٥ والحاكم ٣١٠/٢ وصححه وقال: لا يحنو عليكن بعدي إلا الصابرون، سقى الله عبدالرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة. قال الذهبي في تلخيص المستدرك: ليس بمتصل قلت: بل فيه أم بكر بنت المسور لاتعرف، تفرد عنها عبدالله بن جعفر.

(٢) احمد ٢٩٩/٦ والحاكم ٣١١/٣ وصححه، ووافقه الذهبي لكن في إسناده ابن اسحاق وهو مدلس وقد عنعن، وبقية رجاله موثقون. وأشار إليه البخاري في تاريخه ١ق١٥٧/١.

(٣) البخاري (٦٠١٨) كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومسلم (١٧٣) كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) راجع ص ٦٨٦.

(٥) البخاري (٤٦٤٠) تفسير سورة الأعراف، باب قوله ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ من حديث أبي الدرداء.

(٦) أحمد ٣٧٠/٤ وابن حبان كما في الموارد ص ٥٤٤ والإحسان ٤٢/٩ وابن أبي عاصم (١٣٦٧، ١٣٦٨)، والطبراني، راجع سلسلة الصحيحة (١٧٥٠) و راجع ص ٦٧٧، ٦٨٧.

خياراً فيما أمر أو نهى، وأن يفوّضوا جميع مصالحهم إليه ولا يكون لهم خيار ولا استقلال أمام أمر النبي ﷺ بتاتا، كالطفل في يد أمه أو كالأعمى في يد من يسوقه ويرشده. إذن لا يحق لمن عادوا عليا أن يرفعوا شكاويهم ويدندنوا بعداوتهم بل يجب أن يخضعوا نفوسهم وأهواءهم في اتباع حكم الرسول ﷺ.

ويعني لفظ مولى لوجود القرينة "الصديق"، أفلا ترى "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"[١] وكذلك تدل أحاديث كثيرة على هذه القرينة وقد سبق ذكرها: "لا تبغض"[٢] و"لا تشكوا"[٣]، "حب علي آية الإيمان"[٤]، "من سب عليا فقد سبني"[٥]، إلى غيره.

والآن وقد تبين هذا المعنى يجب أن ندرك أن هذه النقطة لا تمس قضية إيجاب الاستخلاف بحال من الأحوال. فالمراد هنا هو تعظيم صلة أهل البيت والأمر بحب علي رضي الله عنه والنهي عن عداوته، ولم تكن مثل هذه الإشارات في منقبة علي المرتضى فحسب، فقد ورد ما يماثلها في مناقب العباس وأولاده وفي الأزواج الطاهرات أمهات المؤمنين، وفي منقبة أبي بكر الصديق ؛ "هل أنتم تاركو لي صاحبي" الحديث.

انظر إلى تعنت الشيعة عندما لم يجدوا في هذا الحديث ما يناصر زعمهم قالوا: "مولى" يعني "أولى"، ونعطي لأولى معنى التصرف في أمور جميع الأمة كما هو في قوله تعالى ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾[٦] الآية. وأولى بالتصرف في أمور جميع الأمة هو الإمام. فمن هنا ثبت أن المرتضى إمام. نقول: "المولى" يعني المحبوب، كما أوضحت القرائن التي سبق بسطها وكذلك استدلالا بالأحاديث التي تشير إلى هذا المعنى وقد قالها النبي ﷺ في الفترة الزمنية نفسها، ومن تلك القرائن التي سبق أن أشرنا إليها "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه".

ثم نقول: "المولى" اشتهر بمعنى "معتِق"، و"معـتَق" وكذلك بمعنى "الناصر" و"المالك"، لكن لم يرد بمعنى "ولي الأمر" بتاتا ولم نكن نعرف يوما ما أن "أفعل" يأتي بمعنى "فعيل"!

ونقول كذلك: حتى إذا افترضنا جدلا أن المولى ورد بمعنى أولى، أو ورد في النص كلمة "أولى" فسيبقى الخلاف قائما، إذ من أين لنا أن المراد هو الولاية في تصرف الأمور الملكيّة؟

---

(١) راجع ص ٦٨٧.
(٢) راجع ص ---.
(٣) راجع ص ٦٨٨.
(٤) راجع ص ٦٨٩.
(٥) راجع ص ٦٨٩.
(٦) سورة الأحزاب: ٦.

الباب الثامن

تفضيل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بالأدلة النقلية والأدلة العقلية

فهو موزع على فصلين.

الفصل الأول

الأدلة النقلية على تفضيل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

يجب أن نعرف بأن فضل الشيخين أبي بكر وعمر على سائر الصحابة ثابت (١) بدلالة نصوص القرآن الكريم (٢) وبتصريحات وتلويحات من السنة المطهرة (٣) وبإجماع الأمة (٤) واستلزام استخلاف الرجل -للخلافة الخاصة- أن يكون أفضل رعيته. ومن هنا جعلنا هذا الفصل في أربعة مباحث:

المبحث الأول- دلالة نصوص القرآن على أفضلية أبي بكر الصديق على سائر الأمة

المبحث الثاني- دلالة نصوص الحديث تصريحا أو تلويحا على أفضلية أبي بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذي النورين

المبحث الثالث- إجماع الأمة على أفضلية المشايخ الثلاثة حسب ترتيب خلافتهم

المبحث الرابع- إثبات أفضلية الشيخين من ملازمة الأفضلية للخلافة الخاصة

المبحث الأول
دلالة نصوص القرآن على أفضلية أبي بكر الصديق على سائر الأمة

تدل نصوص القرآن الكريم على أفضلية أبي بكر الصديق على سائر الأمة، حيث لم يجعل الله عز وجل جميع صحابة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في رتبة واحدة بل فضل بعضهم على بعض. ويتبين لنا من استقراء الأدلة الشرعية أن هذه المنـــزلة حصل عليها صاحبها من وجهين: من جهة السوابق الإسلامية، ومن جهة الصفات الشخصية التي منها الصديقية والشهادة والحوارية، والتي تتباين مراتب قرب السابقين والأبرار على أساسها. وينص كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، على أن لا دخل للجمال الفائق ولا للمال الوفير ولا للنسب العالي وغيره من الأوصاف في نيل هذه المنـــزلة.

(١) فقد قال تعالى ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾[١].

(٢) وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[٢].

(٣) وقال تعالى ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾[٣].

(٤) وكما روي عن سهل بن سعد قال: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟ فقال: رجل من أشراف الناس؛ هذا والله حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع. قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم مر رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين. هذا حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع لقوله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا. متفق عليه[٤].

(١) منازل السوابق الإسلامية

أما من حيث السبق في الإسلام فقد قال سبحانه وتعالى ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ

---

(١) سورة سبأ: ٣٧.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) سورة الكهف: ٤٦.

(٤) البخاري (٥٠٩١) كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين، و لم أجده في مسلم.

ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

فقد نص الحق سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين أن الصحابة ليسوا في طبقة واحدة ولا على درجة واحدة، لكنهم على درجات متباينة، وقد جعل الله مدار الأفضلية الجهاد في سبيله بالأنفس أي مباشرة قتال الكفار بأنفسهم، وبالأموال أي بالإنفاق في سبيله. فثبت أن المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على رأس قائمة الفضل في هذه الأمة وهم الطبقة العليا ولهم الفضل على غيرهم.

كذلك ثبت من الأحاديث المشهورة التي يجب العمل بها ولا مجال لردها أو تأويلها أن هؤلاء الأبرار قد شاركوا المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع مشاهد الخير إلا ما كان من بعضهم في بعض الأوقات ولأعذار معينة. فمنهم من شارك في المعارك أكثر من غيره، ومنهم من أنفق أكثر من أصحابه، ومنهم من كان صورة كاملة في الجهاد بالنفس والمال.

قال تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2].

وعن مجاهد في قوله ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ يقول: من أسلم وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد، يعني أسلموا. يقول: ليس من هاجر كمن لم يهاجر وكلا وعد الله الحسنى[3].

وعن قتادة في قوله ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ﴾ قال: كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كانت النفقة والقتال قبل الفتح -فتح مكة- أفضل من النفقة والقتال بعده، وكلا وعد الله الحسنى، قال: الجنة[4].

فهذه الآية نص صريح على أن الذين أنفقوا وقاتلوا في سبيل الله قبل فتح مكة هم أفضل من الذين أنفقوا وقاتلوا بعده. وكذلك تدل الآية عن طريق المفهوم الموافق أن الذين أنفقوا وقاتلوا في سبيل الله قبل الفتح كذلك على درجات ومراتب متباينة. وكلما كانت مساعدة الرسول صلى الله عليه وسلم بالجهاد والانفاق في زمن أسبق -حيث كانت حاجة الإسلام أكثر- كان فضله أكبر. ولهذا المعنى شواهد كثيرة في الكتاب والسنة، منها:

---

(١) سورة النساء: ٩٥، ٩٦.
(٢) سورة الحديد: ١٠.
(٣) راجع ص ٥٧٠.
(٤) راجع ص ٥٧٠- ٥٧١.

(١) آيتا سورة الأنفال ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾[١].

تدل كلمة ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ دلالة صريحة واضحة على أن الذين هاجروا وجاهدوا في الزمن الأسبق لهم فضل ومكانة أرفع من غيرهم.

(٢) وحديث البخاري[٢] السابق عن أبي الدرداء، حيث عاتب النبي صلى الله عليه وسلم عمر الفاروق الذي هو من كبار المهاجرين الأولين لما تشاجر مع أبي بكر رضي الله عنه بقوله: هل أنتم تاركو لي صاحبي، وقد علل ذلك بسبق إسلامه.

(٣) وحديث أنس: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام. فقال خالد لعبد الرحمن بن عوف: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها؟ فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: دعوا لي أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبا ما بلغتم أعمالهم[٣].

(٤) وحديث مستفيض من رواية أبي سعيد الخدري وغيره: لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه[٤].

وكما هو واضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخاطب الجمهور الحضور (الذين كانوا كلهم أصحابه). فلفظ الأصحاب هنا يعنى به القدماء منهم لا محالة.

دور الشيخين أبي بكر وعمر في الجهاد بالنفس والمال قبل الهجرة

وبعدما اتضحت هذه المقدمة يجب أن نعرف أن أبابكر الصديق قد جاهد وأنفق في سبيل الله قبل الهجرة وكذلك عمر الفاروق أنفق وجاهد في سبيل الله قبل الهجرة — من دون سائر الصحابة الذين فيهم سيدنا علي وغيره- فلم يثبت لهم جهاد ولا إنفاق قبل الهجرة. من هنا كان الشيخان أبوبكر وعمر هما أفضل من علي وغيره بناءً على مدلول هذه الآيات ومقتضاها.

قال الواحدي ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ﴾ يعني فتح مكـــة. قال مقاتل: لا يستوي في الفضل من أنفق مالـــه وقاتل العدو من قبل فتح مكة مع من أنفق من بعد وقاتل[٥].

---

(١) سورة الأنفال: ٧٤- ٧٥.

(٢) راجع ص ٢٢٥.

(٣) راجع ص ٥٧١.

(٤) راجع ص ١٢٤.

(٥) لعل الواحدي ذكره أيضا.

قال الكلبي في رواية محمد بن الفضيل: نــزلت في أبي بكر تدل على هذا أنه كان أول من أنفق المال على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله وأول من قاتل على الإسلام[١].

قال ابن مسعود: أول من أظهر إسلامه بسيفه النبي صلى الله عليه وسلم وأبوبكر[٢].

وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بانفاق ماله قبل الفتح فيما أخبرنا عبد الله بن إسحاق بإسناده عن ابن عمر قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبوبكر الصديق عليه عباءة قد خلَّهــا على صدره بــخلال، إذ نــزل عليه جبريل فأقرأه من الله السلام، فقال: يا محمد مالي أرى أبابكر عليه عباءة قد خلَّها على صدره بخلال؟ قال: يا جبريل أنفق ماله قبل الفتح عليّ. قال: فأقرئه من الله السلام وقل له: يقول لك ربك أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فقال: يا أبابكر، هذا جبريل يقرئك من الله السلام ويقول لك ربك: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال فبكى أبوبكر، فقال: على ربي أغضب ؟! أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض[٣].

وقوله ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْ...﴾

قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها[٤].

قال الزجاج: لأن المتقدمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم وكانت بصائرهم أيضاً أنفذ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ كلا الفريقين وعد الله الجنة.

قتال أبي بكر الصديق قبل الهجرة

أما قتال أبي بكر الصديق رضي الله عنه قبل الهجرة، فقد ثبت من طرق كثيرة كما يلي:

(١) فقد أخرج البخاري[٥] عن عروة قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبوبكر فأخذ بــمنكبيه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾.

(٢) وعن عمرو بن العاص قال: ما تنوول من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء

---

(١) راجع ص ١٢٥.
(٢) راجع ص ١٢٥.
(٣) راجع ص ١٢٥.
(٤) البغوي ٤/٢٩٥.
(٥) راجع ص ١٩٣.

كان أشد من أن طاف بالبيت ضحى فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه وقالوا: أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا؟ قال: أنا ذاك. فقام أبوبكر فالتزمه من ردائه ثم قال ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، رافعا صوته بذلك وعيناه تسيحان حتى أرسلوه(١).

(٣) وعن أنس بن مالك قال: قد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشي عليه، فقام أبوبكر فجعل ينادي: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾؟ قالوا: من هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قحافة(٢).

(٤) وعن أسماء بنت أبي بكر أنهم قالوا لها: ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: كان المشركون قعودا في المسجد الحرام فتذاكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آلهتهم وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فقاموا إليه وكان إذا سألوه عن شيء صدقهم. قالوا: ألست تقول في آلهتنا كذا وكذا؟ قال: بلى. فتشبثوا به بأجمعهم، فأتى الصَّرِيخُ إلى أبي بكر فقيل له: أدرك صاحبك، فخرج أبوبكر حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه. فقال: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾؟ قال: فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر يضربونه. قالت: فرجع إلينا فجعل لا يمس شيئا من غدايره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام. رواه أبوعمر في الاستيعاب(٣).

(٥) وعن علي أنه قال: أيها الناس أخبروني بأشجع الناس. قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبوبكر لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه قريش فهذا يجّبه وهذا يتلتله وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدا؟ قال: فوالله ما دنا منا أحد إلا أبوبكر يضرب هذا، ويجي هذا ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾؟ ثم رفع علي بردة كانت عليه. فبكى حتى ابتلت لحيته، ثم قال: أنشدكم بالله أمؤمن آل فرعون خير أم أبوبكر؟ فسكت القوم. فقال: ألا تجيبوني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون وذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه(٤).

---

(١) راجع ص ٥٣٧.
(٢) راجع ص ١٢٧.
(٣) ١/٣٣١.
(٤) راجع ص ٥٣٨.

(٦) عن ابن جريج قال: حدثت أن أباقحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه أبوبكر صكة فسقط. فذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: أ فعلت يا أبابكر؟ فقال: والله لو كان السيف قريبا مني لضربته. فنزلت ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ ...﴾[١] الآية[٢].

وكذلك ثبت إنفاق أبي بكر قبل الهجرة من طرق عديدة سوف نذكرها.

قتال عمر الفاروق قبل الهجرة

وأما عن قتال عمر الفاروق رضي الله عنه قبل الهجرة،

(١) فقد قال ابن إسحاق: ولما قدم عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا وردهم النجاشي بما يكرهون. وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى غاضبوا قريشا. فكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه[٣].

(٢) وأخرج الحاكم[٤] عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء والصلاة قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم أبوجحش الليثي قال: قوموا فصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اثنان وأبى أبوجحش أن يقوم. فقال له عمر: صل يا أباجحش مع النبي صلى الله عليه وسلم. قال: لا أقوم حتى يأتيني رجل هو أقوى مني ذراعين وأشد مني بطشا فيصرعني، ثم يدس وجهي في التراب. قال عمر: فقمت إليه فكنت أشد منه ذراعا وأقوى بطشا، فصرعته ثم دسست وجهه في التراب. فأتى عثمان فحجزني. فخرج عمر بن الخطاب مغضبا حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ورأى الغضب في وجهه قال: ما رأيك يأبا حفص؟ فقال: يا رسول الله أتيت على نفر جلوس على باب المسجد وقد أقيمت الصلاة وفيهم أبوجحش الليثي فقام الرجلان، فأعاد الحديث. ثم قال عمر: والله يا رسول الله ما كانت معونة عثمان إياه إلا أنه ضافه ليلة فأحب أن يشكرها له. فسمعه عثمان فقال: يا رسول الله، لا تسمع ما يقول لنا عمر عندك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن رضا عمر رحمة،

---

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

(٢) راجع ص ٥٧٥.

(٣) ابن كثير في البداية ٧٩/٣ وابن هشام في السيرة ٣٤٢/١.

(٤) الحاكم ٨٧/٣، ٨٨ وقال: صحيح على شرط البخاري. لكن قال الذهبي في تلخيصه: عبد الملك بن قدامة الجمحي ضعيف تفرد به.

والله لوددت أنك كنت جئتني برأس الخبيث. فقام عمر فلما بعد ناداه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هلم يا عمر أين أردت أن تذهب؟ فقال: أردت أن آتيك برأس الخبيث. فقال: إجلس حتى أخبرك بغنى الرب عن صلاة أبي جحش الليثي، إن لله في سمائه الدنيا ملائكة خشوعا لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة رفعوا رؤوسهم ثم قالوا: ربنا ما عبدناك حق عبادتك. فقال له عمر بن الخطاب: وما يقولون يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذي الملك والملكوت، وأما أهل السماء الثانية فيقولون: سبحان الحي الذي لا يموت، فقلها يا عمر في صلاتك. فقال: يا رسول الله فكيف بالذي علمتني وأمرتني أن أقولــه في صلاتي؟ قال: قل هذه مرة وهذه مــرة. وكان الذي أمر بــه أن قال: أعــوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك.

(٣) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قاتل عمر المشركين في مسجد مكة فلم يزل يقاتلهم منذ غدوة حتى صارت الشمس حيال رأسه. قال: وأعيى وقعد، فدخل رجل عليه برد أحمر وقميص موشى حسن الوجه فجآء حتى أفرحهم فقال: ما تريدون من هذا الرجل؟ قالوا: لا والله إلا أنه صبا. قال: فنعم، رجل اختار لنفسه دينا، دعوه وما اختار لنفسه. ترون بني عدي ترضى أن يقتل عمر؟ والله لا ترضى بنو عدي. قال: وقال عمر يومئذ: يا أعداء الله، والله لو قد بلغنا ثلاثمائة لقد أخرجناكم منها. قلت لأبي بعد: من ذاك الرجل الذي ردهم عنك يومئذ؟ قال: ذاك العاص بن وائل أبوعمرو بن العاص[١].

(٤) وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أسلم عمر رضي الله عنه قال المشركون: اليوم انتصف منا[٢].

وكان سيدنا علي في هذه الفترة فتى صغيرا في كنف النبي صلى الله عليه وسلم ورعايته؛ فلم يكن يقدر على قتال المشركين ومواجهتهم على خلاف الشيخين أبي بكر وعمر. وكذلك لم يمثل إسلامه نكاية بالكفار ولا زعزعة في صفهم على خلاف إسلامهما.

وإذا كان أحد يحترز من أن يطلق لفظ الجهاد والقتال على المواجهة بالعصا والركزات والركلات فالاستعمال الشائع عند العرب يزيل هذه الشبهة.

وخير دليل على ذلك استعمال علي الــمرتضى وابن مسعود وغيرهما من الصحابة لفظ

---

(١) الحاكم ٨٥/٣ وقال: على شرط مسلم. ووافقه الذهبي وابن حبان كما في الموارد ص ٥٣٥ والإحسان ١٦/٩.

(٢) الحاكم ٨٥/٣ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. قلت: لكن فيه نضر أبو عمر الخزار متروك. ورواه البزار والطبراني أيضا من طريقه كما في المجمع ٦٥/٩.

القتال لمثل هذه المواقف. وإن لم يكف هذا كله فقوله تعالى يحسم الأمر وهو ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾[1] إذ نـــزل في المهاجرين و لم يكن قد استعمل السلاح هناك.

(٢) منازل القرب إلى الله عز وجل

أما وجه التقرب فقد بينه الحق سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة التي أنــزلها لترددها ألسنة المسلمين في صلواتهم إلى يوم الدين ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[2] أي ينبغي للمسلمين أن يطلبوا في صلواتهم الهداية من لحق جل جلاله على شاكلة المنعَم عليهم، ولا شك أن هؤلاء الذين صراطهم من أعظم المطلوبات طريقهم أفضل الطرق وهم أقرب الناس وأفاضلهم عنده تعالى. إذ ليس من المعقول طلب سبيل المفضولين أو المساوين. ثم نجد تفسير المنعم عليهم في قوله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[3].

ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث مستفيضة تقوم عليها الحجة بأن أبابكر صديق وعمر وعثمان شهيدان[4]. ومن هنا تبين أن هؤلاء الأحبة هم أفاضل هذه الأمة ويحق لهم السيادة المعنوية والقيادة على سائر المسلمين لا محالة.

وقد وردت آيات عديدة وأحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى وتشير إلى أن الأمة على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: المقربون والسابقون.

الدرجة الثانية: الأبرار والمقتصدون.

الدرجة الثالثة: ظالمون لأنفسهم.

فالمقربون والسابقون لهم الأفضلية في هذه الأمة. والصديقون والشهداء من جملتهم بل وعلى رأس قائمتهم. وهؤلاء الأحبة هم من الصديقين والشهداء — لا محالة — وذلك بما ثبت من الأحاديث التي تبلغ درجة التواتر. وإلى هذا المعنى يشير ما نقل عن الحسن البصري وأبي العالية إذ قالا في قوله تعالى ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: هم رسول الله وصاحباه[5]. وقد وافقهما على ذلك سواد من المفسرين إذ فسروا الآية فيهما. قاله من الصحابة ابن مسعود وابن عباس وبريدة

---

(١) سورة الحج: ٣٩.

(٢) سورة الفاتحة: ٦، ٧.

(٣) سورة النساء: ٦٩.

(٤) راجع ص ٥٨، ١٥٤.

(٥) راجع ص ٣٧٢.

الأسلمي وأبوأمامة، ومن التابعين سعد بن جبير وعكرمة وميمون بن مهران والحسن البصري ومقاتل بن سليمان، وكفى بهم قدوة.

وقد دفعهم سبب نـــزول الآية إلى هذا التفسير مع عموم دلالة كلمة ﴿صَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، إذ يشمل هذا العموم أبابكر الصديق وعمر الفاروق لا محالة. هذا يشبه ما قاله ابن الأُتبية في زمانه صلى الله عليه وسلم: هذا لكم وهذا أهدي لي. فقام الرسول صلى الله عليه وسلم خطيبا: ما بال أقوام نولّيهم على عمل مما ولاّني الله ثم يقول أحدكم: هذا لكم وهذا أهدي لي. هلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أ يهدى له أم لا؟![1]

تدل كثير من القرآئن في هذه الحالة أن ابن الأُتبية يشمله — من غير شك — هذا العتـــاب، لأن الكلام جاء في سياق قصته، ثم اشتمل العتاب على حكاية كلامه الذي تفوه به. فلا يقدر أي عاقل إنكار دخوله فيه.

كذلك في القصة التي حدثت لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم الطاهرات، وقد وقعت هناك أمور توجب إدخال هذين العزيزين في زمرة ﴿صَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. فعن عائشة قالت: أنـــزل الله عذري وكادت الأمة تهلك في سبـــبي، فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرج الملك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي: اذهب إلى ابنـــتك فأخبرها أن الله قد أنـــزل عذرها من السماء. قالت: فأتاني أبي وهو يعدو ويكاد أن يعثر، فقال: أبشري يا بنية، بأبي وأمي فإن الله قد أنـــزل عذرك. قلت: بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك الذي أرسلك. ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناول ذراعي، فقلت بيده هكذا. فأخذ أبوبكر النعل ليعلوني به فمنعته. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أقسمت لا تفعل[2].

وفي قصة سورة التحريم قال عمر: فإني أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظن أنّي جئت من أجل حفصة. والله لئن أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقها لأضربن عنقها[3].

(٣) منـــزلة خدمة الأمة

وأما ما انتفع به المسلمون بمساعيهما فيـــبينه قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[4].

---

(١) البخاري (٧١٧٤) كتاب الأحكام باب هدايا العمال. ومسلم (٤٧٣٨) كتاب الإمارة باب تحريم هدايا العمال من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) راجع ص ٥٠٢– ٥٠٣.

(٣) راجع ص ٥٨٩– ٥٩٠.

(٤) سورة آل عمران: ١١٠.

يشير ظاهر هذه الآية إلى أفضلية هذه الأمة على سائر الأمم لما بلغت من الكمال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أنها تدل على أن من بلغ الكمال في صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو أفضل ممن هو دونه فيها. ويشهد لهذا المعنى قوله عز وجل ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

وكذلك يشهد له قوله تعالى في المهاجرين الأولين ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٢].

ولم يتم التمكين في واقع الأمر إلا للمشايخ الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، فوجب أن يكون قد شملهم كمال هذا الوصف المذكور الذي هو مدار الفضل.

إذن فقد دلت هذه الآيات على فضل هذه الجماعة على سائر المسلمين، وقَلَّ من يشاركهم في ذلك كله.

أبو بكر الصديق أفضلهم.

فالآن وصلنا إلى اختيار أبي بكر الصديق من بين هؤلاء؛ فنقول: قد قال الله تعالى في سورة الليل ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾[٣] فهي من أوائل ما نـزل عندما كان الكفار ينـزلون سخطهم وغضبهم على ضعفاء المسلمين ويتفننون في تعذيبهم وكان أبوبكر الصديق قد سخر ماله لاستخلاص هؤلاء المستضعفين من بطش الكفار. فلم تتريث الأسماع في أن الآية لا تخرج من احتمالين:

(١) إما أن يكون لفظ ﴿الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ عاما وقد شمل أبابكر الصديق في أول من شملهم، بل وقبل الجميع وذلك لدلالة القرائن عليه.

(٢) أو أن دلالة ﴿الْأَتْقَى﴾ معهودة، ويراد منها شخص بعينه وهو أبوبكر الصديق رضي الله عنه.

كما روي عن ابن مسعود قال: إن أبابكر الصديق رضي الله عنه اشترى بلالا من أمية بن خلف وأبي بن خلف ببردة وعشر أواق، فأعتقه لله، فأنـزل الله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ أبوبكر وأمية وأبي – إلى قوله ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ قال: لا إله إلا الله – إلى قوله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ قال: النار[٤].

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.
(٢) سورة الحج: ٤١.
(٣) سورة الليل: ١٧، ١٨.
(٤) راجع ص ٥٩٨.

عن عروة أن أبابكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله؛ بلالا وعامر بن فهيرة والنهدية وابنتها وزنيرة وأم عيسى وأمة بني المؤمل، وفيه نزلت ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾، إلى آخر السورة[١].

عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال أبوقحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقابا ضعافا، فلو أنك إذا فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك؟ فقال: يا أبت، إنما أريد وجه الله. فنزلت هذه الآية فيه ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[٢].

عن سعيد بن المسيب قال: نزلت ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ في أبي بكر أعتق ناسا لم يلتمس منهم جزاء ولا شكورا، ستة أو سبعة منهم بلال وعامر بن فهيرة[٣].

عن ابن عباس في قوله ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ قال: هو أبوبكر الصديق[٤]، وقال عمار ابن ياسر في ذلك شعراً[٥]:

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه عتيقا وأخزى فاكها وأباجهل

وعموما بعد ما ثبتت هذه المقدمة نقف عند قوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٦]، فبناء على ما سبق كان أبوبكر الصديق أتقى هذه الأمة، وبالتالي هو أكرمهم عند الله وهو المراد. وعلى هذا النهج الذي سلكناه سنجد آيات كثيرة من الذكر الحكيم تشير إلى مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتبين فضلهما.

---

(١) راجع ص ٥٩٨.
(٢) راجع ص ٥٩٨.
(٣) راجع ص ٥٩٩.
(٤) راجع ص ٥٩٩.
(٥) ابن عساكر في ترجمة بلال رضي الله عنه. انظر تهذيب ابن عساكر ٣/ ٣٠٦. وسيأتي أتم منه في ص ٧٤٤- ٧٤٥.
(٦) سورة الحجرات: ١٣.

المبحث الثاني
دلالات نصوص الحديث تصريحا وتلويحا على أفضلية أبي بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذي النورين رضي الله عنهم

صرحت نصوص السنة أحيانا ولوحت أخرى بأفضلية أبي بكر على سائر الأمة ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذي النورين، لكننا قبل أن نخوض في هذا الباب نشير إلى نكتتين مهمتين.

النكتة الأولى

فضل أبي بكر على سائر الأمة قطعي.

قضية فضل أبي بكر على سائر الأمة قطعية لا غبار عليها. وقد وجد هذا اليقين القطعي من وجهين:

الوجه الأول: تعدد طرق الحديث إلى درجة التواتر بالمعنى مثل سخاء حاتم وشجاعة رستم.

الوجه الثاني: حفوف القرائن، فإن خبر الواحد إذا ساندته قرائن كثيرة قد يصل إلى درجة اليقين كأن نرى سقيما مطروحا على الفراش يجري أقاربه من طبيب إلى آخر، ونراهم وقد ألمّ بهم الهم والغم الشديد وكأنهم يئسوا من شفائه، ثم يأتينا خبر عن النياحة أمام بيته وأن جنازة وضعت أمام البيت، والناس يتجهون صوب بيته من كل حدب وصوب. فإذا أخبرنا إنسان بأن ذاك المريض قد مات فهذا الخبر يبلغ حد اليقين –مع كونه خبر واحد– وذلك لما تسانده من القرائن الجانبية. وكذلك الأمر في الأحاديث التي تشير إلى أفضلية الشيخين أبي بكر وعمر إذ تحفها قرائن عديدة، وهي على نوعين:

النوع الأول– الأدلة الظنية والخطابية التي توافق خبر الواحد في أصل الكلام، فمنها؛ عمومات كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل المهاجرين والأنصار مثل حديث رفاعة؛ إذ جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين[١]. وقال رافع بن خديج: خيارنا. قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة[٢]. وحديث جابر: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنتم اليوم خير أهل الأرض[٣].

يشير هذان الحديثان إلى أن دائرة الأفضلية ضيقة جداً، والآيات والأحاديث التي تشير

(١) راجع ص ٥٦.
(٢) راجع ص ٢٢٨.
(٣) راجع ص ٢٠٨.

إلى مناقب الشيخين تشمل غيرهم من الأمة كذلك، ولكن مع مشاركة الغير في الصفات تبقى الفضل الأعلى والأكمل فيه لفئة جد قليلة.

والنوع الثاني- القرائن الثانية تكمن في فروع الأفضلية من الأفعال والأقوال والتي تعرفها الأمة وتستشهد بها في كل موطن بألفاظ مختلفة مثل أفضل هذه الأمة، وخير الأمة. وكأن الأمور كانت واضحة المعالم من قبل ولا مجال للعقل والتفكير في تحديدها. وهذان مبحثان طويلان ونحن قد بسطنا الكلام فيهما، والآن يجدر بنا أن نستحضر تلك المعاني مما سبق.

النكتة الثانية

مدار الأفضلية

عندما نستقرئ الأحاديث التي وردت في مناقب الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما نرى أن مدار الفضل أربع خصال:

١- بلوغهما أعلى مرتبة من مراتب الأمة من الصديقية والشهادة.

٢- التفاني في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم، ونشر دعوة التوحيد أيام غربة الإسلام.

أمنّ الناس عليّ أبوبكر، وواساني بماله ونفسه[1]، وكذلك عزة الإسلام وشوكته بعد إسلام عمر إشارات إلى المعنى نفسه.

٣- إكمال وظائف النبوة على يدهما. تصوّر ذلك رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم في قصة المقاليد وقصة إخراج الماء من البئر.

٤- علو منـــزلتهما يوم الدين؛ سيدا كهول أهل الجنة[2]، والإقامة في الغرف العالية، وأولية الحشر والتجلي الخاص لأبي بكر الصديق ومعانقة الحق لعمر، تعد منها.

وهذه الـــخصلة الأخيرة لا يمكن أن تنفك عن خصلة من الـــخصال الثلاث السابقة لأن أكثر الفضـــل يعود إما (١) إلى الصفات الشخصية (٢) أو عزة الإسلام ونصرة الدين (٣) أو إكمال وظائف النبوة.

لكن يمكن أن يكون هناك إنسان لم يصاحب الرسول صلى الله عليه وسلم بل آمن بعد الجميع ولم يشارك في أي من الغزوات، رغم هذا يكون أفضل الأمة وذلك باعتبار إتمام ما تقتضيه بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم من الوظائف أو باعتبار الصديقية أو الشهادة وتعلقه

---

(١) راجع ص ٢٠٥.

(٢) راجع ص ٦٠.

الخاص وتفانيه في حب الرسول صلى الله عليه وسلم. وكذلك يمكن أن يكون أفضل الأمة من أدّى أفضل المهام في إعزاز الإسلام ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أدركه الموت في آخر أيام الرسول صلى الله عليه وسلم فهو لم يدرك مهام الرسالة ومسئولياتها فضلا عن مباشرتها، فباعتبار القوة العاقلة والعاملة ليس بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم نسبة المعتد به. وكل ما يمكن أن نقول فيه إنه بلغ درجة من مراتب الأبرار.

هذا ما يقتضيه العقل لكن جرت سنة الله عز وجل ألا يقوم بالدواعي الكبيرة والمهام العظيمة (مثل منازلة جماعات كبيرة من الكفار وسلاطينهم) إلا أصحاب النفوس القدسية الذين قضوا أعواما مديدة تحت رعاية الرسول صلى الله عليه وسلم وتربيته. ويقتضي شرف خلافته ألا يقوم بها إلا أكمل الأمة باعتبار هذه الخصال الأربعة كلها.

عموما يجب أن نتأمل أحاديث هذا الباب ونستخرج مدار الفضل من كل حديث على حدة. وبعد هذا السرد نعود إلى رواية الأحاديث.

أما أفضلية الشيخين أبي بكر وعمر باعتبار المهام التي كان يقوم بها النبي صلى الله عليه وسلم؛ بصفته رسولا مبعوثا إلى البشرية عامة، فتثبت من أحاديث كثيرة، نذكر هنا بعضها:

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنـزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنـزع منها ذنوبا أو ذنوبين وفي نـزعه - والله يغفر له - ضعف، ثم استحالت غَرْبا فأخذ ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينـزع نـزع عمر بن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن[١].

وحديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أُريت كأني أنـزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبوبكر فنـزع ذنوبا أو ذنوبين نـزعاضعيفا والله يغفر له، ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت غربا فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن. رواهما البخاري ومسلم وغيرهما[٢].

وعن أبي الطفيل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينما أنا أنـزع الليلة إذ وردت علي غنم سود وغنم عفر فجاء أبوبكر فنـزع ذنوبا أو ذنوبين فيهما ضعف والله يغفر له، ثم جاء عمر فاستحالت غربا فملأ الحياض وأروى الواردة فلم أر عبقريا من الناس أحسن نـزعا منه. فأوّلت أن الغنم السود العربُ، والعفرَ العجم[٣].

(٢) حديث ابن عمر في موازنة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته. أخرجه ابن مردويه

---

(١) راجع ص ٨٩.

(٢) راجع ص ١٨٢.

(٣) راجع ص ٢٤١.

عن ابن عمر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة بعد طلوع الشمس قال: رأيت قبل الفجر كأني أعطيت المقاليد والموازين، فأما المقاليد فهي المفاتيح، وأما الموازين فهذه التي يوزن بها. فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فوزنت بهم فرجحت ثم جيء بأبي بكر فوزن بهم فرجح، ثم جيء بعمر فوزن بهم فرجح ثم جيء بعثمان فوزن بهم فرجح ثم رفعت[١].

(٣) **حديث جابر بن عبد الله** أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رئي الليلة رجل صالح أن أبابكر نيط برسول الله صلى الله عليه وسلم ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر. قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما تنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم[٢].

(٤) **حديث سمرة بن جندب** أن رجلا قال: يا رسول الله إني رأيت الليلة كأن دلوا دلي من السماء فجاء أبوبكر فأخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء[٣].

(٥) **ثم حديث ابن عباس وأبي هريرة** شاهد عدل على هذه الأحاديث لأنه صرح فيه بأسماء الخلفاء. فإن ابن عباس كان يحدث أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة ينطف منها السمن والعسل فأرى الناس يتكففون منها. فالمستكثر والمستقل وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل فعلا به. قال أبوبكر: يا رسول الله بأبي أنت والله لتدعني فأعبرها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أعبر. قال: أما الظلة فالإسلام وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف والمستكثر من القرآن والمستقل. وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به. فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت أصبت أم أخطأت؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أصبت بعضا وأخطأت بعضا. قال: فوالله يا رسول الله لتحدثني الذي أخطأت. قال: لا تقسم[٤].

---

(١) أحمد ٢/٧٦ والطبراني، ورجاله ثقات كما في المجمع ٩/٥٨، ٥٩.

(٢) راجع ص ٩٠.

(٣) راجع ص ٩٠.

(٤) راجع ص ٩٠- ٩١.

تدل هذه الأحاديث -وبكل قوة- أن مسيرة البعثة النبوية ووظائفها المرجوة اكتملت على أيدي هؤلاء المشايخ العظام حسب الترتيب و لم يشاركهم فيها أحد ممن جاء بعدهم. إذن يرجع إليهم الفضل – دون الغير – من حيث اكمال أهداف النبوة.

(٦) وحديث حذيفـــة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر[١].

وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر[٢].

يشير هذا الحديث إلى أن الشيخين سيقومان مقام الرسول صلى الله عليه وسلم من بعده.

(٧) حديث بني المصطلق عن أنس بن مالك قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: سل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ قال: فأتيته فسألتـــه، فقال: إلى أبي بكر، فأتيتهم فأخبرتهم. قالوا: ارجع إليه فاسأله: فإن حدث بأبي بكر حدث فإلى من؟ فأتيته فأخبرته، فقال: إلى عمر. فقالوا: إرجع إليه فاسأله: فإن حدث بعمر حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته فقال: إلى عثمان. فأتيتهم فأخبرتهم فقالوا: إرجع فاسأله: فإن حدث بعثمان حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته فقال: إن حدث بعثمان حدث فتبا لكم الدهر فتبا[٣].

(٨) حديث حمل الأحجار عن عائشة قالت: أول حجر حمله النبي صلى الله عليه وسلم لبناء الـــمسجد ثم حمل أبوبكر حجرا آخر ثم حمل عمر حجرا آخر، ثم حمل عثمان حجرا آخر. فقلت: يا رسول الله ألا ترى إلى هـــؤلاء كيف يسعدونك ؟ فقال: يا عائشة، هؤلاء الـــخلفاء من بعدي[٤].

(٩) حديث جبير بن مطعم قال: أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أرأيت إن جئت و لم أجدك – كأنها تقول الموت – قال: إن لم تجديني فأتي أبابكر[٥].

(١٠) حديث العرباض بن سارية أنه يقول: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظـــة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع

(١) راجع ص ٦٣.
(٢) راجع ص ٦٣.
(٣) راجع ص ٩٣.
(٤) راجع ص ٩٢.
(٥) راجع ص ٩٤.

فماذا تعهد إلينا؟ قال: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ منها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا. فعليكم بما عرفتم من سنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضُّوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإنْ عبدا حبشيا، فإنما المؤمن كالجمل الآنف حيث ما قيد إنقاد[١].

ثم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة على وجه لا ينطبق إلا على الخلفاء الثلاثة لا غير، وهو حديث أبي هريرة: الخلافة بالمدينة والملك بالشام أخرجه الحاكم[٢].

أبوبكر الصديق أفضل من عمر الفاروق

وصلنا الآن إلى أن أبابكر الصديق كان أفضل من عمر الفاروق، وكان الفاروق أفضل من عثمان ذي النورين. ونجد هذا المعنى في هذا الحديث المستفيض:

(١١) عن سفينة مولى أم سلمة رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح ثم أقبل على أصحابه فقال: أيكم رأى رؤيا؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله، كأن ميزانا نــزل به من السماء فوضعتَ في كفة ووضع أبوبكر في كفة أخرى فرجحت بأبي بكر فرفعتَ، ونــزل أبوبكر مكانه فجيء بعمر بن الخطاب فوضع في الكفة الأخرى فرجح أبوبكر ثم رفع أبوبكر، ووضع عثمان فرجح عمر ثم رفع عمر ورفع الميزان. قال: فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: خلافة النبوة ثلاثون عاما ثم يكون ملك[٣].

وعن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانا نــزل من السماء فوزنت أنت بأبي بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن أبوبكر وعمر فرجح أبوبكر ثم وزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان. فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤]. وعن عرفجة[٥] نحوا من ذلك.

هنا يجب أن ندرك بأن حديث ابن عمر يحتوي على معنى، ففيه الموازنة مع سائر الأمة وحديث أبي بكرة وعرفجة يدل على أمر آخر إذ يوازن بين الخلفاء بعضهم بعضا وكلا المعنيين صحيح دراية ورواية.

وكذلك ينبغي أن نعرف بأن الدارمي[٦] روى عن أبي ذر الغفاري قال: قلت: يا رسول

---

(١) راجع ص ٦٧.
(٢) راجع ص ٩٣.
(٣) راجع ص ٥٠.
(٤) راجع ص ٧٠.
(٥) راجع ص ٧٠.
(٦) ١/٩ والعقيلي في الضعفاء ١/١٨٣ وفي إسناده جعفر بن عبدالله بن عثمان ووقع في الدارمي جعفر ابن عثمان القرشي، قال العقيلي: لا يتابع عليه. ووثقه أحــمد كما في اللسان ٢/١١٦، ١١٧.

الله، كيف علمت بأنك نبي حين استنبئت؟ فقال: يأباذر، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة فوقع أحدهما الأرض وكان الآخر بين السماء والأرض فقال أحدهما لصاحبه: أ هو هو؟ قال: نعم. فزنه برجل فوزنت به فوزنته، ثم قال: فزنه بعشرة. فوزنت بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة، فوزنت بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فوزنت بهم فرجحتهم. كأني أنظر إليهم ينتشرون من خفة الميزان. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لو وزنته بأمته لرجحها.

عرف الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الرؤيا وزن نبوته لأنه يدل على رجحانه عند الله عز وجل. أما في هذه القصة التي ذكرناها آنفا فقد أثبت الرسول صلى الله عليه وسلم أفضلية الخلفاء الثلاثة وخلافتهم.

وأما من حيث إعانة الإسلام وخدمة الدين يوم غربته ومساندة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته عند الشدائد وإيذاء الكفار فقد ثبت فيها فضل الشيخين أبي بكر وعمر من أحاديث كثيرة، وهي:

(١٢) حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الأرض فأبوبكر وعمر[١].

وعن سعيد بن المسيب مرسلا قال: كان أبوبكر الصديق من النبي مكان الوزير فكان يشاوره في جميع أموره وكان ثانيه في الإسلام وكان ثانيه في الغار وكان ثانيه في العريش يوم بدر وكان ثانيه في القبر ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه أحدا[٢].

(١٣) عن أبي أروى الدوسي قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطلع أبوبكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذي أيدني بهما[٣].

وعن حذيفة بن اليمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لقد هممت أن أبعث إلى الآفاق رجالا يعلمون الناس السنن والفرائض كما بعث عيسى ابن مريم الحواريين. قيل له: فأين أنت عن أبي بكر وعمر؟ قال: إنه لا غناء لي عنهما، إنهما من الدين كالسمع والبصر[٤].

(١٤) إثبات الرسول صلى الله عليه وسلم مَنَّ أبي بكر على نفسه. وذلك فيما ورد في حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وعلي. عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله

---

(١) راجع ص ٦٤.
(٢) راجع ص ٢٥٠.
(٣) راجع ص ٢١٧.
(٤) راجع ص ٢٠٩.

صلى الله عليه وسلم: إن أَمَنَّ الناس عليَّ في ماله وصحبته أبوبكر[١].

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبابكر، فإن له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر. فهذا تصريح بأفضليته باعتبار خدمته للرسول صلى الله عليه وسلم ونشر دعوة الإسلام[٢].

(١٥) وما تركه إسلام أبي بكر الفتى البالغ الحر من النكاية في قلوب الكفار فلا يخفى على أحد في حين أن إسلام ولد صغير – غير بالغ – لا يخدش قلوب هؤلاء الكفار ولا يؤثر في أذهانهم وهذا ما نستنتجه من حديث أبي الدرداء وعمرو بن عبسة ومقدام وعمار.

فعن أبي الدرداء في قصة مغامرة عمر معه – أي مع أبي بكر – قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبوبكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟[٣]

(١٦) دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب: اللهم أعز الإسلام ... وظهور إجابة هذا الدعاء في أبلغ صورة.

وهذا ما نقرأه في أحاديث ابن عمر وابن عباس وعائشة وابن مسعود[٤]. فعن ابن عمر قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك؛ بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب. قال: وكان أحبهما إليه عمر.

وأما عزة الإسلام وشوكته بإسلام عمر الفاروق فنجدها في أحاديث ابن مسعود وابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم:

عن ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر. وفي رواية: والله ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر[٥].

(١٧) استبشار أهل السماء بإسلام عمر. وهذه إشارة صريحة بإعانته للإسلام والمسلمين وتفانيه في الدعوة إليه، كما في حديث ابن عباس قال: لما أسلم عمر نزل جبريل فقال: يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر[٦].

---

(١) راجع ص ٢٠٥.
(٢) راجع ص ١٩٤- ١٩٥.
(٣) راجع ص ٢٢٥.
(٤) راجع ص ١٧٧- ١٧٨ و ١٨٤ و ١٨٧ و ٢٠١.
(٥) راجع ص ١٧٨.
(٦) راجع ص ١٨٧.

(١٨) **كان عمر سدا منيعا في وجه الفتن وبابا مغلقا على جهنم**. وهذا ما يفيضه علينا جواب حذيفة وقد سأله عمر عن الفتنة التي تموج كموج البحر: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابا مغلقا[1]. ثم فسر الباب بعمر.

ثم ظهر ذلك على وجه العيان كالشمس في رابعة النهار (١) إذ فتحت بلاد فارس والروم -تلك البقاع التي بقيت ملفوفة في زمن المصطفى عليه الصلاة والسلام- على يد عمر رضي الله عنه دون تدخل من أحد. (٢) وكان **جمع القرآن** الذي كان الله عز وجل قد وعد به في كتابه من جملة ما قام به دون تدخل من أحد. (٣) كما أن **الإجماع** الذي هو الأصل الثالث في الشريعة الإسلامية كان من جملة ما قرره دون تدخل من أحد، (٤) وكذلك تحقيق أعلى مقامات الإحسان والزهد التي تشير إليها هذه الأحاديث.

وكذلك ثبت بالتواتر أن أبابكر الصديق هو أول من أسلم ووقف سدا منيعا يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن عمر أسلم بعد ما مضى من البعثة ستة أعوام وكان إسلامه عزة ونصرة لهذا الدين. فهذه كلها دلائل واضحة على أفضليتهما وتفسير لتلك الأحاديث والحمد لله.

أ أبوبكر الصديق أفضل أم عمر الفاروق؟

وصلنا الآن إلى هذا السؤال: أ أبوبكر الصديق أفضل أم عمر الفاروق؟ ندرك جوابه بكل وضوح من خلال دراستنا للمشاجرة التي دارت بينهما والكلمة الحاسمة التي علق بها النبي صلى الله عليه وسلم عليها: هل أنتم تاركو لي صاحبي؟ فهذا من الأحاديث التي تدل على هذه النكتة.

(١٩) **أخرج البخاري[2] عن أبي الدرداء** قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبوبكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم فقد غامر! فسلم فقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبابكر – ثلاثا –. ثم إن عمر ندم فأتى منــزل أبي بكر فسأل: أثَمَّ أبوبكر؟ قالوا: لا. فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلّم فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعّر حتى أشفق أبوبكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم -مرتين- فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت. وقال أبوبكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ مرتين. فما أوذي بعدها.

---

(١) راجع ص ٩٦.
(٢) راجع ص ٢٢٥.

أفضلية عمر الفاروق على عثمان بن عفان

أما أفضلية عمر الفاروق على عثمان ذي النورين فتفهم من قصة مشاجرتهما على أبي جحش وكان فيها: رضى عمر رحمة.

(٢٠) **حديث عبد الله بن عمر** في قصة طويلة فيها مغامرة عمر مع أبي جحش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رضا عمر رحمة، أخرجه الحاكم[١].

أما من حيث الكمال الذاتي والانتساب إلى الطبقة العليا من الأمة: فذاك تثبته أحاديث عديدة؛ منها شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر بالصديقية وللفاروق وذي النورين بالشهادة كما جاء في أحاديث مستفيضة عن كل من عثمان وأنس وأبي هريرة وسعيد بن زيد وصحابي آخر. منها:

(٢١) **في مسند أحمد عن ثمامة بن حزن القشيري** في قصة طويلة قال عثمان: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة[٢] ومعه أبوبكر وعمر وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض. قال: فركضه برجله فقال: اسكن ثبير، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان. قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر! شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد[٣].

(٢٢) **إثبات رتبة تلي الـــخُلّة لأبي بكر الصديق** رضي الله عنه، وذلك في أحاديث مستفيضة بأسانيد جيدة عن كل من ابن عباس وابن الزبير وأبي سعيد الخدري وعبدالله بن مسعود وأبي المعلى. فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبابكر ولكن أخي وصاحبي[٤].

(٢٣) **موافقة الوحي لرأي أبي بكر الصديق في عدة مواقف** إلى درجة أن بلغ الوجه المشترك فيها حد التواتر المعنوي، منها قصة فنحاص اليهودي التي رواها عكرمة ومجاهد والسدى.

روي عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبابكر إلى فنحاص اليهودي يستمده وكتب إليه وقال لأبي بكر: لا تفت عليّ بشيء حتى ترجع إليّ. فلما قرأ فنحاص الكتاب قال: قد احتاج ربكم. قال أبوبكر: فهممت أن أقره بالسيف ثم ذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تفت علي بشيء، فنــزلت ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ

---

(١) راجع ص ٧٤٠.
(٢) ثبير مكة: اسم جبل في مكة.
(٣) راجع ص ١٥٤.
(٤) راجع ص ١٨٦.

﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[١] وقوله ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[٢]، [٣].

وقال ابن جريج: حدثت أن أباقحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه أبوبكر صكة. فسقط فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: أ فعلت يأبابكر؟ فقال: والله لو كان السيف قريبا مني لضربته. فنـزلت ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية[٤]،[٥].

وعن أبي أيوب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني رأيت في المنام غنما سودا دخلت فيها غنم عفر، يأبابكر أُعبُرها. فقال أبوبكر: يا رسول الله هي العرب تتبعك ثم تتبعها العجم حتى تغمرها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هكذا عبرها الملك سحر[٦].

عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد، فأخذ أبوبكر بيده، فقال: حسبك. فخرج وهو يقول ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[٧].

وفي الـحديبـية قال لعمر مثل ما قال له النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا أيها الرجل إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه. فوالله إنه على الحق[٨].

(٢٤) استفسر النبي صلى الله عليه وسلم أبابكر عن وقائع كثيرة دلالة على توافق قوته العاقلة مع القوة العاقلة للرسول صلى الله عليه وسلم.

قال محمد بن اسحاق وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو محاصر ثقيفا: يـأبابكر، إني رأيت أني أهديت إلي قعبة مملوة زبدا فنقرها ديك فهراق ما فيها. فقال أبوبكر: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأنا لا أرى ذلك[٩].

قال ابن هشام[١٠] حدثني بعض أهل العلم عن إبراهيم بن جعفر المحمودي قال قال

---

(١) سورة آل عمران: ١٨١.
(٢) سورة آل عمران: ١٨٦.
(٣) راجع ص ٣٩٦- ٣٩٧.
(٤) سورة المجادلة: ٢٢.
(٥) راجع ص ٥٧٥.
(٦) راجع ص ٢٢٤- ٢٢٥.
(٧) البخاري (٤٨٧٥) تفسير سورة القمر.
(٨) البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.
(٩) انظر السيرة لابن هشام ٤٨٢/٢.
(١٠) بل قال ابن هشام في السيرة النبوية ٤٢٩/٢: قال ابن إسحاق: حدثني بعض أهل العلم وهو مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت إني لقمت لقمة من حيس فالتذذت طعمها فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعتها فأدخل علي يده ونزعه. فقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله هذه سرية من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب ويكون في بعضها إعراض فتبعث عليا فيسله.

(٢٥) نزع الخيلاء من صدر أبي بكر الصديق، وهذا يدل على توافق قوته العاملة مع القوة العاملة للرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه درجة دون العصمة في الرتبة.

في حديث عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. فقال أبوبكر الصديق: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك لست تصنع ذلك خيلاء[١].

(٢٦) جمع أبوبكر الصديق خصال البر كلها.

وهذا يدل على توافق قوته العاملة مع القوى العاملة للأنبياء.

فقد ورد من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبوبكر: أنا. قال: فمن تبع اليوم منكم جنازة؟ قال أبوبكر: أنا. قال: فمن أطعم اليوم مسكينا؟ قال أبوبكر: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ قال أبوبكر: أنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اجتمعن في امرءٍ إلا دخل الجنة[٢].

(٢٧) نداء الملائكة إياه من أبواب الجنة الثمانية

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أنفق زوجين[٣] في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة. فقال أبوبكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة! فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم. أخرجه البخاري ومسلم والترمذي ومالك في الموطأ[٤].

(٢٨) وضع الله الحق على لسان عمر.

وهذه منقبة ظفر بها عمر الفاروق وهي رتبة دون الوحي، وتستنبط من أحاديث

انقطاعه ضعيف لأن بعض أهل العلم لم يسم.

(١) راجع ص ١٨٣.

(٢) مسلم (٦١٨٢) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) زادت رواية البخاري: "من شيء من الأشياء".

(٤) راجع ص ١٩٥- ١٩٦.

ابن عمر وأبي ذر والمرتضى وغيرهم.

فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه. أخرجه الترمذي[١].

(٢٩) **إثبات المحدثية لعمر الفاروق.** وتلك رتبة دون الوحي، وردت في أحاديث عديدة منها حديث أبي هريرة[٢] وعائشة[٣] وعقبة بن عامر[٤].

فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد كان فيما كان قبلكم من الأمم ناس محدّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإنه عمر. أخرجه البخاري[٥].

(٣٠) فرار إبليس من ظل عمر

وهذه رتبة دون العصمة نالها عمر الفاروق رضي الله عنه كما أشارت إليه أحاديث مستفيضة كحديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وبريدة الأسلمي وعائشة.

فعن سعد بن أبي وقاص قال: استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يُكلِّمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن. فذكر الحديث إلى أن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك. أخرجه البخاري ومسلم[٦].

(٣١) إعطاؤه صلى الله عليه وسلم اللبن لعمر الفاروق في المنام

حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينا أنا نائم شربت يعني اللبن حتى أنظر إلى الريّ يجري في ظفري أو في أظفاري! ثم ناولت عمر. قالوا: فما أولت؟ قال: العلم. أخرجه البخاري ومسلم[٧].

(٣٢) موافقة الوحي لرأي عمر.

وهذه درجة دون الوحي وردت في أحاديث كثيرة، منها:

ما ورد عن عمر رضي الله عنه قال: وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب،

---

(١) راجع ص ٥٩.
(٢) راجع ص ٥٩.
(٣) راجع ص ٥٩.
(٤) راجع ص ٦٠ و ص ٢١٤ بلفظ: لو كان نبي بعدي لكان عمر بن الخطاب.
(٥) راجع ص ٥٩.
(٦) راجع ص ٦٠ و راجع لحديث عائشة وبريدة ص ٦٠. وأما حديث أبي هريرة فينظر من ذكره في هذا المعنى.
(٧) راجع ص ١٨٣.

وفي أسارى بدر. أخرجه مسلم والبخاري[١] نحوه.

(٣٣) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة الدين لعمر الفاروق.

عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص؛ فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص يجره. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين. أخرجه البخاري ومسلم[٢].

(٣٤) فضيلة الشيخين أبي بكر وعمر من حيث كثرة الثواب وعلو الدرجات في الجنة

أما فضيلة الشيخين من حيث كثرة الثواب وعلو الرتبة في الجنة فقد ثبتت في أحاديث كثيرة منها حديث "سيدا كهول أهل الجنة"[٣]، وقد ورد من طريق أنس وعلي وأبي جحيفة وهو:

عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي. أخرجه الترمذي[٤].

وعن علي بطرق مختلفة منها طريق علي بن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع أبوبكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، يا علي لا تخبرهما[٥].

(٣٥) اختصاصهما بغرف الجنة العالية كما ثبت من حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبابكر وعمر منهم وأنعما[٦].

(٣٦) تقدم الشيخين أبي بكر وعمر على سائر الأمة في الحشر

كما ورد في حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبوبكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال: هكذا نبعث يوم القيامة[٧]. وفي رواية عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول من تنشق الأرض عنه

---

(١) راجع ص ٦٠.
(٢) راجع ص ٢٠٥- ٢٠٦.
(٣) راجع ص ٦٠، ٢٠٣.
(٤) راجع ص ٢٠٣.
(٥) راجع ص ٦٠.
(٦) راجع ص ٢٠٦.
(٧) راجع ص ١٨٣.

أنا ثم أبوبكر ثم عمر[١].

(٣٧) أبوبكر الصديق أول من يدخل الجنة من هذه الأمة.

فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني جبرئيل عليه السلام فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي، فقال أبوبكر: يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنك يأبابكر أول من يدخل الجنة من أمتي[٢].

(٣٨) سيتجلى الحق سبحانه وتعالى لأبي بكر خاصة.

فعن جابر في قصة وفد عبد القيس قال: فأجابهم أبوبكر رضي الله عنه بجواب وأجاد الجواب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأبابكر أعطاك الله الرضوان الأكبر. فقال بعض القوم: وما الرضوان الأكبر يا رسول الله ؟ قال: يتجلى الله لعباده في الآخرة عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة[٣].

(٣٩) مرافقة الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم على الكوثر

فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار[٤].

(٤٠) عمر الفاروق أول من يصافحه الله عز وجل ويعانقه.

كما ورد عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة. وفي رواية أخرى عنه: أول من يعانقه الحق يوم القيامة عمر وأول من يأخذ بيده فينطلق به إلى الجنة عمر بن الخطاب[٥].

أفضلية أبي بكر الصديق على عمر الفاروق

وهنا وصلنا إلى أنه من أين ندرك فضيلة أبي بكر على عمر؟

هذا ما ينص عليه حديثا عمار وعائشة فيما يأتي:

(٤١) عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمار أتاني جبريل آنفا فقلت: يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب في السماء، فقال: يا محمد

(١) راجع ص ١٨٢- ١٨٣.

(٢) راجع ص ٥٩.

(٣) راجع ص ٥٩.

(٤) راجع ص ٥٩.

(٥) راجع ص ٢٢٤.

لو حدثتك بفضائل عمر ما لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما مانفدت فضائل عمر، وإن عمر لحسنة من حسنات أبي بكر[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: بينا رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجري في ليلة صاحية إذ قلت: يا رسول الله هل يكون لأحد من الحسنات عدد نجوم السماء؟ قال: نعم، عمر. قلت: فأين حسنات أبي بكر؟ قال: إنما جميع حسنات عمر كحسنة واحدة من حسنات أبي بكر[٢].

(٤٢) الأفضلية المطلقة لأبي بكر وعمر الفاروق رضي الله عنهما

أما أفضليتهما المطلقة دون الاعتبار بصفة محددة فهي مبهمة، وترجع إلى خصلة من هذه الخصال الأربعة السابقة، نص عليها أحاديث عديدة، كحديث عمرو بن العاص وهو:

عن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها. قلت: ثم من ؟ قال: عمر بن الخطاب[٣].

وهذه كناية عن الأفضلية المطلقة.

(٤٣) أفضلية عمر الفاروق

وتثبت أفضلية عمر الفاروق من حديث جابر موقوفا ومرفوعا، ومن حديث أبي سعيد الخدري عن جابر بن عبد الله قال قال عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال أبوبكر: أما إن قلت ذاك فلقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر[٤].

وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة. قال أبوسعيد: والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى بسبيله[٥].

(٤٤) أمره صلى الله عليه وسلم بأن لا يؤم الناس في مرضه إلا أبابكر. ومن المعلوم أن القوم لا يؤمهم إلا أفضلهم. فقد ورد هذا الحديث من طرق عديدة عن عائشة وابن عمر وأبي موسى وعبد الله بن زمعة وعمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود وعلي بن أبي طالب والزبير

---

(١) راجع ص ٢٠٩.
(٢) رواه رزين كما ذكره الخطيب التبريزي في المشكاة في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
(٣) راجع ص ٢٤٦.
(٤) راجع ص ١٤٥.
(٥) ابن ماجة (٤٠٧٧) أبواب الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسى.

ابن العوام وغيرهم.

فعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مروا أبابكر فليصل بالناس. فقالت عائشة: يا رسول الله، إن أبابكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فأمر عمر فليصل بالناس. قالت فقال: مروا أبابكر فليصل بالناس. قالت عائشة فقلت لحفصة: قولي له إن أبابكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فأمر عمر فليصل بالناس. ففعلت حفصة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبابكر فليصل بالناس. فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرا. أخرجه الجماعة(١).

وعنها قالـــت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينبغي لقوم فيهم أبوبكر أن يؤمهم غيره(٢).

وعن ابن عمر لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قيل له في الصلاة، فقال: مروا أبابكر فليصل بالناس. قالت عائشة: إن أبابكر رجل رقيق إذا قرأ غلبه البكاء. قال: مروه فليصل. فعاودته، فقال: مروه فليصل، إنكن صواحب يوسف. أخرجه البخاري(٣).

(٤٥) إشادة النبي صلى الله عليه وسلم بمناقب الخلفاء الأربعة بين جمع من الصحابة، وذلك مستفيض من حديث على المرتضى وأنس وأبي محجن رضي الله عنهم.

فعن علي رضي الله عنه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله أبابكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله. رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا، تركه الحق وماله صديق. رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة. رحم الله عليا، اللهم أدر الحق معه حيث دار(٤).

(٤٦) تشبيهه صلى الله عليه وسلم الشيخين بملكين مقربين وبنبيين من أولي العزم من الرسل.

فقد أخرج الطبراني(٥) بسند حسن عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن في السماء ملكين أحدهما يأمر بالشدة والآخر يأمر باللين وكل مصيب، وذكر جبريل وميكائيل ونبيان أحدهما يأمر باللين والآخر بالشدة وكل مصيب، وذكر إبراهيم ونوحا. ولي صاحبان

---

(١) راجع ص ١٩٩-٢٠٠، وراجع لحديث أبي موسى وغيره ص ١٥٢، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٦- ١٨٧، ١٩٠، ٢١٣- ٢١٤ إلا حديث ابن عمر الذي سيأتي بعده.

(٢) راجع ص ٢٠٠.

(٣) (٦٨٢) كتاب الأذان باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة.

(٤) راجع ص ١٦٦.

(٥) راجع ص ٣٧٩.

أحدهما يأمر باللين والآخر بالشدة وكل مصيب. وذكر أبابكر وعمر.

وعن عبد الله بن عمرو قال: جاء فئام من الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله زعم أبوبكر أن الحسنات من الله وأن السيئات من العباد. وقال عمر: الحسنات والسيئات من الله. فتابع هذا قوم، وتابع هذا قوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأقضين بينكما بقضاء إسرافيل بين جبريل وميكائيل؛ إن ميكائيل قال بقول أبي بكر، وقال جبريل بقول عمر، فقال جبريل لميكائيل: إنا متى نختلف أهل السماء يختلف أهل الأرض فلنتحاكم إلى إسرافيل. فتحاكما إليه، فقضى بينهما بحقيقة القدر وخيره وشره وحلوه ومره كله من الله، ثم قال: يأبابكر إن الله لو أراد أن لا يعصى لم يخلق إبليس. فقال: أبوبكر: صدق الله ورسوله[1].

وأخرج الحاكم[2] من حديث عبد الله بن مسعود في قصة بدر؛ وإشارة أبي بكر بالفداء وإشارة عمر وابن رواحة بالقتل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تقولون في هؤلاء؟ إن مثل هؤلاء كمثل إخوة لهم كانوا من قبلهم؛ قال نوح ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[3] وقال موسى ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ...﴾[4] الآية. وقال إبراهيم ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5]. وقال عيسى ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[6].

(٤٧) كان الصحابة يرون خير الناس أبابكر ثم عمر ثم عثمان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كما ذكر في حديث ابن عمر: كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير أبابكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان. أخرجه البخاري. وفي رواية، كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم. أخرجه أبوداود[7].

يعتبر هذا الحديث من أحاديث الآحاد غير أنه من أصح الأحاديث، وقد جزم بصحته الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما، ويمكننا أن نعده منهج أهل السنة حيث تشير صيغته إلى أنه تقرير. وكذلك باعتبار منطوقه يعد من الإجماع.

---

(١) راجع ص ٣٧٩- ٣٨٠.
(٢) ٢١/٣ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
(٣) سورة نوح: ٢٦.
(٤) سورة يونس: ٨٨.
(٥) سورة إبراهيم: ٣٦.
(٦) سورة المائدة: ١١٨.
(٧) راجع ص ٦٩، ١٨١.

(٤٨) أخذه صلى الله عليه وسلم بمشورة الشيخين أبي بكر وعمر في مواطن عديدة.

فعن عبد الرحمن بن غنم الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر: لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما. رواه أحمد(١).

وأخرج مسلم(٢) في قصة طويلة عن أبي هريرة فقال يعني عمر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أ بعثت أباهريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: نعم. قال: فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلّهم يعملون. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلّهم.

(٤٩) منح لقب الصديق لأبي بكر رضي الله عنه.

وذلك في حديث علي وعائشة رضي الله عنهما. عن النـزال بن سبرة قال: وافقنا عليا رضي الله عنه طيب النفس وهو يمزح فقلنا: حدثنا عن أصحابك، قال: كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابي، فقلنا: حدثنا عن أبي بكر. فقال، ذاك امرؤ سمّاه الله صديقا على لسان جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم. أخرجه الحاكم(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس. قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: وتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم، إني لأصدّقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سُمي أبوبكر الصديق(٤).

---

(١) راجع ص ٢١٦.

(٢) (١٤٧) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

(٣) ٦٢/٣ وقال الذهبي: هلال بن العلاء منكر الحديث، قلت: لم يقل أحد إنه منكر الحديث بل هو صدوق كما في التقريب ص ٥٣٦ بل أبوه العلاء بن هلال منكر الحديث قاله أبوحاتم. وقال النسائي: يروي عنه ابنه غير حديث منكر لا أدري منه أتى أو من أبيه كما في الميزان ١٠٦/٣ والتهذيب ١٩٤/٨ لكن قال ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص ٧٠: إسناده جيد. وذكره الجزري في أسد الغابة ٣١٦/٣ والمحب الطبري في الرياض ٦٨/١ والبخاري في تاريخه ١ ق ٩٩/١ وأبوطالب العشاري في فضائل أبي بكر ص ٤ عن علي بلفظ: يحلف لأنـزل اسم أبي بكر من السماء الصديق. لكن في إسناده عمران بن ظبيان ضعيف كما في التقريب ص ٢٠٠ لكنه لم ينفرد به. راجع الرياض ٦٨/١.

(٤) راجع ص ٢٠٠- ٢٠١.

(٥٠) توليته صلى الله عليه وسلم أبابكر إمارة الحج.

أخرج الحاكم[1] عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبابكر رضي الله عنه وأمره أن ينادي هؤلاء الكلمات[2]... الخ.

وأخرج البخاري[3] عن أبي هريرة في معناه.

إمارة الحج كإمامة الصلاة تعد من أعظم الأمور التي كان يقوم بها النبي صلى الله عليه وسلم لكونه نبيا، بل هي أرفع درجة منها. لأن الإمامة يتولاها رجل واحد في كل مسجد وإمارة الحج تنحصر لإنسان واحد في كل العالم، وبإقامة الصلاة يتقدم المرء على قوم معدودين وبإمارة الحج يثبت تقدمه وفضله على أقوام لا يحصون. وإمارة الحج عندنا تشبه الجلوس على عرش الملك عند غيرنا من الأمم، أو النـــزول في قصر أعاظم الملوك عند الساسانيين والعباسيين وغيرهم أي إشارة إلى الاستخلاف. أما الصحابة فقد استدلوا على الاستخلاف بإمامة الصلاة دون إمارة الحج وذلك لقرب عهد الأولى على خلاف إمارة الحج التي كان قد مرت عليها مدة من الزمن.

(٥١) اختياره صلى الله عليه وسلم عمر الفاروق لمبايعة الناس، وهذا دليل واضح على أفضليته على غيره.

فهذه الأحاديث التي سردناها تدل على أفضلية هؤلاء الأبرار، وهي في الواقع غيض من فيض أي جملة يسيرة من كم جد كبير من أحاديث أردنا من إيرادها هنا بيان الخصال الأربعة التي هي مدار الأفضلية، وليعلم الباحث بأن كل خصلة منها ثبتت بالأحاديث المتواترة بالمعنى.

أما الأفضلية على الأشخاص بأعيانهم من أهل الفضل بتعيين أسمائهم فلم يثبت هنا ثبوتا قطعيا بل يجب الرجوع إلى المباحث الأخرى لتقف على يقين من أمرها.

---

(١) راجع ص ٤٤٦.
(٢) قال المؤلف في الحاشية: أي آيات سورة براءة.
(٣) راجع ص ٤٤٦.

المبحث الثالث
إجماع الأمة على أفضلية المشايخ الثلاثة حسب ترتيب خلافتهم

أجمعت الأمة على أفضلية هؤلاء المشايخ الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم حسب ترتيب الخلافة. ونبين إجماع الأمة من وجهين:

١- تنصيص الثقات الأثبات على هذا الإجماع.

٢- روايات جم غفير من الصحابة والتابعين.

وقد راجعت هذه الأحاديث بما سمح لي الوقت وتحملها حفظي المتواضع فوصلت إلى أن جميعها تتفق على أصل معنى الأفضلية وإن اختلفت طرق دلالاتها.

أما الوجه الأول فعلى رتبتين:

الرتبة الأولى: نقل صريح للإجماع:

فقد ورد في حديث عبد الله بن عمر قال: كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير أبابكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان. أخرجه البخاري[1]، وفي رواية: لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم. أخرجه أبوداود[2].

هذا الحديث من أخبار الآحاد إلا أنه أصح شيء ورد في هذا الباب، ثم تحفه القرائن الكثيرة التي بإجتماعها تعطي المعنى القطعي الدلالة. وهذا ما سنبينه عند نقل الإجماع دلالة وكذلك ذكر الروايات وأقوال الجم الغفير بأنهم كلما تكلموا في الاستخلاف بينوه بلفظ: خير الأمة، وأفضل الناس، والأحق بالخلافة، والأحق بهذا الأمر، وكأن الأمر كان مفروغا منه عندهم ولم يكونوا بحاجة إلى سرد الأدلة وتحقيق المقال.

الرتبة الثانية: نقل الإجماع دلالة.

والتي تقف على أصل وهو أن السكوت قبل تدوين المذاهب يعد إجماعا. وهذا ما سنوضحه في الأنواع الخمسة الآتية:

النوع الأول:

عد كثير من فقهاء الصحابة أبابكر الصديق عند انعقاد الخلافة له أفضل الأمة، ومن هنا

---

(١) راجع ص ٦٩.

(٢) راجع ص ١٨١.

استدلوا على استخلافه، وسلّم به سائر الصحابة ووافقوهم عليه سواء في المجلس نفسه أو بعد توقف يسير. ويعد السكوت والتسليم قبل تدوين المذاهب إجماعا كما وضحنا في محلّه، ففي حديث عمر رضي الله عنه قال قلت: يا معشر الأنصار، يا معشر المسلمين؛ إن أولى الناس بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾؛ أبوبكر السباق المبين ثم أخذت بيده، الحديث. أخرجه ابن أبي شيبة(١) من حديث ابن عباس في قصة سقيفة بني ساعدة.

وكذلك في حديث عمر الفاروق رضي الله عنه في قصة البيعة العامة، عن أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم فتشهد وأبوبكر صامت لا يتكلم. قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا – يريد بذلك أن يكون آخرهم – فإن يك محمد قد مات فإن الله عز وجل قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به وبه هدى الله محمدا وإن أبابكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين وإنه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه. أخرجه البخاري(٢).

وكذلك من حديث عمر الفاروق رضي الله عنه الذي رواه ابن مسعود قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. قال: فأتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار؛ أ لستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبابكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: بلى. قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبابكر؟ قالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبابكر(٣).

ومن حديث أبي عبيدة بن الجراح، فقال: تأتوني وفيكم ثالث ثلاثة -يعني أبابكر. أخرجه ابن أبي شيبة(٤). وأخرج أحمد(٥) معناه غير أنه ذكر استدلال أبي عبيدة باستخلافه صلى الله عليه وسلم إياه في الصلاة.

ومن حديث علي المرتضى والزبير رضي الله عنهما حين رجعا إلى البيعة: ما غضبنا إلا أنا أخرنا عن المشاورة وإنا نرى أبابكر أحق الناس بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. إنه لصاحب الغار وثاني اثنين وإنا لنعلم شرفه وكبره ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي. أخرجه الحاكم(٦).

---

(١) راجع ص ١٥٢.
(٢) راجع ص ١٥٠.
(٣) راجع ص ١٧٨– ١٧٩.
(٤) راجع ص ١٧١.
(٥) الفضائل (١٢٨٤)، والمسند ٣٥/١ والحاكم ٢٦٧/٣ وإسناده منقطع، وله طريق آخر عند أبي بكر المروزي رقم ١٦٠، ١٦١ إلا أنه منقطع أيضا.
(٦) راجع ص ١٧٢.

النوع الثاني:

كان عمر رضي الله عنه يعد مناقب أبـــي بكر ويصرح بأفضليته على المنبر و لم يرد أن أحدا من الصحابة رد عليه أو اعترض عليه.

ففي حديث عبد الله بن عباس قال عمر: كان والله أن أُقـــدَّم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من حيث إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبوبكر، اللهم إلا أن تسوِّل بي نفسي عند الموت شيئا لا أجده الآن. أخرجه البخاري[(١)].

وكذلك من حديث ابن عباس: قال عمر في جواب من قال: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت: ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر. أخرجه البخاري[(٢)].

في حين أن عادة القوم في المحاسبة والاعتراض على ما خفي واضحة معلومة لا ينكرها أحد، كما ثبت من النصوص العديدة التي تبلغ مبلغ التواتر بالمعنى، وفيما ذكرنا عن الفاروق أوردنا بعضها. فقد روي أنه قال يوما على المنبر: يا معاشر المسلمين ماذا تقولون لوملت برأسي إلى الدنيا كذا، وميَّل رأسه. فقام إليه رجل فاستل سيفه، قال: أجل كنا نقول بالسيف كذا وأشار إلى قطعه. فقال: إياي تعني بقولك؟ قال: نعم، إياك أعني بقولي فنهره عمر ثلاثا، وهو ينهر عمر. فقال: رحمك الله، الحمد لله الذي جعل في رعيتي إذا تعوَّجت قوَّمني[(٣)].

النوع الثالث:

يوم أن رشح أبوبكر الصديق رضي الله عنه عمر الفاروق خليفة من بعده سرد الحديث في بيان مناقبه وأفضليته فلم يرد عليه أحد و لم يعترض إنسان.

فقد ورد في حديث زبيد بن الحارث أن أبابكر حين حضره الموت أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناس: تستخلف علينا فظا غليظا ولو قد ولينا كان أفظ وأغلظ؟ فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر؟ قال أبوبكر: أ بربي تخوفوني؟ أقول: اللهم استخلفت عليهم خير خلقك، ثم أرسل إلى عمر فقال: إني موصيك بوصية ... الحديث. أخرجه ابن أبي شيبة[(٤)].

ومن حديث أبي بكر الصديق الذي روي عن جابر بن عبد الله قال قال عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال أبوبكر: أما إن قلت ذاك فلقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر. أخرجه

---

(١) راجع ص ١٥٠.
(٢) راجع ص ١٥٠.
(٣) المحب الطبري في الرياض ٦٦/٢.
(٤) راجع ص ٧٠.

الترمذي والحاكم[١]، والمعنى: إنه خيرهم في أيام خلافته.

النوع الرابع:

اشترط عبد الرحمن بن عوف في جمع عظيم من الصحابة على المرشحين للخلافة أن يتبعوا سيرة الشيخين أبي بكر وعمر، والكل ارتضوا هذا الشرط، أما علي رضي الله عنه فقد ناقش الأمر من حيث تفضيل عثمان عليه أو عدمه ولم يعترض على الشرط. فهذا دليل قاطع على أفضلية الشيخين أبي بكر وعمر لأن إرجاع أحد المجتهدين على المفضول أو على من يساويه في المرتبة غير معقول.

ورد في حديث المسور بن مخرمة: فأرسل - يعني عبد الرحمن — إلى من كان حاضرا من المهاجرين والأنصار وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد، يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلنَّ على نفسك سبيلاً. فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس والمهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون. أخرجه البخاري[٢].

ومن حديث أبي الطفيل قال: لما أُحتضر عمر جعلها شورى بين علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد، فقال لهم علي: أنشدكم الله هل فيكم أحد آخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبينه إذ آخا بين المسلمين غيري؟ قالوا: اللهم، لا. أخرجه أبوعمرو[٣].

وأخرج البخاري[٤] في قصة الاتفاق على عثمان من حديث عمرو بن ميمون: فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن: إجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي. وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن. فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلامُ لينظرنَّ أفضلهم في نفسه فأسكت الشيخان. فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليَّ؟ والله عليَّ لا آلو عن أفضلكم. قالا: نعم. فأخذ بيد أحدهما وقال: لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمَّرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمانَ لتسمعن ولَتُطيعنَّ. ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: إرفع يدك يا عثمان، فبايعه، وبايع له علي ووَلج أهل الدار فبايعوه.

---

(١) راجع ص ١٤٥.

(٢) (٧٢٠٧) كتاب الأحكام باب كيف يبايع الإمام الناس.

(٣) الاستيعاب ٢/٤٦٠ وفي إسناده زياد بن المنذر رافضي كذبه يحي بن معين كما في التقريب ص ١٧١.

(٤) راجع ص ١٧٢.

النوع الخامس:

لقد بين علي الـــمرتضى في أيام خلافته في العديد من مجالسه أفضلية الشيخين أبي بكر وعمر وزجر فئة من الناس كانوا يسيئون الظن بهما، وكانت هذه المجالس تحتفل بفقهاء الصحابة، ولم يرد فيها أي إعتراض أو منع، وقد بلغت هذه الآثار حد التواتر، وسنورد تفصيلها فيما بعد.

لكن قبل أن نخوض في ذكر آثار الصحابة والتابعين ورواياتهم نشير إلى نكتة مهمة لا غنى عنها.

روايات الصحابة والتابعين وغيرهم من العدول والثقات - قبل أن يتمذهب الناس المذاهب، ويتخذوا في التعصب المشارب، وقبل أن تجمع أحاديث البلدان ويسعى كل لإسقاط فهمه وتأويلاته على النصوص — إذا نصوا على صحتها وجزموا بها تدل على إيمانهم بمنطوقها؛ لأنه لو لم يؤمن الراوي بما يرويه مع جزمه بصحته فهو ساقط العدالة مردود.

قيدنا كلامنا هذا بفترة ما قبل التدوين وإنشاء المذاهب. لأن الفترة المتأخرة شاع فيها أنه لا يقدر على العمل بالأحاديث إلا المجتهد المطلق وفي هذا العصر فُقد الاجتهاد!

فقد شاع هذا الرأي وكثر حتى صار عادة مستمرة، ورغم أن هذا الرأي كله خطأ لكن الناس التمسوا لأنفسهم أعذارا، وكذلك تضاربت آراؤهم وتأويلاتهم في الأحاديث. فمن المتوقع بل من الحاصل أن يروي بعض العلماء حديثا ويجزموا بصحته من غير أن يعملوا بمقتضاه، ومع ذلك لا تسقط عدالتهم، لأنهم يُرجعون ذلك إلى خطأ في الاجتهاد خلافا لما كان عليه سلف الأمة في العصر القديم إذ لم يحدث فيهم مثل هذه الأمور.

وقيدنا الأمر "بالمنطوق" إذ يحدث أن يروي عدل ثبت حديثا وهو يجزم بصحته لكن للحديث معنى دقيقا ومأخذا لا يدركه ولا يفهمه، فضلا عن أن يقول به أو يتخذه مذهبا له، إذ تختلف درجات العقول وتتفاوت مراتبها في الإدراك والفقه ومن ثم لهم مذاهب شتى في القبول والرد، وهذا يشبه ما قاله الأصوليون بأن سكوت القوم على أمر ما قبل تدوين المذاهب -لا بعده- يعد إجماعا على قبوله. إذن كل من روى حديثا يشير ظاهره ومنطوقه إلى أفضلية الشيخين يمكن أن نعدّه في عداد الإجماع والإتفاق العام.

والآن بعد ما ذكرنا هذه النكتة ووضحناها نعود إلى أصل الموضوع.

يتعذر علينا إستيعاب جميع أقوال فقهاء الصحابة والتابعين وحكاياتهم في أفضلية الشيخين أبي بكر وعمر بالتفصيل لكثرتها، فنكتفي هنا بنماذج منها.

(١) أقوال أبي بكر في بيان أفضليته

فمن أقوال أبي بكر الصديق رضي الله عنه في بيان أفضليته:

(١) قد أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال أبوبكر: أ لست أحق الناس بها؟ أ لست أول من أسلم؟ أ لست صاحب كذا؟ أ لست صاحب كذا؟ وقد اختلف في إرسال هذا الحديث ووصله.

(٢) وعن عمرو بن الحارث عن أبيه أن أبابكر الصديق قال: أيكم يقرأ سورة التوبة؟ قال رجل: أنا. قال: اقرأ، فلما بلغ ﴿يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ بكى وقال: والله أنا صاحبه[1].

(٢) أقوال أبي بكر في بيان أفضلية عمر الفاروق

ومن أقوال أبي بكر الصديق في أفضلية عمر رضي الله عنهما:

(١) فقد أخرج الترمذي[2] عن جابر بن عبد الله قال قال عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال أبوبكر: أما إن قلت ذاك فلقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر.

(٢) وأخرج أبوبكر[3] بن أبي شيبة عن زبيد بن الحارث أن أبابكر حين حضره الموت أرسل إلى عمر ليستخلفه فقال الناس: تستخلف علينا فظا غليظا، ولو قد ولينا كان أفظّ وأغلظ فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر؟ قال أبوبكر: أ بربي تخوفوني؟ أقول: اللهم استخلفت عليهم خير خلقك... الحديث

(٣) وأخرج أبوبكر[4] بن أبي شيبة عن محمد عن رجل من بني زريق في قصة طويلة قال أبوبكر لعمر: أنت أقوىٰ مني. فقال عمر: أنت أفضل مني.

(٣) أقوال عمر الفاروق في أفضلية أبي بكر الصديق

أما أقوال عمر الفاروق في أفضلية أبي بكر الصديق فلا تعد ولا تحصى وقد بلغت حد التواتر، وتصفه هذه الروايات بـــخير الناس والسبّاق إلى الخير والأحق بالخلافة. ومن المعلوم أنه

---

(١) راجع ص ٤٥١.

(٢) راجع ص ١٤٥، ورواه عقبة بن خالد عن شعبة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد، وعبدالرحمن عن شعبة عن الجريري عن أبي نضرة قال: قال أبوبكر الخ. قال الترمذي: وهذا أصح.

(٣) راجع ص ٧٠.

(٤) راجع ص ٧٠.

يشترط الكمال في الخلافة. والأحق بالخلافة هو أكمل الناس في هذه الصفات لا محالة.

(١) فقد أخرج البخاري[١] عن عائشة في قصة سقيفة بني ساعدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأخرج الحاكم[٢] عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن عمر قال: كان أبوبكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) و أخرج البخاري[٣] عن ابن عباس خطبة عمر في قصة الإتفاق على أبي بكر وجواب من قال: إنما كان بيعة أبي بكر فلتة، وفي تلك الخطبة قال عمر: ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلانا، فلا يغترنَّ امرؤ أن يقول إنما كان بيعة أبي بكر فلتة وتمت ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها وليس فيكم من يقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر.

وفي هذا الحديث أيضاً: كان والله أن أقدم فيضرب عنقي لا يقربني ذلك من حيث إثم أحبَّ إلي من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبوبكر.

(٣) ومن حديث أنس الذي أخرجه البخاري[٤] أنه سمع خطبة عمر الآخرة وفيها: فإن يك محمد صلى الله عليه وسلم قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به، هدى الله محمدا صلى الله عليه وسلم وإن أبابكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين، وإنه أولى المسلمين بأموركم. فقوموا فبايعوه.

(٤) ومن حديث شيبة الذي أخرجه البخاري[٥] عن أبي وائل قال: جلست مع شيبة على الكرسي في الكعبة فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر فقال: هممت أن لا أدع فيها صفرآء ولا بيضآء إلا قسَّمته. قلت: إن صاحبيك لم يفعلا. قال: هما المرآن أقتدي بهما.

(٥) ومن حديث رجل من بني زريق الذي أخرجه أبوبكر بن أبي شيبة[٦] في قصة الاتفاق على أبي بكر قال عمر: فبايعوا أبابكر. فقال أبوبكر لعمر: أنت أقوى مني. فقال عمر: أنت أفضل مني. فقالاها الثانية، فلما كانت الثالثة قال له عمر: إن قوتي لك مع فضلك. قال: فبايعوا أبابكر.

---

(١) راجع ص ١٥٠.
(٢) راجع ص ١٥٠.
(٣) راجع ص ١٥٠.
(٤) راجع ص ١٥٠.
(٥) راجع ص ١٥٠- ١٥١.
(٦) راجع ص ١٥١.

(٦) ومن حديث جابر بن عبد الله، قال عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال أبوبكر: أما إنك إن قلت ذلك فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر. أخرجه الترمذي[١].

(٧) ومن حديث ابن عمر قال: قيل لعمر ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبوبكر، وإن أترك فقد ترك من هوخير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخرجه البخاري[٢].

(٨) وعن ضبة بن محصن قال قلت لعمر بن الخطاب: أنت خير من أبي بكر. فبكى وقال: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر عمر. هل لك أن أحدثك عن ليلته ويومه؟ قال: قلت: نعم، يا أمير المؤمنين. قال: أما ليلته؛ فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هاربا من أهل مكة خرج ليلاً فتبعه أبوبكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا أبابكر من فعلك؟ قال: يا رسول الله؛ أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يـمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك. قال: فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه، فلما رآها أبوبكر رضي الله عنه أنهما قد حفيتا حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى أتى به فم الغار فأنـزله ثم قال له: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله. فإن كان فيه شيء نـزل بي قبلك. فدخل فلم ير شيئا فحمله فأدخله وكان في الغار فرق فيه حيات وأفاعي، فخشي أبوبكر أن يخرج منهن شيء فيؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقمه قدمه فجعل يضربنه وتلسعه الحيات والأفاعي وجعلت دموعه تنحدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يا أبابكر ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فأنـزل الله سكينة وطمأنينة لأبي بكر، فهذه ليلته. وأما يومه؛ فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب فقال بعضهم: نصلي ولا نـزكي، وقال بعضهم: لا نصلي ولا نـزكي، فأتيته ولا آلوه نصحا. فقلت: يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم. فقال: جبار في الجاهلية خوار في الإسلام؟ فبماذا أتألفهم، بشعر مفتعل أو بشعر مفترى؟ قُبض النبي صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا مما كانوا يعطون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه فقاتلنا معه وكان والله رشيد الأمر، فهذا يومه[٣].

---

(١) راجع ص ١٤٥.

(٢) (٧٢١٨) كتاب الأحكام باب الاستخلاف. ومسلم (٤٧١٣) كتاب الإمارة باب الاستخلاف وتركه.

(٣) راجع ص ٤٤٩- ٤٥٠.

(٩) ومن حديث علقمة بن قيس قال: جاء رجل إلى عمر وهو بعرفة فذكر قصة عبدالله بن مسعود وبشارة النبي صلى الله عليه وسلم له، قال عمر: قلت والله لأغدون إليه فلأبشرنه. قال: فغدوت إليه لأبشره فوجدت أبابكر وقد سبقني إليه فبشره، ولا والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه. أخرجه أحمد[١].

(١٠) ومن حديث أسلم مولى عمر قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق، فذكر الحديث إلى أن قال: قلت لا أسبقه إلى شيء أبدا. أخرجه الترمذي[٢].

(١١) ومن حديث مالك بن أوس بن حدثان النضري الذي أخرجه البخاري[٣] في قصة بني النضير ومخاصمة عباس وعلي: والله يعلم إنه بار راشد تابع للحق.

(٤) أقوال عمر الفاروق رضي الله عنه في ذكر أفضليته هو:

وأما أقوال عمر الفاروق رضي الله عنه في ذكر أفضليته:

(١) فمنها قوله: وافقت ربي في ثلاث؛ في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر. أخرجه مسلم والبخاري[٤] بنحوه.

(٢) وفي صحيح مسلم[٥] في حديث ابن عباس صُرِّح بشكل أوضح بكل ذلك عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمر عن امرأتين نزلت فيهما قوله تعالى ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[٦].

(٣) وأخرج محمد بن الحسن في الموطأ[٧] عن سالم بن عبد الله قال قال عمر بن الخطاب: لو علمت أن أحدا أقوى على هذا الأمر مني لكان أن أقدم فيضرب عنقي أهون علي، فمن ولي هذا الأمر بعدي فليعلم أن سيرده عنه القريب والبعيد وأيم الله إن كنت لأقاتل الناس عن نفسي.

---

(١) راجع ص ١٥١.
(٢) (٣٦٧٥) أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب رجاؤه أن يكون أبوبكر ممن يدعى من جميع أبواب الجنة، وقال: حسن صحيح. وأبو داود (١٦٧٨) والحاكم ١/٤١٤ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
(٣) (٥٣٥٧) كتاب النفقات باب حبس الرجل قوت سنة على أهله. ومسلم (٤٥٧٧) كتاب الجهاد والسير باب حكم الفيء.
(٤) راجع ص ٦٠.
(٥) راجع ص ٥٨٩- ٥٩٠.
(٦) سورة التحريم: ٤.
(٧) باب النوادر ص ٤٠٠ عن مالك ورجاله ثقات.

(٥) أقوال عمر الفاروق رضي الله عنه في مناقب الستة

وأما أقوال عمر الفاروق رضي الله عنه في مناقب الستة الذين أوصى لهم بالخلافة.

(١) فمنها حديث مسلم[١]: فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة[٢] الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض.

(٦) أقوال عثمان في مناقب الشيخين أبي بكر وعمر مع منقبته هو

ومما قاله عثمان ذو النورين رضي الله عنه في مناقب الشيخين أبي بكر وعمر وفي منقبته هو؛ حديث مرفوع رد به على من أنكروا خلافته، وهو:

(١) قال عثمان: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه أبوبكر وعمر وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال: فركضه برجله فقال: اسكن ثبير، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان. قالوا: اللهم، نعم. قال: الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد، ثلاثاً[٣].

(٢) ومنها روايته في فضائل نفسه وبشارات الرسول صلى الله عليه وسلم له، وهذا باب طويل راجعه في مناقب عثمان ذي النورين في مواطنه.

(٣) منها قوله في قضية الجد إذ قال عمر الفاروق بشراكته؛ وإن نتبع الشيخ قبلك فنعم الشيخ كان[٤]، يعني أبابكر.

(٤) وقوله لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في الحديث: ما نجاة هذا الأمر، "كنت أحق بهذا"[٥].

(٥) رده لاعتراضات عبد الرحمن بن عوف إذ طعن فيه فأجابه: إني لم أترك سنة عمر فإني لا أطيقها ولا هو، أخرجه أحمد[٦].

---

(١) راجع ص ٥٠.

(٢) وهم: علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم.

(٣) راجع ص ٥٠.

(٤) البيهقي ٢٤٦/٦ وعبد الرزاق ٢٦٣/١٠ والدارمي ٣٥٤/٢.

(٥) أحمد ٦/١ وأبو يعلى رقم ١٠، وأبوبكر المروزي في مسند أبي بكر ص ٤٦ والبزار كما في الكشف ٨/١، ٩ والطبراني في الأوسط كما في المجمع ١٤/١ وقال: فيه رجل لم يسم لكن الزهري وثقه وأبهمه. قلت: ورواه أبو يعلى (٩)، والمروزي في مسند أبي بكر (٢٠) والبزار من طريق عبد الله بن بشر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عثمان، وقال البزار وأبو زرعة: هذا خطأ فيما سمى سعيد بن المسيب والصواب ما رواه معمر وغيره عن الزهري عن رجل من الأنصار عن عثمان كما في التهذيب ١٦١/٥.

(٦) راجع ص ١٥٧..

(٦) وروى عبد الله[١] بن عدي بن الخيار قال عثمان: أما بعد، فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمنت بما بعث به وهاجرت الـــهجرتين، كما قلتــه، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعته فوالله ما عصيتــه ولا غششته، حتى توفاه الله عز وجل ثم أبوبكر مثله ثم عمر مثله ثم استخلفت؛ أ فليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى. قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟! الحديث[٢].

(٧) أقوال علي في أفضلية الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهم.

يجب أن نعلم بأن أفضلية الشيخين كانت مذهب جميع أهل الحق بلا استثناء وقد بينوه لكن لم تكن تصريحاتهم أقوى وأحكم كما صرح به علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالأسلوبين مرفوعا وموقوفا، فإن الصحابة وإن كانوا قد صرحوا بأفضلية الشيخين وبينوها من خلال روايات مرفوعة أو موقوفة، وبين كل منهم خصلة من الخصال الأربعة السابقة الذكر فإن عليا المرتضى رضي الله عنه صرح بالخصال الأربعة كلها، فإن كانت رواياتهم مستفيضة أو أخبار آحاد فإن روايات علي متواترة كروايات عمر الفاروق رضي الله عنه.

فمن مرفوعاته:

(١) أبوبكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي، أخرجه الترمذي وابن ماجه. فهذا الحديث يصرح بأفضليتهما على جميع الصحابة.

وهو مستفيض من الـــمرتضى رضي الله عنه، برواية الشعبـــي عن الحارث عن علي عند الترمذي وابن ماجه.

وبرواية الحسن بن زيد بن الحسن عن أبيه عن جده عن علي عند عبد الله بن أحمد في زوائد المسند.

وبرواية الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب عند الترمذي[٣].

وقد وافق عليا على هذا الحديث غيره.

فقد روى أنس مثله، وحديثه عند الترمذي وأبوجحيفة مثله. وحديثه عند ابن ماجه[٤].

---

(١) والصواب: عبيد الله.

(٢) راجع ص ١٥٥.

(٣) راجع ص ١٦٠.

(٤) راجع ص ٢٣٩.

(٢) وحديث النجباء الرقباء، أخرجه الترمذي[١] عن علي.

(٣) والحديث: إن تؤمروا أبابكر تجدوه هاديا أمينا. أخرجه الترمذي[٢].

(٤) والحديث: رحم الله أبابكر، أخرجه الترمذي[٣] من حديث أبي حبان التيمي عن أبيه عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله أبابكر زوجني ابنته.

وأما **موقوفاته** فمنها

(١) خير هذه الأمة أبوبكر ثم عمر، متواتر[٤] رواه ثمانون نفسا عن علي؛ منهم ابنه

---

(١) راجع ص ٦١.

(٢) راجع ص ٦٣.

(٣) راجع ص ١٦٦.

(٤) كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ١/ ٢١٣. أما حديث ابن الحنفية، وابن سلمة، وعلقمة، وعبد الخير، وأبي جحيفة، ونزال بن سبرة فكلهم عن علي، راجع ص ١٧٩ و ص ١٨١ من حاشيتنا هذه، وحديث نزال عزاه الإمام المؤلف لابن عبد البر، وقد رواه عبد الله في زوائد الفضائل (٣٢٩) وإسناده حسن. ومنها حديث وهب السوائي رواه أحمد ١٠٦/١ وأبو نعيم في أخبار أصبهان ١٩٠/٢.

- ومنها حديث عمرو بن حريث عن علي رواه عبد الله في زوائد الفضائل (٣٩٨، ٦٣٥)، والدولابي في الكنى ٣٣/٢ والعشاري في فضائل أبي بكر ص ١٠.
- وحديث أبي وائل عن علي عند الحاكم ٧٩/٣ والعشاري في الفضائل ص ٥.
- وحديث شقيق بن سلمة فرواه العشاري في الفضائل.
- وحديث صعصعة بن صوحان عنه، عند الحاكم ٤٥/٣.
- وحديث أبي جعد عنه، عند البخاري في تاريخه ٣٠٦/٢ في ترجمة رافع بن سلمة.
- وحديث علي بن ربيعة الوالبي عنه، رواه عبد الله في السنة ٥٩٠/٢ والفضائل لأحمد ٣٢٢/١.
- وحديث مسعدة البجلي عنه، المصدر السابق.
- وحديث أبي كثير عنه، المصدر السابق.
- وحديث الحارث عنه عند عبد الله في السنة رقم ١٣٨٦، والفضائل رقم ٤١٨.
- وحديث محمد بن علي عنه، عند عبدالله في الفضائل رقم ٤٣٠.
- وحديث كثير عنه، عند العشاري في الفضائل ص ٨.
- وحديث أبي حية عنه، عند عبدالله في الفضائل رقم ٤١٥، والسنة ٨٥/٢.
- وحديث شقيق بن سلمة عنه، عند البيهقي في الاعتقاد ص ١٨٤ والسنن ١٤٩/٨.
- وحديث صعصعة بن صوحان عند الحاكم ١٤٥/٣.
- وحديث أبي أمامة عن علي عند عبد الرزاق ٤٤٧/٣، ٤٤٨.
- وحديث القاضي شريح عنه عند ابن عساكر في تهذيبه ٣٠٥/٦ وزاد فيه: ثم عثمان ثم أنا. لكن قال الذهبي: هذا لفظ منكر لم يقله علي. انظر هامش سير أعلام النبلاء ٤١٧/١٦.
- وحديث رجل عن علي عند أبي يوسف في الآثار رقم ٩٢٤.

وقد قال ابن كثير في البداية ١٣/٨ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٣٥ والذهبي كما ذكره، وابن حجر الهيتمي في الصواعق ص ٦٠ والكتاني في نظم المتناثر ص ١٢٢: إنه متواتر عن علي، وقال

محمد بن الحنفية عند البخاري، ومنهم عبد الله بن سلمة وعلقمة بن قيس وعبدالخير صاحب لواء علي، روي ذلك عن أبي الخير[1] بطرق متكثرة، ومنهم أبوجحيفة روى عنه جماعات منهم عاصم عن زر عن أبي جحيفة والشعبي عن أبي جحيفة وأبوإسحاق عن أبي جحيفة وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه ومنهم نــزال بن سبرة عن علي[2]:

(٢) ومن موقوفه: سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى أبوبكر وثلّث عمر. وروي عن أبي جحيفة وجابر نحوه.

(٣) وحكمه بتعزير من فضله على الشيخين أبي بكر وعمر كما أخرجه أبوعمر في الاستيعاب[3] عن الحكم بن حجل قال قال علي: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري.

(٤) وأخرج أبوالقاسم الطلحي في كتاب السنة[4] له من طريق سعيد بن أبي عروبة عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: بلغ عليا أن أقواما يفضلونه على أبي بكر وعمر فصعد الــمنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه بلغني أن قوما يفضلوني على أبي بكر وعمر ولو كنت تقدمت فيه لعاقبت فيه، فمن سمعته بعد هذا اليوم يقول هذا فهو مفتر عليه حد المفتري، ثم قال: إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر ثم الله أعلم بالخير بعد. قال: وفي المجلس الحسن بن علي فقال: والله لو سمى الثالث لسمى عثمان.

و(٥) أخرج أبوالقاسم الطلحي[5] عن عبد خير صاحب لواء علي أن عليا قال: ألا أخبركم بأول من يدخل الجنة من هذه الأمة بعد نبيها؟ فقيل له: بلى يا أمير المؤمنين. قال: أبوبكر ثم عمر. قيل: فيدخلانها قبلك يا أمير المؤمنين؟ فقال علي: إي، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليدخلانها وإني لمع معاوية موقوف في الحساب.

(٨) أقوال سادات أهل البيت في مناقب الشيخين

أما أقوال سادات أهل البيت في مناقب الشيخين أبي بكر وعمر فكثيرة جدا وسنكتفي هنا بذكر نماذج منها.

شيخ الإسلام في الوصية الكبرى: قد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر رضي الله عنهما.

(١) عن أبي الخير [عن عبد الخير].
(٢) راجع ص ١٦١، ١٦٢، ١٦٣.
(٣) راجع ص ١٦٥.
(٤) راجع ص ١٦٥.
(٥) راجع ص ١٦٥.

(١) العباس بن عبد المطلب

نبدأ بالعباس بن عبد المطلب الذي هو أسن أهل البيت وأكبرهم.

فعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ جآء العباس إلى علي رضي الله عنه فقال: انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان هذا الأمر لنا من بعده لم تشاحنا فيه قريش، وإن كان لغيرنا سألناه الوصاة بنا. قال: لا. قال العباس: فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا فذكرت ذلك له. فقال: إن جعل أبوبكر خليفتي على دين الله ووحيه وهو مستوصى، فاسمعوا له وأطيعوا تهتدوا وتفلحوا واقتدوا به ترشدوا. وقال ابن عباس: فما وافق أبابكر على رأيه ولا وازره على أمره ولا أعانه على شانه إذ خالفه أصحابه في ارتداد العرب إلا العباس. قال: فوالله ما عدل رأيهما وحرفهما رأي أهل الأرض أجمعين[١].

(٢) علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس

أما علي بن أبي طالب فقد ذكرت أقواله ورواياته فيما سبق. وسوف نذكر أقوالا لعبدالله بن عباس فيما بعد.

(٣) عبد الله بن جعفر

وأما عبد الله بن جعفر فقد أخرج الحاكم[٢] عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبدالله بن جعفر قال: ولينا أبوبكر فكان خير خليفة الله وأرحمه بنا وأرضاه علينا.

(٤) الحسن المجتبى

(١) وأما عن الحسن المجتبى فقد أخرج أبويعلى[٣] من طريق أبي مريم رضيع الجارود قال: كنت بالكوفة فقام الحسن بن علي خطيبا فقال: أيها الناس رأيت البارحة في منامي عجبا؛ رأيت الرب تعالى فوق عرشه فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام عند قائمة من قوائم العرش فجاء أبوبكر فوضع يده على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر فوضع يده على منكب أبي بكر ثم جاء عثمان فكان بيده رأسه فقال: رب سل عبادك فيم قتلوني؟ قال: فانبعث من السماء ميزابان من دم في الأرض. قال فقيل لعلي: ألا ترى ما يحدث به الحسن؟ قال: يحدث بما رأى.

(٢) وذكر المحب الطبري[٤] عن ابن السمان أنه أخرج في كتابه عن الحسن بن علي قال: لا أعلم عليا خالف عمر ولا غير شيئا مما صنع حين قدم الكوفة.

---

(١) راجع ص ٦٠٧.
(٢) راجع ص ٢٤٧.
(٣) راجع ص ٢٥١.
(٤) راجع ص ٢٥١.

(٣) وذكر[1] أيضاً عنه في كتاب الموافقة عن أبي جعفر قال: بينما عمر يمشي في طريق من طرق المدينة إذ لقيه علي ومعه الحسن والحسين رضي الله عنهم وأخذ بيده فاكتنفاهما الحسن والحسين عن يمينهما وشمالهما قال: فعرض له من البكآء ما كان يعرض له، فقال له علي: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: ومن أحق مني بالبكاء يا علي؟ وقد وليت أمر هذه الأمة أحكم فيها ولا أدري أم مسيء أنا أم محسن؟ فقال له علي: والله إنك لتعدل في كذا وتعدل في كذا. قال: فما منعه ذلك من البكاء. ثم تكلم الحسن بما شاء الله فذكر من ولايته وعدله فلم يمنعه ذلك، فتكلم الحسين بمثل كلام الحسن. فقال: أتشهدان بذلك يا ابني أخي؟ فسكتا فنظرا إلى أبيهما فقال علي: اشهدا وأنا معكما شهيد.

(٥) أقوال أولاد الحسن المجتبى

أما أقوال أولاد الحسن المجتبى

(١) فقد أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند[2] عن الحسن بن زيد بن الحسن قال: حدثني أبي عن أبيه عن علي، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل أبوبكر وعمر فقال: يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين.

(٢) وذكر المحب الطبري[3] عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد سئل عن أبي بكر وعمر فقال: أُفضلهما وأستغفر لهما، فقيل له: لعل هذا تقية وفي نفسك خلافه. قال: لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم إن كنت أقول خلاف ما في نفسي.

(٣) وعنه، وقد سئل عنهما فقال: صلى الله عليهما وسلم ولا صلى على من لم يصل عليهما.

(٦) أقوال أولاد الحسين

ومن أقوال أولاد الحسين رضي الله عنه:

(١) **أما مرفوعاً** فقد أخرج الترمذي[4] عن الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع أبوبكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما.

---

(١) راجع ص ٢٥١- ٢٥٢.
(٢) راجع ص ٢٥٢.
(٣) راجع ص ٢٥٢.
(٤) راجع ص ١٦٠.

(٢) **وأما موقوفا** فقد أخرج أحمد[(١)] في مسند ذي اليدين عن أبي حازم قال: جاء رجل إلى علي بن الحسين فقال: ما كان منـــزلة أبي بكر وعمر من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: منـــزلتهما الساعة[(٢)].

(٣) وأخرج الحاكم[(٣)] من طريق عبد الله بن عمر بن أبان قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله أن عليا دخل على عمر وهو مسجى فقال: صلى الله عليك. ثم قال: ما من الناس أحد أحب إلي أن ألقى الله بما في صحيفته من هذا المسجى.

(٤) وأخرج محمد بن الحسن عن أبي حنيفة قال: حدثنا أبوجعفر محمد بن علي قال: جاء علي بن أبي طالب إلى عمر بن الخطاب حين طعن فقال: رحمك الله فوالله ما في الأرض أحد كنت ألقى الله بصحيفته أحب إلي منك[(٤)].

(٥) وروي عن ابن أبي حفصة قال: سألت محمد بن علي وجعفر بن محمد عن أبي بكر وعمر، فقالا: إماما عدل نتولاهما ونتبرأ من عدوهما. ثم التفت إلى جعفر بن محمد فقال: يا سالم أيسب الرجل جده؟ أبوبكر الصديق جدي لا تنالني شفاعة جدي محمد صلى الله عليه وسلم إن لم أكن أتولاهما وأتبرأ من عدوهما[(٥)].

(٦) وعن أبي جعفر أنه قال: من جهل فضل أبي بكر وعمر جهل السنة[(٦)].

(٧) وقيل له: ما ترى في أبي بكر وعمر؟ فقال: إني أتولاهما وأستغفر لهما، فما رأيت أحداً من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما[(٧)].

(٨) وعنه قال: من شك فيهما كمن شك في السنة. وبغض أبي بكر وعمر نفاق، وبغض الأنصار نفاق، إنه كان بين بني هاشم وبين بني عدي وبني تيم شحناء في الجاهلية فلمّا أسلموا نـــزع الله ذلك من قلوبهم حتى إن أبابكر اشتكى خاصرته فكان علي يسخن يده بالنار ويكمد بها خاصرة أبي بكر ونـــزلت فيهم هذه الآية ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[(٨)]، [(٩)].

---

(١) راجع ص ٢٥٣.
(٢) أي كما هما الآن؛ دُفنا بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم.
(٣) راجع ص ١٦٤.
(٤) راجع ص ١٦٤.
(٥) راجع ص ٢٥٤.
(٦) راجع ص ٢٥٤.
(٧) راجع ص ٢٥٤.
(٨) سورة الحجر: ٤٧.
(٩) راجع ص ٢٥٤.

(٩) أقوال المهاجرين الأولين في مناقب الشيخين

وأما أقوال المهاجرين الأولين فهذه نخبة منها:

(١) الزبير بن العوام

فمنهم الزبير بن العوام كما أخرج الحاكم[(١)] من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف في حديث طويل فيه خطبة أبي بكر وفي آخر الحديث قال علي رضي الله عنه والزبير: ما غضبنا إلا أنا قد أخرنا عن المشاورة وإنا نرى أبابكر أحق الناس بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه لصاحب الغار وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه وكبره ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي.

(٢) طلحة بن عبيدالله

ومنهم طلحة بن عبيدالله كما ذكر المحب الطبري[(٢)] عن ابن مسعود رضي الله عنه أن عمر شاور الناس في الزحف إلى قتال ملوك فارس التي اجتمعت بنهاوند فقام طلحة بن عبيد الله وكان من خطباء الصحابة؛ تشهّد ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين فقد أحكمتك الأمور وعجنتك البلايا واحتنكتك التجارب فأنت وشأنك وأنت ورأيك، إليك هذا الأمر فمرنا نطع وادعنا نجب واحملنا نركب وقدنا ننقد. فإنك ولي هذه الأمور وقد بلوت واختبرت وجربت فلم ينكشف لك عن شيء من عواقب قضاء الله عز وجل إلاّ عن خيار ثم جلس.

(٣) عبد الرحمن بن عوف

ومنهم عبد الرحمن بن عوف: روى حديث بشارة العشرة بالجنة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عشرة في الجنة، أبوبكر في الجنة وعمر في الجنة الخ[(٣)].

وأخرج الحاكم[(٤)] عن إبراهيم بن عبد الرحمن أن عبد الرحمن كان مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه – يعني في تفضيل أبي بكر والسعي لإقامة خلافته – وإليه رجع أمر الشورى قال: أفتجعلونه إلي والله علي أن لا آلو عن أفضلكم. قالا: نعم. فبايع عثمان[(٥)].

(٤) سعد بن أبي وقاص

ومنهم سعد بن أبي وقاص، روى الحديث: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط

---

(١) راجع ص ١٧٢.
(٢) راجع ص ١٧٢- ١٧٣.
(٣) راجع ص ١٧١.
(٤) راجع ص ١٧١.
(٥) راجع ص ١٧٢.

سالكا فجاً إلا سلك فجا غير فجك يعني لعمر[١].

وأخرج أبوبكر بن أبي شيبة[٢] من حديث أبي سلمة قال سعد: أما والله ما كان بأقدمنا إسلاما ولا أقدمنا هجرة ولكن قد عرفتُ بأي شيء فضلنا. كان أزهدنا في الدنيا يعني عمر بن الخطاب. وقال عند فتنة عثمان: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي. قال: أرأيت إن دخل علي بيتي وبسط يده ليقتلني؟ قال: كن كابن آدم[٣].

(٥) سعيد بن زيد

ومنهم سعيد بن زيد الذي روى حديث بشارة العشرة بالجنة: أبوبكر في الجنة وعمر في الجنة الخ[٤].

وروى حديث إثبات الصديقية والشهادة: اختبأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق حراء فلما استوينا رجف بنا فضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكفه ثم قال: اسكن حراء فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد. وعليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن وسعيد بن زيد الذي حدث بالحديث[٥]، وهو القائل: لو أن أحدا ارفض للذي صنعتم بعثمان لكان[٦].

(٦) أبوعبيدة بن الجراح

ومنهم أبوعبيدة بن الجراح وكونه مع عمر في استخلاف أبي بكر مشهور، وهو القائل: تأتوني وفيكم ثالث ثلاثة يعني أبابكر[٧].

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة ثم كائن خلافة ورحمة ثم كائن ملكا عضوضا. الخ[٨].

وحمل قوله خلافة ورحمة على خلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

---

(١) راجع ص ٦٠.
(٢) راجع ص ١٧٣.
(٣) راجع ص ١٧٤.
(٤) راجع ص ١٧٥.
(٥) راجع ص ١٧٥.
(٦) راجع ص ١٧٥.
(٧) راجع ص ٧٠.
(٨) راجع ص ٩٥.

(٧) عبد الله بن مسعود

ومنهم عبدالله بن مسعود الذي روى حديث بشارة الشيخين بالجنة[١]، وحديث: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر[٢].

وأخرج أبوعمر في الاستيعاب[٣] عن ابن مسعود: اجعلوا إمامكم أفضلكم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أبابكر إمامهم.

وأخرج أبوعمر[٤] عنه أنه قال: لأن أجلس مع عمر ساعة خير عندي من عبادة سنة.

وأخرج الحاكم[٥] عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام. فجعل الله دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر فبنى عليه ملك الإسلام وهدم به الأوثان.

وأخرج الدارمي[٦] عن إبراهيم قال عبدالله: كان عمر إذا سلك بنا طريقا وجدناه سهلا.

ولما بلغه أنهم استخلفوا عثمان قال: ما ألونا عن أعلانا ذا فوق. أخرجه ابن أبي شيبة[٧].

وقال: والله لو قتلوا عثمان لا يصيبوا منه خلفا[٨].

(٨) عمار بن ياسر

ومنهم عمار بن ياسر الذي روى الحديث: أتاني جبريل آنفا فقلت: يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب في السماء. فقال: يا محمد لو حدثتك بفضائل عمر مثل ما لبث نوح ﷺ في قومه ألف سنة إلا خمسين عـاما ما نفدت فضائل عمر وإن عمر لحسنة من حسنات أبي بكر[٩].

ولهم شعر في سوابق أبي بكر[١٠]:

جـزى الله خيراً عن بلال وصحبه ... عتـيقا وأخزى فاكها وأباجهـل

عشيـة هـمَّا في بـلال بسوءة ... عتـيقا وأخزى فاكهاً وأباجهـل

(١) راجع ص ١٧٦.
(٢) راجع ص ٦٣.
(٣) راجع ص ١٧٧.
(٤) راجع ص ١٧٧.
(٥) راجع ص ١٧٧ - ١٧٨.
(٦) راجع ص ١٧٧.
(٧) راجع ص ١٨٠.
(٨) راجع ص ١٨٠.
(٩) راجع ص ٢٠٩.
(١٠) راجع ص ٧٠٥.

بتـــوحيده رب الأنـــام وقولـــه ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتـــوحيده رب الأنـــام وقولـــه شهـــدت بأن الله ربي على مهل
فإن تقتلونـــي تقتلوني ولـــم أكن لأشرك بالرحمن من خيفـــة القتل
فيا رب إبراهيم والـــعبد يونـــس وموسى وعيسى نجني ثم لا تملى
لمن ظل يهوى الغي من آل غالب على غير برٍّ كان منه ولا عـــدل

(٩) حذيفة بن اليمان

ومنهم حذيفة بن اليمان الذي روى الحديث: إنهما من الدين كالسمع والبصر[١]. والحديث: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر[٢]. وهو القائل: كان الإسلام في زمان عمر كالرجل المقبل لا يزداد إلا قربا، فلما قتل عمر كان كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً[٣].

(١٠) أبوذر

ومنهم أبوذر الذي روى حديث الحصيات السبع[٤].

وأخرج الحاكم[٥] عن أبي ذر قال: مر فتى على عمر فقال عمر: نعم الفتى ! قال فتبعه أبوذر فقال: يا فتى، إستغفر لي. فقال: يا أباذر، أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: استغفر لي. قال: لا أو تخبرني. فقال: إنك مررت على عمر فقال: نعم الفتى. وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

(١١) بريدة الأسلمي

وكذلك بريدة الأسلمي الذي روى الحديث: أثبت حراء، فإنما عليك نبي أو صديق أوشهيدان[٦].

وحديث رؤيا قصر في الجنة لعمر[٧]. والحديث: إن الشيطان ليفرق منك يا عمر[٨].

(١٢) سفينة

ومنهم سفينة الذي روى رؤيا الميزان[٩]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: خلافة النبوة

---

(١) راجع ص ٢٠٩.
(٢) راجع ص ٦٣.
(٣) راجع ص ٢١٠.
(٤) راجع ص ٩٢.
(٥) راجع ص ٥٩.
(٦) راجع ص ٢١٣.
(٧) راجع ص ٢١٤.
(٨) راجع ص ٦٠.
(٩) راجع ص ٢١٥.

ثلاثون عاما[1].

(١٣) عبد الرحمن بن غنم الأشعري

ومنهم عبد الرحمن بن غنم الأشعري الذي روى الحديث: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما[2].

(١٤) أبوموسى الأشعري

وأبوموسى الأشعري الذي روى حديث بشارة المشايخ الثلاثة بالجنة[3].

(١٥) أبوأمامة الباهلي

وأبوأمامة الباهلي الذي فسر قوله تعالى ﴿وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أبوبكر وعمر[4].

(١٦) أبو أروى الدوسي

وأبو أروى الدوسي الذي روى الحديث: الحمد لله الذي أيدني بهما[5].

(١٧) عرفجة الأشجعي

وعرفجة الأشجعي الذي روى حديث الوزن[6].

(١٠) أقوال الأنصار في مناقب الشيخين

وأما الأنصار فمنهم:

(١) معاذ بن جبل

فقد روى الحديث: إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكاً عضوضاً[7].

(٢) أبي بن كعب

وأُبي بن كعب روى الحديث: أول من يعانقه الحق يوم القيامة عمر[8].

(٣) أبوأيوب

وكذلك أبوأيوب الذي روى حديث رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ربه وتعبير أبي بكر

---

(١) راجع ص ٥٠.
(٢) راجع ص ٢١٦.
(٣) راجع ص ١٨٩- ١٩٠.
(٤) راجع ص ٢١٧.
(٥) راجع ص ٢١٧.
(٦) راجع ص ٧٠.
(٧) راجع ص ٩٥، ٢٢٤.
(٨) راجع ص ٢٢٤.

إياها، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: هكذا عبرها الملك سحر[1].

(٤) أبو الدرداء

وأبو الدرداء الذي روى الحديث: هل أنتم تاركو لي صاحبي؟![2]

(٥) زيد بن ثابت

وزيد بن ثابت وهو ممن حمل الأنصار على بيعة أبي بكر[3].

(٦) أسيد بن الحضير

وأسيد بن الحضير وهو أيضاً ممن حمل الأنصار على بيعة أبي بكر[4].

(٧) رفاعة بن رافع ورافع بن خديج

وكذلك رفاعة بن رافع ورافع بن خديج رويا حديث فضل أهل بدر[5].

(٨) زيد بن خارجة

وزيد بن خارجة الذي تكلم بفضائل المشايخ الثلاثة بعد موته[6].

(٩) أبوسعيد بن المعلى

وأبوسعيد بن المعلى روى خطبة النبي صلى الله عليه وسلم التي خطبها قبيل وفاته في فضائل أبي بكر وعمر[7].

(١٠) سهل بن سعد

وسهل بن سعد الذي روى أن أحدا ارتج وعليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وعمر وعثمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أثبت أحد، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان[8].

(١١) عويم بن ساعدة

وعويم بن ساعدة وقد أخرج الحاكم[9] من حديث عبدالرحمن بن سالم بن عبدالرحمن ابن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده عن عويم بن ساعدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) راجع ص ٢٢٤- ٢٢٥.
(٢) راجع ص ٢٢٥.
(٣) راجع ص ٢٢٦- ٢٢٧.
(٤) موسى بن عقبة كما في الرياض النضرة ١/٢١٤، ٢١٨.
(٥) راجع ص ٥٦، ٢٢٨.
(٦) راجع ص ٢٢٧.
(٧) راجع ص ٢٢٨.
(٨) راجع ص ٢٢٩.
(٩) راجع ص ٢٣٠.

قال: إن الله تبارك وتعالى اختارني واختار لي أصحابا فجعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصهارا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل.

(١٢) حسان بن ثابت

وحسان بن ثابت المنشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم شعرا في الثناء على أبي بكر[١]:

وثاني اثنين في الغار المنيف

(١٣) أبوالهيثم بن التيهان

وأبوالهيثم بن التيهان القائل: فإني لأرجو أن يقوم بأمرنا[٢].

(١١) أقوال المكثرين من أصحاب رسول الله

وأما المكثرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم:

(١) عبد الله بن عمر

عبد الله بن عمر القائل: كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير أبابكر ثم عمر ثم عثمان[٣].

وهو الذي روى حديث رؤيا القليب[٤]. والحديث: أرأف أمتي بأمتي أبوبكر وأشدهم في الإسلام عمر وأصدقهم حياء عثمان[٥]. وروى أنهما يبعثان مع النبي صلى الله عليه وسلم[٦]. وكذلك روى من مناقب الشيخين شيئا كثيرا.

(٢) عبد الله بن عباس

وعبد الله بن عباس الذي روى الحديث: لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبابكر خليلا[٧]. والحديث: لما أسلم عمر نزل جبريل فقال: يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر[٨]، وهو القائل لعمر لما طعن: لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت

---

(١) راجع ص ٢٣١.
(٢) راجع ص ٢٣٢.
(٣) راجع ص ٦٩.
(٤) راجع ص ١٨٢.
(٥) راجع ص ١٨٢.
(٦) راجع ص ١٨٢- ١٨٣.
(٧) راجع ص ١٨٦.
(٨) راجع ص ١٨٧.

صحبته ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبابكر فأحسنت صحبته الحديث[١]. وهو القائل في حديث النهي عن الركعتين بعد العصر: أخبرني رجال مرضيون وأرضاهم عندي عمر[٢].

(٣) عبد الله بن عمرو بن العاص

وعبدالله بن عمرو بن العاص الذي روى حديث دفع الكفار عنه صلى الله عليه وسلم[٣].

(٤) أبوهريرة

وأبوهريرة: روى حديث القليب[٤]، والحديث: ما نفعني مال أحد ما نفعني مال أبي بكر[٥]. والحديث: أرجو أن تكون منهم يعني ممن يدعى من جميع أبواب الجنة[٦]. وحديث رؤيا قصر في الجنة لعمر[٧]، وحديث المحدّثين[٨]. والحديث: إنما عليك نبي أو صديق أو شهيد[٩].

(٥) أم المؤمنين عائشة

وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها القائلة: لو استخلف أبابكر ثم عمر[١٠]. والقائلة: كان أبوبكر أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عمر[١١]. وروت حديث الإمامة في مرضه صلى الله عليه وسلم[١٢]، وحديث تلقيب النبي صلى الله عليه وسلم أبابكر بالعتيق[١٣]، والحديث: أنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر[١٤]، والحديث: هم الخلفاء من بعدي، في قصة تأسيس المسجد[١٥]. والقائلة: كان عمر أحوذيا نسيج وحده خلق

---

(١) راجع ص ١٨٧.
(٢) البخاري (٥٨١) كتاب مواقيت الصلاة باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس، ومسلم (١٩٢١) كتاب صلاة المسافرين باب الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها.
(٣) راجع ص ١٩٣.
(٤) راجع ص ٨٩، ١٨٢.
(٥) راجع ص ١٩٥.
(٦) راجع ص ١٩٥- ١٩٦.
(٧) راجع ص ١٩٦.
(٨) راجع ص ٥٩.
(٩) راجع ص ٥٨.
(١٠) راجع ص ٦٣.
(١١) راجع ص ١٩٩.
(١٢) راجع ص ١٩٩- ٢٠٠.
(١٣) راجع ص ٢٠٠.
(١٤) راجع ص ٦٠.
(١٥) راجع ص ٩١، ٩٢.

لإعلاء كلمة الإسلام[١].

(٦) أنس بن مالك

وأنس بن مالك الذي روى الحديث: إنما عليك نبي وصديق وشهيدان[٢]، والحديث: سيدا كهول أهل الجنة[٣]، والحديث: أرحم أمتي بأمتي أبوبكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياءً عثمان[٤]. وروى الحديث: أنت مع من أحببت ثم قال: أنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبابكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل مثل أعمالهم[٥].

(٧) أبوسعيد الخدري

ومنهم أبوسعيد الخدري الذي روى الحديث: إن أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبوبكر، لو كنت متخذا خليلاً... الحديث[٦]. وحديث رؤيا القميص لعمر[٧]، والحديث: وإن أبابكر وعمر منهم، وأنعما يعني من أهل الدرجات العلى في الجنة[٨].

(٨) جابر بن عبد الله

ومنهم جابر بن عبد الله روى الحديث: يا أبابكر أعطاك الله الرضوان الأكبر[٩]. وحديث رؤيا قصر في الجنة لعمر[١٠].

(١٢) أقوال سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

وأمّا سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فمنهم:

(١) معاوية

معاوية بن أبي سفيان القائل: عليكم من الأحاديث مما كان يروى في زمان عمر، فإنه كان يخيف الناس في الله[١١].

(٢) عمرو بن العاص

---

(١) سيأتي بتمامه في مناقب أبي بكر الصديق. راجع ص ٨٦٦.
(٢) راجع ص ٥٨.
(٣) راجع ص ٢٠٣.
(٤) راجع ص ٦٣، ٢٠٣.
(٥) راجع ص ٢٠٥.
(٦) راجع ص ٢٠٥.
(٧) راجع ص ٢٠٥- ٢٠٦.
(٨) راجع ص ٢٠٦.
(٩) راجع ص ٥٩.
(١٠) راجع ص ٢٠٨.
(١١) راجع ص ٢٤٥.

وعمرو بن العاص القائل: والله لئن كان أبوبكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما شيء لقد غُبِنَا ونقص رأيهما، وأيم الله ما كانا بمغبونين ولا ناقصي الرأي. ولئن كانا امرئين يحرم عليهما من هذا المال الذي أصبنا بعدهما، لقد هلكنا وأيم الله، ما الوهن إلا من قِبَلنا. أخرجه ابن أبي شيبة[١]. وروى: أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة، ومن الرجال أبوبكر ثم عمر[٢].

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر

وعبد الرحمن بن أبي بكر الذي روى الحديث؛ أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا ثم أقبل علينا فقال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر[٣].

(٤) عمران بن حصين

وعمران بن حصين الراوي للحديث: خير القرون قرني ثم الذين يلونهم[٤].

(٥) عبد الله بن هشام بن زهرة

وعبد الله بن هشام بن زهرة الراوي للحديث؛ قال عمر: يا رسول الله إنك أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الآن يا عمر. أخرجه البخاري[٥].

(٦) عثمان بن أرقم

وعثمان بن أرقم الراوي للحديث: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك؛ عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام[٦].

(٧) الأسود بن سريع

والأسود بن سريع الراوي للحديث: ليس من الباطل في شيء قاله لعمر[٧].

(٨) أبوجحيفة السواهي

وأبوجحيفة السواهي الراوي للحديث: سيدا كهول أهل الجنة[٨].

---

(١) ١١/١٤٥.
(٢) راجع ص ٢٤٦.
(٣) راجع ص ٢٣٨.
(٤) راجع ص ٢٣٧- ٢٣٨.
(٥) (٦٦٣٢) كتاب الأيمان والنذور باب كيف كان يمين النبي صلى الله عليه وسلم، وراجع ص ٢٣٧.
(٦) راجع ص ٢٣٨.
(٧) راجع ص ٢٣٨- ٢٣٩.
(٨) راجع ص ٦٠.

(٩) أبوبكرة الثقفي

وأبوبكرة الثقفي الراوي لرؤيا الميزان[١].

(١٠) سمرة بن جندب

وسمرة بن جندب الراوي لرؤيا الدلو[٢].

(١١) أبوالطفيل

وأبوالطفيل الراوي لرؤيا القليب[٣].

(١٢) جبير بن مطعم

وجبير بن مطعم الراوي للحديث: إن لم تجديني فأتي أبابكر[٤]، وله قصة في ذهابه إلى الشام ورؤيته صور الأنبياء فيها صورة النبي صلى الله عليه وسلم وأبوبكر آخذ بقدميه، وإخبار أهل الكتاب بأنه خليفة النبي صلى الله عليه وسلم من بعده[٥].

(١٣) عبد الله بن الزبير

وعبد الله بن الزبير الراوي للحديث: لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا[٦]. وراوي سبب نـزول الآية ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾[٧].

(١٤) جندب بن عبدالله

وجندب بن عبد الله الراوي للحديث: لو كنت متخذا خليلا لاتخذت... الخ[٨].

(١٣) أقوال علماء التابعين في مناقب الشيخين

وأما علماء التابعين فمنهم:

(١) سعيد بن المسيب

سعيد بن المسيب الذي قال: كان أبوبكر الصديق من النبي صلى الله عليه وسلم مكان الوزير؛ فكان يشاوره في جميع أموره وكان ثانيه في الإسلام وكان ثانيه في الغار وكان ثانيه في

---

(١) راجع ص ٧٠.
(٢) راجع ص ٩٠.
(٣) راجع ص ٢٤١.
(٤) راجع ص ٩٤.
(٥) البخاري في التاريخ الكبير ١ ق ١/١٧٩ والبيهقي في الدلائل ١/٣٨٤ وفي إسناده أم عثمان لم أجد ترجمتها.
(٦) راجع ص ٢٤٣.
(٧) راجع ص ٥٦٠.
(٨) راجع ص ٢٤٨.

العريش يوم بدر وكان ثانيه في القبر ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه أحداً، أخرجه الحاكم[١].

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر

والقاسم بن محمد بن أبي بكر، روي أن رجلا من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس فيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: والله ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من موطن إلا وعلي معه فيه. فقال القاسم يا أخي: لا تحلف. قال: هلم. قال: بلى، ما لا ترده. قال الله عز وجل ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾. أخرجه أبوعمر في الاستيعاب[٢].

(٣) مسروق

ومسروق الذي قال: حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة. أخرجه أبوعمر[٣].

(٤) الحسن البصري

والحسن البصري فقد رُوي عن يونس قال: كان الحسن ربما ذكر عمر فيقول: والله ما كان بأولهم إسلاما ولا بأفضلهم نفقة في سبيل الله، ولكن غلب الناس بالزهد في الدنيا والصرامة في أمر الله ولا يخاف لومة لائم. أخرجه ابن أبي شيبة[٤].

(٥) محمد بن سيرين

ومحمد بن سيرين الذي قال: ما أظن رجلا ينتقص أبابكر وعمر ويحب النبي صلى الله عليه وسلم. أخرجه الترمذي[٥].

(٦، ٧) عمرو بن ميمون وإبراهيم النخعي

وعمرو بن ميمون وإبراهيم النخعي. فقد روي عن عمرو بن ميمون أنه قال: ذهب عمر بثلثي العلم. فذكر لإبراهيم فقال: ذهب عمر بتسعة أعشار العلم. أخرجه الدارمي[٦].

(٨) أبوالعالية

---

(١) راجع ص ٢٥٠.

(٢) ٣٣٢/١.

(٣) الاستيعاب ٣٣٣/١.

(٤) المصنف ٣٥/١٢ وإسناده حسن.

(٥) (٣٦٨٥) أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب قول عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: حسن غريب.

(٦) ١٠١/١ ورجاله ثقات، بل رواه النخعي عن ابن مسعود أنه قال: "إني لأحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم". كما ذكره ابن الجوزي في مناقب عمر رضي الله عنه ص ٢٤٧ وابن عبد البر ٤١٧/٢ والطبراني ورجاله ثقات.

وأبو العالية الذي فسَّر الصراط المستقيم بأبي بكر وعمر[١]، فصدَّقه الحسن البصري.

(٩، ١٠) عكرمة والكلبي

وعكرمة والكلبي فَسَّرا ﴿وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ بأبي بكر وعمر[٢].

(١١) قتادة

ومنهم قتادة الذي قال: كنا نتحدث أن هذه الآية في أبي بكر وأصحابه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[٣].

(١٢) الضحاك

ومنهم الضحاك الذي قال في هذه الآية: أبوبكر وأصحابه[٤].

(١٣) الحسن

ومنهم الحسن قال في هذه الآية: أبوبكر وأصحابه[٥].

(١٤) زيد بن أسلم

ومنهم زيد بن أسلم قال في الآية ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾[٦]: نـزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل[٧]. ومثله عن الحسن والضحاك وأبي سنان[٨].

(١٥) كعب الأحبار

ومنهم كعب الأحبار، فقد روي عن ابن أبي مليكة قال: لما طعن عمر جاء كعب فجعل يبكي بالباب ويقول: والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخِّره لأَخَّر. فدخل ابن عباس فقال يا أمير المؤمنين: هذا كعب يقول كذا وكذا. قال: إذن والله لا أسأله[٩]. وهو القائل: في كتاب الله المنـزل من السماء؛ أبوبكر وعمر وعثمان.

(١٦) عروة

ومنهم عروة بن الزبير قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر أميراً على الناس

---

(١) راجع ص ٣٧٢.
(٢) راجع ص ٤٠٧.
(٣) راجع ص ٤١٧.
(٤) راجع ص ٤١٧.
(٥) راجع ص ٤١٧.
(٦) سورة الأنعام: ١٢٢.
(٧) راجع ص ٤٢٦.
(٨) راجع ص ٤٢٧.
(٩) راجع ص ٤٣١.

سنة تسع، وكتب سنن الحج وبعث معه علي بن أبي طالب[١].

وأصل القصة متواتر عن ابن عمر وجابر وأنس وأبي هريرة وابن عباس[٢].

وعن الحسن أنه سئل عن يوم الحج الأكبر فقال: ذاك عام حج فيه أبوبكر استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج بالناس[٣].

ومن الذين ذهبوا إلى أن خلافة أبي بكر وعمر إنما كانت بنص من النبي صلى الله عليه وسلم: علي وابن عباس وميمون بن مهران وحبيب بن أبي ثابت والضحاك ومجاهد، كلهم قالوا: إمارة أبي بكر وعمر لفي كتاب الله، أسر النبي صلى الله عليه وسلم بها إلى عائشة[٤].

ومن الذين ذهبوا إلى أن أبابكر وعمر مرادان من قوله تعالى ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٥] أُبي وابن عمر وابن عباس وابن مسعود وأبوأمامة وعكرمة وميمون بن مهران وعبد الله بن بريدة وسعيد بن جبير والحسن ومقاتل بن سليمان[٦].

ومن الذين ذهبوا إلى أن الآية ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾[٧] نزلت في أبي بكر الصديق، ابن مسعود وابن عباس وعبد الله وعروة ابنا الزبير وسعيد بن المسيب[٨].

(١٤) أقوال علماء أتباع التابعين في مناقب الشيخين

(١) سفيان الثوري

ومن علماء تبع التابعين سفيان الثوري، فقد أخرج أبوداود[٩]، عن محمد الفريابي قال سمعت سفيان يقول: من زعم أن عليا كان أحق بالولاية منهما فقد خطأ أبابكر وعمر والمهاجرين والأنصار رضي الله عن جميعهم وما أراه يرتفع مع هذا له عمل إلى السماء.

(٢) مالك بن أنس

ومنهم مالك بن أنس؛ اشتهر عنه أنه قائل بتفضيل الشيخين وحب الختنين[١٠].

---

(١) راجع ص ٤٤٥.
(٢) راجع ص ٤٤٥، ٤٤٦.
(٣) راجع ص ٤٤٦.
(٤) راجع ص ٩٧، ١٩٩، ٥٨٩.
(٥) سورة التحريم : ٤.
(٦) راجع ص ٥٩١.
(٧) سورة الليل : ١٧.
(٨) راجع ص ٥٩٨.
(٩) راجع ص ٧١.
(١٠) انظر السير ٨/١٠٦ وترتيب المدارك ١/١٧٤، ١٧٥.

وقد صنف الطحاوي كتابا في عقائد أبي حنيفة وصاحبيه[١]، كما صنف البيهقي كتابا في عقيدة الشافعي[٢] فأفصحا أن مذهبهم تفضيل الشيخين أبي بكر وعمر.

ثم تأتي عقائد جماهير المسلمين أمثال الأشاعرة والماتريدية، ومن المعلوم أنهم قالوا بتفضيل الشيخين، وحتى أوائل المعتزلة قالوا كذلك بتفضيلهما، ثم من جاء بعدهم من الفقهاء والمتصوفين من كل طبقة نصوا عليه. هذا ما تيسر لنا ذكره ولعل ما تركناه في هذا الباب أكثر مما ذكرناه. والله أعلم بحقيقة الحال.

نكتـــتان مهمتان

وينبغي أن نكمل هذا المبحث بنكتـــتين مهمتين.

النكتـــة الأولى

وجوه الأفضلية

يجدر باللبيب المتفطن أن يتأمل في أقوال الصحابة والتابعين ليضع بصمته على الخصلة البارزة التي هي مدار الأفضلية. وإذا تأملنا هذا الباب نجد أكثر الصحابة والتابعين قد بينوا أفضلية الشيخين أبي بكر وعمر بشيء من العموم ولم يربطوها بخصلة من الخصال المحمودة. وبالطريقة التي ذكرناها في الوجه الخامس من السنة السنية أشار الفقهاء منهم في شيء من الذكاء الحاد إلى أوجه الأفضلية خلال كلامهم، وهي تدور في وجه من الأوجه الأربعة. فهذا علي المرتضى يرى الأفضلية في **إحكام الخلافة وترويج الدين** بقوله: استخلف أبوبكر – رحمة الله على أبي بكر – فأقام واستقام، ثم استخلف عمر – رحمة الله على عمر – فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه[٣]. وأشار في موطن آخر إلى أنها **ارتفاع المكانة في الآخرة** إذ قال في مدح عمر الفاروق: ما من الناس أحد أحب إلي أن ألقى الله بما في صحيفته من هذا المسجى[٤]. وكذلك بين **السوابق الإسلامية لأبي بكر الصديق** يوم وفاته بأوضح العبارات[٥].

وكذلك وصفت أم المؤمنين عائشة الصديقة أباها أبابكر الصديق وعمر الفاروق **بنشر**

---

(١) انظر للتفصيل شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٣ وما بعدها.

(٢) لعله أراد به "الاعتقاد" للبيهقي، وذكر فيه ص ١٦٨ عن الإمام الشافعي أنه يقول: في الخلافة والتفضيل نبدأ بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. راجع أيضا الاستيعاب ٤٦٦/٢، ٤٦٧ ومناقب الشافعي للبيهقي ٤٣٢/١، ٤٣٣.

(٣) راجع ص ١٦٣.

(٤) راجع ص ١٦٤.

(٥) راجع ص ١٦٥.

دعوة الإسلام إذ قالت: ما رأى نقطة إلا طار أبي لحظها وغنائها في الإسلام[١]. وابن مسعود نص على **السوابق الإسلامية لعمر الفاروق** إذ قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر[٢].

وحذيفة بن اليمان جعلها **حسن القيام بحقوق الخلافة وواجباتها** إذ قال: كان الإسلام في زمان عمر كالرجل المقبل لا يزداد إلا قربا، فلما قتل عمر كان كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعدا[٣].

بينما عبد الله بن عمر رآها **الزهد والجد في العبادات** إذ قال: ما رأيت أحداً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أجد وأجود من عمر حتى انتهى[٤].

وعلى هذا القياس، فقد أشار فقهاء الصحابة إلى خصلة أو اثنتين أو ثلاث من تلك الخصال الأربعة، ويدرك اللبيب هذا المعنى من كلامهم بأدنى تأمل.

ويجدر بالذكر أن نشير إلى أن فقهاء الصحابة قد بينوا الأفضلية بأوصاف أخرى كذلك.

ومنها **العلم**؛

(١) فقد أخرج الدارمي[٥] عن ابن مسعود ما سلك عمر طريقا إلا وجدناه سهلاً.

(٢) وأخرج الدارمي[٦] عن حذيفة قال: إنما يفتي الناس ثلاثة: رجل إمام ورجل يعلم ناسخ القرآن من المنسوخ- قالوا: يا حذيفة، ومن ذلك؟ قال: عمر بن الخطاب أو أحمق متكلف.

(٣) وأخرج الدارمي[٧] عن عمرو بن ميمون أنه قال: ذهب عمر بثلثي العلم، فذكر لإبراهيم فقال: ذهب عمر بتسعة أعشار العلم.

(٤) وقد أشار الحديث إلى هذه الخصلة كذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله جعل الحق على لسان عمر[٨].

(٥) وقال: لقد كان فيما كان قبلكم من الأمم ناس محدّثون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر[٩].

---

(١) المحب الطبري في الرياض ١٨٩/١ عنها بلفظ: والله ما اختلفوا في الأمر إلا طار أبي بكذا و غنائها. وقال: خرجه الإسماعيلي في معجمه.

(٢) راجع ص ١٧٨.

(٣) راجع ص ٢١٠.

(٤) راجع ص ١٨٣- ١٨٤.

(٥) راجع ص ١٧٧.

(٦) ٦٢/١ ورجاله ثقات.

(٧) راجع ص ٧٥٣.

(٨) راجع ص ٥٩.

(٩) راجع ص ٥٩.

(٦) وقال: بينا أنا نائم أتيت بقدح من لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا: فما أوّلته؟ قال: **العلم**[١].

فقد ذكرت هذه الخصلة في هذه الأحاديث بمعنى قرب الباطن والمحدثية وتأكيده -أي يقصد به **العلم اللدني الذي مصدره الفيوض الربانية**- وما يقصده القوم هو **علم الكتاب والسنة والاهتداء بطرق استنباطه.**

ومنها **الأخلاق السامية** التي توضع في جبلة الانسان وفطرته. وقد يتحلى بها المسلم والكافر والمتقي والفاسق أيضا فهي تقوي وتكمل مدارج الكمال والمعالي التي يتحلى بها السابقون المقربون وتعين على إتمام حقوق الخلافة بينما لا تعين غيرهم على شيء من الكمالات.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الأكرم: عن معادن العرب تسألوني؟! خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا[٢].

يدرك العقل أن الأخلاق منبع الأفعال، ومن كان صاحب أخلاق عالية تكون أفعاله سليمة ومتينة لا محالة. والتحقيق في هذا الباب أن للخلافة الخاصة أوصافاً من الكمالات الكسبية التي تعتبرها الشريعة مدارا للفضائل، وتلك هي الأوصاف السبعة التي حسبناها لوازم الخلافة. وهناك صفات أخرى من الكمالات الجبلية تعد مدار الخلافة الراشدة مثل القرشية والسمع والبصر والشجاعة والكفاية. وصفات أخرى من الكمالات الجبلية يتوقف عليها حسن سيادة القوم؛ وقد ذكرها الصحابة والتابعون عند التشاور في أمر الخلافة، أو عندما أثنوا على الخلفاء؛ فأبوبكر الصديق كان يصف عمر الفاروق **بالأقوى**، وعمر الفاروق كان يصف أبابكر الصديق **بالأفضل**. إذن الأفضل يعني شيئاً أكبر من تلك الفضائل والمناقب الشرعية التي منها الصديقية والشهادة، وكذلك السوابق الإسلامية المشهودة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه. كما أن الأقوى شيء فوق تلك الأخلاق الجبلية التي تمهد وتعين على إحكام الخلافة وحسن سياسة الأمة.

يجدر بنا أن نذكر هنا بعض الأحاديث التي تؤكد هذه المعاني.

(١) أخرج أبوعمر في الاستيعاب[٣] عن ابن عباس قال: بينا أنا أمشي مع عمر يوما إذ

---

(١) راجع ص ١٨٣.

(٢) البخاري (٣٤٩٣) كتاب المناقب باب المناقب، ومسلم (٦٤٥٤) كتاب فضائل الصحابة باب خيار الناس من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ٢/٤٦٧ في ترجمة علي رضي الله عنه، والرياض النضرة ٢/ ١٥ وابن أبي الحديد ٣/ ١٠٦ بتمامه. وفي إسناده ابن إسحاق وهو مدلس، و عبيدالله بن عبد الله المدني شيخ للزهري لا يعرف كما في التقريب ص ٣٤٢.

تنفس نفسا ظننت أنه قد فضت أضلاعه. فقلت: سبحان الله، والله ما أخرج هذا منك يا أمير المؤمنين إلا أمر عظيم. قال: ويحك يا ابن عباس، ما أدري ما أصنع بأمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ قلت: و لم وأنت بحمد الله قادر أن تضع ذلك مكان الثقة. قال: إني أراك تقول إن صاحبك أولى الناس يعني عليا؟ قلت: أجل، والله إني لأقول ذلك في سابقته وعلمه وقرابته وصهره. قال: إنه كما ذكرت ولكنه كثير الدعابة. قلت: فعثمان؟ قال: والله لو فعلت لجعل بني أبي معيط على رقاب الناس يعملون فيهم بمعصية الله، والله لو فعلت لفعل، ولو فعل لفعلوا، فوثب الناس إليه فقتلوه. قلت: طلحة بن عبيد الله؟ قال: الأكيسع[1] هو أزهى من ذلك، ما كان الله ليريني أوليه أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو على ما فيه من الزهو. قلت: الزبير بن العوام؟ قال: إذن كان يظل يلاطم الناس في الصاع والمد[2]. قلت: سعد بن أبي وقاص؟ قال: ليس بصاحب ذلك، ذاك صاحب مقنب يقاتل فيه[3]. قلت: عبد الرحمن بن عوف؟ قال: نعم الرجل ذكرت! ولكنه ضعيف عن ذلك. والله يا ابن عباس، ما يصلح لهذا الأمر إلا **القوي** في غير عنف، **اللين** في غير ضعف، **الجواد** في غير سرف، **المسك** في غير بخل. قال ابن عباس: كان والله عمر كذلك.

(٢) وأخرج أبوعمر في الاستيعاب[4]؛ قيل لابن عباس: أخبرنا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخبرنا عن أبي بكر. قال: كان والله خيرا كله مع حدة كانت فيه. قلنا: فعمر؟ قال: والله كان **كيسا حذرا** كالطير الذي قد نصب له فهو يراه ويخشى أن يقع فيه مع العنف وشدة السباق. قلنا: فعثمان؟ قال: والله كان **صواما قواما** من رجل غلبته رقدته. قلنا: فعلي؟ قال: كان والله قد **ملئ علما وحلما** من رجل **غرته سابقته وقرابته.** فقلما أشرف على شيء من الدنيا إلا فاته.

(٣) وأخرج أبوعمر في الاستيعاب[5] قول عثمان: هل أستطيع أن أكون مثل **لقمان الحكيم**؟!

---

(١) يقال: إن طلحة بن عبيدالله مال إلى مخالفي عثمان في بداية الأمر، لكنه سرعان ما أدرك نوايا أهل الفتنة فتبرأ منهم وقال: ندمت ندامة الكسعي.
تشير هذه الرواية إلى أن طلحة كان فيه شيء من التسرّع، ولا ينكر أحد فضله ومناقبه لأنه من العشرة المبشرة بالجنة، وأفدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه في أحد.

(٢) أي يترك مهام الأمور ويحاسب الناس على أمور بسيطة.

(٣) أي رجل حرب يصلح لقيادة الجيش.

(٤) ٢/٤٦٣، ٤٦٤ في مناقب علي رضي الله عنه.

(٥) أورده أبو حامد عز الدين عبدالحميد في "شرح نهج البلاغة" ١٢/ ١٠٧، وابن عبد ربه الأندلسي في كتابه "العقد الفريد" ٢/ ٨٠، وابن أبي الدنيا في "الورع" ١/ ١٢٧ غير أنهم ذكروه بلفظ: "قيل لعثمان: ألا تكون مثل عمر؟ قال: لا أستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم".

(٤) وأخرج أبويوسف[١] عن أبي المليح بن أسامة الهذلي قال: خطب عمر بن الخطاب فقال: أيها الرعاء، إن لنا عليكم حق النصيحة بالغيب والمعونة على الخير. أيها الرعاء، إنه ليس من **حلم** أحب إلى الله ولا أعم نفعا من حلم إمام ورفقه، وليس من جهل أبغض إلى الله وأعم ضررا من جهل إمام وخرقه، وإنه من يأخذ بالعافية فيما بين ظهرانيه يعطى العافية من فوقه.

(٥) وأخرج أبويوسف[٢] عن مسعر عن رجل عن عمر قال: لا يقيم أمر الله إلا **رجل لا يضارع** ولا يصانع ولا يتبع المطامع، ولا يقيم أمر الله إلا رجل لا ينتقص غربه ولا يكظم في الحق على حزبه.

(٦) وذكر المحب الطبري[٣] عن أبي بكر العنسي قال: دخلت مع عمر وعثمان وعلي مكان الصدقة، فجلس عثمان في الظل يكتب، وقام علي على رأسه يملي عليه ما يقول عمر، وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر عليه بردتان سوداوان مؤتزر بواحدة وقد وضع الأخرى على رأسه وهو يتفقد إبل الصدقة يكتب ألوانها وأسنانها. فقال علي لعثمان: أما سمعت قول ابنة شعيب في كتاب الله عز وجل ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[٤] وأشار إلى عمر وقال: هذا **القوي الأمين**.

(٧) وعن عروة[٥] بن رويم اللخمي قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح كتابا يقرأه على الناس بالجابية: أما بعد؛ فإنه لا يقيم أمر الله في الناس إلا حصيف العُقْدة بعيد الغِرَّة، ولايطلع الناس منه على عورة ولا يحنق في الحق على حرة ولا يخاف في الله لومة لائم. والسلام. وفي رواية: ولا يحابي في الحق على قرابة، مكان "ولا يحنق في الحق على حُـرَّة". قلت: والحرة ما يحافظ عليه الأحرار من الحماية لقرابتهم، والأنفة عما يخل في قدرهم.

(٨) وعن محمد بن علي بن الحسين عن مولى لعثمان بن عفان قال: بينا أنا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صائف إذ رأى رجلا يسوق بَكْرَيْن وعلى الأرض مثل الفراش من الحر. فقال عثمان: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح؟! ثم دنى الرجل فقال: انظر من هذا؟ فنظرت فقلت: أرى رجلا معمما بردائه يسوق بكرين. ثم دنى الرجل. فقال: انظر. فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب. فقلت: هذا أمير المؤمنين! فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فإذا لفح السموم فأعاد رأسه حتى إذا حاذاه قال: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: بَكْرَان من إبل الصدقة

---

(١) راجع ص ١٤٦.

(٢) راجع ص ١٤٧.

(٣) الرياض النضرة ٢/٧٨.

(٤) سورة القصص : ٢٦.

(٥) المحب الطبري في الرياض ٢/٨٠.

تخلفا وقد مُضِيَ بإبل الصدقة فأردت أن ألحقهم بالحمى وخشيت أن يضيعا فيسألني الله عنهما. فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، هلم إلى الماء والظل ونكفيك. قال: عد إلى ظلك، ومضى. فقال عثمان: من أحب أن ينظر إلى **القوي الأمين** فلينظر إلى هذا. أخرجه الشافعي في مسنده[١].

وصفات أخرى من **رعاية حقوق العباد والتورع فيها**، وقد فضَّل سيدنا علي الشيخين أبابكر وعمر على نفسه فيها، بل جميع الفقهاء من الصحابة والتابعين ذهبوا إلى تفضيلهما على غيرهما فيها.

قال علي رضيَ الله عنه: سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى أبوبكر وثلث عمر ثم خبطتنا فتنة[٢].

وقيل لعلي: أ يدخلاها قبلك؟ — أي يدخل أبوبكر وعمر الجنة قبلك؟ فقال علي: إي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليدخلاها وإني لمع معاوية موقوف في الحساب[٣].

النكتة الثانية

إذا سألت أن كتاب الله اختصر أسباب تفضيل بعض الصحابة على بعض في صفتين اثنتين وهما (١) **السوابق الإسلامية** و (٢) **صفات القرب المعنوية** التي من إشاراتها الصديقية والشهادة، بينما الأحاديث عدت أربعا من الصفات التي تفضّل بعض الصحابـة على الآخرين. وقد سبق أن أشرنا إلى صفتين منهما. وصفتان أخريان هـما (١) **رفع الدرجات في الجنة والتقدم يوم الحشر**، و (٢) **إكمال الفتوحات التي وعد الله تعالى نبيه بأنها ستتحقق**. والصحابة قد زادوا عليها صفات أخرى وهي **علم الكتاب والسنة والإكتفاء والحزم وحسن سياسة الأمة وتدبير أمورها واجتناب الشبهات في قتال المسلمين ورعاية بيت المال** وأمثالها. إذن كيف يمكن أن نجمع بين هذه الفئات الثلاث (من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة) من الصفات؟

نقول: ينبغي أن نسلك في سبيل الجمع بين هذه الصفات منهج الفقهاء في الجمع بين ما ورد في قضية القتل في القرآن الكريم إذ قسمه القرآن قسمة ثنائية: بين القتل العَمْد والقتل الـخطَأ. وأما السنة السنية فقسمته قسمة ثلاثية: بين القتل العَمَد وقتل الـخطَأ الخالِص وقتل الخطأ شبْه العَمَد. وأما الفقهاء الحنفية فجعلوه قسمة خماسية. فهم رجعوا التقسيم الثلاثي إلى التقسيم الثنائي والتقسيم الخماسي إلى التقسيم الثلاثي.[٤] فنقول هنا: إن الصفتين الزائدتين في

---

(١) ١٩٦/٢ ومولى عثمان رضي الله عنه لم يسم، والمحب الطبري في الرياض النضرة ٧٨/٢.

(٢) رواه أحمد ١/١،١٢، ١٢٤، ١٣٢، ١٤٧ والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد ثقات كما في المجمع ٥٤/٩ و راجع ص ١٦٣.

(٣) راجع ص ١٦٥.

(٤) قسم فقهاء الأحناف القتل إلى خمسة أقسام: (١) القتل العمد: كأن يستعمل القاتل سلاحاً أو أداة

السنة ترجعان إلى الصفتين المذكورتين في كتاب الله، بل هما تفصيل وتفسير لتينك الصفتين لأنهما تسببان علو المقام في الجنة، أو الكمال الشخصي في المرء، أو السعي في خدمة المصطفى عليه الصلاة والسلام يوصله إلى هذه الدرجة.

والقيام بتحقيق ما وعد الله نبيه نوع من السوابق الإسلامية. لأن الأصل في السوابق الإسلامية هو إعانة النبي صلى الله عليه وسلم ومساندته على تعليم دينه صلى الله عليه وسلم وهذا قد يرجع إلى بداية الإسلام، وقد يكون في فترات متأخرة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

والصفات الثلاث الزائدة في أحاديث الصحابة رضي الله عنهم وأقوالهم ترجع إلى هذه الصفة الأخيرة أي إكمال ما وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم من الفتوحات وإنجازها، لأن مساندته صلى الله عليه وسلم باعتبار علمه فموقوفة على اتساع علم الكتاب والسنة وما أجمعت الأمة عليها، وباعتبار كثرة الفتوحات وأمن المسلمين من عدوان الكفار وشرهم فموقوف على الكفاية والحزم وحسن تدبير شؤون الأمة، وباعتبار تعليم الزهد فموقوف على اجتناب الشبهات. وهو من أبرز صفات الشيخين، ولأن دماء المسلمين من أهم الأمور فكان التورع فيها يقتضي إهتماما أكبر، فهي كلها شرح وتفسير للسنة السنية والقرآن الكريم.

درجة القرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم

وإذا قلت إن أقوال الصحابة تعدّ قرب النسب بالرسول صلى الله عليه وسلم والوجاهة بين الناس من الفضائل بينما ينفي القرآن الكريم أن يكون لقرب النسب حتى مع أفضل خلق الله صلى الله عليه وسلم وللوجاهة بين الناس أي دور في التفاضل. فذكروا في باب مناقب ذي النورين بأن النبي صلى الله عليه وسلم زوجه فلذتين من فلذات كبده وذكروا في مناقب علي المرتضى أنه كان ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها، وكذلك ذكروا من جملة مناقب علي رضي الله عنه فضائل جبلية مثل الشجاعة والفصاحة، فكيف إذن يمكننا أن نجمع بين هذه الأقوال المتباينة؟

نقول: الفضائل نوعان:

النوع الأول: فضائل تعدّ في ذاتها مناقب للإنسان ومن أسباب سعادته إذ بها يشابه الأنبياء في صفات النبوة وقد نصت عليها السنة النبوية تصريحا وتلويحا.

من أدوات القتل كالسكين والخنجر. (٢) القتل شبه العمد: لم يستعمل القاتل سلاحاً ولا شيئاً يقوم مقام السلاح. (٣) القتل الخطأ: كأن تخطئ الرمية في ميدان التدريب فتصيب إنساناً. (٤) القتل الجاري مجرى الخطأ: كأن يتقلب النائم فيسقط على إنسان آخر فيقتله. (٥) القتل بالسبب: كأن يحفر رجل حفرة في أرض غيره، ولم يشخصها ولم يضع لها سوراً، فيمر صاحب الأرض ليلاً فيقع في الحفرة ويموت. يرجع القسمان الأخيران إلى القتل الخطأ ويرجع القتل شبه العمد إلى القتل العمد.

النوع الثاني: تلك الأوصاف التي لا تعد في ذاتها مناقب ولا تعتبرها الشريعة فضائل مثل النسب والمصاهرة وقوة البدن وشجاعة القلب وفصاحة اللسان والوجاهة والمكانة بين الناس. فهذه الفضائل يمكن أن يتحلى بها المسلم والكافر والتقي والفاسق. كل يمكن أن يرتقي إليها لكنها قد تكون وسيلة إلى فضيلة من الفضائل المعتبرة في الشريعة، ومن هنا يمكن أن نعدها من المناقب الشرعية. فمثلاً تزويج النبي صلى الله عليه وسلم فلذة كبده لأحد يعني عناية النبي صلى الله عليه وسلم بـه وسنة الله عز وجل قد جرت على ألا يكون صهر أفضل الأنبياء إلا من كان محمود الحال في الشرع ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾[(1)] فيدل هذا على بعض من الفضائل الشخصية والمناقب المعتبرة.

وكذلك كون المرء ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم فسوف يفوز برعايته الخاصة فيعتني بتعليمه وتثقيفه.

وكذلك قد يستغل شجاعته وفصاحته في إعلاء كلمة الله ونصرة شرع الإسلام. فيكون لهذه الصفات دور إيجابي في المناقب، وما أجمل الإستشهاد هنا ببيت لجلال الدين الرومي إذ قال:

إذا اتخذت العلم سبيلا للعيش ينقلب عليك ماردا فتاكا

وإذا طلبته سبيلا للزهد وتزكية النفس سيكون لك صديقا حميما

إذن يجوز إسقاط هذه الصفات من باب الاعتبار لأنها في ذاتها لا تعد مناقب أو فضائل، وإنما ذكروها في جملة المناقب لأنها مادة خاصة تؤدي إلى كسب المناقب المعتبرة . وبما أنها يمكن أن تؤدي إلى المناقب فتذكر أسماؤها ويراد منها الفضائل المعتبرة. وبون شاسع بينهما و﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[(2)].

وإذا تخلق إنسان بمناقب النوع الأول فسوف تزيده فضائل النوع الثاني جمالا ورونقا وتشهد بمكانته، وإذا لم يثبت للمرء من مناقب النوع الأول شيء أو كانت رتبته فيها دون الآخرين فلا ترفعه فضائل النوع الثاني قيد أنملة.

---

(١) سورة النور: ٢٦.

(٢) سورة الطلاق: ٣.

المبحث الرابع
إثبات أفضلية الشيخين من ملازمة الأفضلية للخلافة الخاصة

هذا باب دقيق المأخذ تطرق إليه المحققون من الصحابة وغيرهم ووضحوه بأساليب عديدة. وأساسه أن حقيقة الخلافة الخاصة تتعلق بإرادة الله تبارك وتعالى في إصلاح العالم على نحو ما أراده من الإصلاح بإرسال الأنبياء.

حقيقة النبوة

فكلما انتشر الفساد في البر والبحر وشاع الكفر والفسوق والظلم جرت سنة الله عز وجل أن يبعث إنسانا أشبه ما تكون نفسه بنفوس الملائكة المقربين ويأتي الأمر بتعليمه من بطن العرش فيشيع علمه بين الأنام وينادي جبريل أن فلانا اصطفاه الحق سبحانه وتعالى ليقود العالم وينشر علمه في الناس لهدايتهم وتهذيب نفوسهم ولتقصم ظهور مخالفيه ومعانديه- ثم ينادي جبريل في ملكوت السماوات: ألا إن الله أحب فلانا فأحبوه[1]. ويحبه الملائكة كلهم أجمعون فيلعنون من يخالفه ويستغفرون ويدعون لمن يتبعه كما قال عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾[2].

ثم يوضع له القبول في الأرض وأفواج الملائكة في العالم الأسفل -الملائكة الذين هم تحت السماء الدنيا- يقومون بنشر دينه وينصرون من وافقه إلى أن يتحقق مراد الله عز وجل. فهذه حقيقة النبوة.

حقيقة خلافة النبوة

ثم إذا بعث الله نبيا إلى العالم لتهذيب جماعة من الناس ويختاره إلى الرفيق الأعلى قبل أن يتحقق جميع ما وعده من إكمال مراد النبوة كما قال عز من قائل ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾[3]، حينئذ يصطفي قدر الله سبحانه وتعالى شخصا من أصحاب ذلك النبي ليخلفه (كما أدركتَ ذلك في قصة مؤمن آل فرعون ومؤمن الأنطاكية) ويكون ممن جعل الله

---

(١) البخاري (٣٢٠٩) كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم. ومسلم (٦٧٠٥) كتاب البر والصلة باب إذا أحب الله عبدا أمر جبريل فأحبه.

(٢) سورة غافر: ٧.

(٣) سورة يونس: ٤٦.

فطرته وجوهر نفسه قريبة من فطرة النبي؛ فلقنت نفسُه القدسية نفسَه مرارا وتكرارا وتقلب معه السراء والضراء، فتلقى من فيوضه حظا وافرا وصار مستعدا لتلقي إلهام من الله سبحانه وتعالى ومن أنواعه المحدثية والصديقية.

ثم يختاره تدبير المولى عز وجل لإكمال ما وعد النبي إنجازه، فتنــزل عنايته على نفسه القدسية فوجا إثر فوج إلى أن يصبح سراجا منيرا وسط البيت وتضيء الأجسام الشفافة بنوره، فتتأثر به نفوس سائر البشر، والكل يتحركون على أساس المبدأ والقاعدة الغيبية فيرفعون راية الجهاد مرة وينشرون العلم أخرى ويفيضون من بركاتهم على نفوس الطالبين بالقول والحال كثيراً. فهذا الشخص الذي يشبه السراج المنير في الخارج هو مبدأ الفيض وخليفة النبي، فهو كالقلب في سائر أجزاء البدن.

(١) ومن لوازم الخلافة أن يُنصر على العالم. لأنه إذا ما تحقق وعد الله على يده يعد ذلك طعناً وجرحاً في الفيض الإلهي! قال تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[(١)].

(٢) ومن لوازم الخلافة الخاصة أن يتحقق ما وعد الله عز وجل نبيه على يد خليفته ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[(٢)].

(٣) ومن لوازم الخلافة الخاصة جمع كلمة المسلمين والتأليف بين قلوبهم والتراحم بينهم وعدم التفرق والبراءة من الكفار بل وحمل السيف على رقابهم لينهزموا يوما إثر يوم إلى أن تتحقق كلمة ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[(٣)] فهذه الخلافة الخاصة (أو خلافة النبوة) هي التي أطلقت عليها خلافة ورحمة.

(١) وأدرك جمع من العلماء المحققين من هذه الكناية أن الله عز وجل اصطفى الشيخين أبابكر وعمر لخلافة نبيه وهي كذلك تدل على أنهما كانا أفضل الأمة.

فقد أخرج أبوعمر في الاستيعاب[(٤)] عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله تعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه وبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه.

(٢) ويرى بعضهم أن الوصف "خيرهم" عبارة عن وحدة كلمة الأمة وجهاد الكفار

---

(١) سورة الصافات: ١٧١، ١٧٣.

(٢) سورة الصف: ٩.

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

(٤) راجع ص ٥٢.

وتشريدهم، كما أخرج الحاكم[١] عن أبي وائل قال: قيل لعلي: استخلف علينا. قال: ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدي على خيرهم.

وأخرج أبوعمر في الاستيعاب[٢] عن علي قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر وعمر. ثم بين وجه الخيرية في حديث آخر. قال: استُخلف أبوبكر - رحمة الله على أبي بكر - فأقام واستقام ثم استُخلف عمر - رحمة الله على عمر - فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه[٣].

(٣) واستنتج بعض المحققين من إجماع الصحابة على استخلاف الشيخين أبي بكر وعمر أفضليتهما، كما قال سفيان الثوري: من قال إن عليا أفضل من أبي بكر فقد خطأ المهاجرين والأنصار، ولا أرى أن عمله يقبل[٤].

والآن بعد ما تبينت حقيقة الخلافة الخاصة تتضح لنا العلاقة بين كل استنباط من تلك الأوصاف التي هي ماهية الاستخلاف أو لازمة من لوازمها بأدنى تأمل. وسيتضح هذا المبحث تمام الايضاح بعد المقدمات الثلاث الآتية:

المقدمة الأولى: ملازمة الخلافة الخاصة لأفضلية الخليفة على رعيته.

المقدمة الثانية: إثبات خلافة هؤلاء الأفاضل من نصوص القرآن والأحاديث النبوية وإجماع الأمة بوجه معقول يبرهن حقيقة الخلافة الخاصة. وبما أن هذه المقدمة الثانية سبق أن أطلنا فيها البحث وأوضحنا خفاياها فسنكتفي هنا بعدد من النكت الموجزة فحسب.

المقدمة الثالثة: لم تنتظم الخلافة الخاصة أيام سيدنا المرتضى رغم اتصافه بصفات الكمال التي تقتضيها رتبة الخلافة الخاصة فمع اتصافه بها لم يُكتب له النصرة و لم تجر الأمور مجرى تلك الصفات وذلك لما اقتضته حكمة الأيام المقدرة على الأزمان، فلم تنتظم في الخارج حسب ذلك المقدور في الأزل السابق. وقد اضطررنا إلى التطرق لهذه المقدمة الثالثة لأنه لم يذكر اسم أحد من المهاجرين الأولين بعد المشايخ الثلاثة بالخلافة غير علي رضي الله عنه. لذلك لزم بيانه.

---

(١) راجع ص ١٦٣.
(٢) راجع ص ١٦٣.
(٣) راجع ص ١٦٣.
(٤) راجع ص ٧١.

المقدمة الأولى

ملازمة الخلافة الخاصة
لأفضلية الخليفة على أهل زمانه

(١) يظهر هذا التلازم من سنة الله عز وجل بإنـــزال رحمة خاصة على الأمة بتعيين خليفة خاص لنبيه صلى الله عليه وسلم وإليه تشير كلمة خلافة ورحمة في الحديث الشريف. ويستحيل أن يصطفي الحكيم المطلق المفضول على الفاضل عند إرادته الرحمة الخاصة.

(٢) وأحيانا يظهر هذا التلازم عندما ينجز ذلك الشخص المختار عملا جليلا يتعذر القيام به إلا ممن كان أفضل أهل العصر ﴿**الطيبات للطيبين**﴾.

(٣) ويستنتج أحيانا من توكيله صلى الله عليه وسلم أحداً ليخلفه في أمر خاص لا يمكن أن يختار لمثله إلا أفضل الأمة.

(٤) ويظهر أحيانا من إجماع الصحابة على شخص معين بوجه يشير اختيارهم أنهم رأوه أفضلهم وأجمعوا عليه، ولا يمكن أن يجتمع الصحابة بل المسلمون على أمر إلا أن يكون حقا عند الله عز وجل.

وكل هذه الوجوه يساند بعضها بعضا وهي تسكب في خانة واحدة وكل يبشر بالآخر كما قيل:

عباراتنا شتى وحسنك واحد   وكل إلى ذاك الجمال يشير

فقد نص المرتضى على **الوجه الأول** من التلازم بقوله: إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم على خيرهم[١].

والوجه الثاني، ذكره عبد الله بن مسعود: ثم إن الله نظر إلى قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه[٢].

والوجه الثالث، أشار إليه أبوبكر الصديق وعبد الله بن عباس في حديث مرفوع[٣].

وكذلك **الوجه الرابع**؛ قاله عبد الله بن مسعود وشرحه ووضحه سفيان الثوري ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وقد رأى المسلمون استخلاف أبي بكر[٤]. ثم قال في

---

(١) راجع ص ٦٨، ١٦٣.

(٢) راجع ص ٥٢.

(٣) راجع ص ٧٠- ٧١، قيل له: فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر؟ قال أبوبكر: أبربي تخوفوني؟! أقول: اللهم استخلفت عليهم خير خلقك.

(٤) راجع ص ٥٢.

استخلاف عمر: أفرس الناس ثلاثة... إلى أن قال: وأبوبكر حين استخلف عمر[١]. وقال سفيان الثوري من فضّل عليا على الشيخين فقد خطأ المهاجرين والأنصار[٢].

(٥) وأحيانا يقرر بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يلازم التمكين في الأرض في كتاب الله عز وجل، ويعني بمجموع التمكين وهذه الصفات حقيقة الخلافة الخاصة. وفي مكان آخر يقول ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٣]، فالخيرية تقتضي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما من مقتضيات الخلافة الخاصة؛ فالأفضلية هي من خواص الخليفة الخاص.

(٦) وأحيانا يقرر أن الخلافة في الشرع تعني وجوب انقياد الناس لأمر الخليفة في كل ما يتعلق بالخلافة وهذا النوع من الأفضلية من مقتضيات الـــخلافة الخاصة وإليها أشار قوله تعالى ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[٤].

(٧) وأحيانا يستشهد بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٥] الآية، أي أنها في سياقها وسباقها تدل على أنّ ولاية المسلمين لا تحق إلا لقوم ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[٦] ويتصفون بما ذكر لهم من الصفات.

فبعد ما بيناه من أصول الملازمات في وجوهها المختلفة فلا بأس بأن نخوض في التفصيل.

شرح الوجه الأول

فقد أراد الحق سبحانه وتعالى باستخلاف المشايخ الثلاثة تمكين دينه الذي ارتضاه للناس، وأراد أن يرحم أمة الرسول صلى الله عليه وسلم ويدفع عنها الكفار ويقيم أركان الإسلام ويشيع بينهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يستلزم هذا المعنى أن يكون أفضل الأمة وأحقها وأقومها على حقوق الله هو الخليفة المختار لأن سمات التمكين والرحمة وسائر المعاني المذكورة تظهر بوجه أوضح وأبين باستخلاف الأحق لا محالة، في حين أن استخلاف غير الأحق لإرادة تمكين الدين الذي ارتضاه الله عز وجل دينا كاملاً لجميع العالمين على الوجه الأبلغ يعد نوعا من السفه. وهذا يستحيل من الحق سبحانه وتعالى وهو الحكيم وأفعاله غاية في الإحكام والاتقان. وقد أراد الله عز وجل أن يدحض نـــزعات المرتدين بقوم وصفهم بأنه ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية، ولم يرد مجرد

---

(١) راجع ص ١٧٨.
(٢) راجع ص ٧١.
(٣) سورة آل عمران: ١١٠.
(٤) سورة الفتح: ١٦.
(٥) سورة المائدة: ٥٥.
(٦) سورة المائدة: ٥٤.

الدفع. وقد أراد الله أن يخزي ملل الكفر ويستخلص بلاد الشام من أيدي الكفار بأيدي الصالحين دون غيرهم. وقد ورد في الحديث الشريف "استقامتكم ما استقامت أئمتكم"(١). فاستقامة الأئمة من مستلزمات استقامة الأمة وهذا لا يمكن أن يحصل إلا بأن يتولى الخلافة الأحق بها. وما اشترطناه في مقتضيات التمكين والرحمة استخلصناه من أن إرادة الإضلال تستوجب استخلاف الجابر والكافر كما وقع في الجاهلية. فقد قال تعالى ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾(٢) أي كثرناهم وجعلناهم الولاة. قاله ابن مسعود(٣).

ويجوز استخلاف المفضول في زمن إرادة الهداية من وجه والإضلال من وجه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم يكون ملك عضوض(٤).

شرح الوجه الثاني

يقول الله تعالى ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾(٥) ويضطر العقل إلى أن يقبل أنه لا يلهم علوم الحق والهدى ولا تنزل الدواعي الكلية إلا على النفوس القدسية، وكلما صفّيت النفس وتزكت نزلت عليها الدواعي الإلهية بشكل أعظم وأبين، وإذا حرمت الإلهام وتحركت كالخشب والحجرفهو من قبيل "إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"(٦). وبين هذا المعنى وبين معنى الخلافة الخاصة بون شاسع.

شرح الوجه الثالث

أخرج الحاكم(٧) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من استعمل رجلا من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله وخان

---

(١) البخاري (٣٨٣٤) كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية بلفظ: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم.

(٢) سورة الإسراء: ١٦.

(٣) البخاري (٤٧١١) كتاب تفسير سورة بني إسرائيل.

(٤) راجع ص ٩٥، ٢٢٤.

(٥) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٦) ابن حبان ٢٥/٧ والإحسان ص ٣٨٧ والطبراني في الكبير ٢٠٧/٩، ٢٥٦ رقم ٨٩١٣، ٩٠٩٤، وقال الهيثمي في المجمع ٢٠٣/٥: فيه عاصم بن أبي النجود وهو ثقة وفيه كلام. وله شواهد راجع سلسلة الصحيحة (١٦٤٩).

(٧) ٩٢/٤ وقال صحيح الإسناد وفي الفيض ٥٦/٦: تعقبه الذهبي فقال: حسين ضعيف وقد سقط هذا من تلخيص المستدرك. وابن عدي في الكامل ٧٦٣/٢ في ترجمة حسين بن قيس الرحبي، وهو متروك كما في التقريب ص ١١٣.

رسوله وخان المسلمين.

إذا كان هذا الشأن في نصب أمراء السرايا والوفود فماذا عسى أن يكون الشأن في اختيار الخليفة المطلق الذي بيده أمر الأمة، وحكمه في شئونها الدينية والدنيوية مطاع؟!

فالآن تدبر أنه ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في بعض تصريحاته وكثير من تلميحاته أنه اختار أبابكر الصديق خليفة له من بعده، تدرك بأن أبابكر كان أفضل الأمة وهو كذلك قد اختار عمر الفاروق خليفة من بعده. إذن كان عمر بدوره أفضل أهل زمانه.

السؤال: إذا تتساءل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان استخلف أسامة بن زيد على المهاجرين الأولين؟!

نقول: كان أسامة يطلب ثأر أبيه، وكان له في أخذ ثأر أبيه شأن، وكلما حدث أن استخلف المفضول كان لأمر يخص ذلك الشخص، أما الاستخلاف المطلق الذي هو لإعلاء كلمة الله خالصة فلا ينبغي لغير الأفضل.

ويوضح استقراء سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخباره في الشئون المختلفة أنه لم يستخلف قط إنساناً إلا لأنه كان أفضل من غيره في الدين كما نص عليه سيدنا المرتضى رضي الله عنه "وكان قريبهم عنده على حسب الدين" أو كما قال. أخرجه الترمذي في الشمائل[1]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كبِّره كبِّره[2] أي قدِّم الأكبر.

وتعني خلافة النبوة الرئاسة العامة في الشؤون الدينية والدنيوية، الظاهرة منها والباطنة.

فمن هنا كان تلويحه صلى الله عليه وسلم باستخلاف أبي بكر بتقديمه في الصلاة وذلك لأن الصلاة أفضل الطاعات وأقرب القربات وقد بينه المرتضى رضي الله عنه كما مر[3]. والرئاسة تعني الأخذ بيد المرؤوسين إلى درجة الكمال، وأكمل القوم هو أحق من يقوم بهذا من بين الرعية خلافا للمُلك العَضوض الذي يعني الرئاسة الظاهرة فحسب. وإذا لم يكن الأمر كذلك فلا يظهر أدنى اختلاف لخلافة النبوة من غيرها، أو لا معنى لضبط خلافة النبوة بثلاثين عاما ولا قصرها على الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم.

والحكيم الشفيق لا يجعل خليفته من وزرائه وجماعته إلا أفضل الناس وأشبههم بنفسه،

---

(١) لم أجده في الشمائل، نعم رواه في باب ماجاء في تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن بمعناه، ولفظه: الذين يلونه من الناس خيارهم. والله أعلم.

(٢) البخاري (٢٤٦) كتاب الوضوء باب دفع السواك إلى الأكبر من حديث ابن عمر، لكن فيه: فقيل لي: كبر. والقائل جبريل عليه السلام. ومسلم (٤٣٤٣) أول كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، من حديث سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج بلفظ: فقال له النبي صلى الله عليه كبِّرِ الكُبر. والله أعلم.

(٣) راجع ص ١٦٦.

وإذا لم يكن الأمر كذلك فلا هو ناصح ولا حكيم! إذن اختياره صلى الله عليه وسلم أبابكر وهو ناصح الخلق وأعلمهم بالله كما قال الله تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[١] وقال جل شأنه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أعلمكم بالله وأخشاكم[٣]- لخير دليل على أنه كان أفضل المسلمين بل أشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان هناك أناس أحق بالخلافة منه فماذا كان يعني "ويأبى الله والمسلمون"[٤]. وماذا كان يعني رفضه الشديد أن يؤم الناس غيره؟!

وعلى هذا النسق أشارت بعض الأحاديث إلى رجحانه في الوزن، ولا يكون ذلك باعتبار كثرة الفتوح لأنه قد وصف في باب كثرة الفتوح "وفي نـــزعه ضعف" فليس الأمر إلا من حيث أفضلية الرتبة وعلو المقام لدى المولى عز وجل.

شرح الوجه الرابع

فقد استنبط فقهاء الصحابة أمثال عمر الفاروق وعلي المرتضى وابن مسعود رضي الله عنهم من استخلاف شخص أفضليته كما قالوا "أحق بها" وهؤلاء الذين هم أئمة الأمة وسادتها في وجوه الاستنباط وفهم معاني الشرائع لم يستنبطوا الأفضلية من الاستخلاف إلا بما تحقق لديهم من التلازم القوي بينهما. قال عمر: أيكم تطيب نفسه أن يتقدم على أبي بكر؟ وقد رويناه من قبل[٥].

وقال علي والزبير: ما غضبنا إلا أنا قد أخرنا عن المشاورة وإنا نرى أبابكر أحق الناس بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه لصاحب الغار وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه وكبره ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة للناس وهو حي. رواه الحاكم[٦].

وقال ابن مسعود: اجعلوا إمامكم خيركم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل إمامنا خيرنا بعده. رواه أبوعمر في الاستيعاب[٧].

وإذا استقرينا الأخبار الواردة عن ساعة الاستخلاف نجد ذكراً للأفضلية هناك كذلك:

---

(١) سورة الأحزاب: ٦.
(٢) سورة التوبة: ١٢٨.
(٣) البخاري (٦١٠١) كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب. ومسلم (٦١٠٩) كتاب الفضائل باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية.
(٤) راجع ص ٩٧، ١٩٩.
(٥) راجع ص ١٥٢.
(٦) راجع ص ١٧٢.
(٧) راجع ص ١٧٧.

(١) فهذا عمر الفاروق يقول: أحق بهذا الأمر[١].

(٢) وقال أبوبكر الصديق عند استخلاف عمر الفاروق: أبالله تخوفوني! أقول استخلفت عليهم خير خلقك[٢].

(٣) ولما رجع أمر الشورى إلى عبدالرحمن بن عوف قال: والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلهم. ثم بايع عثمان[٣].

فلم يُفصل الاستخلاف عن الاعتقاد بالأفضلية قط.

شرح الوجه الخامس

قال الله تعالى في المهاجرين الأولين ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٤] الآية.

ففيها دلالة صريحة على أنه إذا تم تمكين شخص من المهاجرين الأولين فلابد أن تتحقق حقيقة الخلافة من تمكين الأوصاف الأربعة المذكورة.

وقال عز وجل في مقام آخر ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٥] الآية ولها تفسيران:

الأول: أن الخطاب موجه لفضلاء الأمة لا لجميعها أي يا أيها الفضلاء من هذه الأمة أنتم خير أمة أخرجت للناس، وهذا التفسير يشبه قوله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٦] والقرآن نزل متشابها مثاني يشبه بعضه بعضا.

والثاني: أنها للمهاجرين الأولين، أي إن هذه الأمة من المهاجرين الأولين هم خير أمة أخرجت للناس، وحينئذ يظهر المفهوم الموافق بأن كل من فاق الآخرين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير فهو أفضل ممن هو دونه بقدر ما فاقه في الدعوة إلى الخير والنهي عن المنكر، وهذا داخل في حقيقة الخلافة الخاصة وجزؤ منها. إذن أصبحت الأفضلية من لوازم الخلافة الخاصة.

---

(١) تقدم بلفظ: وإنه أولى المسلمين بأموركم. والله أعلم. راجع ص ١٥٠.
(٢) راجع ص ٧٠.
(٣) راجع ص ١٧٢.
(٤) سورة الحج: ٤١.
(٥) سورة آل عمران: ١١٠.
(٦) سورة آل عمران: ١٠٤.

شرح الوجه السادس

قال الله تعالى ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[١] تدل هذه الآية على أن حكم الخليفة الخاص نافذ لأنه سينوب عن النبي صلى الله عليه وسلم وله السلطة على رعيته في أحكام الله وقوانين شريعته وهذا يعني أفضليته على رعيته. ومن يتدبر بعين الإنصاف يدرك ويوقن بأن نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على أفضليته وعلو مكانته على القوم المبعوث إليهم وكذلك الاستخلاف بالخلافة الخاصة يدل على أفضلية خليفته على رعيته وعلى تمكنه من قيادة الأمور بأكمل الوجوه.

بل يدرك ذوو الألباب من الناس أن إرادة إصلاح العالم على يد إنسان ووجوب انقياد القوم له هو عين أفضليته ومقامه ونحن نعني تلك الفضيلة التي تأتي من المشابهة بالنبي في نبوته وليس سائر الوجوه من الفضائل.

شرح الوجه السابع

وهو ما أشار إليه المولى عز وجل في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾[٢] الآية.

فهذه دلالة صريحة على أنه لا يتولى رفع فتنة الارتداد والقضاء عليها إلا جماعته وهم الذين ﴿(١) يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ (٢) أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣) أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٤) يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ (٥) وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[٣] فهذه أوصاف الجماعة التي تقضي على فتنة الارتداد.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[٤] وهذا عام، أي ولاية المسلمين خاصة بأفاضل الأمة كذلك، إذن أصبحت الأفضلية من لوازم الخلافة الخاصة. والله أعلم.

---

(١) سورة الفتح: ١٦.
(٢) سورة المائدة: ٥٤.
(٣) سورة المائدة: ٥٤.
(٤) سورة المائدة: ٥٥.

المقدمة الثانية

إثبات خلافة الخلفاء من نصوص القرآن والحديث وبإجماع الأمة

(١) قال الله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ . . . إلى أن قال. . . وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾[1].

كان مصداق هذه الآية المشايخ الثلاثة أبوبكر وعمر وعثمان، إذن تقرر في الغيب -أي في اللوح المحفوظ- عند الله عز وجل أن المراد من تمكين دينه الذي ارتضاه للناس استخلاف هؤلاء الأكارم.

(٢) وقد قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[2] الآية، وبعد ذلك قال في مطلع الموضوع ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ﴾[3] وقال عز وجل في سياق الكلام ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾. فعلمنا من هذه الآيات أن المراد من استخلاف هؤلاء الأكارم هو دفع الكفار وإحياء دين الإسلام.

(٣) وقد قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[4] يفهم من هذه الآية أن مراد الحق سبحانه وتعالى استقر في اللوح المحفوظ قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم أن تفتح بلاد الشام بيد أناس صالحين وبما أنها فتحت بيد الشيخين أبي بكر وعمر فكانا على رأس هؤلاء الصالحين.

(٤) وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[5] الآية.

ومن هنا تبين أنه قبل حدوث فتــنة الإرتداد قدر في الأزل بأن الأقوام الفلانية هم الذين سوف يثيرون هذه الفتنة.

(٥) وقال تعالى ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾[6] فيفهم من هذه الآية بأنه سيدعو إلى جهاد فارس والروم من سينوب عن الرسول صلى الله عليه وسلم وحكمه في الشرع واجب الانقياد.

(٦) وقال الله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل

---

(١) سورة النور: ٥٥.
(٢) سورة الحج: ٤١.
(٣) سورة الحج: ٤٠.
(٤) سورة الأنبياء: ١٠٥.
(٥) سورة المائدة: ٥٤.
(٦) سورة الفتح: ١٦.

لِي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾[١].

تعني هذه الآية على أحد التأويلات أي رب أدخلني في العالم الأعلى مدخل صدق وأخرجني من العالم مخرج صدق واكتب لي النصرة والغلبة في الدنيا وبعد وفاتي.

وبما أن الخلفاء الثلاثة أبابكر وعمر وعثمان قد غلبوا ونصرهم المدد الغيبي فوجا إثر فوج ونزل التأييد لهم ولأتباعهم، رأينا رأي العين بأنه كان إجابة لهذا الدعاء، بل الأمر بهذا الدعاء يعد بشارة بخلافة هؤلاء الأفاضل.

وبالعموم تبين من هذه الآيات وأمثالها أن قوما من أفاضل هذه الأمة وسادتها ممن يتصفون بأفضل الصفات سيخلفون الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولما تحققت خلافة هؤلاء الأبرار وتحققت تلك البشائر على أيديهم أيقنا بأن الآيات كانت تشير إليهم مجملة وقد كانت الأفكار والخواطر تصول وتجول والاحتمالات الشتى تظهر بين الحين والحين قبل أن يتصدى هؤلاء للخلافة ويتم إنجاز ما وعد الله عز وجل. ففي هذه الحالة إلتجأ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الغيب برؤيا القليب ورؤيا الميزان ورؤيا الدلو وغيرها لتبيان الحقيقة والكشف عن هذا اللغز. ثم بعدها رجحهم الرسول صلى الله عليه وسلم على سائر الناس في أقواله وأفعاله وأوصى لهم بالاقتداء "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر"[٢]. وكشف هذا المعنى، بل وصرح به كثير من الأحاديث التي تبلغ في مجموعها درجة التواتر. وتم اليقين الكامل على هذا المعنى إلا لكل مارد متمرد إلى أن يقبل الحق الواضح. ثم أشار النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الأخير إشارات عديدة أبلغ من التصريح.

فهذه الأقوال والإشارات النبوية تفصيل لذاك الإجمال، فكأن كل الأوصاف الكاملة التي توضح معنى الخلافة الخاصة درجت في ثنايا كلامه صلى الله عليه وسلم.

وكأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تقول إن الذين وصفهم القرآن هم هؤلاء الأكارم لا غير، ثم وفق الصحابة في الانقياد للشيخين والبيعة لهما وإن كانوا قد التجأوا في ذلك إلى نوع من الاجتهاد الذي بدأ ظنا وتم على حقيقة اليقين.

---

(١) سورة الإسراء: ٨٠.

(٢) راجع ص ٦٣.

المقدمة الثالثة

عدم انتظام الخلافة الخاصة في أيام سيدنا علي رضي الله عنه

قسم الله عز وجل حوادث الخير والشر على أزمان متنوعة، وتقرر في عالم الغيب ربط كل حادثة بزمنها، وإذا كان لها صلة بالشرع بينها على لسان أنبيائه ليعلم الناس أخبارها قبل وقوعها، وقد وضع لكل حادثة حكما ليتم حكمة ابتلاء الناس بها. فقد قال تعالى ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[1].

وكذلك بين على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم أن الخير سيدوم من بعده إلى فترة، ثم ينقلب الأمر رأسا على عقب وستظهر فتن عظيمة. وذكر منها ثلاث فتن تتخللها هدنتان. وقد وردت هذه الأحاديث من طرق عديدة تبلغ حد التواتر، فثبت العلم بها من الشرع يقينا.

(١) منها الحديث الصحيح "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم ينشأ أقوام يسبق أيمانهم شهادتهم وشهادتهم أيمانهم"[2]. وفي أسانيده العدد والثقة. رواه عمر بن الخطاب وعمران بن حصين وسهل بن سعد وغيرهم[3].

وإذا تأملناه يظهر أن المراد من القرن الأول كان زمنه صلى الله عليه وسلم من قبيل الهجرة إلى وفاته، والقرن الثاني كان فترة خلافة سيدنا أبي بكر وعمر، والقرن الثالث كان خلافة سيدنا عثمان إلى اثني عشر عاما. ثم ظهرت الفتن ونشأت الأقوام الذين ورد وصفهم.

(٢) ومنها حديث عبد الله بن مسعود: تزول رحى الإسلام بخمس وثلاثين سنة فإن يهلكوا فسبيل من هلك الخ[4].

(٣) وحديث أبي هريرة: الخلافة بالمدينة والملك بالشام[5].

(٤) وحديث حذيفة: لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم[6].

(٥) وحديث كرز بن علقمة قال أعرابي: هل للإسلام منتهى؟ قال: نعم، أيما أهل بيت من العرب والعجم أراد الله بهم خيرا أدخل الله عليهم الإسلام. قال: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: ثم تقع الفتن كأنها الظل. قال الأعرابي: كلا يا رسول الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بلى

---

(١) سورة الإسراء: ٤.

(٢) راجع ص ١٧٩.

(٣) راجع ص ١٥٣، ٢٣٧- ٢٣٨.

(٤) راجع ص ٩٣، ١٧٩.

(٥) راجع ص ٩٣.

(٦) راجع ص ٢١٠- ٢١١.

والذي نفسي بيده ثم ستعودون فيها أساود صُبًّا[١].

(٦) وحديث عتبة بن غزوان: وأنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حين يكون آخرها مُلكا فستخبرون وتجربون الأمرآء بعدنا[٢].

(٧) وحديث أبي عبيدة ومعاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة ثم كائن خلافة ورحمة ثم كائن ملكا عضوضا ثم كائن عتوا وجبرية وفسادا في الأمة الخ[٣].

(٨) وحديث عبد الله بن عمرو: إن أمتكم جعلت عافيتها في أولها وإن آخرهم يصيبهم بلاء وأمور تنكروها ثم تجيء فتن ترقق بعضها بعضا الخ[٤].

(٩) وحديث أبي بكرة الثقفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من رأى منكم رؤيا؟ قال رجل: أنا رأيت كأن ميزانا نــزل إلى أن قال: ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان[٥].

(١٠) وحديث سمرة بن جندب قال رجل: رأيت كأن دلوا دلي من السماء إلى أن قال ثم جاء علي، فأخذ بعراقيها فانتشطت فانتضح عليه منها شيء[٦].

(١١) وحديث أنس وسؤال بني المصطلق: إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ إلى أن قال فإن حدث بعثمان حدث فتبا لكم الدهر فتبا[٧].

(١٢) وحديث سهل بن أبي حثمــة وربيع الأعــرابي منه صلى الله عليه وسلم وقوله من يقضيه؟ إلى أن قال: إذا أتى على أبي بكر أجله وعمر أجله وعثمان أجله، فإن استطعت أن تموت فمت[٨].

(١٣) وحديث عمر رفعه: رأيت عمودا من نور خرج من تحت رأسي حتى استقر بالشام[٩].

---

(١) راجع ص ٢٣٥ و ٣١٩.

(٢) مسلم (٧٤٣٥) كتاب الزهد والرقائق باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

(٣) راجع ص ٩٥، ٢٢٤.

(٤) راجع ص ١٩٢. اختلفت عبارات الشراح في تفسير هذا الحديث، لكنها تشير إلى معنى واحد: منهم من قال: ثم تجيء فتن بها ألوان من الفساد وكل لون يحرّض على الثاني. ومنهم من قال: تجيء فتن تنقص الثانية من قبح الأولى لما تفوقها في الشناعة والقبح. ومنهم من قال: تجيء فتن على أكتاف البعض، ومنهم من قال: تجيء فتن وراء البعض، تذهب هذه فتأتي الأخرى. وفي رواية فيرفق أي كل فساد يرافق الآخر. وفي رواية فيدفق أي كل فساد يدفع بالثاني.

(٥) راجع ص ٧٠.

(٦) راجع ص ٩٠.

(٧) راجع ص ٩٣.

(٨) راجع ص ٩٤.

(٩) راجع ص ٣٠٠.

(١٤) وحديث عرفجة: ثم رفع الميزان بعد عثمان[١].

(١٥) وحديث أبي هريرة: هلاك أمتي على أيدي غلمة من قريش[٢].

(١٦) وحديث أم بهز الأسدية[٣]: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها قلت: يا رسول الله من خير الناس فيها؟ قال: رجل في ماشيته الخ[٤].

(١٧) ومن حديث سعد بن أبي وقاص: قال عند فتنة عثمان أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم الخ[٥].

(١٨) وحديث إهبان الصيفي جاءه علي بن أبي طالب فدعاه إلى الخروج معه فقال: إن خليلي وابن عمك عهد إلي إذا اختلف الناس أن اتخذ سيفا من خشب[٦].

(١٩) وحديث أبي موسى قوله صلى الله عليه وسلم في الفتنة: كسروا فيها قسيكم واقطعوا فيها أوتاركم[٧].

(٢٠) وحديث خباب بن الأرت: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي[٨].

(٢١) وحديث عبد الله بن مسعود رفعه: تكون فتنة المضطجع فيها خير من القاعد والقاعد خير من القائم الخ[٩].

(٢٢) وحديث أبي هريرة: أيها الناس أظلكم فتن كأنها قطع الليل المظلم الخ[١٠].

(٢٣) وحديث أبي بكرة: ألا إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم[١١].

(٢٤) وحديث محمد بن مسلمة قلت: يا رسول الله كيف أصنع إذا اختلف المصلون؟

---

(١) راجع ص ٧٠.
(٢) راجع ص ٣٦٣.
(٣) والصواب: أم مالك البهزية.
(٤) راجع ص ٢٩٨.
(٥) راجع ص ١٧٤.
(٦) أحمد ٣٩٣/٦ و ٦٩/٥ والترمذي (٢٢٠٣) أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في اتخاذ السيف من خشب في الفتنة وحسنه، وابن ماجه (٣٩٦٠) أبواب الفتن باب التثبت في الفتنة.
(٧) راجع ص ١٩٠.
(٨) راجع ص ٢٩٨.
(٩) راجع ص ٢٩٨.
(١٠) راجع ص ٢٩٨- ٢٩٩.
(١١) راجع ص ٢٩٩.

قال: تخرج بسيفك إلى الحرة[١] فتضربها به ثم تدخل بيتك الخ[٢].

(٢٥) وحديث حسن بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلا رجلا فساءه ذلك، فنزلت ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[٣]،[٤].

(٢٦) وحديث وائل بن حجر: رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه نحو المشرق فقال: أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم فشدّد أمرها وعجّله وقبّحه. فقلت له من بين القوم: يا رسول الله، وما الفتن؟ قال: يا وائل، إذا اختلف سيفان في الإسلام فاعتزلهما[٥].

(٢٧) وحديث مرة بن كعب ذكر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال: هذا يومئذ على الهدى. فإذا هو عثمان[٦].

(٢٨) وحديث علي المرتضى: مما عهد إليَّ النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمة ستغدر بي بعده[٧].

(٢٩) وحديث ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: إنك ستلقى بعدي جهدا. قال: في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك[٨].

(٣٠) وكذلك من حديث علي المرتضى رضي الله عنه وفي آخره: وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم[٩].

(٣١) وحديث جابر بن سمرة قال صلى الله عليه وسلم لعلي: إنك مؤمّر مستخلف وإن هذه مخضبة من هذه يعني لحيته من رأسه[١٠].

(٣٢) وحديث حذيفة ذكر فتنتين وهدنة، فقال في الفتنة الأولى: جاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم دعاة إلى أبواب جهنم[١١].

وكلام سعيد بن المسيب: ثارت الفتنة الأولى فلم يبق ممن شهد بدرا أحد، ثم كانت

---

(١) مكان بها أحجار وصخور.
(٢) راجع ص ٢٩٩.
(٣) سورة الكوثر : ١.
(٤) راجع ص ٣٦٣- ٣٦٤.
(٥) راجع ص ٢٩٩.
(٦) راجع ص ١٥٩
(٧) راجع ص ٢٩٦.
(٨) راجع ص ٢٩٦، ٢٩٧.
(٩) راجع ص ٦٣.
(١٠) راجع ص ٢٩٧.
(١١) راجع ص ٣١٨.

الثانية فلم يبق ممن شهد الحديبية أحد[١]. وقال البغوي: أراد بالفتنة الأولى مقتل عثمان وبالثانية الحرة[٢].

(٣٣) وحديث عبد الله بن مسعود: إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكروها الخ[٣].

(٣٤) وحديث أبي ذر: كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يميتون الصلاة ويؤخروها عن وقتها؟[٤]

(٣٥) وحديث أبي ذر أيضاً: كيف أنت إذا غمر الدم أحجار الزيت؟ الخ[٥]

(٣٦) وحديث أبي سعيد الخدري: يوشك أن يكون خير مال المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال[٦].

(٣٧) وحديث أبي ثعلبة الخشني في تفسير قوله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[٧] وفي آخره: فإن وراءكم أيام الصبر فمن صبر فيهن كان كمن قبض على الجمرة[٨].

(٣٨) وحديث عبد الله بن عمرو: كيف أنت إذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا؟ وشبك بين أصابعه الخ[٩].

(٣٩) وحديث ذي الزائد في خطبة حجة الوداع ألا هل بلغت؟ قالوا: اللهم نعم. ثم قال: إذا تجاحفت قريش الملك فيما بينها وعاد العطاء رسامة فدعوه[١٠].

(٤٠) وحديث ابن مسعود رفعه: ما من نبي بعثه الله في أمته في قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تَخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن الخ[١١].

(٤١) وحديث العرباض بن سارية الذي ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها: وسترون من بعدي اختلافا شديدا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها

---

(١) راجع ص ٣١٨- ٣١٩.
(٢) راجع ص ٣١٩.
(٣) راجع ص ٣٢٥.
(٤) راجع ص ٣٢٦.
(٥) راجع ص ٣٦١.
(٦) راجع ص ٣٢٧.
(٧) سورة المائدة : ١٠٥.
(٨) راجع ص ٣٢٧- ٣٢٨.
(٩) راجع ص ٣٢٨.
(١٠) راجع ص ٣٢٨.
(١١) راجع ص ٣٢٩.

بالنواجذ(١).

نحن نعلم علم اليقين بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بالصلاة والصيام والزكاة والحج وكذلك **نعلم علم اليقين** أنه ذكر زمانا من بعده بخير، ووصف الخلافة في تلك الأيام بالرحمة وسمى تلك الأيام بالعافية ثم حذر الفتنة بعدها ووصف أيامها بالمُلك العضوض وزمن البلاء والفتن. ورغب الناس في الجهاد في الفترة الأولى تحت راية إمامهم كما أمرهم بكسر القسي وقطع الأوتار وانعزال الناس في الفترة الثانية.

كما **نعلم علم اليقين** بأن المعراج قد كان وأن عذاب القبر سيكون وسيخرج الدجال وسيكون المهدي خليفة على الناس وسينزل عيسى، **وعلى الدرجة نفسها نوقن** بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى مقتل عثمان وما يترتب عليه، وسمى تلك الأيام بالفتنة الأولى، وهذا المعنى -بتحديد زمنه- قد اتضح خلال القرائن العديدة؛ تدور رحى الإسلام بخمس وثلاثين سنة(٢)، بل وحدد مكان الحادث بأنه سيكون في شرقي المدينة حيث قال: ألا إن الفتنة ههنا حيث يطلع قرن الشيطان(٣)، وبين صورة الفتنة، وحتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم(٤). وسمى ثلاثة يتولون الخلافة في فترة الخير وهم أبوبكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين، وأشار إلى البيعة لسيدنا علي في زمن الفتنة وأنه لا ينتظم أمر خلافته ولا تجتمع كلمة الناس عليه إلى غيره من الأمور، حتى علمنا رأى العين أن المراد هو ما حدث بعد قتل سيدنا عثمان من اختلاف الناس في حرب الجمل وصفين. وكل ذلك اتضح بالعقل والعمل أن الناس قد بايعوا المرتضى وانعقدت خلافته ووجبت طاعته في الأحكام الشرعية.

كان مراد الحق سبحانه وتعالى من الخلافة إصلاح العالم، فجعل الخلافة وسيلة لتحقيق مراده ولكن الناس اختلفوا وتفرقوا فلم تتمكن خلافة سيدنا علي رضي الله عنه ولم تنتظم (فلم تتحقق ثمراتها) ولم يكن في خلافته كالناي في فم التائي ولا أداة لتحقيق مراده.

لم يؤمر الناس بالقتال تحت رايته أمرهم في زمن المشايخ الثلاثة. وقد اختفت العناية الإلهية التي -كما اتضح من الأحاديث السابقة- كانت تنزل فوجا إثر فوج في الأزمنة السابقة. ولم تعط هذه الجهود الجبارة إلا فوائد ضئيلة. والخيرية التي كانت تعني تآلف المسلمين وترك الشجار والتآخي والإنفاق للجهاد وكسر شوكة الكفار بدأت تختفي وتضمحل يوما بعد يوم

---

(١) راجع ص ٦٧.
(٢) راجع ص ٩٣، ١٧٩.
(٣) راجع ص ١٨٦.
(٤) راجع ص ٢١٠- ٢١١.

و لم يتحقق معنى ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾[١] أي ليمكنن بسببهم دينهم – ولم يمكنوا في الأرض لدفع الكفار ولإعلاء كلمة الله، و لم يتحقق تطبيق ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾[٢].

و لم ينفذ حكمه على كافة المسلمين بل لم يشمل حكمه المسلمين كلهم وهذا يعجز عن إنكاره أي عاقل عجز عن انكار طلوع الشمس من المشرق صباح اليوم. ولكن هنا نكتة أخرى لا يدركها إلا أولو البصائر:

يــظهر قمري للعيون من كـــل جانب ولكن
لا يـــرى أحد ذلك الـــعُجْبَ الذي أشاهـــد

فخلاصة هذه النكتة أن فضل الأنبياء على أممهم وكذلك فضل الخلفاء على رعيتهم هو بأن الله جعلهم أداة لتنفيذ خطته وواسطة لاصلاح العالم، وقد تحقق هذا السر في الخلفاء الثلاثة بشهادة النقل والعقل، و لم يكن الأمر كذلك في سيدنا علي رضي الله عنه. وإن كان ذلك لا يعد نقصا فيه إذ كان قد سعى لإقامة الدين وإن لم يتيسر له. لكن أن يكون أداة للتخطيط الإلهي فذاك شأو وفضل آخر لو فاز به لم تخطئه أحكام الخلافة الخاصة. وهذا من أقوى الوجوه لأفضلية المشايخ الثلاثة عليه رضي الله عنهم أجمعين.

يتفاضل أصحاب اليمين بعضهم على بعض بكثرة العمل وصحة النية في حين أن تفاضل هؤلاء الكرام (أي الأنبياء والرسل) يشبه تفاضل الناي في يد النائي والحجر في يد الرامي وما هو إلا شمة من روضة ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[٣] ورمز من حكاية إني مكاثر بكم الأمم[٤]، و لم يتفضل النبي صلى الله عليه وسلم على الأنبياء الذين كانت أممهم دون أمته لصحة نيته بل كلما كانت الأمة أكثر عددا كان تدفق الفيوض الإلهية إليها أقوى.

يد السلطان المشرفة قد رمت بالنبال ولكن
ماذا تنفع النبال يوم الزحف من غير قـــوس

و لم تتزايد درجة النبوة ولا الأوصاف الباطنية التي منّ الله بها على النبي صلى الله عليه وسلم مع فتح مكة بل كلما اتسعت دائرة الفتوحات اتضحت روح الآية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا

---

(١) سورة النور: ٥٥.
(٢) سورة الإسراء: ٨٠.
(٣) سورة الأنفال: ١٧.
(٤) أبو داود (٢٠٥٠) كتاب النكاح باب النهي عن تزوج من لم يلد من النساء، والنسائي (٣٢٢٩) كتاب النكاح باب كراهية تزويج العقيم، والبيهقي ٨١/٧ والحاكم ١٦٢/٢ وصححه ووافقه الذهبي والطبراني في الكبير ٢١٩/٢٠ وابن حبان ١٤٤/٦ والموارد ص ٣٠٢ وله شواهد. راجع الإرواء ١٩٥/٦ والتلخيص ١١٦/٣، ١١٧ وآداب الزفاف ص ٥٥.

مُّبِينًا﴾[١].

السؤال: إذا قلت إن هـذا الكلام لـه وجه من الصحة في حرب الجمل وصفين إذ لم ينجب العنف وحدة ولا تآخيا وإنما اتسعت دائرة الخلاف بين المسلمين وذهب ريحهم، لكن ماذا تقول عن حرب نهروان فقد رافقهم الفيوض الإلهية وكان قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الفئة بقوله: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد[٢]؟

نقول: هنا نكتة دقيقة يجب أن نفرق بين شيوع الإسلام وائتلاف المسلمين فيما بينهم والسعي في كبت الكفار وإنـزال الهزائم المتتالية عليهم وبين أن تظهر فتنة مارقة في الصف الإسلامي نتيجة بعض الشبهات في أحكام الخليفة ومن ثم يرفعوا السلاح في وجه المسلمين ويسعى الخليفة في كبتهم. فالأولى تشبه تربية الطفل إلى أن يبلغ مرحلة البلوغ ويترعرع ليصبح شابا جلدا، والثانية تشبه نجارا كان يدك بالمطرقة على الخشب وفجاءة أخطأته وأصابت رجله، فيجب عليه حينئذ أن يترك شغله ويداوي رجله. فلا يختلط عليك هذا الباب، ولا تنـزل هذه النكتة الدقيقة على غير محملها، فلا أقصد أن المرتضى لم يكن خليفة أو أن خلافته لم تأخذ صيغتها الشرعية أو أن جهاده في تلك الحروب لم يكن لله ولا في الله، أعوذ بالله من جميع ما كرهه الله، بل أقصد أنه لم يظهر أن هذه الحروب ساندها الفيض الإلهي. فلو كان كذلك لظهر الخير وأصلح الخلق فوجا إثر فوج.

هذه نكتة ظريفة قصر الفقهاء والمتكلمون عن بحثها إثباتا أو نفيا وقد أدركها فقهاء الصحابة ببركة صحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وأشاروا إليها في أحاديث صحيحة[٣].

---

(١) سورة الفتح: ١.

(٢) البخاري (٣٣٤١) كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله عز وجل ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، ومسلم (٢٤٥١) كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) إلى هنا انتهى الفصل الأول للباب الثامن. ولم أجد له الفصل الثاني الذي ورد ذكره في قول المؤلف الإمام "فهو موزع على فصلين" في بدايته صفحة رقم ٦٩٣، والله أعلم. المترجم محمد بشير.

فهرس موضوعات المجلد الأول

من كتاب إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء

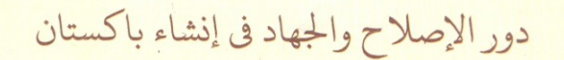
للإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي

الموضوع		الصفحة
منـــزلة أبي بكر عند الصحابة		٢٢٥
لا تكون الأثرة إلا بعد عمر.		٢٢٦
٤٩. من مسند زيد بن ثابت ﷺ	(رواية)	٢٢٦
المهاجرون أولى بالخلافة من غيرهم.		٢٢٦
٥٠. ومن مسند زيد بن خارجة ﷺ	(رواية)	٢٢٧
تكلمه بعد موته بفضائل المشايخ الثلاثة		٢٢٧
٥١. ومن مسند رفاعة بن رافع الزرقي ﷺ	(رواية)	٢٢٧
فضل أهل بدر		٢٢٧
٥٢. من مسند رافع بن خديج ﷺ	(رواية)	٢٢٨
فضل أهل بدر		٢٢٨
٥٣. ومن مسند أبي سعيد المعلى ﷺ	(رواية)	٢٢٨
خطبة النبي ﷺ في مناقب أبي بكر الصديق ﷺ		٢٢٨
٥٤. ومن مسند البراء بن عازب ﷺ	(رواية)	٢٢٨
بشارة بفتوح الأمصار		٢٢٨
٥٥. من مسند أم حرام الأنصارية رضي الله عنها	(رواية)	٢٢٩
بشارة بغزوة البحر فكانت في خلافة عثمان ﷺ		٢٢٩
٥٦. ومن مسند سهل بن سعد الساعدي ﷺ	(روايتان)	٢٢٩
إثبات الصديقية لأبي بكر والشهادة لهما		٢٢٩
منـــزلة أبي بكر عند النبي ﷺ		٢٢٩
٥٧. من مسند النعمان بن بشير ﷺ	(رواية)	٢٣٠
فضل القرون الثلاثة		٢٣٠
٥٨. من مسند عويم بن ساعدة ﷺ	(رواية)	٢٣٠
النهي عن سب الصحابة وبيان فضيلتهم		٢٣٠
٥٩. من مسند شداد بن أوس ﷺ	(رواية)	٢٣١
بشارة بفتوح الأمصار		٢٣١
٦٠. من مسند حسان بن ثابت ﷺ	(٤ روايات)	٢٣١
شعره في مدح أبي بكر ﷺ		٢٣١
٦١. ومن مسند أبي الهيثم بن التيهان ﷺ	(رواية)	٢٣٢
شعره في مدح أبي بكر الصديق		٢٣٢
٦٢. من مسند كعب بن عجرة ﷺ	(رواية)	٢٣٣
بشارة بثبات عثمان على الحق في الفتنة		٢٣٣
مسانيد سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين		٢٣٤
٦٣. مسند جابر بن سمرة ﷺ	(٣ روايات)	٢٣٤

الموضوع الصفحة

الموضوع		الصفحة
(٤)	ظهور الكذب وخاصة في بيان حديث رسول الله ﷺ وآثار السلف الصالح	٣٠١
(٥)	تعمق الناس في تجويد كلام الله المجيد أكثر مما جرى عليه لسان العرب، والاكتفاء بالقراءات وعدم التفقه فيها	٣٠٣
(٦)	تعمق الناس في تأويل متشابه القرآن	٣٠٤
(٧)	تعمق الناس في المسائل الفقهية وخوضهم في الفروع المفروضة التي لم تقع بعد	٣٠٤
(٨)	كثرة سؤال الناس عن الإلهيات	٣٠٦
(٩)	انتشار أخبار بني إسرائيل في الناس وروايتها عنهم	٣٠٧
(١٠)	زيادة الأوراد والأحزاب على السنة المأثورة والتزام المستحبات مثل التزام الواجبات	٣٠٧
(١١)	كان الوعظ والفتيا في الخلافة موقوفين على إذن من الخليفة.	٣٠٨
(١٢)	فتنة اقتـــتال المسلمين	٣١٠
(١٣)	فتنة شيوع سب السلف الصالح	٣١١
(١٤)	فتنة افتراق المسلمين	٣١١
(١٥)	ظهور فتـــنة الخوارج	٣١٢
(١٦)	ظهور فتـــنة القدرية	٢١٣
(١٧)	ظهور فتـــنة المرجئة	٣١٣
(١٨)	ظهور فتـــنة الروافض	٣١٤
(١٩)	استحلال المحرمات بالتأويل	٣١٤
(٢٠)	زوال الأمن من بين المسلمين	٣١٥
(٢١)	يتولى الخلافة من ليس أهلا لها.	٣١٦
(٢٢)	تهاون شديد في إقامة أركان الإسلام	٣١٦
(٢٣)	التشدد في العبادات وعدم الرضى بالرخص الشرعية	٣١٧
(٢٤)	حدوث فتنتين ذكرهما النبي ﷺ	٣١٨
(٢٥)	انقضاء المنهج النبوي لنمو الأمة المسلمة	٣١٩
(٢٦)	ذكر الفتن بأعدادها	٣١٩
(٢٧)	الحديث: عمران بيت المقدس خراب يثرب	٣٢٠
(٢٨)	الحديث: إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة الخ	٣٢١
(٢٩)	حديث الفتن (ثم تجيء فتن يرقق بعضها بعضا الخ)	٣٢١
(٣٠)	الحديث (يذهب الصالحون الأول فالأول ويـــبقى الخ)	٣٢١
٣-	**أحكام ومصالح تخص أزمنة الفتن**	٣٢٣
(١)	إذا تسلط على الخلافة من لا يستحقها يجب طاعته فيما وافق الشرع لا فيما خالفه.	٣٢٣
(٢)	ولا يجوز الخروج عليه ولا قتاله إلا إذا ظهر منه كفر صريح.	٣٢٣

الموضوع الصفحة



قضى الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي نحو ٤٥ سنة من حياته فى التدريس والإفادة والإرشاد، وقد رأى الدولة الإسلامية في الهند تلفظ نفسها الأخير، ثم رأى الاستعمار البريطاني استولى عليها عام ١٨٥٧م. في هذه الأثناء انتشر فى أهل الهند وعي سياسي واجتماعي عام بعدما ذاقوا أنواعا من العذاب والظلم من الاستعمار البريطانى واشتد الاستياء والتذمر من حكمه الجائر. ونبغ فى الهند علماء وقادة أيقظوا الرأي العام ونظموا حركات سياسية وتعليمية اسلامية.وقدم شاعر الاسلام الدكتور محمد اقبال رحمه الله فكرة إنشاء باكستان فى المناطق الشمالية ذات الأكثرية المسلمة، وأيدوا خطة باكستان.

وبذلك حقق الله تعالى مساعي الجهاد التى استمرت قرنا كاملا ولعبت فيها هذه الحركة الاصلاحية دورا بارزا. وأعلن أميرهم الشيخ فضل إلهي الوزير آبادي انتهاء حركته. والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.